انشورنس لائف

بمعہ

تکمیل تشریح و ضوابط

جلد

انشورنس ایجنٹ

الشوق الباكي

نظيم من شؤون وعواطف

بقلم

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

عني بنشره

محسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلومه تجارة عليا (ليون)

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م

المطبعة السلفية - بمصر

شتى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

اِهْدَاءُ الدِّيوَانِ

الى شمسى الغائبة

أزفُّ اليكِ اليومَ ديوانَ حكمتي
نَدِيَّ أزاهيرٍ حُفِفْنَ بأشواكِ
وفي كلّ مرأىً ضاحكٍ بَعْضُ دمعةٍ
وفي كلّ فَصْلٍ للجمالِ محيّاكِ
حيـاتي وأشجاني يبُعْدِكِ حالُها
كحالِ غروبِ الشّمسِ والشّفقِ الباكي
نأيْتِ فما شاهدتِ حُزني ولوعتي
وما كان هذا الحزنُ والبَثُّ لولاكِ
ولـكنَّ للآدابِ عَيْنًا بصيرةً
تصونُ بهذا الشِّعْرِ من أثرِ الشّاكي
لعلّكِ في إشراقِ صُبْحكِ مرةً
تَرَيْنَ بقايا العشق حَنَّ لمرآكِ
فـكلُّ حبوري منكِ إلهامُ صفوِهِ
وكلُّ زفيري منكِ مصدرُهُ الذّاكي

الناظم

مُقَدّمَةُ النّاشِر

الطبعة الاولى

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الظروف ستسمح لي مُسْعِدَةً بنشر هذا الأثر الأدبي النفيس ، ولـكنَّ وفاءَ صديقي الشاعر أبى الا أن يتركَ نشرَه لي وإنْ تفرّقنا ، مُعْرِضاً عن كلّ اقتراح يحرمني مِنْ لذّة الاشتراك في إذاعة هذا الشّعر الـكريم . وسواء أسمحتْ ظروفُ المستقبل أم لم تسمح بمتابعة هـذه الخدمة الخالصة لوجه الأدب ، فأحسبُ أنَّ ما سلف لي من دراسةٍ وتحليلٍ لشعر أبي شادي ـ في مصنفات ودواوين سابقة ـ فيه الغُنْيَةُ الوافية للأديب الذي يريد أن ينهجَ نهجي في دراسة الشعر ، ويودّ أن يميّز بين الفني المطبوع والصانع الماهر ، فالأول يعيش اثرُهُ خالداً بعـده لأنه الجوهر الصادق المطلوب في كلّ جيلٍ مهما تنوَّعتْ المظاهر والبيئات ، والثاني انْ عاش اثرُهُ بعد عصره فانما يعيش كمثال تاريخيّ أو كنموذج من العاديّات لا أكثر . . . . وما دواوين شاعرنا النابغة الاّ سلسلة متصلة الحلقات متممةٌ قصائدها لوَحدتها ، ومكملةٌ

لنظرات الشاعر ولفلسفته وآرائه التي لا تُحَدُّ بقطع معيَّنة من نظمه فكلما ازددتَ قراءة له زادَ تقديرك له واعجابك به .

وأحسبُ انّ مابلغه الشاعرُ من شهرةٍ وتقدير ـ سمحالبعض فطاحل ادبائنا ان ينظر لجليـل معانيه ومراميه بل وينتحلها احياناً شغفاً بسموّها وصنائها وعذوبتها ـ ممـا يبرّر ايجازي في هذه المقدّمة ، ولو ايجازاً نسبياً ، مقتصراً على طائفة من الملاحظات والشروح التي قد تلذّ المعاصرين من الادباء كما قد يرضى عنها ابناء المستقبل .

سألتُ الاستاذَ اباشادي ذات مرة عن تفسيره لشغف العقل الانساني بالشعر ، فكان جوابهُ الفلسفي انَّ الحياةَ الانسانية في نظره ـ وتطبيقاً لما كشفه العلمُ الحديث ـ ليست سوى نوع من أنواع الكهربائية ، وجوهرها التموّجات المنظمة الدقيقة ، وما الشعرُ في جوهره الا امواج منظمة معنى ومبنى ، فصِلةُ الحنان بينه وبين العقـل الانساني متينةٌ من هذه الوجهة . وما يُقال عن الشعر يُقال عن جميع الفنون الجميلة ، وعن كل مظهر للجمال تبدو فيه هذه التموجات ، او مظاهر الحياة والنظام ، او مشاهد القدرة والاستطاعة ، فالرابطةُ بينها وان استعصى تفسيرُها احياناً ليست بالخفية اذا عمدنا الى طريقة التحليل والمقابلة والمقارنة . وما الشعر

إلاَّ صورة مُنْبَتَةٌ من الحياة ، ولهذا نحنُّ اليها ونعجبُ بها ، وتهزُّنا هزّاً ، وكلما ازداد وفرةً في الجمال وكان صافياً كان تأثيرُه ألمغ !

شاعرٌ هذه نظرتهُ للشعر ، وهذا تفسيرُهُ لنشأته ، قمينٌ أن تُبلغ من وجدانك دعوتُهُ اضعاف ما يبلغهُ شعرُ الصناعة والتقليد الذي لاينمّ عن عبقرية ولا عن الهام صادق . وقد قيل لي انَّ المرانةَ الطويلةَ على القريض ينشأ عنها مركزٌ او شبهُ مركز في المخ يحنُّ دائما الى العمل ، ويُسعفُ صاحبه بما يستمدُّهُ من تجاريب ونظرات كلما أراد النظمَ ، وسواء اصحّ هـذا الاستنتاجُ ام لم يصحَّ فالمشهودُ انّ الشاعرَ المطبوعَ فيّاضُ القريحة سواء اعتمد على حافظته او على قلمه السيّال في تدوين الانغـام التي تتألف في ذهنه . وعندنا في صفات شاعرنا دليلٌ مادي يدعونا الى التأمل في هـذه النظرية . فهو عادةً لا يجاري والده ولا الـكاظمي ولا شوقي مثلاً في الاملاء ولـكنَّ قلمَه يجري بالشعر العزيز جريًا اذا دفعه دافعٌ وجدانيٌّ قويٌّ ، فينظم القصيدة العـامرة المناهزة للخمسين أو للستين بيتاً في ساعتيْ زمن أو أقلَّ ، وقلما ينظر اليها بعد ذلك نظرة تنقيح، وحسبك مرثيته الخالدة « مصرع أبي هيف »

«وقصيدته « كارثة دمشق » ونونيته في « عبد الكريم » ورائيته في « المؤتمر الوطني » وقصيدته في « يوبيل المقتطف » وصيحته الوطنية من أجل « الدستور الفاتح » وغيرها من غرر شعره الحيّ الدافق !

ومن العجيب انَّ شاعراً هذا فيضُ قريحته يُؤثر أن يُتْرَكَ في عزلته اذا نظم ، ويُؤثر السكونَ وحسنَ المنظر حوله ، ولا يطلب مُعيناً الاّ راحة فكره من اعماله العلمية المجهدة ، على انّ القريض لن يَعصيه عادةً اذا عالجه في ايّ وقت شاء (وكثيراً ما يكون متعباً) ، وان كنتُ لا أقول في ايّ موضوع ، فهو لا ينظم الاَّ في موضوع له أثرٌ في فؤاده ولبّه . ولا أدري ماذا كُنَّا نرجو من آثار قلمه لو انَّ مثله انقطع للأدب بدل ان يختلس الوقت له اختلاساً ، ولم يوزّع ذهنَه ومجهودَه في دراسات وأعمال منوَّعة شاقة (١) .

---

(١) بين المحافظين من لا يزال يتوهم ان الشاعر بل الاديب عامة يجب أن يكون من « المتشردين » ليستحق صفة الاديب . وسابقا انكروا على شوقي بك — وهو الرجل القانوني — أن يكون شاعراً ، ووجهوا مثل هذا النقد الى حافظ بك ابراهيم والى المرحوم عبد الحليم المصري لانهما من رجال السيف ، والى خليل بك مطران لأنه من رجال الحساب والاقتصاد ، والى الدكتورين رفعت وشميل لانهما طبيبان ، كأنما الشعر ليس فطرة وطبعاً أصيلا ، وكأنما الادب ليس ملكة وموروثة قبل أن يكون اكتسابا . . . . ! لكن هذه الاوهام قد آذنت بالزوال التام . . . واذا كان رجل طبيب بين

من أصدقِ صفات شاعرنا اخلاصهُ لفنّه الشعري وحبُّه الجمّ له ، ومن أصدقها أيضاً شغفهُ بالجمال على تنوّعِ صُورهِ ، ومن أحسنها ثباتهُ على المبدأ الصالح وعطفهُ على أخيه الأديب كيفما كانت مرتبتهُ الاجتماعية . متواضعٌ في نظرتهِ الى جلالِ الكون ورهبتهِ الذي لايعدّ الانسان بالمقارنة اكثر من ذرّة تائهة فيه ، معتدٌّ بنفسه عند هُزئهِ ببعض النظم الاجتماعية السخيفة التي تمنح العزّة والقوة للمال الحرام وللمظاهر الكاذبة ، فخورٌ حيثما كان للفخر

الانجليز مثل المغفور له الدكتور براون يبلغ بتضلعه الادبي استاذية اللغة العربية بجامعة (كيمبردج) ، فالاولى بنا ان لانغمط فضل شاعر كبير بيننا مثل الدكتور أبي شادى لمجرد انه طبيب ضليع في علمه . وهذا يذكرني بقول الاستاذ الفاضل أحمد حسنين القرني في مقال جامع نشرته صحيفة (الامل) بعنوان شعراء الاطباء : « بين جموع الاطباء الاقدمين جماعة لم تعقهم المهنة أو تقعد بهم عن العناية بالفلسفة ، ودراسة الحكمة ، والتعمق في المباحث الادبية ، بل لقد غلبت على بعضهم تلك الفنون فبرزوا فيها ، واستتر وراء عرفانهم بها نبوغهم في الطب كما يتوارى القمر تحت تأثير أشعة الشمس اللامعة . وهاك ابن سينا مثلا فانك ان تعرضت له بدرس تحليلي فانما تأتي على ناحيته الفلسفية وأسلوبه الادبي ، ثم قد تذكر أخيرا مباحثه الطبية ومكانته منها كما تذكر سقراط وأرسطو بالحكمة قبل ذكرهما بالطب ، وانه وان لم يكن هناك من سما به الشعر سمو الفلسفة بابن سينا والحكمة بسقراط لأنه هناك شعرا سما به خيالهم ورق اسلوبهم فخلفوا شعرا جديرا بالدرس والتحليل تظلمه ان سميته نظما ، فانما هو نتاج عقلية ناضجة الشاعرية ، وحصول نفس فياضة بالعاطفة » .

أثرٌ صالحٌ في تحبيذ الخدمة القومية والبرّ بالانسانية، وبهذا يذكّرنا قوله :

لستُ الفخورَ ـ وانْ فخرتُ ـ فانّني
طَوْعٌ لنهضةِ امّتي بفخاري !

ومن صفاته المحمودة تخليه عن التقليد الذي اتّصفَ به العقلُ المصريُّ وحبُّه للابتكار والابداع . ويرجعُ ذلك في نظري الى عاملين قويين : أوّلهما اقامته الطويلة في الأوساطِ الأوربية حيث يمتاز العقلُ الأوربيُّ بحبّ التجديد والتفنُّن في ذلك، وثانيهما معارفه العلميةُ الدقيقة التي تخصَّص فيها ، فانّها وهبته قوة التحليل العظيمة التي امتاز بها سابقاً شعرُ ابن الرومي ونُخبٌ من شعرِ مهيار الديلمي كما امتاز بها في عصرنا شعر مطران وشعر جبران خليل جبران ومن نحا نحوهما . لذلك اُخالف جمهرةَ الأدباء في حسبانهم انَّ الأدبَ قد خسر كثيراً بعدم انقطاع الاستاذ اني شادي له ، وحسبنا شهادة الشاعر نفسه في قصيدته الفريدة «المجهر ـ The Microscope» حيث يقول :

صَحِبتُكَ عُمْراً في وفاءٍ ومُتعةٍ
فكنتَ لفنّي مُلهِماً ولأفكاري ..

فكم من بيانٍ لاحَ لي منكَ مُرْشِداً
وكم من معانٍ قد وهبتَ وأسرارِ
ويُذهلُ قوماً أن يحبّكَ شاعرٌ
وما عرفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
فمثلُكَ استاذٌ للبّي وخاطري
وأكبرُ فنّانٍ (١) يُخَصُّ باكباري
ولستَ جماداً من نحاسٍ ومَجْمَعٍ
من العدساتِ الهاتكاتِ لاستارِ!

وموهبةُ التحليل هذه جعلته كالمصوّرة الشمسيّة الممتازة اللاقطة الأدَقّ الأشعة ، البارعة الأثر فيما تمنحنا من صُوَرٍ ، لهذا لا يمكن لمثل شاعريته أن تتنحّى عن اعطاء صورة صادقة لحياة عصره ، وأمثلةُ ذلك كثيرةٌ في شعره كما سيرى القاريء .

واذا قُدّر للجمهور المصري خاصةً ولأبناء العرب عامةً عرفان الجميل لادبائه ، ففي طليعة هؤلاء الادباء البررة الاستاذ الدكتور ابو شادي ، وهو القائل الفاعل :

---

(١) كلمة « فنّان » عصرية الوضع وهي بمعنى « مفتنّ » ولكنها أرق سمعا وأجمل صياغة .

اسمحْ لِشعـري أن يبرَّ بقـدرِهِ
ماالشّعرُ بين تثـاؤبٍ وتُخمـولِ
شعري كـنَبْـعٍ مُدَّ من عيني ومن
حِسّي الدفـينِ وخـاطري المصقـولِ
هيهات يرجعُ عن وفاءِ دافقٍ
للفنّ أو عن طبعهِ المجبـولِ
مهـما يفضْ فسخاؤهُ لا ينتهي
في فيضِهِ المعشوقِ والمبـذولِ
في كلّ يومٍ بل بكلّ دقيقةٍ
صُوَرٌ تُصـانُ لحسنِهِ المـأمولِ
حتى تسيـلَ مُشَعْشَعَاتٍ مِـلْءَه
سيـانِ بين جـداولٍ وسُيـولِ
فهو المصـوّرُ للحيـاةِ وسرّهـا
وهوَ الجـديرُ بصـالحاتِ رسولِ
ويُعَدُّ إقلالاً كثيرُ نشـاطِهِ
في عصر أعمـالٍ وجيـلِ عُقـولِ !

ما الشعرُ تفكهةَ العليلِ وإنما
الشّعرُ إلهامٌ ونهضةُ جيلِ
فإذا تدفَّقَ راوياً بل مُخصباً
سَامَى وإلا عُدَّ غيرَ جليلِ !

ومن صفاتهِ الممتازة — رغم حنينهِ الدائم المؤثر ووفائه لذكرى صباه وما تمثَّل فيه من جمالٍ وغرام — عفافُ نفسهِ ، فهو بحقٍّ من أعفّ شعرائنا إن لم أقل أعفَّهم ، ولهذا أثرٌ صالحٌ في شعرهِ . يُسيغ لكَ كُلَّ غزلهِ البديع مهما أسرف فيه أحياناً ، لأنك تَشعر بأنّه إسرافُ الذاكر لحبّه الأول ، وإسرافُ المتبتّل في عبادة الجمال على تنوُّع صُوَرهِ . . . تُتابعهُ في إسرافهِ هذا قريراً ، لأنه رغم جرأته التحليلية لا يخجلك بل لا يخجل العذراء في خدرها بلفظ نابٍ أو بمعنى سقيمٍ بغيض .

وشاعرنا الآن في منتصف العقد الرابع من عمره ، فاذا بشعره في المواقف المناسبة — كشأنه في رثاء أبي هيف ومحمود مراد وسليم سركيس — شعرُ الحكمة والفلسفة الدقيقة الممتاز بالتحليل والاستنتاج قبل الشك والحيرة — وانّي لأدعو له بطول العمر ، وأتنبَّأُ لشعره الحكيم كلما مرَّ الزمنُ بفتح خالدٍ جديدٍ في دراسة

النَّفس الانسانية وعوامل الحليقة . وسيتمتَّع القارئ بأمثلة شائقة لهذا الضرب من الشعر في ثنايا ما يطالعه من قصائد لايقلُّ عن تمتُّعِهِ بموسيقى غزليات الشاعر ، أو بصُوَر وصفه المجسَّمة الناطقة .

وإذا ذكرنا أشعاره الوطنيـة وجب أن نذكر على الأخص قصائده « النهضة إرادة » و « مصر للحضـارة » و « الكبرياء القومية » ، وأن لاننسى قوله :

حاشايَ أن أدعو الديارَ دياري
وأخونَ في يوم الوفاء شعاري !

فهو في ميدان الأدب القومي — شأنه في كل مجال — لاينظم عن زهو أو مجاراة أو رهبة ، وانما عن يقين ومبدأ ، فينشد يوم الكريهة :

لِمَ لا أغرّد ضاحكاً في غضبتي
لِمَ لا أسيرُ بطلعةِ الثُّوّارِ ؟ !
الشاعرُ المطبوعُ قائدُ قومِهِ
بالفكرِ والإلهامِ والآثارِ !

فهو من شعرائنا القليلين المعدودين الذين نأخذ عنهم شعر الوطنية وحياً صادقاً ، وإلهاما دافقاً ، وتعاليمَ حيَّة ، لايأتيها الباطل

من أيّة جهة ، ولهذا كان شعرُهُ القوميُّ كثيرَ التردُّد على ألسنة الشّباب ومضربَ المثل في الحماسة الشريفة المنتِجة .

لقد ذكرتُ في كتاب (**نظرات نقدية في شعر أبي شادى**) بياناً كافياً عن أسلوب الشاعر وذوقه الموسيقي ، وأقول هنا بالاجمال. إنَّ شاعرنا في اختياره اللفظي من ينطبق عليه صدقاً وصف خليل بك مطران له :

وشاعرٌ رقيقـــهُ ذو روعةٍ كجزلهِ

وهو إذا تعمد استعمال ألفاظ مطبوعة بطابعه الخاص ، أو اذا جاءتْ الحسناءُ من قصائده الغزلية أو الوصفية مثلا غير منمّقة التنميق المألوف ، فذلك لأن نزعته الفنية قد تعشق الجمال الفطري المعربد أحياناً ، وصدّقني — أيها القارىء العزيز — انَّ للجمال المعربد فتنة وسحراً لن يبلغها التنميقُ والتزويق في كثير من الاحوال . . . . ! ! (١)

ويجب أن لا تفوتني الإشارة الى خصبه وقوّته الانتاجية المدهشة بالرغم من شواغله العلميّة والفنية المتنوعة التي تكاد لا

---

(١) أخذ علي بعض الادباء تشجيعي لصديقي الاستاذ صاحب الديوان في نزعاته التجديدية الجريئة كالشعر المرسل (سواء أكان مطلق القافية اطلاقا تاما أم منوعها) وتنويع البحور وغير ذلك. ويكفيني أن أحيل هؤلاء الافاضل الى كتاب (الخصائص) للعلامة ابن جني ، والى امهات كتب العروض والبيان ليروا

تُحَدُّ ، فهذه القوَّةُ الانتاجيةَ وليدةُ لذتِهِ الفنّيةِ وحدها ، وليست وليدة الحاجة أو الرهبة أو المجاملة أو الزَّهو الكاذب ، وإلاَّ فانه ما كان يعارض التيَّارَ والأهواء التي لاتوافق مشرَبه ، بينما غيره يجاريها ويتقلب معها بلا حساب لينالَ التصفيق من رجال كلِّ

باعينهم وعقولهم كيف أن الشعر واللغة أصلا على سعة عظيمة من الحرية، وكيف ان بحور الشعر العربي المشهورة كثيرة الزحاف والعلة مما يجعلها متقاربة الوزن لامتماثلة تماما ، وكيف يسوغ لنا بعد ذلك الاستنتاج بان العرب قديما كانت تنشد الشعر في القصيدة الواحدة من أوزان متقاربة ، وكيف انه توجد بحور كثيرة غير مدونة ، وكيف ان واضع علم العروض الخليل بن احمد الفراهيدي من علماء القرن الثاني للهجرة لم يحتم على الناس اتباع آرائه واستنتاجاته عن أساليب العرب الجاهليين بل اعترف بجواز المخالفة له حتى ان بعض المقلدين قال لابي العتاهية (وكان معاصراً للخليل) نقدا لبعض شعره : « خرجت فيه عن العروض » ، فقال : « سبقت أنا العروض » ....!! وبديهي أنه يستحيل على شاعر مطبوع أن يجيء شعره خاليا من الوزن أي مكسور النظم ، ولكن من الجائز أن ينشد من بحور متقاربة بحكم الفطرة والسليقة ، دون أن يفسد الموسيقى العامة للقصيدة ، بل قد يكون التنويع مستحبا ، وقد يساعد أحسن مساعدة على تمام الاداء للمعنى ، فمن العبث نقد هذا التفنن والاقتدار والالهام الفطري ، ومن التحامل وعبادة التقاليد تسمية هذه المواهب باضدادها . ان الشعر العربي بنشأته متجاور الوزن في البحر الواحد لا متماثله، فلماذا لانستعمل بحورا متجاورة في القصيدة الواحدة ؟ لقد كان المتنبي في مجهوده الادبي يعمل لارضاء صديقه ابن جني كما قال المتنبي ذاته ، واني لا اجهل اثر صحبتي ومعاشرتي في نفسية ونزعات صديقي الاستاذ ابي شادي ، واني في طليعة من حثوه على الاستمرار في ميوله الحرة ، وحسبي أن أقول لاخواني الادباء المحافظين الناقدين ماقاله الاستاذ الدكتور طه حسين للاستاذ الشيخ علام سلامة « ... ما رأي الاستاذ اذا قلت له ان النحو لم تكمل مباحثه بعد رغم ما كتبه

حكمٍ وعهدٍ . وهذه صفة طيبة نذكرها بالشكر والفخر ، ونقرن ذكرها بأطيب الدعوات لعافيته وراحته النفسية .

كذلك يسرّني تكرار الاشادة بعطفه على اخوانه الادباء[1] وقولُه : « فكلُّ أديبٍ للأديبِ قريبُ » ، يمثّل عاطفةً حيّةً في نفسهِ ومذهباً يدينُ. به لا يفتش عن عيوب الناس وانما يُعنى بحسناتهم ليطرب لها ويذيعها . يكفيه أن يعلم أنك من اسرة الأدباء ليُقبل على مودتك فيجاذبك الحديثَ بشغفٍ واخلاص وبساطة بعيداً كل البعد عن التكلف . وهو يشمئزُّ من المفاضلة بين الادباء التي لحمتها وسداها التحاسد والفخر الكاذب ، ويغتبط بتشجيع كلّ أديبٍ شريفٍ عامل ، وباقالةِ العاثر من عثاره ، معتبراً غيرَه من الادباء كنفسه

سيبويه وابن خروف وابن عصفور وابن هشام وابن مالك ومن اليهم من اعلام الشرق والغرب الاسلاميين ؟ بل مارأي الاستاذ اذا قلت له ان كل علوم اللغة العربية لم تنته عند غايتها ولم تكمل مباحثها بل هي في حاجة الى التجريد واستئناف الدرس ، ولا سيما النحو والصرف وعلوم البلاغة؟وما رأي الاستاذ ان قلت له ان الادب العربي كله محتاج الى التجديد واستئناف الدرس ؟ »

هذه هي تماما نفسية أبي شادي التي شجعتها من صميم نفسي ، ولي الحظ والشرف باشتراكي في ذنبه ان كان لهذه النزعة الهادمة الباغية جريرة وذنب ....!!

(١) نشرت في الديوان أمثلة من هذا الود الادبي ، ونقلت بالزنكوغراف بعض النماذج من رسائل مشاهير الادباء (كما سبق لي مثل ذلك في ديوان « أنين ورنين ») تقديراً لمنزلة كاتبيها الافاضل .

خُدَّاماً لدولة الأدب ، فمن أوجب الواجبات عليهم جميعاً التضامن والتعاون القلبي والعمل على رفعة هذه الدولة ونشر نفوذها ودوام اصلاحها وتجديدها ، لا أن يحاول كلٌّ منهم أن يخلق لنفسه إمارةً ، فيسود التنازع بدل التعاضد ، وتضيع مجهودات قيمةٌ في سبيل التدمير وخدمة المجد الشخصي الزائل. لا يجحدُ فضلَ إنسانٍ اذا اطَّلع على شيء من أدبه وإنْ كان غيرَ معروف في حلبة الادباء ، ويكون أسبق من نفس ذلك الاديب لاذاعة فضله ، ولا يبخل بفائدة اذا استطاع أن يُسديها ، ولا يتعالى في مقام الاستفادة . وهذه أصلاً أخلاقُ العالم الفاضل، فالأدبُ هو الرابح با كتساب بثّها ونشرها ، لأنَّ في نشر ذلك المبدأ نشر نهضةٍ أدبيةٍ جديدةٍ يعتزُّ بها الادبُ الكريم ، وتذكّرنا معشر الادباء بحاجتنا لاجتذاب عدد أوفر الى صفوفنا من بين العلماء المتأدبين ، فانّ روحَ العلم المقترنة بالاخلاق الفاضلة رأسُ مالٍ بل ذخر حياةٍ لأيّة نهضة .

من النُّقَّاد من يوازن بين كابر من شعرائنا وكبير من شعراء العباسيين أو الأمويين مثلاً فيسرع الى المجازفة في حكمه ، متناسياً عوامل البيئة والوسط عند تقديره . ومن رأيي أنه يحسن بنا أن لا نُغفل ذلك ، وأن نعتبر من مقاييس عوامل تقديرنا وفاءَ الشاعر

لحياة جيله وعصره . ذلك مقياسٌ صالح من مقاييس التقدير كما أنّه مبدأٌ صالحٌ أرى شاعرنا متعلقاً به ، وأكبرُهُ فيه مسروراً . ومن النُّقَّاد من يُنفق الساعةَ بل الساعتين في جدلٍ حول لفظةٍ أو كلمات لن تُقدّم ولن تؤخر شاعريةَ أيّ شاعر ، فيرفعونه بها الى عنان السماء أو يمرغونه في التراب حسب أهوائهم وأذواقهم . . . ! ! ولو عقلوا لرأوا أنّ هذ اللهوَ هذيانٌ في هذيان ، وسبّةٌ للشعر الصميم . ونصيحتي الى هؤلاء الافاضل أن يثقوا بأنّ شاعرنا يتعمد استعمالَ كلّ لفظ منتقى في هذا الديوان وفي سابق دواوينه ، سواء كان هذا اللفظ عربياً صميما أو مصريَّ النشأة صقله الاستعمالُ ، فالأولى بهم التمعُّن في مراميه المجازية وخواطره الفلسفية وفي تصويره الدقيق وغاياته البعيدة وفي علة اباحته القليلة قبل المجازفة بنقد مواضع الالفاظ أو معانيها واستعمالها . ولو كان عندي الكافي من وقت وفراغ للشّرح لما اكتفيتُ بما سردتُ من أمثلة قليلة لطلبة الادب ، ولذكرتُ ظروفَ كلّ قصيدة وشرحتُها شرحاً وافياً بعد التشاور مع الناظم ، فاللّذة كل اللّذة في ذلك ، ولكنّ مثل هذا المطمح بعيدٌ عن مقدوري في ظروفي الحاضرة . ومن رأيي أيضا انّ الخطأ في تشجيع الشباب من الشعراء (كما لحظتُ في مقالات نقدية حديثة),

على العناية الشاغلة بسهولة اللفظ أو فخامته دون احتياج لتفسير ، فانَّ مثل هذه العناية وان كانت مستحبَّةً إلاَّ أنها ليست قصداً مستقلاً بذاته ، ولن يعيب الشعر ـ طالما لم يكن معقّداً ـ تفسيرُهُ من ناحية شعرية وبيان ظروف الشّاعر وقتَ نظمه . فعقولُ القراء مهما سمتْ تتفاوت في الفهم والتفسير . وجميلٌ أن ندرك المعاني الأصليـة التي يرمي اليها الشاعر على أتمّ وجوهها لو استطعنا ذلك ، وأن نتخذ من كلّ قصيدة ببيانها وشروحها مجلسَ أنس أو نَدوةَ حكمةٍ ، فالأَوْلى بنا إذاً أن نحثَّ على نظم الشعر للشعر أولاً وآخراً .

* * *

الى هنا انتهتْ مادة مقدّمتي الموجزة ، ولا أعدُّ ما يلي ـ وانْ راعيتُ فيه الايجازَ أيضاً ـ جزءاً منها ، وانما هو بعضُ التطبيق ، والشرح المستمدّ من نظرات مكررة عجولة في صفحات هذا الديوان ، شوقاً مني الى اشراك القراء في طريقتي الدراسية ، ومن عادة محبّ الأدب أن يكون كالمبشّر الديني شغفاً باجتذاب الناس الى عقيدته ومذهبه !

وسأُراعي الاقتضابَ ما أمكن ، مكتفياً بما يشحذ عقولَ الناشئة من الأدباء على الاخص لمتـابعة نظراتي في الشرح والنقد

وقراءة هذه المجموعة الشعرية البليغة كما يجب في عرفي أن تُقرأ . لتتأملْ أولاً في مباديء الشاعر نجدْ أنها مُشبَعة بالبرّ الانساني واعزاز الديمقراطية والمساواة والحرية ، واعتبار خدمة الجنس البشري ديناً الزامياً على كل انسان . ألم يقلْ لنا عن « أسمى العبادة » :

أسمى العبادةِ أن تفكّر خاشعاً ... في جنسك السّاعي لنصرِ غداةِ
وتقارنَ الماضي بحاضرك الذي ... هو خطوةٌ لغدٍ قرينِ حياةِ
فكّرْ به واجعلْ له قربانَه ... ما طاب من علمٍ وصدقِ صفاتِ
أنتَ المدينُ لألفِ جيلٍ سالفٍ ... بالرأيِ والتهذيبِ والحسناتِ!
وسواءٌ اقترضَ الخلودُ أم الفنا ... فعليك برُّ مقدّرٍ ومؤاتِ
فكّرْ بجنسِكَ ، إنَّ ذاكَ عبادةٌ ... أولى بقدركَ ياحليفَ مماتِ !

ألم يقل أيضاً عن « إلهة الحرية » :

الشّمسُ أنتِ بحرّها وبنورها ... فاذا احتجبتِ فقد أُضِلَّ بنوكِ!
والدّينُ دينُك لايُجزَّأُ جوهراً ... فاذا تجزَّأ ضاع بين شكوكِ !

ألم يقل قديماً عن « قوّةِ الحقّ » :

مَنْ داس حقَّ ضعيفٍ داس قوته ... ومَنْ يُقِلْه شجاعاً فهوَ خيرُ بطَلْ

ألم يقلْ عن « عماد الأمم ـ الحرية والاخلاق » :

ولم أرَ كالاخلاقِ مظهرَ أُمّةٍ
وجوهرَها المُحْيي عزيزَ رجائها
ولا مُبدعَ الأخلاقَ كالحريّة التي
تُغذّي وتُنْمي من ظهُورِ غذائها
وما العقلُ والعرفانُ في الاسْر قوةً
اذا كانت الاخلاقُ صرعى بدائها
فقدّسْ ـ اذا كرّمتَ مجداً لامّةٍ
ونهضتَها ـ حُرّيةً لبنـائها !

ومن أحسن شعره في التضامن القومي واقرار الحقوق الوطنية قوله من قصيدته « يوم النشور » :

والحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى عن نصرهِ المتهالكُ المقدامُ
والشعب إنْ جهل الحياة وقدرَها هيهات يُنصفُ حظَّه الحُكام
واذا تفكّكَ في مقامِ تعاونٍ فعلى الكرامةِ والحقوقِ سلامُ !

وعزّز المساواة بقوله مخاطباً الآنسة منيرة ثابت :

وثُرتِ فيانعمتْ الثائرهْ على الخُطَطِ الرثّةِ الجائرَهْ
فعيشي لجنسِكِ يا آسرَهْ مخلّصةً ، وارفعي قادرَهْ
لواءَ المساواةِ أبهى مَنَارْ !

وقال في قصيدته « عيد العمّال » :

اليومَ قدْرُ الناس قدرُ كفايةٍ واليومَ لن يطأ الزّمانُ عبيدا
أنتم بنو الشرف العظيم بنفعكمْ للناسِ تبنون الوجودَ جديدا

وقال أيضاً :

والحكمُ شُورَى إنْ رأيتَ رسوخَه
فهي الضمينةُ دائماً لقرارِ
والفردُ والجبروتُ ليس كلاهما
الاّ سلالة مُظلِم الأعصارِ
كالبوم يختار الظلامَ لعشّهِ
فاقضُوا على إيثاره المختارِ
وطنٌ (كوادى النيل) تضحكُ شمسهُ
ونجومهُ أولى بكلّ فخارِ

من أدلّة العجز في التقدير والجهل بالموازنة الحقّة أن لا يسعَ ميدانُ الأدب في قطر من الاقطار اكثر من نابغة ، وهكذا كان الحال عندنا في أواخر القرن الماضي، حتى اذا ماسمتْ الثقافةُ وانتشر العلمُ صرنا ندرك انّ الشاعريّات تختلف اختلافاً كبيراً في مكوّناتها واتجاهاتها ، وانّ صفات المشاركة بينها أقلّ من صفات

التّباين والمخالفة . لهذا كان من حقّ البحث العلمي والنهضة الأدبية أن لا نجاري المتقدمين في الموازنات الضّالة ، بل علينا أن نتأمل في مبلغ اندماج الشاعر في بيئته ، ومبلغ انعكاس صورتها في مرآة شعره. وأحسبُ انّ هذا جليٌّ محسوسٌ في شعر ابي شادي . وفي هذا الموضوع يتفق رأيي ورأي الأديب الكبير الاستاذ اسماعيل بك مظهر ، كما يتفق في اعتبار الشعر الوجداني نافذةً الى نفس الشاعر نفضح دخائلَها مهما حاول سترها. قال الاديبُ الفاضل : « ان نفسية الشُّعراء نفسية مفضوحةٌ في شعرهم ، بيّنةٌ في خطرات نفوسهم جلية واضحة ، بل تكاد تكون ملموسةً ، دون غيرها من نفسيات الناس . كنتُ أسير يوماً مع صديق أديب على شاطيء النيل ذات أصيل ، وقد فاض النهرُ في آخر شهر آب ، وانعكستْ على صفحته النحاسية أشعة الشّمس الذهبية ، فوقف صديقي أمام النهر المتدفق المنساب في جوف الطبيعة انسيابَ الأملِ العريضِ من نفسٍ أمضَّها الفراقُ ، وقد بهتَ من عظمة ما رأى ، فما لبث أن أخذ كتاباً كان معي وكتب على صفحته الاولى :

اللهُ أنتَ وأنتَ اللهُ يا (نيل)
منّي لشخصِكَ تعظيمٌ وتبجيلُ

يبدو جمالُكَ ملءَ النفسِ قاطبةً
فيأخـذُ النفسَ تـكبيرٌ وتهليـلُ

ولم يكُ صاحبي منَ المشتغلين بصناعة النظم ، ولم أعرف عنه انّه شاعرٌ ، بل هو ناثرٌ من كبار الناثرين ، وإنْ كان في نفسهِ نزعة الى الشعر فانما هي نزعةٌ تلوحُ ضئيلةً بجانب مافيه من حُبِّ البحث والاختبار .... وبعد ، فهل رأيتَ في خطاب ذلك الصديق الى (النيل) كيف كشف عن نفسه وكيف جعل النيلَ في منزلة واحدة مع الله ، وكيف بدا جمالُ الطبيعة ملءَ نفسه ممثَّلاً في النيل وفي ذلك الظرف الذي فاضتْ فيه أشعةُ الشمس عند الأصيل على صفحة النهر النحاسية الجميلة بحقّ ، فأخذ ذلك الجمالُ على نفس الصديق أطرافَها وملأ جوانبَها ، فلم يُتركْ في نفسه منه مكانٌ خالٍ ليسع ايّ فكرةٍ أو معتقدٍ أو مذهبٍ آخر ، سوى انَّ النيلَ إلـهُ القادر على كل شيء ، وانّ وحدةَ الوجود التَّصوُّفيَّة لم تتركْ في العالم من شيءٍ عند شاعرِنا الأديب الاَّ الله والنيل ، ولا شيء غيرهما ! وما من ريبة في ان هذه الخطرةَ التي فاضتْ بها نفسُ الصديق في تلك الاونة قد فضحتْ سرائر نفسهِ وأظهرتها على حقيقتها الكامنة دون مظهرها الخارجي ، فنمَّتْ عن انَّ تلك النفس لوحوطتها عقائدُ

الوثنية ، لكانت أثبتَ فيها من كلّ ما خلق اللهُ من صُوَر الدّين فوق هذه الأرض ! ولو أنك نظرتَ معي في ملامح صديقي وما ارتسمَ على وجهه من مظاهر الحُبِّ الشديد والعطفِ مشوباً بشيء من الانقباض والحيرة ، لاعتقدت بانَّ تلك الحيرة وذلك الانقباض لايدلاّن على شيء ثابت دلالتَهما على تنازع بين التقاليد الوراثية في النفس اذْ تتناحر جادةً في سبيل أن تملك كلٌّ منها أطرافَ النَّفْس تحت تأثير ظرفٍ من الظروف. وكأنَّ الله ما خَطَّ على وجه ذلك الصديق مسحةً من الحزن تراها نامَّةً عن حقيقة نفسه بلا شعر حتى وبلاحديث ـ على الرغم مما يلوح في كلامه وحركاته من مظاهر المزح والهزل ـ الا لينفضحَ سرُّ نفسه وانْ أجهدَ نفسه في إخفائِهِ .

وما ان لاحَ على وجهه في تلك اللحظةِ التي أخذ يخاطبُ فيها النيل من شيءٍ ، وما ان زاد على صفاتهِ من صفةٍ الاَّ انفعالٌ ممسومٌ بكآبةٍ شديدةٍ ازدادت معها مسحةُ ذلك الحزنِ العميقِ الذي خطّتْهُ يدُ القدرة على محيّاه . . . . على هذا النسق يدلُّ الشعرُ دلالةً صحيحةً على حقيقة نفسيّة الشّاعر ، فانَّ الشعرَ هو الصوت الصارخُ الخارجُ من أعماق النفس ، بل من أعمق أغوارها ، ليُسْبَكَ في اللغة عنواناً حياً على النفسية التي بعثته من قرارة.

الوجدان الى عالم الخطاب . ومهما يكن من تأثير روح العصر على الشعر والشعراء ، ومهما يكنْ من أمر حاجات الحيـاة وتأثيرها في الشاعرية ، إذْ تقلبها في بعض الأحيان الى صناعةٍ للنظم تبدو جلية في المديح وغيره قضاءً لحاجات ما تحرّكتْ لهـا الشاعريَّةُ ولا فتنت بها النفس ، فانّ الشاعر لن يفلتَ من يد القدر مطلقاً ، فلا بدَّ من أن تعثرَ في شعرِهِ على خطرةٍ أو مقطوعةٍ قصيرةٍ أو مناجاة يبعثها الى الله أو الى الطبيعة أو الى شيءٍ أو معنى مبهمٍ قد يشعرُ به ولا يستطيعُ التعبيرَ عنـه ، ما تنمُّ في الدنيا عن شيء الاَّ عن دخيـلة نفسه ، وعن نوَاتها التي التأمتْ من حولها كلُّ عناصر نفسه . إنّ أدلَّ صُوَر الشعر على نفسية الشاعر انمـا هو شعرُ الانفعال : الشعرُ الذي يبعثُهُ انفعالٌ خالصٌ من النَّفس غيرُ مشوب بشيء من حزمِ الارادة ولا روادعِ العقلِ ، ولا متكلفٌ من ناحيـة الصناعة . فاذا أردتَ أن تبحثَ في مجموعة ما أخرج شاعرٌ من قصد لتستدلَّ بشيء منها على نفسيته ، فانما يجب عليك أن لا تتعمّد التغلغل وراء معانيه الخفية ، ولا أن تغوص وراءَ تشبيهاته ، بل يتعين عليك أن تبحث في أيّ المواضع من شعره بُعِثَ انفعالُه وتجرَّدَ عن ارادتهِ في ضبطِ معانيه ، وعري

عن عقال عقلهِ ليسير وراءَ ما يريد أن يخرج من مغنىً معقودٍ على غرض يريد الوصولَ اليه . واني لا تخيَّلُ أنَّ هذه القاعدة لا تخطئُ اذا أمكن تطبيقُها بما يقتضي لذلك من الحيطة والحذر وطول الاناة والصَّبر على البحث وقوَّة الملاحظة » .

ولا أظنّ الناقد الأديبَ الدّارس لشعر أبي شادي في حاجة الى طول الاناة والصبر على البحث في فهم شاعريته ، فان من أسمى صفاتِ شعره وجدانيّته الكاشفة ، وانْ استدعى خيالُهُ الشّرود التأمّلَ العميقَ أحيانًا . فهو لا يخافُ التقريرَ الصريحَ لعقيدته في شتّى مظاهرها ، وليس للصناعة او الرهبة ادنى احتكام في شعره . تقرأُ ذلك في شعره التصوُّفي ، كما تقرؤُهُ في شعره القوميّ ، وفي ميوله الوصفية ، وفي اجتماعياته ، وفي غزلياته ، وفي افتتانه بالجمال الطبيعي والانساني على السواء ، فتحكم أنَّ هذه آثارُ نفسٍ حرةٍ وفيَّةٍ حسَّاسةٍ معتدّة بشعورها وصفائها ، تبغضُ الملقَ ولا تبالي بمجاراة الناس اذا لم يقرّها على ذلك حكمُ الضمير . فتسمعُ صاحبَها ينشدك دون تردُّد عن « ضمير الخالق » :

قلْ لي هو الانسانُ في تنكيرهِ ... ولعلمِهِ هذا الوجودَ وجودَا
لِمَ لا أحسُّ بأنَّ رُوحي صورةٌ ... لضميرِ مَنْ شَغِفَتْ به معبودَا ؟!

وأنا المُقرُّ بأنَّ كُلّي قطعةٌ مما أراه مجدّداً ومُعيدا
أفْنَى به حيّاً أحسُّ بحكمِه ومتى تقضيتُ فإن أمُوتَ شريدَا!
إنّي ضميرُ الخالق الموحي بما أبقى أتابعُ نُورَه الممدودا
ويظلُّ نوْعي[1] حافظاً لونائِهِ ومُعبّراً عنه هوًى وخلودا!

ومن كان هذا رأيه الفلسفي في حكم الوجود لا تُنْكَرِ عليه نسبةَ قصيدتُه « المصلح الاثيم »، وفيها يقول: [2]

أنقذْ جُموعَ الغارقين بوهمهمْ
وابعثْ من العقل الحكيم سليلاَ
وادفنْ خرافات تولّى عَصْرُها
وانشرْ (كلوبُر) للصلاح زميلاَ

---

(١) أي النوع الانساني

(٢) من الادباء من يغالون فينكرون أشد الانكار حرية التفكير في مسالة كمسألة الخلافة، أو كمسألة اللباس الاسلامي وما شابه ذلك بينما يفوتهم الالتفات الى المسائل الجوهرية الخطيرة كانشاء حصبة ديمقراطية حية للامم الاسلامية تتفق وروح العصر، ومنهم كذلك من لا يفهم الشعر التصوفي الفلسفي، فيسيء تفسيره، ويحسبه من الشعر الالحادي، ولكن الواقع ان الشاعر المتصوف فيلسوف باحث بينما الشاعر الملحد يجزم عادة بمعتقده، وليس الجزم غالبا من الفلسفة في شيء، لان العقل الانساني اصغر من أن يحكم حكما تقريريا ماّموناً في اسرار الكون العالية. ومن أمثلة الشعر الالحادي قول الاستاذ معروف الرصافي في قصيدته « حقيقتي السلبية » (وقد نشرتها صحيفة « الحسام » البيروتية):

فلقد سئمنا طولَ عهدِ عبـــادةٍ
(ابزبسُ) خصّتها (بمصر) طويلاَ
حتى مضتْ دُنيـا الظنونِ ولم تزلْ
للجهلِ أسرى لا نرومُ بديلاَ

وهذا مثـالٌ آخر من شعره التصوُّفي في تعريف « الله » جلَّ شأنُهُ :

هوماتراهُ بكلِّ حُكْمٍ مدهشٍ للكائناتِ وكلُّ ما تلقاهُ
هو جملةٌ من قوّةٍ وعواملٍ بنتْ الوجودَ ولم تزلْ تخشاهُ
وتظلُّ تبحثُ عن حقيقةِ كنهِهِ وتظلُ تجهلُ أصلَه ومَنـاهُ
والمرءُ أصغرُ من إحاطة عقله بأجلِّ سرٍّ جلَّ مَنْ أخفاهُ!

وقد اشتهر شعره الفلسفي في الحياة والموت وكان مستمدّ الالهام ومنبع الوحي لمنْ نظر نظراته من الشعراء .

ولست من الذين يرون خيراً بابقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الاديان قامت بوحي منزل الانبيـاء
ولـكن من وضع وابتدع من العقلاء أرباب الدهاء!
ولست من الالى وهموا وقالوا بان الروح تعرج للسماء
لان الارض تسبح في فضاء وماتلك السماء سوى الفضاء

والفرق ظاهر بين هذا الشعر وبين الشعر التصوفي المشبع بالفلسفة الروحية، الذي يعتبر صاحبه نفسه تلميذاً لم يحز من العلم الا ذرات قليلة، وان طلق العقائد البالية والتقاليد الوهمية .

١ للصديق الاديب الشهير الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة (**الزهراء**) الغراء مبدأٌ جامعٌ عظيمٌ تمثَّلَ في قوله : « إنَّ الناطقين بالضاد لا تثبت لهم نهضة ما لم تكن قائمةً على دعامتين : احداهما المرونة في اقتباس مافي حضارات الامم الاجنبية من وسائل القوة ونُظُم الادارة ، وانصراف الفرد الى التخصص بعمل يجدُّ لتجويده . . . . والثانيـة الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية ، وأوضاعنا الوطنية ، وسجايانا القومية ، ولساننا الغنيّ الأصيل . فعلى هاتين الدعامتين نستطيع أن نشيدَ البابَ الذي ندخل منه الى دور آخر من أدوار تاريخنا القومي ، حيث نجدُ الأفقَ واسعاً للكيان العربي الجديد ، وحينئذٍ يُتاحُ لابنائنا القيام بنصيبهم من خدمة الحضارة العامة » . وشاعرُنا من معزّزي هذا المبدأ في جملته كما تشهد بذلك آثار أدبهِ في (**الزهراء**) وفي غيرها من كبريات مجلاتنا وصحفنا ، ولا عبرة بمخالفته التفصيلية في بعض المسائل كمسألة الخلافة وغيرها من المسائل الثانوية في اعتباره ، أو بمحاربته لتقاليد الجمود ، وانما أصلُ شعورهِ الصادق ماينمُّ عليه مثلاً قولهُ عن « ذكرى الحضارة العربية » مخاطباً الأمير شكيب أرسلان :

فالمرءُ بضعةُ ماضيه ، وحاضرُهُ
مرآةُ آتيـهِ من حَظٍّ وإتمامِ

فلاتخفْ بأسَ إلحادٍ فما برحتْ
جلالةُ الأمس أصلَ الفضلِ والباسِ
جلالة خشعَ التاريخُ حارسُها
في معرضِ الوصفِ وضّاءٌ بنبراسِ
حضارةٌ هي جَمْعٌ من فُنون عُلًى
للنابهين ، ومقباسٌ لمقباسِ
كفَتْ جميعَ بني الأعراب جامعةً
على تباين أديانٍ واحساسِ
وما تجرَّدَ من دينٍ لنا نفرٌ
الاَّ وللمجد دينٌ فوقَ مقياس !

وصراحتُهُ هذه المحبوبة ممثَّلةٌ أيضاً في شعره الغزلي ، بل في كلِّ نوعٍ من أنواعِ شعرِهِ . ألم يقلْ لنا عن « أمتع الانس » :

تسائلني عن امتعِ الأُنس لذّةً
وما الأُنسُ حقاً غيرَ ايناس غانيهْ !
تنازلتُ طوْعاً عن وعودٍ بجنةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالصَّفْوِ غاليهْ !
وما الحورُ والولدانُ في معرضِ الهوى
وأنتِ منالُ اللذّةِ المتناهيهْ ؟!

وحقِّكِ كم جدّدْتِ بالوصل مهجتي
نعيماً ، وكم أضحتْ ببُعدِكِ فانيهْ !

فكم بين شعرائنا مَنْ عندهم الشجاعة الكافية لتقرير مثل هذا الشعور وإنْ أحسُّوا به ؟!

وهو لم يستر هيامَهُ بجمال المرأة ، وفيها أنشد قصيدته البديعة « الأنثى والمرأة » ، ومنها قولَه :

انظرْ لعينيها كما نظرَ السَّما
متبتّلٌ سأل المَعزَّ سؤالاَ !

وقولُهُ أيضاً :

يا زينةَ الدُّنيا ومبعث نورها
عيشي لمن عشقوا سناكِ حَلالاَ
غنّي لنا معْنى الحياةِ فانما
لولاكِ أصبحتْ الحياةُ خيالاَ !

وقد قال أحدُ الظرفاء إنه لو اتيح لمثل الدكتور أبي شادي أن يستعرض حُرّاً نوادرَ الجمال النسوي كلما أراد لزاد الشعر الغزلي العربي سعةً وتألّقاً لا نعرفهما الآن ولخصَّ بكلّ انموذج ديوانا..!!
ووجهُ الجدّ في هذه الملاحظة الفكاهية أنّ الشاعر الوجداني يجب

أن يكون خاطره وقلمُهُ كذهن المصوّر الناقش وريشته ، لا يفوته استيعاب ما يراه من حسن ، ثم ترجمة أثره في نفسه بما يرتضيه فنُّهُ .

واذا انتقلنا الى الشّعر الوصفي التحليلي فمن منا الذي لم يتأثر ببيانه عن « جزع عاشقة في مرض حبيبها » حيث يصوّر آلامَها وآمالها أدقَّ تصوير ، أو بقصيدته عن « أوراق الخريف » ، أو « القلب الدامي » أو بقصيدته « عرس الأصيل » ، وغيرها ، وغيرها ؟

وما ظنك بقوة التخيّل التي تنشدك هذه الانغام العذبة من شرفة منزله المطلّ على البحر والترعة الاسماعيلية بثغر السويس :

غنَّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عُرْسَه
قبلَ التفرُّقِ في المساءِ الدَّاني
فاذا الأشعةُ راقصاتٌ مثلما
رقصتْ لتلعبَ بالقلوب غوانِ !
يتموَّجُ الماءُ الطّروبُ وتزدهي
وثباتُها عجباً على الاغصانِ

طوراً مذهّبةً وآناً فضةْ
وأعزُّهـــا سحرٌ بسحرِ بيانِ
والتمرُ مُحمرٌّ ومُصفرٌّ على
عالي النّخيلِ كجمعها الفتّانِ
جُمعتْ به الأضواء بعد تفرُّقٍ
وبدَتْ به الجَمراتُ حلو جُمانِ!

أرأيتَ كيف تلاعبَ خيالُهُ بوصف هذه الأشعة في تنقُّلها وشيوعها واجتماعها، وكيف صوَّر لك التمرَ الأحمرَ والأصفرَ كمجمع لأنواع من هذه الاشعة المنبثّة في الطيف الشمسي؟! ـ كلّ ذلك بلفظٍ سهلٍ جميلٍ يعشقهُ الأديب وان تضمَّنَ الخيالَ العلميَّ البعيد...

وهاك مثال الجمْع بين الخيال والوصف الفلسفي «لأوراق الخريف»:

هل كان نثرُك غيرَ ايذانٍ بعُمرٍ قد تقضَّى؟
هل كنتِ الاَّ رمزَ أحلامٍ نُفِضْنَ اليومَ نفضا؟
مصفرَّةٌ ـ شأنُ الممات، بحُمْرَةٍ تحكي النجيعْ
فكأنّما قتلتْكِ أحكامُ (الخريف) بلا شفيعْ!
يرثيكِ عقلُ الفليسوفِ يراكِ لغزاً مُذْهلا

العيشَ والموتَ المعجلَ والرجاءَ المقبلاَ!

ومن خير نظراتِ الشّاعر نظرتُهُ الخُلقيّة وشعورُهُ بواجب الشّعر الكريم في بثّ الفضيلة لا عن ارهابٍ ولكن باعتبار انّ الفضيلة والخلقَ المتينَ رأسُ مالِ الرقيّ الانساني خليقٌ بالتعميم، فمن يحتقر الفضيلة يؤذي كرامتَه ومصالحَه قبل أذى غيره، فجاءت خطراتُهُ الصادقة في هذا البحث مِنْ خير مايزدان به الشّعرُ العصري، وتراثاً أدبياً ثميناً للجيل الحاضر وللأبناء والاحفاد. خُذْ مثلاً أبياته عن «التقدير الباقي» في إجلاله لنزاهة حيث يقول:

واذا الوِدادُ دعا الصحابَ لحفلةٍ
لبستْ من الأُنسِ الجميلِ نضيراَ
واذا الهوى الموفي فقد يُوفي معاً
شرفٌ يزيد لربّهِ التقديراَ
ما كان تقديرُ الرّجال بمَظْهَرٍ
حتى ولو كان الزمانُ ظهيراَ
كلاّ... ولا كان الكمالُ بثروةٍ
لكنّه مُلْكُ النّزيهِ كبيراَ

الى آخر هذه الابيات القيّمة. ومن هذا القبيل وعلى سبيل المقارنة أبياته في «عظمة انجلترا» وقصيدتُهُ «لذّة الصعاب» وغيرها، دعْ عنك مايتخلل متنوّع شعرِهِ من أبيات خلقيّة تأتي

لمناسبات جميلة . وأجملُ من كُل ذلك انّ ناظمها مؤمنٌ بما يقول ويدعو اليه ، وأولُ من يطبقه على نفسه ، فليس من زمرة مَنْ يُقال لهم :

يا أيّها الرَّجلُ المعلّم غيرَه
هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ ؟!

وهذه القدوة الحسنة لها اعتبارٌ كبيرٌ عند الادباء الناقدين في تقدير شعره الصادق .

وفي هذا الديوان الممتع من القصائد والمقاطيع ما لا يدخل في هذه الأبواب ، ولكنه يمثل صُوَراً شتَّى من حياة العصر بين جدّ وفكاهة ، مثل قصائده «الطريد» و « رشفة ككتيل » و «راكبة الدراجة » و « أشعة الظلام » وغيرها . فاذا تدبّرها القارئ بعناية الباحث الدارس كانت له منها لذةٌ وفائدةٌ غير قليلة .

ولا بدَّ لي في نهاية هذا البيان من كلمة عن الأسلوب ومن ملاحظة عامة على أنّ عنايتي الأدبية بنشر هذا الديوان ليس معناها موافقتي على جميع آراء الشاعر فيما طرقه من موضوعات ، فقد اخالفه في بعضها مخالفة صريحة ، ولكن معناها تقريري لشاعريته فحسب . إن اسلوب الاستاذ الدكتور ابي شادى يتنقّل

ما بين الرقة والجزالة والفخامة حسب مناسبات الموضوع الذي يطرقهُ ، وانّ اسلوبَه طوعُ شاعريته ، وليستْ شاعريتهُ طوعَ اسلوبه ، وانّه من أقدر شعرائنا على المعارضة الشعرية وإنْ لم يتعمدها موضوعًا ، وقد تأتي عفواً في ألفاظه . وله في ذلك آيات من الاعجاز تراها بالمقابلة ، فكأنما يلتذُّ أحيانًا بأن يُعطي مثلاً في تحلّي الشاعريّة السامية بلباس مُعيَّن ، بينما قرينُ هذا اللباس على غيرها قد يكون عديمَ القيمة أو قليلها . ومن الغريب ان إبداعَه هذا بدل أن يكون موضعَ التأمل والتقدير كان موضع الحسد والنَّقد من بعض المحافظين الذين يجهلون أو يتجاهلون أصولَ النَّقد الشعري في أعزّ أيام العربية وبين الغربيين في عصرنا الحاضر ، ويتناسون انَّ الانماط النظميَّة والأوزان والقوافي في العربية على الأخص ملك قديمٌ شائعٌ ، وانّما العبرةُ بالمعاني ونُور الشاعرية ، ولا يضير الشاعرَ الفحلَ اشتراكه مع غيره — عظمت ام صغرتْ مرتبتهُ — في بعض الالفاظ بينما المعاني مختلفة جدَّ الاختلاف ، وهذه براعة واقتدار على التفنُّن في الاستخدام لا ينكرها غيرُ حسود . ويعجبني ردُّ الشاعر على هذا النوع من النقد التافه بهذه الأبيات الشائقة الأبيَّة الرُّوح :

يامَنْ توهَّمَ لي شبيهَ سِراجِهِ
لِمَ لا تُضيءُ إذنْ بقوّةِ نُوري ؟ !

هَوِّنْ عليكَ فما المظاهرُ وحدَها
تكفي، وما المنّانُ غيرُ فقيرِ!
واعلمْ أخي انَّ المشاعرَ دفْعُها
للشّعرِ كالتّيارِ دفعُ قديرِ
فاذا تعلّق سابحٌ بملاذِها
- وهي العظيمةُ - لم تقف لحقيرِ!
إبدأْ بأنماطِ القريضِ مفنّداً
قبلَ الغُلوِّ مفنّداً تعبيري
أو فاتّخذْ من جرأتي وتفنُّني
رغمَ اشتراكِ اللَّفظ علمَ خبيرِ
خيرٌ لفكري أن تُداسَ يراعتي
إنْ فاتَ شعري الحرَّ وَحْيُ ضميري!

هذا هو الشعرُ الفنّي: شعرُ الوجدانِ وشعرُ النهضةِ بأشرف مظاهرهِ وأسمى مراميه؟

الجيزة في ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ — حسن صالح الجداوى

الشعر والشاعر

بحثٌ فلسفيٌّ

بقلم صاحب الديوان

تمهيد

قبل تناولي القلَمَ لأخطّ هذه السطورَ ساءلتُ نفسي : « هل من جدْوى ؟ » ونظرتُ من شرفة حجرتي الى الأمواج الضّاحكة في هذا اليوم الجميل وسمعتُ عتابَها الدائمَ وحديثَها الملْهِمَ والناسُ عن نجواها وعن حديثها وعن إلهامها وبَثّها غافلون . . . فقلتُ في نفسي : « كلُّنا أبناءُ هذه (الطبيعة) الكريمة التي تحنُّ بأبوّتها وأمومتها المشتركة الينا كما نحنُّ غالباً اليها ، وتحاول أن تتفاهم معنا فنُصغي اليها بعضُنا وينجح بعضَ النجاح أو كلّه في مواقف ، بينما يَبْقَى سرُّها بل وجهرُها لغزاً مكتوماً عنا كما كان عن الاجيال السالفة وكما سيبقى لاجيال طويلة . . . فمن برّ البنوة أن أُحاول التخاطبَ معها والترجمةَ لبعض حديثها إقراراً بتقديري

لها وعرفاناً لجميلها عليَّ وارشاداً لاخوتي في الجنسية والانسانية .
أجل ، هذا فَرْضٌ على كلّ من يشعر بالقدرة على أدائه، ولـكني لا أشـعرُ بهذه القدرة وانما أشعر بحنانٍ لا يُرَدُّ نحو هذه الطبيعة الجميلة الرائعة ، وبحـاجةٍ الى التعبير عن هذا الحنان ، وعن بيان أسبابه ومبعث إلهامه . وقد اُخفقُ في محاولة التعبير ، ولـكن عليَّ بأيّ حال واجبُ أدائه . وقبلاً حاول بعض المجتهدين ترجمـة (**القرآن**) الـكريم حُبًّا في نشر فضيلته وتعاليمه السّامية فأخفقوا اجمالاً ومع ذلك أفادوا ، فليكنْ لي في أمثلة شـجاعتهم وجهدهم عزاءٌ ومشَجِّعٌ . . .»

بمثل هـذه الخواطر شجَّعتُ نفسي على تناول القَلَم الذي يجري مدادُهُ بهذه الـكلمات . . . اني اُوقن أن الـكون في تحولٍ مستمر، وانّ الفـكر الانساني في تبدُّل وتطوُّر، وان ما نراه حسناً الآن قد لا يَرضى عنه جيلٌ مقبلٌ كما أننا لم نرضَ عن كثير مما استحسنه أسلافُنا ، ولـكنَّ كلَّ هـذا لا يعني أنَّ جهدَنا عـديمُ الجـدوى ، ولن يُطالبنا العقلُ بأكثر من الوفاء لعصرنا الحاضر خاصةً ولجوهر الفـكر الانساني عامةً . فلأقُلْ اذنْ كلمتي هذه تلبيةً لدعوة صديقي النّاشر حتى أتحمل وحدي

عيوبَ العجز الذي لم يتجرَّد عنه نظيمي .

ما هو الشعر ؟

الشّعرُ في رأيي هو تعبيرُ الحنان بين الحواس والطبيعة . هو لغةُ الجاذبيَّة وان تنوّع بيانُها . هو أوحديُّ الأصلِ في المنشأ والغـاية وصفاً وغزَلاً ومداعبةً ورثاءً ووعظاً وقصصاً وتمثيلاً وفلسفةً وتصويراً ، فان مبعثَه التفاعـلُ بـين الحواس ومؤثرات الطَّبيعة ، وغايته العزاءُ والاحتماءُ بهذه الطبيعة ، وانْ تضمَّن أحيانا الغضبَ والسخط ، وما هو الاّ غضب الاطفال الصغار .

وقد يجوز أن نعرّفه مادّيّاً بأنه الجرافيكُ لنبض الحياة وسكونها كنظـيره المسجّل لدقات القلب ، أو كدليل البيانو الاوتوماتيكي تتحول سطوره المثقوبة الى نغمات ، وكذلك الشعرُ يتحوَّل في النفس الى صورة مَنشئه من عواطف وفلسفة .

الحياةُ بأسرها مجموعة تفاعيل كماوية حيويّة متشبّعة بالتموجات الـكهربائية المنتظمة ، والشعرُ منظوما كان أو منثوراً يحوي جرثومةَ هذه الحياة لانَّ فيه ذُخرَ الـكثير من أسرارها ، وأكثر طربنا للشعر المنظوم لأنه جامعٌ بين فلسفة الحياة وطُرَفٍ من

تموّجاتها بأوزانه ، فنحنُ بالغريزة اليه كما نحنُّ الى الموسيقى الفنّية ، وكأن كليهما صورةٌ من حياةٍ تجذُبنا برونقها والهامِها ، ونحنُّ الى غِناءِ الطيور المغرِّدة حنينَ الشعرِ الى الشعرِ !

الغرض من الشعر وتدوينه

الاصلُ في الشّعر كما قدّمتُ أن يكون تعبيراً غريزيا للتفاعل ما بين حواس الانسان والطبيعة ولا يزال لهذا الشعر أمثلةٌ جميلة تأتي عفواً في أحاديثنا وكتابتنا ، وفي الشعر المُرْتَجَل الذي ينطقُ به اللسانُ على الفور أمام مشهدٍ مؤثرٍ أو بدافعٍ وجدانيّ قويّ . ويسمَّى هذا الشعر خطأً بشعر الالهام ، وما هو الاَّ شعر الفطرة الصادقة ، فما الالهامُ سوى أثرِ الخبرة والعرفانِ والمواهبِ في الذّهن ، ولا شأن له بأعجوبةٍ ملكية أو شيطانية ، ولا بالوحي المزعوم .

ولمَّا أخذ الانسانُ بأسباب الحضارة أدرك تدريجياً قيمةَ الشّعر كعاملٍ من عواملِ القوّة لما تبيَّنهُ من أثرهِ الفعّال في النفوس ، فاستخدمه في مآرب شتى لخدمة الحياة اختلفتْ سمواً وانحطاطاً حسب الاجيال والاوساط والبيئات .

فأسمى ما بلغه الشعرُ أخيراً من غرض انَّما هو درسُ الحياة وتحليلُها وبحثُها واذاعةُ خيرها ومكافحة شرّها ، وهو غرضٌ نبيلٌ جامع وإنْ تكيف بصُوَرٍ شتى ، فقد يظهر في لباس الانسانية العامة ، أوفي لباس الجامعة القومية ، أو الجامعة الدينية أو غير ذلك . ومن المعقول ان يجمع بين لباسين فأكثر ، وأن يوفّق ما بين تناقضها الموهوم ، وأن يكون رسولَ السَّلَام ونصيرَ الاصلاح والنهوض . هذا هو الغرَضُ الأسمى الذي بلغه الشّعرُ عامةً في جيلنا الحاضر في أرقى مواطنه ، ولن تجده قرنَ اللهو المحض فان وجدته فحاسبْ ظنَّك ترَ أنَّه مبجّلُ الفنّ الذي تحسبهُ لَهْوا ، أو معبّرٌ عن إحدى العواطفِ الانسانية الدقيقة المحيّرة أو فيلسوفٌ باحثٌ يتلمَّسُ الحكمة ويفتّشُ عنها في جَميع مخابئها .

ولقد أصبح الشعر يُعَدُّ أهمَّ أركان الأدب اللُّباب ، ومنزلتُه من التَّبْجيل مقترنةً بغرضه الجليل ، فمن الأمانة أن لا نُغفلَ هذا التعريفَ حينما نبثُّ روحَ الشعر في نفوس المتأدبين ، حتى نحفظَ للشعر مرتبتَه الممتازة ، وحتى نوجهه دائماً الى أشرف الغايات .

وقد عُني الانسانُ بتدوين الشّعر منذ استطاع التدوينَ وبحفظِهِ وروايتهِ قبل ذلك كما يحدثنا التاريخ ، ولو تأمّلنا لما أدهشتْنا هذه

العنايةُ اذا سلمنا بأنَّ الشعر مُثُلٌ من الحياة وأنواعٌ من مقاييسها فهو قِطَعٌ جذَّابةٌ من الانسانية الفكرية تغارُ عليها وتودُّ لها البقاءَ بحكم الغريزة المقرونة بحبّ البقاء . ولذلك أعتقدُ أنه ما من شِعْرٍ يخلو منْ حسنٍ ، وانَّ جُحودَ حسنات الشّعر بحكم التَّحاسد والمناظرة عاطفةٌ غيرُ شريفة وغيرُ طبيعية ، وذلك اذا اعتبرنا انّ من خير أحكام الطبيعة تشجيع الصالح ونصرته والاعتراف برتبته .

صفات الشاعر

غيرُ مُستكثرٍ في نظري اذا عُدَّ كلُّ شاعر (بالمعنى الا كمل) رسولاً في قومهِ . فالشاعرُ بفطرته ـ ولا مجالَ لفخرٍ بما هو من صُنعِ الطبيعة ـ يجبُ أن يكون حسَّاساً ، سريعَ التّلبيةِ ، يقدّرُ مسؤوليته العامة ويقومُ بأعبائها . وبَدَهيٌّ أنَّ الطبعَ كثيراً ما يأتي من التطبُّع كما يأتي عادةً من الفطرة ، فخليقٌ بالشّاعر أن يكون أوّل ناقدٍ لنفسهِ وأن يزنَ بنفسهِ حسناتِهِ وعيوبَهُ ، وأن يكون المهذّبَ الأوّلَ لمواهبهِ ووجدانهِ ، ثم يقوم بأداء رسالته . وفي الحياة من شتى المقاصد المُجْدِية ومن الأساليب للدعوةِ والأداء ما يسعُ جهودَ الكثيرين ، وإنّه لفقيرٌ ومسكينٌ ذلك المجتمع الذي يُغْنى بشعراء معدودين وتكسد فيه سوق الأدب عامةً !!

معقولٌ ان ينشدَ الشاعرُ العـاملُ البصيرُ بمسؤولياته منزلةَ الشُّهرةِ حتى يُصغي الجمهور اليه ، فلاتذهبُ صيحتُهُ وجهدُه سدًى ولـكنّه غيرُ مشرّفٍ وغيرُ معقولٍ أن يتصدّى لغيره ويحرمَهُ من نظيرة هـذه الشهرة ، وليس من الأمانة في شيء أن يستغلَّ هذه الشهرةَ ـ متى بلغها ـ في سبيل مجده الشّخصي الزائل ، بدل المجد الفنّي الخالد ، كأنما يتوهّم أنَّ الموتَ سيُخطئه ، أو أنه أسمى من ترجمان اذا ضاعتْ أمانتهُ وزالتْ الثّقةُ به تزعزعت منزلته ثم تهدّمتْ . . . فتتبعُ ذلك ـ للأسف الوافر ـ الاساءةُ للأدب نفسِهِ ، باصغار النـاسِ لمن كانوا يتصدّرون مجالسَهُ من طُلاّبِ المجدِ الشخصي .

بيانه الشاعر

اذا كان الشاعرُ رسولَ قومهِ حقاً فيجب عليـه حتماً أن يكون بيانهُ من بيانهم ، ومهما تأنّقَ في تعبيره فيجب أن لا يرتفعَ صوتُه فوق مستوى آذانهم ومداركهم ، والاّ كان غريباً عنهم ، ولم يرضَ عنـه لا خاصّتُهم ولا عامّتُهم ، فتضيع مكانتهُ ويخسر الأدبُ والمجتمعُ بخسارتِهِ . على أنَّ هذا لا يعني تحبيذ العامية ـ وان كانت لها حسناتٌ كثيرة لا تُنكر ـ وانما يَعْني اجتنابَ التَّقَعُّرِ وغريب

التعابير التي لا توافق ثقافتنا العصريّة ، ولا تناسب أمزجتَنا المصريّة واستعمالَ الفُصْحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتعابيرنا القوميّة . ولستُ أشكُّ في أنه كلما نُشر العلم كانت العربية السليمة أقرب الى متناول الجمهور ، فنحافظ بذلك على ذخيرتنا الأدبيـة العظيمة العربيّة الأصل ، دون أن نغفل مطالبَ قوميتنا الحاضرة ، ودون أن نغالبَ جاذبيّة الأدب الأوربي لنا. وهذه نظرةٌ تشبه نظرةَ الامريكيين الى الأدب الانجليزي ، فلكل من الامتين الانجليزية والامريكية أدبُها الخاص ، بل وطابعٌ لغويٌّ خاص ، ولكنَّ الرابطةَ اللغويّةَ العامةَ محتفظٌ بها ، وميزتُها موضعُ الاعتراف بها والحرص عليها . ولكلّ امةٍ من الامم الاوروبية لغتُها الفصحى ولغتها العامية ، ومع ذلك فلم تعتبر احداها من وسائل الثقافة هجرَ الفُصحى الى العاميّة ، وانما يُرجَعُ الى العامية أحياناً لمؤازة الفُصْحى اذا دعت الحاجةُ الى ذلك ، وشتّان بين الحالتين ، فالاولى تكادُ تكون قَطْعاً لكلّ صلّة بميراث الماضي ، بينما الحالة الثانية إحكامٌ لروابطِ الماضي بالحاضر ، وضمانةٌ للمستقبلِ الغنيّ بميراثه المزداد . وتوجد حالةٌ ثالثـةٌ هي في حُكم العدمِ وهي محاولةُ الاكتفاء بذلك الميراثِ الفخم ، وانْ صغرَ في جانب عُلومِ العصر الحاضر

وآدابهِ ، وهي حالةٌ لا تستحقُّ الالتفاتَ اليها لأنَّ الفشلَ التَّامَّ مُقدَّرٌ لها ، والذي يريد أن يقبر فكرَه ولغته في قرون الماضي انما يحكم على نفسه بالفناء ، ويعارض أقوى قانون في العالم وهو قانون التطوُّر . أضفْ الى ذلك انَّ هذه النزعةَ تُعارضُ كلَّ المعارضة الفكرةَ القوميّةَ التي هي أجلى وأبهى مظاهر النهوض السياسي في القرن العشرين ، واذاً فهؤلاء السادة الرجعيون هم والمتجرّدون سواء .

ومع احترامي لحرّية الرأي اصرّح بأني لا أرى الخيرَ المأمولَ من أحد الفريقين ، ولن تطاوعني مبادئي في مشايعة أحدهما في تطرُّفه .

فالشَّاعرُ القوميُّ — كيفما كانت عقيدته وملته — محتَّمٌ عليه أن لا يغفلَ الماضي وان لا يكون من المتجرّدين ، فانّ التجرُّدَ في نظري ليس من مستلزمات التطوُّر أو التجديد ، بل قد يكون من أضداده .

ومن الحقائق التي لا يجوز انكارُها انَّ الأدب العربيَّ مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالدين الاسلامي ، فالامُ العربيةُ الاسلاميةُ لا تستطيع أن تهدمَ الأدبَ العربيَّ الصّميمَ دون أن تسيءَ الى ذلك الدين الذي يُعدّ (**القرآن**) الشريف في رأي تابعيه أكبرَ

معجزاته . . . بَيْدَ انَّ الشاعرَ ليس إماماً دينياً ، وان كان من وجهةٍ اخرى مطالباً في الشرق بأن يعتبر الدّينَ من المشخّصات القومية لامتّه ، فليس له أن يتعمَّدَ التعرُّضَ لهذا الدّين باساءةٍ لن يَجْنِي الأدبُ من ورائها خيراً . على أن هـذا لا يعني أنَّ صَبْغَ اللغة العربية بصبغةٍ وطنيةٍ سواء في التعبير أو التصوير مما يُسيءُ الى هـذه اللغة أو يضعفها أو يجني عفواً أوعمداً على رابطتها الدينية ، طالما حافظنا على الأساس . وهذا هو اعتقادي في « تمصير » اللغة شعراً ونثراً بمختار المفردات ، مع المحافظة جهد الاستطاعة على شرف الديباجة العربية السليمة . وفي مثل هذا الاجتهاد خدمةٌ قومية كما أنه لا يُفقر اللغة ، بل على النقيض يغني مفرداتها وتراكيبها ، ويساعد على تمييز صنوف الشعر والنثر في أقطار شتى ، ومهما كانت ثروة اللغة فيهات أن تستغني عن النماء المطّرد من كل جيل تمرُّ به .

ومثلُ هذا النشاط يستدعي تكوينَ أكاديميات أو مجامع لغوية في الأقطار العربية ، لهـا وحدةٌ في مقاييس الترجمة والاشتقاق والابتداع والتنقيح والتهذيب حسب مقتضيات العصر ، ولها منزلة الارشاد والجمع والنشر ، فيستفيد منها الشعراء والكتاب على السواء ، وتكون حكَماً حكيماً بين التطرف الهادم وبين الجمود المميت ،

فتمنع العبثَ بتراث الماضي المجيد ،وتشجّع الحركةَ الرشيدة للانتاج المستمرّ ، و للاقتطاف من ثمار وأزهار المدنية العصرية ، ولا تعارضُ النهضات القومية .

والعادةُ أن يكون بيانُ الشاعر صورةً لمزاجه وفكره ، وأن يكون أكثر الادباء رغبةً في الحرية ، فمن الحكمةِ إطلاقُ العنان له في حدود واسعة ولو خالف السماع والقياس أحياناً ، فانَّ الشاعر الامينَ الكبيرَ النّفْس لن يُسيءَ استعمالَ هذه الحرّية في مرماه ، وكثيراً ما يكافيء ناصريه بكنز ثمين من تعبيره وتفكيره وخياله أكبر من أن يُعدَّ جزاءً وفاقاً ، ومن لا يعرف من الادباء حسن التصرف فانما يجني على أدبه الخاص قبل أن يجني على الأدب العام.

وقد يُلامُ الشاعر المبدع على خياله الشرود ، وما الخيالُ الا دليل من أدلة التهافت من النفس الشاعرة على الطبيعة الموجِدَة ، فلا تزال تتلمَّسُ الصلّةَ بها في كل شيء ، وتحاول التقريب بين عواملها ونتائجها المتباينة في ظواهرها. بل قد يُعدّ الخيال رابطةَ الوَحْدة بين عواطف الشاعر و الطبيعة ، ولذلك يصح أن يُعرَّفَ الخيالُ بأنّه من رُوح الشعر .

بهذا اليقين والشّعور جرى قلمي أوتحرك لساني أوغمغمت نفسي

ثم باحتْ بما في هذا الديوانُ من منظوم السُّطور ، وما هي بالاولى من بنات وجداني الذي عرف النظمَ منذ الطفولة ، ولاهي بالبالغة بعضَ ما أصبو اليه من خدمةٍ فنّيةٍ ، ولـكنّي أرجو كذلك أن أكون موفّقاً لإتباعها بغيرها وبأصلح منها ، فلا تكون الأخيرةَ في بابها .

وقبل أن أختمَ هذه الـكلمة الوجيزة اودُّ أن أُصرّحَ في غير تحفُّظ انَّ الزمنَ الذي كان يُفصَلُ فيه مابين العلم والحـكمة والأدب قد مضى وانقضى ، وأصبح الشّعرُ في أجلّ مظاهرهِ الديوانَ الرّحيبَ الجامعَ لها ، والعقيدةَ التي تتوحّدُ فيها . هذا هو مذهبي الذي أأتمُّ به ، وفي سبيله احاول — بين شواغلي الـكثيرة — أن أخطو الى الامام خطوات الايمان ما؟

بور سعيد في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٦

أحمد زكي أبو شادي.

هدم الأدب وبناؤه

بقلم ناشر الربوانه

تمهيد

لا أذكر أنّي كتبتُ فصلاً نقديّاً نال استحساناً شبهَ جامع بين جمهرة الادباء مثل فصل « الشعر مرآة عصره » الذي ذُيّلتْ به قصة (**عبره بك**) ، وأحسب ان ذلك راجعٌ الى اهمية الموضوع ثم الى روح المقال ، فقد كان مُشْبَعاً بحبّ الانصاف ، والى النهج العلمي المنطقي الذي لم أتحوّلْ عنه قيدَ أنملةٍ فيما كتبتُ والذي هو رائدي دائماً ورائد صديقي الشاعر. ولكنّي قدّرتُ ـ كما قدّر غيري من الادباء المستقلّين ـ انّ المغرضين لن يرضوا عنه ، وأنّه لابدّ أن يتقدّم أحدُهُم مسوقاً الى المغالطة انْ عاجلاً أو آجلا . وهكذا كان القضاء الذي لا مردَّ له ، فتقدّم متبرقعاً أحدُ أذناب شوقي بك بمقالٍ مرذول كلُّهُ سماجةٌ ومغالطةٌ ، ودفع به الى جريدة (**الكشكول**) التي يتردّد على ادارتها يومياً شوقي بك وأصحاب شوقي بك . . . ولا لوم على (**الكشكول**) الأغر في ذلك ، فحرّيةُ

النشر أمرٌ محمودٌ ، وتشجيعُ النقد الأدبي واجبٌ صحفي شريف ، طالما وُجدتْ المساواةُ الصحفيّةُ في معاملة المتناظرين . أمّا اذا أُبيح النَّقدُ وانْ كان سخيفاً ، وحُرّم الردُّ وان كان حكمةً وأدباً فهذا هو الغرضُ بعينه ، وهذا هو التعاونُ على التضليل ، وهذا هو حبُّ الاساءة والتشهير لغاية في النفس ، ونعوذ بالحقّ أن يكون هذا من النقد الأدبي او من الشهامة والفضل في شيء .

للعبرة والتاريخ

أما المقالُ الشَّوقيُّ السالف الذكر فهذا هو بنصّه وفصّه ، وان كان لايستحقُّ التشريفَ بنشره ، ولكن لايخافُ النّقدَ كيفما كان الاّ العاجزُ العاثر ، فحسبنا اذاً أن ننشره وأن نعلّق عليه من عندياتنا ومن ملاحظات شاعرنا الذي أعدُّ من اكبر عيوبه مغالاته في حسن الظنّ بالناس [1] ، ومن ملاحظات غيره من الادباء الذين أسفوا لظهور ذلك المقال ، وحسبنا ايضاً أن نسجّله لفائدة المؤرخ الأدبي غداً ، حتى يقدّر كيف انَّ شاعراً كبيراً ذا منزلةٍ معدودةٍ مثل شوقي بك كان مُصاباً بمرضٍ مزمنٍ هو الحسدُ والغَيْرَةُ حتى من أخلص محبيه ومعضّديه ومريديه ، وأنه ما كان يحتمل مودّتهم

(١) راجع ردّه في مجلة (النهضة النسائية) ـ عدد صفر سنة ١٣٤٥ هـ . وفي جريدة (الكشكول) عدد ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٦ م .

متى ظهروا ظهوراً في ميدان الأدب بجانبه .... !! قال كاتبُ المقال المتخفي ولعلّه مولانا « قدامـة » ذاته أوابنُ عمه : ـ

كتبنا الجديدة

عبده بك

لصاحب التوقيع

قصة مصرية اجتماعية منظومة بقلم الدكتور أحمد زكي أبو شادي. والدكتور زكي ابو شادي هو نجل المرحوم أبو شادي بك . عرفناه لعشرين سنة شاباً يكتب مقالات في جريدة « الظاهر » في شؤون اجتماعية ووطنية جمعت في كتاب . ولسنا ندري أهو لا يزال معجبا بها كما كان يوم طبعها واذاعها أم زالت عنه جدتها وصارت « روبافكيا » يأنف من الاشارة اليها الى جانب مؤلفاته من نثر ونظم ؟

ثم سافر الى انكلترا فتعلم الطب . وعاد فقال لنا انه درس الى جانب وظائف الاعضاء وخصائصها وأدراتها فن النحل. فهو اذن دكتور في الطب ، واستاذ في اشتيار الشهد المصفّى. ورحم الله ابن حجة الحموي ...

وبعد أن سكت سنوات ظهر لنا شاعراً مكثراً . ينظم في كل موضوع ، ولكل مناسبة ، مفيضا مسهبا . فان لم يجد المناسبة خلقها ، وان لم يتمكن من خلقها أوجدها له جماعة من الانصار والمحبين لا يقنعون بان يكون الدكتور شاعر الشباب والمجددين فحسب ، بل يريدونه شاعر مصر والدنيا والآخرة معا .

وآخر ما جادت به قريحة الشاعر الدكتور النحال منظومة « عبده بك » وهي كما وصفها أحد أنصاره :

« . . . مبحث طلي في علل الزواج عقد له (عبـده بك) ثلاث زيجات: ثنتان مصريتان وواحدة أجنبية ، فشل في الاولى لسوء الاختيار ولنقص في تربية (منيرة) ولاسرافها ولشوزها فطلقها بعـد ما استولدها غلاما . ثم

وقع في شرك (ماري) بواسطة سماسرة السوء . كلتا الوقعتين دلت على ضعف ارادة الزوج التعس .

« وحصل نفار وشقاق » فانهار بيت الزوجية كالاول ، لانه غير مدعم بمقومات الائتلاف ، فهدمه الاختلاف .

« ثم أتاح له حسن حظه زيجة ثالثة فكانت الاخيرة . وفي الحق انها كانت بلسما لجروحه ، ومستقراً لروحه ، فجثم حيث نعم ما شاء الله أن ينعم »

و « توته ، توته فرغت الحدوته » ، ولكنها والله أعلم بعيدة من صنف « الحواديت » والروايات والاقاصيص والاقصوصات ، اذا اردنا مقارنتها بشيء من عالي القصص وسافلها وطيبها وخبيثها مما يتجلى فيه الفن أو لا يتجلى ، وما يكتبه القصاصون الافرنج وكتابنا الشباب .

أما كونها شعرا فليس فيها منه الا القافية والروي ، وبضع أبيات منثورة هنا وهناك ، يشفع في انحطاطها وابتذالها انها تصف الحقيقة ويدخلها شيء من حلاوة العبارة المصرية كقوله :

حسبي وحسبك مسعدا سعي من (الحاجة حليمة)
فلها بكل بيوت (مصر) علاقة الود القديمة
ويقال (مصر) كحلة ومثالها كالمعرفة
فلها اطلاع واسع ولها اختبار المعرفة

ولكن الى جانب هذا الوصف الطيب أبيات لا نعرف ان كانت عربية أو كردية نثرا أو نظما مثل قوله :

فغدا (فريد) (عبده) وكذا غدا هذا (فريده)
في الحس والاخلاص والا تفكير والنجح الاكيد

وقوله :

لولا حبيب غائب لكن أعيد لوالده

والقصة كلها بصورها ونقوشها وحلاها مكتوبة ببرقشة في مالا يزيد على ٢٥

صفحة صغيرة . هذه لاتكفي أن تكون كتابا . ولكن حسن افندي صالح الجداوي « مطيب أبي شادي » أراد أن تكون القصة كتابا فأصدرها كتابا في ١٣٠ صفحة محيطا القصة بمقدمات وتعليقات وشروحات دونها شرح «البيم» للاستاذ حلمي عيسى .

فبعد مقدمة الجداوي المنشورة في ست صفحات أبان فيها كرامات الدكتور ابي شادي جاءنا « الكاتب العبقري المجدد الاستاذ عبد القادر عاشور » بفصل عنوانه « القصص في الادب العربي » كانت « قفلته » : «الشاعر النابغ الاستاذ أحمد زكي أبي شادي فضل السبق في الشعر القصصي الاجتماعي الذي تهارب منه شعراؤنا مع انه من أروع الامثلة لتمثيل المجتمع وانعاشه » .

وبعد القصة فصل عنوانه « تحليل القصة » بقلم « الاديب المتفنن والناقد المعروف الاستاذ عبد الله بكري » ففصل آخر عنوانه « نقد قدامة لشاعرية أبي شادي » ، وآخر في « شاعرية أبي شادي وأمثلة القول الجامع بقلم الاستاذ عاشور » ملأه بنماذج من شعر الدكتور النحال . ومنها قوله :

ان الفواكه للمذاق شهية مثل الغناء اذا اشتهاه شعور
وكذلك الفردوس في أحلامنا وهم وغاية ما احتواه غرور

وقوله :

ومن رتبة الانسان حرية الحجا وما هان قوم في مدى البحث اخنقوا

وقوله :

للمرأة الحسن الاعز بحسنها من دام عاشقها أميت شهيداً !

وقوله :

فكم يبصر الضداد في العيش مثلما تآلف طير الغاب : شاد وأبكم

وربما كان أحسن ما في الكتاب فصله الختامي وهو «الشعر مرآة عصره» وقد تعرض فيه الكاتب لشعر شوقي بك فقال في نقده :

١ — ان شوقي بك ارستقراطي النزعة ، وقد تربى على الاخلاص للحكم المطلق .

٢ — انه لم يشارك جمهور الشعب مشاركة جدية في عواطفه ولم يشجع قوميته .

٣ — انه هادم للتعاون الادبي ، ذو أنانية عظيمة .

٤ — انه حبا في نيل تصفيق الاغلبية المحافظة كثير التعلق بالماضي ولو ناقض تربيته وخالف ضميره .

٥ — انه غالبا لا ينصف عصره ، لا في تعبيره ولا في تفكيره .

ومع أن الكاتب قد عمد الى تأييد رأيه بشواهد من شعر شوقي فان أقواله لا تزال في حاجة الى التمحيص .

هذه هي قصة « عبده بك » وحواشيها . وللقاريء بعد أن يقرأ هذه الخلاصة أن يحكم على المقصود من المجموعة وتحالف كتابها على اعلاء انفسهم واشهار شاعرهم بالحط من مقام غيره .

« الفرّا »

سياسة الهرم

فمن هذ المقال يستنتج القاريء انّ كاتبَه المتنكر :

(١) يحاول الحطَّ من منزلة وشهرة الدكتور ابي شادي بتعريفه عن طريق نسبه الى قارئيه الذين هم في غنى عن ذلك التعريف ، بينما يناقض الناقدُ نفسه فيما بعد باقراره انّ شاعرنا بلغ منزلةً مذكورةً من الشهرة لدى الجمهور .

(٢) يسخر من اُولَى آثار شاعرنا أو من منتجات طفولته الأدبية (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ م .) في الوقت الذي كان أمثال الناقد

بين البُكْم والصُمّ الذين لا يفقهون ولا يستطيعون أن يخطّوا حرفاً مما كتب. وقد صدق شاعرُنا في قوله إنّ الأديب لا يُسأل عن آثار طفولته الأدبية ولا يحاسب عليها ومع ذلك فانه لا يخجل منها، وانما الذي يُخجله أن يغدو يوماً لا قدّر الله رجلاً حائراً متقلّباً لا مبدأ له، يدور مع الهوى وينصر الظلم ويبيع ذمته . . فنعمت الاجابةُ المفحمة في هذا الجواب لمن يسائله عن آثار قلمه وهو في منتصف العقد الثاني من عمره ويكاد متبجّحاً يسائله ايضاً عن انشائه المدرسي . . . ! !

(٣) يهزأ بدراسة شاعرنا للأبقلطوريا (علم تربية النحل) ويصفه ساخراً « بالدكتور النحّال » ، ولكنّ جاهلاً أُمّيّاً مثل استاذنا الناقد معذورٌ اذا لم يعلم انّ كبلنج شاعر الامبراطورية الانجليزيه شاعرٌ نحّالٌ ، وانّ ماترلنك شاعر بلجيكا العظيم نحّال أيضاً ، وانّ پوانكاريه رئيس وزراء فرنسا حالاً ورئيس جمهوريتها سابقاً نحّالٌ كذلك ، وانّ عمانوئيل ملك البرتغال السابق مثلهم ، وانّ غيرهم وغيرهم ـ من كبار رجال الغَرْبِ ونبهائه ـ من محبّي الطبيعة ودارسي حشراتها ونباتها ولهم ولعٌ شديد بذلك ، وانّ علم الابقلطوريا من أشقّ العلوم ومن أعظمها ثمرةً اقتصادياً وتهذيبياً ،

وانّ المتضلّعين منه موضعُ الاحترام في الدوائر العلمية الغربية، وان شاعرنا ذو منزلة ممتازة في هذا العلم يحقُّ لنا أن نفاخر بها من وجهة قومية، — فقد كان المؤسّسَ لنادي النّحل الدَّوْلي المعروف باسم The Apis Club، وانشأ مجلة عالم النّحل The Bee World التي لبث يتولّى رئاسة تحريرها سبع سنوات بالانجليزية، وكان أحد أعضاء اللجنة الاستشارية لوزارة الزراعة الانجليزية.

(٤) يهزأ به مُغالطاً وعامداً الى النكتة العامية القبيحة فيشير الى دراسة « وظائف الاعضاء وخصائصها »، ومثل هذه الاشارة لايجوز توجيهها لرجلٍ نقيّ الاخلاق كريم النفس مثل الدكتور ابي شادي، وانْ جاز لحضرة الناقد أن يوجهها الى المصدر الذي يستوحيه عند ما يكتب ذلك الهذر . . . فهو يعلم علمي انَّ الدكتور اباشادي اختصَّ بعلم الميكروبات أو البكتريولوجيا، وله نبوغٌ حقٌّ فيه، فهو يحمل جائزتين وشهادتيْ شرف في هذا العلم من جامعة لندن، ومضى عليه في اختصاصه به احد عشر عاماً بل اكثر، تقلّب اثناءها في وظائف ذوات مسؤولية خطيرة، وكان أحد البكتريولوجيين بمعهد مستشفى سانت چورچ بلندن وأحد المعيدين لطلبته، وكان معملهُ الخاص بايلنج في لندرة، وكان بمعهد الهيجين بمصر، ثم مديراً

لمعمل الحكومة بالسويس متحملاً مسؤلية كبرى في مراقبة ومنع الكوليرا ، وهو الآن مديرٌ لمعمل الحكومة ببور سعيد شاغلاً مركزاً فنّياً لا يُستهان به علمياً وقومياً .

(٥) ادّعى لائمًا انَّ شاعرنا سكت سنوات كثيرة ، وهذه مغالطةٌ ، فالدكتور ابو شادي معروفٌ منذ نشأته بنشاطه الجمّ ، ولو شئنا أن نُغفلَ المفقودَ من آثاره الادبية اثناء وبسبب اغترابه عن وطنه لما جاز لنا أن ننسى مراسلته « للمؤيد » « فالشعب » « فالأمالي » وغيرها من كُبريات صحفنا ، دعْ عنكَ آثاره في مجلات شتّى في مصر وفي صحف انجلترا ، ومجهوده القلمي السياسي ـ ظاهراً ومستتراً ـ مما لا يجهله رجال القلم وأئمة السياسة في مصر ، حتى كاد يُنفَى من انجلترا ، وقُيِّد اسمه في قلم المراقبين السياسيين ببوليس لندرة (اسكتلند يارد) ، وكان سكرتيراً (**للنادى المصرى**) بلندرة ، وسكرتيراً (**لجمعية ترقية آداب اللغة العربية**) بها . فهذا النشاط الدائم لايمكن أن يوصم عدلاً بالتقصير ، اذا لم يُتَّخذ مضربَ الامثال في الغَيْرة الأدبية والقومية والنزاهة الخُلُقيَّة المتينة . ولكن ألم يقلْ

قديماً الشاعرُ الحكيمُ :

واذا أرادَ الله نشرَ فضيلةٍ
طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسود ؟ !

(٦) زعَم انّ أنصارِ الشاعر ومحبّيه « لايقنعون بأن يكون شاعر الشّباب والمجدّدين فحسب ، بل يريدونه شاعرَ مصر والدنيا والآخره معاً » . وهذا مدحٌ في قالب ذمٍّ لو أدرك حضرة الناقد القادح . فليس هؤلاء الانصار والمحبّون على درجة من البله لاتسمح لهم بأن يفقهوا مواهبَ الشاعر ووجوب استغلالها لنصرة الأدب. وهذا سعيٌ حميدٌ لا يستحقون لوماً عليه الاَّ من الانانيّ الحسود .

(٧) ذكر في معرض النقد انَّ الدكتور ابا شادي « ينظم في كلّ موضوع ، ولكلّ مناسبة ، مُفيضاً مسهباً ، فان لم يجدْ المناسبة خلقَها ، وانْ لم يتمكن من خلقها أوجدها له جماعةٌ من الأنصار والمحبّين الخ » . ولا أدري متى كان الانتاجُ معيباً ، ولا وجه اللوم في ذلك ، لاسيما وللشاعر من ظروفه الخاصة ما يبرّر هذا الاكثار ... ؟ ! وهل نضمن دوامَ انتاجه أو طولَ حياته (مدّها الله) حتى نحاول اخمادَ شاعريته في شبابه ؟ ! وهل جهل حضرة النّاقد انَّ الشعر المنظوم أقربُ الى جنان وبنان هذا الشاعر

المطبوع من منثور القول ، وانّ مجموع ما نشر له ـ ولا أستثني هذا الديوان ـ لا يتعدى جزءاً من نظيمه ؟ فذهنه اذاً مفطورٌ على الشعر، وشاعريته في المقام الاول بين مشاهير شعراء العصر في العالم العربي. وهو في غنى تام عن انتهاز المناسبات ، ولا اغالي اذا قلت عن علم وخبرة انه أطبعُ شعرائنا، وأن الشعر رُوحُه وريحانهُ، ولولا حياؤه لارتجله ارتجالا في المجالس ، كما يفعل أحيانا بين خاصَّة أصدقائه.

(٨) حاول أن يُصغر من قدر قصة (**عبره بك**) :

أولاً — من وُجهة موضوعها كأنما لا يرضيه الاَّ الموضوع المعقَّد وكأنما نسيَ انّ السيرةَ الطويلة ـ كسيرة نابليون مثلاً ـ يمكن تلخيصها في سطرين أو ثلاثة ، فليس التلخيص الوجيز اذن دليلاً على الحقارة حتماً. وكان الواجب عليه أن ينقد الموضوع ذاته ، ولكنه لم يجْرُؤ على ذلك ، فحاول الاصغارَ من شأنه بالمغالطة ، بدل الدليل الفنّي والنقد التحليلي المقبول ، لو كان ذلك في طاقته . . .

ثانياً — من وجهة الاسلوب فقال :« . . . ولكنها والله أعلم بعيدة عن صنف الحواديت والروايات والاقاصيص والاقصوصات اذا أردنا مقارنتها بشيء من عالي القصص

وسافلها وطيّبها وخبيثها ممَّا يتجلى فيه الفنُّ أو لا يتجلى »
وما يكتبه القصَّاصون الافرنج وكتَّابنا الشباب » . . .
وهذا نقدٌ مبهم ، أقلُّ ما يقال فيه إنه هذيان في هذيان
ولو أنَّ فيه مدحاً للشاعر من حيث لا يشعر حضرة الناقد
فهو يعترف بانَّ شاعرنا مبتدعٌ لاسلوب جديد ، ولكنه
لم يقل لنا في صراحة ومنطق ماعيوب هذا الاسلوب
بالتحليل والمقارنة ، حتى كنا نستفيد حقاً من نقده .
وهذا عجزٌ منه نسجّله عليه .

ثالثاً — من وجهة شاعريّة الشاعر حيث ادَّعى أنه « ليس فيها
الاّ القافية والرويّ وبضعة أبيات منثورة هنا وهناك
يشفع في انحطاطها وابتذالها أنها تصف الحقيقةَ ويدخلها
شيءٌ من حلاوة العبارة المصرية » . . . ثم خانه القلم
بالحق بعد استشهاده ، فقال عما نقله أنه « وصفٌ
طيّبٌ » . . . !! وقصيدةُ الدكتور كما لا يخفى على
القاري، مصبوبة صبّاً ومتجرّدةٌ من القافية الواحدة ، وكلها
تحليلٌ لأخلاق وشخصيات ، ووصفٌ لحوادث وعادات
وأمراض اجتماعية ، وملؤها المواعظ والاستنتاجات

الفلسفية الجميلة ، والتشابيه والنّكات المستملحة ، فلن تجدَ فيها بيتاً يمكن الاستغناء عنه ، لأنها وَحْدَةٌ تامةٌ متماسكةٌ أشدّ التماسك . وقد أجهدَ حضرة الناقد نفسه اجهاداً فأخرج أربعة أبيات لم يرض عنها ، فكان هذا مغالطةً عجيبةً منه لانها أبياتُ صلةٍ لا يمكن القدح فيها الا كما يقدح المغرضُ في مظهرِ أحجار قليلة في بستان شائق. وهذه الأبيات سليمة النظم ، وفي مواضعها من أنسب وألطف ما يُنظَمُ ، ومثالُ الايجاز البديع . ولو أنصف الناقدُ لتحدّث عن قوة التحليل الذي امتاز بها نظمُ شاعرنا المبدع ، وعن محافظته التامة على العلاقة بين أسباب ونتائج قصته ، وعن اقتداره في الجمع بين الايجاز والاسهاب حيث يشاء .

رابعاً — من وُجهَةِ الدّيباجة ، كأنما لا يدرك حضرته أنّ المقصود بهذه القصة البليغة الذّيوع فالاصلاح ، وأنها لو كانت في ديباجة (عصرية) حافظ بك ابراهيم مثلاً لجاءت مثالاً للسخف ومثالا مستهجنا لوضع الشيء في غير موضعه ومخالفة قواعد البلاغة . وقد صدق شاعرنا

في قوله أنه لو طاوعه قلمه على كتابتها بالعامية لما توانى عن ذلك . وفي رأيي أن اسلوبها هو من السهل الممتنع ، تحسبهُ نثراً وما هو الاّ شعر منظوم ، كما قال الاستاذ عبدالله بكري . وما أنسب قول شاعرنا في هذا المقام :

ماالشعرُ ألفاظٌ ترصُّ وإنما
الشّعرُ نبْعُ عواطفِ الشعراء
وأنا المطالبُ بالوفاءِ لبيئتي
أمّا الجنيبُ فلن ينالَ وفائي
ديباجتي من نُور عصر سرُّهُ
في الكهرباءِ أراه لا البطحاءُ

خلاصاً — من وُجهة الحجم ، فادَّعى — أرشده اللهُ — أنها ضئيلة الحجم ، متناسياً أنها رغم ايجازها المدهش واقعةٌ في اثنين وسبعين ومائتين من الأبيات ، وأني تعمّدتُ الاقتصادَ فيما شغلتْه من فراغ فأشرتُ باستعمال حروف دقيقة ، ولم اُجزّيء الأبيات ، ولولا ذلك لوقعت القصيدةُ في أكثر من ضعف حجمها في الكتاب . وما كان هذا الاقتصادُ الكلّي الاَّ لأجدَ فراغًا كافياً لمباحث

الكتابِ الاخرى ، مما دلّتني خبرتي الماضية على رضاء جمهرة الادباء عنها . ولكن حضرة الناقد المفضال تعمّد أن يعكس الحقائق عكساً تاماً ، كأنما يتصور ـ سامحه اللهُ ـ انّه ليس بين قارئيه من لهم عقول تقيسُ وتفهمُ ثم تحكم ! !

(٩) سخرَ من الاستاذين الأديبين الفاضلين عبدالله بكري وعبد القادر عاشور ، ولكن نكرة مثله معذورٌ في ذلك، كما أنه يُعذر اذا لم يفهم أنَّ النقدَ اذا تشبَّع بالتهكُّم والسخر والمغالطة فَقَدَ صفة النقد الأدبي ، وأصبح كاتبه ذاته موضع السخر، فليس السخر والتهكم نوعاً من المداعبة المقبولة ، ولا أدري كيف يسخر حضرته ممن كان ناقداً أديباً لصحيفةٍ مشهورةٍ ، ومن أحد علماء الأدب ومدرسيه، بينما هما في منزلةِ الاجلال بين الاساتذة ، ان كان لمثله أساتذة ! !

(١٠) عَرَضَ من غير تعليقٍ أبياتاً قليلةً من شعر الشاعر ولم يجرؤ على تحليلها أو نقدها ، وان أشار لسان حالِهِ الى هذه الرغبة من قِبَلِهِ . . . فمرحى به من ناقدٍ همام لارأي له ولا شجاعة ! !

(١١) أشار في عجز تام الى نقدي المستقلّ لشاعرية شوقي بك

دون أن يظهر خطئي في موضع ما ، فا كتفى بادّعائه انّ أقوالي « لا تزال في حاجة الى التمحيص » . . . ووصفني بأني « مطيّبُ أبي شادي » اصغاراً لمهنة الأدب وللتعاون الأدبي ، وبعد ذلك يتظاهر انه من أنصار الأدب وحُماتهِ . . . ! !

(١٢) ختم رسالته بعد مغالطاته الكثيرة بهذا الاتهام العجيب: « . . . وللقاريء بعد أن يقرأ هذه الخلاصة أن يحكم على المقصود من المجموعة وتحالف كتابها على اعلاء أنفسهم واشهار شاعرهم بالحطّ من مقام غيره . » . . . ومعروفٌ أنه لا بدَّ لكل حكم معقولٍ من حيثيات ، ولكن صاحبنا لم يأت بحيثيّة واحدة، فكتاب (**عبره بك**) كلُّه تقدير لادبائنا ، وتشجيعٌ على خدمة الأدب ، حتى نقدي لشوقي بك فانه ممتلىء بالتقدير الكبير لمواهبه الأدبية التي لا ينكرها منصفٌ ، وبمحاولة توجيهه شطر التعاون الأدبي وقيادة المجدّدين من الادباء ان استطاع بعد أن ظلَّ معدوداً أمير المحافظين من الشعراء زمناً طويلاً . فحكمُ حضرة الناقد اذن حُكم مغرضٌ لا يُراد به الا التَّشويش والخلط والتضليل ونكران الحقيقة الناصعة التي يعلمها جميعُ الادباء ، وهي أنَّ الدكتور أبا شادي يمثل الغيرة الأدبية أشرف تمثيل ، وهو عنوان البرّ بالأدب والادباء ،

ومثالُ التعاون الجميـل . فلمـاذا قاب حضرةَ الناقد هذه الحقيقة الناصعة المشهورة قلباً تاماً ؟ ! لقد سبق الجوابُ وسيأتي الشرح . .

***

لولا علمي بما وراء هذه الحملة الموجهة الى الدكتور أبي شادي والى الأدب الجديد في شخص الشاعر الممثّل لأنصاره ومريديه لمـا حفلتُ بها ، لانها في ذاتها حقيرة لا تستحق غير الازدراء بها . ولـكنها أقوى حملةٍ وُجّهتْ الى هدمه بل الى هدم الأدب الحديث استبقاءً لنفوذ شوقي بك الذي لا يؤازر إلاّ من يتملقون اليه من النكرات ، فان عُرف أحدهم فيما بعد أسرع شوقي بك للتنكُّر له . . . ! ! وهكذا شـاءت الأقدارُ لسوءِ حظّ الأدب المصري أن يكون أحـدُ الأكابر من شعرائنا — وهو شوقي بك — في مقدّمة هادمي الادب اسـتبقاءً لمجـده الشخصي ، فهو يبني من جهة ويهـدم من جهات ! !

أوشك شوقي بك أن يتمّ العقدَ السادسَ من عمره (حيث وُلد سنة ١٨٦٨ م) بينما الدكتور أبو شادي في منتصف العقد الرابع (فقد ولد سنة ١٨٩٢ م) فالفارق بينها ربع قرن من الزمان . فهل يريد الحزبُ الشوقيُّ رغم هـذا الفرق بينهما في السنّ (دع عنك

نعمة شوقي وراحته) شيئاً من المقارنة تخفيفاً من غلوائهم ومكابرتهم؟ إذن فليقرؤا ... وليتشجّعوا قليلا فيتجنّبوا الولولة والادّعاء بأننا نتحامل عليهم حينما نكتفي بردّ سهامهم الطائشة في شرفٍ وكرامةٍ . . .

أثر البيئة

نشأ الدكتور أبو شادي في بيئة أدبٍ وعلم وترعرع فيها ، فهي بيئة الصحافة وبيئة الكتّاب والشعراء ، فضلا عن الوسط العائلي الأدبي ، ثم انتقل الى خير الأوساط العلمية الانجليزية . وهذه البيئات المهذبة المثقفة قلما أتيحت لأديب مصري من قبل ، لا سيما وقد كانت متشبعة بروح الحرية والاباء ، مما طبعه بطابع الديمقراطية وعزّة النفس . وهذا من الاسباب القوية التي تجعلنا معشر الشباب الأحرار نُعلّق آمالا كبارا على مستقبله وعلى تأثيره الأدبي في المجتمع المصري .

وأما شوقي بك فقد نشأ في وسطٍ ارستقراطيٍّ متقلّب، فانطبع بطابعه ولم ينفعه التعليمُ الاوروبي ، وخُدع الادباء بوعوده الجميلة التي نسقها في مقدمة الطبعة الاولى من ديوانه الجامع لشعره من سنة ١٨٨٨ م الى ١٨٩٨ م ، فلم يبالوا بمتابعة احدى الصحف في

وصفه « بشاعر الامير وأمير الشعر » ـ من قبيل المغـالاة في المجـاملة الشرقية المألوفة في ذلك الوقت ـ نعم لم يبالوا بذلك في الوقت الذي انتظروا الخـير على يديه للأدب والادباء ، ولـكنَّ فطرةَ شوقي بك المادية وأنانيته أخذتْ تتغلّبُ عليه ونسي وعوده الطيبة[1] وحارب كل أديب نابه من حافظ الى محرم الى الـكاشف الى نسيم الى غيرهم ، وكان اخوانه الشعراء يغفرون له هـذه الخطيئات ، ويشفع لديهم صنائعه بمـاله من حسنات أدبية ، واستمرَّ الحال على هذا المنوال الى أن بلغ السَّيل الزّبى في السنوات الاخيرة بتقلباته الذميمة ، حتى جعل أدَبنا أضـحوكةً مبكيةً لمجـرَّد زهوه وحبه للظهور وغروره الـكبير[2] !!

---

(١) راجع ما كتبه الاستاذ السندوبي في جريدته (الثمرات) ـ يوليو سنة ١٩٢٦م . وقارنه بما كتبه شوقي بك في مقدمة الطبعة الاولى (الشوقيات) .

(٢) اعترف شوقي بك بتشجيع فخر الادب العربي خليل بك مطران له وفضله عليه ذلك الفضل الذي نعلم جميعا أنه لم يبدله حتى ابعاد شوقي بك عن مصر ، فقال في مقدمة الطبعة الاولى من (الشوقيات) : « . . . . وهنـا لا يسعني الا الثناء ، على صديقي خليـل مطران صاحب المنن على الأدب ، والمؤلف بين أسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب » . واعترف بفضل حافظ بك ابراهيم فقال :

قالوا حبيب أنت تطري شعره ... من ذا الذي لم يطر شعر (حبيب)؟!
من كان في ريب فذا ديوانه ... راح العقول وكأس كل اديب

المبادئ والأخلاق

قلنا إنَّ الدكتور أبا شادي رجلٌ ديمقراطيٌّ بتربيته وهو كذلك بفطرته ، ويعزز شهادتي هذه كلُّ من عاشره من الادباء وكل من جالسه، دع عنك لسان شعره الحرّ . وهو وفيٌّ لمبادئه أتمَّ الوفاء ، فلم يبدل منها الاغترابُ ولا تقلُّب الظروف السياسية .

وأمّا شوقي بك فلا أعلم أنَّ له مبادىء أو شبه مبادىء ثابتة ، ولا وفاء لبيئته الاولى ، ولا التقدير الباقي لوليّ نعمته التي ما يزال يرتع في بحبوحتها .

والدكتور أبو شادي رجلٌ كريمٌ قولاً وفعلاً ، وشوقي بك

أوصى (لأحمد) وزكي الوليد) كليهما شم المديح ورقة التشبيب
كم فيه من مثل يسير وحكمة تبقى على الدنيا بقاء (عسيب)
يا (حافظ) الآداب والبطل الذي يرجى اليوم في البلاد عصيب
خر للألى حصوا اللآلىء بالهوى مثقوبة او غير ذات ثقوب
لاتسألوا الاصداف ماذا اودعت في هذه الاوراق كل عجيب !

ثم غلبت عليه الغيرة منهما ، وأعمته الماديات ، فاذا به لايهنأ له عيش الآن بغير انقاص أصاغر الكتاب والصحف المجاملة له من قدريهما وأدبهما العظيم ، ولم تكفه دسائسه الاولى في حياة صديقه سمير فصارت مناه الآن ان لاتسم مصر بل الشرق العربي بأجمعه شاعرا غيره . . . . !!

رجلٌ بخيلٌ ، ولا أحبُّ أن أتوسع في المقارنة بهذه النقطة .. ..

وانما حسبي أن أقول إن جلال المبادىء ومكارم الأخلاق تترك في الشعر حياةً لا تَفْنَىٰ ، وهذا عاملٌ آخر يدفعنا معشر الشباب الى التأميل الكثير من عبقريةِ شاعرنا الناهض الأمين الكبير النفس .

قوة الشاعرية

اذا قارنا بين شعر شوقي بك في العشرين من عمره (أي سنة ١٨٨٨ م) رغم تنقيحه له فيما بعد ، وبين شعر الدكتور أبي شادي في مُقابل ذلك العمر — بل فيما دون ذلك العمر بسنوات خمس — فاننا نجد لشاعرنا قوةً نفسيةً وأدبيةً فوق منال شوقي بك الفَتَىٰ .

وأما عن شوقي بك في طفولته الادبية فقد كان شعره هذراً في هذر وسخفاً عجيباً لا يزال حديث المسامرة في المجالس الادبية اذا ما ذُكرتْ طفولة الادباء ، وقد اعترف شوقي بك ذاته بذلك مضطراً حتى يحبس السنةَ نُقَّادِه في أيام شبابه فقال : « على أن ما جُمع في (**الشوقيات**) ثم طُبع ليس هو كل ما قيل فقد أسقطتُ منه الكثير وعثرتُ على غيره ولكن في الزمن الأخير ، فأمَّا ما اُسْقِطَ عَمْداً فأكثرُهُ من قولي في زمن الصبا الذي لا يؤمَنُ

فيه على المرء الغرور ، ولا يَسلك الفتى فيه سبيلا إلاّ وهو مضلّلٌ عثور . وقد خشيتُ أن يقع مثل ذلك في أيدي الناشئة فأسأل عن سوء وقعه ويكون إثمه أكبر من نفعه ..... » الخ ، بينما السبب الحقيقي هو قُبحُ ما اضْطُرَّ الى اغفاله ، لأنَّ من يسمح في هذه الايام للشركة المصرية البريطانية بائعة الوسكي بأن تتخذ شعره وسيلة للاعلان عن بضاعتها (١) ولافهام الناشئه أنَّ نبوغ شوقي بك الادبي ينتسب الى الويسكي ـ مَنْ يسمح بهذه الجناية الخُلقية لاهيًا عابثًا لا يُصدَّقُ عنه هذا التعفف الذي يتحدَّثُ عنه في شبابه الاول ...!!

قال شوقي بك في العشرين من عمره متغزلا :

وبدا يميسُ فلاح لي قمرٌ على
غصنٍ رطيبٍ بالمحاسن مُثْمرِ
رشــأٌ اذا هزّ النسيمُ قوامَه
أزرى بغُصْنِ البانةِ المتخطّرِ
متمايلُ الأعطافِ ، وردُ خدودِهِ
يُغنى المحبّ عن الشقيق الأحمر

فوضع لك « البدر » على « الغصن » وتحدّث عن « البانة »

(١) راجع الصفحة الثانية من جريدة (السياسة) الصادرة بتاريخ ١٦ اغسطس سنة ١٩٢٦ تجد فيها احدث اعلان من هذا النوع اطلعنا عليه بعد كتابة هذا المقال ووقت تصحيحه قبل الطبع

و« الشقيق الأحمر » ونحو ذلك من السّخف الذي يقال لنا الآن انه كان تجديداً عظيماً في الشعر العربي ! ! أمّا الدكتور أبو شادي فقال لنا في الرابعة عشر، وهو من شعر طفولته الادبية الذي يحاول الشوقيون تعمتاً أن يعرضوه على محكّ النقـد بل في معرض التحامل الذميم :

لولا المحبـةُ ما تحرك شاعرٌ ولمـا غدا حول السماك يطيرُ
ولما رأينا للمـكارم دولةً ولما نظرنا الـكونَ وهو خطيرُ
فَعجبٌ لضعف قوةٌ في ذاتِهِ يَدَعُ الحياةَ تَنِي له وتمورُ !

وقال في العشرين باكياً هواه وشبابه الذابل :

أسفي على عهـدِ الشباب المنقضي
بجلال نعمتهِ وحقّ زفيري
ودّعتُهُ وحرستُ آمال الهُدَى
فشقيتُ الاَّ من لقاءُ ضميري
وأنا الشفيقُ على الجمال وانْ قستْ
وجَنَتْ محبّتُهُ إزاء مصيري !

وقال شوقي بك في الثلاثين من عمره يصف منظر طلوع البدر في البحر من أعلى السفينة وهي تجري ـ وهذه القصيدة من أحسن

شعره الوصفي في شبابه :

ملكَ السماءَ بهرت في الأنوارِ ففداكَ كلّ متوَّجٍ من سارِ
لمّا طلعتَ على الميـاه تنيرها سكنتْ وقد كانت بغيرِ قرارِ
وزهتْ لناظرها السَّماءُ وقرَّها في البحرِ من عببٍ ومن تيَّارِ
وأهلَّ لله السراةُ وأزلفوا لك في الكمالِ تحيةَ الا كبارِ
وتأمَّلوكَ فكلُّ جارحةٍ لهم عينٌ تسامرُ نورها وتساري
والبدرُ منك على العوالم يجتلي بشرَ الوجوه وزحمة الأبصارِ
متقدّمٌ في النور محجوبٌ به مُوفٍ على الآفاقِ بالأسفارِ

الى آخر هـذا الوصف المستملَح . ومع هذه الاجادة فقارنه بشعر الدكتور أبي شادي في الخامسة والعشرين يصف سقوط الجليد في انجلترا من قصيدة طويلة فريدة بأخيلتها وجمالها :

اُنظرْ مفـاخرَ أنجمٍ وبُدورِ
جعلتْ مطالعَهـا بأبهجِ دُورِ
سلبتْ عقولَ أُولي النُّهى واُولي الهدى
مَنْ لم تتيّمهمْ ذواتُ خُدُورِ
هذا الجمـالُ لعابدٍ متبتّلٍ
جذبتْ روائعهُ أرقَّ شُعُورِ

هذا النعيمُ لكلّ مَنْ يُعْنَى به
ولكلّ ذي لُبٍّ وكلّ شكورِ

هذا الكتابُ لباحثٍ أو واصفٍ
أو ناقشٍ أو عازفٍ مسرورِ

آياتُ إعجازٍ تجلَّتْ للورى
والليلُ حائطُها بأمتن سُورِ

في كلّ تافهةٍ وكلّ جليلةٍ
آثارُ وجدانٍ أجلّ كبيرِ

هذي مظاهرُ كلّ فنٍّ شائقٍ
منها استعار الفنَّ كلُّ خبيرِ !

فاز الثَّرى منها بكنز لآلئٍ
وحُليّ أقمارٍ ونَفْحِ عبيرِ

وزَهَتْ بزخرفها السَّماءُ فأمطرتْ
منْ عهنها المنفوشِ والمنثورِ

نشرتْ لواءَ السِّلْم أبيضَ ناصعًا
فالحبُّ تحت لوائها المنشورِ

كَسَتْ الطَّبيعةَ حُـلَّةً من فضّةٍ
هي في طهارتها لباسُ الحُور
نَثْرُ النجوم قُشورَها مجلوّةً
بالنُّور أو نثرٌ من البَلُّورِ
قرَّتْ عيونُ الكائناتِ بمشهدٍ
عجلَ الفناءُ اليهِ غيرَ صَبُورِ

وأما المقارنةُ بين شعر شوقي في الثامنة والخمسين وبين شعر أبي شادي في الخامسة والثلاثين (وأمثلة منه في صفحات هذا الديوان) فميسورٌ للقاريء [1] . وبجانب هذه المقارنة يجب على الناقد أن يذكر أن شاعرنا غير راضٍ عن نفسه وعاملٌ دائماً على تهذيبها ، ومقدرٌ مسؤولياته ، وأنه يترك تحقيقَ أطيب وعوده وآماله الأدبية الى الغد ، وانَّ أصدقاءه لا يقنعون بآثار نبوغه

---

(١) المقابلة الحقيقية في عرف المنطق بين قوة الشاعرية في نظم شوقي بك سنة ١٩٢٦ م . وبينها في نظم الدكتور أبي شادي انما يجب أن تكون في سنة ١٩٤٨م . حيث يبلغ شاعرنا (اذا مد الله عمره) عمر شوقي بك الحالي فتكون المقابلة بين آثارهما متكافئة في معظم العوامل الطبيعية، وان انفرد شوقي بالثروة والنعمة والراحة والتفرغ للشعر . ورغم هذا الفارق فليس الدكتور أبو شادي في اعتقادي وفي اعتقاد الكثيرين من الادباء والمفكرين بالخاسر في مواقف كثيرة اذا تعرض للمقارنة الادبية في وقتنا الحاضر ! !

الحاضر مهما أجلّوها ، بينما شـوقي بك اعتقد من أول عهده أنه شاعرُ الشرق بأسره ، وانه أعظم من (**تاغور**) وبينما أصـدقاؤه النفعيّون يتابعونه في هذا الوهم ويستغلون في غير حياء هذا الضعفَ منه . . . ! ! فايُّ الادباء أولى بأن يُسمَّى « مطيّباً » لصديقه الشاعر ؟ أمثلي الذي يقرن التقدير بالنّقد ويشجع صديقه دائماً على بلوغ المثل الأعلى من الكمال مهما طال الزمن ، أم هو الدكتور هيكل بك الذي غالى أيةَ مُغالاةٍ في تفخيم شاعره شوقي ، أم هو محمد بك ابراهيم هلال الذي عظّم حافظ وشرح ديوانه الأول وخاطبه بقوله :

ألاَ كلُّ قولٍ عن مديحِك قاصرٌ
وكلُّ مديحٍ في خلاِفكَ زُورُ !!

ثم دار الزمانُ دورتَه فتخلَّى عنه . . . ! !

أني رجلٌ صريحٌ لا أندم على الصراحة الشريفة والجرأة الحقّة ولولا حُبّي للأدب لما استطعتُ الاشرافَ على نشر هذا الديوان فقد كثرتْ شواغلي وتنوعت منذ أوقفتْ الوزارةُ الزيوريةالمشؤومة عملي الصحفي ، وقد تعوقني شواغلي المستقبلة عن القيام بنظير هذه الخدمة الأدبية التي ترتاح لها نفسي أعظمَ الارتياح ، ولـكنَّ

ذلك لا يدعوني الى تغيير رأيي فيما دلّني المنطقُ والتجاربُ على أنه صوابٌ ، ولن يثنيني النقدُ المغرِض عما أراه حقاً ، ولن يكون سكوتي الاضطراري تبديلاً لمبادئي ولا مساومةً في ذمتي ، لا قدر الله . . . .

الأثر القومي

لقد صدق الحزبُ الشوقي في قوله انّ شعر أبي شادي شامل للحياة القومية ، وان شاعرنا ينظم في كل موضوع ولكل مناسبة. وانه قادر على خلق المناسبات للنظم . وسيؤلمهم أكثر من ذلك ـ ما داموا لا يعبؤون ببناء الادب ، بل يكاد يعنيهم هدمه استبقاءً لتفرد شوقي بك بالشهرة ـ انّ شعره محبوبٌ لدى طبقات كثيرة من المتعلمين ، وان دواوينه رائجةٌ منشودةٌ .

حدّثنا أحدُ محبّي شوقي بك ـ بل أحد المغالين في تفخيمه ـ عن تقلّب شوقي بك وقلبه للحقائق حسب الاهواء والمنافع ، فقال في رفقٍ ومودةٍ كثيرةٍ [1]: « شوقي شاعرٌ : شاعرُ النيل وشاعرُ البسفور ، وشاعرُ الحضرة الخديوية في مصر ، وشاعرُ

---

(١) راجع مجلة « الفتح » : المدد الثامن ، المجلد الأول .

العرش العثماني في فروق ، شاعر العهد الحميدي في حكومته المطلقة ، وشاعرُ العهد الرَّشاديّ في حكومته الدستورية . كذلك شوقي نفسه شاعرُ الخلافة الاسلامية متمثلةً في التاج العثماني ، وشاعرُ الجمهورية التركية مشخَّصةً في قبّعة مصطفى كمال . ثم من هنا وهناك شوقي عينه شاعرُ الشرق ، فأميرُ الشعر ، أو أميرُ الشعراء !

لا بأس ! طائرٌ يغرّدُ في كلّ فنَنٍ ، وريشةٌ تضرب على كلّ وَتَرٍ ، وانْ شئتَ فقلْ : شاعرٌ في كلّ وادٍ يهيم ! لا بأس ! انَّ في شعرِهِ لحلاوةً ، وانَّ عليه لطلاوةً ، وانَّ الرجل لمطبوعٌ على الشعرِ كأنَّما خُلِقَ ليكونَ شاعراً ، فليكنْ أميرَ الشِّعر والشعراء ، وليكنْ شاعر الشرقِ والغرب اذا شاء . في استطاعة شوقي أن يكون كلّ ذلك ، وفي استطاعة شوقي أن يهيمَ في كلّ واد ، وأن يقدحَ كلَّ زناد . ولكن ليس في استطاعته أن يتمرَّد على الطبيعة ويخرج على الدائرة التي وضعه اللهُ ضمنَ حدودها دونَ أن يضلَّ سواءَ السبيل ، فلايلبث أن يعودَ مقهوراً مدحوراً لم تُغنِ عنه شيئاً ألقابُهُ وودياتُه ، ولا أوتارُهُ وأفنانُهُ ، فانها شيءٌ وماتصدّى له شيءٌ آخر . . . »(١)

---

(١) طعن شوقي بك طعنا مراً في زعيم الثورة المصرية الأولى المغفور له أحمد عرابي باشا بقصيدته التي يقول في مطلعها : « عرابي كيف أوفيك الملاما . . »

هذا ما يقوله أحد أنصار شوقي بك متستّراً ، فماذا يمكن أن يُقال عن الدكتور أبي شادي ؟ لا أكثر ولا أقلّ من أنّه شاعر وجدانيٌّ تتمثل العواطف في كل شعره ، وتتوجه أحاسنهُ الى هيكل الوطن المقدّس ، كبير القلب ، شريف المبدأ ، يُحترَم شعرُهُ كما يُحترَم رأيُهُ ، مجدّدٌ في غير تجرُّد ، متصوّفٌ في فلسفتِه ، حرُّ الذهن في غير إلحادٍ ، عريقٌ في وطنيته ، وافٍ بعهده القديم : تخرُّ الراسياتُ ولا سبيلٌ الى هدمِ الكريمِ من اعتقادي

يعرف ان أعظم سرٍّ لدينه نصحُ خاتم الانبياء والمرسلين ، بأن نطلبَ العلمَ ولو في الصين ، فيدعو ـ خدمةً للعلم وللدين وللانسانية معاً ـ الى دوام تطبيق العلم على الدين ، كأنما ذلك ركنٌ سادسٌ للاسلام . هذا شاعرنا وهذا أثرُهُ القومي في شعره .

وكانت منشورة في الطبعة الاولى من (الشوقيات) ثم حذفها من الطبعة الثانية ، لا اعترافا بالحق ولا خجلا من ذنبه ، وانما جبنا امام انكار الوطنيين المصريين لحملته ، فلا هو تمسك برأيه في مرابي ودافع عنه ، ولا هو انصف ذكرى مرابي باشا . وهذه روحه بينها في مدحه واوصافه وتهانئه ومراثيه ـ ومن بينها رثاء الحصان الكريم « مكسوبني » ـ فانما يمليها غالبا الغرض او الهزل او حب النفع او فرض الظهور ، واما الواجب المستتر فيندر انه يعبأ به. والعهد قريب بتخلفه عن حفلة (يوبيل المقتطف) لاشتراطه الاكتفاء بقصيدته نيابة عن الشعراء المصريين والاستغناء عن قصيدة حافظ بك ابراهيم ، فرفض أصحاب (المقتطف) طلبه السخيف بشمم وكرامة نفس ... !!

اللغة والرياجة

ربما كان الأليق ان أُشيرَ عَرَضاً الى اللُّغة والديباجة في موضعٍ سابقٍ لأنّها ليست أهمَّ شيءٍ في الشّعر ، فالغايةُ القصوى من الشعرِ أثره القومي ثم أثره الانساني العام ، وما أثره الفنّي الاَّ غايةً صغيرة بجانب الغاية القومية العظمى المنشودة في هذا العصر . بَيْدَ انَّه لا يزال في مصر جيشٌ عظيم من المقلّدين كلُّ حديثهم عن الأدب محصورٌ في هذه الكلمات : « رقيق . جزل . لغة . ديباجة . مبتذل . فخم . » .... فالى أمثال هؤلاء يكفيني أن أقول : هذا شاعرُكم شوقي أنفقَ من عمره ثمانيَ وثلاثين سنة دارسا اللغة العربية، ومع ذلك لاتزال تُعدُّ عليه سقطات وأخطاء كثيرة ، وأملهُ الاكبر أن يُعدَّ الشاعرَ العربيّ القُحّ .... فلا هو يرضي علماء اللغة والأدب العربي الأصيل من تلاميذ الشنقيطي والمويلحي والمهدي ، ولا هو يُرضي أنصارِ الأدب المصري الخاص ، وهذا شاعرنا الدكتور أبو شادي اعتبر بهذا الدرس الأليم الذي شاهده في شوقي وحافظ ومحرم وغيرهم ، فقال ما أغناني عن كلّ هذا السَّخف ، وابتدع لنفسه أسلوباً خاصاً ، وأحيا روحَ الأدب المصري في شعره ، ونظر الى أدب بيئته بالنسبة للأدب العربي الصميم كما

ينظر الامريكي الى الأدب الانجليزي . ولقد صدق الناقد الأدبي لجريدة (الاهرام) في قوله عن شاعرنا : « .... تَبيَّنا له طريقةً استقلَّ بها ، فهو لا يقلّد قديماً ولا يشايع جديداً ، وانما يرسل شعرَه منتزَعاً من الحياة العصرية ، حتى كأنّه قِطَعٌ منها متناثرة » . (١)

فالدكتور أبوشادي ليس مقلداً في أسلوبه وان كان له مقلدون وقد استمدّه من روحٍ قوميةٍ شريفةٍ بدافعٍ شريفٍ ، فكلٌّ نقد يصطدم به اذاً يتناثر حوله ، لأن روحَ أسلوبه المنطقُ السليم والوطنية العمليّة الصادقة . ولله دره حيث يقول :

لغتي الذي يوحيه ذوْقي والذي
لبَّى به الأدبُ الحديثُ ندائي

وأرى فمي وحجايَ ثم يراعتي
ملكاً لموطنيَ الشقيّ شقائي

ولم يكتف الدكتور أبو شادي بتمصير مفرداته وأسلوبه في اعتدال جميل بل تصدَّر أيضاً لمحو رذائل القيود العروضية التي لا يقبلها الذَّوْقُ العصري أو لا موجبَ لها في عُرفه ، وقبلَ النقدَ

---

(١) راجع مقالة الدكتور أبي شادي الثالثة عن « ادب العصر » في ذيل الجزء الأول من كتاب (وطن الفراعنة) وقصيدته العصماء عن « الوطنية والأدب » المنشورة في هذا الديوان .

في شجاعةٍ بل دعا اليه وردَّ سهامه الطائشات، بينما «أميرشعرائنا» شوقي بك خائفٌ وجلٌ يتقدَّم خطوةً في سبيل التحرير ثم يتراجع خطوات أمام نقد الجامدين، واذا عتبنا عليه في لينٍ أو شدَّةٍ بريئةٍ من الغرض الشخصي أثار علينا كره عوان، فرأينا - وبنفسنا الأسف والحسرة - كيف يعمل على هدم الأدب مَنْ هو أولى بأن يبقى دائماً في طليعة بُناتِه . . . فلعلَّ مرارة كلمتنا هذه هي مرارة الدواء الناجع، وأن سوف يتبعها شفاء ستقرُّ به عينُ الادب، وسيكون فاتحةَ عهد جديد للتعاون الادبي المنشود المجرَّد من حُبِّ المجدِ الشخصي، فانه ما تسلط على أي نابهٍ عظيم الا وأساء اليهِ، ثم الى عملِهِ، ثم الى وطنهِ ما؟

حسن صالح الجداوي

شعر الديوان

النهضة ارادة

وطني لحسنِك ما نظمتُ جواهرَا
وبفضلِ وحيك أن اُعَدَّ الشاعرَا
اُسقيتُ فيكَ هوايَ منذ طفولتي
وخَلقْتَ وجداني هُدَى ومآثرَا
وشقيتُ من حُبّي فكنتَ مُعلّلي
ونقمتُ من جبلي فكنتَ الغافرَا
فعليَّ حقٌّ أن أفيكَ مبرَّةً
وأنا الشكورُ وان لمحتُك شاكرَا
عهدي : بياني لن يُسخَّر ضلّةً
للعابثين وان تكون الخاسرَا
أبداً يرفُّ بحكمةٍ وبرحمةٍ
تُهدي الانامَ ولا تخيّب عاثرَا
وأظلُّ أدأبُ في سبيلك ناشراً
مَوْتى الارادة مُسعِفاً ومحرّرَا

والناقـدون بلفظهم وبنحوهم
يلهون لا يدرون حساً قادرَا !
والشـاعرون ينمقون بيوتهم
عبثاً ، فـلا يحيون بيتاً عامرَا !
جهلوا الحياةَ بأصلها وبحـالها
فتسابقوا وهماً يُميت الخـــاطرَا
ولو أنهم درسـوا الحياة حقيقةً
وصفوا الحياةَ نتيجةً وعناصرَا !

****

وطني صفحتُ عن الهناتِ كثيرةً ...
أمَّا الارادةُ فـهي تخلقُ كابرَا !
والشعبُ ان تخذَ الارادةَ عمـــدةً
قتل الزمانَ اذا تهجَّم صابرَا !
الجهلُ أولى أن يكون شـعارنا
من أن يُضيعَ العلمُ حزْماً وافرَا !
فاذا التمستَ من الارادة قوةً
فلقد كُفيتَ مَدَافِعاً وذخائرَا !

وبَنَيْتَ بالصَّبرِ الحصينِ معاقلاً
ورفعتَ من أُسِّ الثبات منابرَا
وسخرتَ حولك بالصعاب تدوُسها
حتى تهونَ فلا تردّك صاغرَا
ليسَ الحماسةُ غيرَ مبدإٍ نهضةٍ
أما الارادةُ فهي زادُك آخرَا !

اضطهاد الراى

أسفي على عهدٍ بهِ يَجْني الجبانُ على الجريحْ
ويسومُه أقسى الهوا نِ فيُقْتَلُ الخُلُقُ الصحيحْ
باسم السّياسة حُلّلَ ا لْ اجرامُ و العيشُ القبيحْ
حتى تبرّأ كلُّ ذي فضلٍ من الفضلِ الصَّريحْ !
كيما يصونَ حياتَه كيما يُريحَ ويستريحْ !
أسفي على عهدٍ بهِ إنكارُ (بطرسَ) (للمسيح) (١)

(١) تظاهر الرسول بطرس بانكار علاقته بالسيد المسيح اتقاء للاضطهاد وقد نظمت هذه الابيات لمناسبة «الحركة الانكارية» الاضطهادية في اوائل سنة ١٩٢٥ م.

الخمر والشعر

تنشّط وجداني لشعر لذاذتي
بفنٍّ له عندي الجلالةُ من قَدْرِ
وأرفعُ شعري عن بلادةِ عاجزٍ
اذا قال كان القولُ من حَبَبِ الخمرِ!
سَنِيٌّ من الدُّرّ العزيز يصوغُه
خيالي واحساسي وحُبّي وما أدري[1]
وليس ضلالَ الوهم من طبع عابثٍ
يدينُ بما يُعطيهِ للخمر والسُّكْرِ
أطِلْ نظرةً : لا تلقَ الاَّ لآلئاً
فان سُترَتْ فهو الشريفُ من السِّتْرِ
وما نافعي والناسَ زخرفُ مَظْهرٍ
اذا عدم الغالي الكريمَ من الدُّرّ
فما غايتي الاَّ الحقيقةَ حرّةً
تشوقُ بعذب اللفظ والمثَلِ البكْرِ
وتأسرُ ألبابَ الانام بروعةٍ
تفكّ الجنانَ الحُرَّ من عادة الأسرِ

---

(١) ما : بمعنى الذي.

قلم الفنان

مزيج من شعر العواطف

الخطاب موجه الى الاستاذ خليل بك مطران وقد أهدى اليه الناظم
قلما من الابنوس المذهب

(١)

يامَنْ بخلتَ وما بخلتَ تعمّداً برسالةٍ لمشاعري وبيـاني
لو دِنْتُ في أدبي لألف مؤدّبٍ فأعزُّ غالي الشعر من (مطرانه)
أنتَ الأحقُّ بنقدِ جَمْعِ عواطفي من نيّرٍ باقٍ وآخر فانِ
إنْ كان أعوزكَ اليراعُ فخلّني أهدي السّنيَّ لراحة الفنّانِ (١)
شعَّ النّضارُ عليه بين سروره وحنيني المتوهّج المتفاني
فاذا كتبتَ فقد نشرتَ محبتي واذا نسيتَ فلستَ في نسياني !

---

(١) الفنان المفتنّ : والمشاعر : الحواس . وكلتاهما عصرية بهذا المعنى .

(٢)

ردّ الاستاذ مطران

القاهرة في ١٥-٦-٢٥

سيدتي الأديبة والمعلمة
الدكتورة زهدي الرشايدة

سعدت اليوم الى حد وجدت كتابكم الكريم وصدمتكم النفيسة
اما العلم فلحال مؤلمة جدا وبه اكتب اليكم شكري وتبركت ان يبقى
لكم الخير . مهما الشئ الثمين الصغير

لم تبلغني ايها العزيز ما فعل ابن كتلة . الرثاء للمرحوم الوالد
سمعت في فلسطين انه اكتوت للمرة حالت دون كما ما هنا صحيحا
فابلغني حقيقة الامر لانشر مرثيتي له وما فات وقتكم فيما اعتقد
ومه الرجل اما الدار فكر يبرك في كل حين ومه اليسور ذكر الطيب في حينا
لنا خير

ابني لي شعوركم الكريم عظيم . صلوا انت وزائر مصر في بعده اعوام ؟
بيسر في كلما عرضة عن احوالكم وسأل الله ان يكلوكم بكفاه واصوال جميعا
كما اتمنى لكم مدحيم الثغر بخاطرها وملاحها وسرورها واقبال
خليل مطران

(٣)

وافى كتابُكَ في تبسُّم رقةٍ ونثيرِ أشجانٍ ودمعِ حنانِ
جرتْ المحبةُ في سطور بيانهِ جريَ الودادِ على شفاهِ حسانِ!
وسألتني ما لا احبُّ جوابَه ومن الفضيلة خُلةُ الكتمانِ
لكنْ يناشدني الوفاءُ صراحتي ومن الصراحة مُستَعِزٌّ بياني
فاعلم حماكَ اللهُ : علمك بعضهُ حقٌّ من التقدير والحُسْبانِ
لكنَّ أقسى مايسوءكَ ذكرُهُ أن لا تدومَ مودَّةُ الخلاَّنِ

يوم وداع

ألقيت فى حفلة التكريم الكبرى التي اقيمت (باوتيل بلير)
بالسويس وداعا للدكتور المفضال عبدالله جلال بك يوم السبت
٣ أكتوبر سنة ١٩٢٥ م

إنْ عُدَّ هذا اليومُ يومَ وَدَاع
فلقد دعاهُ الى التَّمَثُّلِ داعِ !
ما بانَ مَنْ بقِيَتْ عوارفُ فضلِه
حَكَماً على الالبابِ والأسماعِ
ما كنتَ أوّلَ من نهيمُ به العُلى
فيسيرُ ، لكنْ أنتَ أولُ ساعِ
لم يرضَ بالقنع الذليل بامةٍ
شُغِلَتْ به عن واجب الابداعِ
فجعلتَ مبدأكَ العظيمَ تَشبُّثاً
بالجهدِ والاتقانِ والإقناعِ
واليومَ يُرغمكَ اقتدارُكَ سائراً
من مَوْطِنٍ واعٍ (١) لآخر واعِ

---

(١) واع : جامع.

وكذا الحياةُ تنقّلٌ يسمو به
حظُّ القويّ ويسقط المتداعي !

****

يكفيك فخراً يا (**مصرُ**) وقد أتى
يومُ الوَداع وَدَاعُ كلّ نزاعِ
والناسُ حولك حالُهم في ذكرهمْ
مَنْ أنْتَ فضْلاً مظْهَرُ الاجماعِ
تركوا التحزُّبَ والخلافَ وآمنوا
بنجاحِكَ الفذّ المهزّ يراعي
يا رافعاً ذكراً (**لمصر**) بحِذْقِه
بين الأجانب ما طلبتَ دفاعي
فاذا مدحتُكَ كان وصفي نابغاً
حقّاً ولستُ مجاملاً لدواعِ
واذا أسِفْتُ لفُرْقَةٍ فلمنّةٍ
كم كنتَ تُسْديها بصدقِ طباعِ
وبمثلِ قلبي لا يعيشُ سوى الهوى
فهو الفــداءُ لمهجتي، ومتاعي!

والعمرُ أقصرُ من مجـــال تنابذٍ
ومن المحبّةِ فجرُ كلّ شعاعِ !
هيهاتَ أن يُطْري بياني مُرْغَماً
ما كان داءُ المدح بـــين طباعي !

****

رفقاً صديقي في اكتئابك وادَّكرْ
صبرَ الشُّجاع ، ففيكَ قلبُ شجاعِ
مهما نَزَحْتَ فمـــا عدِمْتَ مودَّةً
تسري لبرّكَ في بعيد بقاعِ
و (لمصر) نفعُكَ باقيا ومسافراً
كالنُّور ليس وانْ سرى لضياع !
مهما تجمَّعَ للظـلام جيوشـهُ ،
فيعيشُ مثلكَ في طـويل صراعِ
شخصيةٌ لكَ ليس يدري كُنْهها
الاَّ المدقّقُ والصديقُ الواعي (١)

---

(١) الصديق الواعي : الصديق المتدبر .

حلّاتُها وبحَثْتُها فوجدتُها

عَجَبًا ، ويُطربُها أمضُّ قِراعِ!

ولربّما جمَعَتْ نقيضين معًا

وتحصّنتْ سَتْراً كستَرِ قِلاعِ!

هي للصديقِ مبرّةٌ جذّابةٌ

ولمن نبذتَ كصارمٍ لمّاعِ!

فاحرصْ على حسناتِها وحَياتِها

للنّفْع والاصلاح لا الأَطماعِ!

ودعْ النُّبوغَ مُكرَّما بك رافعاً

رأساً ، وقتلى الجهل صَرْعَى القاعِ!

****

والآنَ هل يُغريكَ شعري مُطْرَباً

لسماع ما أُهدي حُلوَ سماعِ؟

مِنْ أُنسِ مجلسِكَ الشهيّ ، فكم به

زُوِّدْتُ من طَرَبٍ هوايَ يُراعِي

(وأبو علي)[1] مُحْسنٌ بفكاهةٍ

هي للحزين كخمرةِ الملتاعِ

وأمامنا (عبدُ الغفور)[2] مُسائلٌ

بالباب رهنَ اجابة استشفاعِ !

فنردُّه حيناً ، وطوراً حالُنا

حالُ (الخليفة) في سُرورِ مُطاعِ

و(لعمم عثمانه)[3] الوزارةُ : رأيُه

في الشاي للتنفيذِ والاتباعِ

فنظلُّ بين تضاحكٍ وتخاصمٍ

وتراشقٍ وتسامحٍ بتباعِ

حتى نذوقَ الصفْوَ سَمْحًا خالصاً

لكنْ له أبداً كِرامُ جياعِ !

---

(١) يعني الشاعر ناشر هذا الديوان .

(٢) هو الاديب الفاضل محمد أفندي عبد الغفور مندوب وزارة الزراعة بالسويس .

(٣) هو كبير خدم الدكتور جلال ومهندارة!

مَن ذاقَ وِدَّكَ كيف ينسى حُلوَهُ؟
إنّ الوفاءَ يبينُ (١) رغم قِناعِ!

الآداب القومية

أجيزوا مرَّةً لومي فيَوْمُ فخاركم يوْمي
وأكرمُ أُمّةٍ عرفَتْ جلالةَ مَجْدها القومي
فلا باللّهو تحفظُهُ ولا بالتَّرْكِ والنَّوْمِ
ولكن مِنْ تشبُّثِنا تَشَبُّثَ حافظِ الصَّوْمِ

****

عُنيتُ بمَنْ يعاونني ويَقبلُ عقْلُهُ لومي
ويُدرك أنّني خِلٌّ أمينٌ غُنمُهُ غُنمي
ويوقنُ أنّ آمالي رجاءُ الحِلْمِ (٢) والعِلْمِ
فمالي نعرَةٌ ساءَت ولا لي ريبةُ الخَصْمِ
ولكن كُرْهُ أوْهامٍ وبُغضُ العَسْفِ والظُّلْمِ

---

(١) يبين : يظهر .
(٢) الحلم : العقل

أقولُ الحقَّ مغتبطاً ولو أدَّى الى الغُرْمِ
وقَوْلُ الحقّ قد يُصمي (١) ونشرُ الحقّ قد يُدمي

****

تَنافَسَ مُرْتَجي دِينٍ يُجَلُّ ومُشْتَهي عِلْمْ
وكلٌّ حاسبٌ ـ وهماً ـ اخاه مُناصِرَ الوهمِ
كأنَّ الحقّ محصورٌ وَلَيْسَ الحقُّ كاليَمّ (٢)
اذا حدَّدْتَهُ ضاعتْ جُهودُ الفكر والفهم
فهذا دأبُهُ نفيٌ وهذا دائبُ الجَزْم
ويبكي النّفعُ بينهما لما يُشقيه منْ حُكْم
ويُغفَلُ خيرَ مجهودٍ لِدَفع النّاس عن إثم
فانَّ النامسَ آدابٌ وليسوا بالهوى الفَخْم
لَهُمْ (٣) حرصٌ على اُسسٍ لأمسِ ، وهمّةُ اليَوْم
لهُم تقدير منْ ينأى عظيمَ القدْرِ كالنجْم
لَهمْ في كلّ سانحةٍ مثالُ البرّ لا الذَّمّ

---

(١) يصمي: يقتل .
(٢) اليم : البحر .
(٣) اي صفة لهم.

وإنَّ الناسَ أخلاقٌ لمبنىٰ الرُّوح والجسمِ

****

فقُلْ لِمُسائِلٍ صِدْقاً عن المحبوءِ من سقْمِ :
« ضَياع الخلق ضيَّعَنا وأسقمنا ، وكم يُعمي
لِيَرْضَ النّاسُ[1] ماشاءوا من الأديانِ والعِلمِ
ولكنْ في تجَرُّدِهم من الآداب والحزْمِ
نذيرُ اليُتم يتبعهمْ وأولُ مَظهَرِ الضّيْمِ »

قوة الحقير

لا تحقرنّ من الصغير ضآلةً فلربّما وضح الصغيرُ كبيرا
فالصقرُ قد تُشقيهِ ضيْعَةُ ريشةٍ ما كان يعرفُ قدرَها ليطيرا

---

(١) ليرض: ليختر .

حديث البحر

الرّعدُ صوتُكَ أم حديثُ وِفاقِ
قـد بدّلتْه مرارةُ الاشواقِ ؟!
تنهدُّ أمواجٌ بعثتَ كأنهـــــا
للآسـفين مصارُع العشـاقِ !
سارتْ طويلا في خفاءٍ تـارةً
وهنيهةً ضحكتْ من الاشراقِ
حتى اذا بلغتْ مآلَ رجائهـا
لم ينْجُ من شرَكِ المنيةِ باقِ
ذابتْ فلا تلك الخطوُط كتائباً
كانت ، ولا أبقى الروائـع واقِ
ضاعتْ كما تطوي الشُّجونَ مدامِـعٌ
سُفِـكت بلا مَهلٍ من الأحداقِ
يا ليتَ شعـْري كم قرونٍ مُثّلتْ
في مائكَ المتخاصم المتلاقي ؟!
كم عَبرَةٍ فيـه ، وكم من بسمةٍ
دُفِنت ، وكم من دُولةٍ وسباقِ ؟!

وحوادثٍ بعضُ الهديرِ حديثُها
طُبعتْ على الأذهانِ والأوراقِ !
ومشاعرٍ للنازحين بيانها
هـذا الأنينُ مسائلاً اشفاقي !
مَنْ شكَّ في وصفي الامينِ فحسبُهُ
أن يسألَ البحر الحزينَ الشاقي !
هو خالقُ الدّنيا البعيدةِ كُلّها
فاذا به عانٍ من الاملاقِ
لا الدُّرُّ يُغْنيه ولا حيتانُهُ
فالأمسَ كان له رحيبُ نطاقِ
بدأتْ تباشيرُ الحيـاةِ بمـائهِ
فاذا بها انقرَضتْ برُقْيَةِ راقِ
واليومَ فالشطُّ الصديقُ يردُّهُ
ويسودُهُ الانسانُ في الآفاقِ
ملك[1] الهواءَ عليـه مُلْـكاً مثلما
حكَمتْ شِـكايتُهُ[2] على أشواقي !

---

(١) اي الانسان (٢) اي البحر

الملكة السجينة

تُلقح ملكة النحل (أو امه) عادة في الهواء مرة واحدة في حياتها ويموت من أثر الجماع الذكر ، ثم تقصد خليتها وتعيش ـ ما قدرت لها الظروف أن تعيش ـ أما لطائفتها سجينة لا تفارق الخلية الهم الا اذا قادت فريقا من شعبها لانشاء موطن جديد حيا فتكاثر بحكم الغريزة. ومن عجائب ما وهبتها الطبيعة قدرتها على أن تبيض وقت الموسم مئات بل آ لاف البيض يوميا ، ومن هذا البيض ينمو خلفها ومعظمه من الاناث ـ أو بالاحري من الخنات ـ حسب نوع البيض الذي تبيضه مما هو مشروح في تصانيف علم الاجنة طوريا. ولكن أعجب العجب أن تكون نحلة واحدة أما لآلاف النحل ، وأن ترعى وتسخر في آن واحد حسب حاجات قومها ، وأن يكون رائد شعبها النفم العام الذي لا يلين ولا يرحم . وقد يصح أن يضرب المثل بالنحل كنموذج طبيعي راق لاحكام الجمهورية السليمة ، كما يصح للحركة الانثوية أن تعتز بسيرة النحل ونجاحها الاجتماعي الباهر .

***

لِلّهِ ما أبهـــاكِ يا نحلتي
في ثوبكِ الزّاهي بوشي الذّهَبْ
تمشين في وَجْدِ العروسِ التي
قد أُرْمَلَتْ في عُرْسِها المُقْتَضَبْ !
وحولَكِ الجمعُ : بناتٌ أبتْ
طبيعةُ الكونِ لهنّ النّسَبْ

يا حُسْنَ ذا العطفِ الكريم الذي
يُحييكِ للنفعِ العظيمِ السّبَبْ
تمشين في موكبِ نُبلٍ وما
أُعْطِيتِهِ زهواً لأجلِ الطَّرَبْ
لكنّه حالُ الأسيرِ الذي
يُساعدُ الآسرَ عند الطَّلَبْ !
أحكامُ شَعْبٍ مِنْ كبارِ المُنَى
للنَّفعِ والحكمةِ فيها الغَلَبْ
أفرادهُ النّسوةُ في نهضةٍ
فليعتبرْ منّا الكثيرو الصَّخَبْ !
ما الجنسُ للنّفس فخاراً لها
إنْ فاتَها الجِدُّ وضاع الأدبْ
وربّما كان النّساءُ العُلَى
وربّما كان الرّجالُ النُّوَبْ !
لِلّهِ كم من عِبرَةٍ كنتِها
يا نَحْلَتي بالجُهْدِ . . . . كَمْ تَرْتَقَبْ !

جنة النحل

حَيّ الجمالَ بدولةِ الأَزهار
واَسمعْ رواية نَحْلِها (١) الزُّهَّارِ
يُنْشِدْنَ أشعارَ الرَّبيعِ كأَنّما
طُرَفُ الرَّحيقِ ذوائبُ الأشعارِ !
مِنْ كلّ لابسةِ النّضار توشّحتْ
بفواتن الاصباغ والأنوارِ
وازَّينتْ بخلاخل من عسجدٍ
ومرصّعات خواتِم وسِوَارِ (٢)
جادتْ بها الامُّ (الطبيعة) بعد ما
أرضتْ ملاحنُها مُنى (آزارِ)
ومن العجائبِ أنّهـــا بجمالها
تأبَى الغرور إباءَ شَرّ عِشارِ
رشفَتْ من الزّهرات أعذبَ شهدها
وتدثّرتْ بدقائقِ النُّوّارِ (٣)

---

(١) النحل : يطلق على المذكر والمؤنث .
(٢) اشارة الى الطلع الذي جمعته النحل .
(٣) اشارة الى آثار الطلع واصباغه على اجسام النحل .

وكأنَّ محلولَ الضياء ازارُها
لتنوُّعِ الألوانِ والآثارِ!
مِنْ أبيضٍ يقِقٍ لأصفرَ فاقعٍ
للأخضرِ الزاهي لأحمرَ ناري
مفْتَنَّةٌ وكأنما قد خُضِّبتْ
(كالبنفشات) روائعَ الانظارِ!
أو أنها في (الكرنفال) مليحةٌ
رقصتْ محجَّبةً على الأوتارِ!
ملءَ الهواءِ نشيدُهُنَّ وانه
لنشيدُ أحلامٍ نُشِرْنَ كِبَارِ
يَبْحَثْنَ أسراباً وكلُّ فصيلةٍ
كمواكبِ الطُّيَّارِ (١) لا الاطيارِ
ولربّما سبقتْ قطاراً سابقاً
يطوي البسيطةَ من عَبِيِّ بُخَارِ
تمضي مسدَّدةً الى آمالها
في الحقْلِ أو شَطْرَ السَّرِيِّ (٢) الجاري

---

(١) الطيار جمع طيار، وهي مصرية الوضع . (٢) السري : النهر الصغير . وفي قوله « مسددة » اشارة الى طيران النحل المستقيم .

وترى المشاهدَ والفضاءَ كصورةٍ
وجموعَها وخطوطَها كإطارِ!

* * *

شاطرْ وحقّكَ مستطابَ لذاذتي
في مُنعةِ الأذهانِ والأبصارِ
وإذا قَدَرْتَ محبتي وتأمّلي
أصبحتَ في شغفي ولُمْتَ الزاري
فاجلسْ وراقبْ ثم سلْني إن تشأ
أُتحفْكَ بالمعشوقِ من أسرارِ
هذا محلُّك في الجنانِ بعينها
فاشهدْ بها الموعودَ للأبرارِ!
راحُ النفوس الظامئات الى العُلَى
ولفتنةِ الألبابِ أيُّ عُقَارِ
ودعْ الهمومَ وأشْعلْ الغليونَ في
حِسّ الحكيم الفيلسوفِ الدَّاري!
ربحٌ «يضيعُ عليكَ» في نفع الحِجَا[1]
ما كانَ في عُرف الهُدى بخَسَارِ!

---

(١) اشارة الى توهم بعض الناس أذني مثل هذه الدراسة مضيعة للوقت وخسارة مادية لهم.

انظرْ تجدْ نُخبَ الازاهرِ صُفّفتْ
« ببيوتهـا »[1] بحراسـةِ الأشجارِ!
ويـكادُ ينطقُ بالتحيـة نُورُها
برقيـق إيمـاءٍ ولطفِ جِهَارِ!
والشمسَ قد سمحَ الأصيلُ لنورِها
ليتيهَ تِيهـةَ عاشـقٍ مُختـارِ!
طَرِباً يقبّلُ مَنْ يشاءُ وإنْ أبَى
حَسَدُ النّسيم فلفهـا بـازار!
يخشى عليهـا مثـلَ صبٍّ هائِم
يخشى على نَجْوَاه من أخطـارِ!
والحُبُّ يَمْرَحُ بينَ جَوٍّ سَجْسَجٍ
ضاحٍ ، وبين نسيمِهِ العَطَّارِ[2]
عيدُ الرّبيعِ وعيـدُ كلّ محبّة
متكرراً بتعاقبِ الأدْهارِ
مَنَحَ الانامِيَّ السّعادةَ مثلمـا
منحَ النباتَ ودَوْلَةَ الأزهارِ

(١) زرجة : Flower beds (٢) السجسج : المعتدل أي لاحر فيه ولا قر ، وضاح : بارز للشمس ، والعطار : الكثير التعطر

وجميعَ خَلْقِ اللهِ ، بعضُ عجيبها
بالعين نُدْرِكه وبالمِنْظارِ (١)
لا تُصْغِرَنَّ اذا حكمتَ صغيرها
فلربما ملكتْ مآلَ كِبارِ
ما كان في هـذا الوجود مُحَقَّرٌ
للنّاظرين لكنْهِ المتواري
والنَّحْلُ في آيِ الطبيعةِ آيةٌ
نِعْمَتْ مُلَقِّنةً أجلَّ شِعارِ
خُلِقَتْ من الإتقانِ في تكوينها
وتسلّطتْ بجهادها الجبّارِ
عرفتْ معاني الوقتِ والعُمْرِ الذي
تحييه بالانتاجِ في الأسفارِ
هي كلُّها للجمعِ تدأبُ لا تني
لا سُخرةً للسيّدِ الأمّارِ
والأصلحُ الأبقى بها لا تنثني
عنه أمامَ عواصفِ الاخطار

---

(١) المنظار : الميكرسكوب .

قلْ للمصغّر قدرَها لغروره
مَن أنت في الأقدارِ والأوطار؟!
لو كنت تفقهُ سِرَّها وهمومَها
بجلّتها للقدرِ والمقدارِ (١)
أو كنت تعلم ما جلالة ملكها
لخجلت من ذكراك لاستهتارِ!
رفعتْه من أُسس اليقين ، وغيرُهُ
للناس منارٌ على منهارِ!
تبنى الممالك بالعقيدة مثلما
تبنى الممالك من دمِ الثُّوَّارِ
والسعيُ للانتاج أكرم عدةً
وأجلُّ نفعاً من حروب دمارِ
والمُلْكُ يرفعُهُ النظامُ فان مضى
لاقتْ نهايتُهُ حضيضَ العارِ!

***

أُنظرْ معي واصفحْ لجولةِ خاطري
بحديثِ مفتونٍ بصُنْعِ الباري

---

(١) القدر : المنزلة . والمقدار : القدرة .

هذي الزُّهورُ [1] ـ كما ذكرتُ ـ بدائعٌ
قد نُسِّقَتْ ككواكبٍ ودراري
السافراتُ بهنَّ غيرُ خجولةٍ
والخاشياتُ نظَرن من أخدار!
والنَّحْلُ زائرُها يدقّقُ شأنَهُ
شأنُ المنجّم والشّعاع الساري!
فكأنها صُوَرُ النُّجوم أمامَه
أوحتْ له المنشودَ من أخبارِ!
ولفرطِ غِبْرَته وغايةِ حُبِّهِ
يأبى تأمُّلَها من الزُّوارِ!
قد مَصَّ منها الشهْدَ دون تكلُّفٍ
وكأنما هو بالشقاءِ الشاري!
وبطَلْعها قد فاز فَوْزَ مُفرّقٍ
ماناله من نِعَمٍ ومن أثمارِ
أبداً يُخلَّفُ فوق ما يُعطَى وما
يُعطَى سوى دَيْنٍ كذلك عارِ!
وصنيعُهُ شتى الفوائدِ لا ترى
لجهاده وِزراً من الأوزارِ؛

(١) تقابلها كلمة Blossoms

فحياتهُ نَفْعُ الوجودِ وَحظُّهُ
عُمْرُ النشاطِ بذمةٍ ويَسارِ

***

صبراً ! تأمَّلْ ! ذاكَ دائبُ جيشهِ
متلاحقُ الايراد والاصدارِ !
مثل الخِضَمّ فموجُهُ متتابعٌ !
مثل الفوارسِ عندَ خوضِ غمارِ !
لا يستريحُ ولا يثبّطُ عَزْمَهُ
هذا العناءُ بدائمِ التكرارِ
أو يستقرُّ لنعمةٍ موفورةٍ
بل يحسبُ الإفناءَ عند قَرَارِ !
حتى يهدّمَهُ الجهادُ ، وهكذا
مَوْتُ الجهاد بُطُولةٌ لفخارِ !
لولا اختلافُ اليوم بين نهارِهِ
والليل لم يقنع بطول نهارِ !
وكذاك لولا الرّعدُ يزجره لما
خافَ الغيوثَ وغضبةَ الإعْصارِ !

الصـــبرُ من تعليمه وبقينه
فالنّصْرُ كلُّ النصر للصبّارِ
والآنَ قُمْ وانظُرْ معي وحداتِهِ
الراجعـاتِ بأنعمٍ كجواري (١)
العائدات الى الخـلايا مثلَما
عادتْ (مناطيرُ) العلىٰ (لمطار)
هيهات يُنسيها البعادُ ديارها
إنْ يجحدْ الانسانُ فضلَ ديار
قترى بشاشتها ترحّبُ مثلما
عرصاتُها فرحتْ بخيرِ جاري !
يُهرَعْنَ للأبواب وهي كأنها
أبوابُ مجموعٍ من الاقطار !
كلٌّ تمثّل أمةً بعديدها
وحكومةً حكمت على الاقدار !
البأسُ والجبروتُ من أعوانها
ولو آنَّ للشّورى سنىَّ مَنار

---

(١) الجواري : السفن (هوائية) او مائية.

ولها سلاحٌ في الدفاع مشذَّبٌ
يُزري ببأس الصارم البتّارِ
وكأنها طيرٌ أبابيلٌ رمتْ
بحجارة السجّيل بـــل بالنار!
عـــزَفتْ عن الضُّعفاءِ مثلَ عُزُوفها
عن غير ما يدعو لدفعِ طواري
خزنتْ صُفوفا (المشهادِ [1]) كأنّما
قد نُبّئتْ بعواقبِ الاعسارِ!
سُبحان منْ وَهَبَ الغريزةَ قوّةً
جعلتْ صِغارَ الخلق غير صِغار!
انظرْ لسيّدها (ومُجهزها) الذي
يرنو اليكَ مُعزّزاً إكباري
تلقَ الفخارَ مجملاً لسماتِهِ [2]
مثلَ العواطفِ جمّلتْ أشعاري

---

(١) الشهاد : جمع شهد ، وهو العسل ما دام لم يعصر من شمعه .
(٢) الجهاز : يقصد الخبير بتربية النحل . سماته : يقصد علامات مهنته .

يتلو عليكَ حديثَهُنَّ هُنيهةً
وهُنيهةً راو لهـنَّ وقاري !
وتحيَّةُ الوسميّ [١] غيرُ ثقيلةٍ
جاءتْ مُطرِّزَةً لحسن خِوار !
جادت على النّبتِ القتيل بروحـه
حتى اشرأبّ وطرَّ [٢] للنُظَّـار !
والنحلُ ترقصُ في الفضاءِ سعيدةً
وكأنما رقصتْ على أذكارِ !
وأتتْ تذوقُ نميرَ ماءِ ضاحكٍ
فوقَ الغصونِ كضاحكِ الأنوار !
وتعودُ بعد رواحِها لخزينهِ
لِتَعِلَّ [٣] من قطراتِهِ الأبكار
وترى ثُغورَ (الياسمين) بواسماً
وترى (المروجَ) بمدمعٍ مدرارِ

---

(١) الوسميّ : أول مطر الربيع.
(٢) طر: طلع.
(٣) تعل : تشرب ثانيا .

بينا (الزنابق) في مُنَمْنَم بُرْدِها
نَصَبَتْ موائدَها بهيٌّ نضارِ
والنَّحْلُ لا يَفترُّ رغمَ سخائها
نَهِماً ولا نَهَمَ الهَوَى المشتار[1] !
وترى (البراعمَ) فتّقتْ أكمامها
و(النرجسَ) الدّاعي لطيب مَزارِ[2] !
وترى (الخطّابا) المُنْعَماتِ بظلّها !
كمدائن الابرار والاطهارِ !
غنمتْ من الظلّ الوريفِ[3] رعايةً
وبدتْ كأن بياضهنّ قماري[4]
واذا اقتربتَ سمعتَ من تغييرها[5]
صوتَ الحمائم شاقَ في الأسحارِ

---

(١) المشتار : الجاني العسل ، وهنا بمعنى الهوى الظافر .
(٢) مزار هنا بمعنى زيارة .
(٣) الوريف : المتسع ، الممتد .
(٤) جمع قمريّ ، وهو طائر مغرد .
(٥) التغيير : ترديد الصوت .

أو خافتَ الصلوات ـ رهبةَ مَعْبَدٍ ـ
لمحجَّب الرُّهبانِ والأحبارِ !
وذُهلتَ من مَرْأى الصواعد ، طيرُها
مثل الرشاش [1] يشقُّ كلَّ ستار !
في مثل لمح البرق أوْ في منتهى
دَفع الشعورِ ووثبةِ الأفكارِ !
ومن الجوالبِ للرَّحيق كأنها
جاءتْ من الجَنَّات لا الأشجار !
أو انما هذا الفضاءُ يمجُّها
فتُصَبُّ من نافورِهِ الفوَّار !
وقعتْ بأعباءٍ ثقالٍ مثلما
وقعت صغارُ الطّير من أوكار!
ثم التفتْنَ الى (الولاج) [2] وسرن في
شغف الأمين الدائم التذكار
وجميعها تبغي السّلام وانْ تكنْ
في الحرب روعَ الجحفل الجرَّارِ !

---

(١) الرشاش : رش الصيد . (٢) الولاج : باب الخلية .

تُخشى كما نخشى الابالسةَ الورى
والغارقون منيّةَ التيّارِ !
والآن يشملها السلامُ كأنها
ظمأى الطيورِ نواكس المنقار !
تمضي الدّقائقُ بل وساعاتٌ ولا
يمضي التمتُّعُ أو سرورُ جِوارِ !
مُثْلُ الامانةِ والجَلادَةِ والحِجا
عُرِضَتْ كأن تُليتْ من الاسفارِ !
جمعت نقيضين : الرشاقةَ حُلوة
ورزانةً مقرونةً بوقارِ !

****

والآن قد رفعَ (**الخبيرُ**) غطاءها
فاذا (**العميرةُ**) معرضُ استعمارِ [1] !
فانظرْ لهندسةِ العجائبِ إنّها
دقّتْ عن الافهام في أعصارِ !

---

(١) العميرة : خلية النحل العامرة .

حتى اغتدتْ مَثلاً لقُدْرَةِ خالقٍ

وغدتْ حديثَ المُرْشدِ العمّارِ(١)

والملحدون رَأوْا بها ايمانَهم

أو أُرجعوا للبحثِ لا الانكارِ!

اُنظُرْ دَقيقَ الصُّنع في أقراصها

من شمعها المفروز في استقرارِ

تَجِدْ (المخاريبَ)(٢) العُجابَ تلألأت

بمُرَنّق العَسَلِ الشّهي البارى(٣)

تَجِدْ (القاحَ) موزّعا وصنوفُهُ

محصورةٌ بخصائصِ الأدوارِ

تجدْ (المَسالِكَ)(٤) نُظّمَتْ وحدُودُها

بعضٌ من الدستورِ للاقرارِ!

---

(١) العمار : القوي الايمان .

(٢) المخاريب : جمع مخروب ، وهي ثقوب القرص التي تمج فيها العسل وتضع فيها الطلع وتستعملها لتربية فراخها .

(٣) البارى، الاسقام ، قال « فيه شفاء للناس ».

(٤) المسالك: جمع مسلك: الطرق الصغيرة .

وترَ (الملكةَ) أُمَّهن تخطّرتْ
وكأنما حِيطَتْ بجمع جوَارِ
يحرسنها في هالةٍ فكأنها
في عزّها قمرٌ من الأقمارِ!
وهي الأسيرةُ لو بحثتَ محقّقاً
ولربما شعرتْ بطوق إسارِ! (١)
وقفٌ عليهن الغذاء، وانه
من روحهنَّ لها بغير حِذار (٢)
فتكافئُ المجموعَ من إذعانها
وتبيضُ مُسْرفةً بلا استعبار (٣)
وحيالها شتى المعاملِ قُسِّمَتْ
لصناعةٍ وكفايةٍ وجدارِ!
وترى الطَّهارةَ من قواعدِ ملكها
ودليلةً لسلامةٍ ومَهَار (٤)

---

(١) راجع للشاعر قصيدته « الملكة السجينة » ـ ص ١٠٤
(٢) اشارة الى تغذية الملكة بغذاء خاص يسمى «بالفالوذج الملكي» مكون معظمه من نتاج غدد بأجسام النحل التي تتبعها .
(٣) استعبار : حزن .
(٤) المهار : المهارة ـ اشارة الى انّ نظافة الخلية (التي هي من عادة النحل) مرتبطة بصحته ونشاطه.

وتظلُّ ترقبُ حائراً لا تنتهي
مما ترى إنْ تُغْنَ من إكثاري !

***

ثم انتهى وصفُ (الخبير) معجّلاً
وأتى أوانُ وداعهِ الاجباري
فشكرتهُ شُكْرَ المحبّ حبيبَه
فعواطفُ النَّحالِ بعضُ شعاري !
وكذا الصَّديقُ أفاضَ مدحاً صادقاً
أتهى الى الممدوح من إيسارِ
فأبى المضيفُ ثناءنا متعلّلاً
بقُصُوره وبأشرفِ الأعذار
قلنا : « لعلّ لديك أُنساً جامعاً
أبهى وان أبدعتَ في الإخبارِ ؟»
قال : « الغدُ الأوفى القريبُ جمالهُ
أسنى ، ففيه العُرْسُ للأبكارِ
مِنْ وَصْفِ (صانِرْ لَنْك)[1] مايُزهى به
أهلُ البيان الخالدِ القهّارِ

---

(١) الأديب البلجيكي المشهور . كتب عن النحل كتابة أدبية عامة فائقة .

وأنا بياني مِنْ عواطفِ مهجتي
في ذلك المرأى السنيّ الثارِ ! (١)
حيث الطبيعةُ في جمالٍ آخر
و (العندليبُ) مناظرٌ (لهزار)
حيث الحُقولُ تعدَّدت أزهارُها
واستنصر الفلاَّحُ بالمِجْدارِ (٢)
والنَّحْلُ مجتري يطيرُ موفقاً
لقصيةِ الآجامِ و الاغوارِ (٣)
وتؤسِّسُ الدُّوَلَ الجِدَاثَ (طُرودُهُ)
عَبْرَ الجداولِ في بعادِ نفارِ
حتى اذا شحَّ الغِذاءُ وقد أتى
فصلُ الخريفِ بغير ما انذارِ

---

(١) اشارة الى قتل الذكر الذي يلقح الملكة .
(٢) المجدار : ما ينصب في الزرع لطرد الطير والوحش.
(٣) الآجام : جمع اجمة وهي الشجر الكثير الملتف . والاغوار : الكهوف . اشارة الى سفر طرود النحل .

نشبتْ معاركهنَّ بين طوائف
هُنَّ اللصوص ومذبحٍ لذكارِ[1] !
قترى الطبيعة في قساوة برّها
بالاصلح الأبقى وبالمغوارِ
وكذا الحياةُ تجددٌ وتهدُّمٌ
وتقدّمٌ وتأخرٌ لمرارِ ... ! »

***

وهنا افترقنا والصديقُ يقول لي :
ما اعجب الدنيا لعقلِ دارِ!

(١) الذكار : الذكور .

أمتع الانس

لذة الحب المعنوي

تُسائلُني عن أمتع الأُنس لذَّةً
وما الانسُ حقّاً غير إيناس غانيَهْ !
تنازلتُ طَوْعا عن وُعودٍ بجنّةٍ
لساعةِ صَفْوٍ منكِ بالحبّ غاليهْ !
جَمالٌ وتحْنانٌ وتيهٌ ورقّةٌ
وعطْفٌ واحياءٌ لأحلى أمانيَهْ
تَفَنَّنتِ فيها عن غرامٍ وسَكْرَةٍ
وأنعشتِ رُوحي من قطوفكِ دانيهْ
وما الحورُ والولدانُ في معرض الهوى
وأنتِ مَنال اللذّةِ المتناهيَهْ ؟!
ففي كلّ جزءٍ منكِ حُسْنٌ يشوقُني
وفي كلّ مرْأىً فاتناتٌ مُواليهْ
وفي كلّ لفظٍ خفّةٌ أو رَشاقةٌ
تجدّدُ من أحلاميَ المتفانيهْ

وفي غُنجكِ[1] الوثّاب أحكام ثورة
تهزُّ شجيَّ القلبِ من كلّ ناحيهْ
وحقّكِ كم جدَّدْتِ بالوصل مهجتي
نعيماً ، وكم أضحتْ ببعدِكِ فانيهْ !

الحلم

اذا عِبتَ حِلماً فالذي أنتَ عائبٌ
شَبيهُ سُكونِ النُّور في كلَف[2] الشمسِ !
وللنَّفْسِ ثوراتٌ تشعُّ بحرقةٍ
ولكنْ سلمَ النّفس أفعلُ في النّفسِ !

---

(١) الغنج : الدلال . قال ابن سهل :
بعض المحاسن يهوى بعضها طربا
تأملوا كيف هام الغنج بالحور !
وقال مصطفى صادق الرافعي :
فكتابه عندي وكتبي عنده غنج الحبيب وآهة الثكلان!
(٢) يحسب علماء الفلك كلف الشمس ناشئة من خروج مواد من باطن الشمس الى سطحها فتبرّد نسبة مواضعها لانتشارها . وهذه الكلف ذوات كهربائية عظيمة محسوسة الاثر في مغنطيسية الأرض .

الضحية

الزوجة الطائشة

كم لُمْتِ حَظّكِ والُحظوظُ تَفيكِ
لو أنتِ من قدّرْتِ ما يكفيكِ !
أُعطيتِ مُلْكاً لا يُقاسُ بحُسنهِ
مُلْكٌ ، وفاتنةَ العقولِ بفيكِ !
ورَعتْكِ أحلامُ القلوبِ كأنّما
خشِيَتْ على الُحسْنِ المُخاطرِ فيك !
حتى اقْتَرَنْت بمن أحبَّكِ مثلما
أحبتهِ ، فَغنِمْتِ خيرَ شريكِ
ماذا دَهى ذاك الغرامَ فلمْ تَعُدْ
أزهارُهُ تُحييهِ أو تحييكِ ؟ !
ما عابهُ إلاّ جمودُكِ غالباً
فاذا مَدَى السُّلْطانِ ما يُشقيكِ
وطلبتِ ما نَثَرَ (المعزُّ) وانْ يكنْ
أولى بإبقاء لعهدِ بنيكِ !

وهدمتِهِ بينا هو الناعي لما
يَبنيكِ أو يُغنيكِ أو يَهنيكِ
لو كنت حاكمةَ المماتِ هكذا
لَخُلِعْتِ دونَ ثناءِ مَنْ يُغريك!
وكذا نسيتِ عناءه وجهاده
ليراكِ تاجَ الأُنسِ في ناديكِ
وبخلتِ بالبَسماتِ [1] فهي عزيزةٌ
لفتاكِ ، وهي رخيصةٌ لذويكِ
فاذا العُبُوسُ أرقُّ ما يَحظى به ...!
أكذا يكونُ جزاءُ مَنْ يَفديكِ ؟!
يشقى سعيداً في سبيلكِ ناظراً
لسعادةِ الأحلامِ مِنْ ماضيكِ
فاذا الحقيقةُ مُرّةٌ وأليمةٌ ...
مَنْ يحسب العصيانَ ما يهديكِ ؟!
ولكم هجرتِ المنزلَ الباكي الى
ملهىً ، وبيتُكِ مثلُ عرشِ مليكِ

---

(١) البسمات : الابتسامات ، وهي مصرية الاستعمال .

وتخذتِ عُذرَكِ للفســـادِ زيارةً
لابيكِ ، حتى ضاعَ رُشدُ أبيكِ !
أو صُنتِ كلَّ شكايةٍ وعرضتِها
لِتُنغّصَ الزّوْجَ الذي يَحْميكِ
فيظلُّ محروماً من النُّعمى ومِنْ
سلوى الحياةِ لعاملٍ منهوكِ
وترَيْنَ أنتِ العيْشَ بؤساً آخراً
وهو الأنانيـــةُ التي تُبكيكِ
لو كنتِ عاقلةً لصُنْتِ نعيمه
بحنانكِ المطبوعِ والمملوكِ
وكسبْتِ غايةَ ما يلذُّكِ مِنْ رضى
عيشٍ ومن حُبٍّ لديكِ ضَحوكِ
فلديكِ مفتاحُ السعادةِ كلّها
لـكنما أخفـاهُ مَنْ كذَبوكِ
فسلي محبكِ للوئام وفتشي
بجديه بَسْمةَ ثغْرِكِ المحبوكِ (١)

(١) المحبوك : البديع . والضمير في « بجديه » عائد الى المفتاح ، وبسمة ابتسامة ، وهي مصرية الوضع . قال شوقي بك :
ومن تبسم الدنيا اليه فيغتر بمت كقتيل الغيد بالبسمات

منيرة الامل

الخطاب موجه الى الآنسة منيرة هانم ثابت صاحبة جريدتي «الامل» و «البوار»

بَسَمْتِ فجدَّدْتِ حُلوَ الامل
وأطلعْتِ بالـــــبرّ نجماً أفلْ
وأثبتِّ أنَّ الـــكمالَ العملْ
ولا قدْرَ للحسنِ حيثُ امتثلْ
وما بمتاعِ الحياةِ الفَخارْ!

****

وثُرْتِ فيا نِعْمَتْ الثـائرهْ على الُخططِ الرَّثَّةِ الجائرَهْ
فعيشي لجنسِكِ يا آسرَهْ مخلّصةً ، وارفعي قادرَهْ
لواءَ المساواة أبهى منارْ!

***

(منيرة) قدرُكِ أن تُشرِقي فَجُودي لنا بالهوى الخالقِ
(لمصر) وللأدبِ الشائقِ وللعلمِ والمنطقِ الصادقِ
وللغانياتِ — الأماني الـكبارْ!

***

(منبرة) فيكِ معاني(الثباتْ) ومنكِ رأينا لَظى النّيراتْ [1]
فما كانَ لطفُكِ في الحادثاتْ ليمنعَ نيرانكِ القاسياتْ
من الانتصارِ لا سمى شعارْ!

***

فكوني كما شئتِ في نصر حقْ
فبالحقّ يعتزُّ أسنَى الخلُقْ
وكالشّمسِ في القطْبِ [2] لا للشفَقْ
نهايةُ نورٍ لها إن دَفقْ [3]
ولكنْ ليُحيي ثلوجَ البحارْ!

***

ويا مَنْ أهابتْ بأخوانها حفظْتِ (لمصر) وغاداتها
مُحرَّرةً منْ مَبرّاتها وفاءُ الحجا قبلَ عاداتها [4]
على «أملٍ» زانهُ «لسبوارْ» [5] !

---

(١) اشارة الى اسلوبها الكتابي الحماسي الحار .
(٢) للشمس عند القطب مق ظهرت اشراق متواصل (٣) دفق: انصبّ . (٤) اي قبل العادات المعهودة : (الضمير عائد الي مصر) .
(٥) «لسبوار» كلمة فرنسية معناها : الامل ، وهو الاسم الذي اتخذته لجريدتها اليومية الفرنسية .

نظرة واقتباس

نظرةً ... انَّ نظرةً منكِ تكفيـ
ـني حياةً وصحةً واثتناسَا
واسْمحي أن أطيلَ نجوايَ بِرّاً
بفُؤَادي الذي لهجرِكِ قاسىْ
كم يفيضُ النَّعيمُ من نور عَيْنيْ
كِ فلا تمنعي لروحي اقتباسَا !

قلبي الخفوق

نامتْ على قلبي الخفوقِ كأنّما
لمحتْ به داعي الهوى يدعوها
وتسمّعتْ تأثُرًا لشكاتِهِ
فاهتزّ من طربٍ وقُبّلَ فوها[1] !

---

(١) أي قبله القلب .

أبناء الشمس

قيلت شكرا لاهالي السويس في حفلة تكريمية للشاعر (بفندق باير) - برئاسة سعادة المحافظ - قبيل رحيله الى بور سعيد في اكتوبر سنة ١٩٢٥.

بِرغمِ الهوى أن أبُثَّ الوَدَاعَا
وإنْ فاحَ بالشُّكْرِ طِيباً مُذاعَا
فقد نِلْتُ منْ لُطْفِكُم كلَّ أُنْسٍ
وأهديتُمو لِبياني الشُّعاعا
ولا غروَ في بلدٍ نورُهُ
كريمٌ يُغَذِّي الحِجا واليراعا
ولا بدعَ ممنْ له أهلُ شمسٍ
وأبناؤُها كنجومٍ تُراعَى
عرفتُ به في طوالِ الشُّهورِ
قصيرَ النعيمِ شهيًّا ، فضاعا...
فكم كنتُ أرقُبُ من بحرِهِ
ومِنْ رَمْلِهِ ما يُظَنُّ الخداعَا!
ومنْ صُوَرٍ للنخيلِ العزيزِ
إزاءَ القناةِ حكينَ القِلاعَا!

مشاهدُ مِن حُسنهِ معجزاتٌ
قنعتُ بها فأبينَ القِناعا !
وكم شاقني فجرُها والغروبُ
كأنّيَ اُعطيتُ مُلكاً مُشاعا !
أُقلّبُ طرْفيَ مِن منزلي
فأحسبُ أنّي أشيمُ اختراعا !
عجائبُ مِنْ فاتناتِ الشعورِ
لبِسْنَ مُطيعَ الحُلَى والمُطاعا
كأنَّ نفائسهـــــا المستحيل
فهل كان تركي لها مُستطاعا؟!...
أُودّعكمْ مثـــــلَ توديعها
وما كنتُ فيه الجريءَ الشُّجاعا
أُودّعـــــكم بالفؤادِ الخفوقِ
بذكرٍ تجلّى لقلبي تِباعا (١)
وما كان إلاّ الوفاء الجميلَ
وهيهات ينســـــاهُ مهما تداعَى !

***

(١) تباعا : متتابعا .

فيا أسرفَ [1] الناسِ عند السخاءْ
فلمْ أرتقبْ للسَّخاءْ انقطـــــاعَا !
تجاوزتمـو حدَّ غالي المديحِ
وقد يعثرُ الحبُّ فيه آندفاعا
وُجدتمْ بتكريمِ قلبي الصغيرِ
وأنتمْ أحقُّ ، فحسبي آمتناعا !
وحسبُ المُنَى في وَداعِ الرّفاقِ
حنينُ الخليـلِ لهنّ التياعا
وما المرءُ الاّ سُنونٌ تُعَدُّ
ورِحْـلَةُ ناءٍ أطـال الشّراعا !

(١) يقال سرف القوم أي جاوزهم .

يا مهجتي لا تندمي ...

يا مهجتي لا تندمي
حسبي النوى فلترحمي !
أحلى المنى أن تنعمي
إنّ الهوى من مغنمي
من روحه معنى دمي !
رغمَ القضاء المبرَم
رغمَ العذاب المحكم
رغمَ الحنين المؤلم
فاستصبحي (١) واستعصمي
وسلي الطبيعة تبسم !
وكأنّها نجوى فمي !
مرآتها سلوى الظّمي
ولها كلانا ينتمي !
فترنّمي وترنّمي !
ودعي ملامَ اللّوّم
وتبسّمي أتبسّم !

(١) الاستصباح : الاستضاءة كناية عن التأميل في ظلام الشدة

رثاء يتجدد

أعد صاحب الديوان هذه القصيدة لذكرى والده فقيد الوطن المرحوم محمد أبي شادي بك في حفلة تأبين عامة بمدينة السويس، وقد تسلمت الحكومة الاتحادية فالفتها قبيل عقدها.

أرثيكَ والحبُّ الصميمُ رثائي
فيُقِل (١) دمعيَ مَدْمَعُ العلياءْ
ما كان يُعوزكَ الرثاءُ من العُلى
بل كان يعوزُها رثاءُ إباءْ
وأنا ابنك الوافي أجلّك هائباً
لكن تشجعني فروضُ وفائي
أرثيكَ من لُبّي وكلّ مشاعري
وعواطف الملأ الكريمِ ازائي
ومن المآثرِ قبل برّ بنوتي
ومن اغتراب خلالك السمحاءْ
ومن الوفاء (لمصر) .. ابنٌ بكاءها
يقضي بفرط تفجُّعي وبكائي

---

(١) يقل : يجعله قليلا نسبة

****

قم يا خطيبَ (النبل) وانظرْ نظرةً
في الناس تغنِ الناسَ عن خطباءْ !
شخصيةٌ لك كان يُغني قدرُها
عن وعظ (سحبانٍ) وسحر نداءْ
قمْ في مآثرك الحسان مشجّعاً
ومكافحاً ما اشتدّ من أرزاءْ
غُيّبْتَ في العهد الذي نرجو به
أيّ الرجاء رجاحةَ العظماء
غُيّبْتَ يا أبتي وفضلك ماثلٌ
ما كان فضلُ حجاك بالمتنائي
هي شيمةُ الكرم الذي مُثّلته
أبداً يجودُ ببافيات عطاءِ
لكنّ ذاتك مثلُ روحك لم تكن
في عرفنا الاّ صفات بقاءِ !

***

لهفي على الجهد الذي أنفقته
في رفع مظلمةٍ ودفعِ بلاءْ
لهفي على الصوت الذي أرسلته
مثل القضاء يصون عدلَ قضاءِ
لهفي على القلم الذي أسديتَه
للشعبِ والاصلاحِ بالآلاءِ
لهفي على الأدب الذي أمتعته
بالخصب من عقلٍ فريد سناءِ
لهفي على الخلق الذي بك دائماً
قد ساد، لا يزهو على النظراءِ
لهفي على العلم الذي أكسبتَه
من خبرةٍ وتفنُّنٍ ومضاءِ
لهفي على الظَّرْف الجميل جعلته
وقفاً على ابداءِك الوضَّاءِ
لهفي على الودّ الكريم نذوقه
عذباً من الاخلاص والايفاءِ
لهفي على الشمم الاجلّ يخافه
طمعُ الصديق وريبةُ الاعداءِ !

لهفي على الشّيمِ الكبار أعدُّها
فينالُ مني العجزُ في إحصائي !

***

أَبتي يعزّ عليّ وقْفي نائباً
في الشكر عنكَ على كريم عزاء
هي أمةٌ تدري الجميلَ فآثرتْ
ذكراك في الحالين في الأحياءِ
وأتى كبارُ رجالها بدموعهم
جمعاً يموج به شعورُ فداءِ
وأنا الضعيفُ أراك وحياً هادياً
فيشعُّ من قلبي جميلُ ثنائي !

***

شكراً أبني وطني ! ... وان لم تسمحوا
بالشكر يوم أَسى وصدق وَلاء !
شكراً ! ... فقد عاش الوفاءُ سجيةً
شقيتْ ، فصار بكم كبيرَ رجاء !

أسمى العبادة

أسمى العبادة أن تفكّر خاشعاً
في جنسك الساعي لنصر غداةِ
وتقارنَ الماضي بحاضرك الذي
هو خطوة لغدٍ قرينِ حياةِ
فكّرْ به واجعلْ له قربانَه
ما طابَ من علمٍ وصدقِ صفاتِ
أنت المدينُ لالفِ جيلٍ سالفٍ
بالرأي والتهذيبِ والحسناتِ
وسواءٌ افترضَ الخلودُ أم الفنا
فعليك برُّ مقدرٍ ومؤاتِ
فكّرْ بجنسِكَ... إنَّ ذاكَ عبادةٌ
أولى بقدركَ ياحليفَ مماتِ!

اللّه

هوما تراهُ بكلّ حكمٍ مدهشٍ ... للكائناتِ وكلُّ ما تلقاهُ
هو جملة من قوةٍ وعواملٍ ... بنتْ الوجودَ ولم تزلْ تخشاهُ
وتظلُّ تبحثُ عن حقيقةِ كنهِهِ ... وتظلّ تجهلُ أصله ومُناهُ
والمرءُ أصغرُ مِنْ إحاطةِ عقلهِ ... بأجلّ سرٍّ جلَّ مَنْ أخفاهُ !

النبي محمد

﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾

وروحُ العلم

هدَّمْتَ أوهامَ القديمِ محرّراً
أيقالُ دينُكَ ملؤه الأوهامُ ؟!
وشرعتَ للعقلِ الحكيمِ سياسةً
ضمنتْ بقاءَ جلالها الأيّامُ
بُنيتْ على النفع الأتمّ وكلّ ما
للعلمِ ، فالعلمُ الصحيحُ قِوامُ

عقلٌ كعقلكَ لن يُبيحَ جهالةً
أبداً ، فكم سطعتْ له أحكامُ
الشَّمْسُ بعضُ شعاعِهِ وروائهِ
وله على سُرُرِ الضياءِ دوامُ
تمضي القُرونُ ولن يزولَ حديثُه
فحديثه الاشعاعُ لا الاظلامُ
تفسيرُهُ شَرْحُ الذي يقضي به
العلمُ والإبداعُ والاقدامُ
ياهادمَ الأصنامِ دينُكَ قَدْرُهُ
أن لا تمتَّ لوجيهِ الأصنامُ »[1]
بين الذين تعصّبوا وتقهقروا
وحجاكَ يا عَلَمَ الشُّعوبِ خصامُ !
هم يحسبون الدّهرَ ليس بسائرٍ
ودليلُ شرعكَ للزمانِ إمامُ
آياتُهُ بنَتْ الفخارَ ولم تزلْ
تَسَعُ الذي ترضى به الأفهامُ

---

(١) يعني الجامدين . راجع كتاب (الابطال) لكارليل وكتاب (حكم النبي محمد) لتولستوي .

مَنْ أنكرَ العِلْمَ الصّحيحَ فدينُهُ
وَهْمٌ ، وليس لمثلهِ إسلامُ !

شعر الحب

ردّدْهُ لي فهو السلافُ بعينها
أذْكتْ ولم تُتلفْ جنانَ الصّاحي
ردّدْه لا شِعْرٌ يسُرُّ بلا هوًى...
مهما تقادمَ فهو مثلُ الرّاحِ !
يحكي عن القَدَر العظيمِ وما به
يحيا الوجودُ ، وعن أعزّ سلاحِ
فاذا نساه [1] الشّعرُ كان نظيمُهُ
خُلْواً من الأملِ الجميلِ الضاحي
هو أصلُ أحلى الوصفِ ، في انغامِهِ
سُوَرُ القلوبِ ضحكن قبل نواحِ !

---

(١) تخفف نسأه بمعنى أغفله .

ليلة صيف

وليلةٍ من ليالي الصَّيفِ باسمةٍ
بأنجمٍ سطعتْ في الأُفقِ ترعانا
وقد خَلَوْنا الى الأحلامِ نجمعُنا
وللغرامِ ينادينا ويرضانا
ولا عـذولٌ غيورٌ لا يسـامحُنا
ولا رقيبٌ يؤاذينـا ويَنْهانا
الاّ الجمالُ الذي فاتتْه فاتتْه
فنِلْتُ منهُ وقد فاتته سلطانا [1] !
غنَّتْ على وقْعِ قلبي أيَّ اُغنيةٍ
أهدتْ الى الامَلِ البسّام رَيْحانا !
وقد تثنَّتْ دلالاً في ترنُّمها
فكان تمثيلُهـا الفتّانُ فنّانا !
في كلّ نظرةِ رفقٍ خمرةٌ كَرُمَتْ
وكلُّ لفظٍ يُحيّي الرّوحَ احسانا !

---

(١) يعني انه لاعذول ولا رقيب عليهما الا ملك الجمال الذي سلبه سلطانه أي حبيبته المجتمعة به.

فقلتُ : « رُحماكِ لاتخشِي مُغازلةً
فقد قتلتِ بماضي الخوفِ إنساناَ !
غَنِّي على العـودِ ياشمسي ويا قمري
فأنتِ طبٌّ له (١) إنْ ماتَ سكرانا !
تسابقُ الصوْتَ (٢) أوتارٌ مُرنّحةٌ
والقلبُ غيرانُ يخشى منه غيرانا (٣) !
كلاهُما طوْعُ إلهـامٍ برَرْتِ به
لولا أناملُكِ الحسناءُ ما كانا !
أصْغِي اليه قليلاً ربّما نطقَتْ
شغافُه بالهوى العاصيكِ كتمانا
وكلُّ خفقٍ نشيدٌ للغرام قضى
فيكِ الشهيدَ وما أطفأتِ نيرانا ! »
فقبّلَتْ موْضعاً رفَّ الفؤادُ به
وبلّتْ بدموعٍ منه أشجانا !

---

(١) يريد أنها « تحيي » العود « بجسها » له ان « مات سكران » في يدها . (٢) صوت غنائها ، كأنما أوتار العود شغفة بتحيته فتسابقه توقيعا . (٣) يقصد ان قلبه والعود يغاران من بعضهما في توقيع غنائها . راجع البيت الخامس .

كأنما رُوِّعَتْ منْ ناره فبكتْ
والظلمُ يُؤلِمُ مُشْقِي الناس أحيانا !
فلم أفق في احتراقي من معانقةٍ
الاّ أسيرَ الهوى المحسودَ عصيانا !
وللحريرِ على ثَغْري مُداعبةٌ
والثغرُ يلثمُ عاري الحسنِ حيْرانا !

ساله استفان

عَرِّجْ على (ساله استفانه) تلْقَ الحِسانَ من الحسانْ !
متموّجاتٍ بالدَّلا ل مُعطّراتٍ كالجنانْ !
منْ كلّ فاتنةِ الضُّحَى بالدُّرِّ لا بالأقْحُوَانْ (١)
في لحظها الشُّكْرُ العزيـ ـزُ، وثغرها الحُبُّ المصانْ
تَمْشي فيلتفتُ الجما لُ لطوعِها ، ويَلي الزَّمانْ !
في خفّةٍ جذّابة للناظرين ، وللبيان !

(١) الاقحوان : نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة تشبه بها الاسنان الجميلة ، واحدته اقحوانة.

وتحيّةٍ غـــلاَّبةٍ في صَمْتِها، ولها مَعـانْ!
ورشـاقـةٍ لا تنتهي مـلءُ العواطف والجَنـانْ
هي والنسيمُ على مزا حِ وتفانٍ في افتنانْ!
ولهـا الحريرُ دثارُهـا في رقّةٍ بل في تفانْ!
حُوريّةٌ لولا الهوى أغوتْ بهِ عاصي العِنانْ!

* * *

ثم آنثنتْ ـ يا حُسْنها ـ تَبغي السّباحةَ في أمانْ
في ثوْبِ خاشـيَةِ الثيـا بِ، وبِرّ مُكْرَمةِ العَيانْ!
الثوبُ يسكرُ مِنْ غرا مِ، وهي تنثرُ مِنْ دِنانْ![1]
قَطَراتُ مـاءٍ مالحٍ يَهوى تذوّقَها اللسانْ!
هي خمرةٌ مِنْ جسمِها وعصيرُ أضواءٍ حِسانْ!

* * *

ثم ارتمتْ في البحرِ رَمْيَ الدُّرّ لا رَمْيَ الهوانْ!
تتسابقُ الامواجُ في تقبيلها قُبَلَ الحنانْ!
وعناقِها طوراً برفْـ ـقٍ ثم آناً في احتضانْ!
وهي الأميرةُ لاتخـا فُ فمُلْكُها إنسٌ وجانْ!

---

(١) الدنان : جمع دن : وعاء للخمر .

حتى تُنيلَ الكونَ ما يُحْييه من هذا الكِيانْ !

***

لو دامَ صفوٌ هكذا ما جازَ لي لَعْنُ الزَّمانْ !
أو عاش حُسنٌ طاهراً ما غَيَّبَ النُّورَ الدُّخانْ !

تعريف الجمال

يا حبيباً لم ندْرِ ما أنسابُهْ
كلُّ ما همَّنا سريعاً طِلابُهْ !
لستَ الاَّ الذي يُعيدُ الى العقـ
ـلِ صفاءً جنى عليه احتجابُهْ
أنتَ حَيٌّ في كلّ شيءٍ كريمٍ
مستعزٍّ وفاتُهُ حُجّابُهْ !
ومحال أن يحصرَ الوصفَ جزءٌ
منكَ لم تنتشرْ له أسبـــــابُهْ !

كلُّ ماشاقَ في اتّساقِ لذهنٍ
أو لعينٍ اليكَ كان انتسابُهْ

الشباب

أبداً يُلامُ وفي طليعة مَنْ رَثَوْا
فُقدانَ ماضيهمْ بهِ لُؤَامَهُ !
ولهُ الوجودُ بصفوهِ وبضدّهِ
سيّانِ والنُّخَبُ المُنَى خُدَّامُهُ
ولهُ الوثوبُ بلا سلاحٍ فاتكٍ
فيفلُّ من عقباتهِ إقدامُهُ
ولهُ التبسُّمُ في الصِّعابِ كأنما
من نورِ بَسْمَتِهِ يُرَدُّ ظلامُهُ
ولهُ الحنينُ الى الحياةِ جديدةً
فيُعيدُ مفقودَ الحياةِ غرامُهُ
ولهُ الرقيقُ من الشُّعور حبائلاً
للحسنِ صِيدَ بها وهانَ مرامُهُ

ولهُ التدفُّقُ في مجالِ حماسةٍ
فتسيرَ في تيارها أعلامهُ
ولهُ الثباتُ على المكارهِ كُلّها
إنْ شاءَ ، والصبرُ العظيمُ حسامهُ
ولهُ الغرائزُ حيَّةً في موقفٍ
الشّيبُ فيهِ تخونهُ أعوامهُ
ولهُ الغدُ البسّامُ حتى إنْ وفى
ناحَ الشبابُ وضُيّعتْ أحلامهُ !

الحظ المعكوس

اذا أنتَ لم تظفرْ بحظّكَ دافعاً
لهُ الثمنَ المعقولَ لن يغتدي حظاً
وكم من مجالٍ للملاهي طَرَقْتَهُ...
وما كان الاَّ أنْ تروم َ به وَعْظاً
وتحيي « مسرّاتٍ » لتُفني فضيلةً...
فيا عجباً للّهوِ ممنْ جَنى فَظّا!

تمتَّعْ كما شاء الهوى في مكارمٍ
وصُنْ لكَ نفساً عن مساوئه حِفظاَ
ففي الكونِ منْ كلّ البدائعِ مُطرِبٌ
من الزَّهْرِ للحسناءِ نعبدُها لحظا
وفيه من الآلامِ كلٌّ مبدّدٍ
لمن جُنَّ في الاسراف لايتَّقي بهظاَ!

الفقر اسراف

واذا سألتَ : « لِمَ البقاءُ لفاقةٍ ؟ »
نُبِئْتَ : علةُ عيشها الاسرافُ!
ما اليُسْرُ بالدّخلِ العظيم وانّما
بالقُنع ، يُتلفُ برّه المتلافُ
فاجعلْ مَقاسَ العيش فرضَ ضرورةٍ
لا الزّهوَ ، غايتهُ هوىً وهتافٌ

واذا أبحْتَ ضياعَ مالِكَ فادّكِرْ
وطناً له حقٌّ عليكَ يُخافُ
فالشعْبُ ثروتُهُ غِنى جُمهورِهِ
لا أن يُملَّكَ ماله« الأشرافُ» ... !

الهة الحرية

أنجَبْتِ (آثينا) (فروصةَ) دولةً
ونُسبْتِ «للجبروت» فهو أبوكِ[1]
«ولحكمةٍ» هي أمُّكِ الحسناءُ في
ظِلّيْهما رُبّيتِ قبلَ ملوكِ
فخُلِقْتِ أبدعَ من يُجَلُّ ويُشْتَهى
والنّعْمَةَ الكُبرى لمن عرفوكِ
وسطعتِ في (الغرب) العصورَ ... فهل ترى
خُبّرتِ شمسَ (الشرق) لا ترجوكِ؟!

---

(١) من معتقدات القدماء تبجيلا للحرية أنها الهة ولدت من اله « الجبروت » والهة الحكمة .

الشمسُ أنتِ بحرّها وبنورِها
فاذا اَحتجبتِ فقد اُضِلَّ بَنوك !
والدّينُ دينُكِ لا يُجزَّأُ جوْهراً
فاذا تَجزّأ ضاعَ بين شُكوكِ !

(*)

الفنون الجميلة

عتب المرجمين

لغةُ النفوس وتَرْجُمَانُ (طبيعة)
نثرَتْ على هذا الوجود جمالاَ
أتحرّمون مقالَها وبيانها
وهي التي وفتْ (الاله) تعالى

(*) تقسم الفنون الجميلة الى ستة أقسام ، وهي التصوير والحفر وهندسة البناء والموسيقى والشعر والتمثيل .

ما بين تصويرٍ وحفْرٍ شائق
وبناءُ فنّانٍ كساهُ جلالاَ
وحياة انغامٍ تزيد حياتنا
طولاً وشعرٍ بالشعور تـلالاَ
وبديعِ تمثيلٍ يقـرّب ماضياً
ويعيدُ أحوالاً لنا أمثالاَ
هي خيرُ استاذ يعلم جاهلاً
معنى الوجودِ حقيقةً وخيالاَ
فاذا قضيتمْ أن تموتَ قتلتـمو
سرّ النبوغ لمنْ يريدُ كمالاَ
وأضعتمْ الجيلَ القريرَ بنهضةٍ
أوْلى بهِ وقتلتمو الآمالاَ!

روح الموسيقى

من الروايات المعروفة أن شيخا غنيا سمع صوتا جميلا في غابة يطل عليها قصره ، فلما فرغ المغني طلب اليه أن يعيد اللحن فأبى ، فوعده أن يعطيه كل ثروته اذا فعل ذلك ، فأطاعه . ولكنه ما كاد يتم ترديد أغنيته حتى لفظ الشيخ النفس الاخير ، فاستولى المغني على ثروته ...

****

قَنِعْتَ من الدُّنيا بلحنٍ مرَدَّدٍ
وودَّعتها لمّا طَرِبْتَ له سَمْعاَ
كأنّ شجيَّ اللحنِ رُوحٌ مجدّدٌ
حياةً لمن يهواه مستلماً طوْعاَ
فمتْ هانئاً فالمـــوتُ أهنؤه غِنًى
وَمنْ ذاقَ أهنا الموتِ لنْ يشتهي رجعاَ!
وكم مُذْرِفٍ دَمعاً لحزنٍ وحولَهُ
من النَّغمِ البسَّامِ ما يُـكرمُ الدّمعا!
فانَّ مُوسيقَى الحيـــاةِ كفيلةٌ
باسعاد من يُشْجَى وتجديدِ من يَنْهَى!

هي الجوهرُ الا كسيرُ والشّعرُ صورةٌ
لها تمنعُ الاسقامَ منْ سِحرِها مَنْعاَ !
وما مات منْ ينعاهُ أثناءَ موتهِ
وفيٌّ من الأنغامِ كان له شَرْعاَ !

نظرات

لا تهابي الجمالَ إنْ همَّ يا عَيْـ
ـنُ فانَّ الجمالَ جَمُّ الحنانِ !
نظراتٌ اليكِ قد بثَّها الحُسـ
ـنُ أضاءتْ بها أُلوفُ المعاني !
مِنْ غوانٍ مُداعباتٍ حَوانٍ
يَتَهادَيْنَ بينَ رانٍ ورَانِ
راوياتُ القلُوبِ منْ أعذَبِ الشَّهـ
ـدِ كما أترَعَتْ حِسانُ الجِنَانِ
أُنظري ! أُنظري ! فما العيشُ إلاَّ
لذَّةُ العطفِ منْ عُيونِ الحسانِ !

الفردوسي

شاعر ايران العظيم و « هومير » الشرق

شـــابَ الزّمانُ وماتتْ الاعوامُ
وحجابكَ حيٌّ لم يَرُعْهُ حِمامُ !

يافيلسوفَ (**الشرق**) غير مُدافع
(**هومرُ**) إنْ يُكْرَمْ فأنتَ إمامُ
أبدعتَ (**تذكرة الملوك**) كأنّها
(**انجيلك**) المتلألئ البسّامُ
سجدتْ لها (**الابازة**) الغرّاء ما
سجدتْ لمعجزِ شعرِكَ الاقوامُ !
إنْ يرفعوكَ الى النّبوّة مابهمْ
مَسٌّ ، فقد أوْفى بكَ الالهامُ !
فالوصفُ عندكَ أيُّ خَلْقٍ مُبدعٍ
ولكَ النّسيبُ من الخلودِ غَرامُ

مِرْآةُ آياتِ الطبيعة : أهلُها
وجِنانُها والطَّيرُ والآكامُ !
تتدفّق الأحلامُ من أوضاعهِ
وتسيلُ من ألفاظهِ الأنغامُ !
دانَ (المجوسيُّ) بهِ ويُشْفِقُ أن يرى
منهم مُغالاةً بهِ (الاسلامُ) !
و (الفارسيّة) قد تعظّم تاجُها
بفريدِ عقدٍ لم يَجُزْهُ نظامُ
ألفٌ من الأعوام كرّتْ والسَّنا
باقٍ ، وللألقِ العزيزِ دوامُ !
وكأنّه الرَّدْيومُ يلبثُ دَهْرَهُ
منه الأشعّةُ : قوّةٌ وضِرامُ !
وصْفٌ وفلسفةٌ ومعنًى مطربٌ
فلكلِّ نفسٍ في مُناهُ مَرامُ !

***

مثّلتَ للدّنيا الملاعبَ كلّها
وأساسُها حبٌّ بها وخصامُ

ولأنتَ أعظم من خصومةِ حاكم[1]

فلطالما عادى الحجا الحُكّامُ!

زال الظَّلومُ وانْ تأسَّفَ نادماً

وبقيتَ أنتَ يحوطُك الاعظامُ!

لم يدر حين تركتَه النجمَ الذي

ولّى فلم يُجْدِ الديارَ ظلامُ!

* * *

واليومَ ننشقُ مِنْ عبيرِكَ نفحةً

تَهْوَى وتسرق نَشْرَها الأكمامُ!

وتسيرُ من قُطْرٍ لِقُطْرٍ جائلاً

مَلِكاً على الأدبِ الجليلِ يُقامُ!

---

(١) هو الملك محمود سبكتكين الذي استمع لدسائس الوشاة فاضطر الفردوسي الى الرحيل فراراً من بطشه .

مصر للحضارة (١)

شعارنا القومي

بَنَيْنا (للحضارة) ما بناها ·

فصار الكونُ وضّاءً غنيّا

وما حُجِبتْ لنا (شمسٌ) طويلا

فقد عَرَفَتْ لنا (الشرقَ) السَّنيّا

نحنُ لنا (الحضارةُ) أينَ كانت

و (للنيلِ) العظيمِ ابًا وفيّا

(١) ان شعار « مصر للحضارة » هو شعار قومي ينطبق على نشأة مصر القديمة حيث أثبت الاستاذ العلامة الدكتور اليوت سميث «ان الحضارة المصرية القديمة هي اصل الحضارة في العالم كله » ، كما انه أليقُ وأجدر شعار بتعاليم القرن العشرين ونزعة التقدم البشرية · وعلى سبيل المثال نذكر ان شعار فرنسا هو : « الحرية والاخاء والمساواة » ، وشعار سويسرا : « الفرد للجميع والجميع للفرد » : ، وشعار بلجيكا : « ان القوة بالاتحاد » ، وشعار انجلترا : « من كان حارسا لا ينام » ، وشعار هولندا : « نكافح حتى نفوز » ، وشعار ايطاليا : « الخلود والجمال والاقدام » · أما الشعار الخليق بمصر ام المدنية وواسطة عقد الشرق بالغرب فهو الشعار الجامع الوضاء السالف الذكر، فما خابت امة تبني رفعتها على اسباب الحضارة من مادية وادبية، بل من حق قدرها حتماً أن تعز .

ونحفظُ مِنْ جلالتها شعاراً
ومن أسبابها المُلْكَ القويّا
ونحترمُ الشُّعوبَ اذا وَفَتْها
ونذكرُ فَضْلَها الباقي العليَّا
فعيشي (مصرُ) سيّدةً وعيشي
فخاراً يملأُ (الدنيا) دويّا
وعيشي (للحضارة) كلَّ عَصْرٍ
كما انشأتِ (دُولتَها) مليّا[1]
فمن أسبابها أقوى حُصونٍ
تعزُّ وتنصرُ الشعبَ الأبيَّا
وفي الغدِ سوفَ لا يبقى بناءٌ
بَنَاهُ الظُّلْمُ جبّاراً عَتِيَّا

---

(١) مليا : زمنا طويلا

آلهة الجمال

لم تكنْ الأ فتاة قصدتْ
في اشتعالِ الحسنِ ميدانَ القتالْ
دِرْعُها دِرْعان مِنْ حُسْنٍ له
قُوَّةُ الاسرِ ومنْ فخمِ الجلالْ
ولهـــا أقسَى سلاحٍ فاتكٍ
في نصالٍ منْ لحاظٍ ونصالْ
يقتلُ الحسنُ برفقٍ... كيف إنْ
صاحبَ الحسنَ سهامٌ ونبالْ ؟!
فتجلّتْ قوّةَ بـــــل آيةَ
تُخضعُ الغلاّبَ بل تُفشي[1] الزوالْ
فانزوى (الاعداءُ) إذ جاء الرّدى
واذاها قد تولّتْ في اختيالْ
تطلبُ الرّاحـــــةَ من مجهودها
في (مبناهِ) نشرتْ أحنى الظّلالْ!
عند هذا (مَلَكُ الرّومِ) أتى
ساحراً... من طبعهِ السّحرُ الحلالْ!

---

(١) تفشي : تنشر

***

ثم وافى (**ملكٌ**) ذو نضرةٍ بجناحيْ فضةٍ وافي الجمالْ
في حُلَى أحلى بيانٍ شائقٍ فأجبتُهُ ولم تُبْدِ الدلالْ
وأباحتْ أن يناما في هوًى وكذاك الصفْوُ من سر الليالْ!

***

ثُمَّ جاء (**الفجر**) يُبدي غَيْرَةً
وكذا (**الأملاكُ**) [1] في لَحْنِ الكمالْ
فاستفاقا فجأةً من سمعها وهو في خوفٍ شديدٍ واختبالْ
مُزْمِعًا أن يستقلَّ هَرَبًا فأبتْ حسناؤه هذا السؤالْ
ثم قالت : « قد قطفتَ زهرتي
في وصالٍ، ما النوى شكرُ الوصالْ
ليس هذا شَرَفًا يا فاتني اي ذنبٍ لي؟ وماهذا الملالْ؟»
فرجاها ضارعًا مبتهلاً فأبتْ منه رجاءً وابتهالْ
قال : « إن أطلقتني لم تندمي بل ستُعْطَيْنَ من الدنيا المُحالْ
مِنْ خلودٍ لجمالٍ حاكمٍ هذه الدنيا الى يوم الزوالْ!»
وهنا فارقها ثم مضى ولها سلطانُ آمالِ الرجالْ!

---

(١) الاملاك : ملوك السماء أو الملائكة .

* * *

وأتى (الصبح) فلمَّا استيقظتْ ذُهِلَتْ مِمَّنْ رأَوْها في انذهالْ!
مِنْ (مُنيرد) بحثوا عنهـا فما أبصروا فيها سوى أسمى الخيالْ
عبـدوها ! ولهم عُذرٌ فكم قدعبدنا بعدهم منها(المثال)![1]

رشفة كُكتيل

رَشَفَتْ من الكُكتيل حُلْوُ شفَاهِها
فأعارتْ الكُكْتيلَ طعمَ شِفَاهِ![2]
باللَّحْظِ قبـل الثغر ينهـلُ حُسْنُها
فيزيدُ من أَلَقِ الكؤوسِ الزاهي!
وكأنمـا القَطَرَاتُ قد قَبَسَتْ بهـا
من نورهـا فتَّانةَ الافواهِ!
أصباغ قَوْسِ الشمس[3] عند سخائها
والغيثِ تجتـذب العَزوفَ اللاهي!

---

(١) اشارة الى مثال الهة الجمال الفتان المحفوظ في متحف اللوفر بباريس.
(٢) في البيت التالي تفسير للمعنى الجامع الذي يقصده الناظم بلفظ «شفاه».
(٣) قوس قزح : يشير الى الوان الخمور الممزوجة ببعضها .

هاتي مُدَامَكَ يا مُـدَامَ خَوَاطري
بـل يا وَفيَّـةَ جَنَّتي وإلَهي !
وَقْتٌ بقربكِ كانَ أشهى نعمـةً
من جَنَّةِ الآتي وآتي الجـاهِ !
مالي ووعـد المتقـين فهـا هُنَـا
بَعْدَ الحساب حَنَانُكِ المتناهي !
لاتضحـكي منّي بوعـدِكِ أنّهـا
ليـت أُدَاةَ السُّكْرِ كالأشباهِ ...
جلّتْ عن الاشبـاهِ إلاّ أنّهـا
مُزِجَتْ بخمرِ رُضَابكِ التيَّـاهِ !
خُلِقَتْ لتعْبُدَها الثُّغورُ وقَبْلَهـا
أشْرَقْتِ آمِرةً بخفضِ جبَـاهِ !

راكبة الدرّاجة (*)

يا غادةً تركبُ في خِفَّةٍ محسودةٍ لولا رشيقُ القوامْ !

(*) الدراجة هي البسكليت .

مَنْ علَّمَ الحسنَ الدلالَ الذي ... يَنْسَابُ لا يَرْعَى حقوقَ الانامْ؟!
يَشُقُّ في جمعٍ لهمْ خَطُّهُ ... لا يرهبُ الجمعَ وفَرْطَ الزِّحامْ
وبينهمْ مَنْ يشتهي ضُرَّهُ ... مِنْ غرةٍ منكِ ويهوى الملامْ!
أتعبتِ ساقيكِ بلا مُوجبٍ ... ياحسنَ ساقيكِ بوَثْبٍ يُرَامْ!
هَلاَّ تسنَّمْتَ ظُهُوراً لنا ... فكلُّنا يحملُ عبءَ الغَرَامْ!
حَمْلُكِ من أحلى ثمارِ الهوى ... و«عِبْئُكِ» البِرُّ يُدَاوي السقامْ
لكِ المُنَى في خطراتِ الهوي ... في المشيِ فتَّاناً وعند المقامْ
والآنَ قد زدتِ أفانينَها ... من أحدثِ السِّحْرِ الحلالِ الحرامْ
كأنَّما أشهرتِ (١) حرْباً فيا ... رُحْمَاكِ رُحْمَاكِ لباكي السلامْ!

الابرة الفنانة

عـلامَ وَهبْتِنا زَفْرَهْ ... وليس لخالقٍ حسْرَهْ؟!
أيشكو الفقرَ مُحْتكمٌ ... على الألبابِ من نظْرَهْ؟!
وما حُسْنٌ كحسنكِ ما ... يخافُ بفقرهِ فقْرَهْ
أرينا بعض ما يوحي ... من التطريزِ للإبْرَهْ

(١) اشهرت : اعلنت .

بدائعُ مبـدعٍ واف ٍ تَغـارُ لِخَلْقِهـا الزَّهْرَهْ!
ويرنو الطيرُ من عَجبٍ يظنُّ برسمها وكْرَهْ!
بألوانٍ إذا ضحكتْ رأى الصُّبحُ بهـا فجرَهْ!
فـلا نخشي طـويلَ اللّيـ ـل، ما الليلُ سوى قترَهْ!
وأبقِي للصَّبـاحِ منى أتى ما صُنتِ من عَبرَهْ!
فانَّ العيشَ أدوارٌ وكم للحُسْنِ من طَفرَهْ!

دار ابنه لقمانه

ولويز التاسع ملك فرنسا

وصفها العلامة الكبير سعادة الاستاذ أحمد باشا تيمور في الجزء الاول من المجلد الثاني « الزهراء » وكان الشاعر قد زارها سنة ١٩٠٩ م . صحبة صديقه الاستاذ القانوني محمود افندي عزمي من كبار رجال الضبط بمصر . وخطاب الشاعر وتقديره في مستهل قصيدته موجه الى سعادة الاستاذ المؤرخ الشهير :

بَسمْتَ ثم بكَيْتَ الذّكرَ للناسِ
كما بَكيْتُ قديماً ملْءَ أنفاسي!
فثارَ شعري باحساسي على قلمي
وما بطاقةِ مثلي دَفعُ احساسي

فاصفحْ اذا كنتَ قد وفّيْتَ في عظةٍ
دَرسَ الحكيم،فقولي وصفةُ الآسي!
لاخيرَ في الشعْرِ موقوفا علي طربٍ
وعازفًا عن بيان الفضلِ والباسِ!
ولا بشاعرِ قومٍ لا يعلّمهمْ
أسْمى الحياةِ بقلبٍ جدِّ حسّاسِ!

* * *

(دار ابن لقمان) [1] قد جدّدتَ دارَسها
بوصفكَ المُرْجع التاريخَ للناسي!
تكادُ تُخلَقُ من برّ معالِمُها [2]
رغم الزّمان وتبدو بين حُرّاسِ!
وقد صدقْتَ بما حقّقتَ من أثرٍ [3]
لكنّه وارثٌ مخبوءُ آساسِ

---

(١) هي الدار المعروف موضعها بمدينة المنصورة ، وكانت للوزير الكاتب فخر الدين ابراهيم بن لقمان ، وفيها سجن ملك فرنسا لويز التاسع لما اسره المصريون بعد واقعة المنصورة الشهيرة سنة ٦٤٧ هـ . (١٢٤٨ م .)

(٢) اشارة الى الوصف البليغ التفصيلي الذي سرده سعادة تيمور باشا، حتى كانما الدار تكاد تتجدد برأ بوصفه !

(٣) اشارة الى ماوصل اليه تحقيق تيمور باشا متفقا مع الاستاذ داريسي Daressy من أن الاثر الحاضر غير الدار الاصلية وان كان في موضعها .

كأنهُ حارسٌ كنزاً يضنُّ بهِ
وسائرٌ للمعالي أيَّ مِقباسِ !
فهو الحقيرُ الجليلُ المنتمي شَرَفاً
للتاج والملكِ ثمَّ السؤددِ الرَّاسي !

***

يادارُ عيشي على رغم الرَّدى القاسي
فخراً يشعُّ بنبراسٍ ونبراسِ !
في موضعٍ سُوِّرُ التاريخ ترقبهُ
حيرَى وترفعُ فيه جمعَ أقواسِ !
ولا تُفاخرُ منها أيُّ واقعةٍ
فقد تفرَّدْتِ في نصرٍ ومقياسِ !
وفي ظلالكِ سارتْ (مصرُ) في شَمَمٍ[1]
الى التغلُّب من حزمٍ ومِنْ ياسِ
أعجوبةُ الهمَّةِ القعساء إنْ صدقتْ
وغايةُ الصِّدْق من جُندٍ وسُوَّاسِ

---

(١) اشارة الى توحيد كلمة المصريين واشتداد عزيمتهم وحملهم حملة صادقة على الفرنسيين بعد ان كاد المصريون يهزمون شر هزيمة .

ولو درى ما بكى المأسورُ من خجلٍ!
فالشعبُ في وَحدَةٍ كالضَّيغم العاسي (١)
إنَّ الاسيرَ لبأسٍ لا نظيرَ لهُ
غيرُ الأسيرِ العثُور الخاطيء الخاسي!

***

وأنتَ يا وطني الباكي لضَيْعتهِ
بينَ الدسائسِ بعدَ الجهل والكلسِ!
صبْراً فكلُّ بلاءٍ سوف يعقبُهُ
تكافؤٌ بين إسعادٍ واتعاسِ
وإنَّ ذِكراً (لأنثى) (٢) قد رفعتَ بها
نُورَ الجلالِ ليكفينا لإيناسِ!
وإنَّ رسماً حواهُ المجدُ في حُجُبٍ
ولم يُحَجَّبْ لأبْقى دونَ أحراسِ!
هيهات يُطفي دُخانُ العسفِ شُعلتَهُ
هيهاتَ! هيهاتَ! فالدُّنيا بقسطاسِ

(١) العاسي : الغليظ القوى الذي لا يلتئي (٢) يشير الى جارية الملك الهمام والوطني الغيور الصالح نجم الدين أيوب فهي التي اخفت خبر موته وسيرت جثته في حراقة سرا الى جزيرة الروضة حتى لا تذهب قوة الجيش المصري المعنوية .

ولنْ يضيعَ جهـادٌ في توَهُّجهِ
شمسٌ، وفي خُلْدِهِ المُفْنِي لأرْماسِ!

***

وأنتِ يا (وردّة) [1] ضنَّ الزَّمانُ بها
في الشرق قدرُكِ فوق الدُّرّ والماسِ
أكسبتِ أشْرَ (لويز) [2] أيما شَرَفٍ
وتاجَ مُلـككِ من نُبْلٍ ومنْ رامسِ
بكى دماءَ (لنجم الدين) فارسِهِ
فجئتِ آسيـةَ في بأسِ فرّامسِ
وعاشَ فضلُكِ وضّاءً يُشجّعنـا
بين المـآتمِ مزْجينـا لأعرامسِ
حتى نُعيـدَ جـلالاً صار غائبهُ
يشْتاقنا شَوْقَ (لورين والزاس) [3]

---

(١) يشير مرة أخرى الى جارية الملك، واسمها (شجرة الدر). (٢) هو لويز التاسع ملك فرنسا الملقب عند قومه بسان لويز Saint Louis اي القديس لويز . ولد سنة ١٢١٥ م وتوفي سنة ١٢٧٠ م من وباء قضى عليه وعلى جيشه وهو محاصر لتونس في الحرب الصليبية الثامنة .
(٣) يضرب المثل بلورين والزاس في وفاء التبعية .

نحنُ الأحقُّ بسيراتٍ يُرَدّدها
جيلٌ لجيلٍ ، وأقمارٌ لأشماسِ (١)

ارقصي ياغادتى ...

أبيات ارنجالية

أُرقُصي يا غادتي ! أُرقصي يا فاتنَهْ !
أُرْقصي في حُسْنِ اخْـ ـسانٍ وعطفِ المُحْسنَهْ !
وآنشري الأحلامَ تَفْـ ـن الحسراتِ المزْمنَهْ !
أُرْقُصي يا مهجتي ما شئتِ لا مستأْذِنَهْ !
إلاَّ من القلبِ الذي ناجاكِ قبلَ الألْسنَهْ !
إلاَّ من الأنفاسِ لم تصبرْ فعُدَّتْ خائنَهْ !
إلاَّ من الاشواقِ منْ كُلّي تبـاعاً هاتنَهْ !
إلاَّ من الآمالِ في مرآكِ نَشْوَى آمنَهْ !
أُرقصي ثم آرقصي أوْفَى الحياةِ الرَّاهنَهْ !
وآستجمعي الدُّنيا بما أسْدَيْتِ ، لكنْ دائنَهْ !

(١) أشماس : جمع وضعي لشمس .

الايمان

والعلم الشرعي

مَنْ كان يعلمُ عِلْمَكُمْ أصلَ الحياةِ ومُنْتَهاهَا
لاشكَّ يُوقنُ أنّ في ا! دنيا وفي الأُخرى إلاهَا
فاعفوا عن الفرْدِ الذي ما فاتَ في بَحْثٍ دُجاهَا
يَسْعَى الى عِلْمِ الحقيـ قةِ ، ما نَمَلّكهُ سواهَا
ويظلُّ يدأبُ وهو يجـ هلُ ما الحياةُ وما عداهَا !
ما الكفرُ إلاّ حالةٌ لِمُنَقّبٍ صدقًا تناهَى
كالليلِ يتبعه الصَّبا حُ فيستذلُّ لنا الجباهَا
ولربَّ كفرٍ صادقٍ خدمَ الحياةَ ومَنْ بَنَاهَا!
فالشكّ مدعاةُ الدرا يةِ ، والحقيقةُ في حِمَاهَا!(١)

اليأس

اليأسُ إحدى الرَّاحتين فانّه
بُرْءٌ من الشَّكّ العَتِيّ (٢) الجاني !

---

(١) في حماها : اي في حمى الدراية والعرفان (٢) العتيّ الجبار .

والرأحةُ الاخرى الرجاءُ ، كلاهما
مُتناوِبُ الاحسانِ للانسانِ !

أطفال الرجال

ينونُ (١) خيرَ رجالِهمْ أطفالَهمْ
ونَظَلُّ نحنُ نشابهُ الاطفالاَ !
فعلامَ نعجبُ إنْ تثلَّمَ مجدُنا
واذا الجَنيبُ (٢) أذلَّنا وتعالَى ؟!
والبيتُ مدرسةُ الحياةِ وأصلُها
يُنمي جمالاً أو يَصوغُ رجالاَ !
فاذا تعثرَّ بالجهالةِ أهلُهُ
هيهات أن يُعطِي سواهُ كَمَالاَ !

(١) يشير الى الغربيين. (٢) الجنيب : الدخيل .

آخر بني سراج

رواية الفيكونت دوشاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير

كانوا مُلوكاً منارُ الشمس رايتُهُمْ
حتى تدلَّوْا لِسَقْطِ اللَّهْوِ غافينَا
فضيَّعوا دولةً كان الجلالُ لها
ديناً ، فلم يُنصفوا مُلْكاً ولا دينَا !
حضارةٌ قد نماها العلمُ مزدهراً
ولم يزل ضَوْؤُها البسَّامُ يَسْبينا
ونفحةٌ من جمالِ العُرْبِ خالصةٌ
أهدتْ الى المُلْكِ والدّنيا رياحينَا !
وعمَّرتْ في قرونٍ عن ثمانيةٍ
ما لا يزالُ مديدَ العمرِ هادينا !
ما بين عتبٍ وتحنانٍ يسائلنا
وبين وجدٍ وإشفاقٍ يناجينا !
لَبَّاه قبلاً فتى من أهل عزَّتِهِ
ممن جَلَوْا عنه في الضَّراءِ باكينَا!

وكان شهماً عظيمَ النفسِ من نَسَبِ
(بنو سراج) الأُلى عاشوا ميامينَا

فسار حجاً الى آثارِ أُمّته
وأكرمُ الحجّ ما يُوحي ويُشجينَا

تهزّه الذكرياتُ النائحاتُ ، وكم
ننوح للذّكرِ من مفقودِ ماضينَا

ولم يزل باحثاً والقلبُ يرشدُهُ
والدَّمعُ يسعفُهُ شوقاً وتأبينَا

حتى أتاهُ الهوى عَفْواً يتيّمُه
والحبُّ لا يرتضي عُذراً ولا لينَا !

مِنْ شمس (غرناطة) الغراءِ إذْ طلعتْ
له ، فبادلها عشقاً أفانينَا

حتى تجلّى له ما أصلُ عنصرها
مِنْ (آل بيثار) من أشقوْه قاسينَا

وبدّدوا أهله في كلّ ناحيةٍ
وذلّلوا بالدمِ الجاري الأعزّينَا

فلم يُطعْ قلبَه عرفانُ واجبِهِ
أو أن يُهينَ دماً في الأسر ماهِينَا
وسار تذكارُهُ الباقي لنا مثلاً
يوحي لنا خيرَ ما يُحيي أغانينَا !
وما يبثُّ المنى فينا ليوم غدٍ
وما يحرّك آياتِ العلىٰ فينَا !

واجب الفن

مِنْ واجبِ الفنِّ تصويرُ (الحياة) كما
تُرَى الحياةُ بآمالٍ وآلامِ
لايتركُ الشرَّ منبوذاً لخشيتهِ
أو يرسمُ الخيرَ سلطاناً بأحكامِ
بل يرسمُ الدّينَ والدُّنيا كما ظهرا
في مَظْهرٍ ساقطٍ أو مَظْهَرٍ سامِ
وفي تضاعيفهِ للحقِّ منزلةٌ
هى الحياةُ تناجي عطفَكَ النّامي

كذاكَ مِنْ واجبِ الفنّ الصحيحِ هُدَى
هذي النفوس وإرواءُ الهوى الظّامي
منهُ الضّياءُ لألبابٍ محيَّرَةٍ
منه الغذاءُ لأرواحٍ وأفهامِ
يمثّلُ (المثلَ الأعلى) فينقلها
من عالمٍ مُجْدِبٍ للعالَمِ الهامي[1]!
ومِنْ حياةٍ بها ضعفٌ وسخريةٌ
الى بقاءٍ تجلّى فوقَ أجسامِ!
ومِنْ متابعةِ الأهواءِ في زَلَلٍ
الى قَداسةِ إحسانٍ وإنعامِ!

نسب الشعر

دَعُوا المديحَ بألقابٍ مُنمَّقَةٍ
فانّ لي غنيةً عن جمعِ ألقابِ

---

(١) الهامي : الكريم .

حسبي انتسابي الى شِعْرٍ أبثُّ بـه
رُوحَ الرجاءِ لأفنـانٍ[1] وآدابِ
عرضْتُهُ في مجـال النَّقْدِ مغتبطـاً
عَرْضَ الرياحين لم تأبهْ[2] لأعشابِ
أزاهرٌ لم تدعْ رُوحاً بلا هِبَةٍ
منها ، وما ظلمتْ أحـلامَ ألبـابِ !
كأنمـا خُلِقَتْ أهـلاً لتضحيـةٍ
وناشراتِ التَّحايا عنـد أربابِ !
فلن تبثَّ الهوى إلاّ لذي شغفٍ
ولن تُخَيِّبَ فيهـا رأيَ إعجـابِ !
رَضِيتُ بالنَّـاقِديهـا جُهْدَ طاقتهمْ
فانّهم ان يضيعوا غـيرَ جلبـابِ !
وما أُبالي أجاءَ النَّقْـدُ من عَلَمٍ
أم جاء من عاجزٍ مُسْتَصْغَرٍ هابِ[3]
قلن أكونَ زميلاً للغرُور ولن
يكونَ مني اعتدادي ضَلَّةَ الآبي

---

(١) أفنان : فنون . (٢) تأبه : تلتفت وتحفل . (٣) الهابي : الواهن.

ولن ينالَ الأَحَدُّ النَّقدُ من أدبي
معنًى وحِسّاً وفكراً ليس بالخابي !
جوامعُ الشّعْرِ ، لا لفظٌ يقامُ بها
وإنْ تحاملَ جَهْلاً كلُّ مرتابِ
وكم ضَحِكتُ باشفاقٍ على مُثُلٍ
مِنْ أعجبِ النّقدِ في أوهامِ كُتّابِ
لم يفهموا الشّعْرَ لامعنًى ولا صُوَراً
وأقسموا أنّهم أقطابُ أقطابِ !
ووزّعوا بين أهل الشّعْرِ طائفةً
من السَّخافاتِ عُدّتْ خيرَ ألقابِ !

رسم الطبيعة

لاتنهروني لتصـــوري محاسنَها
إنّ الطبيعةَ إلهامي وأُستاذي !
أو تنكروا صوتَها الوافي الى اُذُني
فربما لم تَبُحْ الاّ لأفذاذِ !

جعلتُ شعري صفاتٍ من بدائعها
فإنّما لِسَنَاها يحتـــذي الحاذي
وقد تَمَثَّلْتُها في كل ما وَهَبَتْ
هذي البَرَاعَةُ من رامٍ ومن مَاذِي (١)
صَوَّرْتُ في الشِّعْرِ إحساساً يُلاذ به
فهل تعيبون إحساني وإنقاذي ؟ !

نقد الشعر

الخطاب موجه الى أحد الادباء الغيورين من مريدي الشاعر رداً على كتاب منه.

هوّنْ عليكَ فما شعري بمفتقرٍ
للمادحين ، وما عَتْبي لنُقَّادي !
ولن يعيبَ نظيمي ذَمُّ حاسدِهِ
فإنّما يزدهي في ليل حُسَّادِي !

(١) الماذي : العسل الابيض . وتمثلتها : تصورتها .

كالنّجمِ في ظُلُماتِ الأَيلِ مشتعلاً
والماسِ في الفحم ، أو كالنّبعِ للبادي[1] !
تعسفوا بين أحكام محيّرَة
كِيانُها جَمْعُ أضدادٍ وأضدادِ !
وما دَرَوْا من أُصُول النّقدِ أوّلَها
وإنْ دَرَوْا بثّ أوهامٍ وأحقادِ !
أيحسبون أباطيلَ الهوى حُججاً
تقضي على الفكر أو تدعو لالحادي ؟!
ذَرْهُمْ فحسبي اعتزازاً أنني رجلٌ
من أخلص الشعر إنشائي وإنشادي !
وَزَنْتُ بالذّوقِ ألفاظي وأحرفَها
وَزْنَ الجواهرِ في تنسيق نقّادِ !
تناسبتْ في انسجامِ الصّوْتِ وامتثلتْ
لنغمةِ الفنّ والابداعِ للشّادي !
ومثّلتْ صُوَراً فيها مُجَسَّمَةً
من العواطفِ : مِنْ خافٍ ومن بادِ

---

(١) البادي : السالك البادية ، والشاعر يقرن مصاعب سلوكها بالظلام ووحشته ، بينما يقرن نبع الماء الغزير المتلألىء بالنور .

وكم أضاءتْ بآراءٍ وأخيلةٍ
تَهْدي سبيلَ السُّرَى في غير إجهادِ
للشعرِ والوحيِ منها مَشرِقٌ بهجٌ
وللحقيقةِ فيهـــا سرُّ آبادِ !
كأنما (نورُ اكسي) من طبيعتها
أو أنها خُلِقَتْ من سحرِ آرادِ !
وتارة همُّها إنصـــافُ فلسفةٍ
ما بين شرْحٍ وتحليلٍ وإعدادِ
كأنَّما (المجهرُ) الجبَّارُ أسعفني
أو أنها صُوِّرَتْ مِنْ عينِ (منظارِ)!
تكادُ تَلْمُسُ مِنْ نَفْسي خوالجها
فيها وترقبُ منها وَحْيِيَ الهادي !
ولم تذَرْ للجمالِ الحرِّ مَطْلَبَهُ
وصُورةً طُبِعَتْ منه على (الوادي)[1]
فانْ تأمَّلْتَ شعري كان لي مَثَلاً
أمام عينيْكَ يشدو فوق أعوادِ !

---

(١) وادي النيل .

وشِمْتَ [١] فيه رُسُومًا لافَنَاء لها
تُمثّلُ النفسَ في ألوانِ أبرادِ !
وكان فيــه لرُوح العَصْرِ نفحتها
وكان فيها الخيــالُ السَّمْحُ للصَّادي !
وتُبْصِرُ العلمَ والتّفكيرَ في صِلَةٍ
بالشّعْرِ ما بين إشعــاعٍ وإيقــادِ !
وإنْ تثابتَ في جَهْلٍ وفي كَسَلٍ
فلن تنال النَّدَى مِنْ بِرّهِ الجادي ! [٢]
ما كلُّ شعرٍ كشعري لن يُقالَ سُدًى
ولن يكون لُجهَّالٍ ورُقَّادِ
مَوْتَى الشُّعُور شُعوري لن يُصَاغَ لهم
وإنْ سمحتُ به للرَّائحِ الغــادي !
وربما كان للدهماءِ غُنْيَتُهمْ
منه ، وان كان نبراسًا لأفرادِ
وما أبالي اذا أفنى عــلى سَخَفٍ
بوأد لفظٍ سَرِيٍّ وَهْمُ أضدادي

---

(١) شمت : لمحت. (٢) الجادي : الكريم .

فما أعيشُ بألفاظٍ أنمّقُها
لكنْ أعيشُ باحساسي لأندادي !
ولي مئاتُ المعاني في جلالتها
وشائقاتٌ من الألفاظ (للضّادِ)
ذخيرةٌ لن يُذيلَ [1] الطعْنُ قيمتَها
ولن يفوتَ سَناها العاشقُ الفادي !
فَمَرْحَباً بصُنُوف القَدْحِ مُكْرمةً
فَضْلي ، وناشرةً شعري لقُصّادي !
ومَرْحَبًا بالشّريفِ النقدِ انشدهُ
فالنَّقدُ فَخْرٌ وإعزازٌ لمرتادِ [2] !
سيّانِ إنْ جاء مِنْ سَهْلٍ يُحَقّرُهُ
غيري ، وانْ جاءَ من قِمّاتِ أطوادِ !
فلي يقينٌ بانفاسٍ أرددّها
ولنْ يبدّدَها مَجْهُودُ بَدّادِ !
ولي أمانٍ الى الاتقانِ دائبةٌ
فلن يُغرّر بي اطراءُ أورادي [3]

---

(١) يذيل : يهين . (٢) مرتاد : طالب له . (٣) الاوراد : المحبون .

ولن يُثَبِّط جُهْدِي قَدْحُ ذي غرضٍ
سيانِ في الحمد أعدائي وأعضادي !
سلمتُ بالصِّدقِ في الاحساسِ مغتبطاً
والنَّاسُ ما بين أدواءٍ وفُصَّادِ !
وقلتُ للأَثمي في غير معرفةٍ
سلْ المشاعرَ (١) عن حسي وإمْدَادي!
حسي الطبيعة ملءَ الحسِّ في ادبي
معلماً أتلقى منـــه ارشادي !
في حُسنها صفوُ أشعاري أرتلها
للنابهين ، ومنها نغمة الحادي !
وهي الكفيلةُ في عيشي وفي عدمي
بأنْ تؤيدَ إخلاصي وإخلادي !
وأن تصونَ غرامي في بدائعها
وأن نجدّدَ طولَ الدهرِ ميلادي !

---

(١) المشاعر : الحواس ، وهي غريبة الاستعمال بهذا المعنى .

الانثى والمرأة

نَلْهَا[1] مهفهفة القوامِ نخالُها مَلَكاً تخطَّرَ رِقَّةً وجمالاَ
فاذا بظنّكَ أيُّ وَهْمٍ خاطئٍ ما كانتْ (الأُنثى) المثال كمالاَ!
فاذا سجدتَ لها فمثلُكَ عابدٌ من شهوةِ الجسم النضيرِ وصالاَ
دَعْها وقدّسْ قبلَ جسمِ رُوحَها بفضائلٍ تهبُ الجمالَ جلالاَ
(فالمرأةُ) الملكُ الذي في برّهِ جاءَ الرسولَ من الآلهِ تعالى!
أسمى وأحلى ـ ساعةٌ في قربها ـ من كلّ أنسٍ تشتهيه ضلالاَ!
من حكمةٍ لدُعابةٍ لتغزُّلٍ لرشاقةٍ لمكارمٍ تتلالاَ
من لفظها عَذْبُ البيانِ سلاسةٌ وشفاءُ ذي سقَمٍ يُعَدُّ عضالاَ
ولها الحنانُ مع الطهارةِ قوّةٌ تُحيي مواتاً أو تُنيلُ مُحالاَ
وبكلِّ نظرةِ عَطفِها درسُ الهوى يَهْدِي ويُنْقِذُ وَحْيُها الجُهّالاَ!
أُنظرْ لعينيها كما نَظَرَ السُّما متبتّلٌ سألَ المُعزَّ سؤالاَ!
أُنظرْ لِمَبْسِمِها الدقيقِ فكمْ به شَعَّتْ حَيَاةٌ للقلوبِ منالاَ!
أنظرْ لخدّيها اللذين تَوَرّدا بتواضعِ الأزهار لاتتعالى!

---

(١) يشير الى الانثى . وفي القصيدة مقابلة ما بين الانثى والمرأة الكاملة

أُنظرْ جبيناً ساحراً حجبتْ به عقلاً يفكُّ عن الحزين عقالا!
اَنظرْ لخفّتِها الشّهيّةِ! إنّها توحي كمالاً إذْ تفيضُ دلالاَ!
وتُهذّبُ الأذواقَ من نَفَحاتِها وتُعمّرُ القلبَ الفقيرَ مثالا!

* * *

يازينةَ الدُّنيا ومبعثَ نورها عيشي لمن عشقوا سناكِ حَلالاَ!
غنّي لنا مَعْنَى الحياةِ فانّما لولاكِ أصبحتْ الحياةُ خَيَالاَ!
عيشي معلّمةً وسودي فتنةً تَهدين حاكمةً بنا الأجيالاَ!
وارمي قيودَ العَسْفِ عنك جريئةً فلكم طرحتِ عن الورى الاغلالاَ!
ولكمْ وهبتِ من الحياةِ أعزّها تبنين للشّعبِ الضعيفِ رجالاَ
ولكمْ جمعتِ الشّهدَ كالنّحلِ الذي
يَجْني ويُعطي حُلْوَه انَحّالا (١)
وجزاؤهُ الاعزازُ حيناً ريثما
يُسدي، وكم يَلْقَى الجزاءَ قتالاَ!
رُدّي لملكِ تاجَه وتأهّبي للصالحاتِ وأرشدي الأبطالاَ
لاتسكني للأسْرِ ممن أصغروا فيكِ الوفاءَ فأصغروا الآمالاَ
هيهات تنهضُ أمّةٌ لم تعبئي بنهوضها، أو أنْ تنالَ مَنَالاَ!

(١) اشارة الى اعدام المحافظين من النحالين للنحل في نهاية الموسم بعد الحصول على عسلها.

ما كنتِ (**بالأمسِ**) الحقيرة تُزْدَرَى
بل كنتِ سيّدةً تَزين خِلالاَ !

تُحيي الرجالَ بكلّ فضل جاذبٍ وتُضيءُ من نُورٍ بها الأطفالاَ
وتُعيد للبؤساءِ صَفْوَ حياتهمْ وتدبّرُ الدُّنيا لتصلحَ حالا
وتظلُّ تعملُ في المفاخرِ كلها مهما تملَّكَ غيرُها الأعمالاَ
وتفي الحضارةَ مِنْ رشاقةِ حُسنِها سِرَّ الدوامِ نضارةً تتوالَى

* * *

يا (**بنتَ مصر**) اليكِ كُلُّ مؤمّلٍ
فدعي الخلاعةَ تنشدي الاجلالاَ
كوني (**لمصر**) الدّينَ والدُّنيا معاً
وأعطي (**لمصر**) من السموّ خصالاَ
انّا لنرقبُ فيكِ نورَ حياتنا
طولَ الزّمانِ ، ولن نرومَ زيالاَ [1] !

---

(١) زيالا : مفارقة .

عماد الامم

الحرية والاخلاق

ولم أرَ كالأخلاقِ مَظْهَرَ أُمَّةٍ
وجَوْهَرَها المُحْيي عزيزَ رجائِها
ولا مُبْدِعَ الأخلاق كالحرّية التي
تُغَذّي وتُنْمي من طَهُورِ غِذَائِها
وما العقلُ والعرفانُ في الأسر قوةً
اذا كانت الأخلاقُ صَرْعى بدائِها
فقدّمْ اذا كرَّمْتَ مجداً لامةٍ
ونهضتَها حُرّيةً لبنائِها
هي المَنْبَعُ الصَّافي لكلّ فضيلة
ومَشْرِقُ إلهامٍ وأصلُ سنائِها
فان فقِدَتْ لم يغنِ علم ولا حجَى
كما يخْنُقُ الأحياءَ مَنْعُ هوائِها

عصبة النيل

مصر والحبشة والسودان

يافاتحين بلا عَقْلٍ ولا رَشَدِ
دارَ السّفارةِ في أرضِ (البرانيلِ)
كأنما قد غدونا دولةً حكمتْ
في العالمين وساداتِ البهاليلِ [1]
هلاَّ اجترأتمْ فأعلنتمْ تملُّككمْ
لما بها دونَ تفسيرٍ وتعليلِ ؟!
كلاهما واحدٌ في الوَهْمِ لو عرفتْ
فُهومُكمْ ما معاني نهضةِ الجيلِ !
إنّ الحياةَ لكم في أرضِ مُوجدِكم
إنَّ الحَياةَ لكم في ذمّةِ (النيلِ)
فلو فَقِهتمْ لقدَّستمْ جلالتَه
ولو عَقَلْتمْ حباكمْ سِرُّ تكميلِ

---

(٣) البهاليل : جمع البهلول - وهو السيد الصالح

ما ضرّكم لو بذلتمْ خيرَ همتكم
الى شعُوبٍ له في شرّ تضليلِ ؟
جنى الجنيبُ عليهم في مطامعِه
وأنتمو في غريبِ القالِ والقيلِ !
أتبعثون سفيراً دونَ ما عملٍ
ولا رعايا له غير الأباطيلِ ؟!
وتغفلونَ سفيراً من مودَّتكم
لدولةِ (الحَبَشِ) المنشودةِ الغيلِ[1] ؟!
وتهملونَ ولو تثقيفَ ناشئةٍ
(للسُّودِ) بالعلم لا سُودِ الأقاويلِ ؟!
هيهات يبقى لكم مجدٌ ومملكة
الأ بوَحْدَتكم يا **عصبةَ النيل**) !
فأسّسُوا للغدِ الغلاّب منعتَها
على التعاونِ في صدقٍ وتأميلِ

---

(١) الغيل: الوادي الذي فيه ماء - اشارة الى نهرها والى بحيرة تسانا التي يريد الانجليز الاستيلاء عليها .

إنَّ الشعوبَ اذا جدَّتْ لغايتها
جَنَتْ(١)، ولم ترضَ أحكامَ الاضاليلِ

أبو الهول

يارمزَ (هوروس) الاَلَهِ نجلّه وآبنَ البُطولةِ والجمالِ الغالي(٢)
ما عذْرُ قومِكَ في التعجُّبِ إنْ يكنْ
عُذْرٌ لجاهل أمْسِهم والجالي (٣)
ما كنتَ لغزاً لا يُحَلُّ وإنما أُطْلِعْتَ عنواناً لكلّ كمالِ
دانتْ لك (الأهرامُ) في استعلائها
وتَظَلُّ نعبدُ وجهكَ المتعالي
رأسٌ كرأس الآدميّ مكمَّل بحفاوةٍ وبتاج كلّ جلالِ
طولَ القرونِ وما تُعَدُّفلم يكنْ عُمْرُ الالهِ يُقاس بالاجيالِ
وقويُّ جسم كالغضنفر رابضٌ فوقَ الرمالِ مُراقِبٌ ومُوالِ

---

(١) جنت : تناولت ثمرتها.
(٢) اشارة الى (اوزيريس) البطل والد الآله (هوروس) والى والدته (ايزيس) الجميلة .
(٣) الجالي : الغريب النازح

في ظلكَ الوافي (نحتمسُ) قد رأى
حلْمَ الجلالِ ووعـدَ مُلْكٍ تالِ
لم يُفْنِ شيْبُ الدّهر منك تيقّظاً
كلاَّ ولا نُوَبُ الزمانِ الخالي !
مرَّتْ حوادثُهُ الجسامُ روايةً وكأنما أنتَ الضّحُوكُ السالي!
ماين أروعِها وأغربِها مَضَتْ تلك القرونُ كمرّ بضع ليـالِ !
وتظلُّ مبتسماً بلحظيْ ساخر بالوهم والجبروتِ والجُهّـالِ !
تقضي بموتِ العابثين مُباركاً جُهْدَ الذين بَنَوْا بِنَـاءَ رجالِ
وتُحدّثُ الابناءَ لو فقهوا بما أخفيتَ من أسرار مجدٍ بالِ
وأجلُّ سرٍّ وَحْدَةٌ وتعاونٌ في رفْعِ أمتهم وحُسْنِ فعالِ
فبهاسمت (مصر القديمة) دولةً بالمعجزاتِ وأيُّ مُلْكٍ حالِ
ولواهتدتْ (مصر الحديثة) مثلها نالتْ من الآمالِ كلَّ منالِ
فانظرْ - برغم الصّمتِ أنت مفوَّهٌ -
نـظرَ الدليـلِ بموحشٍ لرمـالِ
واهدِ الذين نسَوْا فخـارَ جدودهمْ
لعظائمِ التـاريخِ غيرَ مُغَـالِ !

ساكنة الرمل

يامَنْ جعلتِ (الرمل) [١] جنَّاتِ الهوى
أعلمتِ أنّي من بعادك مُجْدبُ ؟
وافى كتابُكِ ياحياتي مثلما
وافى الحديبَ الرَّوْضَ غيثٌ صيّبُ
فنمتْ بُذورٌ للغـــرامِ أمينةٌ
تهفو لنورٍ من جمالك يُرْقَبُ
مهما حباها الشَّوقُ عَطْفَ حرارةٍ
مهما أتاها من نداك المَطْلَبُ
ما زال يُعْوِزُها ضياؤك مُنْعِشاً
ماكان يُغني عن ضياءٍ مَشْرَبُ !
أما المسرّة [٢] فهي ثالثُ نعمةٍ
مُذْ كان صوتُك للاشعّةِ يُنسَبُ ! [٣]

---

(١) هو رمل الاسكندرية المشهور .
(٢) المسرّة : التليفون .
(٣) الصوت والنور والحرارة انما هي أنواع من تموجات أثيرية .

عجباً لصبرٍ ما نسيتِ وانْ نأى
رغمَ الحنانِ الجمّ منك يُعَذَّبُ !
عجباً ! ولا عَجَبٌ فحسنُكِ عنصرٌ
كالرَّادِ[1] أكرمُ للقريبِ وأطيبُ !

الطبيب

عـذلوني عـلى الانين بشعري
في وَدَاع الصَّديقِ بعد الصديقِ !
وكأنّي لم أنثرْ الشّعرَ حِسّاً
من فـؤادٍ مُرَوَّع أو شفيقِ !
وكأنّي ما كنتُ أجْدَرَ بالعَطْـ
ـفِ وبرّ الشـقيق نحـو الشقيقِ !
وكأنّي ما كنتُ أحْمِـلُ وَحْدِي
أكثرَ الوَجْدِ في التياعِ الغريقِ !

---

(١) الراد : هو الراديوم .

وكأنّي لم أدر انّ أخا الطبْ
بِ نظـيري على شقـاءٍ وضيقِ !
أنا واللهِ ما غَبَطْـــتُ طبيباً
في دُخَانِ الوغى ونارِ الحريقِ !
كلّمـا قِيـل قَدْ تَرَقَّى (١) أراه
كسجينٍ مصفَّـــدٍ أو رقيقِ !
حَرَمُوهُ من الحيـاةِ بأعبـا
ءِ ثقـالٍ على طويـلِ الطريقِ !
فكفاهُ التَّشْجيعُ . . . كيف أهنّيـ
ـهِ بآتي الشَّقَـاءِ والتفريقِ ؟ !

* * *

يا أخي في السَّقَامِ !. . ياواهبَ الطبْ
بِ الى سُدَّةِ الجمـالِ العريقِ !
كلُّ نفسٍ لهـا لديكَ ابتسـامٌ
بينما انتَ في اكتئابٍ عميقِ !
لستَ في حاجةٍ الى بعضِ وَصْفي
إنْ تكنْ حاجةٌ فللإبريقِ !

---

(١) يشير الى الطبيب الحكومي .

فأصخْ بُرْهةً لعلّيَ أوحي
في سَوَادِ الظَلامِ بعضَ البريقِ !
يَجْمعُ النُّورَ والسُّلافَ الى الشّـ
ـرِ كأنَّ المزيجَ مَعْسُولُ ريقِ !
فلكم عِشْتَ في الأسى بينما اللَّهْـ
ـوُ يناجيكَ في حنُوِّ الرفيقِ !
وكذاك الحياةُ ضدّانِ فالصَّا
بُ زميلٌ لدى شهيّ الرحيقِ !

* * *

أنسيتَ المريضَ في العزّ والجا
هِ يُراعَى في ظلّ غُصنٍ وريقِ
لم تنلْ في الشّفاءِ منه سوى الغَمْـ
ـزِ وجمّ الأعذارِ والتّحليقِ ؟!
واذا ما اشتكى الظروفَ تخيّلْـ
ـتَ حِمَاراً شكا طفيفَ العليقِ ؟!
أنَسيتَ العذابَ في الليل مشغو
لا باسعافِ غارقٍ أو خنيقِ

ثم لمَّا عجزتَ عن بَهْتَةِ المَيْـ

ـتِ تصـــدّى ذووه للتحقيقِ ؟!

أنسيتَ الدَّواءَ تَمْنَحُهُ مَنْـ

ـحاً لعانٍ أو ذاهلٍ في مَضيقِ

فاذا الشُّكْرُ أن يُعَدَّ كما

ءِ اللَّفْتِ بُعداً عن الشفاءِ المُفيقِ ؟!

أنسيتَ الإحسانَ بالمـــال أحْـ

ـيانًا وبالجهدِ في إباءٍ وثيقِ

فاذا المُنقَذُ اللَّئيمُ يعا

ديكَ ، وقد يشتكيكَ للبِطْرِيقِ ؟!

أنسيتَ الغذاءَ تتركه جَزْ

يًا بحكمِ الأعمالِ لا التشويق

فاذا أنتَ في اتّهامٍ على الرَّا

حةِ مِن كلِّ ربِّ وجهٍ صفيق ؟!

أنسيتَ الأعوامَ مَرَّتْ على البَهْـ

ـثِ لفرطِ التغريبِ والتّشريقِ [1]

---

(١) اشارة الى كثرة أوامر النقل الحكومية .

بينما الناسُ يغبطونك للنَّقْـ
ـلِ خصوصاً بوقف التّصفيقِ ؟!
هكذا هكذا حياةُ أولي الطِبْ
بِ حياةُ الهمومِ لا التَّوفيقِ
يبلغ اليُسْرَ بعضُهُمْ في إسارٍ
ليسَ فيهمْ قرينَ عَيْشٍ طليقِ
وإذا قدَّر الوفاءُ لخيرِ النـ
ـاسِ تقديرَه (١) بِشُكْرٍ أنيقِ
فلكم غافلٍ يودُّ لو اسْطا
عَ له الرَّجْمَ أو رَدَى المنجنيقِ (٢) !

* * *

(مهنةَ الطب) قد عشقناكِ لكنْ
قد غنمنا جزاءَ غِرٍّ عشيقِ !
لم ننلْ غيرَ « لؤلؤٍ » من صديدٍ
يورثُ الخوفَ أو دماء « العقيقِ » !
ورضينا الجزاءَ في النّفسِ للنَّفـ
ـسِ شُعوراً من السُمُوِّ الحقيقي !

(١) الضمير عائد الى « بعضهم » في البيت السابق (٢) آلة حربية قديمة.

المعلم

ألقيت في حفل دراسي بمدينة بور سعيد

لم ألقَ في الدنيا عظيماً أُوفيهِ من قلبي النَّظيماَ
قَبْلَ المعلِّم مستعزْ زاً مستقلاً مستقيماَ
يَبْني لنا جيلاً كما يُحيي لنا الجيلَ القديماَ
داعٍ الى الصُّلْحِ السَّلِيـ ـمِ،(١) يردُّ بَلْسَمُهُ السَّليماَ(٢)
مِنْ غَرْسِه أضحى الرَّجا ءُ (لمصر) موفوراً جميماَ(٣)
فهو المهـــذّب والمثقْ قفُ والمثبّتُ ما أُقيماَ
الأُمُّ إنْ هي أحسنتْ كانت إماماً لا أميماَ(٤)
ليست تُكَرَّمُ للولا دَةِ بل لاصلاحٍ أُديماَ
هي والمعلِّمُ في سجـا لٍ يُغنيان به العديماَ!

***

قالوا: «هلمَّ لكي نُكَرْ رِمَ ذلك الفضلَ الكريماَ»
فأجبتُهُمْ: «مجهودُ مِثْـ ـلي قد يكونُ لكم عقيماَ

---

(١) أي الى التوفيق بين القديم والجديد. (٢) السليم: اللديغ أو الجريح الذي أشفى على الهلكة. (٣) الجميم: النبت الناعض المنتشر. (٤) الأميم (لغة): المضروب على أم رأسه، (ومجازا): بمعنى الابله.

مَنْ كان يُعطينا النُّفو سَ تملّكَ المجدَ العميماَ[1]
إنَّ المعلّمَ كيف كان نَ يمثّلُ الشّرفَ القويماَ
فالحظُّ حظُّ المحتف ينَ به زعيماً أو حميماَ !

* * *

يا مَنْ غُنيتَ عن المدي ح تلَقَّ مِن شعري نديماَ !
وأقبلْ وفاءَ الطبْ ب يعشقُ منك اعجازاً جسيماَ !

الماسونية

ألقى الشاعر هذه الابيات أمام وفد المحفل الاكبر الوطني المصري لمناسبة «تثبيت» أحد المحافل الماسونية في مدينة بور سعيد ، ورغم ما في هذه الابيات من تورياتٍ واشاراتٍ ماسونية كثيرة فانها سهلة الفهم للقاريء في مجموعها .

باسمِ (الاخاءِ) أحيّي كلَّ مأثرةٍ
فيكم وإنصافَ مغبونٍ ومظلومِ
ورفعةَ (ابناءِ) كلُّهُ شرفٌ
كأنّما قد بنتْه كفُّ معصومِ !

---

(١) العميم : التمام .

ما عابه غيرُ مَنْ لم يدرِ قيمتَه
فاعتزَّ ما بين محمودٍ ومذمومِ [1]
إنْ رَحَّبَ (المحفِلُ) الزَّاهي بطلعتكم
(فللمحافل) حُبٌّ غيرُ مكتومِ !
بمثلكم يبلغ (الماسونُ) غايتَهم
من (وَحدةِ) الناسِ في برٍّ وتعليمِ
مَنْ لي بهمّةِ (فُلتيرٍ) لأنصفكم
أو شِعْرِ (بَيرونَ)[2] في وصفٍ وتكريمِ؟!
كانا إمامَيْ حِجَى عالٍ و (فلسفةٍ)
فقسَّما العلمَ فينا خيرَ (تقسيمِ)
كأنّه (الرمزُ) للألباب يُمتِعها
على تتابعِ أجيالٍ و (تنظيمِ)!

(١) أي من الاوصاف .
(٢) انضم الفيلسوف الفرنسى الشهير (فولتير) الى الماسونية في سنة ١٧٧٨ م وانضم الورد (بيرون) الشاعر الانجليزى الطائر الصيت في سنة ١٧٤٦ م . ، وماهما الا مثلان من أمثلة عديدة «لا خوان» عظماء خدموا العلم والادب والانسانية عن طريق الماسونية منذ قديم التاريخ حتى الآن .

ولقَّنـا الناس آياتٍ و (هنـنـةً)
منْ صَفْحَةِ (السكوته) بل من سُدّة (الحجيم)
وكان مِنْ حظِّ مثلي أن يردّدَ في
هذا التَّظيمِ لكم (رمزاً) لتعظيمي !
وأن يقابلَ إخوانًا على سُرُرٍ
وفيّةٍ رغمَ تأخيرٍ وتقديمِ !
لهـا (المساواةُ) نبراسٌ كأنَّ بها
(سراً) من (الشمس) في وحيٍ وتعميمِ !
وأن يُرحّبَ شكراني بغَيْرتكمْ
وأنْ يُباركَ منكمْ خيرَ (تدعيمِ)
مفاخرٌ « أشرقَ » (البدرُ المنيرُ)[1] بها
فلم يدعْ (عِصَمَةً) كُبْرَى لتفخيمي !

(١) محفل بور سعيد الذي يندب اليه الشاعر .

جهد الاتقياء

دعوني من الماضي ومن حاضرٍ معاً
فجهدي الذي أسلفتُ أتركهُ خلفي.
وهمّي هو الآتي الذي في سبيلهِ
أُحاولُ أن أُعطي المواهبَ ما يكفي
تشبثَ غيري بالقصيدةِ فاخراً
وانّي وانْ أبدعتُ أُعرضُ عن ألفِ!
فلي مطلبٌ طولَ الحياة وما مضى
فليس له فخري المردَّدُ أو وَقْفي
قنعتُ من الدنيا بارضاء ذمّتي
ولكنْ لنصر (الفن) لن أرتضي ضعفي
سأحيا له (المُثُلَ) أعرض وحيَه
مُنوَّعَ آيات يبرُّ بها وَصْفي
وأقصدُ نفسي دائباً قدَ نازعٍ
الى (المُثُلِ العلى) البعيدِ عن الصَّلْفِ

وبينـا غرورُ الحاسـدين يسوقُهُمْ
الى النّيل مِنْ فَضْلي وللبخسِ مِنْ عَطْفي
يظـلُّ شُعُوري يمنح الشّعرَ حظّه
من الحُسْنِ والإبداعِ والعلمِ والظَّرْفِ
فأغضي عن الزّلاتِ منهم كثيرة
عفيفـاً ، وأُسديهم لنعمتِهم قَطْفي !

الجمال العصرى

لُمْ بهذا العصر لَهْوَ الكاعبِ[1]
أغدا الجمـالُ قرينةً لمتـاعبِ ؟!
لا تحرموها من بريءِ لذاذةٍ
ورياضـةٍ منحتْ جميـلَ مواهبِ
فالحسنُ في هـذا الزمان لنَضْرَةٍ
من طُهْرِ جسْمانٍ لرُوحٍ جاذبِ[2]

(١) الـكاعب : الناهد .
(٢) اشارة الى نموذج الجمال العصري الانثوي المتحلي بالنظافة والعناية الصحية الجثمانية والنفسية الجذابة .

وقد انقضى عصرُ التبرقع والرِّضَى
بالخدّ مصبوغاً وقومِ الحاجبِ
ما أجملَ الحسناءَ يقطر وجهُهَا
نوراً لإنعاشِ المشوقِ الشاربِ !
جَمُّ الملاحةِ والصراحةِ والسنا
يُزْهَى به [1] جسم عزيزُ الجانبِ !
أخذتْ عن (الاغريق) دينَ رياضةٍ
جَلّتْ فلم تعْرَضْ لطعنةِ عائبِ [2]
واستوحتْ (الرومانَ) شرعَ نظافةٍ
هي مُتْعَةٌ فاقتْ مكاسبَ كاسبِ [3]
وأبتْ « تزاويق » الصناعة غالباً [4]
فلها الغَنَاءُ بأسرِ لُطْفٍ غالبِ
هذا جمالُ العصرِ عند فتاتهِ
حسن وإحسانٌ وجنّةُ لاعبِ !

(١) الضمير عائد الى الوجه.
(٢) هي قدماء اليونانيين بالرياضة البدنية عناية عظمى لتحسين الجسم وصيانة الصحة وبلوغ كمال الخلقة جهد الاستطاعة.
(٣) كانت للرومانيين عناية كبرى بالنظافة لم تفقها الا نظافة القرن العشرين.
(٤) وقد كان ذلك من مظاهر الجمال عند قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة ، وان لم تمتزن بالنظافة والهيجين .

بيت الامة ...

نشر شوقي بك متخفيا بجريدة (الكشكول) قصيدة موجهة الى الدكتور محجوب بك ثابت عدت ذات غمز ولمز ضد سعد باشا ، فاغضب ذلك حافظ بك ابراهيم ورد عليه متخفيا أيضا بجريدة (النواب) ، ونظم شاعرنا هذه القصيدة مستقلا دفاعا عن زعيم الامة الاكبر

« بيت الامةِ اعتَلْ المطيَّا » وأطلقْ فكرك الحرَّ الأبيَّا
ولُذْ بملاذِ شعبٍ مشرئبٍّ الى العلياء يخطبها عليَّا
تبلَّجَ شيبهُ رمزاً سنياً يبرّر خلفه نوراً سنيَّا !
تنوَّعتْ الصُّرُوفُ وما تنفَّى له جَلَدٌ يثلُّ المشرفيَّا
تقمَّصَتْ المآثرُ فيهِ حتى لتسمع صوتَها يدوي دويَّا !
فيُسْعد كلَّ وجدانٍ فقير ويملأُ نورُه القلبَ الخليَّا
ويرقَى المنبرَ الضاحي فيُلْقي شعاعا نافذاً يَهدي الرقيَّا
فان يغضبْ فلن يلقَ عصياً وإن يبسمْ أدان له العصيَّا !
على الحالين قوّتُهُ يقينٌ يزُّ به الذكيَّ الألمعيَّا
ويُحيي ميّتَ الاحساس حتى ليرجع أيّداً فذّاً جليَّا
أبوّتُه ذخيرةُ أيّ عهدٍ عظيمٍ أيّدَ الحبَّ الوفيَّا

وسيرتُهُ الفداءُ (لمصر) : فانظرْ

تجدْ تمثالَ (مصر) له صفيًّا !

فقلْ لمداعبٍ [١] ما قال حذْقًا

وقلْ لمعاتبٍ [٢] ما قال عِيًّا :

« دعاني مِنْ مزاحِكما فاني

بحمد الله لستُ بذي غويًّا

فلي شرفي ، ولى قَلَمي وعلمي

فما غنْمُ الذي بلغ (الثريّا) ؟

فحسبُ المرءِ أوطانٌ ترجّي

حجاهُ ، وأن يَفي الخُلُقَ الرضيًّا

نزحتُ عن البلاد وفُتُّ قلبي

وجئتُ اليومَ أنشدُه سويًّا

وما حفظَ الأمانةَ غيرُ (مصر)

يُحيّي الودَّ أضعافًا سخيًّا

---

(١) يشير الى شوقي بك — راجع قصيدته في جريدة (الكشكول) المؤرخ ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٦م

(٢) يشير الى حافظ بك ابراهيم — راجع قصيدته في جريدة (النواب) المؤرخة ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦م

وما ينسى حقوقَ الفضْلِ لكنْ
ترى فيهِ الأمينَ الجوهريّا !
وفي الازماتِ ربَّ الحزم حتى
لتحسبَه الطبيبَ الصيدليَّا !
يقيسُ دواءَه مقياسَ علْمٍ
فلا ينسى من الأحكام شيئاً
وكم يحمي [1] الصديقَ الجهدَ حتى
يرى الامرَ الأهمَّ به حريّا ! »

***

فمشْ (المحبوبُ) للآمال ذخراً
من الاخلاصِ موفوراً غنيَّا
وبجّلْ سدَّةَ الشرف المعلّى
وأكرمْ ذلك العلَمَ النقيَّا
اذا (الحبرُ) المقدَّسُ قبلوه
فقبّلْ للهدى كفاً نديَّا !

(١) يحمي : يمنع .

تحية الجامعة المصرية

في الحفلة الرسمية لفتحها

١ - فتح الجامعة

اليومَ حيَّا المشرقيْنِ مَنارُ
فعقولُ جامعةِ العقُول[1] تُنارُ !
حفَلَ العِظامُ بها يقودُ جموعَهم
مَلِكٌ ويتبعهُ القنا الخطَّارُ
ويكادُ يعلِنُ حالهُمْ ، وبيانهم
للعِلْم ، قانونًا عليه يُسارُ
يهوي الجبابرةُ الطُغاةُ بعسفهمْ
ويظلُّ يُبْسَطُ حُكْمُهُ[2] الجبَّارُ
هيهاتَ يرحمُ في مدَى أحكامِهِ
أو أن يُصيبَ الخادميهِ صَغارُ
هو سيِّدٌ بلغَ الاريكةَ بالحجى
ومضتْ عليه بمُلْكِهِ أعْصارُ

(١) «عقول» الاولى اشارة الى الطلبة ، والثانية تمييز لها من المعاهد الرجعية .
(٢) حكم العلم : والابيات التالية وصف لعزة العلم وقوته .

ما إن تزعزعُها [١] العواصفُ كلُّها
بل قد يَدِينُ لبحثهِ الإعصارُ !
واليومَ نُعْلِنُ في خُشوعِ حُبِّنا
لجلالهِ ، وبهزِّنا الا كبارُ
وكأنَّما حجُّ المشاعرِ [٢] سَعْيُنا
(والكعبةُ) الشمَّاءُ تلك الدّارُ !

***

٢ـ ذكرى المجد

حُييتِ (جامعةً) أساسُ بنائها
شَمَمٌ على مجدِ القرونِ يغار
وكأنَّما (المنصريَّةُ) جدَّدَتْ
ومواهبُ الأمسِ السَّريِّ تُثارُ !
أو أنَّ (بغداد) العظيمة أشرقتْ
وبها (نظامُ الملكِ) [٣] والانصارُ

(١) أي أريحة الملم .
(٢) المشاعر: الحواس .
(٣) باني الجامعة (النظامية) الشهيرة .

أو أنّ قصرَ (**الزعفرانه**) مكتلاً

عالي (**طلبطلةٍ**) كساهُ الغارُ

أو فخرُ (**قرطبةٍ**) تمثّلَ حوله

العلمُ والتاريخُ والتذكارُ

أو أنّه أسمى (**الرهاكل**) زاره

(**رصيسُ**) فاستعلى به النُّظارُ

كانت هياكلُ (**مصر**)خيرَ معاهدٍ

واليومَ (**مصرهُنا**) الشريفُ شِعارُ

ويُعَدُّ (**هيكلَ**) نهضةٍ قُدُسيّةٍ

آثارُها ، ستجلّها « الآثارُ » !

خَفَقَتْ لعزّتهِ القلوبُ وعندها

خشعتْ لنورِ رجائه الأبصارُ

وهو الوليدُ فانْ يجلّ فربما

نالَ الوليدُ الملْكَ وهو غمارُ !

وكأنّه (**عيسى**) تبلّجَ نورُهُ

في المَهْدِ ، لم يُسْدَلْ عليهِ ستارُ !

وفد الوُفودُ ليعلنوا عهـداً له
سيقيمُ ثم اليـه سوف يُشارُ

***

٣ ـ العلم والحرب

سُبحانَ منْ حكمَ الوُجودَ قضاؤهُ
وقضاؤُهُ التّقديرُ لا الأقدارُ !
والمنطقُ الحقُّ السّليمُ على المدَى
قانونُه المتغلّبُ انتهّارُ
والعلمُ مبدؤهُ وغايةُ امرِهِ
وبه استعزَّ السّائسُ الأمّارُ
المِدْفَعُ المرهوبُ يصدأُ للبِلَى
والعلمُ لن يمشي اليـه العارُ !
وتزولُ دُولاتُ الفتُوحِ وتنقضي
ظُلَماً ، ويبقى العلمُ وهو نهارُ
وتَرَدّدُ الأمّاتِ عن حربٍ مضتْ
امٌّ لمغنمها الجدودُ أغارُوا
بينا حُرُوبُ العلم تبقى للورى
شرَفاً تَشعُّ حيالَهُ الأنوارُ

قُوَّادُهُ [١] ملءَ الزمان، وعمرُهم
أمدٌ يزيد وكوكبٌ دوّارُ
بينا جبابرة الخُروبِ حياتهم
مثلُ الهشيمِ سطتْ عليه النارُ
مهما قضى نَوْمُ السنين بذكرهم
فالذكرُ لنْ يحيا به الأشرارُ
كانوا الغُزاةَ فأصبحوا تحتَ الثرى
رِمَمًا تجمّعُ [٢] فوقَها الأوزارُ
فَرْدٌ من العلماءِ فوقَ مقامِهم
جمْعًا، وتُعْلِنُ حمْدَه الأدْهارُ!

* * *

٤ ـ تاريخ الجامعة.

دعْني المؤرخَ للفخار فانّما
يجلو شعورَ الشاعرين فخارُ!
سُمّيتِ (جامعةً) وحسبك انّه
أملٌ، وانَّ قوامَه أعمارُ

(١) أي قواد العلم. (٢) أي تتجمع

وَحْيُ الجدودِ وما حَبَتْه أُبوَّةٌ
لحياة (مصر) ومُرْتَمَى ما اختارُوا
ميراثُ آمالٍ لهمْ في عِزَّةٍ
والعلمُ ذاك السؤددُ المختارُ
وهديّةُ الامس الفخورِ بيومنا
نعْمتْ، وجَلَّتْ هِمَّةٌ وغِيَارُ (١)
كُوِّنْتِ من هِبَةِ الفقيروقد سخا
قبل الغنيّ بردُّهُ الايسارُ
ومن العواطفِ وهي كنزُ سماحةٍ
إنْ فاتَ حظَّ العاملين يَسَارُ
لله ذاك الأمسَ (٢)... كيف أرادني
نُور الجلالِ يحفُّهُ الايثارُ
همَّت لنخوتِهِ حياةٌ أثمرتْ
نِعْمَ الحياةَ ونعمتْ الاثمارُ
أعطتْ مُنَى الفلاَّحِ خِصْبَ تُرابِهِ
وحلاوةً من جُهدِهِ تُشتارُ

(١) الغيار : الغيرة والحمية .
(٢) اي أشكر لله ذاك الامس .

فاذا اتجهْنا شطرَ بابِكِ للهُدَى
ـ وسناكِ مجدٌ والنفوسُ اطارُ ـ
ذكر الوفاءُ فخارَ فلاَّحٍ له
حقٌّ عليكِ مدى الزمانِ مُعَارُ
فنُجِلُّهُ ونُجِلُّ فضلَ شبابنا
خلعوا عليكِ شبابَهمْ فأناروا !
لاتُنكري فَضْلاً لهم لن ينقضي
وأرى وفاءكِ ما له إنكارُ
قَصْرُ الحكومةِ ليس أفخمَ للنُّهى
مما حَبَتْكِ محبةٌ ونِجارُ (١)
ومواهبُ الانسان مِن ميراثهِ
مهما تُبدِّل حظَّهُ الأطوارُ
والجاحدُ الفضلَ الأصيل مثالهُ
واهي البناءُ مُزَلزَلاً يَنهارُ !
تفديكِ أحلامٌ لنا ، ووُقيتِ من
عُقبَى الغرور ، وصانك المقدارُ
أنتِ السنيَّةُ في شُمُوخكِ بينما
أنتِ العمادُ لنا وأنتِ جِدارُ !

(١) النجار : الحسب .

٥ ـ روح البحث

صبراً لنستوحيكِ روحًا هاديا
للبحثِ حتى يرتوي المشتارُ !
بوحي وقولي عن رجائك خيرَ ما
تهوَيْن لا حَذَرٌ ولا أعذارُ
البحثُ دينُ العلمِ وهو حياتُهَ
فالعلمُ يستبقيه الاستبارُ
وله الصَّراحةُ عمدةٌ ودعامةٌ
وله الشكوكُ الى الصواب مَثارُ
مَن عاشَ في كنف الجمود فعِلْمُهُ
جهلٌ ، وليس لذهنهِ استمرارُ
انَّ (السبرمانة) ـ الذي حلمتْ به
أحلا مُنا ـ المستبسلُ المغوارُ
الدارسُ الدنيا دراسةَ مبدعٍ
لا الأرضَ تكفيه ولا الاقمار[1]

(١) أي أقمار الكواكب .

ولربّما ركبَ (الأثيرَ) موفَّقاً
وتذلَّلتْ لِعتُوّهِ الأخطارُ

فيطير (القمر)[1] المرحّبِ مثلما
طارت الى أوكارها الاطيارُ!

هو[2] بضعةٌ (للارض) ليس يفوتُها
وكأنما هذا (الأثير) بحارُ

وجميعُها يوماً ستصبحُ مركباً
سهلاً ، وتُهتَكُ حولَها الاستارُ

ولربما وجدَ المياهَ به ، وانْ
عُدِمَتْ تغلَّبَ علمُهُ الجبَّارُ !

فاذا (بنو الانسان) أسيادُ العُلَى
و(البرُ) نال عُلاهُ الاستعمارُ !

البحثُ كلُّ البحثِ فرضٌ لازبٌ
إنْ حقَّ للغد نهضةٌ وفخارُ

لاخيرَ في العلمِ الملقّنِ وحدَهُ
إنْ لم يصنْهُ البحثُ والمقدارُ[3].

---

(١) و (٢) أي القمر الارضي. (٣) المقدار : القدرة .

لاحظَ للانسانِ إنْ لم يتَّئدْ
بَحْثاً فهدَّمَ مجدَه التيَّارُ
ومعاهدُ البحثِ الصحيحِ جلالُها
لا المدحُ ينصفُهُ ولا الايثارُ
هي مهدُ مرجوّ الحياةِ لقابلٍ
فيه يُعزُّ جَناحُها الطيَّارُ
هي شعلةٌ مخبوءةٌ مِنْ بعضِها
تتناسخُ الآمالُ والأعمارُ !
أكرمْ بمن أبقَوْا كذاكَ سناءها
وعلى العقولِ بها كذاكَ أشارُوا !

* * *

٦ ـ حرية التفكير

وحُفِظتِ موئلَ كلِّ فكرٍ مُنْتجٍ
ومجالَ ما تستعذبُ الأفكارُ
حُرّيةُ التفكيرِ روحٌ خالقٌ
دَاورٍ تُبْعَثُ حوله الأنوارُ

خَلّي رحابَك للنُبوغ رحيبةً
ما للنبوغ نهاية وقرارُ
لا ترهبي خَطواتِه ووُثوبَه
فعثارُهُ للتابعيه منارُ
الضُّرُّ أهون من حياةِ بلادةٍ
ومن العثارِ مع الجهاد فخارُ
والحقُّ ليس يُحَدُّ حدّاً جازماً
لو كان للحقّ المقيم عِيارُ[1]
إنُ الوجودَ تحوُّلٌ وتبدُّلٌ
ما فيه منبوذٌ ولا مختارُ
والكونُ نسبيٌّ لدى تقديرِهِ
ولكم يخونُ الصادقُ المِسْبارُ[2]
وأجلُّ مَن نفعوا الانامَ بعلمهم
مَن حطّموا شتى القيود وسارُوا!
بل ربّما لم يكفهم سيرُ الهُدَى
فتبيّئوا نهجَ السَّماء وطارُوا!

---

(١) عيار : مقياس .
(٢) المسبار : ما يسبر (أي يمتحن) به .

* * *

٧ — الدين والعلم

كم سخَّرَ الدين الشريفَ لتهْمةٍ
الجاهلوهُ ، وخيرُهم أغرارُ !
وتوهَّموا العـلمَ الأبيَّ يهابهُم
والعلمُ في ملـكوته جبّارُ !
ما نالَ منهُ وإنْ تهجَّمَ طائشٌ
كلاًّ ولا أودى به الثرثارُ
العلمُ عونُ الدينِ في نور الحجى
أهلوهُ أطهـارٌ به أبرارُ
لا جنَّةُ الاخرى عليـهِ عزيزةٌ
أبداً ، ولن تطْغَى عليـهِ النارُ !
هو عالمُ الاسرارِ ، ما لرجومكم
حكمٌ عليـه ، وما لـكمْ أقدارُ !
فدعي له حظ السماحةِ كلها
انَّ السماحةَ غنيةٌ ويسارُ !

***

٨ ـ استقلال الجامعة وهيبتها

ومن الوفاءِ لمنتهى إيماننا
أن يستقلَّ العلمُ فهو ذِمارُ (١)
إكرامه اكرامُ حرْمةِ حقنا
في المُلْكِ ، فهو لدى الملوكِ شعارُ
فلكِ الحياةُ بهيبةٍ موفورةٍ
يُزْهى بها أهلٌ ويفرح جارُ
ولكِ الجلالةُ يرتقي استقلالُها
لرجائنا الأسمى فلا ينهارُ
لاقدرَ للسيف الأسير وانّما
القدرُ للسيف الذي يُمْتارُ (٢)
أيذالُ قدرُكِ بينما يُعْطَى العُلَى
مَنْ فَضْلُهُ التّغييرُ والاذكارُ ! (٣)
وكأنما هو حاكمٌ في امةٍ
أفرادُها الانصابُ والأعيارُ (٤)
حاشا فما فوق العقول غشاوةٌ
ابداً ، فلن يدنو اليكِ صَغَارُ !

---

(١) ذمار : حرم . (٢) يمتار : يستل . (٣) التغيير قراءة الاوراد.
(٤) الاعيار : الحمير .

* ـ النهضة والاغتباط

وأبثُّ من قلبي الثناءَ مجمَّلاً
للرافعيكِ وكلُّهم أخيارُ
ما للغنى لا يُرتجَى في جمعهم ؟ !
ما للنضار يَهابُ ثم يُضارُ ؟ !
ما باله متقهقراً عن كل ما
يدعو اليه المطلبُ السيَّارُ ؟ !
واذا حسبنا فيهِ مسكةَ نخوةٍ
فزئيرُها عند اليقين خوَارُ !
قولي لسادتنا السَّراةِ تأهَّبوا
انَّ الزمان مخادعٌ غدَّارُ !
حقَّ البلاد أجلُّ ما بكنوزكم
هذا الثراءُ على الدوامِ مُعارُ !
والبخلُ ضيَّعَ قبلكم أمثالكم
فهوى بهم ، ومضَوْا الى ماصارُوا !

* * *

١٠ ـ كعبة العلم الشرقي

يا (كعبةَ العلمِ) المبجَّلِ رحّبي
بالقاصديكِ نحضُّهم أسفارُ!
عرفوكِ رمزَ حضارتين فأقبلوا
مُهَجاً نرفُّ اليكِ وهي حِرَارُ (١)
جدّدتِ منزلةً لرفعةِ امةٍ
لا (الترك) عافوها (٢) ولا (البلغارُ)
صُغْرَى الممالك أدركتْ تأثيرَها
أتضلُّ أحلامٌ لديكِ كبارُ ؟!
ما (الجامعاتُ) سوى معاقل نُصْرَةٍ
للشعب إمّا خانه الأنصارُ
فذري لنا القاعاتِ مُشْرِقَةَ السَّنا
يأتي لها الوُفّادُ والأوطارُ
تتخاطفُ الألبابُ شهدَ علومها
كالنحلِ حين تضيفُهُ الأزهارُ !

---

(١) حرار: حارة .
(٢) نهي المنزلة .

ما كان عن قدرٍ لمثلكِ غفلةٌ
أو كان من فرضٍ عليك فرارُ
عيشي معلمة الشعوبِ (بشرقنا)
محمودةً تَثْرَى بها الأخبارُ
عنوانَ مفخرةٍ وآيةَ نهضةٍ
(مصريةٍ) ستعزّها الأقطارُ
وتقبّلي حقَّ المديح فانما
لعظيمِ فضلكِ تُنظمُ الاشعارُ
ما ملَّ سامعُها الوفيُّ بيانها
شعرُ الوفاء يزينهُ التكرارُ
وأنا ابنُ (مصر) أعدُّ نصرَكِ واجبي
إنْ ساءكِ الغُرَباءُ والأغيارُ (١)
فخذي نظيماً مفعَماً بعواطفي
عنوانهُ الاخلاصُ والاكبارُ
لا جَمْعَ ماشكتْ القرونُ رُجوعَهُ
وبكى لسلبِ أعزّهِ (مهيارُ) !

(١) الغرباء والاغيار : الاجانب وسواهم .

أنشدتهُ راحَ النظيمِ ، وظالما
غنّتْ براحِ نظيميَ الأوتارُ !

٨ اكتوبر

عيد الماسونية المصرية

(في ٨ اكتوبر سنة ١٨٧٦م . التأم المحفل الاكبر الوطني المصري وكُرس بحضور الموظفين والمندوبين من قبل المحافل العظمى الاجنبية)

أضأتَ بالبرّ والاخلاصِ ياعيدُ
في فيضِ نورِكَ للاحسانِ تعييدُ
سلْ القرونَ التي ولّتْ بعزّتها
تجبْكَ أنكَ للتاريخِ تجديدُ (١)
وأنّ عندكَ قَبْساً مِنْ (مشارقها)
أحيا الوجودَ به أجدادُنا الصّيدُ

(١) اشارة الى منشأ الماسونية الاولى في الكهانة المصرية القديمة قبل الميلاد المسيحي باجيال ، أي منذ أكثر من خمسة آلاف سنة .

ضاقتْ محافلُ (ايزيس)[1] بحكمتهم
ولم تزلْ ، فجاليلُ الذكر تخليدُ
ظُنِنْتَ مولودَ عصرٍ سالفٍ فاذا
شتّى العصور دعاها فيك (توحيدُ)
فأنتَ عيدٌ لآمالٍ « مكرسَة »
وأنتَ (فجرٌ) له وحيٌ وتأييدُ
وأنت مُلهمنا (الاسرارَ) نتبعها
حتى يدومَ لمجدِ (النّيلِ) تمجيدُ
انّ (الهياكلَ) ليست في بنايتها
بل أنْ يُعَمّرَها فضلٌ وتسديدُ
وما العقائدُ في ألفاظِ سيرتها
إنّ العقائدَ تطبيقٌ وتحديدُ

---

(١) اشارة الى (جمعية ايزيس المصرية) الشهيرة في تاريخ مصر القديم ، وهي معدودة أقدم جمعية ماسونية في العالم . وفي القصيدة بعض النوريات للماسونية كما لا يخفى على القاري، وان لم يقدرها تماما سوى الماسونيين .

عن نشأةِ (النُّورِ)[1] في الدنيا تبوح لنا
ومنك نعرفُ ما تعني (الماسُونُ)
مفاخرٌ لكَ لم تلبثْ أن انتشرتْ
وسيرةٌ هي عُمْرانٌ و (تشييدُ)
(بَنَتْ) سُمُوَّ (بني الانسان) في عُصُرٍ
هيهات « يهدُمها » جهلٌ وتفنيدُ
(فالشمسُ) حتى الخريرُ القَدْمُ يدركها
مِنْ الحرارةِ ، والأمصارُ والبِيدُ
وأنما أنتَ (الماسون) أجمعهم
عيدٌ ، وحقُّكَ أن يرضيكَ تعييدُ

(١) اشارة الى فجر الماسونية في مصر التي أضاءت فيها بعد العالم كله ، ولذلك اعتبر الشاعر عيد الماسونية المصرية الحديثة بمثابة الذكرى والتقدير للماسونية القديمة أيضا ، وعيداً كذلك للماسونية العالمية التي تدين لمصر بأمومتها ونشأتها .

أشعة الظلام

أحلام وآمال التعاسة

أتصدفُ عنّي في ظلام شقاوتي
وتحسبُ أنّي في الظلام حقيرُ ؟
ولو فيكَ حلمٌ لانتبهتَ موفّقاً
الى النورِ في داجٍ عليه ثورُ !
سبيلكَ عنّي ... لي كرامةُ مؤمنٍ
بطهرِ ضميرٍ ما عداهُ ضميرُ !
وهل كان عدلاً والظلامُ يحفّني
نفورُك ؛ هل يجزي الشقاءَ نفورُ ؟
فياظالما صاحبتُ رغمَ دُجُنّةٍ
أشعةَ إعجازٍ (١) وفاتك نورُ ؟ !

(١) يشير الى (أشعة مليكان) المنتشرة في الفضاء دواما سواء بالليل والنهار ، وهي أقوى الاشعة نفوذاً ، دائمة التولد والتحرك ، صغيرة الأمواج جدا بالنسبة لأمواج النور المادية ، وتقصد الارض من كل الانحاء ، فلا تهدأ لها ثائرة ! وعلى هذه الصفات مبنى شعر الشاعر واستعاراته ومقارنته في الابيات التالية .

تصاحبُ أحلامي فتوقظ خاطري
ومثلك غافٍ في الضياء حسيرُ
فلي في الفضاءِ الرحبِ من كلّ نقطةٍ
نوافذَ بالوحي الكريمِ تسيرُ !
تُشِعُّ بلا حدٍّ وتخرق حاجباً
وتُشعل فكراً بالضياء يفورُ !
مموَّجةٌ لكنْ قصيرٌ دلالُها
فتلعبُ كالطفل الصغير بدورُ !
وترقص رقصَ الحاذقات حيّةً
ولكن لمثلي تُستباحُ ستورُ !
فلا تغترزْ من مظهر الحظّ والغنى
فكم قتلَ العقلَ الحصيفَ غُرورُ !

اوراق الخريف

هل كان نثرُكِ غيرَ إيذانٍ بعمْرٍ قد تقضّى ؟
هل كنتِ الاَّ رمزَ أحلامٍ نُفِضْنَ اليومَ نَفْضا ؟
مُصْفَرَّةٌ ـ شأنُ المناتِ ، بحُمْرةٍ تحكي النَّجيعْ
وكأنَّما قَتَلَتْكِ أحكامُ (الخريف) بلا تشفيعْ !
يرثيكِ قبلي الطَّيْرُ ، كم أنشدته يافانيهْ
كم كُنْتِ ظِلاً يتقي فيه العوادي القاسيهْ
ترثيكِ آلافُ الأشعَّةِ . . . من غرامٍ كم تجلّتْ
متكسّراتٍ في دلالٍ ، بالزمرّدِ قد تحلّتْ !
يرثيكِ باكي الطلّ كم أرضاكِ من بعد النّدَى
كم كنتِ باسمةً تحيّيهِ وتُعطيهِ اليدَا !
يرثيكِ ذاوي العُشْبِ محزوناً لما يجني (الخريف)
يرثيكِ لاخِلّ يواسيهِ وقد غابَ الحفيفْ !
ترثيكِ أفئدةٌ لعشّاقٍ وهبتِ نقاءَهم
واليومَ لا ترضى الطبيعةُ أن تجيبَ طلاءَهم
يرثيكِ عقلُ الفيلسوفِ يراكِ لغزاً مُذْهِلا

العيشَ والموتَ المعجَّلَ والرجاءَ المقبلاَ !
يرثيكِ شِعْرُ النَّحْلِ كم غنَّتْ لديكِ مُرنَّحَهْ
بين الأزاهير السخيّةِ والغصون المُفْرَحهْ
ترثيكِ أنَّاتٌ سُمِعْنَ من الجداولِ في الخرير
قد كنَّ أنغامَ السُّرور فصرنَ آلامَ الزفير
ترثيكِ دُنيا قد تركتِ وأنتِ سَكْرَى راضيهْ
لا تأسفين ، فانّ رُوحَك رُوحُ دُنيا ثانيهْ !

الطبُّ القديم

أعودُ اليكِ أستشفي مراراً وقد يغلو الطَّبيبُ اذا استطبَّا
ولكنّي العليمُ بسرّ دائي خُلِقْتُ لكيْ أحِبُّ وكيْ أحَبَّا

اذكريني

أُذكريني ياحياتي كلما
شِمْتِ في الإصباح مِرآكِ الوسيمْ
وآذكريني يا مَدى سُؤْلي بما
يَتْبَعُ الاصباحَ من بِرِّ النسيمْ
وآذكريني يا غرامي عند ما
يشكرُ الناسُ نَدَى الربِّ الكريمْ
وآذكريني كيفما شئتِ فما
غيرُ ذِكراكِ غذاءٌ لي يُديمْ
أذكريني يا مُنى قلبي آذكريني!

* * *

أذكريني في أغاريدِ الطُّيورْ
كم تغنَّتْ مِنْ حنيني وشعري
وآذكريني في تحيات الزهورْ
فهي معنًى من يياني قبل زهرِ

وآذكريني في سويعات الحبورْ
فهي قسطانِ ،ولي بالذّكرِ أجري
وآذكريني في ظلامٍ قبل نورْ
كم سهرتُ الليلَ مفدِيًّا لفجرِ !
أذكريني يا مُنى قلبي أذكريني !

***

أذكريني أينما لاحَ الجمالْ
مُشرئبًا لسموٍّ مِنْ جمالكْ
وآذكريني كلما رام الوصالْ
كلُّ حُسنٍ يشتهي نجوى سؤالكْ
وآذكريني كلَّما يقضي الجلالْ
بضحايا قد تفانتْ في جلالكْ
وأذكريني كلَّما شاء المحالْ
موكبُ العشَّاق من عانٍ وهالكْ
أذكريني يامُنى قلبي آذكريني !

***

أذكريني عند ما تُزْهى السماءْ
بنجومٍ أو بيدرٍ قد تحلَّى

واذكريني حينما يَفنى الرجاءْ
في رجوعِ الانسِ من ماضٍ تولَّى
وأذكريني كلما نال الشفاءْ
منكِ عانٍ في شقاءٍ قد تولَّى
وأذكريني كلما صحَّ الوفاءْ
في زمانٍ لم يجدْ للصدقِ أهلاَ
اذكريني يا مُنى قلبي اذكريني !

* * *

أذكريني كلما راعَ الغروبْ
بجبالٍ بين نيرانٍ سحيقهْ
واذكريني كلما أذكى القلوبْ
لَفْحُها والاعينَ الحسرى الغريقهْ
وأذكريني عند ما تبدو الغيوبْ
في ظلام الليل حيرَى كالحقيقهْ
فاذا الباكي بهِ مثلَ الطروبْ
خشيةَ إلاَّيَ يا نفسي الرَّشيقهْ
طالما لم أنسَ برّاً ... فاذكريني !

عرس الاصيل

غنّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عرسَه
قبـل التفرُّقِ في المساءِ الدّاني
فاذا الأشعّةُ راقصاتٌ مثلما
رقصتْ لتلعبَ بالقلوب غواني
يتموّجُ المـاءُ الطّروبُ وتزدهي
وثباتُها عَجَباً على الأغصانِ
طوراً مُذَهَّبَةً وآناً فضّةً
وأعزُّها سِحرٌ بسحرِ بيـانِ
والتّمرُ محمرٌّ ومصفرٌّ على
عالي النخيل كجمعها الفتّانِ !
جُمِعَتْ به الأضواءُ بعـد تفرُّقٍ
وبدتْ به الجمَراتُ حلوَ جُمانِ
واذا المروجُ عساكرٌ ، أعلامُها
خُضْرٌ ، تهزُّ أسنّةَ المرّانِ
واذا العَرُوسُ الشّمْسُ بين زوارقٍ
حُفَّ السحابُ لبسن ثوبَ حِسَانِ

وإذا السماءُ بحيرةٌ ترنو لهـا
عينُ الطبيعة والجمـالُ الهانيِ
في معْرَضٍ صُوَرُ الوجودِ ضحوكةٌ
فيه تُشاطرُ صفْوَه المتفانيِ !
وأمامَه الدنيا على عزْفِ الهوى
سِرّاً وجَهْراً في أحبِّ زمانِ !
أين التفتَّ رأيتَ حسناً باسما
وشهدتَ أحلاماً وصدقَ أمانِ
انظرْ معي هذا الفضاءَ وما وعَى
مِنْ كلّ ما يهواه عِشْقُ جَنانِ
مِنْ سطحِ منزليَ القريرِ كمرصدٍ
للفنِّ لاحَ لخاطرِ الفنَّانِ !
اُنظرْ ولا تهزأْ فتلكَ جواذبٌ
أولى بروحكَ مِنْ بعيدِ جِنانِ !
وتأمّلْ العُرْسَ السنيَّ وثقْ بما
يُوحيهِ منْ حُبٍّ وعذبِ معَانِ
ما فاتهُ حتى الجماد وحقَّهُ
طَرَبُ العقولِ وغِبْطَةُ الانسانِ

الصورة الناطقة

وافتْ هديتكِ السنية مثلما
أوْفى على النَّبْتِ الوحيدِ ضياءُ
فاهتزَّ قلبي قبلَ رؤيةِ مقلتي
رسماً يتوقُ لوصفِهِ الشّعراءُ
مَنْ بلَّغَ القلبَ الوفيَّ بأنَّ ما
أرسلتِ رسماً منكِ فيهِ شفاءُ ؟!
ففتحتُ ظَرْفاً كاد يفتحهُ الهوى
قبلي وينشرهُ لديَّ وفاءُ !
فاذا بعيني تلمحُ الحسنَ الذي
فيه تمثّل نعمةٌ وشقاءُ
كالرَّاحِ بين مَذاقِها ومآلها
في العقلِ ، ترفضُ [1] حظَّه وتشاءُ !
الاَّ حنُوّكِ يا ملاذَ عواطفي
إن شئتِ فهو الرَّحْمَةُ السمحاءُ !

---

(١) أى الراح

قدْ شِئْتِها[1] وكأنّما نظري لها[2]
أقصى عذاباً قد محاهُ بكاءُ
ثم امتلأتُ شجاعةً وجذبتُها
شغفاً أقبلها فلا تستاءُ !
بسّامةٌ جذّابةٌ لا تنتهي
بسماتُها والشوْق والإيحاءُ !

* * *

شُكراً لحبّك يا معيدَةَ مهجتي
للخلدِ ، أبعدَ نفحةِ الامساءُ !
حتى بررتِ فعادتْ الدُّنيا رضًى
فيها الخلودُ ، وغيرُها الإفْناءُ
أهلاً بصورتِكِ التي أحيا بها
كلَّ الحياةِ ، فملؤها الإحياءُ
نظراتُها سِحْرُ الغرام المُشْتَهى
وتغزُّلٌ ، وتعطُّفٌ ، ودُعاءُ !

استعمل الشاعر في البيت السابق كلمة « السمحاء » وهي مصرية الوضع بمعنى « السمحة »
(١) أي الرحمة . (٢) أي الصورة

مِنْ كُحْلِ عينيكِ الهيامُ مداعبٌ
ومِنْ افترار الثَّغْر منكِ سَخاءُ !
ومن الأثيثِ الشَّعْرِ في مُسْوَدّهِ
سُوَرُ الهوى، وتحيَّةٌ، وبَهاءُ !
كان[1] اللِّثامَ على جبينكِ حانياً
يهفو ويلثمُ ، لم ينلْه عناءُ !
كان المصاحبَ لي بلثمِكِ هائماً
وهو الوكيلُ، اذا أُسيءَ أُساء !
مهما أطَلْتُ مُسائلاً ومُناجِياً
فسناكِ أفصحُ ، لم يجزْهُ سناءُ
أبداً يقولُ من الغرامِ مقالةً
وله عِتابٌ ناطقٌ ورجاءُ !
فيم الرَّجاء وأنتِ روحي يا منى
رُوحي ، وكلّي إنْ أردْتِ فِداءُ
لا تعتبي بالله ، ما حُكْمُ النّوى
حُكْمي . . . ولكنْ للإلهِ قضاءُ

---

(١) أي الشعر

سُبْحانَ مبدِعِكِ القديرِ ومبدعٍ
رَسْماً تكلَّمَ، صَوْغُهُ الاضْوَاءُ !

شعر العلم

أبيات ارتجالية للشاعر، وقد زاره زائر في معمله البكتريولوجي فاشمأز الزائر من بحثه العلمي .

واذا تأمّلتَ الصديدَ (١) رأيتَه
عَجَباً تموجُ به صنوفُ حياةِ
وهو الحقيرُ، فكيف نكذِبُ (٢) حسّنا
ونغضُّ أبصاراً عن الآياتِ
لا شيء في الدنيا الدنيءُ بذاتِهِ
للباحثِ المتفنّنِ (٣) النظراتِ

---

(١) الصديد : القيح المختلط بالدم .
(٢) يقال : كذبتك عينك أي أرتك ما لا حقيقة له .
(٣) يقال : تفنن الشيء أي تنوعت فنونه .

ليلة العرس

قصيدة أدبية عامة نظمت لمناسبة زواج أحد أفاضل الادباء

مَتِّعْ فؤادَك مَنِّعْ بمرْقصـــاتِ الأغاني
فان فيهـا حيـاةً ونَفحةً (لابن هانى[1])

وأدْعُ (المثالثَ) حتى تجيبَ داعِي (المثانى)
وانهبْ من النور نهباً ومن عُيُونِ الحسانِ
واملأْ شعُورَك سُكْراً من فاتنـاتِ الغوانِي
وثَنِّ بالكأسِ حتى تذوقَ أُنْسَ الدّنانِ
وقـد حَبَتْكَ رضاها وأشرقتْ في البيـانِ
إشراقَ أزهـارِ حُبٍّ تَجِـلّ عن تَرْجُمَـانِ
أريجُهـا خـيرُ شعرٍ منوَّعٍ غـيرِ فانِ
كأنَّ مِنهـا خطيبـاً إليه نصفُ افتتـاني
يقـول بالعطـر مالا يقولُ حُلْوُ اللّسـانِ
كأنَّ حولكَ صفْواً حواهُ كلُّ مكانِ

---

(١) هو متنبي الغرب وشاعر الاندلس الـكبير صاحب القصيدة الغنائية الشهيرة : « فتكات طرفك أم سيوف أبيك »

في كلّ شيء تَهَـانٍ تبـدو لهَـانٍ وهَـانِ
فليـلةُ العرسِ عُمْرٌ جَمَّ الهوى والمعـاني
فيهـا المَـلاَحةُ لاقتْ عَبَّـادَها في تَفَـانِ
كأنَّ(فينوس)[1] حيَّتْ برُوحِهـا كلَّ رانِ
ولقَّنَتنا عُهُـــودا فبدّدت وجـدَ عانِ
كأنّما قـد نُقِلْنَـا الى فسيح الجِنَـانِ
ما بين فُـلٍّ وورد يُـظَلُّ بالسّنْـدِيانِ
وأننـا قد غفـرنا بهـا ذنُوبَ الزمانِ
وأننـا قد سمعنـا فتّـانةَ (الفيروانى)!

* * *

يا لَيْلَةَ العُرْسِ طيبي فأنتِ رَمْزُ الأمانِ[2]
وأنتِ حظٌّ عزيزٌ هيهـات يعـدوه ثانِ
وأنت غايةُ نَجْوَى وفَلْسَفَـاتِ الأمانِي
يهزّ أُنسُـكِ قلبي كما يَسرُّ جَنـاني

---

(١) الهة الجمال .
(٢) السلام والاطمئنان .

أراكِ مُلْكاً سنياً زَها بهِ النيّرَانِ !
ياليت عُمرَك يبقى مجدَّداً كلَّ آنِ
لمثل اُنسِكِ عُمْري فلستُ فيك الأناني
أبثُّهُ نَشْرَ نُورٍ ونعمةٍ للعيـــــانِ
مِنْ نَبْعِ حسٍّ شريفٍ ومِنْ طَهُورِ البنانِ
ومِنْ وفاءٍ صحيحٍ للفضلِ بانٍ وبانِ
فانما البرُّ رُوحي ومنه صِدْقاً كِياني
ولن أضنَّ بنفسي اذا ارتجى إخواني
فانَّ أسمى رجائي سعادةُ الانسانِ

عبد الكريم

بطل الريف ورئيس جمهوريتها

بنيتَ للذّكرِ ما يخشاهُ سلوَانُ
والذكرُ عقْلٌ وإنشاءٌ وإحسانُ
يامُرجعَ النهضةِ الكبرى بيقظتهِ
وثائراً هزَّ من نجواه بُلْدَانُ
أنتَ الأمينُ على التاريخ تنشرُهُ
صِدْقاً ، وتثأرُ لا تُنسيكَ أزمانُ
تقمّصتْ فيكَ رُوحٌ من جلالتهم
وكان منك لهم في البأسِ (صَرْوَانُ)
تجمّعَتْ حولكَ الثّاراتُ من قدَمٍ
وذكرياتٌ من الأجدادِ تزدانُ
في كلّ شبرٍ من الأرض الحنينُ لهم
حيٌّ وفي الجوّ للأحياء آذانُ
وفي رؤوسِ الجبال النصرُ ـ سائلُهُمْ ـ
ما زال يرقب أن يدعُوهُ أعوانُ

مَضَوْا وقد خلّفوا جنداً لدولتهم
النَّبلُ والبأسُ والعرفانُ ما كانوا
هيهات يصدأ سيفٌ في شعاع عُلىً
أو يستذلُّ مع الاخلاصِ عرفانُ
مشتْ قرونْ بأستارٍ مُحَجَّبَةٍ
حتى هَمَمْتَ فزالتْ حول مَنْ عانُوا
فأشْعِلَ (الريفُ) من نارٍ به خُبِئَتْ
مدى القرونِ ، وثارَ الانسُ والجانُ
على زئير نهابُ الأُسْدُ سورتَه
وتستعزُّ به في الرَّوْعِ أوطانُ
وفي وُثُوبٍ كأنَّ (الصقرَ)[1] قائدُهُ
و (طارقاً)[2] مُسْعِفٌ يتلوه فرسانُ
و (بَرْبَروسا)[3] على الغارات محتكمٌ
في البحرِ يُزْعَجُ مِن ذِكراهُ (اسبانُ)

---

(١) الصقر : هو عبد الرحمن الداخل .
(٢) طارق بن زياد .
(٣) هو خير الدين بربروس الذي استطاع بمساعدة أهالي المغرب مناوأة الاسبانيين براً وبحراً الى أن تمكن نهائيا من طردهم من المغرب الاقصى فألحقه بملك آل عثمان .

تاهتْ (مليلةُ) (١) مِنْ حقٍّ بتربيةٍ
كما حبا (شلمنْكا) (٢) منكَ سلطانُ
ومن مقاديرِ هذا الدَّهرِ في عَجَبٍ
أن يُكْرِمَ المرءَ أعداءٌ وخِلاّنُ !

***

(عبدَ الكريم) اذا كُرِّمْتَ ما كذبتْ
فيكَ الكرامةُ والاجلالُ والشَّانُ
بذلت جهدَكَ في توحيد مَنْ نزعوا
عن وَحْدَةٍ هيَ للاكبار عنوانُ
وفي انتشالِ الأُلى مال الزّعامُ بهم
من رَقْدَةٍ عافها دينٌ وإيمانُ
وفي الثباتِ على الاخلاصِ محتقراً
عيشاً لذاذتهُ وهمٌّ وخذلانُ
أقلتَ شعباً فجدَّدت الحياةَ به
كما تُجَدَّدُ بعد النومِ أذهانُ

---

(١) مليلة : هي المدينة التي شب فيها وترعرع الامير عبد الكريم .
(٢) تلقى الأمير عبد الكريم دراسته العالية بجامعة شلمنكا باسبانيا حيث نال شهادة الحقوق والآداب ولقب « دكتور ».

فخاض في النار للاعداء مقتحماً
طَلقًا ، كما تُطْلِقُ العقيانَ نيرانُ
وتستحلُّ ملايينٌ تهدّمَهُ
وهو الشجاعُ الذي يخشاه شجعانُ
يناشدُ (**المغربُ الاقصى**) محبتـه
وعند (**اندلس**) الزهراءُ تَحْنَانُ
وفي ديار بني (**الاسلام**)مِنْ شَغَفٍ
بمجده الفَذ ما لم يَعْدُ حُسْبانُ
وحيثما سَادَ فَضْلُ العُرْبِ وائتلقتْ
من سالفِ العُصُرِ الغرَّاءِ تيجانُ

* * *

سلْ(**الحسيمة**)[1]أو(**راغيتَ**)[2]ماصنعتْ
سيوفُ من أُرهقوا ظلماً فما دانوا
حَمِيَّةٌ ترهبُ الاجيـالُ نزعتها
ونخوةٌ بسناها القُطْرُ مُزْدَانُ

---

(١) و (٢) : وقعت بهما واقعتان حربيتان شهيرتان انتصر فيهما الريفيون انتصارا عظيما .

جاء (الصليبُ) مع البهتان يهدمُها
وكم أساء اليه الامسَ بهتانُ
فيم التعصُّبُ يامن خرَّبوا دُوَلاً
فكان منهم على العرفانِ طغيانُ ؟!
فيمَ الفخَارُ وهـذا عزُّ (قرطبة)
مضى فما كان بعد الأمسِ بُنيانُ ؟!
مضتْ قرونٌ وأنتم في جهالتكم
للبطشِ والعسف أغرارٌ وعبدانُ
أتحسبون نهوضَ اليوم يَرْهَبكم
وكلُّ فردٍ لهم في الحرب انسانُ
من كلّ قلب غذَاهُ مجدُ غابره
وكلّ عزمٍ له في الصبر فُرْقانُ
وليس داعٍ لكم الاَّ مطامعكم
بئستْ ، ومرشدُكم للقتل رُهبانُ !
واللهِ عارٌ على أرضٍ يضمّخها
دمُ الفوارسِ ، لم يعوزْه برهانُ

أن تستحيلَ قبوراً مِلؤها جِيَفٌ
منكم وأن تظلمَ الكُثْبانَ أكفانُ !

لولا احتكامٌ الى الثاراتِ تدفعهم
لولا رضاءٌ من الماضي وغفرانُ !

فيا مروجاً لدى (غرناطة) اكتأبتْ
عُمْراً ، فأذبلها وجدٌ وأشجانُ

ويا ظلالاً على جَنَّاتِ (اندلس)
اليومُ يومُكِ فلتهجرْكِ أحزانُ !

***

وأنتَ يا (ورغة)[1] المفديّ مشرقُهُ
فِدًى لحسنِكَ أجبالٌ وعُقْبانُ

غنّتْ لنهرك آمالٌ مردَّدة
في الشرق واستجمعَ الآمالَ (تطوانه)[2] !

---

(١) وادي الورغة الخصب معدود من الاسباب الرئيسية للحرب الريفية نظرا لمطالبة الريفيين به .

(٢) البلد الذي عقد به مؤتمر يولية سنة ١٩٢٣ م بين الريفيين والاسبانيين حيث أصر الوفد الريفي على تطبيق الميثاق القومي .

عُدِدْتَ مصدرَ أقواتٍ تجودُ بها
وأنتَ للعصْر والتاريخ بستانُ
كم فيكَ جُمِّعَ حظُّ الفتْحِ وانبثقتْ
مِنْ السنَّى والمُنى حُورٌ وولدانُ
ومن مروجِك للارزاقِ ما وسعتْ
ومن رياضك للأرواح ريحانُ
يرفرفُ (العلمُ السريفيُّ) عن كثبٍ
وأنتَ للعلمِ الخفّاقِ لهفانُ !
فمن أديمك ما يعتزُّ منه على
باقي البلاد ، ومما فيك غُنيانُ
ومن هوائك طبٌّ للحياة فما
يحيا البنون اذا آباؤهم هانوا
ونهرُك العذب بسّامٌ ، ولؤلؤه
احرى به من شفاه الغيدِ مرجانُ
لا أن يُلوَّث بالأشرار ، قد ملكوا
كنوزَه ، فعسيرٌ فيه عمرانُ

وكم حسانٍ به في الاسر قد خفقتْ
قلوبُهنَّ ، وناجاهن هَيْمانُ
صَبْراً ! فما هي الاّ دورةٌ قربتْ
فيجمعُ الشملَ فرسانٌ وإخوانُ
ويستعيدُ الجمالُ الحرُّ دولتَه
في امةٍ رمزُها فنٌّ وفنّانُ
لها الشجاعةُ عنوانٌ ، كذاك لها
فيما أصابت من الاحسانِ اتقانُ
(بنو امية) أعطَوْهمْ عهودَهمو
فلم تَزُلْ ، ولو انَّ الدَّهرَ غيرانُ !

الأسد الأسير

عبد الكريم

أكذا تروعُ مصائبُ الأبطالِ ؟ !
أكذا تهولُ مصارعُ الآمالِ ؟ !
أكذا تكونُ بك الهزيمةُ نُصْرَةً
لمطامحِ الجيلِ الأبيِّ التالي ؟ !
أكذا تعافُ السِّلْمَ ضيعةَ امّةٍ
ولو اعتبرتَ النّصْرَ صِنْوَ مُحالِ
سلمتْ مشاعرُها وعزّةُ نفسها
بينا العدوُّ على رؤوس جبالِ
ملكَ الثّرى والنبتَ أو ملك السما
لكنْ تضعضعَ مِنْ يقينِ رجال !
في الأسرِ أوفي منتهى حريةٍ
أتباعُكَ المثلُ الشريفُ العالي !

***

سِرْ يارفيعَ اقدْر غيرَ مُدافعٍ
للأسرِ محفوفاً بكلّ جلالِ
تلق العدوّ على مئات قلاعه
ما بالفَخورِ بدا ولا المختالِ
كم كنتَ تزحفُ ضارباً لحصونه
بالسّيْفِ محتكماً على الآجالِ !
واليومَ تقصدُ جيشَهُ مستسلماً
في عزّةِ القهّارِ غيرَ مُوَالِ
مِنْ طبعِ جُرأتك الهجومُ ، وهكذا
هذا شعارُك في شقاءِ الحالِ !
إنَّ العظيمَ هو العظيمُ بنفسهِ
في حاليْ الإدبارِ والاقبالِ
ومِن المصائبِ للشعوبِ مفاخرٌ
وغذاءُ نهضتها على الأجيالِ
ما مات شعبٌ سطّرتْ تاريخَه
مُثُلُ الإباءِ وسيرةُ الأبطالِ
والنّاسُ ليسوا في عديد جسومهم
لكنْ بأحلامٍ بقينَ غَوَالِ

هي للتتابع والتناسخ كلما افنى الزمانُ لها القديمَ البالي !
حَقٌّ لقدرك أن تقاتل شامخاً حتى النهاية في شريف قتالِ
شأن الحماة ديارَهم وذمارَهم النـافرين الساخرينَ بقالي
فهزأتَ اذ هجم الزمانُ مروّعا ليُقيّد الفرسانَ بالأغلالِ
وهُزِمْتَ كالأسدِ الجريحِ يخافهُ حُرَّاسهُ ، ويروعُهم بخيالِ !
من بعد فقدك كلَّ ما مُلِّكْتَه من قوّةٍ أو عصبةٍ (١) أومالِ
حتى الغذاء فقد تعذّر مثلما عز الدواءُ وقد سلاك السّالي
ولسانُ فخرك انّ جهدَك لم يكن الاَّ الذخيرةَ لا الرجاءَ الخالي
ولسوف ينشدُها البنون على غدٍ فتُهَدِّمُ الجبروتَ بالزّلزالِ
ويعيشُ ذكرك للبنين كعيشهِ فينا يُخَصُّ بغاية الاجلالِ

* * *

مضتْ السّنون عليكَ اَيَّ مجاهدٍ متحمّلَ الآلامِ والأهوالِ
حتى كتبتَ سطورَ مجدك من دمٍ غالٍ ، ومن خُلُقٍ كروحك عالِ !

(١) العصبة : قوم الرجل الذين يتعصبون له .

حامد البقار

« اضطرمت الحرب من جديد في غرب الريف حيث ثارت قبائل عدة منها قبيلة عمارة وهي من أشد القبائل الريفية بأسا . وتزعم الحرب الجديدة مولاي حامد البقار الذي يقال انه أعان نفسه سلطانا على قبائل جبلة . وقد هاجمت قوات مولاي حامد بعض القبائل الموالية لاسبانيا ، وبعض المراكز الاسبانية ويخشى الفرنسيون أن يتفاقم الخطب في هذه المنطقة لان قبيلة بني زروال التي قدمت طاعتها حديثاً لم تقدم سلاحها بعد وهي مجاورة للقبائل التي تقوم بالحركة الجديدة . ويجد الفرنسيون حرجاً كبيرا في مهاجمة هذه المنطقة لانها تابعة للحماية الاسبانية ، ولذلك اكتفت القيادة الفرنسية بأن تلقي عليها القنابل من الطيارات» . — عن جريدة (السياسة) بتاريخ ١٢ يوليو سنة ١٩٢٦ م .

إنهضْ ! فشعبكَ للبسالةِ حامدُ شَعْبٌ بَذَتْهُ مآثرٌ ومحامدُ
إنهضْ زعيمَ (الريفِ) بعدَ زعيمه يهوي زعيمٌ حين يصعدُ صاعدُ
صدقت نُبوءةُ مَنْ أحبَّ فخاركم حُبّي[1] فما سكنَ العَدُوَّ الشّاردُ
لكمُ البقاءُ مجدَّداً ومكرَّراً وله المصائبُ والغُرورُ البائدُ !
إنّ الأُلى أخْيَوْا بكمْ ميثاقهم علموا بانَّ المجدَ إرثٌ خالدُ
مَضَتْ القرونُ وما انقضى إلهامُهم أو انّه بعد التأمل عائدُ !

(١) راجع قصيدة « الأسد الاسير ـ عبد الكريم » ، ص ٥٥ ـ ٢٥٧

وكأنَّ شعري نَفْحةٌ مِنْ سِرِّه وَثَبَتْ وإنْ جهلَ الجبانُ الجامدُ
وأنا الذي يجري لمطمحِهِ دمي وله بهِ حَقٌّ وأصلٌ واحدُ (١)
وأنا الذي لولا بلادٌ كوّنتْ نفسي لسار لكم فؤادي الجاهدُ
إنَّ (العُروبة) و(الكنانة) ملتي دِينٌ يوحّدُهُ الوفيُّ العابدُ
فلموطني رُوحي وكلُّ جوارحي ولكُمْ حنيني والشُّعورُ الماجدُ
يكفي لنا النَّسَبُ العتيدُ مجمّعًا فجميعنا صَيْدٌ رماهُ الصائدُ !
بعض الجوابِ ولم يُثِر مشاعري هذا اللَّهيبُ تذوب منه قصائدُ !
يا ليتها كانت قنابلَ قُوَّةٍ يشقَى العدُوُّ بها ويَفنَى الكائدُ !
قُمتم فكنتمْ كالاذانِ لنهضةٍ فاعتزَّ مغلوب وهمَّ الراقدُ
ودعا الدعيُّ بأن تناثر فرقدٌ (٢) ماذا أصابَ وفي الجموع فراقدُ ؟!
إثْأرْ لشعبكَ ما استطعتَ فانّه ثأرٌ له المجدُ المؤثَّل شاهدُ
ولو انَّ بين المسلمين طوائفًا غفلت ، كأنّ المسلمين أباعدُ !
تخذوا (الخرفة) سيرةً لوساوس ولكلِّ وهمٍ عابثٌ ومعاندُ
ونَسَوْا اُسودَ (الريف) في استنجادهم أو أرسلوا وعداً رماه الواعدُ
فاذا عثرتم لم يفتكم لَوْمُهُمْ واذا انتصرتمْ لم يفتكم جاحدُ !

---

(١) اشارة الى مافي نسب اسرته من دم اندلسي .
(٢) يشير الى تسليم عبد الكريم . ودعا : نادى .

عذراً فقد عبثَ الدّخيل بنبلهم ... وكأنّهم في العربِ عضو فاسد!
عُذراً وصبراً إنّ جُهداً آخراً ... فلكُمْ من الحق العظيم مُساعدُ
ولسوف يتبعُكُمْ تآزر عُصبةٍ ... فلكُمْ بذلتُمْ الشعوبِ شدائد
انّ الرجاءَ لأمّةٍ [1] لا ينتهي ... جهدٌ لها الاّ ويُبعثُ قائدُ !

غروب وذكرى

قالت « حبيبي كم وددتُ جالساً ... قربي ومرْأى الشّمس عند مَغيبِ
في البحرِ تسبحُ بُرْهةً وتغيبُ في ... شَفَقٍ كحال الشّوق عند غريبِ »
فاجبت : « ياسؤلي وهل بشجي الهوى ... هذا الوداعُ وأنتِ سُؤْل حبيبِ ؟!
شمسان شمسٌ قد تغيبُ وأختُها ... تبقى لرحمة عاشق وأذيبِ
مَنْ كان قربكِ ليس يشغلهُ سوى ... هذا الجمالِ يرق في تعذيبي !
فتبسمي وتعطّفي وتكرّمي ... ما شئتِ يا حظي وكلّ نصيبي
ودعي ابتسامك من حنانك غُنيةً ... للقلب عن نُور وطبّ طبيب! »
فتبسّمتْ سُكْرَيْنِ لي وتأوّهتْ ... فأجاب من قلبي وفيّ نحيبي

---

(١) اي وافٍ لامة . . .

قالت « نسيت الوعد (١) هل يبكي السنى إنْ صحَّ وَصْفُكَ في مجال نسيب
أيسوغُ دَمْعُكَ في ضياءِ محبّتي ام كان حظُّ الحب حظّ كئيب ؟! »
قلتُ: « أعذريني ياحياتي رُبَّما أبكت تحيةُ (٢) مُسْعِدٍ و مجيبِ
فلكم بكى بالطَّلِّ زَهْرٌ ضاحك للشمس، ياشمسي وسرَّ وجيبي (٣) !
ولربَّ دَمْع من شعوري لم يكن الاَّ كرمز البحر وهو مُذيبي !
فلقد ذكرتُ غروبَ امسي عندما ودَّعتُ أحلامي وداعَ جَنيبِ (٣)
فذكرتُ حال البحر حيث وصفتِهِ والشّمسُ تغربُ فيه بين لهيبِ ! »

عواطف وقلم

وداع وتذكار

خُذْ ياصديقاً برغمي أن اُوَدّعَهُ باسمِ الوفاءِ وباقي الودِّ تذكاري
بدمعهِ خَطَّ من حسّي تأثرَهُ ومن سرورٍ تقضّى عَطْفَ أشعاري

---

(١) اشارة الى المعنى المتضمن في البيت الثالث .
(٢) اى ربما بكى الشاكر في شكرانه لمن يسعده ويجيب أمانيه كما يبكي الزهر بالطل وهو يبسم للشمس شاكراً.
(٣) الجنيب : الاجنبي .

فصُنْهُ بِرًّا ولا تُصْغِرْ به قلماً فهو الرسولُ الموفِّي حقَّ اكباري
أشهى الأماني لديه أن تكلّفَه تسطيرَ ذكرك فاذْكرْني بايثار
وثقْ بأنّ حياةَ المجد في تعبٍ وغايةَ الحظِّ والتوفيقِ للسّاري

أسرار الصداقة

احفظْ محبَّةَ مَنْ عرفتَ صديقاَ وكنْ الأمينَ وبالوفاءِ خليقاَ
واجعلْ لصدرِك من صيانة صدرهِ للسرِّ ميثاقاً يظلُّ وثيقاَ
وارفضْ مزاعمَ من دَعَوْا الاساءةِ في الظنّ واعتبروا الوفاءَ غريقاَ
لمَ لا تكون كما يَكون تكتّماً فتعزّ سرًّا بالجلال حقيقاَ ؟
أعطَى اليكَ حشاشةً من نفسه أمِن الصداقة أن تكون مُريقاَ ؟
أمِن الاخاء تميتها بذيوعها وتميته حزناً أراه حريقاَ ؟
شرُّ البليةِ عن غريبِ سذاجةٍ أن يُرْهق الخِلَّ الحبيبُ صَديقاَ !

العصر والادب المصرى

علام نَهَرْتَني لوفاءٍ جبلي بلفظٍ أو بمعنى أو دليلِ
ولستُ أعيشُ في قرنٍ تقضّى ولا في غير ذا الوَطَنِ الجميلِ
وما أنا مَنْ سلاَ ذكرى جُدُودٍ أنا مَنْ هِمْتُ بالماضي الجليلِ
ولكنّي المقدّرُ قدرَ عيشي بهذا العَصْر والآتي النَّبيلِ
فلفظي ما يصوغُ بيانُ قومي وحسّي حسُّهُمْ أبداً زميلي
فدعْني راسماً صُوَراً أراها فلم يكُ وَحْيُها وحيَ البخيلِ
ودعني أرقبْ (النيل) المُفَدَّى وما يوحيه في ذَهَبِ الأصيلِ
وَجَمْعِ فرائدٍ للحُسْنِ أحظَى بمشهدِها وقد حفّتْ سبيلي
فشعري كلُّ ما يُهدي شعوري وعرفاني الى الوطن الظليلِ
له [1] مصريّةُ النَّغماتِ شاقتْ بنفحةِ (مصر) والحسنِ الأصيلِ
وإنْ لم ينسَ إحساناً (لعربٍ) ولا الآياتِ (للغرب) الكفيلِ
فلا تَنْهَرْ بربّك لي فُؤاداً يَرُدُّ لقومِهِ بعضَ الجميـــلِ

(١) الضمير عائد الى الشعر.

غذاء الخيال

ذكرى وأمل

وداع الصديقين الدكتور عبد الله جلال والدكتور أمين غالي قبيل نقلهما من مدينة السويس الى بورسعيد سنة ١٩٢٥م .

أيحينُ بدرُ التمِّ قبل ليال (١) ويبينُ أُنسٌ (للجلالِ) و(غالي)
لله ما أقسى الزمان فانه يأبى الوفاقَ اذا وفى ويُمالي !
ويُفَرِّقُ الأصحابَ بعد تآلفٍ ويشتّت الخلاّنَ مثل خيالِ
ساءلتُ منزليَ الأسيف كخاطري فأبى حزيناً أن يردَّ سؤالي
ونظرتُ للبحر الطروب معاتباً فاذا الضياءُ كدمعه المتلالي
قال الصديق :ألا نَظَمْتَ قصيدةً ترْضي الوداعَ ؟ فحرتُ في آمالي
وأنا الوفيُّ أصونُ للوافي يداً وأنا الغفورُ لزَلّةٍ وضلالِ
ماذا أقول وكم بكيتُ مودّعاً ؟ ما ذا أقول وللرجال مقالي ؟
خِلٌّ له فضلٌ عليّ أصونه و (أمينه) غالٍ من الأفضالِ
أهوى بقاءكما وقد صدق الهوى ويرى بعادكما رَجاءُ معالي
ويخطُّ في هذا المساءِ عواطفي قلمي الشجيُّ ، فهل يخطُّ مآلي؟(٢)

---

(١) اشارة الى ليلة الاحتفال القمرية .

(٢) من التوفيق في التنبؤ ان الشاعر نقل سريعاً اثر صديقيه الى مدينة بور سعيد

والبدرُ يُسعفه بحبرٍ أبيضٍ فلعله بُشْرى الزّمان التالي
لله ليـلاتٌ غَنِمْنا اُنسها ومجالسٌ لفـكاهةٍ وجمالِ
لله ما ولّى بصفوٍ لم يكنْ وَهماً فجاءَ الدهرُ غيرَ مُوالِ
والشايُ يضحك في الكؤوس أمامنا ضَحْكَ الأوانس بالنضار الخالي
وعلى الطريق نرى الحياة عجيبةً من شُرْفَةٍ كالمَرْصَدِ المتعالي
وإذا اُديرتْ (للزّبيب) ثغورُه جاءتْ حيـاةً أو مماتَ ملال !
كالفلّ أو كالدرّ أو كالريق إنْ رشفتْه غانيةٌ بسكر دلال !
يبيضُّ كاللّبنِ المخفّفِ لونهُ من اُنس أفئدةٍ بَسَمْنَ خوال
من يستردُّ لنا بواسمَ عهده ؟ تلك الدقائق كنَّ غيرَ بوال !
واليوم نذكرها فنعلم عن هُدًى شيبَ السُّرُور السَّمْحِ شِبْهَ مُحَال
فالصّفوُ طِفْلٌ لاعبٌ لا ينتهي من عُمْرِه لِمُجَدِّدٍ ومثالِ

***

سيرا صديقيَّ العزيزين ولا تَدَعا شُعاعكُما يَغيبُ خيالي
مَنْ كان يخلقُ بالجراحةِ مُعجزاً هيهات يعجزُ أن يُجيبَ خيالي !

نقطة دم

شفاعة على كتاب حب

رحماكِ! كيف أرَقْتِ قُدْسِيَّ الدَّمِ؟! رُوحي أرقتِ بهِ وانْ لم تَعْلَمي!
أرسلتـهِ متـورّداً في نقطـةٍ فوقَ الكتابِ شفيعَ قلبٍ مُغْرَمِ
الىَ الشفاعةُ ياحياتي !؟ مَنْ تَرَى يَرْضَى تذلُّلَ مالكي ومُتَيَّمي ؟
عذَّبْتِني لـكنْ جعلتِ تعذُّبي حُلْواً، فكم أسعدتِ من لثْمي فمي
وفؤاديَ الوثَّابُ يقرأُ سُورةً فيها[1] لصاحبه الخفوق المرتمى
قلبـان ما خُلقا لغـير تعـانقٍ رَغْمَ الزمان فانَّ حـسَّك منْ دمي
ولي الطبيعـةُ جامعٌ لحنينـنـا في كلّ مرآها الجميـلِ المنتمي
في النُّورِ، في الانداء، في الزَّهرِ الذي يهتزُّ من ذكرى الهوى وتألُّمي
فدعي العتابَ فما العتابُ لمهجـةٍ أنتِ الرجاء لها، فلا تتوهَّمي!

* * *

يانقطةَ القلبِ الحبيبِ بما وعتْ أهلاً بمقدمك الحبيبِ المُكْرَمِ!
حُمّلتِ آلافَ الكراتِ[2] جميلةً فكأنّهـا قُبَلٌ سُتِرْنَ لِمَغْنَمِ

---

(١) الضمير عائد الى « نقطة» .

(٢) يشير الى كرات الدم وهي عديدة ودقيقة لاترى الا بالمجهر.

وكأنَّ عيني مِجْهَرٌ (١) نظرتْ بها ماغابَ عن نظر الخليِّ أوالعمي (٢)
أتأمّلُ الساعاتِ فيها لا أني (٣) وأحسُّ فيها الشعرَ لاحَ لمُلْهَمَ
وأظلُّ أنشقُها وألثمُها معاً ما بين أشجاني وبين تبسُّمي
حتى اخالكِ يا مآلَ عواطفي قُربي على رغم النَّوى واللَّوَّمِ
حتى أراكِ كحالمٍ جنّي وقدْ مرّتْ يداكِ على جبيني المُضْرَمِ
مرَّ النسيم ينامُ زَهْرٌ طوْعَه فأنامُ في حلُمٍ لذيذٍ أرْحَم
وأفيقُ مِلْئي منكِ كلُّ مُجَدَّدٍ حِسِّي، فعيشي ياحياتي واسْلَمي!

قبلة لحظين

أوحتْ إليَّ بنظرةٍ جذّابةٍ أن لاأحاذرَ في حقوقِ غرامي
وتلألأَ الثغرُ الحبيبُ مُسائلاً عن قُبلةٍ كالفذِّ من أحلامي
فسألتُ قلبي: «أيَّ لثمٍ يشتهي ويشوقُ من عجبٍ وحُلْوِ مرامِ؟»
فأجاب: «أصلُ الحبِّ فتنةُ لحظها ومن ابتسام حنُوِّهِ إلهامي
ولثغرِها رِفْقُ الكريم بعبدهِ وتدلُّلُ السَّاقي المُسيغ أوامي
ولخفْقِ نهديْها نُزوعُ عواطفي لفؤادها المتهافت المترامي

(١) المجهر : المكرسكوب . (٢) الخلي : الخالي من الوجد والحب .
(٣) لا أني : لا أتعب .

وبكلِّ جزءٍ من عزيز جمالها ما فيه مَعْرَضُ جَنَّتي وضرامي
فاذا لثمتَ فلا تدعْ من حُسنها شيئاً، ولا تُغْفِلْ فروضَ سلامي»
فجعلتُ ألثمها بكلّ حرارةٍ لثمَ العبادةِ شأنهُ للدوامِ
حتى انتهيتُ للحظها فاذا به يهفو للحظي في اشتباكِ غرامِ
فتعانقَا والخدُّ يصهرُ خدَّها شوقاً وللحظين لثمُ هيامِ!

* * *

قالت: «صدقتَ عواطفي بامهجتي فلقُبلةِ اللَّحظين سحرُ كلامي
وعرفتَ من لحظي الغرام وماوَعى فاهْنأْ بنورِ غرامِيَ البسّامِ
واغنمْ من القبلاتِ كلَّ شهيةٍ تلقاكَ عندَ مذاقِها احلامي!»

ذكرى الحضارة العربية

والامير شكيب أرسلان

يا مُتعباً قلبَه في نصحِ أمّته بالدَّرسِ والعلمِ والتّذكيرِ للنَّاسي
وكاتباً طالما غنّى اليراعُ بما قدخطَّ من سحره المستعذَبِ الآسي
وشاعراً قدرُهُ مأثورُ ماخبأتْ خزائنُ الشّعرِ من رادٍ[1] ومن ماسِ
ومُصْلِحاً لم يدعْ فرضاً لغايته مشابراً هازئاً بالجبن والياسِ

(١) الراد: هو الجوهر المشعّ المعروف علمياً بالراديوم.

هوّنْ عليك فما ينسى ذووشمِمٍ تاريخَ عزّتهم والسؤددِ الراسي
وأيُّ قلبٍ له خفْقٌ يذكّره بأمسه يرتجي دفناً بأرماس ؟!
فالمرء بضعةُ ماضيه وحاضرُهُ مرآةُ آتيه من حظٍّ واتعاس
وانّ شعباً بلا حُبٍّ لدولتـه هيهات يبلغ مَرْقى المجد في الناسِ
فلا تخفْ بأسَ إلحادٍ فما برحتْ جلالةُ الأمس أصل الفضل والباس
جلالةٌ خشعَ التـاريخُ حارسُها في مَعْرَضِ الوصف وضّاءٌ بنبراسِ
حضارةٌ هي جمعٌ من فنُونٍ علًى للنـابهين ومقبـاسٌ لمقبـاسِ
كفتْ جميعَ بني الأعراب جامعةً على تباين أديانٍ واحسـاسِ
وما تجرّدَ من دينٍ لنـا نفر الا وللمجدِ دين فوق مقياسِ !

عتاب صديق

هل للصَّديق إذا عتبتُ اجابني فهواهُ بالهجرانِ غيرُ خليقِ ؟
قل لي بحقك أيُّ حبّ تشتهي مني لتنزل في مكان شقيقي ؟
اني أطيق تهاوناً في حاجتي الاَّ التراسلَ يا أعزَّ صـديقِ
بهواك متّعني بكتبك انها شوقي، فلا تعمدْ الى تشويقي!
أدبٌ حباك اللهُ قدرَ نبوّةٍ منه ، وحظٌّ منه كنتَ مُذِيقي

ماذا جنيتُ سوى وُلوع محبّتي أبداً بكأس لذاذتي ورحيقي؟!
فاغفرْ لقلبي واليراعَ تدفّقي وآبذلْ، فما أنا للجفا بمطيقِ
واسألْ فؤادك عن متاعبه (١) تجدْ ألمَ الفؤادِ وَهمَّه تفريقي !

كلمة تقدير ووداع

الى سعادة الاستاذ محمود بك حسن ـ محافظ السويس

ياهازئاً بالنّفي في موقفٍ النّفيُ فيه بعضُ قَدْرِ الرّجالْ
وحافظاً جَمعَ كراماتِهِ في حالةٍ فيها الوفاءُ المُحَالْ
ومحسناً هيهاتَ أن ينتهي اصلاحهُ في خالداتِ الفعالْ
وعاملاً للخير عن رغبةٍ يكفيكَ من طُهرِ الضّميرْ الجلالْ
واللهِ لو قسنا الطّغاةَ الأُلىَ عادوكَ ماساووا لديكَ النّعالْ
ودَّعتُ أفيكَ اليوم مَجْداً اذا ماقُدّر النُّبْلُ وغالي الخلالْ
مَنْ فات براً منك لم ينتفعْ بالأُنْسِ موفوراً ولا الانتقالْ !

(١) اشارة الى مرض صديقه بالخفقان القلبي .

الكأس المنسية

قالتْ وقد بَسَم الشَّرَابُ بكفِّها :

أعَلِمْتَ كيف خُصِصْتَ بالكُنْيَاكِ ! »

فَعَجِبْتُ من هذا السّؤالِ ، فداعبتْ

عَجَبي !... فقلتُ : « لعل فيه هوالك..! »

قالتْ : « نعم ! فيهِ لذاذةُ نَفْحَتي

لوشئتَ »... قلتُ : « وهل أشاءُ سوالكِ؟ »

قالتْ : « اذاً فاسمعْ فانَّ رفيقَه

مالذَّ من حَلْوَى »... (١) فقلتُ : « كفاكِ

للعاشقِ الهَيْمَانِ . . . حُسْنُكِ لَثْمُهُ

نُخَبٌ من الحلْوَى وسُكْرُ فتاكِ ... »

فأتتْ تقبّلني وكان شَرَابُها قُبَلاً خُلِقْنَ من الغرامِ الذَّاكي

وشهيُّ حَلْوَاها ، فلم أَعْطِفْ على كأسِ الشَّرَابِ كأنَّ فيه هلاكي !

ولبثتُ أنْهَلُ في سرور خمرَها ظَمِئاً ، وكأسي في دموع الباكي

صَفْرَاءُ من حَسَدٍ وصَبْغَةِ حسرة لولا الجمالُ سمتْ عن الاشراكِ !

---

(١) المزة الاصيلة لشراب الكنياك هي متنوع الحلوى . والمزة في متن اللغة الخمر اللذيذة الطعم . وقد أصبحت تطلق عرفاً على مايوافق شربها من المشهيات .

تحية (كل شيء)

أهلا (أميل)[1] بما نشرتَ صحيفةً للنّفس ترفضُ عن نداكَ مُميلاَ
للعقلِ فيها دولةٌ غلاّبةٌ تخذتْ من الأدب السليم وكيلاَ
و (لكل شيء) صالح من نورها نورٌ يصاحبه البيانُ خليلا
ولنزعةِ الفنَّان حسن روائها أسدت الى أمرى الجمال جميلا
مصقولةٌ بالطّبع مثل معزّها شرفاً ومبدع ماحوتْه جليلاَ
جمعتْ خلاصاتِ الحقائق طاقةً كالزهر فاح شذًى وشاق جميلا
تُرْضي الفضيلةَ والمكارمَ مثلما تهدي وتنقذ حاسراً وكليلاَ
في حالة كاد الضلال يهدنا هدّاً وكدنا نعبدُ التضليلاَ
في موقفٍ شَقِيَ العليمُ بعلمه فيه وأفسدتْ الشكوكُ الجيلاَ
علِّمْ وهذّبْ ما استطعت كبارنا وصغارَنا وخذْ الوفاءَ دليلاَ
كم منَّةٍ أحيا أبوك شعارَها وتبعتَه نُبْلاً فكنتَ نبيلاَ
أبداً تجاهدُ في مجال مفاخرٍ خطَّ اليراعُ لقصدهنّ سبيلاً

---

(١) هو الاديب القدير والصحفي المعروف الاستاذ أميل زيدان رئيس تحرير (الهلال) ومنشيء مجلة (كل شيء) .

وتروم للاتقان ما تُعْنى به شغفاً ، وتدأب للنجاح كفيلاَ
من بعضِ حقّكَ أن تُحيَّا باسم ما أكرمْتَ من أدَبٍ أُسيءَ طويلاَ
فاسمحْ لشعري أن يردّدَ برَّه ولو انَّ ما اُهدِي يُعَدُّ قليلاَ

بسمة الطبيعة

صِفْ جَمالَ (الربيع) يُهدي ابتسامَهْ ماليءَ النَّفْسِ بَهْجَةً وَوَسَامَهْ[1]
تالياً دعوةَ الصلاة الى الشا عر جهراً وناشراً أحلامَهْ
صِفْ لتخليده على الطرسِ ألْوَا نَا بآياتِ ريشةٍ رَسَّامَهْ
عُمْرُهُ بَسْمَةُ (الطبيعةِ) للدُّنـ ـيا فأجْمِلْ بنعمةٍ بَسَّامَهْ
فَضَحَ النَّوْرُ حُبَّه بين عِطْرٍ مُسْتَحَبٍّ وبينَ نُورٍ أدامَهْ
ومجالي الأفراح في الأرض أشكا لٌ وأنغامُ مُهْجَةٍ مُسْتَهَامَهْ
من زواهي التُّفّاح[2] في الزَّهَرِ الرَّا قِصِ فوقَ الغصون يُهدي سلامَهْ

(١) الوسامة : الحسن والجمال .
(٢) لعل نور التفاح أحق بهذا التخصيص لانه ممدود أجل أنوار الفاكهة .

مِن ألاعيب[1] طيْرِهِ الصَّادح الحا ني على إلفِهِ يُناجي غَرَامَهْ
مِنْ نَسيمٍ مُضَمَّخٍ بشذا الحُسْـ ـنِ يُساقي الرياضَ حُرَّ مُدَامَهْ
مِنْ خَرِيرٍ لدى الجَدَاول تَرْحيـ ـعٍ بفصل الهوى الفريدِ الزَّعامَهْ
مِنْ مَعَانٍ يَظَلُّ يُنْشِدُها النَّحْـ ـلُ قريراً بحَظِّ مُلْكٍ أقامَهْ
مِنْ وُثوبِ الفَراش نشوى من الشهـ ـدِ ولم تخشَ أن تفوتَ السَّلَامَهْ
وانتباهِ المُروجِ والماءِ والجَـ ـوِّ إلى الشمسِ بعدَ رَشِّ الغَمَامَهْ
وأغاني الوجودِ طُلْقًا وأحيا نًا بصَمْتٍ كأنَّ فيهِ كَلَامَهْ
كم أصاختْ لها بدائعُ (بتهو فن)[2] مُسْتَشْعِراً لنا إلهامَهْ
وزهتْ ريشةُ (لترْنِرَ[3]) مما وهبتْها لنستطيبَ اقتسامَهْ
وتملَّى لها (ابنُ حمديس[4]) إعجا زاً وحيًّا بها جلالَ الإمامَهْ
هكذا زورةُ (الرَّبيع) أفانيـ ـنُ حياةٍ ورحمةٍ وابتسامَهْ
حُسْنُهُ طَبْعُهُ السُّفُورُ . . . فهل تغْـ ـضِي اذا الحسنُ صارياً بي لِثامَهْ؟!

---

(١) جمع ألعوبة بمعنى لعب .

(٢) بتهوفن تلميذ موزارت وأكبر أعلام الموسيقى الغربية . توفي سنة ١٨٢٧ م.

(٣) ترنر من اشهر النابغين الانجليز في رسم الطبيعة ، توفي سنة ١٨٥١م.

(٤) هو شاعر الطبيعة الاندلسي المشهور، توفي سنة ٥٢٧ هـ (حوالي سنة ١١٠٩ م).

ديباجة الشعر

الشعرُ في الأدبِ الأمـــير فكيف تجحدُهُ الإمارَهْ؟
يُومي فيُفصحُ مثلما تُغني الإشارةُ عن عِبارَهْ
مِنْ طَبْعِهِ خُلُقُ المَلو كِ فلستَ تختار اختيارَهْ
أنْصِتْ لهُ إنصاتَ مف تُونٍ لمعشوقٍ أثارَهْ
تلقَ الجمـالَ بوحيهِ يَسقيكَ ما تهوى اشتيارَهْ
ما النَّظمُ الاَّ خادمٌ للشعرِ يلتمس اعتبارَهْ
والشعرُ في عرش الجلا لِ يصون للنجوى شِعارَهْ
المشرئبُّ لِنُورهِ هو وحدَه الرائي منَارَهْ
والمكتفي بالنظرةِ الصْ صُغْرَى ينالُ بها صغَارَهْ
الشّعرُ معجزةُ الشُّعو ر اذا تأمَّلتَ افترارَهْ(١)
أمَّا الضريرُ فنقدُهُ عَبَثاً يُثير لنا غبارَهْ
هو وحدَه الشَّاقي بما في الجهل يحسبُهُ مَهَارَهْ!

(١) افترارهُ : تلألأهُ .

ظلي

فكاهة الحلم

« أيها الزنجيُّ قُلْ لي كيف قد أصبحتَ ظلّي ؟!
أنتَ يا ظِلي خليلي هل يُطيقُ الصمتَ خِلّي
في ظلام الليل تَخْفَى في مجالي النُّور تُجْلِي (١)
لا بساً ثوبَ سوادٍ لا تُراعي أيَّ فَصْلِ !
ماشياً إثري وحيناً سائراً قُرْبي وقَبْلي
قال أطفالٌ صغارٌ : أنتَ مِثلي ! أنتَ مِثلي !
أنتَ حيناً رمزُ شكلي أنتَ طوراً غيرُ شكلي
خادماً آنا تُوافي هازئاً آنا بفِعْلي
حارسا يأبى فراقي بين تَرْحالٍ ورِحْلِ
ظنَّكَ الصوفيُّ بعضي يا لبعضي المستقلّ ! »
فأبى إلاَّ صُموتاً مرهقاً قد مَسَّ عقلي
فانتهرتُ الظلَّ حتى مِنْ صياحي ريع أهلي !
بينما الفجرُ مُطِلّ بين إشفاقٍ وعَذْلِ !

* * *

(١) تخرج من وطنك . يقال أجلى عن بلده بمعنى خرج .

نم وَافى الصّبحُ يُهدي فتنةَ الاضواءِ حَوْلي
حاملاً أسنَى جوابٍ باحَ بالسرّ الأجلّ
فانقضى حُلمي ولومي وانتهتْ أضغاثُ لَيْلي
ضاحكاً منها ولكنْ كان ظِلّي بدءَ شغلي !

اغاء الورود

ألقيت هذه الابيات الارتجالية في وليمة ماسونية حيث قضت التقاليد بأن تكون مائدة الطعام على شكل حنية (قوس البناء) فيجلس الاخوان الماسونيون خارج المائدة متواجهين بينما تنثر الازهار صفاً متصلا أمامهم على فراغ المائدة الداخلي ، فصورها الشاعر بين افراد الوليمة المدعوين ، وبها ينتظم عقد الاحتفال .

نثَرُوا الوُرودَ كأنها قُبَلُ المحبَّةِ والسَّلامْ
فاذا ابتسمنا شاقنا منها الحَنينُ والابتسامْ
قالوا الوُرودُ تحيَّةٌ للعاشقين من الغَرَامْ
وأنا أراها مثلَنا في الحِسّ يجمعُها الوئامْ !
فكأنما هذي الوَليـ ـمةُ زَهْرُها بين الأنامْ !
وجميعُها كجميعِنا سَكْرَى الأُخوَّةِ لا المُدَامْ !

تبسم للحياة

تبسَّمْ للحياةِ وكُنْ سَبُوحاً على غمراتها مثل (السَّقِيّ) (١)
وكن (كاللوتس) الضاحي هنيئاً (٢) وانْ لم يَنْمُ في ماءٍ نقي
تعوَّدَ حظَّه وأضاء زهراً وعاش بنعمةِ الحرِّ التقيّ (٣)
فتعْشقُهُ العيونُ بلا سكونٍ (٤) ويقنع بالحنين المشرقيّ (٥)
وما سِرُّ الحياةِ سوى احتمالٍ سواءٌ للهنيِّ وللشقيّ

الذهن البليد

يُضيءُ له البيانُ فلا يراهُ وتلك مصيبةُ الذهنِ البليدِ!
كأنَّ النُّورَ من نجمٍ بعيدٍ وقد أوحاه في العصر الجليدي!
ومن عَجَبٍ يناقشني، ومَن لي باقناع الرضيعِ أو الوليدِ؟!

(١) السقي هو نبات البردي المعروف (Papyrus) . قال امرؤ القيس في معلقته :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذال

(٢) اللوتس : النيلوفر والضاحي: البارز للشمس .
(٣) أي غير طفيلي على نبات آخر .
(٤) سكون : انقطاع.
(٥) اشارة الى شروق الشمس.

ومن تخدعْهُ أصباغٌ ووشيٌ فما يدري الطريفَ من التَّليد !

الشرف الزائف

وعاثرٍ لجَّ (١) في فَخْرٍ بلا سببٍ
سوى انتسابٍ شريفٍ دون أشباهِ !
سألتُه رحمةً بالناس في زمنٍ
ليس الشريف هو المنْسُوب (٢) واللاَّهي !
إنَّا بعهدٍ غدا نَفْعُ الانامِ به
أدنى من الفخرِ والأنسابِ للهِ
وعُفرةُ (٣) الوجه من كَدٍّ أجلُّ لنا
ممن عِمامَتُه هُزْءٌ بأفواهِ !
وما انتفاعُ الورى ممَّنْ أُشبِّهُهُ
بصخرةٍ قد علاَها الطُّحْلُبُ الواهي ؟!

(١) لج: تمادى.
(٢) المنسوب: المذكور النسب .
(٣) العفرة : لون العفر والتراب .

كارثة دمشق

١٨ ـ ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ م

نكبت عاصمة الامويين ـ وهي من أقدم مدن التاريخ الباقية وأجلها ـ بضرب مدافع الفرنسيس ، ذعراً منهم أمام قوة الثوار المحررين . فاهتزت لذلك ارجاء العالم الاسلامي خاصة والانسانية عامة . وقد عبر الشاعر في هذه القصيدة التي كانت أولى المنظوم في موضوعها عن العواطف الحية التي سرت في مصر عطفا على شقيقتها في اللغة والدين والحضارة والنسب .

رِيعَتْ لنكبةِ مجدِكِ الأحلامُ[1] وبكاكِ باسم فخاره (الاسلامُ)
يادُرّةَ (الشرقِ) الشقيّ بملكه أبداً يحاولُ نهبَكِ الظُّلَّامُ
ضُرِّجْتِ بالدمِ في مقامِ قدْرُهُ أن تستعزَّ محبّةٌ وسلامُ
قُدّستِ في دينٍ وعُرْفِ حضارةٍ ورَنَتْ لمرْشِدِ وحيِكِ الافْهَامُ
مِنْ عهد (بولس)[2] قد فتَنْتِ وقبله (داوودُ)[3] أولَعَه بكِ الإعظامُ
ومن (الأشوريّين)[4] نِلْتِ غرامَهم و(الفُرسُ) (والرومان) باسمكِ هامُوا
و (التركُ)[5] لم ينسوكِ يومَ جلالهم بل كانَ مجدُكِ للجلالِ يُرامُ

(١) الاحلام : العقول .
(٢) أقام القديس بولس فترة قصيرة في دمشق حيث بدأ انتشار المسيحية في منطقتها .
(٣) ورد في (سفر الملوك) فتح سيدنا داوود لدمشق .
(٤) استولى الاشوريون على دمشق سنة ٧٣٢ قبل الميلاد ولم تصبح جزءا من الامبراطورية الرومانية الا في سنة ١٠٥ ميلادية .
(٥) استولى السلطان سليم الاول على دمشق في سنة ١٥١٦ م .

و (عليٌّ)[1] ثبَّتَ فيكِ أيَ صداقةٍ من (مصر) لم تعبثْ بها الأعوامُ
حجُّوا اليكِ ، ولم يكنْ فتحاهم فلربَّ فتحٍ ملؤهُ الإكرامُ
نَشَرَتْ تعاليمُ (المسيحِ) سلامَها حيناً عليكِ ، فدالتِ الايَّامُ
وأتى الطغامُ اليومَ باسم رسولها ما لا تُقَاسُ بخبثهِ الآثامُ
حربُ الصَّليب[2] ردتْ يهافي أمسهم شَرَفاً ، فعادوا ينقمون وهاموا
وتشدَّقوا بالعلمِ وهو مُحَقَّرٌ فيهم ، وبالإفضال وهو حَرَامُ
نكبوا (أميّة) في مقرّ جلالهم[3] لكنّما نكباتُهمْ أوهامُ
سيعيشُ رغمَ السيفِ باسقُ غرسهم وتبوحُ رغمَ المِدْفَعِ الاقلامُ !

***

عيشي (دمشقُ) وإنْ فجِعْتِ وإن بكت حقاً عليكِ مآثرٌ وعظامُ
عيشي فما ينسى بنوكِ وفاءَهم[4] كلا ، ولن يتضاءَلَ الأعلامُ
تلك الجراحُ - وان تبقّى ذكرُها عاراً على الجانين — قد تلتامُ
لبس السَّوادَ على مَرُوع مُصابها أُممٌ ، فهوّنَ صبرُكِ البسّامُ

---

(١) هو عزيز مصر الكبير محمد علي باشا وقد كانت دمشق تابعة لمصر من سنة ١٨٣٢ م. الى سنة ١٨٤٠ م .

(٢) اشارة الى حصار الصليبيين لدمشق تحت امرة لويس السابع ملك فرنسا وكنراد الثالث امبراطور ألمانيا سنة ١١٤٨ م . حيث ردوا عنها خائبين.

(٣) فتح العرب دمشق سنة ٦٣٥ م . وصارت مقر الخلافة سابقة لبغداد من سنة ٦٦٠ م . الى سنة ٧٥٣ م .

(٤) من اجل مظاهر الوفاء في هذه الكارثة ما ابداه اهالي دمشق على تباين مذاهبهم الدينية من الوحدة الوطنية المتينة .

في الرّزْءِ هازئةٌ وأنتِ حزينةٌ في الرَّوْع تضحك حولك الآجام (١)
فقدَ الشجاعةَ رغمَ بطشِ حرابهم غازوك ، واستبقى لها الايتام !
من كان يملكُ ما ملكتِ من العُلى ومن التراث الفخمِ ليس يُضامُ
والشعب قيمته الحياةُ اذا نما فيه وعاش تضامنٌ ووئامُ
ما كان للخذلان حقُّ مملَّكٍ أبداً ، ولا بلغ العلى استسلام
ثار (الدّروزُ) وأحدقوا بك مثلما أوْفَى (٢) على الكنز العزيز زحام
جذّابة النفحاتِ ، عُمْرُك عُمْرُما تصبو الفنون له وتُزْهَى (الشام)
في كلّ هاويةٍ خوالدُ دوْلة ونثيرُ تربكِ كله إلهام!
يرمي (الفرنسيسُ) القنابلَ واللّظى رميَ الأبالسةِ الذين تعاموا (٣)
فتبيدُ من شرَفٍ يُظنُّ لشعبهم وتظلُّ عاليةً بك الأعلام
ويرى المؤذّنُ حافظاً لعهوده وعلى المنائر للسّلام سلام
وجميع أهلك في المكارم وحْدَةٌ تبقى ، وقد تسمو بها الآلامُ!

***

فخراً لنبلِكَ يازعيم عصابةٍ ما شاب غاية نُبْلها الاجرام
غلبتْ شجاعتها الجبابرة الأُلى نشروا الفساد وفاخروا وأقاموا !!

(١) اشارة الى الغياض والغابات التي عسكر بها الثوار ظافرين خارج دمشق
(٢) اوفى : أشرف.
(٣) لما اوشك الفرنسيس ان يهزموا هزيمة تامة ويطردوا من دمشق عمدوا الى قذف المدينة بقنابل النفط ليتخذوا من الحريق مانعاً يحول دون تقدم الثوار الذين لم تستطع القوة منع تقدمهم ، واستمرت هذه الجريمة الشنيعة ترتكب من عصر الاحد ١٨ اكتوبر الى مابعد غروب شمس الثلاثاء ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥م.

وحفظت يا (حَسَنُ)[1] حياةَ مواطن فمن الممات تَعصُّبٌ وخصام
أنت الصغير كما ذكرت[2]، وانما فيك المناقبُ للزعيم حُسام
أقسمتَ غسْلَ العار وهو نصيبُهم ولقد صدقتَ وبرَّت الأقسامُ!
أطعمتهمْ طعْمَ الهوان بحصدهمْ وأريتهم كيف الحِمامُ حِمام:
وضربت أمثلةَ الشهامة كلها للعابثين، فكيفَ كيف تلامُ؟!

***

والآن يا بلداً أعدُّ مصابَهُ رُزْئي... كذلك تفرض الارحام
والله ما أدري أجرحُك حقّه منّي العزاءُ أم الدّماءُ وسام؟!

(١) هو حسن الخراط الشهير زعيم العصابة التي هاجت دمشق.

(٢) اشارة الى رسالة حسن الخراط الى الجنرال سراي مندوب فرنسا السامي في الشام، حيث يقول له مؤنباً وموابهاً: «.....أما سياسياً فاني كالت شرف العرب بما هو اهله، واستحسن فعلي العالم بأجمعه بحسن ادارة رجالي ومحافظتهم على اخواننا المسيحيين والاجانب خصوصاً، وعلى الضعفاء عموماً. اما انت فقد نحرت شرف فرنسا، وصوبت قنابلك الى قلبها .... يا ممثل فرنسا وأنا حارس دمشق! اسرت جندك اسراً شريفاً، وانت ضربت النساء والاطفال والشيوخ ضرباً دنيئاً. حافظت على الآثار القديمة وانت هدمتها يا جنتار، يا ممثل فرانسا! كان بودك ان تجعلها دينية اسلامية وتفرق بيننا وبين اخواننا، ولكن الله ابى؛ فضيعت رشدك وخربت الاحياء الاسلامية على رءوس اهليها البريئة اهلا بأني اقابلك بالمثل، وقد فاتك اننا عرب ونحافظ على الجار

انا القوم أبت اخلاقنا شرفا ان نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
انت جنتار وقائد الفرق والجيوش، وانا حارس جمعت عقلي وضيعت رشدك ...».

فخرتْ بموقفك المشارقُ مثلما سالت عليك عواطفٌ وغمامُ(١)
في الصبْرِ، في البرِّ الجسيم، وفي الوغى لا الهوْلُ ما تخشى ولا الإرْغامُ
شرفًا رفعت شعارَه بك، هكذا تحيا البلادُ ويُخْذل الصّمصام(٢)!

أُم كلثوم

أبيات ارتجلها الشاعر أثر سماعه من (المحدث) غناءها الشجي لقصيدة :
(لي لذة في ذاتي وخضوعي)

أحْسَنْتِ يا أَمَلي فهاكِ خضوعي! وَوَقَيْتِ حين بَذَلْتِ حقَّ دُموعي
باللهِ غَنِّي من فؤادكِ ما بهِ نَفْحُ الغرام لشاعرٍ مطبوعِ
نَقَلَتْهُ (حاكيةٌ)(٣) إليَّ فكيف إنْ باحتْ به شفتاكِ عند خُشوعي
رقصتْ ودارتْ من نعيم سماعِها مثلي المُقِرّ بسحركِ المسموع
صَوْتٌ كطعمِ الشهْدِ أو كأريجه أوْ لونِهِ في طُهرِهِ المتبوع
صافٍ صَفاءً لا يُقاسُ بغيرهِ وحنينهُ يُذكي وفيَّ ولُوعي
اللهُ أكبر كم تُتابعُ آهَهُ رُوحي، وتخفقُ للرُّجوع ضلوعي!
يا (أمَّ كلثوم)! وما اسمكِ بهجةً الاَّ مرادف فاتنٍ وبديع
صَفْحًا اذا قصّرتُ في سمعي الهوى مِنْ فيكِ منفيًّا بغير شفيعِ
فأنبتُ عنّي الشعرَ في شكر الذي جاء الرسولُ به لِسُكْرِ نزوعي

---

(١) اشارة الى فصل الامطار التي كأنما تهاطلت رحمة بالمدينة .
(٢) باعتباره شعار الظالمين .
(٣) هي المسجلة الشمعية للمحدث (الجرامافون)

سُبْحَانَ فنُّكِ من سَخيٍّ لم يزلْ يُسْدي ، فلم يعرفْهُ أيُّ قَنوع !

البحر الصاخب

نظرة الى شاطىء بور سعيد

أرْسَلْتُ من نظَري سُؤالَ تعَجُّبٍ فتدفَّقَ البحْرُ المغيرُ هَـديراَ !
أبداً يُهاجِمُ شطَّه متحمِّساً فيخالُهُ الرَّائي الجهولُ قريراَ
وهو المثابرُ في بيان رسـالةٍ للجيلِ توقظ غافلا وضريرا
من سالفِ الامم التي اعتزَّت به في الفتحِ واعتمدتْ عليه دهورا
يحكي روايتَها، ويرفع صوْتَه فينا ، يؤمِّل أن يُثير مُثيرا!
مُتتابع الأمواج وهي مقالهُ خطَّتْ لالباب الأنام سطورا
أُنظرْ معي البرّاقَ من أمل بها حيناً ، وآلاماً عبسْن كثيرا
قد كان يُحْسَبُ في قديم ضيْفَنا فاذا به اضحي يُعدُّ أسـيرا
لولا بقيَّةَ نخـوةٍ غـلاَّبةٍ فيه وفِطرةُ مَنْ يعيش خطيرا
يأبى سوى أرضِ المشارقِ حِصْنَه ويظلُّ يسألها الوفاءَ نصيرا
لا أن يُملِّكَ للمُغير المعتدي من شاسع الجزُرِ الصغار صغيرا
قَوْمي الوا نتبهتْ مشاعرُكم الى رُسُل الحياةِ لنلتمو التَّقديرا
من أمْسِكم وغدٍ ومنْ يومٍ لكم كاليوم حيث غدا المجدُّ أميرا
والمستميتُ لكي يُحقِّقَ واجباً والحافظُ الخُلُقَ الكبيرَ كبيرا
لانسمعوا وعظي افحسبي أن تَرَوْا وَعْظَ الجمادِ ، فما يعدُّ حقيرا!

يوم النشور

٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥

يايومُ قد بُعِثَتْ بك الاحلام[1] فليبقَ ذكرُكَ للفخار يُرَامُ
مَرْحى لوحيِك ناشراً آمالَنا من بعد ما قبرَ الرجاءَ ظلامُ
مُتْنا ضحايا الوَهْمِ يقتلُ بعضُنا بعضاً، وتضحكُ حولنا الأيّام
أهدتْ لنا عِبَراً فلم نعبأْ بها يوماً، وصرنا عِبْرةً تُسْتَام[2]
متراشقين، عبيدَ كلّ سخيمةٍ حتى تعجّبَ حولنا الظُّلّام!
نُهْذي بألفاظِ السِّباب وندّعي ما لا تقرّ بنُبْلِهِ الآلامُ
ونُمرّغُ الاعراضَ كلَّ ممرَّغٍ في الوحلِ، حتى عافنا الاكرامُ
ونظلُّ يطمعُ في الزعامة بعضُنا من بعد ماصار الزعيمُ يُضام!
حتى غدونا في التّراب جميعُنا صَرْعَى، ومَظْهَرُنا الأليمُ حِمَامُ
وتهجَّمَ الطاغي فبدَّد شملنا شِيَعاً وضيّعَ حقَّنا استسلامُ
وتوالتْ الضَّرَبَاتُ تُشْعِلُ نارُها شعباً أساء لقدره الاحجامُ

(١) الاحلام : العقول .
(٢) يسأل عن ثمنها - كناية عما تكبدناه من تضحيات وخسائر باهظة .

فاذا القيامة بعد رقدةِ ذلّةٍ واذا له الوطنُ الجريح إمامُ
والحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى عن نصره المتهالك المقدامُ
والشعبُ إنْ جهلَ الحياةَ وقدرَها هيهات يُنصفُ حظَّه الحكامُ!
واذا تفكك في مقامِ تعاونٍ فعلى الكرامةِ والحقوقِ سلامُ!
واذا وَنى الجمهورُ رغم بلائِهِ فعلامَ يُطعَنُ قائدٌ ويُلامُ؟!
العارعارالشعب إنْ رَضيَ الرَّدى حظًّا فأ كمل موتَه الأخصامُ
وتناستْ الأحزاب في شحنائها سقمَ العليل ، فجارتْ الاستاءُ

* * *

فاليومُ ياوطني القريرُ بوحدةٍ عادتْ وبالامل العظيمِ يُشام[1]
يومٌ يخلّده الشعورُ بواجبٍ وترفٌ من فَخْرٍ به الاعلامُ
ويعيشُ للدّستور مُلْهِمُ سرّه وتشبّ من نيرانه الاحلامُ[2]
هيهات يبقى العسفُ بعد رجاحةٍ تُحيي ، فما للظالمين دوامُ

١) يشام : يقدر . (٢) الاحلام : الآمال الواسعة .

حسب المعز ونسبه (١)

المالُ والسّيْفُ العزيزُ كلاهما حَكَمَا على الدنيا طِوالَ قُرُون
ويظلُّ حُكمهما المبجّلَ دائماً حتى يفيءَ الناسُ بعد جنون !
هي دورةٌ للدّهرِ أحسبُ عمرَها أنأى وأبعد من منال ظنونِ
ولعلَّ أحكمَ مُرْشِدٍ في عصرنا عرفانُ هذا الواقع المغبون
ما خاب من ذاق الحقيقةَ مُرّةً وسعى لخير علاجها المأمون
ولنا بتاريخِ (المعزّ) ومجده درسٌ للبّ الغافل المفتونِ
سألوهُ برهاناً على شرفٍ له نسباً يردّ به مثارَ طعُون
فدنا وجرّدَ باليمين حسامَه ورمى النّضارَ باختها لِعيُون
وأهاب فيهم : ذلكم حسبي وذا نسبي!!...فأبدل صخبهمْ بسكونِ !

***

وكذا تجاريبُ الحياةِ بعصرِنا تقضي برغمِ معاقلٍ وحصونِ
فاستجمعوا المالَ الغنيَّ لنهضة خُطّتْ بحدّ الصارمِ المسنونِ
لولاهما ما قامَ عِلمٌ أو حِجًى أبداً ، ولا فُتِحَ مقامَ مَنُون
ومن العجائبِ أن يؤمَّل منهما إنعاشُ أرواحٍ وخَلْقُ فنونِ !

---

(١) (المعز) هو الخليفة الفاطمي المشهور الذي فتح قائده (جوهر) مصر بعد وفاة (كافور) فأسس القاهرة وبنى الجامع الازهر .وهو صاحب القول المأثور -حينما سأله العلماء والاعيان بمصر عن انتسابه لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم : «هذا حسبي وهذا نسبي» ملوحاً لهم بالسيف وناثراً الدنانير ، فأخرسوا !

رثاء فريد بك

من قصيدة مفقودة نظمت في أواخر ديسمبر سنة ١٩١٩م .

إنهَضْ وقُلْ للذكرِ كيف يكونُ جُهْدُ الكميِّ اذا اعتراه سُكُونُ
إنهَضْ نَبِيلَ النَّفس واشرحْ صادقا للنَّشْءِ مجْداً لم تَنَلْه ظُنُونُ
وأَجِزْ لصاحِبكَ الوَفِيِّ بشعرِهِ رُوحاً يسيل أسًى وليس يَهُونُ
ليقصَّ للأحفاد بعدَكَ سيرةً تحيا وإنْ درجتْ عليكَ قُرونُ
رُزْئي بفقدك رزءُ مصريِّ المُنَى ومُصابُ ذي حُبٍّ نماه (أَمُونُ)(١)
يا مُنعشي بالامس مِنْ وجدانِهِ أَنظرْ الى قلبٍ كَوَتْه شُجُونُ
مرَّت أصابعُ الحدادِ فما كفتْ هذي الدموعُ اذا اشتفى المَحْزُونُ
هيهات تَمْنَحُنِي الشِّفَاءَ أهِلَّةٌ أبداً ، وأن تُنسي الاخاءَ سُنُونُ
لي في ادّكارك سِيرَةُ الخُلُقِ الذي تتقلّبُ الدُّنيا وذاك مَصُونُ
وماثرٌ مِنْ تضحياتٍ جَمَّةٍ قال الجبانُ جميعُهنّ جُنُونُ!
لا المالُ عزَّ لديكَ يومَ كريهةٍ كلاَّ ولا شقَّتْ عليكَ سُجُونُ
وقضى ابتعادُكَ عن رُبُوعِ أحبةٍ نَفْياً بأن تشقى ولست تَخُونُ
تمشي بأسمالٍ بَلَتْها عِزَّةٌ في النَّفس حين تخايلَ المغبونُ(٢)

---

(١) نماه : بمعنى رفعه وأشعله . (٢) المغبون كالغبين : الضعيف الرأي الذليل النفس .

وَيُهدُّك الجُوعُ الذي أخفيْتَهُ وكأَنَّما هو سِرُّك المكنونُ
والبَرْدُ ينخر في عِظَامِكَ جائراً والثَّلْجُ حولَكَ عَاصِفٌ وهَتونُ
في ذِمَّةِ (النيلِ) الذي قاسَيْتَه ليرَى البَنُونَ البِرَّ كيف يكونُ
في ذمَّةِ العلياءِ والخلد الذي بفريد ما عانيته مقرونُ
فَخرٌ كهذا الذِّكرِ يخرسُ عنده وَصْفٌ ، وماتقضي عليه مَنُونُ !

الى نفسى

شَكَوْتُ اليك من زَمني ولكن كما يشكو الطَّبيبُ الى الطبيبِ
فردَّدتِ الشّكاةَ وزدتِ هَمًّا وكنتِ أحقَّ بالصدر الرحيبِ
بَذَلتُ مواهبي بذلاً لقومي وليس المَنُّ من طبع الاريبِ
فانْ يستثمروا جُهدي فبِرٌّ وإحسانُ الحبيبِ الى الحبيبِ
وإنْ هم ضيَّعوا مبذولَ نفسي فيانفسي كفى عُذراً وطِيبي
حُرِمْتِ المالَ قُوَّةَ مستعزٍّ ولكنْ نِلتِ اعجازَ الأديبِ
وهذي الشمسُ يُطفئها مَغِيبٌ وما شمسٌ أضأتِ الى مغيبِ
وشعرُكِ سيِّدُ النَّغمات حَيٌّ اذا ما مات لحنُ العندليب
وكم تسمو العُروشُ بلا مُلُوكٍ فتَفنى دون مُلكِ اللَّبيبِ

وليس الخُلدُ مايشرَى بمالٍ ولكنْ غايةُ العَقْلِ النَّجيبِ
فعيشي في جهادك دون بَثٍّ ورُدّي بهجةَ الأدبِ الجديبِ
وزيدي العالمَ إشعاعاً ودُومي جَلالاً لن يكونَ لمستريبِ
وكوني قدوةَ الأحلامِ دَفعاً وحَرْبَ الجُبْنِ في اليوم العصيبِ
وحولكِ هذه الدنيا نعيمٌ فما معنى الشكاةِ أو النحيبِ ؟!
ومن فُرَصِ الحياة بكل يومٍ نداءُ الصِّدْقِ للسَّبق المُجيبِ
وما كان الفلاحُ بغير حزمٍ قرينِ الدَّأبِ والأمل الخصيبِ
فخلّي للعَثُور بكاءَ حظٍّ وصُدّي الدَّهرَ بالرأي المُصيبِ
وسيري باليقين الى حياةٍ ولو خُضْتِ العَنِيَّ من اللَّهيبِ
فما مجدٌ سوى الباقي لفكرٍ وليس المجدُ بالمالِ السَّليبِ

وجدانه الشاعر

إنْ تَسأْني عن تَبياني
فاسأل أيضاً عن وجداني
ليس نظيمي نظمَ بَنَاني
إنْ هو إلاّ بَعْضَ جَناني
لُغَتي فكري بين أغاني

لم تُفسِدْها بِنتُ الحانِ
غَنِيَتْ وزَهَتْ مِنْ ألحاني
رجحتْ صِدْقاً في أوزاني
وسَمَتْ قَدْراً حول مَعَانِ
لم يَصقلها غَيْرُ حَنَاني
في بهجتِها حُسْنُ أمانِ
ولها بَحْرِيْ مَبْدأً سانِ
في اصلاحٍ في احسانِ
في تهذيبٍ في اتقانِ
بيننا الحاسدُ يَجْحَدُ شاني
لكنْ حسبي قلبي الهاني
وكفى قدري شعري الباني
يرفع رأساً للانســـانِ

ذكرى بيتهوفن

أعظم عظماء الموسيقيين في الغرب وأوفرهم شقاء (١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠ - ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧)

أيُّ ذكرى لنا وأيُّ جِرَاح ... أشْعَرَتْنا الجوى ومَعْنى النُّوَاح
أيُّ رزءٍ لنا وفاتك فيهِ ... ذهبتْ خُلْسَةً بسرِّ الصباح
فقدتْ بعدكَ (الطَّبيعةُ) إشعا ... عَامن الحِسِّ والذكاءِ الصُّرَاح (١)
فقدتْ رائيَ الحياةِ بألحا ... نٍ حكَيْنَ الأسى وعَصْفَ الرياح
فقدتْ واصفَ الوجودِ وإنْ عَـــزَّ على العقلِ والبيانِ المتاح
في لغاتٍ من الغِنَاءِ صِحاحٍ ... تيَّمتْ أكرمَ النفوسِ الصِّحاح

***

ياعظيمَ الألحانِ يا كابرَ النَّفْ ... سِ (٢) ويامَعْقِلاً كثيرَ النواحي
عِشْتَ تشدو بنغمةِ الكَوْنِ للسَّا ... مِعِ شقيَّ المنى جسيمَ الكفاح

---

(١) كان بيتهوفن يستوحي الطبيعة قبيل تلحين أناشيده أو أثناء تلحينها وكان يعرض نفسه من أجل ذلك لتقلب الجو وللمواصف ، كأنما يجد فيها صورة تماثل نفسه الحزينة المضطربة فتعاونها على مجهوده الفني الذي كثيراً ما مثل أغاني الشقاء .

(٢) لقد كان بيتهوفن حقاً عظيم الشمم شريف النفس يعرف معنى الكرامة ويجل فنه ومقامه ، وقد كان عظيما كذلك في مكافحته بؤسه .

لم تدعْ صورةً من الخلق لم تظ فرْ بلحنٍ لدى هواكَ المباح (١)
راسماً راوياً تبالَغ بالصوَّ تِ فُنونَ الأوصافِ والأوضاح
في سُفوحِ الجبالِ في وَحْدَةِ الغا بِ ومن مشهَدِ الربى والبطاح
في دويِّ المياهِ من نهرها الجا ئش بالشعرِ في انسكابِ السّماح
في اضطرابِ الأمواجِ يرشقها النّو رُ فتهوي صريعةً من جراحِ
في مناجاة نَظْرَةَ (الرّينِ) اذْ يبـ ـدو جديراً به اقتنانُ الملاحِ (٢)
كلُّ هـذا وغيرُ هـذا تملَّيْـ ـتَ حزيناً كبلبـلٍ نوّاح
وجعلتَ النُّوَاحَ من قلبك الشا كي رسولا يخصُّنا بالرَّباحِ (٣)

* * *

لَهْفَ نفسي على نُبُوغِكَ في البُؤْ سِ شقيَّ الإمساءِ والاصباح
ساخطاً ثائراً على العـالَمِ القا سي كبيرَ الحجى كبيرَ الصّلاح (٤)

---

(١) تعد السونيتات والسمفونيات التي وضعها بيتهوفن من جوامع الاناشيد والاغاريد لصور الحياة والوجود بحيث يستغرق فهمها عمراً بل أعماراً !

(٢) هكذا كان بيتهوفن يقضي أوقاته في تضاعيف الغابات وبين المروج وعلى ضفاف نهر (الرين) وعند سفوح الجبال ناقلا بلغة الغناء تأثير ماشاهد ومعناه فتنة للسامعين .

(٣) اشارة الى ألحانه الحزينة الناشئة على الاخص عن آلامه من اقبال الصمم عليه .

(٤) كان بيتهوفن كبير الحجى حقاً كما دلت على ذلك بطولته في مكافحة

تغتدي هائماً على الجبل الشا مخ مستوحياً أغاني الرّواح(١)
يقصف الرّعدُ بينما أنت والغيـ ـثُ رفيقا مودّةٍ وارتياحِ
فتُحيلُ الأحداثَ أنغامَ وجدا نٍ شجيٍّ معذّبٍ غير ضاح
وتقصّ البيانةُ السحر إلهـا ماً كثير المنى كثيرَ المناحي
فتولّى الصّبا ولم تجْنِ منـه غيرَ فُقْدانِ مَسْمَعٍ مُسْتَباح(٢)
لَهْفَ نفسي عليكَ إذ يُمْنَحُ السمـ ـعَ نؤومٌ ويُحْرَمُ السمعَ صاح
ليت شعري أيُحْرَمُ الفنَّ فنّا نٌ ويحظى به الجنيبُ الإباحي؟!
قُدُسيُّ الأنغامِ من عقلك الفذْ ذِ حُقوقٌ لعقلكَ المنّاح
والرحيقُ الذي وهبتَ الى الأ سماعِ أحرَى بمسمعٍ منك لاح(٣)
والغرامُ الذي رفعتَ على الدُّنـ ـيا خليقٌ بمدمعٍ سحّاح

آلام مرضه وآلام تعاسته ، وكما دلت حادثة اشمئزازه من نابليون الاول (بعد أن لحن له « نشيد البطل ») لما توج نابليون نفسه بدل ان يعيش خادم الشعب الجمهوري . وكان بيتهوفن كبير الصلاح نقي السمعة حتى كانت فضيلته السامية موضع السخر بين أوساط أهل « النبل » في ذلك الوقت .

(١) الرواح : وجدان السرور الحادث من اليقين . وقد كان بيتهوفن رغم ثوراته النفسية من آن لآن عظيم الايمان عظيم الصبر .

(٢) اشارة الى مصابه بفقد سمعه في شبابه . والبيانة : *Piano* . والمناحي : الطرق . وغير ضاح : غير بارز للشمس : مظلم .

(٣) لاح : لائم ساخط .

كانَ كلَّ العزاءِ للمُبْدِعِ الشَّا قي ولكنْ أبى ضئيلَ النُّفَاحِ
أنتَ أحييْتَهُ فما برَّ بالحا لقِ بل كان كالجحودِ الوَقاحِ (١)
يا مُغيثَ الانسانِ لم يُعْطِكَ الانسا نُ في العيشِ ما سوى الامتداحِ
لم تنلْ مُتعةَ الحياةِ من الحُبْ بِ ولا السَّمعِ لا ولا الانشراحِ
ومُنِحْتَ الاسقامَ والبؤسَ والو جدَ جزاءً من عالَمٍ في مِرَاحِ (٢)
هكذا فاتك الجمالُ مع الحُبْ بِ ورُوِّعْتَ جاهداً في صياحِ (٣)
هكذا هكذا المهازلُ في الدُّ نيا مُصابُ الأحقِّ بالأفراحِ
فتركت الفناء للخلد جذلا نَ كأنَّ المماتَ معسولُ راحِ
وقضى الدَّهرُ أن تكون البواكي قبلَ خلقٍ أزاهرُ الأقاحِ!

---

(١) إشارة الى نكبته في غرامه ، وهو هو صاحب الاناشيد التي فيها غذاء الحب ومتعة الوجدان .

(٢) المراح اسم من مرح اذا اقترن الفرح بالاشر والبطر .

(٣) اشارة الى نوبات جزعه بل جنونه أحياناً من اليأس والعزلة والحرمان وسخطه على مهزلة الحياة .

الطبّ والشعر

يا زاجري عن شِعْرِيَ الحسّي ... مَنْ أنتَ في حُكمٍ على نفسي ؟!
طِبّي وعِلْمي ماثلاَ أدبي ... متنظّرين [1] حقائقَ الحِسّ
أتلومُ إبداعي - ولا مَنٌّ - ... للعقْلِ والآدابِ والطّرسِ ؟!
هل كان قَرضُ الشعر موهبةً ... للجهل أو لِلَّهوِ والكأسِ ؟!
ومُحرَّماً أبداً على نَفَرٍ ... علموا وُجوهَ العِلْمِ والحدْسِ ؟
فَحَصوا الوجودَ ومزّقوا حُجُباً ... عن أبعدِ المجهولِ للأمس
مستوفقين العلمَ [2] دون وَنىً ... بمُنوَّعِ التمحيص والدَّرْسِ
وموفّقين لدى مشاعرهم ... بين الفنون ، وكنَّ في يأسي
إنّي الصغيرُ وانّما أدَبي ... منظومُ ما تُزْهى به رأسي
مِنْ نور إنساني ومن تَعبي ... بَحْثاً ومن غَرْسي ومِنْ قَبْسي
أتروم تعذيبي وفي طُرَفي ... ما زاغ عن كَتْمٍ وعن حَبْسِ ؟!
وأنا الذي أشتام [3] في نظري ... الجوهرَ [4] المعدومَ للّمسِ

---

(١) متأملين .
(٢) سائلينه التوفيق .
(٣) أقدر.
(٤) الجوهر أو الذريرة : atom ، ويشير الناظم الى ما انتهت اليه البحوث العلمي الدقيق من أن الذريرة عالم شمسي صغير مدهش.

قَدْ صِيغَ صَوْغَ[1] الشمس في مُثلٍ جمعت نظامَ كواكب الشمسِ !
قمْ سائلْ الاطلالَ مغتبطاً واتركْ لوجداني مُنَى أُنسي !
أرْضَى (الطبيعةَ) حاكماً عدِلاً[2] جَنْبَ (الحجى) وعلى بني جنسي
و (عوالِماً) ناجيتُها طرباً ونظمتُ ما أوْحتْهُ فى هَمْسي !
وعَدَدْتُ نفسي بعضَها ، فأنا حَيٌّ بها في العيشِ والرَّمْسِ !

النعمتان

نظرة وابتسامة

أنشودة الى حسناء أديبة

نبّئيني نبّئيني قصةَ (الرنيا) العجيبهْ
إنمـا تغني حنيني نظرةُ الروحِ الاديبهْ !

* * *

لا تبوحي بـــكلامٍ إنَّ في عينيك شعْراَ
ومَـلاماً لمـــلامٍ منْ مُحبٍّ ردَّ عُذْراَ

---

(١) يقال هو صوغ أخيه أي ولد معه . وهما صوغان أي متماثلان في الميلاد وغيره ، والصوغ أيضاً ما صيغ . (٢) أي عادلا .

* * *

أُنظُري يانور عَيْني أُنظـري يانورَ نفسي !
كم معـانٍ غِبْنَ عنّي قبل أن أسديتِ أنسي !

* * *

وآنسي (**الشمس**) لما كوّنتْ هذي الحياهْ !
فانتَـشى قلبٌ وهمّا وتلمّتْهـا الشـفاهْ !

* * *

أنتِ (**دنيا**) في شُعاعٍ ! أنتِ (**أخرى**) في ابتسامْ !
كيف أبقى في التياعٍ ومحيـاكِ الســلامْ ؟ !

* * *

ليس لي شأنٌ برانٍ يرصد (**المريخَ**)[1] ليلاَ
أنت لي (**زهرة**) لكنْ رصدُها بالصُّبح أولى !

* * *

فابسمي واحكي نشيداً من أغاريدِ الوجودْ !

---

(١) نظمت هذه الابيات مساء ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٦م - ليلة اقتراب (المريخ) من الارض واهتمام الناس برصده .

وآمنحي عيداً سعيداً من محياك الوَدُودْ !

* * *

لقنيني يانعيمي نِعْمة (الربا) بنظرَهْ

وانشري لطفَ الرحيم تُعطني (لاغرى) كزهرهْ!

أقصى الظنون

أقْصى الظُّنونِ وُجودي اصْلُهُ العَدَمُ

ومنْ عجيبٍ وُجودي ليس ينعدِمُ[1] !

في ذمَّةِ الصَّامتِ الماضي البعيدِ وما

تُخْفي العصورُ هدًى هيهاتَ يُغْتَنَمُ

مرَّتْ ملايينُها لمحـــاً كثانيةٍ

وخلَّفَتْ حيرةً كبْرى لمن فهمُوا

ما الخَلْقُ ؟ ما هذه الدُّنيا ومَنشؤُها ؟

ما الفِكرُ ؟ ما الجوْهرُ الباقي ؟ وما العَدَمُ ؟

---

(١) العدم : الفناء . وهي عصرية الوضع ، وكذلك ينعدم .

مَسائلٌ هي لـــلأحقابِ باقيةٌ
كما سَيَبقى الرَّدى والشكُّ والالَمُ
أجَلْ فَرْضٍ لها وَهْمٌ ، وأيسَرُهُ
وَهْمٌ ، وقد يستوي الدَّهماءُ والعلَمُ!
قَنِعْتُ مِنْ نشأةِ الدُّنيا بصُورتِها
في الذِّهنِ كالحُلْمِ ، لولا أنها (١) حُلُمُ
وثُرتُ آنَا على عَقلي وضَيعَتِهِ
بين الظُّنونِ التي قد عافَها القَلَمُ
وما أَبحْتُ سوى تخليد ما نَطقَتْ
به المَشاعِرُ عن وَحيٍ له كَلِمُ
أُحِسُّ انّي قَرينٌ لِلْوُجودِ وهل
يُفْني الوُجودُ قرينًا ليس ينفصمُ؟
وما حياتي ؟ أليستْ بعضَهَ وبها
من رسمِهِ صُوَرٌ شتَّى لمن رَسَمَوُا ؟
مِنَ الشُّعاعِ ، ومِن هذا الهواءِ ومِن
مَوْجِ الاثيرِ جرى فيها هوًى ودَمُ !

---

(١) أي الصورة الذهنية .

اذا تأمَّلتُ فالامواجُ تُسعفني
وان تغنَّيْتُ فالأمواجُ لي نَغَمُ !
كُلّي شُهومٌ من الذرّات تربطُها
بالعالمِ الاكبرِ الأسبابُ والنُّظُمُ !
ففي حياتي شُعاعٌ مِنْ جلالتها
وفي المماتِ مَصيرٌ سِرُّهُ عِظَم !
اللهُ أعلمُ ، هل روحي سوى قَبَسٍ
من الكواكب لاتُودي به الظُّلَمُ ؟!
عواملُ الكوْن تزْجيها وتجذُبُها
وأصلها بينما ينحلُّ يلتئمُ
تمتدُّ في مُثُلٍ تَوّاقةٍ أُعلى
ويعشقُ النُّور ما تُهدي ويقتسمُ
يكادُ يُقسم وجداني بأنَّ له
في الكون مُلْكاً رحيباً كلُّهُ خدَمُ
جَمُّ المناجاةِ [1] لا يَعصيه مستمع
لصوتِ نَجْواهُ حتى الصخر والاجَمُ [1]

---

(١) أي الوجدان ، والاجم : الشجر الكثير الملتف ، وحتى حرف ابتداء أي حتى الصخر والاجم لا يودان مناجاته .

فليس تُرشده الاَّ مدارُكه
وليس تُلهيه أضغاثُ الأُلى زَعَموا[1]
وليس يزعجُه مَوْت ، وليس له
غيرُ الحنينِ لأشباهٍ له علوُا !

القلب الدامى

قالها الشاعر في هدية قلب بلوري صغير ارسل اليه ، نصفه أحمر اللون والنصف الآخر أصفر.

أهديتِ تمثالَ الفؤاد الدَّامي قلباً من البلّور رَفَّ أمامي
في نصفِهِ لونُ النَّجيع مخضّبٌ آمالَه ، وبنصفِهِ آلامي
أعطته لوناً من ذبول سعادتي[2] وكسته من شجني[3] ودمع غرامي[4]
فرأيته المتلألئ الباكي أسىً الشاحبَ الذاكي بلفح ضرامي
«من أنتَ يا أملي» ؟ فقال معاتباً « أنسيت قلبك في مقام هيام؟!
أو لم أكن منك الرسول لقلبها والقد جُرحت فعدتُ في أسقامي؟!»

(١) أباطيل الواهمين .
(٢) اشارة الى الصفرة .
(٣) اشارة الى الحمرة .
(٤) اشارة الى التلألؤ .

فوضعتُه فوق الضلوعِ فزادني حساً ، وحرّك بالخفوق أوامي
فعلمتُ كيف رددتهِ براً لكيْ يوفي رسالته الى أحلامي
متزوّداً من بعض قلبِك ـ إنه روحي ، وان طُبِعا على الآلام !

سيد درويش

نابغة الموسيقى المصرية وفقيدها

أوحيتَ واستوحيت أبدع ماشدا في (مصر) بلبُلها فغنّى (النيلُ)
وبكلّ لحنٍ مطلَقٍ لك نغمةٌ حنّ الجمالُ لها وأصغى الجيلُ
مختارةٌ مما تراه بدائعاً هي للجمال رسالةٌ ورسولُ
نشأتْ مناظرَ ثم صارت فتنةً[1] للسامعين كأنها التنزيلُ
هي نفحةُ الأرْواحِ من ملكوتها وبها دليلٌ مُسْعِدٌ ودليلُ
نُصْغي لها فنشيمُ عند سماعها صُوَرَ النعيم الى القلوبِ تميلُ
كم من مشاهد كنتَ تستوحي بها هذا البيانَ يزُفُّه (جبريلُ)
فترى الطبيعةَ فيه غيرَ بخيلةٍ ولكلّ صوتٍ رحمةٌ وجميلُ[2]
ما ذا جنينا اذْ رحلتَ معجّلاً ؟ فكذا الربيعُ عقابُه التعجيلُ !

---

(١) اشارة الى عادة الفقيد في استيحاء المناظر الطبيعية عند نظم موسيقاه.
(٢) جميل : فضل واحسان .

حسدوكَ في بؤس الحياة وهاهمو حسدوكَ بعد الموتِ وهو نبيلُ
موتٌ تزيد به الحيـاةُ تبأُّجاً والنّورُ في اللّيلِ البهيمِ جميلُ
أسفي عليك.. كذاكَ لي أسف على بُعدي.. فحقَّ بنانكَ التقبيلُ
ستعيش ماقدَرَ النبوغَ مغرّدٌ فينا وما عرفَ الجليلَ جليلُ !

صور وأنغام

أمْتَعْتُ من فَجْرِ (الرَّبيع) الهَامي[1] قلبي المَشُوقَ لِفِتْنَةِ الإلهامِ
ورنَوْتُ للامّ (الطبيعةِ) باسماً فاذا الحُنُوُّ بثغرها البسّامِ
رفعتْ نقابَ الأيلِ عنها وازدهتْ ببدائعِ النقّاشِ والرسّامِ
وبدتْ تُغرّد للخواطر والنُّهَى بِنُوَّعِ الفنّان من أنغامِ !
الطّيرُ كان مؤذّناً بصلاتها ثم استزاد هُدًى فكان إمامي!
فتلوتُ من قلبي الفرير عبادتي وشَرِبْتُ باللحظ الأسير مُدَامي!
وختمتُ مقبولَ الصّلاة بنظرةٍ تُهدي الى طُرَفِ المروجِ سلامي!

* * *

ثم استقلَّ الصُّبْحُ في مَلَكُوتهِ بعواطفِ القلبِ الشجيِّ الدّامي

---

(١) الهامي : الفياض بكرمه .

يأسو جراحاتِ الفؤادِ مجدّداً نِعَماً تُزيلُ دفينَةَ الآلامِ
فاذا الاشعَّةُ كالرجاء ليائسٍ تختالُ في صُوَر الجمال أمامي !
واذا النَّدَى فوْقَ الأزاهرِ عابثٌ بالنُّورِ لا يخشى أقلَّ مَلامِ !
ويُذيبُ مُهْجَتَه بغير تردُّدٍ ما بين ثغرٍ للنَّبات وجامِ
والنّحلُ ترقصُ حولَه في مَلْعَبٍ وتقصُّ نَجْوَى الحُبّ والاحلامِ
أوْحَتْ لشعر (البحتريّ) جَمَالُه وشدا بما غنَّت (أبو تمّام)
واستاف (ماترلنك) من أنغامها[1] صفوَ الغناءِ العذبِ للأفهامِ
والجدولُ الجاري بلحنٍ دائمٍ يَرْعَى الحقولَ رعاية الايتامِ !
ويبوحُ حيناً بالغرامِ لزهرهِ وهُنيهة يأبى فصيحَ كلامِ
ومُمَوَّجُ الزَّهْرِ النضير مقبلٌ في الماءِ صُورةَ حُسْنِهِ المترامي !
ورقيقةُ النَّسمات تعبَقُ بالهوى وتبثُّ ما حملتْ الى الاكمامِ
عطفتْ عليَّ كأنّما شعُرَتْ بما يُبدي وما يُخفي أصيلُ غرامي!
وكأنَّ شعري عاد (بابن خفاجة) أو (بابنِ حمديس) فقام مقامي!
أو أنَّ (رُمْي)[2] قد أباحَ لخاطري في الوَصْفِ سِحْرَ الناقش العلاَّمِ!
فَحَنَتْ عليَّ وأكرمتْ برّي بها ونَضَتْ عن الآيات كلَّ لثامِ

(١) شاعر بلجيكا العظيم ، مؤلف كتاب « حياة النحلة » . ولد سنة ١٨٦٢ م .
(٢) هو النقاش الانجليزي الشهير (١٧٣٤ م — ١٨٠٢ م .) .

فاذا المَشَاهِدُ فتنـةٌ لاتنتهي وبِكلّ مسموعٍ دليلُ هيامي
وتكاد أُذني تُدركُ الهمسَ الذي
تُفْضِي به الأعْشَابُ بين رَغَامِ [1] !
وعواطفاً شتّى وإنْ خفيتْ ، فما تخفى أمام نوافدِ الاحلام [2] !
في كلّ مشهـودٍ أراها حَيَّةً حتى بمخضلٍّ من الآكامِ [3] !
وأنا الصغيرُ وإنمـا حِسّي الذي ناجَى ، ففات الكابرَ المتعامي
فجميعُ ذرات (الطبيعة) ملجا لهوايَ أو لحجايَ أو لسلامي
فأبثُّهـا ظَمَئي وأنهـلُ بِرّها وأعُدُّ في إكرامِها اكرامي!

السعادة

وفلسفة سقراط

نقـدتُ نفسي بنفسي ورُبَّ نَقْدٍ عِبَادَهْ !
فشِمْتُ [4] أجْهَلَ فَرْدٍ للجهلِ ألْقَى قِيـادهْ !
وكنتُ أحْسَبُ أني مَنْ نالَ عِلْمـاً وزادَهْ !
واحسـرتاه لقلبٍ أضاعَ عندي اجتهادَهْ !

(١) الرغام : الرمل . (٢) الاحلام : العقول . (٣) التلال الندية .
(٤) شمت : لمحت .

عُمـري تقضَّى بِجَهْلي ففيمَ أُبْقي آعتدادَهْ ؟

* * *

لـكنْ لعـلّيَ قامٍ في الحكم عن غير عادَهْ
فإنْ عرفانَ جَهْـلي عِلْمٌ كثيرُ الإفادَهْ !
وإنَّ فَحْصيَ نَفْسي فَضيـلةٌ مُسْتَفادَهْ
لولا بُحوثي وشكّي لما عرفتُ (السعادهْ)
كأنَّ (سفراط) أوحَى الى فـؤادي فـؤادَهْ !

* * *

أمَّا (السعادةُ) عندي فـلذّةٌ مُسْتَعَـادَهْ
قالوا القناعـةُ منهـا وأنّ منهـا السيـادَهْ
وقد أصـابوا، ولـكنْ لهـا دَوَاعٍ وقَادَهْ
العامـلون لخـيرٍ المبتغون الإجـادهْ
القـانعون بعيشٍ للنَّفْعِ لا للبـلادَهْ
الرَّاضخـونَ لحـقٍّ عن راحةٍ مُسْتَفَادَهْ
يَبْنُونَ لا قَصْدَ زَهْوٍ ولا لأجل الإشادَهْ
لـكنْ وُلُوعاً بِخَـيْرٍ (فالخيرُ) أصلُ (السعادهْ)

سلطانة تنتحر

روت الصحف المصرية الصادرة في أول سبتمبر سنة ١٩٢٦ نبأ خلاصته أن السيدة (سنية) حرم المغفور له السلطان (وحيد الدين) سلطان تركيا السابق ألقت بنفسها في النيل طلباً للانتحار ، تخلصا من بؤسها بعد ضياع عزها وسلطانها السابق ، وكانت وفدت على مصر منذ ثلاث سنوات فعانت ضيقا شديداً ، وأخيراً اضطرت الى الالتجاء الى (ملجأ الغرباء) بالقاهرة . ثم تغلبت عليها دواعي اليأس فالانتحار ، ولكن من حسن حظها أنها لما ألقت بنفسها في النيل سقطت على ظهرها فحملها التيار مسافة طويلة دون أن تغوص في الماء الى أن قيض الله لها نوتيا انقذها

* * *

اللهَ في ذاك الجمالِ النّاثرِ اللهَ في الحظّ الكبيرِ العاثرِ
خلع الزّمانُ القاهريه بسيفهمْ واليومَ يقهر أيَّ حسنٍ قاهرِ
وكذا الحياةُ تناقضٌ بتآلفٍ وكذا السلامُ مَخاطرٌ بمَخاطرِ
مَنْ مُرجعي اللأمس ضحّاكَ الضُّحى جمَّ التأنُّقِ من فنونِ جواهرِ
لأبثَّه أقسى العتابِ فانَّه جازى أحِبَّتَه جزاءَ الغادرِ
وكأنَّه نَسِيَ العُهودَ يزفُّها للملكِ والسُّلطانِ غيرَ محاذرِ
يَهَبُ القُصورَ الباذخاتِ من الحَلى معصومةً من نظْرَةٍ ونظائرِ

تَهَيَّبُ الأبصارُ طلعةَ حسنها وتشوقُ ذكراها غرامَ الذاكرِ
ويخصُّها بنوافذٍ كمنائرٍ ومناظرِ الجنَّاتِ بَعْدَ مناظرِ
واذا الحسانُ بهـا جمالٌ خالقٌ قد فاق وصفَ الحورِ عند الحائرِ
واذا جواريها النَّضَارةُ والصِّبا مُلِّكْنَ حُكْمَ عقائلٍ وحرائرِ
يرفلْن في وشي النعيم مجدَّداً كتجدُّدِ الروضِ البهيجِ الناضرِ
في الطَّوْعِ، لكن في مناعةِ دولةٍ في الأسرِ، لكنْ نِلْنَ قلبَ الآسرِ
يتطلّع (البسفورُ) في زيناتهِ لتأمُّلِ الحسنِ الأعزِّ السافرِ
وترفُّ فاتنةُ الهضابِ كأنما هي (المطيعة) ناطقاتُ منابرِ
تُلْقي التحايا نحوهنَّ بواسماً فتنالُ اعجابَ الجمالِ الشاكرِ
فتردُّ هـذا الشكرَ للدنيا سنًا في الرسمِ ألوانًا وشعرِ الشاعرِ!

***

ماذا دهى ذاك الجلالَ وما لَه ولّى كما ولَّتْ هواجسُ خاطرِ؟!
وكأنمـا ما كان مُلكٌ يُرْتَجى يومًا ولا ربّاتُ قصرٍ زاهرِ
وكأنمـا قد كان حُلماً رائعًا فمحتْهُ كالأوهامِ رُقيةُ ساحرِ
لم يلقَ في يومِ الفداءِ مُدافعًا عنه، ولم تُسْعِفْهُ نُصْرَةُ ناصرِ
قال (الزمانُ) وقد تَسمَّعَ صيحتي:
«مَنْ أنتَ؟ هل أُنْسِيتَ حُكْمَ شعائرِي؟

الجندُ والمُلْكُ العظيمُ وأهلهُ لاشيء إنْ هاجمتُهم بعساكري!
وشريعتي الكبرى البقاءُ لكابر وشريعتي الصُّغْرَى الفناءُ لصاغر
إياكَ أنْ تُغْرَى بطعني مرةً فأنا أبوكَ، فهل تكونُ الزّاجري؟!
ولو انتهتَ رأيتَ ألفَ فضيلةٍ فيما تلومُ وكنتَ أنتَ العاذري
أَبْني وأهدم في اطراد دائمٍ فترى المآثرَ تاليات مآثرِ
أُعطي الوجودَ لعارفي خيرانِهِ والمصلحين المنقذين ذخائري
ولربما جَرَّبْتُ غيرَ مُوَفَّقٍ فأعودُ للتكفيرِ غيرَ مكابرِ!»

***

رَنَتْ (الطبيعةَ) في ذُهُولٍ نحوها
وقدارتمتْ في (الميلِ) بين زماجرِ[1]
فارتدَّ عنها الموْجُ ـ ردّةَ مُؤْمنٍ بالحسْنِ لا القدَرِ العَتيِّ الآمرِ
وتجاوبتْ صُوَرُ (الطبيعةِ) بالأسى
في مثلِ لَمْحِ خواطرٍ ونواظرِ
حُملَتْ على الماءِ الشجيِّ وجسْمُها الطُّهْرُ مرفوعٌ بعرشٍ طاهرِ
النُّورُ والنَّسَماتُ والماءُ الذي فيه الحياةُ حيالَها كبشائرِ
والموتُ مخذولٌ أمامَ جلالها وأمامَ طرفٍ (الطبيعةِ) ساهرِ
كم كان هذا الموتُ طَوْعَ بَنانِها لكنَّها عفَّتْ عفافَ القادرِ

(١) جمع زمجرة — اشارة الى صوت الامواج وصخبها.

فاذا الجزاءُ لها جزاءُ مآثرٍ واذا المآلُ لها مآلُ مفاخرِ

***

حُمِلَتْ على التَّيارِ وهو مُجَاهِدٌ لِنَجَاتِها بجري بخِفَّةِ طائرِ
فاذا العنايةُ أرسلَتْ لرجائِها شَهْماً، وأودَتْ بالرَّدى المتقاطرِ
وكأنَّه الغوَّاصُ لكنْ حَظُّهُ أن يلتقي بالدُّرِّ لِقْيَةَ عابرِ!
الخالقُ الرَّحمنُ رَقَّ لحالها وأجابَ تسآلَ الفؤادِ العامرِ (١)
وأقلَّها لسلامةٍ وكرامةٍ أوْلَى بجمعٍ أحاسنٍ وأزاهرِ
رَجَفَتْ لنكبتها قلوبٌ جَمَّةٌ وجرَتْ لعودتها شؤونُ محاجرِ
سُبْحانَ مُفنيها ومُرْجِعها معاً ومُمثِّلِ الدُّنيا لِعِبْرَةِ ناظرِ!
بالأمسِ كانت للعُلى سلطانةً واليومَ للنوتيِّ حظُّ الظافرِ!
كانت لها الأرواحُ طوعَ مشيئةٍ واليومَ بين مهالكٍ ومقابرِ!
لولا اختباري للحياة وما وعتْ ماقلتُ ذاكَ الأمسُ عينُ الحاضرِ!

---

(١) جاهرت السيدة (سنية) أمام المحقق «بأنها أقدمت على الانتحار تخلصا من حياتها التعسة، ولكنها لما قذفت بنفسها الى الماء وشعرت بيد المنية تدنو منها لتحملها الى الآخرة قدمت على مافرط منها وتمنت لو أن العناية الربانية ترسل اليها من ينقذ حياتها». وهنا سكتت السيدة (سنية) لحظة ثم قالت: وقد أجابتني السماء الى صلاتي اذ بعثت الي بهذا الشجاع الشهم فأنقذني — وأشارت الى النوتي الذي انقذها — وكم كنت أود لو كان معي ماأكافئه به» . . . وهنا نظرت اليه نظرة طويلة ضمنتها ما تكنه له من الشكر والاعتراف بالجميل . — عن مجلة (العالم) بتاريخ ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦م.

***

إيهاً (سفينةُ) أنتِ أيُّ سفينةٍ لم تَخْبُ في ظُلُماتِ دَهْرٍ كافرِ
لم تجزعي الموتِ قدرَ خصاصةٍ حرمتكِ من تقديرِ شهمٍ نادرِ
ماضنَّ ـ إذْ دعتْ المروءةُ ـ بالنُّهى والنفسِ في إنقاذِ رُوحٍ حائرِ
لو كُنتِ حاكمةً وَهَبْتِ له العُلى يكفيهِ نَفْحٌ من سَنَاكِ العاطرِ
تكْفيهِ نظرتُكِ التي جمعتْ له أسمى معاني الشكرِ غيرَ ظواهرِ
أبقى وأجدى من نضارِ مُسْعِدٍ أحلى وأبهى من حُلَى وأساورِ
ذكرى الطَّهارَةِ والنَّضَارَةِ والسَّنا أغنى وأفعلُ في شغافِ سرائرِ
عيناكِ في دَمْعَيْهما كم أشرقتْ بالأمس من دمعيْهما للظافرِ
سُوَرُ الرَّجاءِ ... فلا تعافي بعضَه لفؤادِكِ المحزونِ والمتناثرِ !
فمظاهرُ الدنيا اذا هي عُوجِلَتْ لم تُلْفَ غيرَ عوارضٍ ومظاهرِ
عَرِيتْ عن الحسنِ الأجلِّ وإن بدت حسناءَ للغرِّ الجهولِ الخاسرِ
وسعادةُ الدنيا القناعةُ وحدَها ومصائبُ الدنيا غُرورُ القاصرِ
ما الناسُ بين ملوكهم وجُوعهم الاَّ مثالُ تحوُّلٍ لعناصرِ
دَيْنُ الفناءِ من الزمانِ مُصاحِبٌ لجميعهم ، وجميعُهم لتناحرِ
والأسلمُ الأبقى العقيدةُ ، إنها للنفسِ ايُّ غنىً ومجدٍ وافرِ !

ذكرى ٧ فبراير

ذكرى اعلان حق مصر

(في يوم ٧ فبراير سنة ١٩١٩ ألقى المستر برسيفال المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية خطبة قانونية الموضوع سياسية المرمى في دار « جمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع» في القاهرة بحضور وزير الحقانية ومستشارها ووكيلها وبعض أعضاء الجمعية التشريعية وكثير من رجال المحاماة أمام المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة ، داعيا الى تعديل قانون العقوبات المصري تعديلا يخرجه من صبغته المصرية الى صبغة انجليزية . وكان بين الحضور وكيل الجمعية التشريعية سعد زغلول باشا . فانتهز هذه الفرصة وقام فأعلن أن مصر لاتقبل تغيير نظمها بغير أن تشعر بالحاجة الى التغيير ، ثم استطرد فأعلن بصوت قوى جهوري أن الحماية باطلة لان مصر لم تقبلها ، ولانها كانت ضرورة من ضرورات الحرب ، وقد زالت هذه الضرورة فوجب أن تزول الحماية معها ، ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة . فيوم ٧ فبراير على هذا كان اليوم الذي تحددت فيه الغاية وأعلنت ، والبداية التي تلتها مباشرة أعمال الجهاد ، والصوت الاول الذي تلته الاصوات واجتمعت حوله وكان له الاثر الحاسم في النهضة السياسية الحديثة) .

***

مِنْ حُقُوقِ العُلَى وحَقِّ الأَمانَهْ مَذْحُكَ اليومَ يا مُعَلِّي زمانَهْ
لم تشأْ رُتبةَ الزَّعامةِ الاَّ بعدأن مَثَّلَتْ حقوقَ (الكِنانَهْ)
جُهْدُكَ اليومَ ذِكْرُهُ ذِكْرُ دَيْنٍ سرمدي ، ونَفْحَةٍ من دِيانَهْ !

أنتَ أنتَ الذي بعثتَ من الرَّمْ سِ رجاء بصَيْحةٍ رنَّانَهْ
خَلْفَها قُوَّةُ العقيدةِ مِنْ حُبٍّ — لشعبٍ اليكَ ألقى عِنَانَهْ
خَلْفَها أَنْبَلُ الرجاحةِ إقدا مَا لمن يقتدي المَدَى أوطانَهْ
خلفَها غَضْبَةٌ من اللهِ للعَدْ لِ اذا البَغْيُ كاد يُفني كِيَانَهْ
قد تكفّلتَ من وُثُوبِكَ إنذا راً (لمصر) بستعِزّ الكِيَانَهْ (١)
قد تكفّلت بالتيقُّظ (ياسَمْ دُ) لشعبٍ وهَبْتَهُ وجدانَه (٢)
أَنْصَتَ الدهرُ شاكراً ذلك الصَّوْ تَ الذي تعشق العُلَى تَحْنانَهْ !
أَنْصَتَتْ حولك القُرُونُ باكبا رِ وَفيٍّ مُبجَّلٍ عُنفوانَهْ (٣) !
ذكرتْ مبدأَ الحضارة في الدُّنْ يا ومجداً ودولةً فينانَهْ (٤)
ذَكَرتْ نسلَ مَنْ قضوا دُون مُلْكٍ مِنْ فَخَارٍ مخلّدٍ بُنيانَهْ !

***

إيهِ يامبعث التأمُّلِ والعزْ مِ وحَزْمٍ بعد الهوى واستكانَهْ !
أنتُ يومُ النُّشورِ في ذلك الأمْ سِ وذِكْرَى مآثر مُزْدَانَهْ
عِيدُ ذكراكَ عيدُ رَجْعٍ الى البعْ ثِ وللجِدّ بعدعهدِ المَجَانَهْ (٥)
واحترامٌ لضربةِ الحقّ للظُّلْ مِ وقد صالَ مُعْلِناً سُلطانَهْ !

(١) الكيانة : الكفالة . (٢) وهبته نفسه وفواه الباطنة .
(٣) عنفوانه : زمنه الاول . (٤) متفرعة جميلة .
(٥) المجانة : الهزل . والاستكانة : الذل والخضوع .

هكذا تفلحُ الشَّجاعةُ في الرأْ ي اذا الرأيُ لم يَفُتْ إيمانَهْ
ويُهَزُّ القَويُّ إن يَعْصِهِ المَغْ لوبُ عِصْيانَ مَنْ يُعادي هَوَانَهْ
هكذا هكذا التأَهُّبُ للطعـ ـنِ بضمِّ القُوَى ونَبْذِ الخِيانَهْ
هكذا تُقْهَرُ الصعابُ وإنْ جلَّ تْ ولا يُصغِرُ المهاجمُ شانَهْ
فاقتحامُ الصِّعابِ للمطلب الأسْ مَى مُحالٌ لناسجٍ اكفانَهْ
مَنْ يرومُ الحياةَ لن يَعْدمَ العَيْ شَ، ومَنْ خافَ ماتَ مَوْتَ المهانَهْ!

***

دُمتَ للذكرِ والمحامدِ يا (سَعْ دُ) جَلالاً وسيرَةً فتَّانَهْ
يَقْبِسُ الشِّعْرُ كالسِّيامَةِ والآ دابِ منها رِيْحانَهُ وبَيانَهْ

الشفاء

وصف اغنية الحبيبة في عيادة عاشقها المريض

ردِّدي أحلى الاماني رَدِّدِي وانْهَرِي يانُورَ عيني كَمَدِي!
أنتِ راحُ النفس في أحلامِها فلتكوني رحمةً للجسدِ
طال سُهْدي بين حُلْمٍ زائل يبعث السَّلْوَى ونار الجَلَدِ
حُسْنُكِ الاعجازُ، فلْيَنْفِ الاذى عن وفيٍّ بات كالمُفْتَقَدِ
أرجعيني لوجودي ... لا أرى غيرَ هذا السِّحر فيكِ مُوجِدي!

نظرةُ البرّ لروحي وَقْعُها وَقْعُ أنداءٍ على زهر صَدِي !
ردّدي أبهى المنى في نغْمَةٍ يشتهيها (صادح) الغصن الندي
يشتهيها (العودُ) أيضاً مثلما يشتهي سُقمي وسمعي (١) عوّدي !
زُرتني يامهجتي عائدةً وفؤادي المُرْتَجي لم يَعُدِ !
غفرَ اللهُ له إعراضَه وله العُذْرُ ولَوْمُ الحَسَدِ (٢) !
ولهذا السُّقْمِ شُكري ، إنه لَخَلِيلٌ حارسٌ مُعْتَقَدي (٣)
ووفيٌّ ردّ لي رُوحَ الهوى شائعاً في النَّفَسِ المردَّدِ !
فابْسِمي يانِعْمَتي آسيةً وامنحي طبّ (الهزار) الغرِدِ
ليستِ الألحانُ من حَنْجَرَةٍ بل حياةٌ عُمْرُها كالأبدِ !
تُنْصِتُ الدُّنيا لها كاسبةً مثلَ كَسْبي من معاني الرَّغَدِ
وتَفيني (٤) من شفاءٍ قبل ما أشتفي من فضل طبٍّ في يدي !

(١) نظراً لاستماعه أغانيها اثناء عيادتها اياه في سقمه .
(٢) أي اللوم الناشيء عن الحسد لبقاء فؤاده لديها ، وليس اللوم الحق .
(٣) أي دين الحب الذي أدى السقم الى رعايته بزيارتها اياه .
(٤) من وفى النذر بمعنى أبلغه .

فتنة الغناء

أبيات ارتجالية ترحيباً بالآنسة ام كلثوم في حفلة غنائية خاصة

ابعثي للحياةِ سرّاً دفينَا وانشري نغمةَ المحبَّة فينَا
وابسمي أولا انشهدَ ألوا نًا من الفنّ تخلبُ الناظرينَا
وانظري نظرةَ الخلود الى الار واحِ حتى تكون في الخالدينَا
ثم غنّي لنا الشفاءَ الذي يأ بَى شفاءً ويخدع العاشقينَا
يا حياةَ الغناءِ يا كوكبَ الفنّ أعيدي لنا المُنَى والاينَا
ثم عُودي وشتّتي أعذبَ الاحـ ـلام حيناً ،وأنصفي الشوقَ حينَا
هكذا نِعْمةُ الوجود استماعٌ لمَزاءٍ يُجـــــدّدالعالمينَا
نَغْمَةٌ ثم سَكْرَةٌ ثم حُلْمٌ وضحايا الاحلام والحالمينَا
ردّدي آيةَ الهوى (أمَّ كلثو مَ) وعيشي(لمصر) سحراً مبينَا
(مصرُ) مَهْدُ الاعجاز والسّحر والفنّ فهاتي وأنصفي الأوّلينَا
واعتلي المسرحَ الذي حنَّ اكبا رآلكِ اليومَ واستحقَّ الحنينَا
أنتِ أسمى للفنّ من مُتعةِ النا س اذا الناسُ قصّروا عابدينَا
ثم أولى بأكمل الوحي والاشـ ـراقِ في مَسْرَحٍ يزفُّ الفنونَا
أشرقي ! أشرقي ! غناءً ونشيـ ـداً ، ونوراً ، وجنةَ المؤمنينَا !

محمد سالم الكبير

رثاء شيخ الغناء العربي

اليومَ يُحيي الموتُ - بين فخارِ وأسًى لرُزْئكَ - فضلَكَ المتوارِي
وتنوحُ عيدانٌ ضحكتَ لها وكمْ غنَّتْ وكم أشجتْ على الأوتارِ
ويؤبِّنُ الفنُّ اليتيمُ زعيمَه وأباهُ بعدَ مخلِّدِ الأعمارِ
ستعيشُ رغمَ الجهلِ في شعبٍ غدا فيه النبوغُ كوصمةٍ أو عارِ
حُكْمُ الطبيعةِ : فالجهالةُ علّةٌ تُشقي الجميلَ ولا تَسوءُ العاري
عمّرتَ قرنًا في الغناءِ وعمّرتْ آثارُكَ الحسناءُ للأدهارِ
ووعيتَ ألحانًا تنوء بحملها قيثارةُ المتفنّنِ الجبّارِ !
أسْمَعْتَ جيلين الحياةَ شجيةً سيّان بين اصاغر وكبارِ
النفسُ عندكَ سرُّها لك مُعْلَنٌ فعرفتَ كيف تهيبُ بالأسرارِ
ووهبتَ للدهماء أُنسَ زمانهم مثلَ الملوكِ ، وكنتَ أيَّ منارِ
تتهافتُ الألبابُ حولك نشوةً مثل الفَراش على الضياء الساري[1]
أو في النهار على ندى الأزهار لا تعصي جواذبَ ضاحكَ الأزهارِ

---

(١) اشارة الى صوته القوي الذائع حيث كانت لياليه المشهورة جاذبة لمئات المستمعين ، منتشرة الصدى .

فتذوق بالألحان أيّةَ متعةٍ ونفيءُ سكرى الفنّ لا الخمّارِ
حقّ لمثلك أن يعيش مخلّداً فاسمحْ لحقّ الدمع من أشعاري (١)

نجوى العام

ابيات عواطف وتقدير ألقاها الشاعر في ختام حفلة عامة أقيمت ببورسعيد برئاسة سعادة المحافظ اسماعيل رمزي باشا مساء ٢٨ يونيو لتأبين المرحوم والده ـ الاستاذ محمد ابي شادي بك ـ لمناسبة مرور عام على وفاته .

شُكْراً من القلبِ الجريح لبرّكم
شُكراً وددتُ ـ وإنْ عجزتُ ـ كبيراَ

قُمتمْ بما فرضَ الوَفاءُ وهكذا رفعَ الوفاءُ العارفيه كثيرا
أنصفتمُ الاخلاقَ في تقديركمْ ذكرى الفقيدِ ، فنلتمُ التقديراَ
ولو أنّه كان الشّكورَ بموتفي لأبي الثناءَ صراحةً وضميراَ
قد كان يؤمن بالذي هو صانعٌ ويرى الجزاءَ من اليقين وفيراَ
ويرى من الشّرفِ الجدير بنبلِهِ أن لا يكون مُسَيَّراً وأجيراَ
شَرَفُ الحياةِ مشاعرٌ وماَثرٌ وسخيُّ وجدانٍ يعيش أميراَ
تمضي الجسومُ ـ ولا أقولُ فناؤها حَقٌّ ـ ولا يمضي الشّعورُ أسيراَ

(١) أي فاسمح بالقبول لحق الدمع من أشعاري في رثائك .

والفكرُ أبقى من زمانٍ بائدٍ والمالكُ التَّصْريفَ والتَّحْريرَا
نَبكيه ظُلماً بينما هو خالدٌ في الصَّالحات، وكم يجوبُ أثيرَا!

*

شكراً بني وطني العظيم لفضلكمْ هيهات موْطنُكمْ يعيشُ فقيرَا!
خصْبُ البلادِ رجاؤها، وما آلها حكمُ الفضائلِ أوّلاً وأخيرَا
جئتمْ لتأبين الفقيد فأعلنتْ شمسُ النهار كسوفَها تعبيراً[1]!
حتى عَتَبْتُ — وقد أضأتمْ حُجَّةً وعقيدةً — فغدا الوجودُ مُنيراً!
وأتى المساءُ ليستقلَّ[2] شُجونَنا فاذا الغدُ الآسيَ[3] يلوحُ بشيرا!

*

عشتمْ بني وطني وعاشتْ أمةٌ كان الفِداءُ لها البقاءَ مصيرا!
مَنْ ماتَ في تمجيدِها وفخارِها حيٌّ، وما تركَ الجهادَ حقيرا!

---

(١) اشارة الى اشاعة كسوف الشمس أمام كوكب كيوان في ذلك اليوم (٢٨ يونيو سنة ١٩٢٦).

(٢) يستقل : يحمل ويرفع .

(٣) الآسي : المداوي : المعزي .

الجديد

أنافي اللحن لا أجاري (هزارَهْ) بل أغنّي جديدَه أشعارَهْ
طائرٌ بينما يلذُّك إنما عاَّ يهزّ المشاعرَ المستثارَهْ
ثائرٌ يرفضُ الإسارَ فعذراً كلُّ حيِّ الشعورِ يأبى إسارَهْ
ما نظمتُ القريضَ طوعاً لشيطا نٍ ولا للعلى ولا للمهارَهْ
بل ولوعاً به ، فللشِّعْر أحلا مي وللشِّعْرِ ما أُجلُّ اعتبارَهْ
هو روحي أبثُّهُ دون ضنٍّ لوجودٍ مجدِّدٍ أعمارَهْ!
يحمل الحكمةَ السَّريةَ للدُّنـ يا شفاءً ونعمةً سيَّارَهْ (١)
لا يُناجي بها حديثَ (ابنِ سينا) بل يُناجي العوالمَ الجبَّارَهْ!
لا يُجاري بها معاني (المَعرّي) للقريضِ الحزينِ أو (بشَّارَهْ)
أو عظاتٍ أتى بها (المتنبّي) و(ابنُ هاني) مُداعباً خمَّارَهْ
أو أغاريدَ من ملذَّاتِ (شوقي) وتجلّيهِ تارةً وعثارَهْ
أنما يدرس الوجودَ فيسمو لأقاصيه ثم يَلْقَى قرَارَهْ
طائفاً بالحياةِ يسألها الوحْـ يَ فتُفضي به وتُلْقي ستارَهْ
باعثاً للوجودِ من شعْرِه الحُـرّ هدايا وَفيّهِ وابتكارَهْ

---

(١) سيارة : ذائعة.

مُرْجعاً ما استعارَهُ منه مَوْفو راً غنيًّا وقد نما ما استعارَهْ!
ويُحيِّي (الطبيعةَ) الشِّعرُ نجوا هُ فتُزْهى وتشتهي تكرارَهْ!
ناقشاً عازفاً فما يبخسُ الوَصْ فَ حُقوقاً، مخلداً آثارَهْ
سحرُه مجمعٌ من النَّقْشِ والعزْ فِ فتَلْقَى مِنْقاشَهُ مِزْمارَهْ!
لا يُغالي بِصِبْغَةٍ أو بلحنٍ كلُّ معنًى لديه يُعْطَى وَقارَهْ
عابدُ (الحُسْنِ) في (الطَّبيعةِ) يُهدِي ها صَلاةَ (الصُّوفيِّ) بَلْ أذكارَهْ
والأَمينُ الذي يسجِّلُ (للشَّعْ بِ) نشيدَ الخلودِ أو أوطارَهْ
عارضاً فنه وتاريخه الفخْ مَ جمالاً وروعةً وجَدَارَهْ
كاشفاً بأسَه القديمَ ليُزْجِيَ ه الى منزلٍ يضاهي فخارَهْ
صارخاً صرخةَ اليقينِ فيهتزّ ضلالٌ ويستبين اندحارَهْ
لا يُبالي بضربة البطشِ إنْ هَمَّ ولكن يخافُ للحقِّ نارَهْ
يبذُلُ النَّفسَ في سخاءٍ لدى الجلَّى [1] ولا يرتضي بها أعذارَهْ!

***

هذه صورةُ الجديدِ من الشعـ ـر وفاءً وقُوَّةً وإمارَهْ
ما يُبالي بزخرفٍ في نظام أو يُغالي برونقٍ في عبارَهْ
(كالربيع) الفنَّان لا ينظم الأز هار لهواً اذا حبَا أزْهارَهْ!
أو يضاهي الجنيبَ يعبثُ بالفكـ ـرِ وبالحسِّ واللُّغَى والاشارَهْ

(١) الجلى: الامر العظيم الخطر.

بينَ مَدْحٍ وتهنئاتٍ وأنوا عِ جُنُونٍ وسَكْرَةٍ وَدعَارَهْ
واحتيالٍ على الأنامِ وافسا دٍ كأنَّ الرَّباحَ منه الخسارَهْ
واغتباطٍ بباذخاتٍ من الا ثقاب في دولةٍ له منهارَهْ
بل هو الشِّعرُ نفحةٌ من شعُورٍ وحياةٌ من حِكمَةٍ أمَّارَهْ
يخلقُ الشَّعْبَ من جَديدٍ ويُوحي كلَّ معنًى الى العُلَى لا صغَارَه
باعثًا بالنفوسِ للمثَلِ الأعْ لى مُعيداً أمامَهَا أنوارَهْ
هكذا مَذْهبي ، وحسبيَ تتويـ ـجايقيني وأنْ أُوفِّي شِعارَهْ

نجمي

رضيتُ بحظّ (أورانوس)[1] لكنْ
رضاءَ الحائرينَ الثائرينَا
يقول ليَ المنجّمُ عن يقينٍ : «أراكَ تُصاحبُ الحظَّ الضَّنينَا

(١) هو سابع السيارات الكبرى بعداً عن الشمس التي تنأى عنه بمسافة ١٨٠٠ر مليون ميل . وقطره يبلغ أربعة أضعاف قطر الارض ، وله أربعة أقمار ، ويدور حول نفسه كل نحو عشر ساعات الى اثنتي عشرة ساعة . وأكبر الظن أن جسمه بخاري كالمشتري . ونظراً لبعده الكبير عن الشمس لا يصل اليه غير القليل من نورها وحرارتها . اكتشفه السير وليم هرشل الفلكي الشهير سنة ١٧٨١ م .

سنبقى شاقياً مثلي فاني شقيتُ به كما تشقى سِنينَا
ولكنّي دأبتُ بغيرِ يأسٍ ففُزْتُ، ولم أعشْ بَعْدُ الغبينَ
وسوف تنالُ حظاً لن يُضاهَى وسوفَ تُعَدُّ رمزَ المجد فينَا»

***

فيا نَجْمَ الجهادِ حُفِظْتَ نَجْماً يبثُّ الجُهْدَ في الدُّنيا أمينَا
أرى الدّنيا اتصالاً وانتظاماً فكيف أُكذّب المتنبئينا
خُيوطٌ في يدِ الأقدار ضمّتْ ملايينَ الحياة وما كُفينَا
فليس الكونُ الاّ ذو ارتباطٍ بما يبدو وما يبقى دفينَا
عَوَالمُ كلُّها بعضٌ لبعضٍ فما تدري المُدينَ ولا المَدِينَا
سِوَى في المظهر الفَلَكيّ، لكنْ أهذا كلُّ ما يُملي اليقينَا ؟ !
أعيشُ على الثَّرَى لكنَّ أبّي يُناجي الكونَ...لا يبقى سجينَا
فيا نجمي لقد أنصفتَ نفساً ترى الجُهدَ الكبيرَ الحرَّ دِينَا
وما معنى الحياة لمستكينٍ يُذَالُ مُكَفَّناً في الحالمينَا ؟ !
ولو كان الخلودُ قرينَ نَوْمٍ لَعِفْتُ إذَنْ نعيمَ الخالدينَا !

الشمس

جَدّدي للخَلْق آياتِ الزَّمَنْ ما نَرَى إلاَّ كِ نُوراً يُؤْتَمَنْ !
ياحياةَ الكَوْنِ مهما حَجَّبَتْ عنه نصفَ العمرِ وحياً ما غَبَنْ[1]
ما هَدَمْتِ الُحسْنَ الاَّ عندما حوَّلَ الُحسْنُ الى الأبْهَى الحسَنْ
في وفاءٍ وحَنانٍ دائمٍ يُسْعَدُ العالَمُ منكِ دونَ ضَنْ
كم عذرناعابديكِ الأمسَ مِنْ أُمَمٍ قدمَجَّدَتْ فيكِ الوَطَنْ !
أنتِ أصلُ الأرضِ والبدرِ الذي يعشقُ الأرضَ اذاالبدرُ فتَنْ !
ونظلّ الدّهرَ نهوى خُشَّعاً حُسْنَكِ الباقي على مَرِّ الزَّمَنْ
قد عبدنا اللهَ فيهِ بعدما عَبَدَ الأسلافُ فيه ما استكَنْ !
مِنْ عُقُولٍ ، لِنَبَاتٍ خافقٍ لجمادٍ فيكِ دوْماً مُرْتَهَنْ!
أنتِ لم تُحصِي علينا نعمةً طالما أسديتِ من غيرِ ثَمَنْ!
أنتِ ما خُضِّبْتِ الاّ زينةً لشباب الدهر لا رمزَ الشَّجَنْ
واهمٌ مَنْ ظنّ هذي طعنةً مِنْ زَمانٍ بشَبَا الحقدِ طَعَنْ
يشخَصُ الدهرُ اليكِ طائعاً في مِراحِ الطفلِ إنْ عافَ الوَسَنْ !
مُنْعَماً في صبوةٍ لا تنتهي مَنْ يَدُرْ حولكِ لن يلقى الكَفَنْ!
كلُّ موتٍ منكِ عيشٌ آخرٌ لم يغِبْ مَرْآهُ عن أهلِ الفِطَنْ!

---

(١) نظراً لتقسيم الاشعاع بين نصفي الكرة الارضية بالتناوب والتوالي .

الذكر أخلده شريف جهاد

كلمتا شكر لختام الحفلة الكبرى لذكرى والد صاحب الديوان التي أقيمت بمسرح حديقة الازبكية مساء ٢ يولية سنة ١٩٢٦ ، وقد نشرت الاولى وألقيت الثانية في الحفلة .

(١)

فَرْضٌ عليَّ تحيَّتي لوفائكمْ ... إنَّ الوفاءَ كرامةُ الأَمجادِ
وتنوبُ عن أهلِ الفقيدمشاعري ... في صدقِ شكرانٍ وعهدِ وِدادِ
والشكرُ لن يُوفي أبرَّ عواطفي ... أغلى الثناءِ يرفُّ ملءَ فؤادي
أنتمْ ذووالفضلِ العميمِ، فحِسُّكمْ ... حِسِّي، وانَّ حدادكم لِحدادي
تحيونَ ذكرى للجهادِ شريفةً ... والذكرُ اخلدُهُ شريفُ جهادِ
لا العامُ يطويها ولاأحفادُهُ (١) ... إن البطولةَ سيرةُ الأحفادِ
ماعابَ خُلْقي أن امجّدَ والدي ... برَّ الأبوّةِ واجبُ الأولادِ
وأنا الممجِّدُ في ادّكار جهادِهِ ... رُوحَ اليقينِ المستقلِّ البادي (٢)
أنتم أبي في عزّةٍ لشعُورِهِ ... فجميعُكمْ مرْأى شعورِ الوادي
كلٌّ يودُّ فداءَ (مصر) برُوحِهِ ... وكذا البلادُ تعزُّ بالأفراد

---

(١) احفاده : السنون البعيدة التالية.
(٢) الظاهر ـ اشارة الى نفسية الحاضرين .

عامٌ مضى وهو الرَّهينُ بِغمْدِهِ ... انَّ السُّيوفَ تُمَضُّ بالأغمادِ (١) !

ولو انَّهُ الزّاهي بنهضةِ يومِكمْ ... وكأنّما أنتم على ميعادِ !

إنَّ الذي يُرْثَى بصادقِ حُبِّكُمْ ... يلقى الرَّثاءَ تحيّةَ الميلادِ (٢) !

وأرى الحياةَ الفكرَ ، إنَّ بقاءَه ... مثلُ التجدُّد للشُّعاعِ الهادي

وأنا المعزَّى بينكمْ أبكي جوًى ... حيناً ، وأخجلُ مِنْ عتابِ مبادي.

ما مات حيٌّ عُمْرُهُ مِنْ هِمَّةٍ ... بل مات مَنْ يحيا حياةَ جمادِ

وأقول من قلبي الوفيِّ لعهدِكمْ : ... عشتمْ وعاشتْ بالوفاءِ بلادي !

(٢)

يفيضُ بِشُكْرِهِ القَلْبُ العميدُ ... ولولا فيضُكم بِرّاً يميدُ

أُحِيطَ بعهدكم وأُقِيلَ حتّى ... كأنَّ خفوقَه عمرٌ جديدُ !

وكم أحيا الوفاءُ رجاءَ عانٍ ... وقام بركنِهِ المجدُ المجيدُ

وما عُذْرُ الذي يُشْجَى وهذا ... عَزاءُ اخائكمْ أبداً يزيدُ

ذروني منشداً شُكرانَ لُبِّي ... ففي شكرانكم يُرْضَى النشيدُ

فليس أبي سوى فكرٍ وعهدٍ ... وأنتم ذلك الفكرُ الرشيدُ !

أراهُ بسعيكم لبناءِ مجدٍ ... يبيد الهادموهُ ولا يبيدُ !

تنقَّلَ أو تنوَّعَ في وجُودٍ ... فيُدْهِشُنا التنقّلُ والوجودُ

---

(١) الرهين :السجين. تمض : تساء وتؤلم .

(٢) أي تحية التجديد لحيانه .

كذاك الناسُ في صُوَر انتقالٍ ولا تمضي المآثرُ والجهودُ

* * *

فيا أهلَ السَّماحةِ في زمانٍ تضيعُ به المروءةُ والعُهُودُ
ويا فخرَ البلادِ وخادميها أسيرُ وفائكم قلبي الوَدُودُ
مُحَالٌ أن يُسَادَ مآلُ شعبٍ به حُكْمُ العقيدةِ ما يسودُ !
وما موتَى اليقين وإن توَلَّوْا بموتى ، فالمآثرُ ما تقودُ !
دَفَنْتُ أبي وولّى العامُ لكنْ أرى إلهامَهُ أبداً يعودُ
فان الجسمَ للعقلِ المعلَّى كدارٍ لن يصاحبَها الخلودُ
وأمَّا المرءُ فهو قرينُ فكْرٍ يزيد بقاءَه الأمدُ المديدُ
ونِعْمَ الفكْرُ إنْ ضحَّى بجسمٍ ولم تُرْهِبْ جلالتَه اللُّحُودُ
فلي هذا العزاءُ الجمُّ ، لكنْ عزاؤكم هو البَرُّ الأكيدُ
فباسْم الصِّدْقِ احمدُكم اليكم وباسْم وفائكمْ أبداً أُشيدُ
وأشعرُ من محبتكم كأنّي قويٌّ مستعزٌّ لا وحيدُ

عظمة انجلترا

بَنَتْ ما بَنَتْ من قُوَّةٍ وجلالةٍ على قُوَّةِ الفردِ الوفيّ لها الرَّاقي
فليس بسرٍّ بأسُها ونفوذُها فما هو إلاَّ في متانةِ أخلاقِ
يكرِّمُ فيها الفردُ مجهودَ نفسهِ
وبهوَى احترامَ النفس مَظْهَرَهُ الباقي
ويبغضُ أيَّ البغضِ عَسفاً وصولةً
فينْقِذُ حقَّ الشعبِ من كلِّ ارهاقِ
صَبورٌ كدودٌ لايئنّ لمُتْعِبٍ ويعرفُ معنى الوقتِ والأَمَلَ الواقي
ومن فُرَصِ الايّامِ ينهبُ حظَّه فانْ فلتتْ فهو الرقيبُ لها الرَّاقي (١) !
ومهما توالى السعيُ فهو مثابرٌ الى غدهِ النائي بلا جزع الشاقي
فمن كلِّ هذا مابنى مُلْكَ دولةٍ لها من مَنَارِ الشَّمْسِ دائمُ إشراقِ !

(١) الراقي لغة من يصنع الرقية ، والمعنى المقصود هنا : المتوسل المتقرب اليها .

اسعاف النشاشيبي

ابيات شكر وتقدير بعث بها الشاعر الى أديب فلسطين الكبير الاستاذ اسعاف بك النشاشيبي لمناسبة اهدائه الى الشاعر عدداً من كتابه (كلمة في اللغة العربية) الذي تضمن خطبته النفيسة في دار جمعية (الرابطة الشرقية) بالقاهرة في موضوع وحدة اللغة العربية وصيانتها ونهضتها .

(اسعافُ) أهديتَ الجميلَ لعارفٍ قدرَ الجمالِ ووحيَ كلِّ جميلِ
يختالُ في حُلَلِ التأنُّقِ مثلما يختالُ في حُلَلٍ من التدليلِ
أسعفتَ بالأدبِ السخيِّ مشاعراً تاقتْ لدبكَ الى أحبِّ دليلِ
ورأتْ منارك كوكباً متلألئاً يدعو الى التوحيدِ غيرَ ضئيلِ
ويلقّنُ الجيلَ المفرّطَ حقّه ليعيشَ في التاريخِ أكرمَ جيلِ
ما كانتْ الأبْعَادُ حجّةَ عالِمٍ فضلَ التضامنِ أو وفاءَ نبيلِ
إنّا بمصرٍ لا مفرَّ لعيشِنا من نبذِ أوهامٍ وطرحِ خمولِ
وصيانةِ اللغةِ التي في تاجِها عِزٌّ لنهضتنا وقَهْرُ دخيلِ
ربطتْ شعوباً بالحياةِ وأشرقتْ للدين والدنيا بكلِّ جليلِ

رحمات السماء

نضَتْ[1] عنها ثيابا من ضياءٍ[2] فشعَّ[3] جمالُها ـ أصلُ الضّياءِ
وغنَّتْ للفؤادِ فما تغنَّتْ سوى الرَّحماتِ من ربّ السّماءِ !
تُتابعُ صوتَها الأنفاسُ لكنْ تعودُ بها دواعٍ للبقاءِ !
فكم من جسمها الفتّانِ حُسْنٌ برغمِ صُمُوتِهِ وافي الغِناءِ
فكلُّ تحرُّكٍ معنًى شهيٌّ وكلُّ اشارةٍ مَرْمَى رجائي
فلمّا متّعتْ أحلَى الأماني ورقّصتْ الفؤادَ على السَّواءِ
وكفّتْ بعد أنْ ختمتْ ببيتٍ من الشّعرِ المداعبِ عن رضاءِ
رَنَتْ فرأتْ بعيني اشتياقاً الى برّ الملاحةِ والبهاءِ
فجاءتْ لي تسائلني : « أحقاً
رضيتَ ؟ » فقلتُ : « هل يكفي ثنائي ؟ . . . »
فطوَّقَتْ الفُؤادَ وقبّلَتْني فقبّلها الغرامُ معَ الوفاءِ !

---

(١) خلعت (٢) اشارة الى لونها الأبيض الشفاف المتموج . (٣) شع : انتشر .

هو النبوغ والابوة

مرثية شاعر القطرين الكبير الاستاذ خليل بك مطران للمغفور له فقيد الوطن والانسانية الاستاذ محمد أبي شادي بك ، ورد الدكتور أبي شادي شاكراً له شعوره ، والقصيدتان مشبعتان بالمعاني الفلسفية .

(١)

قصيدة الاستاذ مطران

نبا بك دهرٌ بالأفاضل نابي وبُدِّلتَ قفراً من خصيب جنابِ
برغم العُلَى أن يُمسيَ الصفوة الأُلى بنوا شَرَفاتِ العزّ رهنَ يبابِ
تولوا فأقوت من أنيس قصورهم وباتوا سَراة الدهر رغم ترابِ
أتقضي (أبا شادي) وفي ظنّ من يرى
زُهورك[1] انّ النجمَ قبلك خابي ؟ !
عزيزٌ على القوم الذين وددتهم وودّوكَ أن تنأى لغيرِ مآبِ
وأن يبكم الموتُ الأصمّ أشدَّهم على من عتا في الأرض فصل خطابِ
فتى جامع الاضداد شتّى صفاته وأغلبها الحُسْنى بغير غلابِ
محامٍ بسحر القول يسبي قضاتَهُ فما فعلُه في سامعين طِرابِ ؟ !
فبيناه غرّيدٌ اذا هو ضيغم زماجرُه للحقّ جدّ غضابِ

(١) زهورك تلألؤك .

وكم خلب الا لبابَ منه بموقف بليغُ حوارٍ أو سديدُ جوابِ
رقيق حديثٍ إنْ يُشبّهْ حديثه فما الخمر زانتها عقود حبابِ
يسيل فيروي النفس من غير نشوة مسيلِ نطافٍ في الغداة عذابِ (١)
بما يخصب الأذهان مخضلّ دره كما يخصب القيعان درّ سحابِ (٢)
أديبٌ اذا ما درّ درٌّ (٣) براعه تبينتَ أنّ الفيضَ فيضُ عبابِ
ففي الذهن تهدار الأتيّ وقد جرى على أنّ ما في العين صحف كتابِ (٤)
وفي الشعر كم قولٍ له راق سبكه أتى الوحيُ في تنزيله بعجابِ
به نصرَ الوهم الحقيقة نصرةً تضيء نجوماً من فُضول ثقابِ (٥)
فأمّا المساعي والمروءات والنّدى فلم يدْعه منهنّ غيرُ مجابِ
كأنّ جَنَى كفّيه وقفٌ مقسّم فكلٌّ مرجٍّ عائدٌ بنصابِ
وما صُدَّ عن اسعاده باسطٌ يداً ولا رُدّ عن جدواه طارقُ بابِ
ولم يكُ أوفى منه في كل حالةٍ لمن يصطفي في محضر وغيابِ
اذا هو والى فهو أوّل من يُرى معيناً أخاه حين دفع مصاب

---

(١) النطاف : المياه الصافية . والغداة : البكرة

(٢) المخضل : الندي . والقيعان : الاراضي السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٣) كثر خيره .

(٤) الاتيّ : السيل القوي .

(٥) من بيان قلمه

وما كلّ من صادقتهم بأصادقٍ وما كلّ مَن صاحبتهم بصحابِ
يعفّ فيعفو عن كثير مؤمّلاً له العفوَ من ربّ قريبِ متابِ
وماعهده ان محّصتْه حقيقة بزَيْف ، ولا ميثاقه بكِذابِ
وفي الناس من يحلي لك المرّ خدعةً وترجع من جنّاته بعَذابِ
تذكّرتُ عهداً خالياً فبكيتُه وهيهات طيبُ العيش بعد شبابِ !
كأنيَ باستحضاره ناظرٌ الى حُلاه ومستافٌ زكيّ ملابِ
بروحيَ ذاك العهد كم خطرٌ به ركبنا وكان الجدّ مزجَ لُعابِ
وهل من أمورٍ في الحياة عظيمة بغير صِبًى تمّتْ وغير تصابي ؟ !
زمانٌ قضينا المجدَ فيه حقوقَه ولم نلهُ عن لهوٍ ورشفِ رُضابِ
محضنا به مصرَ الهوى لا تشوبه شوائبُ من سؤل لنا وطلابِ
ومامصر الآجنّة الأرض سيّجتْ بكلّ بعيد الهمّ غضّ اهابِ
فَداها ولم يكرثْه ان جار حكمها فذلّ محاميها وعزّ محابيِ !
فكم وقفةٍ اذْ ذاك والموت دونها وقفنا وما نلوي اتقاءَ عقابِ
وكم كرّةٍ في الصحف والسوطُ مرهقٌ
كررنا ، وما نرتاض غيرَ صعابِ
وكم مجلس مما توخّتْ لنا المُنى غنمنا به اللّذاتِ غَنمَ نهابِ
لنا مذهبٌ في العيشِ والموتِ تاركٌ
قشورَ القضايا آخذٌ بلبابِ

يرى فوق حسنِ النجم وهو محيّرٌ
سنى الرجم ينقضّ انقضاضَ شهابِ
وما هُلكُ أفرادٍ و(مصرُ) عزيزةٌ أما أجلُ الانسان منه بقابِ ؟ !
كذلك كان الالفُ فينا ولم يكن ليضرب خلفٌ بيننا بحجابِ
ولله بين الموثقين عُرَى الهوى (محمدُ) في حاليْ رضىً وتنابي
حفظتُ له عهدي ولو بان مقتلي لدهرٍ به جدُّ المروءة كابي
وما خفتُ في آنٍ عتاباً وان قسا به الناس لكني أخافُ عتابي!
أبى اللهُ أن أُلفى كغيريَ مولعاً بخلع احبائي كخلع ثيابي !
فما أنا من في كلّ يوم له هوًى ولا كلّ يوم لي جديدُ صوابِ
يراني صديقي منه حين إيابه بحيث رآني منه حين ذهابِ
وما ضاق صدري بالذين وددتهم ولا حرجتْ بالنازلين رحابي
وآنفُ سعياً في ركاب فكيف بي ولي كل حول أخذة بركابِ؟!
حرامٌ علينا الفخر بالشعر إنْ تقعْ نسورُ معاليه وقوعَ ذبابِ
وما كبرياء القول حين نفوسنا تجاويف أرضٍ في انتفاخ روابي؟!
وما زعمنا رعيَ الذمام وشدنا
بظفر على مَن في (الامام) ونابِ؟

***

(زكيٌّ) لك الارثُ العظيم من العُلى وما ثروةٌ في جنبه بحسابِ

فكنْ لأبيك الباذخ القدر مخلِفاً باكرم ذكرى عن مظنّةِ عابِ
وعشْ نابهاً بالعلم والفنّ نابغاً فخارُكَ موفورٌ ، وفضلك رابي
ألا انّني أبكي بكاءك فقدَه وما بك من حزنٍ عليه كما بي
قضى لي بهذا الخطب فيمن أُحبّه إلهٌ اليه في الخطوب منابي (١)
ففي رحمة المولى أبوك أبو الندى وفي عفوه أحرى امرىء بثوابِ

خليل مطران

(٢)

قصيدة الأستاذ أبي شادي

رثيتَ بدمعَيْ صُحبةٍ وكتابِ أبي ، فتقبَّلْ للمحبة ما بي
وفاءً فتى يُعطي الابوّةَ حقَّها وشكرَ فتى يهواك بين صحابِ
تمثّل فيك الأمسَ وهو عزيزُه وحاضرَهُ انوافي بصفو لُبابِ
فقد كنتَ نبراسا لعقلي أؤمّه ومازلت مِشكاتي ووَحيَ صوابي
وأنت أبي في شِرعة الأدب الذي تذوّقتُ منه في جميل شبابي
فلا بدع إنْ أسعفت دمعي موفّقاً ولا غرو إنْ أشجاك وقع مصابي
ولا غبن إن أطلعت شعرك فرقداً بعهد ظلامٍ حالكٍ وضبابِ
ولقّنت درساً في الشهامة بالغاً فقد حُجبتْ عن جيلنا بحجابِ

(١) منابي : مآبي

أبى الدهرُ الاّ أن تغيبَ أسيفةً ... فنحن بحالٍ مؤذنٍ بغيابِ
يعيش العظيمُ الفردُ محسودَ فضله ... فان مات طاحت دولةٌ لذهابِ
ويحسده الحسّادُ من بعد دفنه ... كأنّ له في الموت بأسَ خطابِ !
ويعتمد الاحياءُ في رفع شأنهم ... على محورِ آثار له وحسابِ
ويطمع منهم في الزعامة من لهم ... عواءُ ذئاب أو طنين ذبابِ
فحسبيَ فخراً أن يموت ضحيةً ... أبي كشهاب شقّ سترَ يبابِ
فعادالى التّرب الشريف مجرّداً ... ويارب مجد في حقير ترابِ !
يقدّسه الجمهورُ تقديسَ عارفٍ ... رجاحته الكبرى تجاه صعابِ
ويخذُلهُ من صحبهِ مَنْ بنى لهم ... عماداً ، كأنّ البرّ أصلُ عقابِ !

***

فيا ابتي يكفيك أن يسمع الملا ... صدى صوتك الباقي بقاءَ ثوابِ!
فمثلك سرُّ الفليسوف وبحثهُ ... عويصٌ ، ومجراه كفيض عُبابِ
وماكنتَ ميتاً دون ذكرٍ ومنعةٍ ... لتُرثَى ، وما كلُّ الرثاءِ لنابي
رثاؤكَ فرضٌ في مقام تبادلٍ ... عزاءً بعصرٍ فيه فضلُكَ كابِ
له من شعاع الشمس آثارُ غرسه ... ومن زمهرير الليل خصم ثِلاب
وما كان ليلٌ طال أم هان عمرُهُ ... ليبخس حقَّ النور عند ايابِ !
فنمْ هادئاً في حَقبةِ الليلِ هذه ... ففضلك محبوءٌ لفجر مآبِ !
ويا ربّما كالبرق يلمع تارةً ... بأفقم ليلٍ بين رعد سحابِ !

تأمّلْ وأنتَ الصامتُ اليومَ كم تجدْ توجُّسَ حكامٍ وحُكمَ عُجابِ !
خشوا صوتَكَ الرنّانَ حتى صُموتَه[1] فللّه ذكرٌ في مماتك رابي !
فبينا هو المستورُ كان زُهورُهُ يُخالُ ويُخشَى في رؤوس حرابِ !
وما مات حيٌّ موتُهُ بعضُ عيشهِ وآثارُهُ الشمّاءُ غيرُ كِذابِ
فلا تسمحوا أوفاسمحوا بادّكاره فما كان تأبينُ العظيم بخابِ
ستبكيه في الدنيا المكارمُ كلّها فما هو الاّ غمدها بقرابِ !
ويا موتُ مِنْ برّ الفضيلة شكرُها لكَ اليومَ برّاً منكَ غيرَ مُحابي
فأنت قضاءٌ ليس يغبن نابغاً وهيهات يرضى عن بقاء سَرابِ !
وكم بهرج أعلنتَ للناس زائفاً وابرزِ علمٍ صُنتَ خيرَ مُثاب
وتُلْعَنُ في الحالين فاصفح لغضبةٍ متى كنتَ تعصي عن فصيحِ جوابِ !
كأنك نُزري بالأنامِ وحالهمْ وتضييعهم للفكرِ ضيعَ خرابِ
ولكنْ يعود العارفون جلالَه يحيّون فيكَ الحقّ غيرَ غضابِ
وإن جزعوا للعبقرية تغتدي سكونا ، وماشِيبَ السكون بعابِ
ولي مذهبي فالنفسُ سِرٌّ مقسَّمٌ فكلُّ شعاعٍ عائدٌ بنصابِ !
وملءُ ذراريّ الوجودِ حياتُها وماشكل هذا الكون غيرَ إهابِ !
فما كان خيراً لن يُضيعَ صِفاتِهِ تنقُّلُ ظلٍّ أوخليعُ[2] ثيابِ

(١) اشارة الى منع الحكومة المصرية حفلة تأبينه فى ذكرى الاربعين بمدينة السويس . (٢) خليع بمعنى مخلوع

ويارَبَّ مَوْجٍ (١) لم ترالعينُ رسمهُ وقوّةِ جيشٍ في حدودِ ثقابِ (٢) !

***

وروحي زمانٌ للشباب الذي مضى ظفرتُ به من قطْفهِ بعِذابِ
أراعَى بحبّ الوالدين كأنّني مُعَرَّضُ دُرّ نادرٍ لذِهابِ !
وكم مجلسٍ مُتّعتُ فيه بنفحةٍ من الشّعرِ أحلى من مذاقِ رُضابِ
ومن برِّ عمٍّ صادقِ البرّ مخلصٍ وخيرِ (خليلٍ) من هواه جذابي
تقَاسمني التّحنانُ منه ومن أبي فأستأفُ من نفحيهما بطِلابي
عبيرٌ يُحيّي الفكرَ والروحَ مثلما يُحيي النسيمُ السّمحُ زهرَ روابي
الى أن خبرتُ الدهرَ مُرّاً وسائغاً فلم يُنسِنِي، إنْ يُنسَ فضلُ رُبابِ
غذاء لعقلي ثم لبّي وراحتي ذخرتُ بنفسي فهو دينُ مُرابي
عليَّ بحقٍّ أن أوفّيَ بعضه لفضليْكما مهما أُطِيلَ عتابي !

فيا (شاعرالقطرين) ـ مَنْ بعضُ وصفه ـ

أجزِلْ لوفائي الشكرَ عذبَ شرابِ
يعوّضُ من مُرّ البكاء الذي به بذلنا، وما دمعُ الوفا لمتابِ
ويأبى عفواً اذ نحتُ جازعاً وصُغتُ مراراً للرثاء خطابي
فذلك حتى لا يُعابَ أولوالنُّهي وذلك حتى لايطولَ حسابي !

---

(١) كموج الأشعة الوراء البنفسجية العظيمة الأثر .
(٢) ينظر الى الراديوم مثلا .

وصفحاً عن النُّوّام عن ايّ واجبٍ وعمن لهم سيرٌ بكلّ ركابِ
ولو أنّهم باعوا الكرامةَ والهُدَى ببعضِ متاعٍ أو ببعض رقابِ
اولئك قومٌ لن يكون لهومْ من العُمر أبقى من عُذَابِ حَبابِ !
وحسبك لو عزَّ الرثاء عواطفي خُلقْن حياةً في أعزّ رحابِ
وفي كلّ بيت في رثائك مَظهرٌ لأصدقِ وجدانٍ وأشرفِ بابِ
تُصيخُ له الآدابُ حَسْرَى وعندها
من الزّهوِ بي ما عُدَّ عند طِرابِ !

أحمد زكي أبو شادي

قوس قزح

ياضاحِكَ اللَّوْنِ ما عِشْتَ للصَّوْنِ
عند السَّماءْ
إنْ رُوِّعَتْ تَبْدُءِ إنْ أَشْرَقَتْ تَغْدُو
أنْتَ المُسَاءْ !
تَمْتَدُّ في السُّحْبِ والشَّمْسُ في حُجْبِ
دُونَ الخَفَاءْ

كُوِّنْتَ من نُورٍ في وَشْيٍ بَأُورِ
جَمِّ الرُّواءْ
آياتُ ألوانٍ في قَوْسِها الباني
هذا البهاءْ
كالقَوْسِ للنَّصْرِ تمتدُّ في فَخْرِ
فَخْرِ الضياءْ!
والسُّحْبُ كم تَجْرِي في لَوْنِها البَدْرِي
من كهرباءْ
تَحْكي المَنَاطِيدا دَفْعًا وتَصْعيدَا
سُفُنَ الهَواءْ!
تلقاكَ في أُنْسٍ لكنَّها تَمْشي
صَرْعَى الوفاءْ!
في وَشْيكَ الزَّاهي قد حَبَّرَ الَّاهي
لَوْنُ الدِّماءْ!
أَصْبَاغُ نقَّاشٍ جادتْ بانعاشي
والشُّعَرَاءْ!

ما ذُبْنَ في الماءِ بل زِدْنَ إسدائي
إعجازَ ماءْ :
لكنَّها حَلَّتْ في الزَّهرِ منْ وَلَّتْ
عن السَّماءْ !

شعر الثقافة

ما اعتزَّ من عِلمٍ وفِكْرٍ مُلْهِمٍ يختَصُّ بالتَّبْجيلِ والتَّعْزيزِ
غَنِيَتْ به صُوَرُ الثَّقافةِ مثلما غَنِيَتْ عَواطِفُنا بحُبٍّ عزيزِ
ما الشِّعْرُ - في المَعْنَى الأَتَمِّ - حَذَاقَةً
ودَعابةً في النَّسْجِ والتَّطْريزِ
الشِّعْرُ مرآةُ الحياةِ بما وَعَتْ ولغير ما توحيهِ غيرُ مُجيزِ
يُشْتَقُّ من أحْوالها وشُؤونها ويُلقِّنُ التَّهْذيبَ بالتَّمييزِ
لا يُهْمِلُ النَّفْسَ التي هي مَطْلَبٌ للعلمِ بل يُعْنَى بكلِّ غريزي
ويَبُثُّ للعُمْرَانِ أشرفَ مَبْدإٍ لا يُرْهِقُ الأفْهامَ بالتعجيزِ
ما الشِّعْرُ في أدبِ الجُمودِ وانما الشِّعْرُ في الإبداعِ والتَّبريزِ (١)

(١) النبوغ والتفوق .

لا يعبدُ المأثورَ لـكنْ حَظُّهُ حَظُّ التَّطَوُّرِ لا يَقِينُ عَجُوزِ
بالعلمِ يستهدي وليسَ بخالِبٍ في اللَّفظِ مهما عُدَّ كالبريزِ
هيهاتَ ثَرْثرةُ النظيمِ وإنْ زهَتْ تسمو كصدقٍ في البيانِ وجيزِ
خِصْبُ العقُولِ نتاجُهَا ، ولطالما غَنِيَتْ عن الابريزِ بالابليزِ (١)

الكنارى السجين

يا سِحْرَ فَنِّي غَرِّدْ وغَنّ
لا تشكُ مني أنتَ الأميرْ !
أهواكَ قُرْبي براً بِحُبّي
نَجْوَاكَ قلبي حَظٌّ كبيرْ !
ما أنتَ إلا وَحْيٌ تَجَلَّى
طَيْراً وخَـــالَّى شِعْري الأسـيرْ !
لا تَشْكُ حَبْسَا لا تَشْكُ بأسَا
فالشمسُ أقْسَى والزَّمهريـــرْ !

(١) طين الخصب وكثيراً ما يطلق على الطين المغذي للتربة الذي يتركه ماء النيل . والمعنى المجازي المقصود أن الغنى الفكري انما يكون بالفائدة المنتجة لا بالحلية الزاهية .

عِشْ عَيْشَ ناسِكْ مِثْلي وشارِكْ
حالي كحالِكْ حالُ الفقـــيرْ !
صِفْ يا كَنَارَي[1] نورَ الدراري
دُمْ صفوَ داري عِشْ بي القَريرْ !
صِفْ عَيْشَ غابِ عَذْبَ الشَّرَابِ
تَحْتَ السَّحَابِ فوقَ الغديرْ !
واسمعْ نَظيمي سَمْعَ العَليمِ
تَشْهَدْ نديمي رُؤيا الخبيرْ !
إنّي أُضَحّي فاذكرْ وأوْحِ
لا تُلقِ نُصحي مثلَ الغَرِيرْ !

هدية الملعب

الألعاب الرياضية

يامُمْتِعَ العقل الحصيفِ رياضةً لا تُصغرنَّ (رياضةَ الأبدانِ)
أو تُنكرنَّ لأجلها فَتَيَاتِنا فالمُلْكُ بالفَتَيَاتِ والفِتْيَانِ

(١) Canary أو طير الحزار . وهو مشهور بالرشاقة وجمال اللون وحسن الصوت .

ليستْ وحقّكَ مَحْضَ لهوٍ ذاهبٍ بل مَعْهَدٌ للخُلْقِ والوِجدانِ
النَّفسُ تُشرِقُ من جميـلِ دُرُوسها
إشراقَ وجهِ « اللاعبِ » الضحيانِ
فتّشْ عن (التاريخ) واسألْ أهلَه تلقَ (الرياضةَ) في جلال الشانِ
بلغتْ بها (يونانُ) [1] غايةَ مَجْدِها
من قُوَّةٍ ورشاقةٍ وجَنَانِ
وحَذَاقةٍ وتبصُّرٍ وفُتُوَّةٍ ورجاحةٍ ومتانةِ البنيانِ
ومشتْ على آثارِها (روما) فما هانتْ، بل اعتزَّتْ على الحدثانِ
نشأتْ [2] على سَفحِ (الأُلِمْبِ [3]) عزيزةً
ما بين أشعارٍ وبينَ أغانِ

(١) أشهر الامم الاوروبية القديمة عناية بالرياضة الامة اليونانية التي عرفت جد المعرفة الحكمة القائلة « العقل السليم في الجسم السليم » فطبقت هذا المبدأ الحكيم أوفى تطبيق واستعانت به على بث روح النظام والعزم والاقدام بين أفرادها . وقد تبعتها (روما) في خطتها الرياضية التهذيبية فبلغت ما بلغت من عظمة وفتح .

(٢) أي الالعاب الرياضية البدنية المعروفة بالالعاب الالمبية .

(٣) أنشأ اليونانيون الالعاب الالمبية تكريماً لجوبتر (المشتري) ، وكانت تعرض مرة كل خمس سنوات عند سفح جبل الالب ، وقد دامت هذه الالعاب القديمة من سنة ١٥٤٣ قبل الميلاد الى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد ، يتخلل ذلك فترات سكون . وكان يجتمع الشعراء والمصورون والفنانون لتلك المناسبات ليمجدوا البطولة والطبيعة والفنون في سفح جبل الالب الذي بنوا على قننه الهيا كل لآلهتهم الاثنى عشر (اله الشعر ، اله البحر ، اله الحرب الخ ...) .

وبدائعٍ لمصوّرين تفنّنوا في النّقْشِ واعتنقوا الجمالَ الهاني
وروائعٍ حبَتْ (الطبيعة) حُسْنَها المؤمنين بسحرِها الفتّانِ
ثم انتحتْ[1] شطرَ الذين تأهّبوا للقائها وتطلّعُوا بحنانِ
وتمثّلوا (يونانَ) لمّا أنبتتْ نُخَبَ الرّجالِ وأشجعَ الفرسان
الواهبين الكونَ من أشعارهم كنزاً من الاحسانِ ليس بفانِ
والواصفين الناقشينَ رُسُومَهم مُثُلاً من الاعجازِ في الاتقانِ
والمازفين لدى (الطبيعةِ) ما وَعَتْ
من أعجبِ الأسرارِ في الألحان
والعارضين من الشهامة والحجى ما جلّ عن وصفٍ وعن نسيانِ
فأثارتْ[2] الهِمَمَ الكبارَ وأطلقت
للفتْحِ والعُمْرَانِ كلَّ عِنانِ
ما أنكرت شعباً تودّد مخلصاً
حتى غوَى[3] فأُصيبَ بالخذلانِ[4]
فمضى ضحيّةَ ضلّةٍ وخلاعةٍ وجهالة وبلادةٍ لهوَانِ

---

(١) و(٢) أي الالعاب الالمبية . (٣) ضلّ وخاب .
(٤) اشارة الى نسبة المؤرخين سقوط اليونان ثم الامبراطورية الرومانية وغيرها الى ترك العناية بالرياضة البدنية والانغماس في الملذات والخمول والفوضى الادبية .

أنظر الى الامم التي سادت وما بادت تجدْ أعلامَها [1] للرَّاني
يكفيكَ مَنْ ملكوا البحار [2] وأسّسوا دُوَلاً ، وما حُرموا من السُّلطانِ
الواهبينَ (انجلترا) خُلْدَ العُلى بالعزمِ والاقدام والعرفانِ
الوارثينَ البالغين بنَهْجهمْ ما كان (لليونان) و (الرومانِ)
المُنْشِئينَ من (الرّياضة) قوةً لسلامةِ الأفهام والأذهانِ
العارفين بها مَناعةَ مُلكهمْ من خاتلِ الكَسَلِ المُهدّ الجاني
بلغوا السماءَ وغيرُهمْ بلغ الثَّرَى بعد السماء ، وضاعَ في الحُسْبانِ!

***

لاتُصْغِرَنَّ أخي (الرّياضةَ) ، إنها أوْلى بها لنشيرَ كلَّ جبانِ
وتُعيدَ أزمنةَ البطولة بيننا وتواهبَ الشَّعْبِ الجريءَ الباني
وتُعلِّمَ الأحداثَ فَضلَ تعاوُنٍ وتُحَبِّبَ الانسانَ للانسانِ [3]

---

(١) أعلام الرياضة البدنية

(٢) درس الانجليز أسباب تكون الامبراطورية الرومانية وأسباب انحلالها فأدركوا قيمة الرياضه البدنية فبثوها بينهم ، ونشأوا على الولوع بها فاستفادوا منها أجل الفوائد في تكوين الخلق الانجليزي الفولاذي الصبور ، وأصبحت الرياضة البدنية من اسس الايمان القومي في انجلترا ، وقد عادت اوربا كلها الى الاهتمام بالرياضة البدنية منذ سنة ١٨٧٠ وصارت تعد من أهم وسائل التربية الوطنية ، ومن خير مكيفات صفات الرجولة والصحة في الشبان ، ومن أحسن أسباب النشاط والتهذيب النفساني للسيدات .

(٣) اشارة الى ذيوع الالعاب الالمبية الدولية وأثرها في بث الاخاء الانساني .

الدقائق

« يا هاجراتي بلا عتابْ ولا رُجوعْ
ياطائراتٍ الى السَّحَابْ طَيْرَ الجزُوعْ
أنتُنَّ بَعْضي فأيُّ ذَنْبٍ يُشْجي القريبْ ؟
اَلهجْرُ قاسٍ وأيُّ صَعْبٍ هَجْرُ الحبيبْ ! »
قلْنَ الدقيقاتُ الحِسَانْ : « أنتَ المُسيءْ
ضَيَّعْتَنَا ضَيْعَ الهوَانْ لَسْنَا نَفِيءْ (١)
ما مَرَّ لن يأتي وإنْ صَافَى الزَّمَنْ
سِيَّانِ تلهو أو تَبِنْ لن تُؤْتَمَنْ
لم تَدْرِ ما مَعْنى الحَيَاهْ حتى المَشيبْ
أنفقتَها دونَ انتباهْ مثلَ الجنيبْ
والآن ما تبغي وقدْ ولَّى الغِنَى ؟
هيهات يُرْجَى المُفْتَقَدْ يا مَنْ تَجَنَّى !
لو كنتَ قدَّرْتَ الوُجودْ تقديرَنا
ما لُمْتَنَا لَوْمَ الجحُودْ أو خُنْتَنَا . . ! »

---

(١) نفيء : نرجع .

***

إحرصْ على النفع الأتمْ مِن الدقيقهْ
إنْ تَنْسَهَا تَنْسَ الأهمْ بل (الحقيقهْ)
ما العُمْرُ الاَّ جَمْعُهَا أو ضَيْعُهَـــا
ما النُّجحُ الاَّ نَفْعُهَا لا دَفْعُهَـــا !

عضات الدهر

وللدَّهرِ عضَّاتٌ اذا ما فحصتَها تبيّنتَ أنَّ الدهرَ في الطبعِ أرقمُ (١)
اذا عَضَّ لم يسطعْ رجوعاً الى الأذى سريعاً وإنْ أضحى يخيفُ ويُوهِمُ
فلا تخْشَهُ جبناً ولكنْ محاذراً وأدِّبْهُ ، فالغلاّبُ مَنْ يتعلّمُ
تعلّمْ وحاذرْ ما استطعتَ معاقباً مُسيئَك لا تتركْهُ يطغى وينقمُ
فلو عرف الانسانُ وعظَ اساءةٍ ليحذَرَ تاليها لما سُفِكَ الدمُ

فكمْ من ضحايا للتهاونِ والهوى
وصَرْعى تَنَاسَوْا فِطْرَةَ الدّهرِ أوعَمُوا

---

(١) الارقم : أخبث الحيات . ومن صفاته أنه اذا نفث سمه لم يستطع تجديده الا بعد فترة من الزمن - نحو أسبوع - وان حاول أثناء ذلك اخافة الانسان بالوهم .

وما عِيبَ بَطشُ الدهر قَدْرَ خنوعنا
نِياماً ، وما يُجدي النّيامَ التظلُّمُ

عاشق قمر

نظمها لسانا لحال صديق له

هل كان ذنبي أن أُحِبَّ فلا أرى وجهَ الحبيبِ سوى لتقدير القَدَرْ
شهرٌ يمرُّ وكلُّ حظّي ليلةٌ (١) فيه ، فعودي بالسعادة يا (قَمَرْ)

العصبية الطائشة

نظم الشاعر هـذه القصيدة تعليقا على خطبة نفيسة لاديب فلسطين الكبير الاستاذ اسعاف بك النشاشبي عنوانها : « قلب عربي وعقل اوربي » .

مَرْحَى ومَرْحى للتعصُّبِ إن يكنْ للفضلِ ، فالفضلُ العميمُ عظيمُ
لا تنظروا اللأمسِ نظرةَ سائلٍ بل فانظروا لليومِ ، فهو كريمُ
وتوجّهوا للغرب ، لا تتعصبوا وتعلّموا ، فالنهضةُ التعليمُ
إنّا نُجِعْنا (٢) بالمفاخرِ دائماً حتى أدلَّ (٣) بمجدنا التكريمُ

(١) يشبه ليلة اللقاء بليلة البدر ، لاتفاق تمام هذا اللقاء سوى مرة كل شهر .
(٢) نجعنا : غذينا . (٣) أدل : افتخر .

فلحُرمةِ الماضي العزيزِ وفاؤُنا للفخر ، فالفخرُ الفَعُولُ سليمُ
كونوا أُباةَ الضَّيْمِ ينبضْ عرقكم عصبيةً المجدِ فهو جسيمُ
أُمَمٌ بنتْهُ لكم وأنتمْ أهله هيهات لو صَدَقَ البنون يَرِيمُ (١)
لكن تحاشَوْا أن تعودوا (٢) سُبَّةً للصالحين فلن يفوزَ لئيمُ
صُونوا كما شاء الوفاء شعارَكم وخُذوا الذي وهبَ الحياةَ عليمُ
لا تنفُروا منه لعُجْمَةِ أصله
ما ناكرَ (٣) السَّمْحَ الجنيبَ (٤) حكيمُ
أيسرُّكم نَعْتُ الموات وأنتمو ميراثكم دُوَلٌ عليه تقُيمُ ؟ !
طبع الدثاري (٥) السكونُ وثَلْبُهُ (٦) ما غابَ عنه ، وكم يَذُمُّ عديمُ !
ما القُبَّعاتُ ولا مظاهرُ نهضةٍ عارٌ ، ولكنَّ الجمودَ ذميمُ
لِمَ لا نُماشي الغربَ في تجويده فيَحُقُّ (٧) قُدْرَةَ جيلنا التقويمُ
ونالُ من دُنيا هَدَأْنا في عُلَى دُولاتِها ما يَفْرِضُ التحكيمُ
هيهات يجحدُ للخيارِ حقوقهم دهرٌ ، فنكرانُ النُّبُوغِ عقيمُ
الدَّهْرُ منصفُكمْ اذا لم تتبعوا حُمْقَ الأفين (٨) فما الزمانُ غريمُ
هو من رآه الامسُ شائدَ ملككم أمَّا غُرُورُ الجهلِ فهو خصيمُ

(١) يريم : يفارق ، يبرح . (٢) تعودوا : تصيروا .
(٣) ناكر : حارب . (٤) الجنيب الاجنبي .
(٥) الدثاري وكذلك الدثور ، الكسلان . (٦) ثلبه ، عيبه .
(٧) يحق : يثبت . (٨) الافين : ضعيف العقل .

فتاة الريف

غنِّي وغنِّي يا (فتاةَ الرِّيفِ) غَنِّي (الطَّبيعةَ) سِرَّ كُلِّ طريفِ !
واستقْبلي الفنَّانَ يرقب شيقاً[1] مَرْآكِ يستوحيهِ للتأليفِ !
وتَسابَقي والشَّمْسَ شطرَ (مَزَارِعٍ) تلقاكِ بين تَبَسُّمٍ ورفيفِ[2]
نَشَرَتْ أعزَّ حُلِيِّها وكنوزها وبدائعَ الآياتِ والتَّصنيفِ
نَشْرَ السَّرِيِّ نفيسَه لشقيقِهِ نَشْرَ الجمالِ عزيزَه لأليفِ !
ودَعِي (الحمائمَ) تابعاتِكِ ـ بعدما جاملْتهنَّ ـ يَصُغْنَ شكرَ شَغُوفِ !
ويَزِدْنَ مِنْ ترحيبِ كُلِّ مؤمِّلٍ عَطْفاً وكُلِّ شفاعةٍ لوقوفِ !
في ألْفِ الالحانِ بين تطلُّعٍ لحنانِكِ الوافي وبين وَجيفِ[3]
يصطادها العادي وأنتِ لخَوْفِها أَمْنٌ أُضيفَ اليه بِرُّ مُضيفِ[4]
غَنِيَتْ بحسنِكِ عن غذاءٍ وارتَضَتْ
لكِ صُحبةً عن مُزْهِرٍ ووريفِ[5]
ومضتْ حيالَكِ مثلَ جُندِ طهارةٍ في زيِّ أجنحةٍ ودونَ سُيُوفِ
كانت طهارتُكِ السِّلاحَ وعِصْمةً للحُسْنِ ، فاستغنيتِ عمَّنْ يُوفي !

---

(١) شيقاً : مشتاقا . (٢) الرفيف : اهتزاز النضارة .
(٣) وجيف : خوف . (٤) مضيف : كريم يضيف .
(٥) وريف : ظليل ناشر .

وَوَهَبْتِ حُسْنَكِ للوجودِ بنبتِهِ وحياتِهِ وجمادِهِ الموقوفِ.
(الأرضُ) و (الأبقارُ) و (النَّخلُ) الذي

حيَّيتِ عابدة الـــــكلِّ لطيفِ

ومموِّجُ (النَّبتِ) النَّضيرِ موشَّحاً بالزَّهرِ في طرَفٍ من التفويفِ
وفريدةُ (الاشجارِ) جنبَ (قَنَاتِها)

تدعوكِ ، فاستمعي لصوتِ حفيفِ !
وتَفَيَّئِي إنْ شئتِ ظِلاًّ حانياً للمُغْبَن تدفعهُ ظِلالُ اللُّوف !
متحاسداتٍ ، واتحاسدُ في الهوى ماقاتَ نَبتاً ظُنَّ شبهَ صَدُوفِ (١)
والحُسْنُ للدُّنيا الحياة فلن يُرَى من عازفٍ عنه وغيرِ عَزُوفِ
(الجَوُّ) يُنعَشُ منكِ ثم يَبُثُّنا عُمْراً من الاحسانِ والتَّشويفِ (٢)
و(البَذْرُ) حيث ثمرتِهِ برشاقةٍ مثلُ النُّضارِ يعودُ في تضعيفِ !
و مُنَوَّرُ (اللَّبنِ الحليبِ) إخالهُ من راحتيْكِ شرابَ كُلِّ عفيفِ !
و(الماءُ) كالاكسيرِ شاقَ (بِجَرَّةٍ) كالتاجِ مزداناً برأسِ شريفِ !
و (النيلُ) يلثم راحتيكِ مُداعباً ويُقَبِّلُ القَدَمَيْنِ في تشريفِ !
و (القَرْيَةُ) السَّمراءُ صاح (إوَزُّها) طَرِباً ، وأذَّن (ديكُها) للفيفِ (٣)

---

(١) شبه منصرف عنه . (٢) التشويف : التجميل .
(٣) لجماعته .

وسعيدةُ (الغِيطَانِ) تروِيها المُنَى
مِن ناظريْك فصُنَّ عن تطفيفِ ! (١)
تهتزُّ (بالنَّبتِ) المُرنَّحِ بالهَوَى قبل الهواءُ من الجمالِ الريفي !
ونقيَّةُ (الازهارِ) تعرضُ عشقَها في غير ما خَجَلٍ ولا تسويفِ !
لا تَنهريها ! واسمحي بدعابةٍ تُحيي ! ففي تعنيفها تعنيفي !
ومِن (اليَمَامِ) مُسبِّحٌ في غبطةٍ بين (الطيورِ) شهيَّةُ التعزيفِ !
و (النَّحْلُ) تجذِبها اليكِ جواذبٌ (للشَّهد) والانعاشِ والتثقيفِ !
وأراكِ في عين الأديبِ فأشتهي
حظِّي لدى (الطَّنبورِ) (٢) و(الشَّادوفِ) !
أوحَظَّ « أعجم » قاد دَورةَ (نَوْرَجٍ)
جذلانَ قُربَكِ ياحياةَ الريفِ !
أودار كالأعمى (بساقيةٍ) بكتْ طَرَبًا لديكِ، وكان غيرَ كفيفِ !
واذا جَمَعْتِ (القُطْنَ) هشَّ اليكِ لا يشكو فِراقَ (اللَّوْزِ) شِبْهَ أسيفِ !
واذا مَرَرْتِ على (الحقُول) نَزُوعةً
للماءِ أنْضَرَها سَنَاكِ ، فطُوفي !

---

(١) في هذا البيت اشارة لطيفة الى شكوى الفلاحين المعتادة من قلة مياه الري .
(٢) الطنبور : الآلة المعروفة علميا باسطوانة ارخميدس ، وهي مما يستعمله الفلاحون بمصر قاري .

طُوفي ! وأعْطِي للملاحةِ حقَّها في بَعْثِ أمواتٍ ومَنْحِ قُطُوفِ !
وتَعهَّدي صُوَرَ الحياةِ جميعَها مَثَلَتْ لديكِ ولُحْنَ دونَ سُجُوفِ (١)
يازينةَ الرِّيفِ الكفيلِ بعيشِنا مَثَّلْتِ (مصرَ) بخُلْقِكِ المَعْرُوفِ
وبحُسنِكِ الجذَّابِ بين رشاقةٍ تَسبي وبين وداعةِ المألوفِ
ومِنَ العجائبِ أن حُرِمْتِ هدايةً
كالنَّاخباتِ، وعِشْتِ رمزَ كُسُوفِ (٢)
والشَّمسُ أنتِ (لمصرَ) مهما أصغروا جَدْواكِ، فهي عزيزةٌ لأُلُوفِ
ولو استطعتُ نداءَ (مصرَ) بريفها وصعيدِها لعُبِدْتِ بين صُفُوفِ !

المجهر

The Microscope

رفيقي الكشَّاف

صحِبْتُكَ عُمْراً في وفاءٍ ومُتْعةٍ فكنتَ لفنِّي مُلْهِماً ولأفكاري
فكم من بيانٍ لاحَ لي منكَ مُرشِداً وكم من مَعانٍ قد وهبتَ وأسرارِ

---

(١) دون سجوف : دون أستار . (٢) يدافع الشاعر عن حق الفلاحة المصرية في الانتخاب حيث يمدها حياة الريف وبالتالي حياة (مصر) نشاطاً وهمة وفكراً وعملاً ، ويقدمها على الفلاح المصري .

ويُذهِلُ قوماً أن يحبّكَ شاعرٌ وماعرفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
ففي كلّ مَرْأًى لي سؤالٌ ومَبْحَثٌ وللغيبِ نزّاعُ الحنين وأوطاري
أرى فيكَ سرَّ العيشِ والموتِ مُعْلَناً مراراً ، وآلامَ الوجودِ بتكرارِ !
ويارُبَّ خيطٍ عُدَّ جرثومَ قُوَّةٍ تناولتُ منهُ الوحيَ والأملَ الساري!
وآخر قد عَدُّوه بؤساً وشقوةً دعاني الى فحصِ التعاسةِ والعارِ !
فمثلك استاذٌ لِلُبّي وخاطري وأكبر فنّانٍ يُخَصُّ باكباري !
ولستَ جماداً من نحاسٍ ومَجْمَعٍ من العَدَسَاتِ الهاتكاتِ لأستارِ !
اذا قُلتَ كان القولُ للعقلِ حُجّةً
ولولاكَ ماعتزَّ الطبيبُ ولا الداري [1]
وانْ لم تَبُحْ حيّرتَ فكراً منقّباً
وحيناً بمحضِ الصمتِ تُفْصح عن واري [2]!

***

فيا قومُ ، صَفْحاً . . . لاتعيبوا الذي بَرَى
وينظمُ ما يَلْقَى بدائعَ للقاري
وسيّانِ جاءتْ من صُخورٍ كئيبةٍ أوالطَّرَبِ الزاهي بضاحكِ أزهارِ

(١) الداري : العليم . اشارة الى نفع المجهر في شتى المباحث العلمية .
(٢) الواري : القبح الباطني المفسد ، يقال : وري القبح جوفه أي أفسده وأكله . وهذه اشارة الى فائدة الدليل العلمي السلبي أحيانا في اثبات تشخيص المرض .

وسيّانِ مِن شلاّلِ نَهْرٍ ممرَّدٍ
أو المجهرِ الهادي [١] البخيلِ على الزَّاري [٢]
فَذَا عالَمٌ فيه الفُنونُ مُشاعَةٌ
وما حيلتي إنْ كنتُ أعشقُ أسفاري [٣]
وأقرأُ شتّى مِن حقائق مثلما
أصوغُ من الآثارِ أروَعَ [٤] آثاري؟!

الهجر الجميل والامل

رد على رسالة من صديق الشاعر
ناشر هذا الديوان

جدَّدتَ بالذكرى شجيَّ غرامي وندبتَ حظَّكَ والضِّرامُ ضرامي
ما أهونَ الهجرَ الجميلَ اذا أتت عُقباهُ صدقَ الوصلِ والأحلامِ
هوِّنْ عليكَ ففي العذابِ لذاذةٌ ان كان قربانًا وطوعَ هِيامِ
لولاظلامُ الليلِ ماقدَرَ [٥] الضُّحى لُبٌّ، ولا عرف التطلّعَ سامي

(١) أي الهادي، وكذلك بمعنى المرشد . والمجهر بمعنى المكرسكوب وهو المقصود ، وأيضا بمعنى التكلم بصوت عال .
(٢) الزاري : المحقر لشأن المجهر ، الذي لايعرف قدره .
(٣) يقصد آثار الطبيعة والعلم ، وقد سبق له أن قال : « ففي كل مرأى لي سؤال ومبحث ..... » (٤) أروع : أجمل . (٥) قدر : عظم .

روّضْ[1] عصيَّ الصّبرِ من معشوقِ ما
يُوحيهِ هـذا الليلُ من إلهامِ
مهما تظاهر[2] حالكاً فلديكَ في أفق النجوم عواطفٌ ومرامي !
فكنْ الجليدَ على الفِراقِ وان قسا ريّانَ من أملِ الفؤاد الظامي !
وكن البصيرَ بخير وعدٍ من غدٍ فالحسكمُ بالاسعادِ للأيامِ
من طبعها بعضُ الدّلالِ وقسوةٌ ثم الجزاءُ السّمحُ للمقدامِ
فانظر الى (أسيوط) نظرةَ واعدٍ جهدَ المحبِّ الى أعزّ مقامِ
من حقّه وعدُ الأبيِّ المعتلي ما كان من يرضيه محضُ سلامِ
بلدٌ به ذكر الوفاءُ طفولتي فحنتُ الذكر الجميل أمامي
وقرأتُ عطفَكَ بين دمعٍ هائبٍ كَشْفاً وقلبٍ مُثْخَنٍ[3] بسهامِ
عُمْرٌ مضى كم ذقتُ فيه تعاسةً وأظلُّ أرثي الميتَ من أعوامي
هي[4] بضعةٌ مني ، فعطفي فطرةٌ ولو انّها غَرْقَى من الآلامِ
فاذكر أخي (عنا) شقاوةَ مخلص يرجو لكَ النُّعمى وصفوَ سلامِ
وترقّبْ الآتي الكريمَ موفّقاً فلديكَ جمعُ مواهبٍ لكرامِ
ضَمنتْ لك المستقبلَ السامي كما ضمِنتْ لمثليَ منكَ نورَ ظلامي

(١) روض : ذلل وطوع . (٢) تظاهر : ظهر .
(٣) مثخن : موهن ومغلوب . (٤) أي الاعوام الماثلة .

واهزأْ اخي بالعابسين ولاتخفْ عقبانِهم ، فالحظُّ للبسّامِ
ذنيا أعاجيب ، وأعجبُ ما بها أن يرتقي للحكم شَرُّ نِيامِ
ولو أنّ قدرَ الفضل غيرُ مضيَّعٍ إن لم يَهَبْ (١) ، مترفّعاً عن ذامِ (٢)
كم بدّد اليأسُ الحياة وكم أرى فضلاً يضيّعه دفينُ سقامِ
وأنا المزكّي (٣) فيكَ كنزَ مفاخرٍ فاقبلْ خلوصَ (٤) الحبّ في اعظامي

الى نصير الديمقراطية

الدكتور هيكل بك

لمناسبة تهديد زيور باشا باحالته الى محكمة الجنايات نظير دفاعه الحار عن الحقوق الديمقراطية .

هُدّدتَ بالجسم العريض ولم تكن لنهابَ بطشَ جبابرٍ وحديدِ
أيظنُّ حامي « الزُّور » في غلوائه هذرَ الطغاةِ كصارمٍ ممدودِ ؟!
أو انما يبرى يراعةَ (هيكلٍ) ويغلّها بسخائف التهديدِ ؟!
يا أسرفَ الكتّابِ في إقدامهِ إضحكْ على الاسراف في التقييدِ

---

(١) لم يهب : لم يجبن .
(٢) الذيم والذام : العيب . (٣) المزكي : المادح .
(٤) خلوص : صفاء .

ماضرّ خائفك «الجريء» اذاانزوى في عزلةٍ أوْلَى بكلّ فقيدِ ؟ !
فقدتْه أسباب الكرامة عن رضى فعلام يعبث في غرور عميدِ ؟ !
لا في الوزارة ، لا ، ولا في غيرها معنًى له ، كلاَّ ... ولا في البيدِ !
أُعجوبةُ الدنيا الجديدةِ ليتهمْ زفّوه تمثالاً لغير جديدِ
ليعلّمَ الناس الشهامة مثلما يوحي الجبانُ شجاعةً لجنودِ !
خيرٌ لنا إعزازُهُ في معرضٍ مِن هزلِهِ الجاني وحكمِ عبيدِ !

ابو قردانه

(محمودُ) [1] متّعتَ العقولَ موفّقاً بدقائق الأدبِ العزيز الداني
في خفة الطير اللطيف ونفعهِ للغَرْسِ والأزهار والانسانِ
فرأيتُه وهو الرقيبُ المنتقي والقاتلُ الحشراتِ دونَ توانِ
أولى الطيور الرائعات [2] بكل ما يُوحيه للحُسْنَى (أبو قردانِ) [3]

(١) هو الاستاذ الشاعر الاديب محمود افندي رمزي نظيم صاحب جريدة (أبو قردان) الشهيرة .
(٢) الرائعات : الجميلة المعجبة .
(٣) هو الغرنوق الذي أوشك أن ينقرض لكثرة استعمال ريشه في قبعات السيدات ، وقد حمته الحكومة المصرية نظراً لنفعه في مقاومة الحشرات .

الحكم الدستوري

في النَّاسِ مَنْ ظَنُّوا الشعوبَ بهائماً تُرْعَى وليس لحظِّها أن ترتقي
فرضُوا بذلّ السائمين (١) وسخّروا ألبابهم وتفنّنوا بتشدُّقِ (٢)
ياقومُ إنْ كان التذلّلُ حُلْمَكُمْ فلتهنأوا..ودعوا سواكم ينتقي (٣)
ما كان حكمُ الفردِ مظهرَ قوّةٍ بل كان مظهرَ أيِّ رأيٍ أحمقِ
فالناسُ ما بلغوا الحضارةَ بالهوى بل بالتشاورِ والحجا والمنطقِ
والحكمُ بالدستور مهما عِبْتُهُ أجدى وأشرفُ من صَلاحِ المُطْلَقِ (٤)

التقدير والرثاء

تُقدّر آثارَ العقولِ يراعتي على العيشِ لا يومَ الرثاءِ على الموْتِ
فلا خيرَ في التقديرِ من بعد غربةٍ فسدِّدْ ديونَ الفضلِ قبلَ نوَى الفوْتِ (٥)

---

(١) يقال سامه خسفا أي أذله . (٢) التشدق : محاولة التفصح عجزاً .
(٣) ينتقي : يختار . (٤) المطلق : ضد المقيد : الاستبدادي .
(٥) الفوت : الفقدان

أمير الكمنجة

سامي الشوّا

وقّعْتَ من نَغَمِ البلابلِ صفوَها ومن الهزَارِ وكم فتنتَ أديباَ
لولا يديكَ [1] وما عرضتَ لَحُبِّرتْ
أسماعُنا ، فلكم نطقتَ عجيباَ
تتسابقُ الأوتارُ بالنَّغَمِ الذي توحيهِ كالصَّوتِ الجميل حبيباَ
فنخالُ من شفتيكَ أعذبَ وقْعِهِ أوَ ليس عندكَ نائباً ومُنيباَ ؟!
أتقنتَ صوتَ الآدميّ مغرّداً وصوادحَ الطّيرِ العزيز طَرُوباَ
مثلَ ابتداعك للشّجون تثيرُها أو للدّموعِ مودّعاً وخطيباَ
فنظلُّ نتبعُ ما تبثُّ من الهوى وتظلُّ أنتَ معذّباً وطبيباَ
طوراً تبلّغنا السعادةَ كُلَّها وهنيهةً تُغري بنا التعذيباَ
يتبادلان دموعَنا وخفوقَنا وزفيرنا والشوقَ والتأنيباَ [2]
ومن العجيبِ اذا اكتفيتَ رأيتنا نعصي سكوتكَ أوتكون مجيباَ [3]

(١) أي لولا رؤيتنا يديك اللاعبتين .
(٢) التأنيب : التعنيف ؛ اشارة الى تقلبه الجريء من حال الى حال ولعبه بعواطف السامعين .
(٣) لاتمنع شكوانا من تقلبك وتصرفك فينا اننا نزداد شكوى اذا سكت ... !

ونحارُ في كنهِ اقتدارك بينما ملأ الاثيرَ مُموَّجاً مسكوباَ !.

***

لِلّهِ يا (سامي) العواطفِ رحمةً بقلوبنا فلقد عزفتَ مُذيباَ !.

الوطن الصغير

ألقى الشاعر هذه القصيدة ترحيبا وتشجيعا في حفلة نادي موظفي الحكومة ببور سعيد يوم ٣ يناير سنة ١٩٢٦ برئاسة محافظ المدينة سعادة اسماعيل باشا رمزي . واظهر صور القصيدة محاولة ايقاظ الجمهور وبث العناية بالنهضة المحلية أولا.

باسم الاخاءِ وباسمِ هذا النادي أهدي التحيةَ من صميم فؤادي
وأقدّر البرَّ الصحيحَ بسعيكمْ للفضلِ والاصلاحِ والارشادِ
فلكمْ هنا الوطنُ الصغيرُ وجُهدكم لرجائِهِ جُهْدٌ لهذا الوادي
إنْ تهملوهُ فليس يقبلُ بِرَّكم وطنٌ أجلُّ ولا نداءُ بلادِ
فالأمةُ الافرادُ بعد جُموعِها والشعبُ بالأجنادِ فالقوّادِ
فاذا أردتمْ للبلادِ نهوضَها فلتذْكروا مَثَلَ النهوضِ البادي (١)
قولوا لمن خذل الغرورُ عقولَهم القدرُ بالاعمالِ لا الميلادِ
لا تحْسَبوا انّ الوقارَ بِمُنْزَلٍ شَرَفُ الحياةِ لهشريفُ ورَادِ

(١) البادي : أي للباديء ، وكذلك بمعنى الواضح .

يتساويان لدى الفخار : براعةٌ بيد الاديبِ ومِنْجَلُ الحَصّادِ
كُلٌّ له عملٌ يُقدَّر فَضْلُهُ بالنفع والاخلاصِ والاسعادِ
أما المَعِيبُ فنَزْوَةٌ[1] و بطَالةٌ وجهالةُ التفريقِ والاضدادِ
اكرمْ بكم في العاملين لوَحْدَةٍ أعظمْ بكمْ في الدافعين لعادِ
في مَوْطِنِ ملك الدخيلُ كنوزَهُ وغدا الأصيلُ مهدَّداً بنفادِ
لاتتركوه يثنُّ من آلامِهِ فيكمْ أُساةُ الروح والأجسادِ
لا تكتفوا بحياتِكم ووفائكمْ بل فاعملوا عملَ النبيّ الهادي !
بلدٌ يزينُ (الشرقَ) جُودُ منارِهِ أولَى بمشرقِ نورِهِ المتهادي
البحرُ بسّامٌ له بتحيّـــةٍ وله القنالُ ذخيرةُ الاجدادِ
وتزورُهُ أممٌ وتحسدُ مالَهُ من عزّةِ الماضي ووَحْيِ الغادي[2]
قد فرّطَ الآباء في آمالِهِ لـكنْ له أملُ الكريم الجادي[3]
يُعطي ويلبثُ في السّخاءِ مميَّزاً بالبشرِ والايناسِ للوُفّادِ
وأرى العطاءَ له حدودُ سلامةٍ وأرى الحصافة في حكيمِ جهادِ
فتعاونوا واستمهلُوهُ وعلّمُوا أبناءَه عملَ المجدّ الصادي
ليعودَ للبرّ السليمِ بأهلِهِ قبلَ الاجانبِ فيه والقُصّادِ
ويكونَ قدوةَ غيرِهِ في امّةٍ جلَّ النداءُ بها وقلَّ الفادي[4]

---

(١) النزوة لغة : الوثبة ، ومجازاً : الطيش . (٢) الغادي : الآتي : المستقبل . (٣) الجادي : المعطي . (٤) الفادى : المضحي .

راقصة البارتنون

ذهبت (مونّا بايفا Monna Paiva) الراقصة الحسناء « بالاو يرا كوميك » بباريس الى اليونان وقصدت أن تزور (البارتنون ـ Parthénon) ، فما وافت أعلاه وأخذ جماله منها مأخذه حتى انتزعت ملابسها ورقصت عارية فوق « جبال الجمال والفن تلك » وسط الهواء السماوي الذي لم تلوثه أنفاس الشهوة البهيمية : وقد شكت حكومة اليونان تلك الفعلة وفاعلتها الى حكومتها وطلبت اليها لوم تلك الراقصة الحسناء ... « ١ »

***

بَرَرْتِ بفنّكِ ياغايَهْ فللفنِّ رقصتُكِ الغاليهْ
معطّرةً من أريجِ الجبالِ مجدّدَةَ المُبَجِ الفانيهْ
مزوّدةً من معاني الجمالِ ومن طهرِ آلهةٍ رانيهْ
خلعتِ المذنّبَ الاحتشامَ وأبرزتِ حليَتَكِ الخافيهْ
فمن حقّها أن يسودَ الغرامُ وأن تُسْعَدَ القُبَلُ الدّانيهْ
مِن النُّور والأثرِ المزدهي برقصتكِ الحرّة الزاهيهْ !
ومِن نظراتِ السّحابِ السريعِ يودُّ البقاءَ ولو ثانيهْ !
ومن بسماتِ الشّعاعِ البديعِ يذوبُ بأنوارِكِ اللاّهيهْ !
ومِنْ عجبٍ شِمْتِ هذا المجال يردُّ مُنَى الشّهوةِ الغاويهْ !

« ١ » هذا ما أشيع أولا عند ما نظم الشاعر قصيدته ثم أعلنت الراقصة فيما بعد ان غرضها كان غير ذلك .

واُنسيتِ انَّ الهوى والسّؤالَ مُشاعانِ في العُصُرِ الخاليهْ!
وآثارُها حولكِ الخاشعاتُ كذلك في الصُّوَرِ الباليهْ!
وفي خافقات الجماد الصموت وأشواقِهِ الجمّةِ الظاميهْ!
فلا تغضبي إنْ شككِ (الهُدَاةُ) فذلك كيْ تغتدي راضيهْ!
وما هو الاّ عتابُ الهوَاةِ فليتك كنتِ لهم داعيَهْ!

أميرة الشعر المنثور

الآنسة ميّ

يشوقُ الحسانَ نظيمُ العقُودْ وأنتِ افتنانُكِ في نَثْرِها
مجمَّلةً من بيانٍ يجودْ ومسعدةَ النفس في فقرِها
فكم لكِ من عارفاتِ الخلودْ جواهرُ تسحرُ من قدرِها
وتقبسُ من نورِ هذا الوجودْ مَناراً وتُوقظُ من سحرِها
وتُظهرُ أصباغَ حالي الورودْ فنُزْهَى وننشقُ من نشرِها
وتجمعُ آيَ الجمالِ الشّرودْ فيغتبط الفنُّ من ذكرِها
وعندكِ لا يعتريها الصُّدودْ اذا تعبَ النظمُ في اثرِها

غوالٍ تجوزُ بعيدَ الحُدودْ بمَنْشَئِها الفخْمِ أو عُمْرِها !
وهيهات يَسْري اليها الجمودْ وهيهات . . فالرّوحُ من سرّها!
اذامادعاها[1] الأديب الحسودْ دعتْه[2] الى الصدق من بشْرها
ويا ربما خصَّها بالسجودْ ولم يظفرْ النظمُ من ظفرِها
فيا (مَيُّ) يامَنْ بفضلٍ تسودْ ونُبْلُ العواطفِ من فخرِها
ويا من حَبَتْنَا كريمَ الوعودْ وأحييتْ مُنَى الفنّ من برّها
وجادتْ لنا بالخيالِ الوَدُودْ كما جادتْ السُّحْبُ في قَطْرِها
وطوراً لها البرقُ ثم الرُّعودْ لفكّ المشاعر من أسرِها
حُفِظتِ محرّرةً من قيودْ ورافعةَ النثر في شعرها !

(١) رغب اليها ٠ (٢) ساقته الى ٠٠٠

ذكرى محمود مراد

يرثيك مَنْ عرفوا حجاكَ عظيماَ ... أمَّا أنا فأزيدك التعظيماَ

فلقد عشقتك بالسماع بغربتي ... فهززتَني شوقاً اليك جسيماَ

ولمحتُ فيكَ نبيَّ فنٍّ خالد ... والرافعَ الأدب المهين كريماَ

وأنا الطبيبُ أصون دفقَ عواطفي ... حيناً فأعجزني نواك أليماَ

للعارفيك إخاؤهم ووفاؤهم ... ولزفرتي أثرٌ يُظن نظيماَ!

والفنُّ يعلم غيرَ ذاك، فانه ... رجعُ الصدى مما نشرتَ كريماَ!

أرسلتَ همتك البعيدة داعياً ... واليومَ تجمعُ ما غرستَ زعيماَ

حتى بأقطار الثلوج [1]، فانني ... لم أنس سعيك مرشداً وعليماَ

ولديَّ في تلك الديار مظاهرٌ ... للفنّ قد تُنسي الغريبَ صميما [2]

لكنْ هو الفذُّ النبوغُ موفَّق ... يُهدي ضياءً سارياً وشميماَ!

وتكرُّ أعوامٌ ويلبث حقُّه ... دَيْناً على كلّ الرجال مقيماَ

واليومَ نبدأُ بالوفاء وربما ... تمضي السنون ولن يزالَ [3] عميماَ!

أسفي على هذا الوداع وانْ يكنْ ... فيه المماتُ محقَّراً وهزيماَ

---

(١) يشير الى البلاد الاوروبية التي اغترب بها الشاعر طويلا .

(٢) اي فنانا أصيلا في وطنه . (٣) أي دينه علينا .

ما غُرمُ هذا القطر لو متّعتَه عمراً أجلّ وانْ بقيتَ غريماً؟!

كنتَ المجزّي روحَك العالي هُدًى

فرحلتَ عنه مكرَّماً وسليما [1] !

وقتِلْتَ من «مرضِ الملوك» [2] مبجّلاً

وبعلة الفقراءُ عاد سقيماَ !

وعرفتَ خلاّبَ النُّهى ببيانِهِ والآنَ تُعْرَفُ بالصُّمُوتِ حكيماَ!

وممثلاً بالأمس كان مروّعاً فاخترتْ وعظكَ في التراب جسيماَ

العلمُ والأخلاقُ وهي مواهبٌ فقدتْ بفقدك موئلاً وحميماَ

فاذا تقدم للرثاء كبيرُها تركتْ مناحتُها الفخارَ كليماَ!

ولو الطبيعةُ في تنوُّع رسمها سُئِلتْ لألبستْ السماءَ غيوماَ

في كلّ جيلٍ قلما يُهْدي الورى نورٌ كنورك أو يكونُ نديماَ

فاذا رُثيتَ فانّ من يُرْثَى الأُلى فقدوا إماماً للنهوضِ لزيماَ

وأُجِلُّ عقلكَ عن مصيرِ نثيرِهِ تُرباً، فما كان الضياءُ عديماَ!

---

(١) سليما : كاملا ، وايضا بمعنى لديغاً أو جريحاً .

(٢) اشارة الى المرض الذي ابتلى به .

عبد القادر

تحية صاحب « البلاغ » الاستاذ عبد القادر حمزة في مستهل العام الرابع لصحيفته الشهيرة .

حيّاكَ بالأمسِ العصيبِ أبي فدعْ قَلمي وقد بانَ[1] الأصيلُ ينوبُ
في مستهلّ جديد سعيِكَ بعد ما درجت سنونُ عواصفٍ وخطوبُ
كنتَ (القديرَ) ولم تزل في قدرةٍ للحقّ يفزعُ شطرَها المنكوبُ
فابدأْ بعامٍ بالمفاخرِ حافلٍ
وانشرْ (بلاغك) تصطحبْه قلوبُ
وابعثْ بآياتِ البيانِ دقيقةً فلكم تفنّنَ نثرُكَ المحبوبُ
ولكم تضمّنَ كلُّ سطرٍ حجةً ولكم تكشّفَ بينها المحجوبُ!
في قوّةِ الأعلامِ حولكَ نقدُهم يهنزُّ منه الغالبُ المغلوبُ !
فاذا الوفاء قضى بشكرِكَ والهوى فأحقُّ مشكوري الأديبِ أريبُ
واذا القريضُ لمثلِ جهدِكَ لم يُنلْ حمداً فلا عرَفَ البراعَ أديبُ !

---

(١) بان : نأى .

التمثيل

القيت في حفلة جمعية (الاتحاد الاخوي التمثيلية)
ببور سعيد مساء ١٦ يناير سنة ١٩٢٦ حيث مثلت
رواية صلاح الدين الايوبي مساعدة الشيخ ممثلي مصر
الكبير الشيخ ابراهيم احمد الاسكندري برعاية سعادة
اسماعيل رمزي باشا محافظ القنال.

إنْ تَحْفَلُوا بعلَى (صلاح الدين) فتذكَّروا لأخيه فرضَ مَدِينِ!
فهو الممثلُ ، مَنْ يُعيدُ لحِسِّكمْ ويُـكَرِّرُ التـاريخَ جدَّ أمينِ!
لولاهُ ما انطبعَ الجلالُ بصورةٍ للناس أروع من أعزّ يقينِ
لولاه لاكتفتْ العقولُ بسيرةٍ عَرَضَاً،وماانتبهتْ لاشرفِ دينِ
دينُ العظائم لن يُذاعَ ضياؤه إلاّ بهمّةِ نَخْوَةٍ وفنونِ
كالشعرِ أوكالنقشِ أوكالعزْفِ أو تمثيلِ غايتِهِ بحذقِ ضمينِ
قدّرتمْ الفضلَ الصحيحَ لنفعِهِ والفضلُ للعُشّاقِ غيرُ ضنينِ
أكرمْ بكم متسابقين لنصرِهِ ومعزّزين لحقّهِ المغبونِ
ومعلّمين الغافلين فُروضَهم في سهرةِ الفنّانِ والمفتونِ
ومساعدين لمن شدا بغِنَائه جيلان للمسرور والمحزونِ
فتلقّ يا (ابراهيم) شكرَ خواطرٍ ومسامعٍ عشقتك عشقَ عُيون

قيثارةُ الاحسانِ أنتَ وقدرُها يزدادُ بالتعميرِ لا التّزيينِ
وبقيةُ الماضي الذي يبقى كما يبقى شذا المسكيّ المسكينِ
يتهافتون ورَمْزُ شخصك عندهم رمزٌ لجمعِ مفاخرٍ وقُرونِ
فلكم بررتَ بكلّ جيلٍ سابقٍ في قوّةِ التمثيلِ والتلحينِ
وأجدتَ حتى قد نظنُّ كأنما نلقى إذا نلقاك كلَّ ثمينِ!
من حكمةِ الماضي وحاضرِنا معاً والجاهِ والسُّلطان والتمكينِ!
شخصية مثّلتْ بها أممٌ مضتْ وتظلُّ خالدةً بمرّ سنينِ!
لاتحزننَّ إذا الزمانُ أمضّها فلكم ضَحِكْتَ عليه ضِحْكَ مُهينِ!
ونشرتَ مَنْ ماتوا فخلّدَ ذكرَهمْ وبعثتَ للعلياءِ كلَّ دفينِ!
وأعدتَ في الساعاتِ أعماراً وكم حُكّمْتَ فوق منيّةٍ وحنينِ!
متلاعباً بالناظرين ، وقاسياً طوراً ، وحيناً في لباسِ مَهينِ!
والصولجانُ وعرشُ مُلْكٍ باذخٍ لكَ طالما قرِنا بحُورِ عِينِ!
قد ذُقْتَ اضرابَ الحياةِ جميعها فوقَ المسارحِ مُبْدِعَ التبيينِ!
والحظُّ عبدُكَ والزمانُ مطاوعٌ فانظرْ لثورتِهِ بصفحِ رزينِ!
وانهض بفنّكَ مرة أخرى فكم للشّيبِ من عزمٍ به مكنونِ
انهضْ وفنّنْ ما استطعت موفّقاً عِبَراً فكم أُغنيتَ عن تلقينِ!
وأرِ الشباب جميلَ فنك ، انهُ مَثَلُ التحرُّر لامثالُ سجينِ
إن نالَ منك الدهرُ فهو محقّرٌ ولديك للتقديرِ ما يُلهِيني

وأراكَ ـ مهما كُنتَ ـ حُرّاً سيّداً تعتزُّ بالابداعِ والتكوينِ

الشليك الندى

أبيات ارنجالية

ومَبسِمٍ زانَه حالي الشليكِ النَّدي!
لُحسنِهِ أُفتَدَى وحُسنُهُ يَفتَدِي!
وعبدَهُ أغتدي لكن بخوفِ الغدِ!
فَعِتقُهُ مُرهِقي وأسرُهُ مُسعِدِي
ومُتعَتي نظرةٌ لنورِهِ المُفرَدِ
وقُبلَةٌ عُمرُها أبقَىٰ من الفَرقَدِ!
فسحرُهَا مُوجِدي وذِكرُها سَرمَدِي!

* * *

فَخلّدي نعمتي وخلّدي خلّدي!
وسامحي جُرأةَ للعابدِ المهتدي
وغرّدي دَعوَةَ تَشفي الفُؤَادَ الصَّدِي
يامَن لها ذلّتي يامَن بها سُؤددي!

النشاط الشعري

اسمحْ لشعري أن يبَرَّ بقدرِهِ ... ما الشعرُ بين تثاؤب وخُمولِ!
شعري كنبعٍ مُدَّ مِنْ عيني ومن ... حسّي الدفين وخاطري المصقولِ
هيهات يرجعُ عن وفاء دافقٍ ... للفنّ أو عَن طبعِهِ المجبولِ
مهما يفضْ فسخاؤُهُ لاينتهي ... في فيضِهِ المعشوقِ والمبذولِ
في كلّ يومٍ بل بكلّ دقيقةٍ ... صُوَرٌ تُصانُ لحسنِهِ المأمولِ
حتى تسيلَ مشعشعاتِ مِلاءَه ... سيانِ بين جداولٍ وسُيُولِ
فهو المصوّرُ للحياةِ وسرّها ... وهو الجديرُ بصالحاتِ رسولِ
ويُعَدُّ إقلالاً كثيرُ نشاطِهِ ... في عصر أعمالٍ وجيلِ عُقُولِ
ما الشعرُ تفكهةَ العليل وإنّما ... الشعرُ إلهامٌ ونهضةُ جيلِ
فاذا تدفَّقَ راوياً بل مُخصِباً ... سامَى[1]، وإلاَّ عُدَّ غيرَ جليلِ

(١) سامى : فاخر .

بين نارين

تبدَّت واللفيفةُ [1] في دخانٍ بمبسمِها تُعبّرُ عن ضرامِ !
فقلتُ لها أنا الأولَى بذّي دخاناً نمَّ عن ذاكي غرَامي !
فجئتُ لها لأشعلَ ماحَبَتني بشُعلتها وأنفثَ من هُيامي !
فكانت قُبلةً من نار حُبٍّ ومبثوثَ الأُوامِ الى الأُوامِ !
ولكن أعقبت صفواً كأنّا حرقنا الهمَّ في كأسيْ مُدامِ !

(*) يوبيل المقتطف

المهرجانُ يُعدُّ واليوبيلُ وبكلّ عامٍ من سنيكَ جيل !
ماذا يزيد الحافلون بحبّهمْ ولديك مُلكٌ للفخار حفيلُ ؟
بنت العقولُ الناضجاتُ منارَه والمجدُ يخلُدُ إنْ بنَتْهُ عقول
خمسون عاماً في الجهادِ عزيزةٌ وأعزُّ منها عمرُكَ المأمولُ !
أنا لا أسمّي العاملين لطولِه فالذكرُ للرُّسلِ الهُدَاةِ يطول !

---

(١) اللفيفة : السيكارة من التبغ . ج لفائف.

(*) بعث الشاعر بهذه القصيدة الى مجلة (المقتطف) في السادس عشر من يناير سنة ١٩٢٦ وقد اكتفت لجنة اليوبيل بالقاء قصيدتين احداهما لخليل بك مطران والاخرى لحافظ بك ابراهيم .

وأرى الوجودَ غذاءَك الباقي كما للعلم عُمْرُكَ ضامنٌ وكفيلُ!
ودُعِيتَ (مُقنطفا) ومثلك مانحٌ ما يستعزُّ بمثله (الانجيلُ)!
مِن كُلّ بحثٍ للعظائمِ مُسْعِفٍ ولنهضةِ الخُلُقِ العظيم يجولُ
وبكل فَنٍّ للمآثرِ مُنْشيءٌ فالفنُّ فيكَ على الهُدَى مجبولُ
في كلّ فصلٍ من فصولك حكمةٌ وبكلّ معنًى من حِجاك دليلُ
تبني العواطفَ والمشاعرَ والنهى حيناً، وطوراً بالدليلِ تُديلُ!
(سقراطُ) ثم التابعون ومَجمعٌ للنابغين تناوبوا وأُقيلوا!
وتظلُّ مدرسةَ الحياةِ بأسرها وتعيشُ فرقاناً له التقبيلُ!
وبلغتَ سنَّ الرشد يوم ولادةٍ ووُقيتَ تَيبَ العُمْرِ وهوطويلُ!
بينا تناجيكَ المدارسُ حرَّةً للروحِ عندك منزلٌ مقبولُ
وأرى حياتي من حياتك، طالما مُتِّعْتُ منكومَطْمحي مكفولُ
عشرون عاماً كم عرفتُ غضونَها فيكَ النفيسَ شعارُهُ المعقولُ
ونزحتُ عن وطني فكنتَ مصاحبي واذا احتجبتَ تعود حين أميلُ!
وبكلّ شهرٍ رحلةٌ لكَ لاتني رغمَ البحارِ فما عداكَ خليلُ!
أبداً تجودُ وحاملاً لذخائرٍ من طبعها التجميلُ والتكميلُ
وتسوحُ في الدُّنيا وترجع باسماً خِلاًّ يُصانُ لِبرّه التبجيلُ!

ومن العجائب انَّ برَّكَ شاملٌ سيان فيه مُغرِّبٌ (١) وأصيلُ!
وأعيذُ مَنْ عرفوكَ عن نسيانهم فاقبلْ وفائي الجمَّ وهو قليلُ
ومِن الحقائق انَّ فضلكَ جامعٌ واليه يرجعُ ناشطٌ وعليلُ
ومِن المفاخر انّ رأيكَ حجةٌ فحجاكَ للحقّ الصميمِ مُقيلُ
ولعيدِكَ الذهبيّ كنزٌ خالدٌ هو من صفاتك مُسْعِدٌ مبذولُ
أنت الغنيُّ به ونحن لبرّهِ نسعى ، فما يُهدَى اليكَ فُضُولُ!
وعُرِفتَ بالأسرارِ أنصحَ عالِمٍ وبمُشْرِفاتِ الغيبِ حين تقولُ!
ومشرّحاً خضعَ البيانُ لأمرِهِ وسلاحُهُ التدقيقُ لا التأويلُ
ومنسّقاً للزّهر في صفحاتِهِ للناسِ ، وهو لقدرهِ اكليلُ
ومروّضاً جَمحَى النُّفُوسِ على الهُدَى
فيرى سبيلَ المهتدين كليلُ
ومغرّداً بالشّعر في جناته يحظى مشوقٌ عنده وسؤولُ
ومترجماً شتّى المعارفِ بينما طبعُ الزّمانِ بنشرهنَّ بخيلُ
ومحرّراً أسرى العوائدِ إن طَغَت ونصيدُها من عدله التكبيلُ
ومطبّباً مرضى النفوسِ وعنده تطبيبُها أولَى به التعجيلُ
ومؤدّباً باللطف ملءَ حديثه واللطفُ للأدبِ السليمِ زميلُ
ومسائِلاً ومجاوباً ومحقّقاً لا تعتريه سآمةٌ وخمولُ

---

(١) المغرب : النازح .

وممثّلاً لحوادث الدنيا كما رسمَ الوقائعَ ناظرٌ منقولُ
ومؤرّخاً ينبيكَ مُبدعُ وصفِهِ أنّ الزمانَ بوصفِهِ مأهولُ !
ومهذّباً للسان امته، وفي تهذيبه تهذيبُها المقبولُ
ومؤمّلاً حاشاه ييأسُ ساخطاً والنّصرُ أوّلُ عُمرِهِ التأميلُ
ومبادراً للصالحات يُعزّها في موطنٍ فيه الصلاحُ ذليلُ
ومحارباً بدعَ الخرافةِ بعدما قتل الحكيمَ بامسنا التضليلُ
ومنادماً هيهات يذبل انسُهُ والانسُ زهرٌ يعتريه ذبولُ
ومخاصماً للعابثين بقوةٍ أقلامُها عند الدفاع نصولُ
ومسالِماً للفاتحين بعلمهم ما كان بين العالمين دخيلُ
ومُحكّماً يقضي ويُنصفُ شاكياً حتى اذا جهلاً شكاهُ جهُولُ !
ومخاطِراً عند الدعايةِ إن قضى عِلمٌ ، وإن بلغَ العليمَ أفولُ
ومُثابراً تفنى الزلازلُ حولَه وهو الرصيدُ السائلُ المسؤولُ !

***

صَرُّوفُ[1] عِش كزميلك الجمّ العُلَى
عَلَماً يُخَصُّ بمثلِهِ التنزيلُ !
يتحدّثُ الاحفادُ عن آثاره والجيلُ عنه، بقدرِهِ مشغولُ !

---

(١) هو العلامة الدكتور صروف رئيس تحرير المقتطف واحد منشيه « وزميله » الدكتور فارس نمر.

وتلقّ مِنْ مدحي عواطفَ مُكبرٍ والمدحُ للفضلِ النبيلِ نبيلُ
وأنا الذي شعري يعافُ تمدُّحاً الاَّ لمثلك فالمديحُ جميلُ
يجري به قلمي طَرُوباً زاهياً في جلسةٍ فيها الشعورُ جزيلُ
لايعرف التنميقَ محضُ خلُوصِهِ وصفاؤه طبعٌ لديه صقيلُ
مرآةُ أحوالٍ وصفحةُ عالَمٍ وخواطرٍ عنه ومنه تسيلُ
ولحقّ ربّ النورِ عكسُ شعاعِهِ صُوَراً ، ولو أنّ الأصيلَ جليلُ!

الشعر العزيز

وتساءلوا : « ما الشّعرُ ؟ » قلتُ : « أعزُّهُ
لغةُ الجمـال وصُورَةُ الاحساسِ
لا خيرَ في النظمِ المُنَمَّقِ لاهياً
بالسّمعِ لا يغذُو (١) عُقولَ الناسِ
يستحضرُ الفَخمَ الخيالَ مُزَوَّقاً للوهمِ لا للخاطرِ الحسّاسِ
متجرّداً عن فهمِ آمالِ الورى وحقائقِ الدُّنيا وواجبِ آسي (٢)

---

(١) يقال لغة : غذا الطعام الصبي اي نجع فيه وكفاه .
(٢) الاسي : المداوي ، ومجازاً : الحكيم الفيلسوف .

متكلّفاً برضى القشورَ غذاءه وحياتُهُ مقرُونةٌ بلباسِ
وأرى الجمالَ مجمَّلاً في ذاتِهِ وأرى الملاحةَ في بساطةِ كاسي
والعمقَ في التفكيرِ قبلَ صياغةٍ وماَثرَ التفكيرِ المتناسي
فدعوا الزخارفَ والوساوسَ إنّها كملاعبٍ بُنيتْ بغيرِ أساسِ!
لا الصّدقُ يقبلها وليس لمثلها نَفعٌ ولا أثرٌ من الايناسِ
الشعرُ مِرآةُ الشّعور ، مَقامُهُ
أسمى من التّلفيقِ والوِسواسِ[1] »

الطبُّ الجديد

نظمها لسانا لحال صديق

قال الطبيبُ وقد أراد تمـاثلي الآنَ نورُ الشمس محمودُ الاثرْ
فارحلْ الى البلدِ الجميلِ بنورِه متمتعاً بالنُّور تمتيعَ الزَّهَرْ
فشكرته ، لـكنَّ قلبي قال لي لاتنسَ انَّ البُرءَ من نور(القَمَرْ)!
الشّمسُ للطبِّ القديم وقد غدا للبدر مأمولُ الشّفاءِ المنتظَرْ!
نورٌ يفيضُ عن الغرامِ لجينهُ متجلبباً بالطهرِ وابْرّ الابرْ
وبه الغريقُ يرى الحياةَ رخيصةً بينا يراها نعمةً لا تُحتقرْ!

(١) الوسواس : اضطراب الفكر .

الرق الابدى

حنانَكِ !...رحماكِ !...ياناثرَهْ لسحرِكِ بالنظرةِ الآمِرَهْ !
ألا تكتفين برقّ القلوبِ بدنياكِ ، والعتقِ في الآخرَهْ ؟!

مصرع أبى هيف

عميد كلية الحقوق المصرية سابقاً ومدير دار الكتب المصرية بالقاهرة.

كالبرقِ مَصرَعُكَ العَجولُ الخاطفُ
جَمْعٌ يَشُكُّ به وجَمْعٌ خائفُ !
والرَّعدُ وَقْعُ صَداهُ حين تُبُوتِهِ
يا هَوْلَ ما يجني الزَّمانُ الواجفُ (١) !
فاذا اليراعُ وحُرقتي لِتَسابُق هذي تُذيبُ أسىً وذلك ذارفُ !
والحيرةُ الكبرى تُساوِرُ خاطري فَيَرُدُّ ما قد يدّعيه العارفُ !
مالي اضطرارٌ للشُّروحِ فانني في مثل نكبتكَ الحكيمُ الكاشفُ

(١) الواجف : المضطرب .

حَسَبَ الزّمانُ نبوغَ عقلكَ وافيًا
بالعُمْرِ فانتقَص[1] السنينَ الحاذفُ[2] !
أمثلِ همتك الرّثاءُ ؟ ! فانّها تبقى كما أبْقتْ حِجاكَ مواقفُ !
حَقُّ الرّثاءِ لمن تركتَ بحسرةٍ
ولخاسري فضلٍ بُكتهُ عوارف[3]
كُنتَ السَّخيَّ بهِ كثيرَ تواضع بَيْنَا يَتيهُ ويستعزُّ الزائف[4]
أمَّا بَنوك فما الرّثاءُ لمجدِهم بعلاك، فالمجدُ المكرَّم شارف[5] !
لكنّه لعواطفٍ بكَ أينعتْ فأعزُّ ما خسرَ البَنُونَ عواطفُ
ولربما عزَّا هُمو في رُزْئهم صُوَرٌ تناجيهمْ وحُبٌّ آلِف[6] !
ليس اليتامى مَن يموتُ عظيمُهُم بل مَنْ نأى عنهم فخارٌ وارف[7] !
وفخارُ مثلك لن يزولَ فانّهُ فخرٌ بَنتهُ مكارمٌ ومعارفُ !
تَذْرُو[8] الرياحُ الناسفاتُ بغيره والحقُّ لا تَطغَى عليه عواصفُ !
أعظمْ بموتِكَ للأنام مُحقّقًا أنَّ الحياةَ مآثرٌ وصحائفُ !

---

(١) انتقص الشيء : نقصه .
(٢) الحاذف : الرامي ، وأيضاً بمعنى المنتقص .
(٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي العطية .
(٤) الزائف : الحقير المدعي المردود .
(٥) شارف : أي مآله الشرف . (٦) آلف : أي آنس اليهم
(٧) وارف : ناضر . (٨) تذرو : تطير وتغرق .

دَيْنٌ يوفّيه القديرُ لجنسِهِ
فاذا انتهى ولّى وعاش الخالفُ (١) !
وأراكَ قد أسديتَ فوقَ وفائِهِ
بينا الدَّعيُّ لبَعْض فضْلِكَ واقفُ (٢)
أسفي على الانسانِ وهو مؤلّه (٣)
بالعقلِ يَفْنَى، والجمادُ يخالفُ !
ولو انّ حرّاسَ الأثيرِ (٤) تصونُه
صُوَراً وتنشأ بالاثير خلائفُ (٥)
لغزُ الوجود يحارُ كلُّ محقّقٍ فيه ، وفي طيّ الضمائر هاتفُ
شكٌّ يقود الى اليقين بأنّ ما يَفْنى هو العَرَضُ السقيمُ التالفُ
والخالدُ الباقي المشاعرُ كلّها فيطوف منها بالعَوالِمِ طائفُ !

---

(١) الخالف : الاحمق ، وأيضاً بمعنى المتخلف .

(٢) واقف أي حابس لما يملك ، وأيضاً بمعنى متردد من قولهم وقف في المسألة أي ارتاب .

(٣) يشير مجازاً الى سيطرته العظمى على العالم الارضي .

(٤) الاثير : عند الاقدمين الفلك التاسع ، وعند علماء الطبيعة (وهو مقصد الشاعر) مادة لاتقع تحت الوزن تتخلل الاجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة والكهربائية بواسطة تموجاتها .

(٥) خلائف : جمع خليفة وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه .

أصْغِرْ بأجسامٍ لعلَّ كِيانَها
غَذَّتْهُ من رِمَمِ الجدُودِ سوالفُ (١)

صارت تُرَاباً أو سَماداً يُشْتَرَى
فالجِرْمُ في تكوينها متضاعِف

تَحْوِي سِرَاجَ الفكر وهي هياكلٌ (٢)
وبها كنوزُ الذِّهن وهي سفاسفُ (٣)

فليُمْذَرْ الانسانُ في أوهامِهِ
إنْ عدَّ أنَّ الجسمَ سوف يُحالِفُ (٤)

أمّا أنا فأرى الحياة كما أرى
والصِّدْقُ أولى أن يراه الصادقُ (٥)

وأرى (أبا هيف) ضحيَّةَ حِلْمِهِ
ولَى كما ولَّى الشُّعاعُ الصائفُ (٦)

---

(١) سوالف ، جمع سالفة : أي ماضية مندثرة .
(٢) هياكل : صور عارية .
(٣) سفاسف ، جمع سفساف : أي حقيرة .
(٤) اشارة الى بعض معتقدات من يدعون مناجاة الارواح وغيرهم .
(٥) الصادق : الراغب من التي .
(٦) الشعاع الصائف : أي الشعاع الحار المتلي بالحياة والقوة . والحلم : العقل .

من بعدما وهَبَ الحرارةَ نورُهُ فليبكِهِ نَدْبٌ وتبكِ طرائفُ(١)

وليبكه وافي الشباب لنفعهِ
في مَوْقِفِ التذكيرِ وهو مُشارِفُ(٢)

صَحِبَ المجامعَ والرسائلَ فانقضى
عُمْرٌ وقام كتابُهُ المتآلِفُ (٣) !

سِفْرٌ من الأخلاقِ معشوقُ السَّنَا
عن كُلِّ زلاَّتِ الخمولِ صوادفُ(٤)

إنْ تسألوا عن عِلَّةٍ لمماتِهِ
فَظَماؤُهُ للبَحْثِ وهو الهائفُ (٥)

أبداً ينقّب في المباحث مُبْدِعاً
حتى دَهَتْهُ من الجهود متَالفُ (٦)

ويُعلّمُ الجيلَ الطموحَ الى العُلى قانونَها مهما يَعِبْهُ مُخَالِفُ

---

(١) طرائف : جمع طريفة وهي الحديث النادر المستحسن ، والمقصود سيرة الفقيد .

(٢) مشارف : يقال شارف الشيء أي اطلع عليه من فوق .

(٣) المتآلف : المجتمع ، وأيضاً بمعنى الاليف لها .

(٤) صوادف : مرتدة منصرفة، أي الاخلاق

(٥) الظماء : العطش ، والهائف : الشديد العطش .

(٦) متالف : جمع متلف وهو محل التلف والهلاك .

فارقدْ فقيدَ العلم رقدةَ هازيء بالموتِ، فالفَذُّ العظيمُ يُجازِفُ

وانظرْ بروحِكَ للغِراس تَرُكْنَها

تنمو وليس بها الضعيفُ الآسفُ

إلاَّ لصرعِكَ الأليمِ فانها

ريعَتْ وأذبلها عليك ذوارفُ[1]

جسمٌ كجسمِكَ في الطهارَة حَقُّهُ

حَقُّ الملوك فتحتويه لفائفُ[2]

مِنْ كُلِّ مأثور الفضيلة والحجا

وبكلِّ ما يُرْضي المحبةَ واصفُ

مهما سَمَوْتَ بعبقريتكَ[3] التي

عاقتْهُ ...[4] إني بالمِّم قدرِكَ عالِفُ !

(١) ذاك الدموع ماء حياتها .

(٢) يشير الى صيانة أجسام ملوك مصر الفراعنة .

(٣) العبقري لغة : كل ما يتعجب من كماله وقوته وحذقه

(٤) اشارة الى عجز كماله الفكري بإتمانه العالي .

ذكرى ١٣ نوفمبر (*)

نظمت لمناسبة الذكرى الثامنة سنة ١٩٢٦م

في مِثْلِ هذا اليَوْمِ مِن أعْوَام خَطَّ الخُلُودُ صحيفةَ الإقْدَامِ
وأضاء أحْرُفَها تألّقُ ثَورَةٍ للحقّ بين دَمٍ وبين ضِرَامِ
وكأنّ (أُوزيريس) بارَكَ وَحيَها
فَسَحَتْ فرائدُها عن الابهامِ
أو أنّ (هورَسَ) كالمجاهد عن رَعٍ (١)
لم يألُها رفعاً غداةَ يُحامي

أمْلَى بها الشُّهَدَاءُ مِن أرْوَاحِهم آيَ الفِدَاءِ بكلّ جرْحٍ دامِ
لِيَرى الذين أتَوْا على آثارهم كيْفَ الحياةُ تُصَانُ بالآلامِ
حَيُّوا بني وطني سريَّ منارها ملءَ النفوس يُشِعُّ والأفهامِ
واستقبلوا الذِّكْرَى كأوْفى أُمَّةٍ عَرَفَتْ جلالَ المجدِ والإلهامِ

(*) راجع قصيدة الشاعر في الذكرى الخامسة لهذا العيد الوطني بديوان (مصريات) ص ٣٣ - ٣٥

(١) أوزيريس: كان معبوداً للخير والاصلاح والنهضة عند قدماء المصريين، و (هوروس) إله الظفر تحت امرة المعبود (ر ع).

عادتْ موحَّدَة الصفوفِ كريمةً كالجوهر المتفرّدِ المتسامي
ألقتْ مقاليدَ الامور لشَيْخها في غير نُكرانٍ ولا استسلامِ
حامي حِمى الدّستور (سَعْدُ) رجاؤها والمِدْرَهُ العاتي على الظُّلاّم
والوالدُ الحاني عليها فَوْقَ ما يحنو العَمُ الوافي على الأيتام
(النّيلُ) عُدَّ أبًا (لمصر) و(سَعْدُها)
عُدَّ الكفيلَ لها على الايّامِ
وكأنّ (حابي) قامَ فيه مُمَثَّلاً واختُصَّ معبوداً بخفض الهامِ
أو أنّها (عذراء بِخْتِنَ) تَيَّمَتْ
(رمسيسَ) عن حُسنٍ وصدق غرام (١)
عَامُ البُطولَةِ والجهادِ: حَيَاتُهُ أبقى وأثمنُ من عُلى (الأهْرَام)
طالتْ برغم التضحياتِ وانّها لَجُمُوعُ آمالٍ بِحِصْنٍ سامِ
عالي المَهابَةِ لا المَشيبُ يشوبُهُ ضَعْفًا، وليس لظاهُ غيرَ سلامِ
حَقٌّ له ولصاحبيه(٢) على المدى الشكرُ، وهو على التعاقُبِ نامِ
شُكْرُ القلوب الواعياتِ لما انقضى مِنْ حالِكِ الأحداث والآثامِ
والسَّيْفُ يلعبُ، والرّصاص مُدَمْدِمٌ
هَزَجًا، وما في القُطْرِ غيرُ ظَلامِ

---

(١) حابي : اله النيل . راجع قصة عذراء بخت في كتب الميثولوجيا.
(٢) المغفور له شمراوى باشا، وسعادة عبد العزيز باشا فهمي.

وإذا العواصفُ لاتنامُ وإن تكنْ بَخِلَتْ بكاذب بَرْقِها البسّامِ
والنّاسُ في جزَعِ الخُطوبِ همُومُهم ودموعُهم موصولةٌ لدوامِ
حتى علا صوْتُ اليقين مؤذّناً فتلاه بذْلُ النفْسِ قبلَ حطامِ
وبَدَتْ من الضيْمِ الأثيمِ عزيزةً (مِصْرُ الفتاةُ) نبيلةَ الأقسامِ
طَفَرَتْ من الصبر الطويلِ وكافحت
بالجهْدِ بعد بسالةِ الإحجام
ذاق العدُوُّ خسارتيها خاشياً روحاً طبيعتها كسيل طامِ
إيهاً أبا الأحرارِ يوْمُكَ فخرُهُ ما كان مفتقراً الى الأعلام
سِيَرُ البطولة شِعْرُها آثارُها وهَوَى البنوّةِ ليس عذْبَ كلامِ
أنزلتَ منزلةَ الجلالِ مُقدّساً فانْعَمْ برغم الشانيء المتعامي
وتملّ أفئدةً حياكَ نبْضُها منْ حُبِّ رافع قدرها المِقْدامِ
أسْدَى لأمّتِهِ وتاجِ فخارِها ولرَبِّ هذا التاج ـ وهو السّامي ـ
شَرَفَ الدفاعِ ونادرَ الشّمَمِ الذي حفظتْهُ للأمثال والأحكام
وأتتْ جموعُ الذاكرين نيابةً عن (مصر) فاشملْهُمْ بعطفِ إمام
عيدٌ كهذا العيدِ منْ شاراتِهِ نَوْحُ الدّموعِ وصدحةُ الأنغامِ

اعتراف

ما زِلْتُ مُعْتَرِفاً بِجَهْلِي دائباً ... في دَفْعِ أخطائي ورَفْعِ يقيني
فاذا ضَحِكْتُ مِن الذين تهافتوا ... زُمَراً على نقدي وبَخْسِ ثميني
فالحَقُّ يعلم ليس ذاك ترفُّعاً ... مِنّي عن التصحيح والتبيينِ
لكنّه أنَفُ المبجّل جُهْدَه ... عن سُخْرِ أطفالٍ وَهُوِ ظنينِ (١)
أدبي - وإنْ هو لم ينلْ أُمنيّتي - ... ما زال لي تاجاً يزين جبيني
مِنْ صدقِ إحساسي وكلّ جوارحي ... وتطلُّعي السامي نظمتُ حنيني
وإذاً فكيف أسومُهُ نقدَ الهوى ... للخاملين الحاسدين رنيني ؟!
وبرغمهم أن يستعزّ لغايةٍ ... في الخلد لم تُمنَحْ لغيرِ أمينِ !
الشهرةُ الكُبْرَى لمثلي لم تكنْ ... قَصْداً، ولكنْ مِنبَرَ التلقينِ !
مَنْ عاشَ عاشَ لغيرِهِ، وأرَى الذي ... يحيا لشهرتِهِ بموتِ مَهينِ !

التعاون الفكري

إنّما مُتعةُ (الحياةِ) لنا ... لَذّةٌ بَعْضُها الذي نجِدُ

(١) الظنين : المتهم أو المكروه لسوء ظنه وسوء الظن به . والانف : التنزه والاستنكاف.

خَبَرُهَا ما نزال ننشدُهُ مَثَلاً للمُلَى فنجتهدُ
والمُلَى لم تكنْ لذي مَرَضٍ يهدم الخيرَ ثم ينتقدُ
العُلَى غايةٌ لقوّتنا وقوانا الاخاء والجلَدُ
وآئتلافُ النُّبوغ حليتنا إن أعزَّ ائتلافَهُ الجسَدُ
إن يغبْ[1] غاب فيه مأملُنا فهوينا ولم يَفُزْ أحَدُ
هكذا أعلنتْ ثقافتنا ولديها رَجَاحَةٌ ويَدُ
وأيُّ مَجْدٍ وأيُّ مَفْخَرَةٍ لحاسدٍ بالضلال يتّقدُ ؟!
يشتهي لَذَّةَ التفرُّد في الخَلْـ ـقِ بمجدٍ والمجدُ يبتعدُ
الحياةُ الاخاء ، والجنَّةُ النَّا رُ اذا غابَ طائرٌ غَرِدُ !
كم يُسيءُ الغرُورُ للناس ، كم يُرْ دِي ، وكم يُصغِرُ النُّهَى الحَسَدُ

عنوانه الرجل

المَرْأةُ عنوانُ الرُّجلِ كالزَّهْرَةِ للنَّبْتِ الحالي
تبقَى مِرْآةَ حقيقتِهِ وضمانَ الخُلْدِ لأجيالِ
وتجُودُ بشَهْدٍ مُنتَهَبٍ للكونِ وسِحْرٍ فعَّالِ
فاذاامتُهِنَتْ واذاشقيتْ شَقِيَا بذُبُولِ الآمالِ

(١) أي التمادى .

التناقضه

اذا بَحَثْتَ الحَيَاةَ تَلْقَى ... مِن الوَرَى عِنْهَا الثَّقيلْ
وَغَيْرَهم قد غَدَا يُعَانِي ... مِنْهَا ، ولكنْ بلا مُقيلْ!
وهكذا النَّاسُ في اختلافٍ ... فَمن جَليلٍ الى ضئيلْ
فان أردتَ الشُّيُوعَ عَدْلا ... فانتَ تسعَى لِمُسْتَحيلْ!

علة الدهر

يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكم ... يا أيُّها النَّاسُ احْفَلُوا بالحَيَاهْ
أصْغَرْتُمْ العقلَ بأوهامِكم ... واخترتم الوهم لدينِ الالَهْ
والدِّينُ ما كان سوى سعيكم ... للخيرِ لا ذُلاً لهذي الجِبَاهْ
مَنْ عاشَ في دُنياه أعمى الحِجَى ... لم يغنمْ الدّنيا ولا مُنتهاهْ!

العظمة

يكاد يُعَدُّ مع الأنبياءْ ... رجالُ العُلُومِ وأهْلُ الذّكاءْ

ففي كُلّ يومٍ لهم بِدْعَةٌ تهزُّ الثرَى وتُناحي السَّماءْ
ولـكنَّ أوفى الورى للورى وأولى الورى بالعُلَى والرجاءْ
عِظَامٌ يصونون خُلْقَ الأنام ويُحيون فيهم معاني الاخاءْ

الشكوك

يَعَافُ صَفْوَ اللَّيَالي مَنْ في شُكُوكٍ يَهِيمُ
والعُمْرُ أُنسٌ وأُنسٌ وإِنْ تَوَلَّى النَّدِيمُ
فأينَ فتَّشتَ تُبصرْ حُسْناً كريماً يُقيمُ
فكيف تُشْجَى وتَذْسَى أنَّ الحَزينَ الغَرِيمُ ؟!

وسائل

مِن الأماني حَيَاةٌ لحالمٍ دُونَ نَوْمِ
ورُبَّ نَوْمٍ مَمَاتٌ ورَبَّ جَهْلٍ كعِلْمِ
فلا تعشْ في سُبَاتٍ ولا خصيماً لِحُلْمِ
فَكِّرْ لآتٍ وآتٍ واجمعْ خيالاً بِحِلْمِ (١)

(١) أي واجمع خيالا وعقلا معاً .

طب العاشق

كم يَشْتَهِي العاشقُ في حُبِّهِ ... ما يُدْهِشُ الخالي وما حيَّرَا
كذلك الطِّبُّ لِطُلَّابِهِ ... النِّعمةُ الكُبْرَى ومُحْيِي الوَرَى
والسالمُ الغانِمُ في صِحَّةٍ ... لايشكر الطِّبَّ اذا مادَرَى
فلتعذرْ العاشقَ فهو الذي ... في سُقْمِهِ قدَّر ما قدَّرَا !

لقاء

يَحِنُّ لِنَظْرَتِي (النِّيلُ) ... وللأمواجِ تَهْلِيلُ
يَجُودُ عليَّ مبتسماً ... بنُورٍ فيه تقبيلُ
كأنِّي في لِقَاهُ أرَى ... أبَا آمَالُهُ الجِيلُ
يُباركني ويُسعدني ... ورُوحي منه تأميلُ
وأمْضِي حاملاً ظَمأً ... كأنْ لم يَكْفِهِ (النِّيلُ)!

الانسانية

مازلتِ سابحةً بتيَّارِ الدَّمِ ... فتنبَّهي مِنْ قَبْلِ أن تتهدَّمِي !
وتعلَّمي سِرَّ النَّجاةِ ، وحقِّقي ... مَعْنَى (الحياةِ) بحكمةِ المُتعلِّمِ

إنَّ (الحياةَ) تَضافُرٌ وتَعاوُنٌ ... سِيَّانِ بين غِنَّها والمُعْدِمِ
حتَّى الجَمادُ فقد يُؤازِرُ بَعْضُهُ ... بَعْضاً، فكيف بمَنْ لِرُوحٍ ينتمي؟
رُوحُ الوُجودِ هو (الجَمالُ) فمالَه ... قد شاهَ بين أذًى وخُبْثٍ مُضرَمِ
وأُذِيلَ بينَ تكالُبٍ وتناحُرٍ ... وهو الذي لولاهُ لم تتنسَّمِي [1]!

مرَّتْ ملايينُ السنين فهل كَفَتْ
لِتفهُّم (الدُّنيا) ونَقْضِ تَوَهُّمِ ؟!
ما لامَكِ الأُوَّامُ عندَ طفولةٍ
والآنَ ما يكفيكِ لَوْمُ الأُوَّمِ
ما بَيْنَ (شمسٍ) بدَّدَتْ إشعاعَها
لِتُضِيءَ نَهْجَكِ بعد عيشٍ مُظْلِمِ
وعوالمٍ في (الأرْضِ) مثلَ سمائِها [2]
تُعْطِيكِ مِلءَ هَوَائِها والمَنْجَمِ
قد سُخِّرَ (الكونُ) العظيمُ بما وَعَى
لِرِضاكِ إن آثرتِ أن تتقدَّمِي

---

(١) شاه : قبح ، وأذيل : أهين ، والتكالب : التخاصم كالكلاب . ولم تتنسمي : لم تتجسدي ولم تنمي .

(٢) ذكر الشاعر الشمس وغيرها من عوالم سماوية وأرضيه بين لوام الانسانية على جهلها وضلالتها واساءتها الى نفسها بنفسها .

فَأَضَعْتِ عُمْراً ـ لا يُقَاسُ ـ بثانِهِ
والقَيْنُ مشغولٌ بشحذ اللَّهْذَمِ [1]

وجَرَحْتِ نَفْسَكِ بالجهالةِ مِثْلَمَا
في ظُلْمةٍ بيدَيْهِ قدْ جُرِحَ العَمِي !

ماذا جنيتِ من الحُروبِ سوى الرَّدَى
لبنيكِ في الحالَيْنِ [2] ؟! فلتتندَّمي !

في الجسم ليسَ يَعِيبُ عيناً ساعدٌ
فَعَلَامَ جِسْمُكِ للتخاصُمِ ينتمي ؟!

ولو اهتدَيتِ فتحْتِ كلَّ حصينةٍ
وطَرَقتِ ممتنعَ العُلَى والأنجُمِ

ووَهَبْتِ مالكِ للثَّقَافَةِ لا الوَغى
في عالَمٍ قدْ ذاقَ نارَ جهنَّمِ

فرَفَعْتِ الأحقابَ أكرَمَ صورَةٍ
لاحسْرَةَ الثَّكلى ودمعَ الأيِّمِ

وزففْتِ للدُّنيا الثَّناءَ لِما حَبَتْ
ووهبتها ما فاتَها مِنْ بَلْسَمِ

وجَعَلْتِ عَيْشَكِ نِعْمَةً لاتنتَهي
لا مَأْتَماً يَنْلوهُ أشْجَى مأتَمِ

ولكنتِ في نور (السَّلامِ) أعزَّ مِنْ
مَرْآكِ في نورٍ يُلَوَّثُ بالدَّمِ

---

(١) القين : الحداد ، واللهذم : الحد القاطع للسيف .
(٢) أي في حالي النصر والهزيمة .

ولكنتِ مُلتجأً (الحقيقةَ) دائماً تهفو اليكِ وفي ظِلاَلِكِ تحتَمي
لا خصمَها الجاني عليها كلما أهدتكِ للإصلاحِ حتى تَنعمي
أسفي على عَهْدِ الطُّفولةِ عندما أوْفى (أتونُ) برَحمةٍ وبسُلْمِ
فنبذتِهِ، وقبعتِ في ظُلَمٍ وما فارقتها الاَّ لكلِّ مُحرَّمِ
وتركتِ للتَّاريخِ أبشعَ صُورَةٍ بينَ التَّخبُّطِ والجُنونِ المبهَمِ
قد كانَ عَهْداً (للتَّسامُحِ) بالغاً
عَهْدَ (المحبَّةِ) و(الإخاءِ) الأكرَمِ
عهدٌ بهِ (فِرْعَوْنُ)[1] لاقى شعبَهُ
جَذِلاً، وعلَّمَهُ بِروحِ المُلْهَمِ
كم قدَّرَ الرجلَ الصغيرَ لنفعِهِ
للناسِ فوق عُلَى الكميِّ المُعْلَمِ[2]
وشَدَتْ بصفوِ (النيلِ) نُخبَةُ طَيْرِهِ
والسِّلْمُ شغلٌ للجوارحِ والفمِ
سبَقَ (المسيحَ) فما اتبعتِ كأيِّهما
ولبثتِ في ليلٍ ولم تتعلَّمي

---

(١) عهد (أخناتون)، وقد كان أول داع الى التوحيد في العبادة، وكان نصير السلام وصديق الانسانية الحميم.
(٢) المحارب المتاز.

والخلقُ بين دمٍ يُراقُ وفِتنَةٍ
تُذْكى وعَيْشٍ بالسَّعادَةِ مُفْعَم
فَيُتِمْتِ مِنْ ذاكَ العَظيمِ بِرُشْدِهِ
ولو اتَّبَعْتِ دَليلَهُ لم تُيْتَمي
خَلّي طِرازَ عُلاكِ نُورَ مَحَبَّةٍ
وتَوَحُّدي في ذِكرِهِ [1] وتبَسَّمي
ودَعي لشعرِ الجيلِ نَظْمَ رَجائِهِ
في (المطلبِ الأسمَى) بما لم يُنْظَمِ

الحياة الثانية

او روح الأدب

إنْ تُعَرِّفْ (الأدَبا) فآرو عنه ما وهَبَا
كم تَرَى (الحياةَ) بهِ تملأُ النُّهى طَرَبَا
أو تُثيرُنا أسَفاً أو نهزُّنا عَجَبَا
دائماً يُمثِّلنا أو يضيءُ ما احتجبَا
فهو صورةٌ صَدَقَتْ وهو بَرٌّ وثبَا

(١) أي في ذكر (اخناتون).

لم يكنْ لنا عَبثاً لم يكنْ لنا لعباَ
بل مُنًى مجدَّدة عن شعورنا كُتُباَ
كأنَّهُ حقائقُنا ليس بهْرَجا كَذَباَ
في صميم بيئتِنا يَنْتَهي لنا نسَباَ
لا يسِفُّ مُصْطنِعًا لا يُذالُ مضطرباَ
مِلْؤُهُ مَفاخِرُنا مُذْ غدَتْ لنا حسباَ
وَازناً عواطِفَنا مثلَ حاسِبٍ حَسبا
مُعلِناً دخائلَنا مُفْصِحاً بما وَجبَاَ
مُظْهِراً نجارَبنا النجاحَ والعَطَباَ
ثائراً لثورَتنا ناشراً لنا أرَباَ
سابِراً مَشاعِرَنا رافِعاً لها طُنُباَ
يستحثنا وَيلي (١) عند وَحْيِهِ الطَّلَباَ
(الوُجُودُ) أجْمَعُهُ مِنْ وَفائِهِ اكتسباَ
لم يَدَعْ عظائِمَهُ دُونَ مَنْحِها سَبباَ
صاعِدٌ تَطَوُّرُهُ في زَمانِهِ رُتَباَ
لم تكنْ عناصِرُهُ زُخْرُفاً ولا حَبَباَ

---

(١) يلي : يتبع :

بل هُدوءَ حكمتنا واشتعالها نَصَبَا
والذي يُستِرنا نازحاً ومقتربَا
مِنْ عَوالِمِ وَمْيٍ خلَّدتْ لنا حُقُبَا
كلُّ ما يُمثِّلُهُ عَيْشُنَا بهِ انسكَبَا
والبعيدُ من عُصُرٍ تزدهي به شُهُبَا
فالجنيبُ يجهلُهُ أو يخالُهُ خَرِبَا
حاسباً سخافته والصناعةَ (الأدبا)
والأديبُ يَفهَمُهُ عُمْرَهُ الذي طَلَبَا
كم يَرَى دِرَاسَتَهُ نِعْمَةً ومُنتَهَبَا(١)
عابداً مآثِرَهُ جاذباً ومُجْتَذِبَا
لا يراه مَهْزَلَةً بل جلالَهُ الأشِبَا(٢)
(للحياةِ) مُنتَظِماً (للخُلُودِ) مصطحِباً!

---

(١) المنتهب : مصدر ميمي بمعنى الانتهاب .
(٢) الاشب : الممتد الممتنع .

بأمر الحاكم بأمره

لفت نظر الشاعر صديقه الصحفي الاديب والقصصي المطبوع الاستاذ حبيب جاماتي الى هذه القصة التاريخية التي نشرتها مجلة (المصور) في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٦ م والتي تناسب الوصف الشعري سواء للرواية أو للمسرح ، فلما اطلع عليها أعجب بها وتأثر من مواقفها ، ولبى اقتراح صديقه بحرارة وعواطف هذه آثارها في سبعة عشر نشيداً متفنة في البحر متنوعة القوافي واقعة في ستة وعشرين ومائتين من الابيات :

(١)

يَكفيكَ إذْ يَرْثِي (حَبيبُ) حبيباَ
ذَوْبٌ من الاحساس فاضَ مُذيباَ !
مِنْ نَبْعِ وِجْدَانِي أبثُّك وَجْدَهُ
وبكلِّ بَيْتٍ ما يجيشُ خطيباَ
وترى لِحُزْنِ الوَصْفِ حُزْناً آخَراً
مِنْ لَوْعَةِ الشِّعْرِ المُطيلِ نحيباَ
لِلشِّعْرِ تَكْتَسِبُ العواطفُ مثلما
هو للعَواطفِ ما يزال نسيباَ
ومِن الفُرُوضِ عليه يَوْمَ بُكائِها
أن يُرسِلَ الدمعَ السَّخِيَّ صبيباَ

لا كان شِعْرٌ لا يُوَفي حَقَّها
قَلَقاً ، وقد نبذ الشعورَ جنيبَا !
فاسْمَعْ روايةَ حِكْمَةٍ وعَوَاطِفٍ تَدَعُ الأديبَ اذا استفادَ أريبَا
وتُثير أشْرَفَ نَخْوَةٍ وَحَمِيَّةٍ للعِرْضِ حين تَزِيدُنا تَهْذِيبَا !

* * *

(٢)

في ظُلمةِ الأمْسِ البَعيدِ ـ وإنَّهُ لِلْبَاحِثِ الرَّائِي يَلُوحُ قَرِيبَا ـ
حيث استطالَ (بمصر) أفْسَقُ (حاكمٍ) [1]
وأطَالَ في غلوائِهِ تخريبَا
وَصَمَتْ بُنُوَّتُهُ (العزيزَ) [2] وعنده صار الجَلالَ (الفَاطِمِيُّ) غريبَا

---

(١) «الحاكم بأمر الله» أو «بأمره» كما كان يسمي نفسه (حكمه : ٩٩٦م ـ ١٠٢١م) كان كثير الغلو في فعاله عظيم الميل الى العسف والجبروت والتفنن في الاساءة ولا سيما الى النصاري واليهود ، شديد الغيرة على النساء والولوع في الاضرار بهن ، ولا تعرف عنه حسنة واحدة سوي شغفه بجمع الكتب ومعاضدة العلم ، وهو الذي أتم « الجامع الحاكمي » الذي بدأه والده (العزيز) .

(٢) والد (الحاكم بأمر الله) . وكان (العزيز) ملكاً محبوباً لحسن تدبيره وشجاعته وتواضعه وسياسته الاصلاحية التي كونت له ملكاً واسعاً ممتداً من اليمن الى أعالي الفرات ومن شرقي الحجاز الى المحيط الاطلنطي ، (وحكمه : ٩٧٥ ـ ٩٩٦م)

باغٍ تلوّث بالفجُورِ ، وطَيْشُهُ ما زال مَعْدومَ المثالِ مَعيبا
بَلَغَتْ سَفَاهَتُهُ الجُنُونَ فكم له مِنْ حادثٍ جَعَلَ الصوابَ مُرِيبَا!
وعجائبٍ شتَّى من النَّزَق الذي لا ينتهي خطأً ولا تصويبَا!
سَلْ مُدْهِشَ التاريخ عن إرهاقِهِ يُنبيكَ عن عَجَبٍ يدوم عجيبا
كم مِنْ مَخَازٍ أو مظالم لم يقف عند ارتكاب فظيعها تأنيبَا
ويخالُ أمرَ الله في أمرٍ له حتى ولو أذكى البلادَ لهيبَا

في ذلك العَهْدِ الذي أَشْقَى الوَرَى
جَمْعَا وذَاقَ نِسَاؤُهُ التَّعذيبَا

وَمَضَتْ به الأعراضُ مثلَ ذبائحٍ (للحاكم) العاتي ودُمْنَ نصيبَا!
وَجَنَى على أنهى الكنائس هادماً وأهانَ بالنَّزَقِ السقيمِ (صليبَا)
وأساء حتى للكُرُومِ[1] بنَزْعِهَا وافتنّ في سَخَفِ الصغَارِ ضُرُوبَا
وَقَعَتْ حوادثُ ما سأروي شاعراً بفوادحٍ افنتْ مُنًى وقُلُوبَا!

* * *

(١) بلغت سخافة (الحاكم بأمر الله) وهو ذلك الفاجر العاتي - في سبيل النكاية بالنصارى واليهود على الأخص - انه بعد تحريم شرب الخمر نمادى فأمر بقلع جميع الكروم من الديار المصرية!

(٣)

قد كَانَ في (الاسكندريَّة) زارعٌ وله ابْنَةٌ تَدَرُ (الجَمَال) أسيرًا
عاشا بكوخٍ بين فَقْرٍ صاحبٍ وَمَحَبَّةٍ لهما تُعَدُّ نَصيرًا
قَنِعَا من الدُّنْيَا بعُزْلَةِ راحةٍ متجنِّبين أذىً لها وشُرُورًا
رَأَيَا الحقارةَ في النُّفُوسِ فباعدا للنَّاسِ ما جعلَ العظيمَ حقيرًا
واستأنسا بِرِضَى (الطبيعة) وَحْدَها وقناعةٍ تَهَبُ الحزينَ سُرُورًا
أما الفتاةُ (فعَمْرَةٌ)، ولحُسْنِهَا وَصْفُ (الربيع) مُنَوِّراً مشكورًا
مَلَأَتْ أباها نِعْمَةً موصولةً بجمالها، وحَبَتْ مُنَاهُ النُّورًا
أغْنَتْهُ في الفقرِ المُقِيمِ عن الغِنَى وكَفَتْهُ في الكُوخِ الحقيرِ قُصُورًا
لم تَعْدُ سِنَّ (البَدْرِ) في أعوامها[1] لكنَّها فاقتْ سنًى وشُعُورًا
وغدا أَبُوها خاشيًا ما حَوْلَها من كلِّ ذي خطرٍ، فكان بصيرًا
منعَ الفتاةَ من التجوُّل راحمًا لاغاشمًا يجني، ولا محسورًا
لكنهُ بِرٌّ وخشيةُ فاسقٍ مَلَأَ البلادَ خبائثًا وفُجُورًا
لم يحترمْ عِرْضًا لأيِّ مليحةٍ جُلِبَتْ إليه ولم يكن مَقْهورًا
بَثَّ العيونَ لرصدِ كلِّ جميلةٍ حتى ينالَ جمالَها منصورًا
كم من فتاةٍ بعد سَلْبِ عفافها ألقى بها في قَعْرِهِ تحقيرًا

---

(١) ناهز عمرها أربعة عشر ربيعاً .

تُرِكَتْ لتندبَ حظَّها في ظُلمةٍ وتؤبّنَ الشرفَ القتيلَ شُهُورَا
وشبابَها الدَّاوي بلا حُرّيةٍ ينهدُّ مِنْ وقع الأسَى مأسورَا
في مِثْلِ ذاكَ العَهْدِ لاحرَجٌ على مَنْ كان يحبسُ بنتَه مذعورَا
السّجنُ أكرمُ مِنْ ممَاتِ دَعارَةٍ والحرُّ إنْ يَجزَعْ يكنْ معذورَا

* * *

(٤)

يا حِرْصَ (عَمْرَةَ) وهي تذهبُ خُلْسَةً
للبحر ثم تفوتُه مَسْحُورَا !
فتبثُّه أحلامَها ورجاءَها بل تُودِعُ الاشجانَ فيه قُبُورَا
جاشتْ بها طبعاً عواطفُ حُسْنِها ونَمَا بها الحُبُّ الأصيلُ نضيرَا
فتُحَمِّلُ الموْجَ السَّميعَ غرامَها والموجُ يحمل للغرامِ سُطورَا !
لا البحرُ يدري مَنْ تُحِبُّ ولا دَرَتْ لكنّه حُبٌّ ذكا ليثورَا !
حُبُّ الشَّبابِ كعِطْرِ زَهْرٍ يانعٍ مَنْ يَمْنَعُ الزَّهرَ النضيرَ عُطُورَا؟
ولطالما مزَجَتْ دموعاً عذبةً بمياهِهِ ورثتْ أخاً مقبورَا
وحنانَ والدةٍ مضتْ وكِلاهُما طَبَعَا بذاكرةِ الجَنَانِ شُعُورَا
ماتا وكانت في طُفولَتِها فما سكنتْ وما نسِيَتْ هَوًى مبرورَا
ولعلَّ أبقى الذِّكرياتِ جميعها ذِكْرُ الطفولة ناميًا معمورَا

* * *

(٥)

واعتَادَ والدُها بِعَوْدَتِهِ لها ... مِنْ حَقْلِهِ يُزْهِي رِضَى وحُبُورَا

مستصحباً صنّارتينْ لِصَيْدِهِ ... ولِصَيْدِها سمكَ العَشَاءِ قَرِيرَا

فتعود تطبُخُهُ كأشْهَى مَطْعَمٍ ... ومن البساطةِ ما لِذُّ فقيرَا

ولكم أصاختْ في احترامٍ للذي ... أفْضَى الأبُ الحاني بِهِ تحذيرَا

من شرِّ أشرارِ الرجالِ ومن أذى ... تِلْكَ العُيُونِ الرَّاصداتِ كثيرَا

وأفَاضَ في يَوْمٍ فقال لها هُدًى : ... «لا تحسبي بين الرجال ظهيرَا

أي (عَمْرَتِي)! فعيونُهُمْ صنّارةٌ ... للطّاهراتِ رَمَوْا بِها تغريرَا

فتجنّبيهم يافَتَاتي واحْذَري ... خطراً ينال الفاتناتِ كبيرَا!!»

فمضتْ على حَذَرٍ وحِرْصٍ دائم ... زَمَنًا بِهِ أمِنَا البلاءَ مريرَا

حتى اذا ما الصَّفْوُ دام تنكرتْ ... لهما الظروفُ فأخطآ التقديرَا

عرفَ الجواسيسُ الفتاةَ فبلّغُوا ... عنها المليكَ وبالغوا تصويرَا

بل ما تعَدَّوْا حُسْنَها في وَصْفِهِمْ ... لكنّهم قد شوّقُوا تعبيرَا

فاستاقَها وقضَى بحكم مآلها ... في قَصْرِهِ لا يعرف التقصيرَا

وله صَفَاءُ المطمئنِّ لوالدٍ ... في فقره يعنو اليه ضريرَا

ظنَّ النفوسَ جميعهنّ سواءً ... أبداً تُساق وما عرفْنَ ضميرَا!

* * *

(٦)

... وإذنْ فقد بعثَ النبيُّ برُسْلِهِ
لأبي الفتـــاةِ مطالباً بفتاتِهِ

ما جال في خُلْدِ له أنَّ امرءاً ... في الناس يجرؤ رافضاً رغباتِهِ
دَعْ عنك فلاَّحاً بفقرٍ مُدْقع ... يَعْصي له أمراً برغم أذاتِهِ !
لا سيّما والأمرُ تشريفٌ له ... في ظنّ مولاه وظنِّ ولاتِهِ !
لـكنَّ حُبَّ الوالدِ الحاني له ... في موقفِ الخطر الفِدَى بحياتِهِ
يَرْعى بُنَيّتَهُ حريصاً جارثاً ... لا يرهبُ الجبَّارَ في قوَّاتِهِ
فأبى ! ورَدَّ الرُّسْلَ غيرَ مسلِّمٍ ... كَنَزاً يُفديه بمهجةِ ذاتِهِ
ما كان معتوهاً ليدفنَ بنتَه ... بيديْه أو ليخونَ طُهْرَ صفاتِهِ

ثم ارتضى حظَّ الهروب مشرِّداً
معَها كطيرٍ غاب في غاباتِهِ
قد خاف كيد الباشقِ العادي فلَم
يهدأ ، وطار وبان خوف شتاتِهِ
ما أعظم الرجلَ الأبيَّ بفقرِهِ ... وأحطَّ ذا مُلْكٍ لدَى شهواتِهِ

وأجلَّ غضبةَ والدٍ دفعَ الأذى
يومَ الكريهةِ عن عَفافِ فتاتِهِ !

* * *

(٧)

هَرَبَا وجالاَ في البلادِ بلا وَنَى جزَعاً منْ الباغى ومِنْ أعْوَانهِ
هَرَبا ولـكنْ شقَّ أن يتوارَيَا عن باعهِ العاتي وعن سُلطانِهِ
رُصِداً على طُولِ البلادِ وعَرْضِها
وكأنَّما الأشجارُ من فُرْسانِهِ !
وتحمَّلاَ رُعْباً بكل دقيقةٍ كَتَماهُ عند العجزِ عن كتمانِهِ
والنَّاسُ في فَزَعٍ كذاكَ، وَكُلُّهُم
يَخْشى خيالَ العَسْفِ مِنْ شيطانِهِ
فقضى القَضاءُ بخيبةِ الأمَلِ الذي
واساهُما في الخوفِ مِنْ عدوانهِ
قبض الجُنودُ عليهما، ومَضَوْا بهما
للقصرِ تضحيةً الى نعبانِهِ
ومَضَوْا به للـكوخِ في سجنٍ الى
أن ماتَ أقسى الموتِ في أحزانهِ !

* * *

(٨)

قيدَتْ لمفسقةِ الأمير وقبلها قِيدَتْ سَبَايَا مثلها لبلائِهِ
ذُبِحَتْ طَهارتُها وأُهْمِلَ حُسْنُها
مِنْ بَعْدُ في القصرِ الشقيِّ بدائِهِ
ولكم قَضَتْ في حَسْرَةٍ لا تَنْتَهي
بمرارَةِ العيشِ وَرَوْعِ التائِهِ
أمضتْ ليالِيَ في ظلامٍ أقتم منها ، ولَوْنُ الصُّبْحِ لونُ مسائِهِ
تَبْكي الذي يُبْكي عليه لقيمةٍ
في هذهِ الدُّنيا ضياعُ رجائِهِ
تَبْكي لها شَرَفاً أُضيعَ وراحةً فَقِدَتْ وعيشاً بانَ عن نعمائِهِ
حُرِّيةُ المأسور أغلى عنده مِنْ عزّةٍ في السجنِ رَهْنَ ندائِهِ
فَبَكَتْ بِحُرْقةِ قلبها حُرِّيَّةً غابتْ غيابَ النورِ عن أحيائِهِ
وبكتْ أباً لم تدر هلْ هو مَيِّتٌ
فتنوحُ أم ترجو اقترابَ لقائِهِ
حتى أذابَ الدَّمْعُ نضرَةَ وجهها
فغدا سليبَ جمالِهِ ورواءِهِ !

* * *

(٩)

وقفَى احتراسُ (الحاكم) الباغي بأنْ
يختارَ حُرّاساً طُغاةَ رجالِهِ
من كلّ ذي نَظَرٍ يُصيبُ مَقاتلاً
وجَراءةٍ تُخْشى أمامَ خيالِهِ !
وقد اصطفى بين الجميع فتًى له أوْفى الوفاءُ لعرشِهِ ولمالِهِ
هذا الفتى هو (قاسمٌ) ، وهُمُومُهُ
أن يحرسَ الشّرفاتِ في تجوالِهِ
ويُراقب الغادينَ حتى إنّ قفى
شكٌّ هوى بالسيف فوق الوالِهِ !
ولكم ليالٍ كان يسمع عانياً أنّاتِ (عَبْرَة) تستقلُّ ببالِهِ
ونداءها لأبٍ بعيدٍ مُرْهَقٍ في صوْتِها المشْجي برغم جَمالِهِ
ومَدَى مناجاةٍ لامٍ غُيِّبَتْ والقلبُ لم يبرح رهينَ سُؤالِهِ
فيودُّ (قاسم) لو يهدّمُ ظافراً بيديه ذاكَ القصر في زلزالِهِ !
حتى يخلّصَ هذه الأنثى التي لم يَلْقَهَا ، ويفوتَ عارَ مآلِهِ

حتى يُعيدَ الى الضّحايا بعضَ ما جُرِّدْنَ من شرفٍ بفضل فعالهِ
حتى يكفّرُ عن وفاءٍ فاسدٍ للظالم الباغي وعن إجلالهِ
بدأت عواطفُهُ بصورة رأفةٍ ثم انتهتْ بهيامه وملالهِ
متحينا في كلّ يومٍ فُرْصةً ودَسيسةً تُجْدي لهدمِ ضلالهِ
فيُنيلُ عانيةً سعادةَ قلْبها ويفوزُ فوزَ الحظّ في إقبالهِ
ما ضَنَّ بالدَّم لو يُفيدُ مُحرِّراً تلكَ الفتاةَ وهارباً من حالهِ
الحُبُّ تَيَّمَهُ وانْ هو لم يَنلْ وَعْدًا ، ولكن خصَّه بنباله
بين الهوَى ومُنى الرجولة هكذا
صار الفتى مَثَلَ الهُدَى لمِثالهِ !

* * *

(١٠)

وكذا ارْتضَى القدَرُ العجيبُ بأن يُرى
في أُخْتِ (حاكمنا) خِلافُ طِباعهِ
وسِمَتْ (بستّ الملكِ) وهي كوسمها
وبها أُنيلَ القَصْرُ كلُّ شُعاعهِ

ولطالما كانت تُوامي مَنْ سَبا
غَدْراً أخوها قاسياً بطَماعِهِ (١)
فتُعيدُ آمالاً مَضَتْ اضحيّةً وتردُّ رُوحاً غابَ بعدَ وداعهِ
فرأتْ بوَجْدٍ (عَمْرَةً) فرَثَتْ لها
وبكتْ جمالاً مُؤْذناً بضياعهِ
وشقاءها القاسي العميقَ بوقْعهِ وبوجهها قَرَأتْ دفينَ نِزاعِهِ!
قدْ هالَها منها الذي قد راعها فحَنَتْ على حُسْنٍ هوى بدفاعِهِ
أصغَتْ الى ما رَدَّدَتْهُ روايةً والدمعُ يفضحُ حزنَها بقِناعِهِ!
ومَضَتْ ولكن بعدَ وعدٍ صادقٍ بالسَّعْيِ في تخليصها من باعِهِ
والنَّفْسُ يُنقذها الرجاءُ وربَّما غنيتْ وانْ شقيتْ بمحض سماعِهِ!
وكذاكَ (عَمْرَةُ) آمنتْ فتجدَّدت
برجائها وتبسَّمَتْ لشراعِهِ!

* * *

(١١)

أنعِمْ (بستِّ المُلْكِ) وهي مُجدَّةٌ
في البَحْثِ تنشدُ للخلاص سَبيلاَ

---

(١) الطماع : الحرص .

ما أجملَ الاحسانَ من نَفسٍ بكتْ
في عزّها لشقيات طويلاَ
فغدتْ تُضحّي في سبيل مروءةٍ وترى السّعادة أن تبثّ جميلاَ
بحثتْ فلم ترَ غيرَ رشوةِ (قاسمٍ)
عوناً باحرازِ النّجاح كفيلاَ
فدعتْهُ ثم حكتْ له ما أزمعتْ وحبتْهُ خيرَ وُعودِها تعليلاَ
فتملّكته عَوَاملُ الفرَح الذي يكفي ليُنقِذَ بالرّجاءِ عَليلاَ !
فهوى يقبّل ـ والدّموعُ معينةٌ ـ قدميْ جلالتها ، وكان نبيلاَ
أفضى لها بهمومِهِ ولَوعِهِ بجمالِ (عَمْرَةَ) بكْرَةً وأصيلاَ
ولو انه لم يَلقَها . . . لكنّه في عشقِهِ تخذَ الخيالَ رسولاَ
وهُنا علينا أن نُشيرَ الى الذي قد حيّر التفكيرَ والتأويلاَ
في كرهِ (حاكِمِنا) النّساءَ واختَه أيضاً ، فكان بما يسومُ وبيلاَ
ما كان إشباعاً لشهوةِ فاجر ما نال مِنْ أعراضهنّ مُذيلاَ
بل كان أغلبُهُ انتقاماً فاضحاً وتشفّياً مِنْ جنسهنّ ثقيلاَ
وقضتْ سفالتُه بتهمةِ اختِهِ يوماً بما غرَسَ النّفورَ أصيلاَ
وأثارَ نارَ البُغضِ مِلْءَ ضلوعها وهوَى انتقام يرفضُ التحويلاَ
ورأتْ بقصّةِ (عَمْرَةٍ) مأمولَها فصمتْ ، وكان لها الدّهاءُ منيلاَ
وغدتْ تهيّءُ للضحايا نَجْوَةً مِن شرّهِ فتسومُهُ تذليلاَ

وكذا استفادتْ (عَمْرَةٌ) بخصومةٍ جعلتْ لها تأميلها تمثيلاَ (١)
ولو انَّ (ستَّ الملك) في أخلاقها مَجْلى الجمالِ مكمّلاً تكميلاَ
ما فاتها برٌّ ، وان لم تستطعْ بذلتْ من العطفِ الصحيح جليلاَ

• • •

(١٢)

وأتَى الأوَانُ لكيْ تُحقّقَ ثأرَها مِنْ بعد ما عُنِيَتْ به تفصيلاَ
درَسَتْهُ دَرْسًا واستشارتْ (قاسماً)
حتى أعَدَّا للفرار وسيلاَ (٢)
وكذلك انسلَّتْ كلصٍّ ماهرٍ في ليلةٍ صُرِعَ الضياءُ قتيلاَ
وأتتْ لغرفةِ (عَمْرَةٍ) في عزمةٍ لا تستطيب عن الفرار محيلاَ
أدلتْ بها من شرفةٍ في خفَّةٍ حيث استقلَّتْ سلّماً مفتولاَ
صَنَعَتْهُ حيلةُ (قاسمٍ) وهو الذي يَقِظاً تلقَّاها وطار عجولاَ
ولَّي بها والليلُ في كتمانهِ مثلُ الزميل اذا أغاثَ زميلاَ
حتى اذا انتهيَا الى (النيل) الذي
كم انقذَ العاني استقلاً (النِّيلاَ
في قاربٍ مِنْ قبلُ كان مهيّأً وبمالِ (ستِّ الملك) كان ذلولا
فبه اشترَتْ ومُنى الوعودِ رجالهَ والمالُ أعظمُ مَنْ يُعِدُّ حُلولاَ

---

(١) تمثيلاً : تحقيقا .
(٢) جمع وسيلة .

وكذلك انتقمتْ امزّتها كما نال المحبُّ رجاءه المسولاَ
فبدا (لعمرة) بعد ذُلِّ شقائها في الأسْر نورُ سلامها مَسْلولاَ
تركتْ مخاب أيّ وحْشٍ قاتل في خُلْسةٍ فغدا بها مَخْذُولاَ
لم يَدْرِ بَعْدُ ، وحين يدري لا تَسَلْ كيف استشاط أذًى وكان مهُولا!

* * *

(١٣)

بلغَا حِمَى (الاسكندريَّةِ) بعـدما
أمِنَا اللحاقَ وحاكَمَا مجنونَا
لم تَرْضَ (عَمْرَةُ) أن تؤجّل زورةً
لأبٍ تحنُّ الى هَوَاهُ حَنِينَا
فتطلَّمتْ شوقاً اليـه ولم تكنْ
أبداً لتحسبَ للقضاء ديونَا!
حتى اذا بلغا محلَّةَ كوخِهِ
وجداه قَفْراً مُحْزِناً محزونَا!
متداعيَ الجدرانِ ، ملءُ سكونه
رَوْعٌ يبثُّ الناظرين شجونَا!

فَبَكَتْ بُكاءً كانَ مُرًّا مُدْمِياً ... وسَتَتْ بِمَدْمعِهَا هَوًى مَدْفُونَا:
قَبْراً لوالِدِهَا الحَنُونِ وَعَهْدُهُ ... لم تَلْقَ في دُنْيَا اليَتيمِ حَنُونَا
وَمضتْ بِمَا في قَلْبِهَا مِنْ نَارِهَا ... لوفَاءِ مُنْقِذِهَا تَبُثُّ أَنِينَا
لم يَبْقَ غَيْرُ هَوَاهُ مَلْجَأَ دَمْعِهَا ... فَغَدَتْ تُبادِلُهُ هَوًى مَكْنُونَا
وَتناستْ القَدَرَ المُخَبِّءَ شَرَّهُ ... وكأَنَّ مَا خَشِيَتْ بَدَا مَأْمُونَا
وتَصَوَّرَتْ طُهْراً بأَنَّ سَمَاءَهَا ... رَأَفَتْ بِهَا بَعْدَ الشَّقَاءِ فَنُونَا
لَكِنَّ ذاكَ (الحاكم) الطَّاغي أَبَى ... الاَّ انْتِقَاماً رَائِعاً وَجُنُونَا
فبدَا يَصُبُّ كؤوسَ نقْمَتِهِ على ... حُرَّاسِهِ وَنِسَائِهِ مَلْعُونَا
خنقَ العديدَ من النُّفُوسِ ومثلَها ... في (النِّيلِ) أَغْرَقَ مَنْ رآهُ خَؤُونَا
بلْ دُونَ ظَنٍّ عِنْدَ ثَوْرَةِ حُنْقِهِ ... فيهَا يُرَى أَقْصَى الأَذَى مَقْرُونَا
وَجُلٌ تَعَوَّدَ أَنْ يكُون مُخَرِّباً ... بِهُدُوئِهِ إِنْ طَاشَ كَانَ رَعُونَا[1]
ثُمَّ انْتَقَى رُسُلاً وَجُنْداً وُزِّعُوا ... للبَحْثِ عَمَّنْ غَافَلَاهُ سُكُونَا
وكذَاكَ (سِتُّ المُلْكِ) لم تَسكُنْ فَقَدْ ... خَشِيَتْ أَذَاهُ لِأَنْ يَعُودُ سَجِينَا

خَشِيَتْ اذا هُوَ نَالَ (عَمْرَةَ) ثَانِياً
في الأَسْرِ أَنْ تَلْقَى المَصَائِبَ هُونَا

---

(١) الرعون : الشديد .

وإذَا تَمَكَّنَ مِنْ مقَاتِلِ (قابِيلٍ)
سَيُذِيقُهُ المَوْتَ الزُّؤامَ الدُّونَا (١)
فتَسابقَا ـ وهُوَ الجَهُولُ بِسِرِّهَا ـ كُلٌّ يَبُثُّ مَراصِداً وعُيُونَا
فإذَا النِّضَالُ على نِهَايَةِ عُنْفِهِ هذي تَبُثُّ هُدًى وذَاكَ مَنُونَا!
ودَّتْ فَرَارَهُا الى قُطْرٍ بِهِ يَجِدَانِ أَمْنَ العَيْشِ دَامَ حَصِينَا
وسَعَى لِيَرْجِعَهَا ويُرْجِعَ خِلَّهَا لِيُعَذِّبَا شَرَّ العَذَابِ مَكِينَا
ويمثّل «الوَقِحُ» الذِي قَدْخَانَهُ بِمَمَاتِهِ فَزَعاً يَرُوعُ سِنِينَا!

***

(١٤)

والآنَ هَيَّا نَنْظُرُ الصَّبِيَّيْنِ في أُنسِ الغَرَامِ على الصُّخُورِ نَدِيمَا
مُتَأَمِّلَيْنِ البَحْرَ وَهُوَ بِمَوْجِهِ مُتَهَلِّلٌ نَظَمَ السَّلامَ نَظِيمَا!
يَشْدُو هَدِيراً تَارَةً وَهَنِيهَةً المَوْجُ يَرْقُصُ باسِماً وسَلِيمَا
في غيْرِ مَا تَعَبٍ وغَيْرِ تَكَلُّفٍ حَيَّا الجَمَالَ ـ وإنْ أَطَالَ ـ كَرِيمَا!
جَلَسَا على أَشْهَى التَّبَادُلِ لِلْهَوَى يَتَسَاقَيَانِ مِنَ الحَدِيثِ مُنِيمَا
مُتَذَوِّقَيْنِ بِمُنْتَهَى حُرِّيَّةٍ قُبَلَ الغَرَامِ المُنْعِشَاتِ نَسِيمَا

---

(١) الدون : الخسيس .

والبَحْرُ يُوحِي بانْطِلاَق دائِم ... وموسوسٌ (١) انَّ السَّلاَمَ أقيَما
قَمَادَيَا في نَشْوَةٍ وتَحَجُّبا ... بالحُبِّ عَنْ دُنْيَا تَفِيضُ هُمُومَا
سكرا فَمَا فَطِنَا لِرُزْءٍ داهِمٍ ... والصَّفْوُ شِيمَتُهُ يَوَدُّ كتُومَا
وكَذَا السَّعَادَةُ لاَ تَدُومُ لِنَابِذٍ ... سَتْرَ الحذَارِ فَيَغْتَدِي مَهْمُومَا
هِيَ ساعَةٌ نَسِيَا بِهَا خَصْماً طَغَى ... يَهْتَزُّ (وادِي النِّيلِ) مِنْهُ غَرِيمَا
نَسِيَا بِأَنَّ دَماً أَبَاحَا هٰكَذَا ... قَدْ باتَ مَهدوراً لَهُ مَقْسُومَا
وبِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَرِيحَ مُنَعَّماً ... حَتَّى يُذِيقَهُمَا القَصَاصَ أَلِيمَا
وهُنَاكَ أَقْبَلَ جُنْدُ إِبْلِيسٍ وقَدْ ... حَاطُوهُمَا بِسَلاَسِلٍ تَأْثِيمَا (٢)
ثُمَّ انتَهَتْ بِهِمَا الفَجِيعَةُ مُرَّةً ... لِلقَبْرِ في سِجْنِ المَمَاتِ صَمِيمَا !

***

(١٥)

زُفَّتْ الى البَاغِي المُؤَمَّرِ هكَذَا ... بُشْرَى العُثُورِ عَلَيْهِمَا كَيْ يَأْمُرَا
واليْهِ رَاحَ الوَصْفُ عَنْ حَالَيْهِما ... في الحُبِّ حِينَ تَمَادَيَا فَتَعَثَّرَا

---

(١) موسوس : متحدث بما لا خير فيه .
(٢) معلنين بالاثم .

فَتَبَسَّمَ البَاغِي وَقَهْقَهَ خُبْثُهُ
في ضحكَةٍ نمَّتْ على أَدْهَى الوَرَى!
ثُمَّ انْتَهَى لنَصِيحةٍ أَفْضَى بِهَا
هيَ أَمْرُ شَيْطَانٍ وقسوَةُ فاجِرٍ
قال الخَبيثُ: «دعوا الحبيبيْن كما
أَفضوا بذلكَ للْجُنودِ وحاذروا
حتى اذَا عادَا الى أُنْسِ الهَوَى
فهُناكَ تُحْفَرُ هُوَّةٌ وبقاعِها

لِلرُّسلِ لم تخْطُرْ لإِنْسانٍ درى!
راعَ السَّمَاءَ بجُرْمِهِ بَلْ والثَّرَى!
كانَا ليَشتكِيَا الغَرَامَ الأَطْهَرَا
مِنْ سَيْفِ جَلَّادٍ يرفّ ليُشْهَرَا
في جَلْسَةٍ سَبَقَتْ فعَادَ مُكَرَّرَا
ملءَ الحَياةِ يُشَيِّعَانِ لِيُقْبَرَا!»

***

(١٦)

يا حَسرَةَ (الدُّنْيَا) مَتى هيَ رَاجِعَتْ
تَاريخَها وبكَتْ ضَحَايَا (الحَاكِمِ)
فلقَدْ تقَمَّصَ فيهِ كُلُّ مُهَدَّمٍ
تستشعر الآلامَ عند تنبُّهٍ
لولا يَدٌ لعنَايَةٍ قتلتْهُ ـ إِذْ

ومغرِّرٍ ومُخَرِّبٍ ومُخَاصِمِ
لِصَغَارِ ذاكَ المُستَبِدِّ الظَّالِمِ
غَالَى غُلُوًّا فاقَ رَوْعَ الحالِمِ

بيد (ٱبْنِ دَوَّاسٍ) وحيلةِ أُختِهِ ووفاءِ أَعْوَانٍ ورَحمَةِ رَاحِم

ـ لغدتْ إِذَنْ (مِصْرُ) الأَسيفَةُ خِلْوَةً

مِنْ كُلِّ تَمْدِينٍ وعَيْشٍ نَاعِم

فرموهُ في أَرْضِ القَرافَةِ خِفْيَةً كأَحَطِّ موبوءٍ وأَدْنَسِ جارِمِ

قتلوهُ أَبْشَعَ قَتْلَةٍ بحَمَاسَةٍ

وكذَا انقَضَتْ عدلاً حياةُ (الحَاكِمِ)!

***

(١٧)

مِنْ بَعْدِ هٰـذا العلم لا تُحْجِمْ اذا

فكّرْتَ في نجْوَى شَهِيدَيْ ظُلْمِهِ

ما زَالَ قبْرُهُمَا « بطابيةٍ [1] » غَدتْ

الآنَ بُنياناً يَبُوحُ بِعِلْمِهِ

ويُشيرُ في صَمْتٍ لسِرِّ جداره وتَلُوحُ في شَجَنٍ مَظاهرُ همِّهِ

سَمَّوْهُ (سِلْسِلَةً) ، وفيـهِ اشارةٌ

لمصائبٍ هَدَّتْ رَهِينَيْ حُكْمِهِ

---

(١) « طابية السلسلة » بالميناء الشرقي بالاسكندرية .

دُفِنَا وما نُسِيَا وما زالاَ هنُا حَرَماً يُزارُ لرَمْزِهِ ولِوَسْمِهِ
وكَأَنَّ هذا البَحْرَ في «مينائِهِ» ما زال يسكُبُ دَمْعَهُ في رسْمِهِ
في أَمْنِهِ قُتِلاَ، وَطَوْعَ حديثِهِ فُتِنَا بسَلْمٍ ليسَ الاَّ في اسْمِهِ
والشِّعْرُ والتَّاريخُ والفَنُّ الأُلَى يتآلفونَ رَثَوْا مَجالي رَسْمِهِ
فكأَنما هُوَ ذَنْبُ دُنْيا كُفِّنَتْ وجَنَتْ على إنسانها في فَهْمِهِ
وكأَنما هوَ رُشْدُ دُنْيا أَقبلَتْ ورأى بهِ الإِنْسانُ حِكْمَةَ يومِهِ!

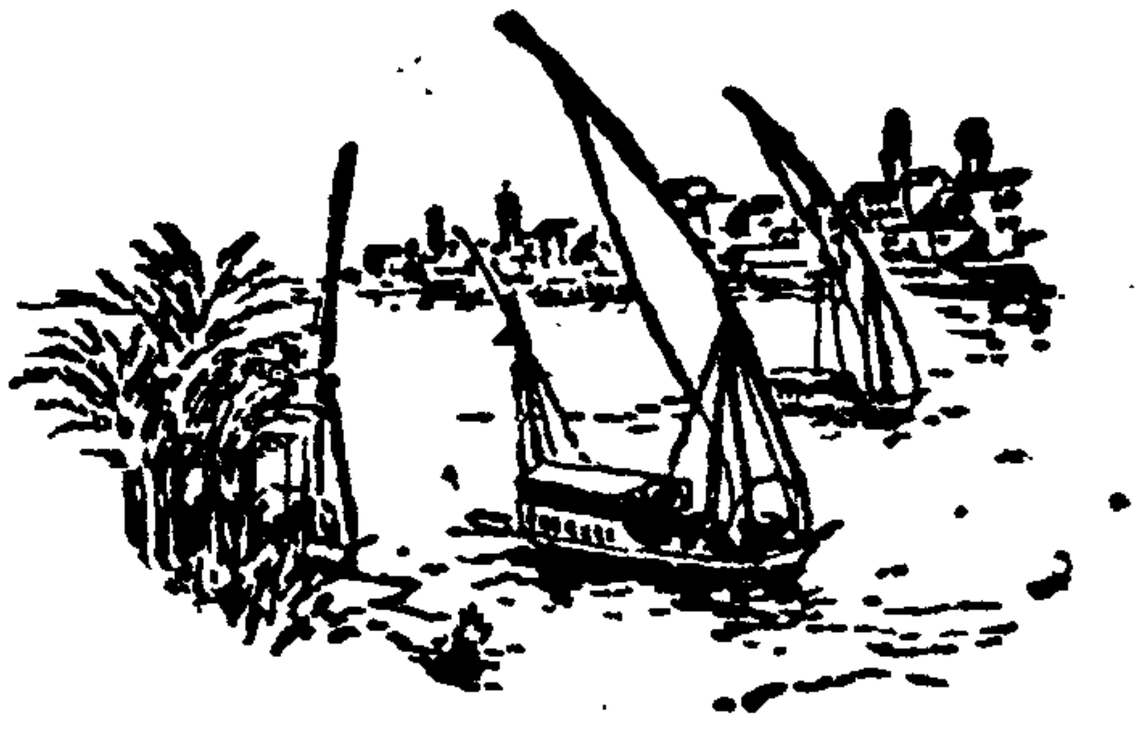

سعد

سُبْحانَ مَنْ أرْجَعَ التاريخ مُقْتدِراً
وأظْهرَ الحاكمَ الجبَّارَ مَجْنونَا !
يُحارِبُ اسْمَكَ يا (سَعْدُ) وما بَرِحتْ
لمَجْدِهِ حُرْمَةٌ تُرْعَى المدَى فينَا
كأنَّما عادَ (اخناتُونُ) في عَمَهٍ[1]
مُحارِباً في غُرُورِ المُلْكِ (آمونَا) !
لكِنَّهُ كانَ بالإِصْلاحِ مُفْتَتِناً
وَشِبْهُهُ جاءَ بالإِفْسادِ مَفْتُونَا !

(١) العمه : الضلال . وقد حارب أمنحتب الرابع (الذي أبدل اسمه فيما بعد بأخناتون) المعبود « آمون » وأمر بحذف اسمه من جميع الهياكل والتماثيل وغيرها . . . وهذه الابيات من قصيدة مفقودة نظمت في شدة محاربة الحكومة المصرية لسعد وذكراه أثناء نفيه في زمن الاحكام العرفية .

تأملت

تأملتُ زَلاّتِ الأَنامِ فلمْ أجِدْ
بِها قبحَها إلا غواية ظالمِ
ولوْ عَرَفَ الإِنْسانُ ما كُنْهُ عَيْشِهِ
لما دامَ في جوّ منَ الخوْفِ فاحِمِ
تدَبَّرْتُ ما حَوْلي فأيْقنْتُ أنّني
جديرٌ بانْعاشٍ لموْتى العزائمِ
فَسَلّحْتُ عرْفاني بصيتٍ يمدُّني
وَنادَيْتُ فاهتزّتْ أماني العظائمِ
وما كنْتُ مَنْ يَسْعَى الى شُهْرَةِ الهوى
غُرُوراً على جَهلٍ لجرّ المغانمِ
ولا أنا مَنْ يَلْقَى غِنَى الصّيْتِ غايةً
فانّ معاني الصّيتِ أحلامُ حالمِ
ولكِنّهُ عندي وسيلةُ عاملٍ
على شَرَفِ الاصْلاحِ لا مَجْدُ نائمِ
وسيّانِ إنْ كوّنْتُهُ أوْ أتى بهِ
اليَّ جهادي في سبيل المكارمِ

فما هُوَ فخرِي في الحَيـاةِ ، وانمـا
فخارِي التَّفاني في بنـاءِ الدَّعائِمِ
ومِنْ نكْبتي في العيْشِ أنّي بِبيئةٍ
تُصيخُ لذِي صيْتٍ ولوْ غيْرَ عالمِ
فزَوَّدْتُ نَفْسي بيْنَ صَحْبٍ أعِزَّةٍ
بقُوَّةِ جبَّارٍ أبيٍّ مُهاجِمِ
فأُرْغِمَ مَنْ طاحوا فِدَى سَكرَةِ الهوى
على يقْظَةٍ للنُّورِ بعـدَ الغمائِمِ
فلما مَلكتُ السَّمعَ أرْهفتُ مِقْوَلي
ونادَيْتُ مَنْ ضَلُّوا لنَبْذِ السخائِمِ
وقلتُ لهم : ما (الكوْنُ) الاَّ روايةً
تسامتْ بمَغْزَى عنْ مهاوِي المـآثِمِ
وقد تجْمَعُ الأَفْرَاحَ إنْ شِئتمو ، وقدْ
تَصيرُ بهـا الأَفراحُ مثلَ المـآتمِ
فعيشوا لِنَفْعٍ للوُجُودِ فانّهُ
لَدَائِنكم ، لكـنّه جِدُّ راحِمِ
ولا تَهدِموا إبداَعكمْ تحتَ غيْرَةٍ
فما تنشر الإِصلاحَ غيرَةُ هادمِ

خُلِقْنا جُمُوعاً ليْسَ فيهـا مُماثلٌ
سِوَاهُ ، وكُلٌّ لازمٌ نَفعَ لازِمِ
فما أسْرَفَتْ هٰذِي (الطبيعةُ) مرَّةً
بِشَخْصيْنِ أوْ نُورَيْنِ بيْنَ العَوالِمِ
وما كانَ فيها التَّشابُهِ مَظهرٌ
كبيرٌ وإنْ كانتْ فرائدَ ناظِمِ
فهيْهاتَ أنْ يُغني غِناءٌ وإنْ سَمَا
رفيعٌ ، فكم دُنْ قائِمٍ جَنْبَ قائِمِ
وَلوْلاَ تآخٍ في الحيـاةِ لمـا انتَهَتْ
بِنسفٍ لأَغلالٍ ورَدْعٍ لغاشِمِ
ودَامَ الفَسادُ المحضُ داءً يسوقُها
الى العارِ في نَوْعٍ مِنَ الذُّلِّ دائِمِ
فخلُّوا الذي يستَشْعرُ العزمَ دائمـاً
دَليلاً يشُقُّ النَّهْجَ في حزمِ صارِمِ
ولا تُنكروا إعلانَهُ عنْ جُودِهِ
فما كانَ بالإعلان في حَظِّ غانِمِ
ولكنَّهُ كالفارِسِ الواثِبِ الذي
يعرِّضُ ما يُبدِي لضَرْبِ اللهاذِمِ

وَما قيمَةُ الإِنسانِ الاَّ بِنَفعِهِ
لَبَني جِنسِهِ أَوْ في نَحاشي المحارِمِ
وكم مِن جُهُودٍ ضُيِّعَتْ دُونَ عِلَّةٍ
سِوَى غفلَةٍ طالَتْ بلا لَوْمِ لائِمِ
فلا تَسأَلونا أنْ نَجِدَّ وأَنتُمُو
نِيامٌ كأَنّا في عِدادِ البَهائِمِ
علينا حقُوقٌ لِلعُلَى ونفوسِنا
فلا تُرْهِقونَا بالظنونِ الحَوائِمِ
وحَيُّوا صُنُوفَ التّضحياتِ التي لكُمْ
وَهَبنا وللأَوْطَانِ مِنْ غيْرِ نادمِ
قَنِعنا بِهَمٍّ في الحياةِ وشُهْرَةٍ
تمرُّ بحسّادٍ بطَبْعِ الأَرَاقِمِ
وأَنتُمْ قنِعتُمْ دُونَ شكرٍ بنقدِنا
مراراً، وعند الشكرِ كنتُمْ كناقِمِ
ولكِنَّ للفنّانِ رُوحاً عزيزَةً
وَقلباً لهُ في البُؤسِ خفقةُ باسِمِ
يَعيشُ كَعَيْشِ النَّجْمِ بَعْدَ فنائِهِ
ملايينَ ذَرّاتٍ عوالٍ بَوَاسِمِ

وأَنتمْ بمَوْتٍ في الحيـاةِ ، وبَعدَها
تزُولونَ حتَّى عنْ بقايا الجَماجِمِ !

الاشتراك بالحب

إنْ صَحَّ أنَّ القلْبَ عِنْدَ خُفُوقِهِ يَهْتزُّ عافِيَةً بخَفقَين معَا
وهو المُحَلُ ، فعِنْدَ ذٰلِكَ صَدِّقي حُبِّي سِوَاكِ وأنْ أكونَ مُوَزَّعَا

فتاة العصر

بِرُوحِ الصَّبِّ ما تُبْدي وبَعْضُ العَطْفِ كالصَّدِّ
فتاةٌ من مَحاسِنِها جَمالُ الطَّبْعِ والقَصْدِ
تجلَّتْ لِلعيُونِ كما تجَلَّى المُسْعِدُ المُجْدِي
سَخِيٌّ حُسْنُها أبداً فيقصينا عن الزُّهْدِ !
وبعْضُ جزائِهِ نَهْبٌ بلا حَمْدٍ ولا حَدِّ
برُوحي طُولَ مُتعتِها برُوحي لُطفَها المُسْدِي

أُغازِلُها على أدَبٍ فتَسْقِيني من الشَّهْدِ
كأَنِّي نحْلةٌ رَشَفَتْ من النسْرِينِ والوَرْدِ !
بلا لَفْظٍ سوى قُبَلٍ حَواها الصَّمْتُ في مَهْدِ !
تأمَّلْها تجِدْ مَلَكاً رشيقَ اللَّفْظِ والقَدِّ
كريماً عِندَ مُكْرِمِهِ رَحيماً عندَ مستعدي (١)
جريئاً من جلالتِهِ جلالةُ حاكمٍ فَرْدِ
عَتِيًّا نحْوَ جاهِلِهِ ولِلنكَّاثِ بالعَهْدِ

***

ويَوْماً جِئتُها فرِحاً لأَعْشَقَ حسنَها وَحْدِي
فكانتْ في تجَرُّدِها مزيجَ الضدِّ بالضدِّ
فتُغْرِيني برقَّتِها ونظْرتِها وما تُبْدِي
وتُقصِيني بما جَمعتْ من الكِتمانِ والرَّدِّ
وحالي حالُ ذي ظمأٍ أمامَ الكوثرِ الشَّهْدِي !
يذوقُ بمَحْضِ نظْرَتِهِ وليْسَ الشَّوْقُ كالوِرْدِ
وحَوْلَ مُناهُ أسْلاكٌ من الأَخْلاقِ كالسَّدِّ !

***

فهذي حالُ فاتِنَةٍ مَنَارُ النقْدِ والحَمْدِ

---

(١) المستعدى : المستعين

لها حريّةٌ غلبتْ هوَى العادَاتِ والوجدِ
تُسيطرُ غيْرَ هائبةٍ ولا تقْسُو على العَبْدِ !
وتهزأُ بالظُّنونِ ولا تخافُ سوى هوًى يرْدِي
ولوْ زلَّتْ لما حفظتْ جلالَ الحُسْنِ و المجدِ
تُخاطِرُ غيْرَ عائبةٍ كملْقي اللحظَ للنَّرْدِ !

لذة الصعاب

كم لذَّةٍ في صِعابٍ ذُقْتُها ثِقَةً
بالنَّفْسِ والجُهدِ والتَّفكيرِ في الآتي
مثلُ الطبيبِ عَياه الدَّاءِ يفْرِحُهُ
في موقِفِ العالِمِ الفنِّيِّ لا العاتي !
لا تجزَعنَّ لأهوالٍ حُنِفْتَ بها
كُلُّ المخاطِرِ في الدنيا لميقاتِ !
وآدْأبْ بجرْأةِ ذِي عَقْلٍ وتجْربةٍ
يمشي معَ الفكْرِ لا يجري وعاداتِ
الوَهْمُ سُلِّطَ في الدُّنيا فسَخَّرَها
والرَّاضِخُونَ له في حُكْمِ أمْواتِ

مُلكٌ فأنّ والجهْلُ عسكرُهُ
والجُبْنُ عَوْنٌ لهُ عندَ الملمّاتِ
لهُ عُروشٌ على الدنيا بأجمعها
وقوةٌ فوقَ أقيالٍ ودُولاتِ
وهو الضعيفُ الذليلُ المُرتمي جزَعاً
شَطْرَ النُّهى والعقولِ المُستحثّاتِ
يَهْوي صَريعاً أمامَ العلْمِ مُختبطاً
في حَمْأَةِ الذِّنْبِ مَقْتُولاً بآفاتِ
فانْ يكُنْ شأنُهُ هـذا ورُتبتُهُ
فكَيْفَ ننصرُهُ في طُولِ أوْقاتِ ؟!
وكيْفَ نَرْضَى إساراً من تحكُّمِهِ ؟!
وكَيْفَ ننشُدُ منهُ وَهْمَ لذّاتِ ؟!

***

لو حارَبَ النّاسُ داءَ الوَهْمِ ما جزِعوا
عندَ الخطوبِ ولا خَوْفَ الصعوباتِ

الطريد

قالها الشاعر في مادة قص الشعر التي ذاعت بين الجنس اللطيف

قَصَّتْ غدائِرَها الحِسانَ وما رَعتْ
نجْوى القلوبِ العاشِقاتِ رَوِيَّهَا (١)

يالِلطَّرِيدِ وكَمْ تغزَّلَ شاعِرٌ ... وُمتَيَّمٌ فيهِ وشاقَ نَجيَّهَا (٢)
شَعْرٌ تمنَّاهُ البخيلُ كُنُوزَهُ ... وأَعزَّ خُصْلَتَهُ وكانَ وليَّهَا (٣)
أيُسامُ هذا القطْعَ بَعد عَزازَةٍ ... والهَجْرَ، وهْوَ لها، وَعُدَّ وفيَّهَا؟!
والبدْرُ يكْسِفُهُ (٤) النهارُ فهلْ رأتْ
نُورَ النَّهارِ خليلَها وصفيَّهَا ؟!
فسألتُها متألِّماً مُتعَجِّباً ... فأَمالتِ العُنُقَ الجميلَ حَنِيَّهَا! (٥)
باسْمِ الدَّلالِ فكانَ سحراً ضاحكاً
منّي، وَعَوَّضني وكانَ خَفِيَّهَا!

---

(١) الروي من الشراب : التام المشبع ، ويقال كأس روية . وأيضاً بمعنى السحابة الشديدة المطر .
(٢) النجي : من تفاوضه في السر ، وأيضا بمعنى المحدث .
(٣) وليها : نصيرها ـ يشير الى لون الشعر الذهبي .
(٤) يكسفه : يغلب ضوءه .
(٥) الحني : القوس .

فَلثمتهُ لثْمَ التَّحيةِ عاشقاً
كالنَّحْلِ والأَزْهارِ رُهْنَ خِبيهَا! (١)
ثمَّ ارْتشفْتُ لعِناقِ وأمتعتْ منّي المشاعرَ صفْوَها وسَنِيَّها
وتسلسلتْ لهواً جَميلاً مُنْسياً شكْواي بل كان الوصالُ نعيَّها! (٢)
كيفَ الشكاةُ، وكيفَ يُنقِصُ حُسْنَها
عَرَضٌ، وقد غلبَ الهناءُ هنيَّها ؟!
فلبِثْتُ مأسورَ الجمالِ وعبدَهُ
أضْعافَ أمسِ، وهلْ أكونُ عَصِيَّها ؟!
وشهِدْتُ للحَسْناءِ ليْسَ يَعيبُها
الاَّ الغُرُورُ وأنْ تُطيعَ غويَّها (٣)
فتَمتّعي يابنتَ عصرٍ مُدْهِشٍ
ماشِئْتِ من دُنْيا تُعِزُّ كميَّها (٤)
وترَجَّلي (٥) حيناً، وحيناً حقِّقي
أملَ الرّجالِ العارفيكِ حُلِيَّها (٦)!

(١) خبيها أي خبيئها، والخبي : ما خبيء، أي الشهد .
(٢) أي نعي الشكوى .
(٣) غويها : مضلها .
(٤) كميها : شجاعها . (٥) ترجلي : تشبهي بالرجال .
(٦) حليها : الضمير عائد الى كلمة دنيا .

جزائي

نَدَبْتُ (١) جزائي في حَيـاةٍ شَقِيَّةٍ
وكانَ ٱبْتِسامي مِنْ عذابي وأَشْجاني !
أعيشُ بدُنْيا كَم بَذَلْتُ لَخيْرِها
فما حَفِظَتْ جُهْدِي ولا عَرفتْ شاني
وعُمْرِي الذِي ضَحَّيْتُ بيْنَ دِراسةٍ
وبَحْث وتَنْقِيبٍ وأَشْرَفِ إِحْسانِ
تَوَلَّى كأَنّي كُنْتُ في اللَّهْوِ غارِقاً !
فعُنِّفْتُ تَعْنِيفاً ، كأَنّي أنا الجَاني !
ففي ذِمَّةِ الأَيّامِ ما قدْ بَذَلْتُهُ
لِعِلْمٍ وآدابٍ وفِكْرٍ ووجْدَانِ
شَبابٌ وأَعْوامٌ بعزْلةِ جاهدٍ
تَوارَى وأَعْطى غيْرَهُ رُتْبةَ الباني
على كَتِفَيْهِ اعتزَّ قَوْمٌ تَناوَبُوا
على الصّيتِ حيْثُ الصّيتُ ، مقبَرَةُ الفاني

---

(١) ندبت : بكيت .

أساءوا الى ماضي حَيـاتي وَهِمَّتي
وقدْ غبنوا برّي وَصِدْقي وإيماني
فزَالوا، ولٰـكِنْ أيْنَ جهْدٌ أضَعْتَه ؟
وماتوا، ولٰـكِنْ أيْنَ حظّي كحِرْماني ؟
وقوْمٌ سواهُمْ قدْ تمـادَوْا بغيِّهم
وقدْ نَسيوا فَضْلي وسابِقَ عرْفاني
ألاَ في سَبيلِ العِلْمِ وَالأَدَبِ الذي
أُحَرِّرُه جهْدِي وفي نَفْعِ أوْطاني
شَقائي وأحْزاني التي قدْ شَرِبتُها
مراراً الى أنْ صِرْتُ أنْشُدُ أحزاني !
وأصْبَحْتُ ذاكَ الجازِعَ الباسِمَ الذي
تفاءَلَ مِنْ يأْسٍ بنَزْعةِ فنَّانِ
وصارَ ـ اذا لاقىٰ أمامَ إجادَةً
ثناءً ـ كثيرَ الشَّكِّ في مَدْحِهِ السَّاني !
تعوَّدْتُ أن ألْقى جهادِي مُشَوَّهاً
وما فاضَ لي الاَّ بلاعِجِ خُسْرَانِ
وإني لآبىٰ مَحْضَ عِرْفانِ وَاجبي
فانّي الفتى الوافي لأَبْلَغِ إتْقانِ

فانْ عُدَّ جودِي غايةَ البُخلِ أوْ غَدا
وَلُوعِي بِعِلْمٍ مَحْضَ جَهْلٍ وَ نُكْرانِ !
وإنْ صارَ حِلْمي آيَةَ الطَّيْشِ وَالهوَى
وَإنْ باتَ إيمـاني مَثيلاً لِكُفرانِ !
وإنْ قيلَ شِعرِي لا حيـاةَ بنظْمِهِ
وإنْ عُدَّ تَصْوِيري بَهارِجَ أَلْوَانِ!
وصارَ نَشاطِي صورَةَ الزّللِ الذِي
يُذَمُّ لمنْ يقْفي الحَيـاةَ كوَسنانِ !
فدَعْني اذَنْ أبكي وأضْحَكُ هازِئاً
بدُنيا لهـا الأوْهامُ أجْمَلُ قُرْبانِ !
وَدَعْني أعِشْ في عَالَمِ الشّعرِ هائمـاً
فذَلِكَ أوْلى مِنْ عبادَةِ أوْثانِ !
أعيشُ بدُنيا غيْرَ هذِي وَعالَمٍ
مِنَ الفِكرِ معتزٍّ وآخرَ رُوحاني
وقدْ رَضِيتْ نفسي الهزِيمَةَ في الوَرى
ولَكِنَّها سادَتْ على كلِّ سُلطانِ!
وعافتْ صَغاراً في الحَيـاةِ وصاحَبتْ
جلالاً منَ الكَوْنِ الأَبَرِّ بها الحاني

هنيئاً لمنْ غالَوْا بذَمّي ومَا دَرَوْا
بأنَّ غُلُوَّ الذَّمِّ والمَدْحِ سِيَّانِ!
وإنّي وإنْ أُصْليتُ نارَ جهنّمٍ
أعيشُ كعَيْشِ النّحلِ أكرَمَ بُسْتاني!

اللص الشريف

النظر السارق

لا تسأمي نظري الشَّفُوفَ فكم لهُ فَضْلُ البقاءِ على نَعيمِ فَتَاكِ
يَغْذُو الشُّعورَ ومُهْجَتي بنفائسٍ مِنْ وجهِكِ الفتَّانِ لا الفتّاكِ
ويظلُّ يَختَطِفُ الجَمالَ مُشَعْشَعاً (١)
مِنْ صَوْتِكِ الضَّاحي ومن مَرْآكِ
تلك الملامحُ كالمواهبِ لانّهى والعبقريّةِ قوّةُ الإدراكِ
صَفْحاً عن اللصِّ الشريفِ مُجدِّداً
رُوحي وإبداعي بفضل نداكِ

(١) مشعشعاً : ممزوجاً منوعا

ناقد المسرح

الاستاذ محمد عبد المجيد حلمى

تُدافِعُ مَغْبُوناً وتُصْلِحُ مُتْعَباً
وأنْتَ على الحالَيْنِ أصدَقُ نقَّادِ!
ويَنْسى الأُلَى أمتعتَهمْ خيرَ مُتْعَةٍ
منَ الأَدب المعشوق فضْلَكَ في الوادي
كَدُوداً مُحِبّاً للفنُونِ مُهذَّباً
وأعظَمُها التَّمْثيلُ فهو لها الهادِي
فعِشْ مُصلِحاً (عبد المجيد) مُوفَّقاً
فمِثْلُكَ أَوْلى بالجهودِ لأَمْجادِ
وأَصْفِ بلاداً للمآثِرِ أبدَعتْ
ولا زَالَ يَدْعوها الحَنينُ لاجْدادِ
لها في حقيرِ الأَرْضِ مَجدٌ ودَوْلةٌ
وفي كلِّ رسمٍ ما يَبوحُ بانْشادِ!
تجَمَّعَ مُلكُ الفنِّ فيها ولم تزلْ
لها مُلهِماتٌ من سوابقِ أعيادِ!

ولو كرَّمَتْ تاريخها الاغْتدَى لها ... من الفنّ عُمْرٌ لا يُقاسُ بميعادِ!
وكان لها في المسْرَحِ الفخْرُ كلُّهُ ... يُشِعُّ لِنُظَّارِ الشُّعوبِ ووُفَّادِ!
فهيِّئْ لها مِنْ نقدِكَ الحرِّ حالةً
تُعيدُ جَميلَ الذِّكْرِ للأَمَلِ البادِي
وتُنْعِشُ رَبَّاتِ الفنُونِ وأهلَها
كواكبَ للآتي الشغوفِ وللْغادي
تألَّقُ إبْداعاً وقَدْراً وسيرَةً
فلا خيْرَ في قدْرٍ يُحَفُّ بافسادِ (١)

رُحماكِ

رُحماكِ ! كلُّ ضَراعَتي: رُحماكِ! ... ذابَ الفؤادُ أَسًى بنارِ هَواكِ
ويظلُّ يَطْمَعُ في حنانِكِ مرَّةً ... قبلَ الفناءِ بلحْظِكِ الفتَّاكِ
إنْ كان اسْمُ الحُبِّ فرْطَ وَفائِهِ ... أينَ السؤالُ على يَدِ السفَّاكِ ؟!
المُجرمُ المحرُومُ يُسْألُ عَنْ مُنًى ... قبلَ المَماتِ ، فهلْ يُرَدُّ فتاكِ ؟!

(١) يشير الى حالة الافساد الحاضرة المهددة لمنزلة المسرح ، الماثلة لشرفه الحقيقي .

نادِيه ياأملي يُجِبْكِ بلفْظةٍ هي لفظةُ الرُّوح الشجيّ الشاكي
لا تحْسبي رمقاً به يقوى على غيْر الوداع ولوْ دَعتْ شفتاكِ !
محْضُ السؤالِ اذا أجبْتِ عزاؤُه فيكون خاتمة اللهيب الذّاكي!
رفقاً بحُسنكِ لو أطاقَ مودِّعاً يأبى اباءً أنْ يُقبّلَ فاكِ !
فلظاهُ يُحرقُ كلَّ غضٍّ يانعٍ وسناكِ يأمرُ انْ يموتَ فِداكِ !

أمالى القالى

كتبها الشاعر مداعباً وشاكراً لصديقه الدكتور حنفي بك ناجي اهداءه اليه كتاب (أمالي القالي) :

شُكْري لفضلِكَ يا(آبنَ ناجي) مثلَما
شَكرَ البحارَ [1] مُوَفَّقٌ للآلي
مَتّعْتَ وِدِّي منْ صِفَاتِكَ قدْرَ ما
مَتّعْتَ ذهني منْ (أمالي القالي)
هذي هديّةُ مَنْ يجودُ وشُكْرُه
للحالِ لا يُنْميهِ فضْلٌ تالِ [2]

(١) اشارة مزدوجة الى سعة كرمه وسعة التأليف الذي أهداه الى الشاعر.
(٢) اشارة الى وعده بهدية لاحقة !

إنَّ الهَدِيَّةَ لا تُقاسُ بنُدْرَةٍ
قدرَ القياسِ ببرِّها المتوالي!
وأنا المنعَّمُ مِنْ كتابِكَ : مالَهُ
بُخْلُ الغنيِّ ، فلن يَرُدَّ سُؤالي
في أيِّ وقتٍ بَلْ بأيّة حالةَ أَلْقاهُ بالبِشْرِ الجَميلِ يُوالي
نِعْمَ الرسولُ لمثل صدقِكَ وافياً نِعْمَ المثلُّ صادِقاً لكمالِ

الطراز

كتب مداعباً صديقاً أديباً ، راجياً أن يعيره كتاب (الطراز : المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز !) :

أَرِني (الطّرازَ) اذا سَمحتَ فانّني
أَشتاقُ من طُرَفِ (الطّرازِ) بديعَا
واذا خشيتَ من افتتاني لا تَخَفْ
بِرِّي الضَّمينَ لما عشقتَ رُجُوعَا

ثم كتب اليه عند اعادة الكتاب :

والآنَ أبعثُ بالتحيةِ ثانياً شُكْرَ المُقِلِّ[1] لما بذات صنيعَا

---

(١) المقل : الفقير .

وأُعيدُ أَسرارَ البيَانِ لصاحِبٍ ناجاهُ أَعلامُ البيانِ جَميعَا (١)
وتضيفُوا بِجوَارِهِ ، وتمتَّعوا بوفائِهِ ، واستَعْذبوا التَّمتيعَا
وأَنا الفقيرُ فنعمتي في ساعةٍ لازَّائرينَ العائِدينَ سَريعَا ! (٢)
لولا (الطبيعةُ) في تنَوُّع شَرْحِها كُتُباً لَعِشتُ لماحرِمْتُ مَرُوعَا !
إِنَّ الأَديبَ يُرَدُّ عنْ أَحلامِهِ مِثْلُ المُحِبِّ وقد أُذِيبَ دُموعَا !

أدب العصر وتقديره

الى الاستاذ الجليل أحمد حافظ عوض

لمناسبة تكريمه لاصداره كتاب (فتح مصر الحديث)

لفضلِكَ مَجْدٌ فوْقَ مدْحِ عظيمِ ومِثْلِيَ في مدحي أَبرُّ حَميمِ
نأَى بيَ داعٍ للحياةِ وما نأَى لحبك إِخْلاصي وعطْفُ نظيمي
اذا احتفل الأَعْلامُ حَوْلَك مرَّةً فشعْريَ سبَّاقٌ بفخْرٍ عليمِ (٣)

---

(١) اشارة الى مكتبة صديقه الخاصة .
(٢) اشارة الى سرعة اعادته لما يستعيره من الكتب !
(٣) يشير الى قصيدته الموسومة (يوم دمنهور) المنشورة بديوان « مصريات » والى تقديره الاسبق .

فمنْ حقِّهِ يومَ الوفاءِ زُهُورُهُ (١) ولوْ سطعَتْ آياتُ كلِّ حكيمِ
وان كُنْتُ منسياً بعيداً وحالتي وقدحفَّكَ الأَصحابُ حالُ يتيمِ
أُيُطريكَ فى نشْرِ الحقائق جمْعُهم وإنْ نشْرُها نشْرٌ لكُلِّ قويمِ
وفي كلِّ يوْمٍ أنْتَ مُرْسِل حكْمةٍ وَتَطْلعُ آياتٍ برَأْيِ زعيمِ ؟
فمهما أصابَ المدْحُ جهْداً بذلتَهُ عنِ الأَمْسِ فالمشهودُ ايُّ جسيمِ
تُحلّلُ أسْرَارَ الحياةِ كما ترى بمُجْهِرِ ظرْفٍ أوْ بعقْلِ حليمِ
وتَسْردُ أحوالاً وجَمْعَ حَوادِثٍ تشاهِدُها فينا بحذْقِ نديمِ
سخياً بفتانِ البيانِ فما نرى سوى كلِّ غالٍ في البيانِ وسيمِ
فخفّةُ رُوحٍ أنْتَ مَظْهَرُ لُطفِها تهشُّ عطاياها ببرِّ نسيمِ
ومتعةُ آدابٍ جَمَعْتَ كنوزَها لتَبْذُلها بذْلاً بجودِ كريمِ
ونَفْحةُ ايناسٍ نَظَلُّ نَشُمُّها طويلاً وَلا نرْضى بطولِ شميمِ
ونظْرَةُ كَشّافٍ لأَعضلِ مبْحثٍ اذا حارَتْ الأَلْبابُ بينَ هشيمِ
وحكمةُ سَوّاسٍ تخبرُ دائماً عَنِ الخطرِ الخافي خفاءَ جحيمِ
وصورةُ تاريخٍ دَقيقٍ لعصرنا لكلِّ صحيحٍ رائعٍ وسقيمِ
وواضعُ أحكامٍ نخالُ صفاتِها صفاتِ رسولٍ للشعُوبِ قديمِ
ومُلهِمُ أقلامٍ ببعض ذكائِه وكمْ بيْنَها مِنْ نابغٍ وسليمِ

---

(٢) زهوره : تلألؤه .

فيا (حافظاً) ودَّ القلوب وما نحاً
من الأَدبِ المحبوبِ كلَّ مُقيمِ
أمثلكَ مَن يُحْيِيهِ شعرُ مُسَوَّدٍ
على الشّعر (١) أوْ يُغنيهِ قدحُ لئيمِ
فلا تكُ مَنْ يأْبى الفخارَ تواضُعاً
فما احتاجَ للتَّخليدِ غيرُ عديمِ !

الكتاب

يقصّرُ في ثنائِكَ يا كتابي ... وفائي الجمُّ أوْ طُولُ اصطحابي.
فكم عَوَّضتني خِلاًّ كريماً ... اذا عزَّ الكرامُ من الصِّحابِ
وما فضْلي سوى حُسْنِ اختيارٍ ... واقْصائي القشورَ عن اللُّبابِ
وأنْتَ بمسحةٍ لكَ مِنْ جَمالٍ ... تُجاذبُ نزعتي خيرَ اجتذابِ
فأَنْت المحسنُ السبّاقُ أصلاً ... وداعي العقل للطَّرَفِ العِذابِ

---

(١) يشير هاتبا الى قول حافظ بك انه « طمع دائما بأن يلقى زاوية من بيت من بيوت شوقي الشعرية ليخلد ، والآن يشكر الله الذي من عليه بهذا الخلود ، لان شوقي خالد بشعره ومخلد سواه معه بهذا الشعر ! ».

وُمتبِعُ دَعوةٍ بجزيل برٍّ تنوَّعَ في المآثر والطِّلابِ
ومِنْ عجَبٍ اذا ما رُمْتَ سؤْلاً وليْسَ لدَيْكَ لم تنْهرْ شبابي
وكنْتَ منيبَ خلّكَ في حديث (١) كما أهْوَى يُضاعِفُ منْ صَوابي
فالتّاريخِ حيناً ثمَّ حيناً لآياتِ الفنُونِ بكلّ بابِ
وللآدابِ آونةً وطَوْراً لأزْهار العُلومِ وللسَّحابِ
فيا ابنَ الفكرِ والقلمِ المُعلَّى بما يُعطي العُقولَ بلا حِسابِ
ضَمِنْتَ لسيرةِ الانْسانِ خُلْداً وعشْتَ له عزاءً في التُّرَابِ !

شذا الحسن

في مدح التعطر وذم التبرج

لا تحْلِي بتبرُّجٍ يا فتنةً للنَّاس لمْ تعْرفْ دَعاوَةَ مُلْحِدِ (٢)
الروْضُ أنْتِ بزَهْرِهِ وبعطْرِهِ فُوحي اذنْ ماشئْتِ كالزَّهْرِ النَّدِي
مَهْما نثرْتِ العِطرَ نثْرُكِ سائغٌ فهوَ التوَضُّؤُ لجمالِ المهتدِي !
يدعو القُلوبَ الى عِبادَتِهِ كما
بعدَ الضَّحايا ينتَحي لتعبُّدِ (٣) !

(١) اشارة الى تبديل المطالعة من كتاب بآخر
(٢) الدعاوة : الاسم من الادعاء . والمقصود بالملحد من يجحد فتنتها .
(٣) يقال : انتحى للشيء أي مال اليه .

فيمَ الذُّرُورُ (١) وكلُّ لَوْنٍ رائعٍ
ما لَمْ تكُنْ أصْباغَ ألفِ مُسَهَّدِ ؟ !
خلّى الذُّنوبَ اذَنْ وعيشي نِعْمةً
بشَذاكِ الألبابِ إنْ تتوَدَّدِي !

ربط

حديث أنس

بربِّكِ يا (ربيكا) حدِّثينَا حديثاً يُنْعِشُ الرُّوحَ الأمينَا
ويفتحِ جنّهَ الخُلْدِ المرْجَّى لمن دَانُوا لحبكِ مؤمنينَا
فُحْسْنُكِ نعمةُ الدُّنيا وأُخرى تزفّ لنا حياةَ الخالدِينَا
نسينا شقوةً لعمرٍ لمّا سمعنا منكِ نُعْمَى اليائسينَا
بلفظٍ موسويّ مستعزٍّ يسيلُ سلافةً ويطيبُ دِينَا
وما سِرُّ الخلودِ سوى جمالٍ يبثُّ الحبَّ بين العالمينَا

(١) الذرور والذريرة أيضا ما تعرف تجاريا بالبودرة . ومما يذكر لهذه المناسبة ماروي عن الآنسة ما تيلدا يزمبارت ـ ملكة الجمال في باريس ـ فانها « تكره التجمل والتطرية » وقد فازت على منافساتها وعددهن احدى وعشرون حسناء يمثلن جمال أقسام باريس » .

تضحية الطبيب

يَصِفُ الطَّبيبُ مِن العلاَجِ أَجَلهْ
خَطَراً عَليهِ لِكَيْ يُغيثَ مَريضاً
والطِّبُّ تَضْحِيَةٌ، فإِنْ هُوَ لَمْ يكُنْ
لم يَرْتَفِعْ شَرَفاً وكانَ مَهِيضَا

الحياة

ما العَيْشُ الاَّ الهَوَىٰ واللَّهْوُ جَنْبَ العِبادَهْ
وأنْ يَجِدَّ الفتَى فَيَسْتَطِيبَ اجتِهادَهْ
جَمِيعُهـا وَحْـدَةٌ مثلَ «الفُصولِ[1]» المُعادَهْ
تبايَنَتْ بَيْنَمَا تُعْطِي الزَّمَانَ امتِدَادَهْ
عَوَامِلٌ كَوَّنَتْ للكَوْنِ هذِي السِّيادَهْ
فكَيْفَ يَحْيَا الوَرَىٰ على دَوَامِ البَلاَدَهْ ؟!

---

(١) فصول السنة ـ Seasons .

القدرة

لاَ تحْسبَنَّ اذا تَرَدَّدَتِ المُنَى ... لَهْواً عليْكَ بأنّكَ الفَعَّالُ
إنَّ القديرَ هوَ المجدُّ ويكْتَفِي ... بالنَّقْدِ ذاكَ العاجزُ المِكْسالُ
شَتَّانَ بيْنَ أسيرِ حُلْمٍ خاذِلٍ ... ومُحَرِّرٍ أحْلامُهُ الأعْمَالُ !

التفاؤُل

مَرَّتْ ملايينُ السِّنينْ ... والكَوْنُ ما زَالَ الجَنينْ
فَمَ التَّشَاؤُمُ و (الحَيَا ... ةُ) ما لُها الصُّبْحُ المُبِينْ
لاَ خَيْرَ في أدَبٍ يَسُو ... قُ النَّاسَ سَوْقَ اليائِسِينْ
سُنَنُ (الطَّبيعةِ) أن تُهيّـ ... ـيءَ للصَّلاحِ وأنْ تُعِينْ
ما كانت العَقَباتُ فيـ ... ـها غيْرَ مِعْوانٍ أمِينْ
(الجَهْلُ) يجْهلُ كُنْهَهَا ... والعِلْمُ بالنَّجْوى قَمِينْ
أوْلَى بِصَمْتٍ راحِمٍ ... صيحاتُ قَوْمٍ غافلِينْ
بالنَّظْمِ كَمْ عَبَثُوا كما ... عبثوا برُوحِ الناشِئِينْ !

توبة الحب

يُجَدِّدُ العُمْرُ ذِكْرى لَوْعَتي فيكِ
وإنْ نَسِيتُ فما أنْسى تَنَاسيكِ
وَدَّعْتُ حُبِّي وأحْلامي فَعاوَدَني
حُلْمُ الوَدَاعِ وأبكاني تَجافيكِ
وزُلْزِلَ القَلْبُ مِنْ ذِكْرَى مُؤرِّقَةٍ
فَخفْقُهُ ثَوَرانٌ كَمْ يُنَاجيكِ!
رفْقاً بِعانٍ قَضَى الأَعْوامَ في جَزَعٍ
يُخْفيهِ الأَ على مُدْى تُراعيكِ!
لعلَّ نُوراً كأنسٍ طابَ مَوْرِدُهُ
لَدَيْكِ يدفعُ عنّي مِنْ تَجَنّيكِ!
وفي تَجَنّيكِ يا صَفْوِي ويا شَجَني
حَتّى المُضاعُ، فهلْ يَرْتَدُّ راجيكِ؟
لَهْواكِ حتى وإنْ أقْسَمْتُ في أَلَمي
بأنّني لَسْتُ مَنْ يَهْوى كَمَنْ فيكِ!

أُعَيِّدُ اليَوْمَ في حُزْنِي بِلا أَمَلِ
حتى العزاءُ تَخَلَّى مِنْ تخلِّيكِ
وَأيُّ ذِكْرَىٰ لميلادِي تُحَبِّبُنِي
في العيْشِ، والعَيشُ مأساةُ الهوى فيكِ؟!
إلاَّ شُعُورِي بأَنِّي حِينَ أُبْذُلُها
أُغْدُو الضَّحِيَّةَ والتَّعذِيبُ يُرْضيكِ
كم تُبْتُ مِنْ شَجَنِي القاضِي على نِعَمِي
والحُبُّ يَضْحَكُ مِنْ وَهْمِي وَيُدْنِيكِ!
فصِرْتُ ما بيْنَ آلامٍ مُكَتَّمَةٍ
تَحِزُّ قلبي، وَهٰذا القَلْبُ يَفديكِ
وَبيْنَ آلامِ شَوْقٍ ما أَبُحْتُ بها
إلاَّ ائْتِناساً بشَوْقٍ كَمْ يُؤاتيكِ
وتَوْبَةُ الحُبِّ إعلانٌ لِثَوْرَتِهِ
إنَّ الفُؤَادَ إذَا أخفاهُ يُنْبيكِ!
يكْفيكِ ماضٍ أليمٌ كُلُّهُ نِقَمٌ
وأنقذيهِ فما يُشقيهِ يُشقيكِ
مِنَ الصَّبابةِ بُرْكانٌ لَوَاهِظُهُ
ذَوْبُ الحَياةِ، فصُوني مَنْ يُوافيكِ!

صحبة الآلام

من قصيدة مفقودة نظمت قبيل عودة الشاعر الى الوطن سنة ١٩٢٢ م .

نشأتُ على الآلامِ حتى أَلِفْتُها
وأُسقيتُ مِنْ مُرِّ الحياةِ مدَى عُمْرِي!
فصارَتْ كَخِلٍّ لا غِنَى عَنْ لِقائِهِ
أُشاطِرُها رِبْحي وَتَتْرُكُ لي خُسْرِي!
وَأَضْحَكُ في بُؤْسي فأُحْسَبُ هانِئاً
وَهيْهاتَ أَنْ يُفشَى لِمُرْتَقَبِ سِرِّي!
وَكَمْ يشتكي مَنْ لَيْسَ يَشقَى وإنما
شكى مِنهُ طَبْعَ الضعفِ والعَجْزِ والفَقْرِ
فما خذَلتْ نَفسي يَقيني ولا وَنَتْ
وَإِنْ هي لَم تَرْجِعْ مِنَ السعيِ بالظَّفَرِ
فَعِشتُ جَرِيئاً أَستَبيحُ متاعِبي
وَمَنْ كانَ لا يَخشَى رأى الصعبَ ما يُغري!
وَما زِلتُ أُجزَى بالتعاسَةِ بَيْنَما
أُضَحِّي بلا حَدٍّ مِنَ الجُهْدِ والفِكْرِ

طُفُولَةُ مَحْرُومٍ وَرُشْدٌ مُعَذَّبُ
شَجِيٌّ يُعانِي أُقْتِلَ الحُبِّ والأَسْرِ
وغُرْبَةُ مَخْذُولٍ طَرِيدٍ مُقَسَّمٍ
مِنَ الوجدِ والتّحنانِ والبُغضِ والذكرِ
يَئِنُّ وحيداً كاتِماً جُلَّ همِّهِ
وَيَعْمَلُ للإِصلاحِ في عِصْمَةِ الصبرِ
ويَرْفَعُ في بِرٍّ سِواهُ، فما يَرى
جزاءً لَهُ غيرَ النِّكايَةِ لِلبرِّ!
وَيفتَخِرُ الأَغرارُ بينا فُتُوحُهُ
تُحَجَّبُ أَوْ تُنسَى، فتنأَى عن الفَخرِ
ويكفيهِ منها أهْوَنُ الجُهْدِ مَظهَراً
لِعَزْمٍ وإحْسانٍ وهِمَّةِ مُسْتَذْرِي[1]
الى العِلْمِ والآدابِ والوَطَنِ الذي
يُفَدِّيهِ يُحيي وَاجبَ العَبْدِ لِلحُرِّ
فَيُغْمَطُ حقاً بعدَ حَقٍّ ومالَهُ
مُوَاسٍ سِوَى طُهْرِ الضَّميرِ الذي يدْرِي!

(١) المستذري : من يلتمس الذروة أي السمو .

ثلاثونَ عاماً قَدْ تَوَلَّتْ بضُرِّها
عليهِ ، وَما أَسْدَى اليْهَا سِوَى الخَيْرِ
وكَمْ منْ أُناسٍ أَصْبحوا مِنْ عِنائِهِ
بنُعْمَى ويُسْرٍ ، وَهوَ يعثُرُ بالعُسْرِ
وكم مِنْ دَعِيٍّ باتَ يُنْكِرُ فَضْلَهُ
ويُشجيهِ بالمَنِّ الأَمَرِّ منَ المُرِّ
وكم مِنْ غرِيقٍ بعدَ إنقَاذِهِ نَسا[1]
فُرُوضاً ، وجازَى أشرَفَ الخَيْرِ بالشرِّ
مهازِلُ آلامٍ بدُنيا غرِيبةٍ
تَناقُضُها يَحْكي التَّناقُضَ لِلسُّكْرِ !
ماتِمُ لِلإِحْسانِ فيها أَليمَةٌ
مُرَوِّعَةٌ للنُّبْلِ والصِّدْقِ والطُّهْرِ
يُهَيِّئُها الإِنْسانُ وهُوَ مُهدِّمٌ
أخاهُ ويَعْزو ما جَناهُ الى الدَّهْرِ !
ويجْزَعُ مِنْ قبْرٍ سيلْقاهُ مَيِّتاً
ويُرْضيهِ أَنْ يَحْيا حياةَ أُولي القبْرِ !

---

(١) هنف نسأ بمعنى أفضل .

***

ولمَّا رَأَيْتُ الحَظَّ للعدْل ضائِعاً
قنِعْتُ بِحَظِّي مِنْ شُعوري ومِنْ شِعْري!
وعِفْتُ نُوَاحَ النَّائِحِينَ فانَّ لي
عزيمةَ قهَّارٍ، وَما النَّوْحُ مِنْ قدْرِي
وخَلَّفْتُ أهْلَ الأَرْضِ في نَزَواتِهِمْ
ورُحْتُ برُوحي (للطَّبيعةِ) في بِشْرِ!
فصاحَبْتُ دُنْيا غيْرَ هذِي بما وَعَتْ
منَ (المَثلِ الأَعلى) القَريبِ الى السحرِ!
وأمْتَعْتُ رُوحي بالوُجودِ الذِي قَضَى
ملايينَ أعْوامٍ صديقَ أُولي الذِّكْرِ (١)!
فأبدلَ همّي لَذَّةً، وتَعاستي
نعيماً، وأقصاني عن العَبَثِ المُزْرِي
فَعِشْتُ لِفَنٍّ عالَمِيٍّ وَمُتْعَةٍ
منَ الحُبِّ والإيمانِ لا المدْحِ والشكْرِ

---

(١) أولي الفطنة .

وصرْتُ اذا عانَيْتُ بؤساً وشِقْوَةً
تأمَّلْتُ خلْفَ الشَّوْكِ ماغابَ مِنْ زَهْرِ !
وأقْنعْتُ هذا الكوْنَ أنّي مُخيَّرٌ
وَأنّي حَرِيٌّ بالتَّفرُّدِ في أمْرِي !

الموسيقى

عَنَا لكِ مَسْحورٌ وَحَيَّاكِ ساحِرُ
وأُولِعَ بالشّعرِ الذي فيكِ شاعرُ!
وناجاكِ بأسْمِ (الفَنِّ) كلٌّ مُعبِّرٍ
عنِ الفَنِّ حَيْثُ الفنُّ حولكِ دائِرُ!
قصيدٌ وَتمْثيلٌ ورَسْمٌ مُجَسَّمٌ
تَطوفُ بأنْغامٍ حِسانٍ تُحاوِرُ!
فنَسْمعُنا مِنْ عبْقَرِيٍّ بيانَها
ونُسْمِعُها مِنْ رَوْعِنا ما نُحاذِرُ!

ونُسْمِعها أُنْساً طرِبْنا لِوَقْعِهِ
كريماً وما يَسْخو كجدوَاهُ زائِرُ
نَطَقْتِ وقدْ خاطَبْتِ كلَّ كمينَةٍ
مِنَ النَّفْسِ، واهتَزَّتْ اليكِ المشاعِرُ
فأَفْصَحْتِ إفصاحاً ولمْ تَنْسِ خاطِراً
فَسِحْرُكِ في كلِّ العَوالِمِ خاطِرُ!
تَبَنَّتْكِ أَمْواجُ (الأَثيرِ) فَزِدْتِها
ثَراءً، وكم يَعنو لُحكْمِكِ ثائِرُ!
نِظَامُكِ غَلَّابٌ وَحُسْنُكِ قاهرٌ
زَهَا منهُ مُلْكٌ (للطَّبيعَةِ) قاهِرُ
فهمناكِ، بَيْنا كُلُّنا عاجِزٌ اذَا
سُئِلْنا عَنِ التِّبْيانِ، والكلُّ قادِرُ!
كأَنَّكِ للْجيلِ القَصيِّ لِسانُهُ
وَقدْ جِئْتِ قَبْلاً وَهُوَ في الخَلقِ آخِرُ
كأَنَّ (الشِّبرْمانَ) الذِي نَنْتَهي بهِ
تَرَبِّيهِ مِمَّا تُبْدِعينَ مآثِرُ

وَهلْ كَوَّنَ الأَنْغامَ الاّ مُؤَلِّهٌ؟!
فأَنت لُغاهُ الدَّهْرَ والمرْءُ قاصِرُ!
وَلٰكنْ اذَا ما الوَحْيُ أَحْيا شُعورَنا
لَدَيْكِ تَسامَتْ للْخُلودِ السَّرَائِرُ!
وَجزْنَا ملاَيينَ القُرونِ التي تَلي
الى (اللهِ) فاسْتَعْلتْ اليْهِ الضَّمائرُ!
فنْسَى منَ الدُّنيا الصَّغائِرَ كُلَّها
وكلٌّ بأَرْقَى الحِسِّ سامٍ وكابرُ
وقدْ طَهَّرَتْ أَنغامُكِ (الرُّوحَ) فاغتدَتْ
جَمالاً رَقيقاً كلُّ ما فيهِ طاهِرُ!
تبَرَّأْتِ مِمّا كانَ لَغطاً وَضَجَّةً
فمِلؤُكِ إبْداعٌ شَهِيٌّ وآسِرُ
ومِلؤُكِ إعجازٌ وآياتُ قوَّةٍ
مِنَ الوَعظِ لم تَبلُغْ مداها المَنابِرُ
فيَغدو الجَبانُ العاثرُ النابِهَ الذِي
لهُ الفَوْزُ خِلٌّ والشَّجاعةُ ناصِرُ

ويُضحِي القنى العاني قَرِيراً وَحَسْبُهُ
رَجاءٌ وَفاهُ مِنكِ خافٍ وَظَاهِرُ
مُحَوِّلَةَ (الإِنسانِ) عَنْ شَرِّ هَمِّهِ
لأَنتِ صلاَةٌ للقُلوبِ وَزاجِرُ!
فكَمْ مِنْ نُفوسٍ قدْ رويْتِ فأَنبَتْ
صلاحاً وإِحْساناً وَوَحْيُكِ آمِرُ
وما كُنتِ أَلحاناً تجَرَّدَ صَوْتُها
مِنَ الرُّوحِ بلْ نَلتاكِ رُوحاً يُجاهِرُ!
جَمَعتِ السُّرورَ المحضَ والشَّجْوَ والأَسَى
فَما كانَ بيْنَ النَّافِرِينَ تَنافُرُ
وما عرَفَتْ فيكِ الحَياةُ تناقُضاً
فكَمْ حُجِبتْ تحتَ القُصورِ المَقابِرُ
عليكِ الى (الجَنَّاتِ) نَعبُرُ هكذَا
وَقدْ غفرَ الزَّلاَّتِ والإِثْمَ غافِرُ!
فكُنْتِ صِرَاطَ المهْتَدِين (بفَنِّهِمْ)
وَكُنْتِ شَفِيعاً لَمْ يُتابِعْهُ كافِرُ!

ومِلَّةَ إحسانٍ ودِينَ سَعادةٍ
لِمَنْ هُوَ يَدْرِيهِ ، وساليهِ عاثرْ

وفيكِ انتَهَتْ شتَّى المعاني بما وَعَتْ
مِنَ الكَوْنِ، والكَوْنُ المُنعَّمُ شاكرُ!

فأَنْتِ عَزاءُ الحَياةِ بأَسْرِها
وفيكِ غِذاءُ النُّهَى وذَخائِرُ

وصُورَةُ ما ضَمَّ الوُجُودُ مُنوَّعاً
مَجامِعُ ألحانٍ حَوَتْ شَوَاعِرُ

فما وُقْنَ حتَّى الرّيحَ والصَّخْرَ والحَصَى
بذِكْرٍ لهُ الهاوِي المُوَفَّقُ ذاكِرُ

فنَقْرأُ بالسَّمْعِ الأَسيرِ حَياتَنا
ونَعتَبِرُ الماضي وَما هُوَ حاضرُ!

ونَسْمَعُ حتى (النَّحْلَ) وهيَ مُعِيدَةٌ
نَشيداً الى نَجْواهُ حَنَّتْ أزَاهِرُ

ونَعْلَمُ سِرَّ الحَرْبِ والحُبِّ والعُلَى
ونَفْهَمُ ما تُخْفِي وتُبْدِي العناصِرُ!

ونُدْرِكُ آلافَ المعاني التي بها
نمُرُّ ولمْ تُدْرِكْ غِناها المَحابرُ !
فَنُبْصِرُ دُنْيانَا بأصْدَقِ ما وَعَتْ
ونَشْهدُ أُخْرَانَا وَفيها المَفاخِرُ !
ونلتَقِط الأَنْغامَ في حُلْمِنا كما
تَرِفُّ بأَيْدِي المُعْدِمِينَ الجَواهِرُ !
فمَنْ لم يكُنْ في التَّابِعِينَ فمَيِّتٌ
ومَا هُوَ انْسانٌ وَلاَ هُوَ طَائِرُ !
فَطَوْعُكِ حتى كُلُّ أبكَمَ جامِدٍ
وكلُّ فؤادٍ خافِقٍ منكِ عامرُ !

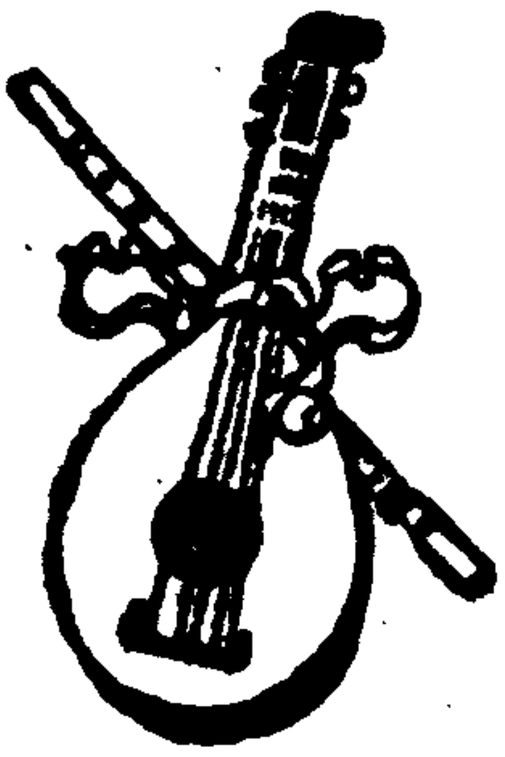

ألوهة الحب

إذا صَحَّ أنَّ الشّاعرَ الفَحْلَ مَنْ لَهُ
بمَلْكةِ النَّفْسِ الحَياةُ بِتَجْوالِ
يُفَتِّشُ عنْ مكْنُونِهَا متطلّعاً
الى العالَمِ الخالي وللعالَمِ التّالي
و يَمْتِعُ بالفَنِّ السَّماوِيِّ جيلَهُ
كما يُمتِعُ الذِّكْرى ومُقْبِلَ أجْيالِ
وَيَرْفَعُ ألبابَ الأنامِ لرَبِّهِمْ
بأَطْهَرِ أحْلامٍ وأكملِ آمالِ
فَما كُنْتُ يوْماً مَنْ يَدِينُ بِشِعْرِهِ
اذا جلَّ إلاَّ للصَّبابَةِ لا الآلِ !
لُحِسْنكِ دَيْني مَا حييتُ، وَإنْ أمُتْ
فشِعْرِي لكِ المَدْيونُ في خُلْدِهِ لالي !
بِعَيْنَيكِ دُنْيايَ التي في عِبادَتي
أُرَتِّلُ ذِكْراها ، وَعَيناكِ آجالي !
غَرامٌ وَتَعْذِيبٌ وَنَفْيٌ وعودَةٌ
ووصلٌ وَهِجْرانٌ ببُؤْسٍ وإقبالِ

تقلَّبْتُ فيها لاَ أتوبُ وإنْ أكُنْ
أُعاني وأُقَى بينَ أنيابِ أغْوالِ !
وعَلَّمْتِنِي في العَيْشِ حَبْرَةَ باحِثٍ
فكَمْ لكِ حَبْرَاتٌ يَهِيجْنَ بِلبالي!
أتيهُ بأَعْماقِ الهوى فيكِ مثلما
أتيهُ بِشَجْوِي فيكِ مُضْطَرِبَ البالِ
وأقْنعُ مِنْ هٰذا الوجُودِ بنِعْمَةٍ
لديكِ كأنَّ الكَوْنَ دارسُ أطلالِ!
تَنوَعَتْ الأَشكالُ والرُّوحُ واحِدٌ
وعِنْدَكِ هٰذا الرُّوحُ والأَلَقُ الغالي!
كفاني هواكِ العذْبُ وحْيَ ألوهَةٍ
وفي صَوْتِكِ الفتَّانِ أُنْسي وإعْوالي!
هوَ الرَّاحِمُ الجاني، هو الخالِقُ الذي
يُغَنِّي أناشِيدَ الحَياةِ لإبلالي!
فأنقلُها شِعْراً لِدُنْيا جَحودَةٍ
فما عَطفتْ يَوْماً على قلبيَ البالي

فياعالَمي الأَسْمَى أضيْ وأشْعلي
فؤادِي بِسِحْرٍ منْ جَمالِكِ فعَّالِ !
وغنِّي بِقدْسيٍّ منَ الَّلحْنِ هكذا
معاني غرَامي للمُتيَّمِ والخـالي
فأحكي تَرانيمَ السَّعادَةِ للورَى
بنظْمٍ حبيبٍ عنْ لِسانِكِ عسَّالِ
وأُنقِذُهُمْ منْ بُؤرَةِ الهمّ والرَّدى
الى عالَمِ الرُّوحِ النقيّةِ لا المالِ
أُمتّعهُم مِنْ جنَّةِ الخُلدِ بيْنَما
أخُصُّ بنفْسي ما تَذُوقُ بأَهْوالِ!
جُبِلْتُ على أنّي أكون ضحِيَّةً
أعيشُ وأمضي مثْلَ شاهِقِ أجْبالِ!
فمنْ طَبْعِها مَنْحُ السُّهولِ كُنوزَها
منَ الِبرِّ في ماءٍ تدَفَّقَ سلسالِ
وتفنى أخيراً في السُّهولِ اذا طغى
جُحودٌ فأردتْها ثوائرُ زِلزالِ!

كذلكَ حالي في الحَيـاةِ فهلْ تُرى
أُجازَى بهَدْمي رغْمَ بَذلي وإفْضالي ؟!
حَكَمْتِ بتَشْرِيدي وأنْتِ إلهَتي
فكَيْفَ بخَلْقٍ في الحَقارَةِ أمْثالِ ؟!
بثثْتُ بهمْ حُبَّ العُلُوِّ فمـا اعتَلَوْا
لنُبْلٍ ، وليْسَ الذَّنبُ مِنْ أدَبي العالي
ولكِنْ طِباعٌ فَجَّةٌ في خُمودِها
تَظَلُّ على الآبادِ راكِدَةَ الحَال!
فيالَيْتَني لَمْ أحْيَ في عالَمِ الأذَى
فقدْ شِئْتِ أنْ أسْلَى وَما أنا بالسَّالي
ومَنْ عاشَ مَحْرُوماً غَبيناً وثائِراً
فلا المَدْحُ يَعْنيهِ ولا عَبَثُ القالي !

صباتى

أو روح الشاعر

وقالَ فقيهُ القَوْمِ : مالَكَ مُولَعاً
بِسِجْنٍ أرَى الدُّنْيا تَحولُ به قَبْرَا ؟
فقلْتُ : «وما هٰذا ؟» فقالَ : « إقامَةٌ
بِمَمْلَكَةِ الموبوءِ نَحْسَبُهُ قَصْرَا !
أتَحْمِلُ هٰذا الوِزرَ[1] في صَمْتِ شاعِرٍ
وعَهْدِي بكَ الحُرّ الذي ينفُضُ الوِزْرَا
لغيْرِكَ تَأْبى الظُّلْمَ لا تَستَسيغُهُ
فكَيْفَ إذَنْ تَرْضى لهٰجَتِكَ القَهْرَا ؟
حياتُكَ لَمْ تُخْلَقْ لهٰذَا فَخَلِّهِ
وكُنْ لحياةٍ تُسْعِدُ النَّحْلَ والزَّهْرَا !
علامَ جُهودٌ أنْتَ تُعْطي بلا وَنًى
وَغيْرُكَ في هٰذا المجالِ بِها أحْرَى ؟

---

(١) الوزر : العبء الثقيل .

وهَمُّكَ أَوْلىٰ بالحياة طَليقةً قَرَسْمها سِحْراً وننظُرُها شعْرَا

لأَنتَ قمينٌ أَنْ تكونَ مُطَبِّباً
نُفوساً ، فأَهْلُ الطِّبِّ قدْ غلبوا الحَصْرَا

فدَعْهُمْ ورَفِّهْ عنْ فؤادِكَ آسياً
جراحاتِ أَلْبابٍ ولا تَلْتَمِسْ عُذْرَا

ودَعْ طَرِباً هذِي البَواتِقَ (١) مثْلما
تُوَدِّعُ إِظْلاماً بهِ عَيْشُكَ آغْبَرّاً

وَدَعْ كُلَّ هاتيكَ الزُّجاجاتِ حامِداً
إِلَهَكَ اذْ أَصْبحتَ تَهْجرُها هَجْرَا

روائحُ أَسقامٍ وألوانُ خُبْثِها
أَضعْتَ عليْهَا الجُهْدَ والصفوَ والعُمْرَا ..!!»

* * *

فقاطَعْتُه في غيْرِ شُكْرٍ لِمَدْحِهِ
فما كانَ مَدْحُ الجَهْلِ يستأهلُ الشُّكْرَا

وقلتُ له : « عفْواً ! فانكَ رافعٌ
لقدْرِي كثيراً حَيْثُ تُخْجِلُني جَهْرَا !

فما أنا الاَّ ذاتُ فَرْدٍ حَياتُهُ لِرُوحِ جلالِ العِلْمِ أَوْفىٰ بها نَذْرَا!

---

(١) المذاوب : Crucibles .

ومادَوْلةُ الآدابِ الاّ قَرِينةً
لدَولةِ عِلمٍ جُنْدُها فكّتْ الأَسْرى
أنا في مَجالي معمَلي مثــلُ جائلٍ
يرى عالَمَ الدُّنْيا ويَلْقى بهِ الأُخْرى !
أرى الُحسْنَ والإِبداعَ فيهِ كما أرَى
صُنُوفاً منَ القُبْحِ المُذمَّمِ والشَّرّا
وألْقى غُرُورَ النَّاسِ في نُورِ مَبْحثي
أقلَّ مِنَ الوَهْمِ الذِي يعدُلُ الصِّفْرَا
وأشْهدُ ما خَلْفَ الحياةِ مِنَ الأَذى
وشَرَّ أعادِيها كما ألَحُ الخَيْرَا
فأضْحكُ في حُزْني وأعجبُ مِنْ ورًى
نَسُوا ضعفهم حتى استَباحوا له الفَخْرَا !
ولي مُتْعةُ الفنَّانِ ــ في ظلّ وَحْدَةٍ
منَ الفنِّ ــ يَلْقى الكَوْنَ في جُمْلَةٍ سِفْرَا
كأَنّي بأفْوافِ الخمائِلِ ناظِرٌ الى الزَّهْرِ بَسّاماً الى مُهْجتي بِرّا
كأَنّي أرى سَحَّ الغمامِ مُعبِّراً
بتوكافِهِ عنْ رَوْعةٍ خلْفَهُ كُبْرى !

كأنّي أرى العُصْرَ الخوابي[1] التي قضَتْ
شهيدةَ جهْلٍ تُرسل النّظَرَ الشَّزْرَا !
ومُصْطَفَقَ الأحْلامِ في بَحْرِ أمسنا
تَعودُ بلا خَوْفٍ الى مُجْرِي تَتْرَى!
وأقرأُ ما تُخْفي الشُّمُوسُ، وما وَعَتْ
نُجومٌ، وما أوحَتْ، فما حَجَبَتْ سِرّا
فما بَضَّ بالرِّبْحِ القليلِ تأمُّلي وما كانَ عِلْمي ما يُباعُ وما يُشْرَى
ولكنه قد كان أُنسي ونِعْمتي كما كانَ إنقاذاً لمهجتيَ الحَرَّى
تَعلَّمْتُ منهُ أنَّ في الكوْنِ آخراً[2]
ويا رُبَّما الدُّنيا الكبيرَةُ كالصُّغْرَى
وما خَضِلُ الأَزْهارِ فوْقَ غدائرٍ
تَرَقْرَقُ بالماءِ الذي شاقني سِحْرَا
ولا مُرْزِمُ السُّحْبِ التي قد تَطاحَنتْ
بحَرْبٍ وكانَ الغَيْثُ عسكرَها الجَرّا !
ولا ذُلكَ العَجّاجُ عندَ اصْطِخابِهِ
مُغيراً يَهُدُّ الشّاطِئَ المشتكي الغَدْرَا !

---

(١) الخوابى : الماضية المطفأة .
(٢) أى كوناً آخراً .

ولا ذُلِكَ الصدَّاحُ في فَنَنٍ له
أميراً على الأَزْهارِ تُصغي لهُ سَكْرَى !
ولا قُنَنُ الأَجْبَالِ في طُهْرِ شَيْبِها
مُفَضَّضَةً تَحْكي نجُوماً لها زُهْرَا !
ولا ليلَةُ البدْرِ الوَشيكِ زوالها
وقد تَرَكتنا نَعْبُدُ البدْرَ والبَدْرَا !
ولا طلعةُ الشَّمْسِ السخيَّةِ في حُلَى
وقدْ أَذَّنَ الدِّيكُ الذي دَاعَبَ الفَجْرَا
بأروعَ عندِي مِنْ عوالِمِ معمَلي
وإنْ كُنْتُ في فقرٍ فقدْ تَغمرُ الفَقْرَا
بها خُلصائي مثْلُ أهلِ عداوتي
وأهونُ ما عندِي حكى رُتبةَ (الشُّعْرَى)
فلا كان نَسْجُ الشِّعْرِ إنْ عِشْتُ جاهِلاً
بأسخَفِ أوْهامٍ لتَرْفعني قَدْرَا
ولا كان حَوْكُ الشِّعْرِ عنوانَ ضَلَّةٍ
فما الشِّعْرُ الاَّ أنْ نكونَ له الشِّعْرَا
ومثْلي يُقَضِّي عُمْرَهُ في دَقائِقٍ
منوَّعَةٍ حرّاً وإنْ كُنْتُ مُضْطَرَّا

فلَوْ أنا جانَبْتُ الذي هُوَ شائقي لغالَبني جَذْباً وسَخَّرَني فِكْرَا
حياتي بياني ، والوُجودُ بأسْرِهِ
أمامي ، وانّي منه أنْظِمُ ما أقْرَا
عزاءً لِدُنْيا في الشَّقاءِ ونَاشِراً رَوا كدَ أحْلامٍ تعافُ لها نَشْرَا
وإنْ كُنْتُ أحْياناً أقُصُّ شَقاءَها
فيلْذَعُها ناراً مُؤَجَّجَةً زَجْرَا
كما لَذَعَتْ نفْسي عواطِفُ حَسْرَتي
وإنْ كُنْتُ أُخْفيها وأكْتُمُها حَصْرَا
فلاَ تغتَرِرْ بالصَّمْتِ في جَوّ معملي
ولا تحقِرَنَّ المـاءَ فيهِ ولا الجمْرَا !
ولا تُصْغِرَنَّ العيْشَ فيهِ فرُبَّمـا
بهِ استروحَ الفنَّانُ نَشْقَةَ ما أستَذْرَى (١)
وما نُورُ عيْشي في الخمائلِ وَحدها
ولا العيشُ أن ألْقى الغطَارِفَةَ الغُرَّا (٢)
ولا هو في كَنْزِ اليَسارِ، فربمـا
غدا المرءُ مقبوراً معَ الكنزِ إنْ أثْرى !

---

(١) ملاءما .
(٢) السادة الوجهاء.

ولكِنَّ عيْشي رهنُ حِسٍّ يَهُزُّني
ويُغمرُني معنًى ويملؤني ذِكْرَا !
فلي رُوحُ فنّانٍ ولي نفسُ عالِمٍ
قد ازدوجا حتى غدَتْ هذِه الأُخرَى
فانْ كان غيْري يَحْسَبُ الوهمَ ذُخْرَهُ
فانّي أرى العلْمَ المُبجَّلَ لي ذُخْرَا
وما العِلْمُ يَوْماً ناقَضَ الفَنَّ لُبُّهُ لِمهْجَةِ فنّانٍ بها كشَفَ الدَّهْرَا
وما أنا في أسْرٍ لفِكري وبيئَتي
فانَّ حيــاةَ الفنِّ لا تَقْبلُ الأسْرَا
وتشملُ أدْوارَ الحياةِ جَميعها وَتلبثُ تَستحْلي العقيدةَ والكُفْرَا
وإنْ مثَّلَتْ عصرِي حيــاتي فانّني
أمثِّلُ أحلامي بِشِعْري وما مَرَّا
أمثلُ إنْسانِيَّتي وَرجاءَها وآلامَها والفَجْرَ واليَوْمَ والذِّكرَى
فدعْني إذنْ والعلْمَ فالفَنُّ طَيَّهُ
وإنْ يَحْتجبْ كالرُّوح عنْ ناظِرٍ قَصْرَا
وليْسَتْ قُيودِي غيْرَ حرّيةِ الحِجَى
فمــا أنا صَبٌّ بالتقيُّدِ أوْ مُغْرَى

أرى خلفَ ما يَلْتَى البصيرُ الذي له
تثاؤبُ أعْمَى أو ضَلالُ الذي اغترّا!

وبيْني وبيْن الكوْنِ جَمْعُ أواصِرٍ
منَ العطفِ حتى لستُ أعرِفها شَطْرَا!

وما استحكَمتْ بي للسآمةِ حالةٌ
فكنْتُ الذي قدأصغرَ العيْشَ وازوَرّا(١)

أنِسْتُ بما حَوْلي وإنْ كانَ صخرَةً
وناجَيتُهُ فنًّا، وما عِبتُهُ صَخْرَا!

ومَنْ كانَ هذا طَبْعُهُ وشعورُهُ
فلاحِسُّهُ يَخْبو، ولاعَيْنُه تَكْرَى(٢)

تَحَرَّرَ من قَيْدِ الجُسومِ ورُوحُه
ترَى الشعرَ فيما أنتَ تحسبُهُ قَفْرَا

ويارُبَّما هذِي الجَراثيمُ قَدْ حكَتْ
برَوْعتِها الرَّوْضَ المُجَمَّلَ لا العَفْرَا!

---

(١) ازور : عدل عنه وانحرف .
(٢) يخبو : تخمد حرارته ، تكرى : تنعس .

ولو لا حجبُ الفَنَّانِ ما كانَ فارِقٌ
وساوى رهيفُ السَّمْعِ مَنْ يَشتكي الوَقْرَا (١)
وما رَجحتْ الاَّ المظاهِرُ وَحدَها
ولَمْ نَدْرِ مِنْ خافي بدائعِها أمْرَا !

***

فَراقبَ (٢) حتَّى كأَنّي بسكرَةٍ
وقد مَسخَتْني مَسْخَ مَنْ عبَدَ الخمْرَا !
فلمَّا رَآني لستُ حقًّا بهازِلٍ توَهَّمَ بي مَسًّا ففارقني ذُعْرَا !
وصِرْتُ بِدَوْري كالصَّبيّ مُقَهقِهاً
ولولا احْتِشامٌ كِدْتُ أتبعُهُ طَفْرَا (٣) !
ومِنْ نكدِ الدُّنيا أُناسٌ تَصدَّرُوا
لفلسفَةٍ في النَّقْدِ تُرْكِبُهُمْ وَعْرَا (٤)
نواظِرُهُمْ شِبْهُ الزّجاجِ ، ومِثْلُها
عُقولٌ لهمْ إنْ نُوقِشَتْ مُحِقَتْ كَسْرَا !

---

(١) رهيف السمع : حاد السمع ، والوقر : الصمم .
(٢) أي الفقيه المنتقد . (٣) طفراً : وثباً .
(٤) أي مركباً مخيفاً

النور والظلام

فَظَرْتُ الى دُنْيايَ بِيْنَ تَفاؤُلٍ وَسَعْيٍ كأَنَّ السَّعْيَ ليس لهُ حَدُّ !
ولم أَرْضَ تضييعاً لُجهْدٍ بَذَلْتُهُ فإِنَّ حياةَ المرْءِ أكْرَمُها الُجهْدُ
فوجَّهْتُهُ في غيْرِ مَنٍّ ولا قِلًى الى حَيْثُ تَرْضاهُ المآثِرُ والمجْدُ

وَعاهَدْتُ نَفْسي أنْ أعيشَ لمبْدَئي
وإنْ حالتْ الدُّنْيا فما حالَ لي عَهْدُ
بحيثُ حيـاتي كلّها قَدْ وَهبْتُها
الى (المثلِ الأَعلى) وَإِنْ هيَ تَنْهَدُّ
فانْ فُزْتُ كانَ الفَوْزُ نِعْمَةَ خاطِرِي
وإنْ لم أَفُزْ عَزَّى عنِ الفَشَلِ الكدُّ
نجاحي لِغيْرِي ، ثمَّ غيْرِي نجاحُهُ
أراهُ فَخارِي حيثما اتَّفقَ القَصْدُ !
رَضِيتُ لنَفْسي بالتَّفاؤُلِ مُتْعَةً
وثُرْتُ لغيْرِي حينَ باعدَهُ السَّعْدُ
وبيْنَا أرَى في الشَّوْكِ وَرْداً يَطيبُ لي
فانّي الذي يُشْجَى لمنْ فاتَهُ الوَرْدُ !

تقلَّبْتُ في النّعماءِ والبُؤْسِ مثلَما
تمُرُّ على النَّبْتِ الطراوَةُ والصَّهْدُ (١)
وآثرْتُ أنْ أحْيا بغيْرِ تذَمُّرٍ
وللدَّهْرِ في الحالَيْنِ من بُهْجتي الحمْدُ !
ولكِنَّني الرَّاني بعيْنٍ حزينةٍ
الى شقْوَةِ الإنْسانِ وهُوَ لها عَبْدُ
يَحُزُّ فُؤادِي ما يُعاني أخو الجَوى
وحيداً ، ولا صَبْرٌ لدَيْهِ ولا وَعْدُ
فكمْ مِنْ قَوِيٍّ يَشْقَى بِعُزْلَةِ مُجْرِمٍ
يُسخّرهم في غنْمِهِ جاهلٌ فَرْدُ !
وكم مِنْ ذَكاءٍ ليْسَ تَبْزُغُ شَمْسُهُ
وتُنكِرُها سُحْبٌ مِنَ الجَهْلِ تمْتدُّ
وكم مِنْ جَمالٍ باعَهُ الفَقْرُ عابِثاً
كأَنَّ جَمالَ الفَقْرِ غايَتُهُ اللَّحْدُ !
وكم منْ صِغَارٍ يكرَعونَ منَ الأَسى
وهُمْ مَنْ لهمْ في الكَوْنِ قد خُلِقَ الشَّهْدُ !

---

(١) الطراوة مصرية الاستعمال بمعنى النسيم البليل .

يعيشونَ في مِثلِ المغاوِرِ ما لَهُمْ
غِذاءٌ ولا ضَوْءٌ ولا أَمَلٌ يَبْدُو
ويكلؤُهم جَيْشُ الذَّبابِ وغَيْرُهُمْ
يحُفُّ به التَّقْديسُ والمالُ والجُنْدُ!

وقدْ ماتَ أَهْلوهُمْ ببُؤْسِ حياتِهِمْ
وكان بفضْلِ البُؤْسِ بينهمُ الوَغْدُ
وأَصْبحَ للإِجْرامِ حُظْوَةُ سيِّدٍ
لدَيْهِمْ، وصارَ المُجْرمَ البطَلُ النَّجْدُ (١)!

حَيَاةٌ لها مِنْ ظُلْمةِ اللَّيْلِ صِبْغَةٌ
ولكِنَّها ليْسَتْ معَ اللَّيلِ تَرْتَدُّ!

وقالَ مُواسٍ: هٰكذا العَيْشُ هٰكذا
كبحْرٍ!... فما البَحْرُ الذِي ما لَهُ مَدُّ؟!

ولوْ أَنْصَفَ الإِنسانُ أبناءَ جِنْسِهِ
وكان لُحكْمِ العِلْمِ والشَّرَفِ الحَشْدُ (٢)

---

(٢) النجد : ذو النجدة وهي البأس والشجاعة .
(٣) الحشد : الحفاوة به .

إذنْ لتجلّى النُّورُ وانجابَ غَيْهَبُ
تُكوِّنُهُ الاطماعُ والجَهْلُ والحِقدُ
ولا كان فخرُ النّاسِ إنْ عاشَ جُلُّهُمْ
بموْتٍ منَ التكرارِ ليْسَ لهُ حَدُّ !

غناء الحياة

غَنَّيْتِ أحلامي على مسمعي فأصبحَ الحُلْمُ عياناً دعي!
ما أعذبَ الصَّوْتَ وأحلى الهوى
ينصبُّ في الرُّوحِ وفي مِسْمَعي!
ويَخْفُقُ القلبُ على نشْوةٍ كأنما في العُمْرِ لم يَجْزَعِ
وتسكبُ العيْنُ ندى دَمْعَةٍ على الخدِّ مِنْ جامِها المُتْرَعِ
أُصغي وأُصغي في افتتانٍ بلا حَدٍّ ولا أرْضى مدى مطمعي!
وأنتِ في برٍّ بلا مُنْتَهى وقلْبيَ الرَّاقِصُ لم يَقْنَعِ!
كفَّرْتِ عنْ ماضي شُجُوني فيا أشجاني الحيرى كفى واخْضَعي!
غنّي وغنّي ياحَياتي فما يُغْنى سوى مِنْ سحرِكِ المودَعِ

وَأَسْرِفي أنْتِ بتَجْدِيدِهِ فانّه في الصَّفْوِ كالموجَعِ !
ماصَدْمَةُ الهِجْرِ وإنْ عُولجَتْ تُشْفَى على العُمْرِ وإنْ تُبْدِعي
لا بدَّ مِنْ جَرْحٍ دَفينٍ وكم يَهْتاجُ الجَرْحُ فلا أدّعي
أُخْفِيهِ عَنْ نَفْسي وعَنْ عالَمٍ وأُغْرِقُ الحَسْرَةَ في مَدْمَعي !
وأُودِعُ الشِّعْرَ قليلَ الأَسى والجانِبُ الاكبَرُ في أضلعي !

الفهم السماوى

هوَ الشّعْرُ حَيْثُ الشّاعرُ الفَذُّ عالَمٌ
يَطُوفُ بدُنيانا ويَنْعَمُ بالشّعرِ
تَبَنَّتْهُ « أرْبابُ » السَّماءِ وهكذا
تبَنَّتْهُ آياتُ (الطَّبيعةِ) و (الدَّهْرِ)
فصالَحَها بالبرِّ والحُبِّ شائِعاً يُقسّمه مابَيْنَها دَائِمَ البرِّ
يَعيشُ مَلِيكاً : مُلْكُهُ الرَّحْبُ نَفسُهُ
وَيقنَعُ مِنْ كَنْزِ البدَائعِ بالزَّهْرِ
ويطمَعُ في هذِي القناعةِ، انّما تناقضُهُ لا يستحيل لمن يدري

يمثِّلُ آياتِ الجَمالِ بوَحْيِهِ
ويُعلنُ عن خافي العواطِفِ والفِكْرْ
وحَوْلَ سَماءِ الكَونِ يَرْقى مُجَنَّحاً
عزيزاً ولا يَلْقى الموَانعَ إذْ يَسْرِي
يفتِّشُ عنْ اعجازهاوعجيبها ويَنشرُها فينا ملطِّفَةَ النَّشْرِ
ويُطلِقُ موسيقى الأُلوهةِ حَولنا
فيُسْمِعنا سِحْراً تنزَّهَ عنْ سِحْرِ
ويبحَثُ عنْ معنى الحَياةِ وكُنْهِها
فيُنشدُ ما يلقاهُ في البَحثِ من سِرِّ
بَصيراً ضريراً عالماً جاهِلاً لَهُ
شعورُ الوَرى حيناً وحيناً كمستذْرِي(١)!
يرى في القصيّ ، الغيبِ كلَّ مُحَجَّبٍ
ويرْوي عن الآتي المحَجَّبِ من عُصْرِ
فيُحْسَبُ مَجْنوناً ، وليسَ جُنونه
سوى المستعزِّ المستحيل من القَدْرِ
رأى ما الورى والخلد والصفو والأسى
وما العمر والدُّنْيا وما جلَّ عنْ حصرِ

(١) المستذرى : السبرمان .

وما الحِكْمَةُ الكبْرى وما النُبلُّ والحجى
وما النَّفعُ في حرٍّ منَ العَيْش للحرِّ
ولم ينْسَ هذِي الأَرضَ وهيَ وديعةٌ
لَدَيهِ ، فأغناها مِنَ الوصْفِ والذِّكْرِ
وأرشدَها للخيْرِ ـ خيْر ألوهةٍ ـ
وإنْ شرحَ المطْبوعَ فيها منَ الشَّرِّ
فلا تُسْرِفوا في نَقْدِه عَنْ غباوَةٍ
اذا كانَ مَنْ يَسمو بعالَمِهِ الفِكْرِي
ولا تُنكِرُوا إلهامَهُ وكِتابَهُ
وإنْ كانَ في نَبْت وإنْ كانَ في صَخْرِ
له البعثُ والإحياءُ فيكمُ وأنْتمو
كَمَوْتى أبَوْا أنْ يستعادُوا مِنَ القبْرِ!
أفيقوا ! أفيقوا ! واسْمَعوا كلَّ لوْمِهِ
وإنْ مرَّ ، فهوَ المُستطابُ منَ المرِّ!
فانْ كان فَنَّاناً فقَدْ كانَ آسِياً
يطوفُ باكسيرِ السَّعادَةِ في الشِّعْرِ!

جنى

من قصيدة قديمة مفقودة

الشَّاعِرُ السَّاحِرُ مَنْ أسْكَرَهْ ؟! مَنْ علَّمَ الشَّاعِرَ هٰذا الشَّرَهْ ؟!
عَيْناكِ يارُوحي ويانِعْمَتي عَيناكِ إلهامُ الذِي صوَّرَهْ
في طَلْعةٍ أحْيَتْ نُهَى المُجْتَلي كالجَنَّةِ المُزْهِرَةِ المُثْمِرَهْ
في ظِلِّها كانتْ عِباداتُهُ في نُورِها أفْنَى الذي أضْمَرَهْ
مِرْآتُهُ أنْتِ ووِجْدانُهُ وجَمْرَةُ الحُبِّ الذي أسْكَرَهْ
بُوحي لهُ ! بُوحي ! ولا تُنكري أسْرارَ ما حاوَلَ أنْ يَسْتُرَهْ
قُولي لهُ : شوقُكَ في كَتْمِهِ لنْ يَخْدَعَ الحُبَّ ولا مَصْدَرَهْ!

***

ما سَكْرَةُ الشَّاعِرِ غيْرَ الهَوَى الخالِقُ الحَيُّ الذي نَوَّرَهْ
مَثَّلْتِهِ أنْتِ فأغْنيْتِهِ عَنْ أجْمَلِ الكَوْنِ الذي قَدَّرَهْ !
يلقاكِ أنغاماً ونُوراً كما يلقاكِ آياتِ هُدًى سَطَّرَهْ
الرَّوْضُ والطَّيْرُ بأفْنانِهِ والجَدْوَلُ المُفْشي لنا مِزْهَرَهْ
والبَحرُ إذْ يَهْدِرُ في رِقَّةٍ والدُّرُّ في مَوْجٍ لهُ طَهَّرَهْ

والشَّهْدُ إذْ يُقْطَفُ في رَحَةٍ مِنْ طِيبةِ النَّحْلِ الذي عطَّرَهْ
والقَطْرُ إذْ يَسْقُطُ في خِفَّةٍ قد تُنْعِشُ النَّبْتَ وما زَهَّرَهْ.
والحَظُّ مِنْ بَعْدِ غِيابٍ له والخِصْبُ في أرْضٍ بدتْ مُقْفِرَهْ
والشَّمْسُ في لُطْفِ الرَّبيع الذي قدْ كرَّمَ الشَّمْسَ بما استَحْضَرَهْ
والنَّاسُ والدُّنْيا بما أبْدَعوا مِنْ بَهْجَةِ الخُلْدِ لِمَنْ لم يَرَهْ
والعالَمُ التَّالي بإنْعامِهِ من بَعْدِ حِرْمانِ المُنى المُدْبِرَهْ
ما جَمْعُها سَاوى سِوَى ذَرَّةٍ مِنْ حُسْنِكِ المُفرَدِ كالجَوْهَرَهْ
لآسِرِ الفاتِنِ في عِزَّةٍ لا تُحْوِجُ الصَّبَّ الى مَغْفِرَهْ
يا جَنَّةَ الحُبِّ ويا خُلْدَهُ لا تَحْرِمي العاشِقَ مِنْ مَغْفِرَهْ

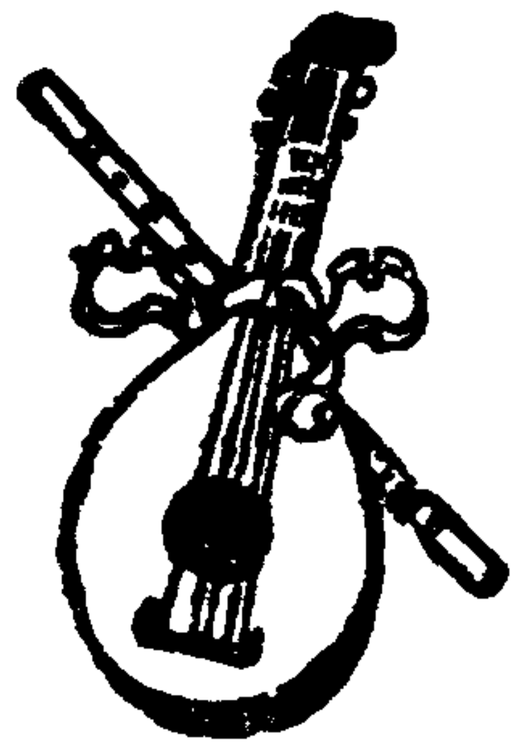

الراقصة

وَ هَبَتْ دولةَ (الفُنونِ) جَمالاً فَنَّها المنتمي الى كُلِّ فَنِّ

فاذا (الشِّعْرُ) دائماً في التفاتِ
لمعانٍ شرَحْنَ مَعْنىٰ (الحَيـاةِ)
قابِساً منْ بدائعٍ نيِّراتِ
كُلُّها عبَّرَتْ عن (الُحسْنِ) حتّى أمتعتْ هٰكَذا حنينَ التمنِّي !

واذا (العازِفُ) الموقِّعُ رانٍ
مُصْغِياً بيْنَ مستَمِدٍّ وحانِ
يُبْصِرُ اللَّحْنَ صامِتاً [1] في آفتتانِ
غيْرَ أَلحانِ عازِفاتٍ تُراعي رَقْصها صُحبةً بلحْنٍ ولحنِ !

واذا (النّاقِشُ) المُنعَّمُ ساهٍ
تارةً ، ثمَّ تارَةً في انتباهِ
في ظِلالٍ وفي ضياءِ الإِلٰهِ

---

(١) اشارة الى أن رقصها نوع من اللحن الصامت ، وهو غير ألحان الآلات المصاحبة رقصها بالعزف !

فهوَ[1] في (الُحسْنِ) ماثلٌ دُونَ شكٍّ
وهوَ في (الفَنِّ) واهِبٌ نُورَ عَيْنِ !
واذَا (النَّاحِتُ) المُشَوِّقُ يُبْدِي
مُعْجَباً شُكْرَهُ بِعَطْفٍ ووِدِّ
دارِساً ما تَبُثُّهُ دونَ حَدِّ

في تَنَنٍّ وفي خُفُوقٍ جَميلٍ مِنْ حُلِيٍّ لجسمِها المتَأَنِّي !
واذا مُهْجَةٌ لهٰذِي (الطَّبيعَهْ)
صقَلَتْها وكَوَّنَتْها بَدِيعَهْ
نَظَرَتْ نحْوَها وراحَتْ مُذِيعَهْ

في فَخارٍ صِفاتِ حُسْنٍ رَعَتْهُ مِلْءَ رقْصِ الوُجودِ، مِلْءَ التَّغَنِّي !
فارْقُصي وارْقُصي لهٰذِي الجُموعِ
وابْذُلي سِحْرَ وَحيكِ المتبوعِ
واذْكري انّه حليفُ الشُّيوعِ

في ربيعٍ، وفي نفُوسٍ، وشَتَّى مِنْ جَمالٍ يراكِ أجْمَلَ فَنِّ !

---

(١) أي الاله جل شأنه .

حسدتني في عذابي

أنشودة غنائية

حَسَدْتَني في عذَابي وخِلْتَ فيهِ نَعيمي !
فهلْ رَحِمْتَ شبابي مِنَ العذابِ الأَليمِ ؟!

***

أيُّ الحيـاةِ الهَنِيَّهْ اذا خلَتْ مِنْ حَبِيبي ؟!
فكلُّ أُنْسِ البَرِيَّهْ يَقْضي عليْهِ لهَيبي !

***

ما الحظُّ الاَّ تَناجٍ ما بيْنَ قلبيْنِ حَبَّا[1] !
فالكَوْنُ لهفانُ داجٍ اذا بكى القلبُ قَلْبَا !

***

رُوحي تُعاني وتَشْقَى وأنْتَ تلْهو بِظَنٍّ !
أموتُ وَجْداً وحَرْقَا فهل تَسَمَّعْتَ أنِّي ؟![2]

---

(١) حبا : أحبا .
(٢) أني : أنيني .

***

إِرْحَمْ وأَشْفِقْ عليَّ ! أُعْذُرْ وسامِحْ شَبابي !
فكلُّ جاهٍ لَدَيَّ لم يُنجِني مِنْ عذابي !

الدنيا

خُلِقْنا مَطَايا لِلْعُلَى نحوَ غايةٍ مَداها توانَتْ عنهُ أَحْلامُ حالِمِ
تُسيِّرُنا الدُّنْيا الى مأرَبٍ لها ونحْنُ بِرَغْمِ السَّيْرِ في نَوْمِ نائِمِ
و يسقطُ منَّا في الطَّريقِ كثيرنا ضَحَايا عناءٍ أوْ ضَحايا المغانِمِ
ورائِحُنا كالخاسِرِ العاثِرِ الذي تولَّى ، كلانا نادِمٌ بعد نادِمِ !
رأيْتُ عزائي في الحَياةِ تمثُّلي لِمَطْلبِها الأَعلى بجهدي الملازِمِ
وانقاذَ مَنْ حَوْلي كأَنّي أنا الذي يقودُ المُنى سَمحاً بتَوْفيقِ راحِمِ
فأَنْشُرُ رُوحي في الفضاءِ مصاحباً حياةً وآمالاً لهٰذِي العَوالِمِ
وأَرْفعُ أفهامَ الأَنامِ ليَهْتدوا
بما في الوُجودِ الرَّحْبِ خلْفَ الغمائِمِ

فيعرِفُ كُلٌّ أنّ في الـكَوْنِ نِعْمةً
وإنْ حُجِبَتْ عنْ كارِهٍ للعظائِمِ
وأعظَمُ دُنيانَا الجَمالُ ، فنُورُهُ
صلاحٌ وإحْسانٌ ونَشْرُ المكارِمِ
فقلْ لذي قدْ راحَ في النَّاسِ عاتِياً
خسئتَ فليْسَ المَجْدُ حوْلَ المظالِمِ
وإنك فانٍ لا سبيلَ لِخُلْدِهِ
فما اعتزَّتْ الدُّنيا بهذِي المآثِمِ
تدوسُكَ في السَّيرِ الطَّويلِ نِعالُنا
ونمضي على رُشْدٍ لآمالِ عالِمِ !
وقُلْ للَّذِي قد لَجَّ يبْغي خُصُومَةً
سَبيلكَ عنّي ! ما فخارُ المخاصِمِ ؟!
نَعيمي سلامُ الحُبِّ لا نارُ حِقْدِهِ
وحظّي بناءُ الخيْرِ لا جُهْدُ هادِمِ
وقدْ رَضِيَتْ نفْسي ببذْلي نفيسَها
لغيْري ، فهلْ تُجْزَى بِعُدْوانِ ناقِمِ ؟!

اذا حُسِدَ البانْي علِى شُهْرَةٍ لهُ
يَراها لزاماً في بِناءِ الدَّعائِمِ !
فماذا يُفيدُ الحَاسِدَ الشَّانِيءَ الذِي
لهُ الذُّلُّ في الحالَيْنِ أوْ مَوْتُ غاشِمِ ؟!
يظَلُّ النبوغُ الفذُّ جَذْلاَنَ باسِماً
وحُسَّادُهُ الأَغْرارُ رَهْنُ المآتِمِ !

الهام الشاعر

دفاع عن الادب المنتج

لا تَلُمْ شِعْرِي اذا حِسِّي بِشِعْرِي مَثَلاَ
أوْ تَظُنَّ الجُهْدَ إعجازِي فأَضْحَى مَثَلاَ
إنما (الشاعِرُ) للإلهامِ فيهِ امْتَثَلاَ
كُلَّ إبداعٍ وإنْتاجٍ يَعافُ الكَسَلاَ!

***

لا تَقُلْ ذَنبي ـ ولا ذَنْبٌ ـ ظُهُورٌ أوزُهُورْ (١)
(فالرَّبِيعُ) السَّمْحُ لا يبخل في نَشْرِ الزُّهُورْ (٢)
لا يُعادِي (الفَنَّ) في عَرْضٍ ولا يَرْضَى القُصُورْ (٣)
ومعانيهِ سواءٌ في كفُورٍ وقُصُورْ!

***

(١) تلألؤ .
(٢) النور ولا سيما نور الاشجار المثمرة (blossoms) ، وهو جمع وضمي مولد وقد ورد في « تاج العروس » .
(٣) العجز .

مِنْ حياتي وتجاريبي ورُوحي أستمِدُّ
غيْرَ عانٍ نَظْمَ دُنْيَا مِلْؤُها جزْرٌ ومَد
كُلُّ إكْثارِي قَليلٌ جَنْبَ حِسٍّ لا يُحَد
بمَجالي الكَوْنِ، والكَوْنُ مُصيخٌ لا يُرَدُّ !

***

إسْتَمِعْ وآعلَمْ بأَنّي لا أُجارِي أوْ أُغَالي
إنما طَبْعي وإلْهامِي بِغالٍ بعدَ غَال
إنَّ وجداني رهينٌ لمناجاةِ المَعالي
والمَعَالي تَرْفُضُ العَجْزَ، فنَبْتُ العجْز بال !

***

هذه (الشَّمْسُ) أناءَ اليوم في إعلانِ نُورِ
فاغْتَفِرْ ذَنبي اذا شِعْري أَبَى سَتْراً لِنُوري (١)
وبَدَا مِلْءَ آعتِدادي في سُمُوٍّ أوْ عثُورِ
ساطِعَ الإشْعاعِ مِنْ لُبّي ومِنْ ذهني الجَسُورِ !

***

(١) لفكري وعواطفي .

إنْ تَلُمْ جهْدِي وهَمِّي واشْتِغالي وانكِبابي
فلتَلُمْ مِنْ قَبْلُ شِعْري وسمائي وسَحابي
ولْتَلُمْ آلافَ ذَرَّاتٍ تجلَّتْ في خِطابي
مِنْ نُجُومٍ وهَواءٍ ورياضٍ وعُبَابِ!

***

لا تُصَدِّقْ أنّني أملكُ رَغْمَ الفِكْرِ نَظْمي
إنّه نَبْعٌ وإلهامٌ بلا ضَبْطٍ ونَظْمِ
غَيْرَ ضَبْطِ الوَحْيِ، والوَحْيُ اذا ما قلَّ يُظْمي
جائِشَ الشعرِ فما يرْضي بصَمْتٍ أو بكَظْمِ!

***

هٰكذا يَسْتأْهِلُ التقديرَ إلهامٌ لشاعِرْ
إنّه أصلٌ لما فاضَتْ بهِ هٰذي المَشَاعِرْ
والذي يَحْسَبُ في الإقلالِ حُسناً فيُفاخِرْ
ليْس بالأوّلِ في وَهْمٍ ولنْ يُلْفٰى كآخِرْ!

حرمة الماضي وحق العلم

الى عمدة المحققين الاستاذ الجليل أحمد زكي باشا

إنْ يَهْزأ (الغَرْبُ) الغيورُ بما بقي
فلقدْ رَددْتَ بمُشْرِقٍ عنْ (مَشْرِقِ)!

في كلّ آونةٍ لفضلِكَ آيةٌ سطعتْ بمجدٍ مُحقٍّ ومدقِّقِ
لا غروَ انْ بالغتَ في تنميقها مثلَ الجواهرِ منْ غرام منمِّقِ!
انّي المُقدِّرُ للحضارَة قدرَها
وعظائمَ (الغربِ) السعيدِ بها الشقي

وكذَا أُقدِّرُ للجدودِ مآثِراً يَبْلى الزّمانُ وذِكْرُها لم يَخْلَقِ
الحقُّ ليْسَ يلجُّ في انكارِهِ الاَّ الضّعيفُ المُرْتمي لا المُرْتَقى
مَنْ لم يُعظِّمْ للجدودِ جُهودَهُم فهوَ المحقِّرُ نفسَهُ في المَنطِقِ
وهو الملقِّنُ للبنينِ بجهْلِهِ درسَ التقاصُرِ لا دروسَ تشوّقِ
الصبْرُ أنْتَ مثالُهُ في مَبْحَثٍ والحقُّ أنتَ منارُهُ في مَرْمَقِ
تجري يراعتُكَ (الزّكيةُ) عَذْبَةً
بالفَضلِ جَرْيَ الجدْولِ المُتَرَقرِقِ

ومناهلُ الأَدب الجميل تخصُّها بنوافحِ الماضي الذِي لم يُسْبَقِ
وأراكَ في عُمر الأَصيل وانما عُمْرٌ يطول بَهْجَةٍ وبرَوْنَقِ
مِثلُ الصَّباحِ سخاؤُهُ وجَمالُهُ وله على الاصباحِ عطفٌ مُشْرِقِ
انْظُرْ اليهِ (١) كما تشاء وكنْ لنا مرآتَه تُوحي بأرْوَعِ منطِقِ !
مَنْ كان وضّاءً بعقْلِكَ لم يكُنْ يَعيا بارشادِ المحِبِّ المشْفِقِ
كلاّ ولا يَخْشاه طالبُ حجّةٍ أبداً ، ويَسترْضيهِ قلْبُ المتّقي
وكذا العليم مقامُهُ في أمّةٍ عرفَتْهُ يستعلي بحَظّ مُوَفَّقِ
وعلى الأَديبِ فُروضُ مفتونٍ به فاقبلْ تحيّةَ عاشقٍ لم يَلْتقِ
انْ أُرخصَ الشعراءُ تاجَ مديحهمْ فأنا الضَّنينُ بهِ لغيرِ مُحَلِّقِ
وأخُصُّ بالمدحِ العليمَ مزكّياً
سيّانِ في (مِصر) ودولةِ (جِلّقِ)
فالعلمُ قدسيُّ الحياةِ ، وأهلُهُ مثلُ النجوم — وانْ نأَوْا — لتألّقِ
هيْهاتَ يَجْحَدُها البصيرُ ضِياءَها
مهْما تحيَّرَ في الظّلامِ المُلْحِدِ !

(١) يعني الى الصباح أو عهد النهضة الاولى .

(٢)

برقية الاستاذ زكي باشا

قصيدتك فريدة في بابها ، وخليدة تتيه على أترابها، وتعزّ على طلابها ، وأنا أعلم الناس بأني والله لا أستحق هذه الدرة التي بزّتْ الدراري . فاقبل يابنيَّ وابن أخي شكر سميّك ما؟

المخلص

احمد زكى

(٣)

رد الشاعر

ناجَيتَ « بالبرْقِ » المُطيعِ فؤادَا
وجَميلُ طَبعِكَ كمْ يَنالْ مُرادَا
عفواً حكيمَ البَحْثِ قدرُكَ مدْحُهُ
فرْضٌ على جيـــلٍ بفضْلِكَ نَادُى
وأرى لآثارِ الجُدودِ تحِيَّةً
وأنا آبْنُ (مصر) فهلْ أُعَدّ جَمادَا ؟ !
عَلَمٌ بجودِكَ قد يَهِشُّ لهُ الثرَي
و (النيلُ) والزّهرُ الذِي يتَهادُى

وسكنتَ (**بالفسطاط**) أو بجوارِها
جِسْماً ورُوحاً باحثاً نقّادَا
والناسُ تحْسَبُ أنّ كُتبكَ وَحدها
تُعطيكَ عِلْماً للفَخارِ وزَادَا
وأنا أراكَ مُحَدِّثاً ومُسائِلاً
ما عزَّ منْ أجيالِ أمسِ وسادَا
فاذا شكَرْتُكَ عنْ شَبيبَةِ أُمَّتي
فلتمدْ شكرْتُ بشُكْرِكَ الأَجْدادَا !

(٤)

برقية الاستاذ زكي باشا

غلبتني بشعرك فلأُبمْنَّ بالجاحظ وابن فضل الله لشكرك عن أخيك وعمك ؟

زكي باشا

سليم مركيس

نَعاكَ يَراعٌ أم نعاك خطيبُ ؟ فكلُّ أديبٍ للأَديب قريبُ
وحيَّر أفهاماً بكَتْكَ كأنما لمثلكَ تهديدُ الممات يَخيبُ !

برغمي (سليم) أنْ أحاولَ راثياً
حِجاكَ وأن يُشجي الحبيبَ حبيبُ
وكان بودّي أن أموتَ مودِّعاً بودِّك، فالموتُ الهنيء يطيبُ !
وكنتَ عظيمَ الرُّوح تُنعِشُ هامداً
فهلْ انْ رثيتَ الميتَ ليس يُجيبُ ؟!
وأنّى لنا بالقوّة الآنَ ملؤُها
حياةٌ اذا ناجتكَ كنتَ تؤوبُ ؟ !
ويا ربما لم تُعْنَ حتى بصوْتنا فأنت بتقدير الحياةِ عجيبُ !
بذلتَ من المجهودِ كلَّ مُخلَّدٍ فأنتَ قصيٌّ بالنّوى وقريبُ
ويشهد فينا شاعرٌ مثل كاتبٍ ويُؤمن فينا عالمٌ وأريبُ
وتشْهد آثارُ المروءةِ يتمها بفقدكَ يُتمٌ للقلوبِ يُذيبُ
وتشهدُ آياتٌ تُجلّك مُبدِعاً بصيراً بأحلامِ النفوسِ يُصيبُ

يجدِّدُ رغمَ النّاقدينَ موفّقاً فيتبعهُ النُّقّادُ حينَ يُهيبُ
ويبتكر الاحسانَ في كُلِّ مطلبٍ
وانْ شابَ موضوعاً فليس يَشيبُ !

سَميرٌ ولا يُعييه شوقُ جليسِهِ ونادٍ لسلوانِ الهموم رحيبُ
وعُمدتُهُ الفكرُ السليمُ وذخرُهُ تألّقَ فتاناً وليس يُريبُ
فمتْ ياشهيدَ الفكرِ ميتةَ ناقمٍ على عالَمٍ فيه الذكيُّ جنيبُ !
لقد كنتَ فينا زائراً ثمَّ شاكراً
لما كنتَ تُسديهِ ! فكيفَ نُثيبُ ؟!
وما الفكرُ الاّ الجوْهرُ الفردُ ، انّه
على كل آمال الوجودِ رقيبُ !
وهيهاتَ أنْ يُرْثى ولوْ ظُنَّ ميِّتاً
فكَمْ في جُمودٍ موجِدٌ وخصيبُ !
فانْ نحْن أعطينا الرثاءَ دموعنا فأوْلى بمسكوبِ الرّثاءِ جديبُ
رُزئنا بفقرٍ مِنْ رحيلِكَ مثلما
كسبتَ ثَراءً ما أدّعاه غريبُ !

اسرة الأدب

ومن عَجَبٍ يُنْحي عليَّ لموْقفي
مع الحَقِّ من أهلِ الحُقوقِ (١) كبيرُ
ويُرضيه أنّي أغمطُ النّاسَ فضلَهمْ
وانْ كانَ فيهمْ عاجزٌ وصغيرُ
وما كانَ مثلي مَنْ يحقّر جوهراً اذا ما أحتواهُ في التراب حقيرُ
ولا أنا من يُعْلي كواذبَ حليةٍ اذا ما أقتناها سيدٌ وأميرُ
ولكنّني أستعذِبُ الحَقَّ وحدَهُ
ومثلي باقرارِ الحُقوقِ جديرُ
ولستُ أُبالي بالسؤالِ عن الذي حَمدتُ له ما يشتهيهِ قديرُ
فانّيَ فنّانٌ أُمجّدُ مَذْهبي وأعشقُ آياتٍ اليه تسيرُ
ولولا أبتغائي دَفْعةَ النّاسِ للهُدَى
وفاءً لمَا أرضى مُنايَ ظهورُ
فما المرءُ الا عاملٌ اثرَ قوّةٍ تسيّرُهُ للنّفعِ فهوَ أجيرُ
فمن عَبَثٍ هذا الفخارُ بضعفهِ ولو أنّني يومَ الوَفاءِ فخورُ

(١) يعني من رجال القانون .

فيا اخوتي في مطلب الأدبِ الذي
يُقدِّسه فوقَ الشعورِ شعورُ
ألا فاسمحوا أن تُنصِفوا كلَّ جهدكم
فيُكْرَمَ فيهِ ناقدٌ وشَكورْ
ولا تنظروا عندَ الجَزاء لشُهرةٍ فيا ربما لم يستَطِعْهُ شهيرْ
ولٰكنْ تغالَوْا بالمآثِرِ وحْدَها
اذا سطعَتْ ، انَّ المآثرَ نورُ !

القديم والجديد

لا تحسبنَّ من الغوايةِ خاطري أو تحسبنَّ الى الخيالِ رُجوعي
انّي أُقدِّسُ في القديمِ جَمالَه والى الجمالِ تحيتي وركوعي
وأرى الجَديدَ كذاكَ في أضرابهِ
شطرين بين مهلهلٍ وبديعِ
فاصفحْ لذوْقي إنْ تخيَّر تارةً
نُخَبَ القديمِ السيّدِ المتبوعِ

واذا بآونةٍ وأخْرى لجَّ في
ثَوَرَانِهِ بنظيمهِ المطبوعِ
و يَظَلَّ في الحالينْ أشْرَفَ مُنتِجٍ
ـ في نَهْجِهِ ـ الإِحسانَ للمجموعِ
قُلْ ما تَشاءُ من العيوبِ مؤنِّباً
أدبي ، ولا تَنْعَتْهُ بالمصْنوعِ !

البعثُ القاتل

جدّدتِ لي قلباً أُميتَ قتيلاَ !
أو ليسَ بِرُّكِ بالحيـاةِ كفيلاَ ؟!
فأعدتِ شعري للخفوقِ مُرنَّحاً بهواكِ يبعثُ للجمالِ جميـلاَ
و بعثْتِ كلَّ مشاعري من رَقدةٍ لبثتْ بنيرانِ الشقاءِ طويلاَ
وأذقتِ وجداني السعادةَ برْهةً مرَّتْ كما مرَّ النسيمُ عليلاَ
فنسيتُ عمراً بالتعاسةِ مُرْهَقاً ولَّى وأمّلتُ الهنـاءَ بديلاَ
ووصفتُكِ الوَصْفَ الذي مِنْ بعضهِ
تُهْدي الحسانُ لراحتي التقبيلاَ !

يُصغي له الشعراء بينَ مُتَتَّعٍ سُكراً و بيْن مؤمِّلٍ تأميلاَ !
و يصفّقُ الأدبُ الفخورُ لما بهِ من مُعجز الفنِّ الدَّقيقِ أصولاَ !
وأنا المقرُّ لوَحْيِ حبِّكِ دائماً فهل اعترفتِ بما منحتُ قليلاَ؟
ودّعتُ في عامِ الفراقِ شبيبتي وسعادَتي والعُرْسَ و الإكليلا
ورضيتُ موْتي للغرامِ ضحيةً
وأبيتُ لوْماً فيكِ أو تَعْليلاَ
واليوْمَ بعدَ سنين حُكْمٍ صارمٍ
ـ حُكْمُ العناءِ ولم يُصِبْ تَعديلاَ ! ـ
تتقدمينَ هوًى لنقْضِ قساوةٍ جبلتْ لما عانيتُ منكِ مثيلاَ
حتى اذا هنّأتْ قلبي فَتْرَةً جدّدْتِ بالهجر المَرُوعِ قتيلاَ !
وطرحْتِ أحكامَ الوَفاءِ بلا هُدًى
ورميتِ في وجهي الهوُى تضليلاَ !
والآن أكتبُ من دمي ومدامعي
هذي السطورَ مناحةً وعويلاَ !
أرثي بها حُسناً عشقتُ ولم أزَلْ
أهواهُ في موتي الأَليمِ بخيلاَ !
وأودِّعُ الحظَّ الذي لو خصّني بوفائه لرأى الوفاءَ جليلاَ

واهاً على الحُسْنِ العزيز يُذِلّهُ نَزَقٌ ويترُكُ قَدْرُه مبذُولا
وأسًى على شوْقي الجريحِ مجاوِراً
قلبى القتيـلَ مُضرَّجاً مَخْذولاَ !
قدَّستُ فيكِ أعزَّ ما أحببْتُه وعرفتُ فيكِ عبادةً وهُيُولَى !
وأظلُّ في نارِي أسامحُ داعياً لكِ بالنعيمِ مخلَّداً وأهولاَ !
كُلِّي فداؤكِ والعذابُ مكرَّرٌ مثلَ الفداءِ ولا عرَفتِ عذولاَ !

اخاء البيانه

(١)

الى الصديق الأوفى طبيب الشعراء وشاعر الاطباء

أطِلِّي واكشفي عنكِ القناعَا
فانَّ النفسَ قدْ ذَهبتْ شَعَاعَا
علامَ قد احتَجَبْتِ وأنتِ أدْرَى
بما كتَمَ المحِبُّ وما أذَاعا
عرفتُكِ يافِعاً في المَهْدِ حتى شأى في الدَّهْرِ منزعُنا وشاعَا

فلا تتهيّبي في الحبّ أمْراً فما في الحُبِّ من أمْرٍ يُراعَى
أعينيني على أمْري وصوني عهوداً لم أنمْ عنها اضطجاعَا
ومدّيني بعطفكِ إنّ نفسي قد اهتزّتْ من البينِ ارْتياعَا

* * *

فتاةَ الشعر هلْ لكِ من سبيلٍ الى الأبقِ الذي ملأَ البِرَاعَا
فتى مترصّنٌ فكِهٌ أبيٌّ يصوغُ المجْدَ عفواً وابتِداعَا
اذا ما جئتِ ساحتَهُ اطْمأنّي فقد أدركْتِ حَجًّا مُستَطَاعَا

طبيبُ القوْمِ إنْ مَرِضوا (وشادٍ)
اذا صَحُّوا وأكرَمُهم طِباعَا

فيا عجباً لآسٍ عَبقريٍّ وشَهْمٍ طالَ في العظماءِ باعَا
يُريك من الحَصافةِ كلَّ معنًى ومن آياتِ سؤدُدِهِ اختراعَا
اذا مَرِضَ القريضُ مشى اليه فقوَّمَ منهُ ركناً قدْ تداعَى !
أراهُ وقدْ تنقّلَ من مصيفٍ
لآخرَ، بُلبُلاً ألِفَ الرِّباعَا!

أقمنا في (السريسِ) على وَفاءٍ
ولم نَشْكُ الرَّحيلَ ولا الزَّمَاعَا

وكنتُ أراهُ يَعطفُ نحوَ شَخْصي
فيدرِكُ ما أُكابِدُهُ التياعَا
يخففُ مِنْ لواعج ما أُعاني ويدفَعُ عادِيَ الدَّهْرِ ادّراعَا

***

(**أباشادى**) ! سلامُ اللهِ . . إنّي
هجرْتُ كهجرك اليومَ البقاعَا
تركتُ هناكَ فتياناً سِماحاً وخلّيتُ المآرِبَ والمتاعَا
وها أنا ها هُنا أقضي حياتي
(**برأس النبع**) لا ألقى « صِراعَا »
فهاتِ مُحدِّثاً عنْ (**بُرْسعيرِ**)
أجِئْك بما أراهُ هنا مُشاعَا
لا تجعل (**لفرديناند**) ذِكراً
(**فشمبليوده**) كانَ هنا مُطاعَا !
وذكرنا بنهضةِ (**مصر**) وانظمْ
عقودَ المجدِ والأدبِ اجتماعَا !

الاسكندرية في ٩ فبراير سنة ١٩٢٦ م

المخلص
محمد فضل اسماعيل

(٢)

عزيزي فضل افندي :

شكرتُ (**تفضلك**) الأَدَبَ المُذَاعَا
ولولا السُّقْمُ لم أُلقِ اليَراعا
فخيرُ هديةٍ أدَبٌ وَدُودٌ لذِكرِ ولادتي يَهَبُ الشُّعاعَا(١)
وخيرُ البُرْءِ منْ هَمٍّ دَفينٍ حَنانُ الشّعر يبتسمُ ابتِدَاعَا
بعثتَ به الوفيَّ فقلتُ أهلاً
ومِثلَ شَذَا الأَزاهِرِ حينَ ضاعَا (٢)
فلم أعتبْ عليهِ لأنَّ حبّي لشعر الودِّ أنْ ضي مُشَاعَا
ولكنّي أُعاتِبُ في ثناءٍ غلوّاً في المديحِ أو اندفاعَا
ويكفي في بيانِ صميمِ ودّي وتقديري بياناً واختراعَا
شُعوري بالأديبِ وإنْ تَنَاءَى كفني رحمٍ يُبادِلي الطِّباعَا (٣)

المخلص

أحمد زكي أبو شادي

بور سعيد في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٦ م

---

(١) اشارة الى صبح عام جديد في حياة الشاعر حيث ولد يوم ٩ فبراير سنة ١٨٩٢ م .
(٢) اشارة الى نشر فضل افندي قصيدته .
(٣) في هذا البيت يعزز الشاعر عقيدته ووفاءه الأدبي المتمثل بقصيدته « اسرة الأدب » .

المؤتمر الوطني

١٩ فبراير سنة ١٩٢٦

حاشايَ أن أدعو الديارَ ديارِي وأخونَ في يومِ الوفاءِ شعاري!
شعري الأَحقُّ برَوعةٍ صدّاحةٍ يومَ الوئامِ الدافقِ المدرارِ
كانَ الوَحيدَ مجاهداً في دعوةٍ لتآزُرِ الإِخوانِ والأَحرارِ
بينا المساعي كالجداولِ ضَيْعَةً فاذا بها اليومَ الأَتيُّ الجارِي
لِمَ لا أُغرّد ضاحكاً في غضبتي ؟
لم لا أسيرُ بطلعةِ الثُّوّار ؟ !
الشاعرُ المطبوعُ قائدُ قومهِ بالفكرِ والإِلهامِ والآثارِ
في كلّ بيت لي نوازعُ حكمةٍ وعواطفٌ تفترُّ عنْ أنوارِ
لستُ الفخورَ ـ وانْ فخرتُ ـ فانّني
طَوْعُ لنَهْضة أمّتي بفخارِي !
والذكرُ ينفعُ مَنْ أساءَ لقوْمهِ متفنّناً في اللّهوِ بالأشعارِ !

***

هأني بناتِ الشعْرِ كلَّ سنيةٍ في حالِ تَهنئةٍ وحال عِثارِ !

يلقى بها الأَخْيارُ بعضَ جزائهم
شُكراً ، ويخْشاها الرَّدَى المتواري
فترِفُّ باسمةَ الضياءِ لطيفةً للصَّحْبِ ، قاسيةً على الفُجَّارِ
نورُ الهُداةِ العاملينَ لشعبهمْ ولغيْرِهم أبداً شُواظُ النَّارِ
هاتي ! فهذَا العيدُ يومُ ولادَةٍ للرأي والإخلاصِ والاقرار !
هاتي ! فهذا مأتمٌ لمصائبٍ عمّتْ بفرْطِ تخاذُلٍ وصَغار !
والقِمَّةُ المرْهوبُ مصعدُها كما
يخْشى عواقبَها الجريءُ الزَّاري !
يوْمٌ له حَظَّ النقيضيْنِ ، فيا للهِ بيْنَ بنايةٍ ودمارِ !

***

قُوموا بني وطني لصَوْن سيادة لشعورِكم منْ رِبْقَةِ الجبَّار !
قوموا بِعزَّةِ مَنْ يُجلُّ حُقوقَه وضميرَهُ ويَعِفُّ عندَ الثَّار !
لا تحْسَبوا انَّ الحيـاةَ بِرَقْدَةٍ انَّ الحَيـاة منارُها كمَنارِ !
لا يستريحُ اذا المصائبُ داهَمَتْ
بتلاعبِ الأمواجِ باءَعمـارِ
فيظلُّ دَوّاراً بنورِ هِدايةٍ وكذا الحيـاةُ بمهدِها الدَّوّارِ

أنتم دليلُ مصيرِها ومآلهـا وشُبُوبها ، ولها الزّنادُ الواري
لا تُثقِلوا بالتَّرْكِ عبءَ زعامةٍ انَّ الزَّعيمَ يسودُ بالأَنصارِ
أو تحفِلوا باليائسينَ ووهمِهمْ فاليأسُ موتُ الصَّبرِ والصبَّارِ
ما أبسطَ الحقّ الصَّريح وانْ يكنْ
ينساهُ عندَ الوَهم عقلُ السَّارِي
هيهاتَ تفلحُ بالتطاحُن امةٌ أوْ تَستعزُّ كرامةٌ بشِجارِ(١)
واذا الرجالُ تَشاحَنوا وتكبَّروا
جُوزوا بحكم الدَّهر مثـل صِغارِ
يَهْوُونَ صَرْعَى في التراب وعندَما
يَهْوُونَ تهوي دَولةٌ لبَوارِ!
والحكمُ شورَى انْ رأيتَ رُسوخَه
فهي الضمينةُ دائمـاً لقَرارِ
والفرْدُ والجبْروتُ ليسَ كلاهما
الاّ سلالة مُظلمِ الأبصارِ
كالبومِ يَختارُ الظَّلامَ لعُشِّهِ فاقضوا على ايثارِه المختارِ
وطنٌ (كوادى النيل) تضحك شمسهُ
ونجومهُ أوْلَى بكلِّ فخارِ!

(١) بمشاجرة .

وبصادِحِ الأَطْيارِ - رمزُ سلامِهِ
وهنائِهِ - لا ناعبِ الاطيارِ

فليَحْيَ هٰذا اليومُ ذكرى وثبةٍ للنُّورِ والآمالِ والأَزْهارِ
شبَّ التضامنُ فيهِ جِدَّ موفَّقٍ في طَفْرَةِ الغلّابِ للأَقدارِ !
يأبى إباءَ الحرِّ موْتَ دعارَةٍ ولربَّ عيْشٍ فيه موْتُ العارِ
مستهْزِئاً بالظَّالمينَ محقِّراً ذمماً كحالِ السُّوسِ في الأَشجارِ
تخذَ الحقيقةَ في أعزِّ زُهورِها علماً يَشقُّ حصينةَ الأَسوارِ
ولطالما خشيَ الحقيقةَ باطشٌ واهتزَّ رغْمَ الجحفَلِ الجرَّارِ
واللهِ أنهْ ما أردْتُمْ ، حظُّكُمْ بصلابةِ التَّدْبيرِ لا الإِدْبارِ
فاذا وَزَنتُمْ للمواقِفِ جُهدَكمْ فُزتُمْ ولوْ فوْقَ الشِّفيرِ الهارِي
فالحقُّ عوْنٌ في صميمِ وفائِهِ ان لم يذَرْهُ تبايُنُ الأَوطارِ
فيمَ التخاذُلُ ؟ ما الرجاءُ وكلُّكمْ ذاكَ الجريحُ بسيْفِهِ البتَّارِ ؟!
تركَ العدوُّ لكُمْ مجالَ خصامكُمْ سَمْحاً ومهَّدَ باسْمِ الاستِعمارِ !
ودعا لكمْ منْ قلبهِ بتشاحُنٍ يبقى على الأَجيالِ والأَدْهارِ !
ولقدْ مَضَى جيلانِ في هذَيانكمْ ومدامعٍ كالوابِلِ المِدْرارِ !
كانتْ ختامَهما مناحةُ أُمةٍ بجراحِ كلِّ مظفَّرٍ قهَّارِ !
منْ سيفِهِ المكسورِ لا منْ خِصمِهِ وغرورِهِ والوهمِ والايغارِ !

فلتُدفَنْ اليومَ البقايا كلُّها لسنينَ آلامٍ رحلْنَ عوارِي
أو فلندعْ همَّ البــلادِ وشأنَها
لنساءِ (مصر) فلسن للاخدارِ !

***

حُييتَ (مؤتمراً) ـ تَجَمَّعَ باسمِهِ
نُخَبُ الرّجالِ ـ وندوةَ الأَخيارِ !
متباينين منازِعاً وعواطِفاً
وموحدِين (بمصر) في الاقطار
لا يجهلونَ مقامَها وجلالَها رغمَ الزّمانِ الخائنِ الغدّار
ويحققّونَ على التعاوُنِ نفعَها متجاهلينَ تباينَ الأَفكار
المرءُ المجموعِ في غاياتِهِ فعلامَ قُبحُ تنازُعٍ وشِرارِ
مثل السفينةِ لا يسوغُ لأَهلِها طَرْقُ النّزاعِ بموْقفِ الأَخطارِ
لا شيءَ في الدُّنْيا الجديرُ بضَجّةٍ ـ
الاَّ هَوَى شرف ـ وخوْضِ غمارِ
ومن البليّةِ أنْ تُسَخِّرَ أُمّةً نَكِراتُها بوزارةِ الأَوْزارِ !
الأَمرُ جِدٌّ والمخاطرُ جَمّةٌ للحزْمِ لا لمجالس السُّمّارِ
والعَهْدُ للصَّبرِ العظيمِ وقوّةٍ مِنْ يقْظَةٍ لا نشْوةِ الإِسكارِ

وصفاءِ أفئِدَةِ الذِينَ اليْهمو نجوُى القلوبِ بساعةِ الإِصدارِ
والآنَ حانتْ ! أي نعمَ حانتْ ! فلا
تتردَّدُوا في وُجهةِ التيّارِ !
نادوا (بمصر) اذنْ لترْفعَ رأسها
بينا الجنيبُ يُصابُ باذْعارِ !
نادوا أبيَّاتِ الفضائل كلَّها لترد سَطْوَ سوائمٍ وَضَواري !
نادوا الحصافةوهي ركنُ ممالكٍ لتقولَ قولةَ حاكمٍ أمَّارِ !
نادوا القناعةَ كي تعلم شعبنا انَّ التحاسُدَ صنوُ الاستهتارِ !
نادوا حُفاةَ (النيل) قوّةَ أهلهِ أنْ ينزعوا المذْمومَ منْ أطمارِ !
نادوا الذي دَفعَ الضَّريبةَ جازعاً
لشجاعةِ التقديرِ والإِنكارِ !
فاذا أُجِبتُم - والجوابُ مُحقَّقِ -
فلكم صحائِفُ نهضةٍ للقاري !

هبة ركفلر

عشرة ملايين من الدولارات لاقامة متحف أثري فخم وانشاء معهد للابحاث الاثرية في القاهرة

قال الدكتور (برستد) : ان الذي حمل مستر (ركفلر) على تقديم هبته الكبيرة هو ان العالم بأسره ـ والعالم الجديد بصفة خاصة ـ مدينان لمصر بدين ثقيفي ظهر ازدياد جسامته بالابحاث الاثرية والعلمية الخارقة للعادة التي جدت في السنوات الاخيرة .

هِبَةُ العظيم الى العظيمْ وهديةُ الكرمِ الصميمْ
مِنْ سيّدِ المالِ (١) الجسيـ ـمِ لموْطنِ الأثرِ الفخيمْ
مِنْ عالَمِ الحذْقِ الجديـ ـدِ لعالَمِ الفنِّ القديمْ
مِنْ مُحسنٍ (٢) احسانُهُ أبقى من الجدِ المُقيمْ
مِنْ مُصلحٍ يكفيهِ أنْ يُدْعَى (بركفلر) العظيمْ
عرفَ الشقاءَ بنشأةٍ في البؤسِ والحظِّ العديمْ (٣)

---

(١) يعد (ركفلر) أغنى أغنياء العالم . وقد قدرت ثروته في سنة ١٩٢١ م بلغت ٨٤٠ مليوناً من الجنيهات !

(٢) حسب ما أنفقه (ركفلر) في البر والاحسان فكان زهاء مائة مليون من الجنيهات !

(٣) نشأ (ركفلر) نشأة البؤس والضنك الشديد ولم يبلغ غناه الحاضر الا بعلو همته وحسن تقديره الفرص التجارية والصناعية وحسن انتهازها . ولفظ (ركفلر) صوتاً معناها « قاطع الصخر » .

وبنى الحيـاةَ بهمةٍ غلاّبةِ الصعبِ الجسيمْ
حتى استوى فوقَ العرو شِ بقوةِ العقل الحليمْ
لا بالخداعِ المستبا حِ ولا بإرْهاقٍ ذميمْ
مستثمراً كنزَ الطبيـ ـعةِ واهبَ الكنزِ العميمْ
يَذَرُ الملايينَ الكثيـ ـرةَ للحضارةِ والعُلومْ
ولمحضِ خيرِ الناسِ والـ إصلاحِ والأملِ المَرُومْ[1]
ولو استطاعَ لملّكَ الـ انسانَ تسخيرَ النُّجومْ !
رجلٌ ولا كلُّ الرّجا لِ بصدْقِهِ الجمّ الحميمْ
تعريفهُ : شَرَفُ الغِنى بالجودِ لا اليُسْرُ العقيمْ
عيشُ البساطةِ حظُّهُ ونَباهَةُ القصْدِ النديمْ
متدَيِّنٌ بالنفْعِ لِلـ ـبشرِ اعتقاداً عن علمْ

---

(١) أعلن أن هبة المستر (وكفلر) لمصر « ليست الا حلقة من حلقات خدمة الانسانية التي يرمي بها الى محو وجوه النقص الكبيرة في أنحاء العالم بأسره . وما مكافحته الحمى الصفراء الى درجة التغلب عليها في امريكا الجنوبية والوسطى ، وما الحرب التي شهرت على الارواء الفتاكة التي تهدد الجنس البشري وما انشاء مدرسة طبية كبيرة في الصين وتشجيع معاهد التعليم في الولايات المتحدة وأوروبا ، وما لسير (ريمنس) و (فرساي) و (فون تنبلر) بعد الحرب — ما كل هذه الاعمال كان من الميسور قيامها في عالم الوجود الا بفضل المساعدات المالية التي قدمها لها مستر (وكفلر) » .

طَوْراً لصحتهمْ وآ ناً لفقيرِ ! واليْتيمْ
ويُعمِّرُ الأقطارَ مَدْ فوعاً بانصافِ الظليمْ
بينا الحُروبُ تُبعثرُ الـ أشلاءَ بعثرةَ الهشيمْ!
يسعى لتضميدِ الجرُو حِ ولاَ يُبرّر أيَّ ضيمْ
ويكافحُ الأمراضَ والـ أوهام بالجُنْدِ السليمْ
ومعاهدِ البحثِ القوي مِ لنُصْرةِ الرأيِ القويمْ
في كلّ أنحاءِ البقا عِ له مَبَرّاتُ الكريمْ
واليومَ يقْرِنُ فضلَهُ في (مصر) بالفضلِ الحكيمْ
لدارسةِ التاريخِ في مهدِ الحضاراتِ الوسيمْ
والحفْرِ والتنقيبِ عنْ فخرِ القرونِ المستديمْ (١)
وليُنقذَ المصريَّ مِنْ عقْبى تخاذلِهِ الوخيمْ

***

حُييتَ يا ملِكَ المُلو كِ (٢) وعشتَ كالربِّ الرحيمْ

---

(١) يقال لغة : استدام الطائر أي علا في الهواء ، ومجازاً هنا بمعنى الطائر الصيت . والوسيم : الجميل .

(٢) يقصد (وكفلر) ملك البترول ، وقد أصبح للبترول بعد أعظم قوة مسيطرة على مآل العالم .

حُييتَ من هادٍ يدلُّ ـ الناسَ حقًّا للنعيمْ !
ما أحسنَ الدنيا بهِ ـ رِّ، مذ نأى حَلَّ الجحيمْ !
وعنايةُ الإنْسانِ بالـ ـانسانِ دِينٌ العظيمْ !

العزاء الكبرى

في سنة ١٦٦٧ م كان النقاش المثال الاسباني (ألونسو كانو ـ Alonso Cano) يحتضر ، فقدم له القسيس الصليب وعليه مثال السيد المسيح مصلوبا ، ولكنه كان مصنوعاً صنعاً قبيحاً ، فأشاح الفنان بوجهه عنه كرهاً لتشويه الفن ، فدخل القسيس وقال له : ماذا تصنع يابني ؟! ألا تدري ان هذا مثال مفتدينا الذي نرجو بواسطته وحده الخلاص ؟ فأجابه (كانو) : هذا ما أعتقده ياأبي ، ولكن لا تغظني بهذا الشيء المشوه !... أعطني صليباً بسيطا وأنا أرى عليه بين عباقي مثالا جميلا !

* * *

فَبَذْتُ عَزَاءَ هامَ غَيْري بِنَفْسِهِ ... وآثَرْتُ أنْ أحيا الحياةَ غبينَا
شآني (١) جَمالٌ في الوُجودِ مُعَزِّياً
وعِفْتُ غِنًى يُرْدِي الغَنِيَّ دَفِينَا

(١) شآني : أعجبني .

كما يُؤثر الصَّدَّاحُ جِيرَةَ جدوَلٍ
ويَأبَى حياة في « النعيمِ » سجينَا
وأرفضُ طِبّي من يَدٍ لا تَشُوقُني
بِطُهْرٍ ، وإنْ عُدَّ العزُوفُ جُنونَا!
طَبِيعَةُ فَنَّانٍ يَرى الحُسْنَ دِينَهُ
ولو كانَ وَهْماً دَيْسَقاً (١) وظُنونَا
وأحسَبُ فَقْرِي عارِضاً، دُونَ منزلي ،
وَهيهاتَ أغدو من أذَاهُ حَزِينَا
ولكنّني أشْجَى بفقدَانِ نَفْحَةٍ من الحُسْنِ تَسْقِيني النّعيمَ فنُونَا
فدَعْني سعيداً في تَصَوُّفِ مُهْجَتي
ولا تَرْجُ لي غَيْرَ الجمالِ فتُونَا
وقدْ أرْفُضُ الجَنّاتِ إنْ كانَ قائِدِي
اليها مُسيئاً للجَمالِ خَؤُونَا!
كما رَفَضَ المثّالُ (كانو) شفاعةً
برَمْزِ صليبٍ كادَ يحقِرُ هُونَا!

---

(١) الديسق : بياض السراب .

رأى السَّيِّدَ الفادِي عليهِ مُشَوَّهاً
فماتَ وماتَ الفَنُّ فيهِ شُجُونَا !
فآثَرَ إعْرَاضاً وقالَ مُعاتِباً : بِحَسْبِي صليباً في الجَلالِ مَصونَا
فَخَلَّى عنِ القُبْحِ الشَّنِيعِ فكانَ لي
عزاءً بموْتٍ لا أراهُ شَطُونَا (١)
وحسبي خيالي مُسْعِفاً في تَصَوُّرِي
عليهِ (٢) مثالاً للمسيحِ مُعِينَا !
أراه جَمالاً منْ جَمالِ محبَّتي ولا خَيْرَ في قُبْحٍ يسوءُ مُهِينَا

***

كذلِكَ حالي في الحياةِ وفي الرَّدى
أرى الكَوْنَ في ظِلِّ الجمالِ ثمينَا !
وتهتاجني الآلامُ لكِنْ أسيغُها
اذا نِلْتُ مِنْ عطْفِ الجمالِ حَنِينَا !
وأُعْرِضُ عنْ صَفْوِ العَزَاءِ اذا بدَا
خصيماً لفَنٍّ صارَ عِدْلِيَ دِينَا !

---

(١) شطونا : بعيداً .
(٢) أي على الصليب .

إذا الكونُ عادَى الفنَّ صارَ فناؤُهُ
حلالاً ، وكانَ العيشُ فيهِ أنينَا !
عزاءُ الورَى نَفْحُ الجمالِ ، فانْ مضى
فهيهاتَ أنْ تبقى السَّعادَةُ فينَا !
تبلبلتْ الأحلامُ بالوهمِ بينما أبى الحسنُ الاَّ أنْ يظلَّ أمينَا
بخيلٌ على مَنْ عاشَ يُصغِرُ ملكَه وليسَ على الرَّاجي حِماهُ ضنينَا

على غير رضاك...

قالتْ : « أُقبّلُ مِنْ حزينٍ جوارحي
مرآكَ ... لا أرْجو[1] جميلَ رضا كاَ
نُبِئْتَ أنّي قدْ خدَعْتُكَ ... ليتني
قدمتُ قبلَ ملامِ مَنْ تَهْوا كاَ ! »
فأجبْتُ : « يا أملَ المعذَّبِ دائماً
حظّي مضى وقضى بأنْ نَتشاكى ! »

(١) لا اؤمل .

ما كُنتُ أطمعُ في حنانِكِ باقياً
ولتعذُري قلباً بكاه وباكى[1]!

لِمَ لا يُصدِّقُ كلَّ همٍّ مُنذرٍ
وهوَ الذِي عانَى الهُمومَ شبَاكَا؟!

ويظلُّ مغتربًا بحالِكِ حالِهِ
لا بِدْعَ انْ صَرْفُ الحوادِثِ حاكى!»

قالتْ: «فصدِّقني وحسبُكَ عاتباً
ظُلماً، وقبِّلْ لي بحقِّكَ فاكَا!

إنْ كنتَ ترفُضُ قُبلتي فلدَيكَ في الـ
ـمِرآةِ ما أهوَى وَما أرضاكَا!

أنت الوفيُّ - ولا أشكُّ - فنظرةٌ
لكَ منكَ، أو قُبَلٌ، تصونُ وَفاكَا!»

---

(١) وناه بكى منه.

جنوح عاشقة

في مرض حبيبها

جلستْ ونافذةَ[1] الضياءِ حزينةً
تبكي فأبكتْ للضياءِ رَميلا

وتدفقَ الصدْرُ الحنونُ عواطفاً بخفوقهِ تذرُ الجمادَ عليلا
ورنتْ لكلِّ سحابةٍ قمريةٍ مرَّتْ والبدْرِ الأسيفِ طويلا!
وتأملتْ صُوَرَ الظلامِ ولم تدعْ وهماً تناشد عونَه مسؤولا!
وهنيهةً حسبتْ تلألؤَ كوكبٍ نبأً أتاحَ بهِ الغرامُ عجولا!
وبساعةٍ أخرى تخالُ زُهورَهُ دمعاً وتحسبُ للنسيمِ عويلا!
بينَ الرجاءِ وبينَ كلِّ مؤرقٍ يدعُ الرجاءَ معذباً فقتيلا
وأقلُّ همسٍ قد تخالُ نملةً[2] أو دعوةً تهبُ السرورَ جميلا
فتبلّلُ المنديلَ بينَ مدامعٍ خوفاً وبينَ مدامعٍ تأميلا
تتلاعبُ الساعاتُ غيرَ رحيمةٍ بشبابها وتردّها تضليلا
لا النومُ يعرفها بليلةِ همّها والنومُ في الأشجانِ بئسَ خليلا

---

(١) الواو هنا واو المعية .
(٢) النملة : ما يتململ به .

كلاّ ، ولا أدْنى الهدوءِ وربما عندَ الهدوء ترى الشقاء ثقيلاَ
حتى تملّكها النعاسُ برغمِها بعد العناءِ ، ولا أقولُ بديلاً !
فاذا بأحلامِ الهمومِ حيالها بعد العيانِ مثيلةً ومثيلاَ
وأتى الشروقُ مبدّداً لظلامها برسالةٍ رَفَّتْ لها تقبيلاَ
حَمَلتْ لها بُشرى الحياةِ وردّدَتْ عذباً منَ الحبِّ الوفيِّ نبيلاَ
وأمينَ ما يهبُ الوَفاءُ منَ الأُسى
أنّى تلمّسَ للعزاءِ سبيلاَ
فتبدّلتْ من ظلمةٍ في يأسها قمراً لآمالِ الحياةِ دليلاَ
سبحانَ مَن جعلَ المحبةَ نقمةً تُشقي وحظّاً بالنعيمِ كفيلا !

التقدير الباقي

واذَا الوداد دعا الصّحابَ لخلقِ
لبستْ منَ الانسِ الجميلِ نضيرَا
واذا الهوى المُوفي[1] فقدْ يُوفي معا
شرفٌ يزيدُ[2] لربِّهِ التّقديرَا

---

(١) الموفي : المعطي الحق (٢) يزيد : ينمي .

ما كانَ تقديرُ الرجالِ بمظْهرٍ حتى ولو كانَ الزمانُ ظهيرَا (١)
كلاَّ ولا كانَ الكمالُ بنشْوةٍ لكنّه مُلكُ النزيهِ كبيرَا
يتطلّعُ القومُ الصغارُ لقدرهِ (٢)
وهوَ الكفيلُ بأنْ يُعينَ صغيرَا
فلكلّ نفسٍ حقُّها من نهضةٍ لو أنّها تأبى الوجودَ حقيرَا
وأجلُّ ما يُهْدِي الخليلُ لخلّهِ نُصْحاً بأنْ يلقَى الحياةَ بصيرَا
متحاشياً شبَهَ الأنامِ ودائباً فيما يُعِزُّ كرامةً وشعُورَا
فيدومُ قِبلةَ مَنْ يجلُّ ودادَهُ ويعيشُ بالخُلُقِ العظيمِ فخورَا
واذا أتى يومُ الوداعِ تخلّفتْ شِيَمٌ تُرَدّدُ فضلَهُ المأثورَا

---

(١) ظهيراً : معيناً (٢) الضمير عائد الى النزيه .

نقلة "الزهراء"

انتقلت « الزهراء » الى دارها الجديدة بشارع الاستئناف بالقاهرة ، وهذه الدار كما يعلم جمهور الادباء تاريخية فى نشأتها الأدبية حيث كانت مقراً لصحف ومجلات شتى تعهدها بالرعاية الأدبية والمادية او أنشأها فقيد الصحافة العربية والمحاماة والوطنية المغفور له الاستاذ محمد أبو شادى بك ، وكانت منتدى لصفوة أهل البيان فى ذلك الوقت . فدفعت هذه الذكريات الشاعر الى نظم هذه الأبيات الوجدانية وبعث بها الى صديقه محرر « الزهراء » ، ويلى هذه القصيدة رسالة وفاء وأدب من الاستاذ محب الدين الخطيب ورد الشاعر عليها تنويهاً بفضل صديقه الأديب الغيور.

***

(١)

جدّدتَ (للزهراء) فجرَ شبابي
وأعدتَ لي صُوَراً مِنَ الأحباب
قَسَماً (مُحبَّ الدين) مِثْلُكَ أُنْسُهُ
يُنْسِي عديمَ الحظِّ كُلَّ مِطلاَبِ

بالأمسِ كنتَ مذَكّري بطفولتي
في مجمعِ العرفانِ والآدابِ !
واليومَ تذشرُها حياةَ غضةً
في مَعْهَدٍ جدرانهُ أولى بي !
لي فيهِ أعوامُ البيانِ حفيلةً
بمُنىً وأحلامٍ صَدَقْنَ عذابي
وماثرٍ للكاتبينَ عرفتُهمْ
كلٌّ بقدْرتِهِ العزيزِ الآبي
قد كانَ مدْرسةَ الصحافةِ وقتَه
وأبَ البيانِ الباذخَ الاحسابِ
وحظيرةَ الأدَباءِ تجمعُ شملَهمْ
ومَباءَةَ الاعلامِ من كُتّابِ(١)
عنهمْ عرفتُ الفنَّ يُعشَقُ فاتناً
وعرفتُ كيفَ تساندُ الأصحابِ
ولو استطعتُ اليومَ نقْشَ فخارِهمْ
ما كانَ يكفيني فخارُ كتابي !
لم يُسعفوا الأدبَ المَهيضَ فحسْبُ بلْ
رفعوا (لمصر) منارةَ الطُلّابِ !
ومَضَوْا ضحايا لم ينلهمْ مَغْنَمٌ
الأحياةُ الذكرِ في الأحقابِ

---

(١) حظيرة الادباء : ملجأهم المنيب . يقال حظيرة القدس أي الجنة ـ والباءة : المنزل .

والآنَ أنتَ على غِرارِ[1] نُبوغهمْ
تأتي فتفتحُ مُغْلَقَ الأبوابِ
خُلُقُ الكريم المستعزّ بفضلهِ
وبنهْضَةِ الأخْلاقِ والأَلبابِ
جِيلٌ مضى بأبي ولُخبةِ عصرِهِ
وتعودُ أنتَ أخاً يَزينُ شَبابي

(١) غرار : مثال . يقال هم على غرار واحد أي متماثلون .

القاهرة في ١٤ شعبان سنة ١٣٤٤ و ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٦

سيدي الأستاذ المبجل الكبير

اسمح لي أن أشكرك من صميم فؤادي عطفك على "الزهراء" وصاحبها بنظرتك ذات البدائع، وسأنشرها لما فيها من تخليد ذكريات مقدسة ستحمل لدار الطبعة السلفية الجديدة مقاماً عندي فوق مقام المنزل الذي فيه وُلدتُ ونشأتُ واستنشقتُ عبير الحياة في بدايتها. أما حُسنُ ظنك بأخيك هذا العاصي الصغير فجعلتُ عن نظرة بعين الرضا، وهي عينٌ كُرمتُ عن أن ترى ما في من عيب. جعلها الله قريرة بالسعد، وجزاك عني خيراً

وأقبل فائق احترام المخلص

(٣)

شكراً لشكرِكَ يا (مُحبَّ الربى)
ولو أنّه قد زادَ دَيْنَ مَدِين !
مَنْ ذَا بِخُلقِكَ في جلالةِ بِرِّهِ بالوطنَيْنِ[1] وفي جَمالِ حَنين ؟
متواضعٌ يهبُ الأنامَ جهودَهُ وسخيُّهمْ بجزائِهِ كضنين !
مضتْ السّنونُ عليهِ في استبسالِهِ
ويظلُّ لا يعيا بِمَرِّ سنين !
ومحرّرٌ للباحثينَ ولاحِجا وعلى دَفاتِرِهِ شبيهُ سجينِ !
جرتْ اليراعةُ عن دِماءِ شعورِهِ[2]
جَرْيَ الرّسالةِ عَنْ نبيٍّ يقينِ !
تمضي ويشقى في سبيلِ ذُيوعِها
وهُداهُ بالعقبى أبَرُّ ضمينِ !

---

(١) بني مصر وسوريا .
(٢) الاستاذ محب الدين الخطيب شغف بالكتابة بالمبر الاحمر .

تخفيف العبء ...

سرقة لعثمان باشا الأعصر

أضخم صفقة في العالم

أيُّ « الأعاصيرِ » الشقيّـ (١) ـةِ قدْ تلاهَتْ في غِيابكْ ؟ !
ورمتْكَ باللّصِّ الجري ءِ فما تهيَّبَ (٢) مِنْ عقابكْ
خطبَ « النعيمَ » « مكرّراً » تبعاً لوصفِكَ أو لمـا بكْ
وسعى لحقِّ « الانتخا بِ » فمـا تعزَّرَ عندَ بابكْ !
شهمٌ يُنفّذ ما تقرّ رَ (٣) يومَ أمسِ لدَى صحابكْ !
متسلّقٌ « ضخمَ » الجدا رِ ليستحقَّ رضى جنابكْ !
ومطبِّبٌ يخشَى عليـ ـكَ العبءَ حتى من ثيابكْ !
لكنما حبُّ القضا عةِ والتسامح في رِغابكْ
أبقَى عليهـا فاكتفى بزكائِ جسمِكَ أو ثوابكْ !

---

(١) الاعاصير هي الرياح التي ترتفع بالتراب أو بماء البحر وتستدير كأنها عمود . وفي هذا اشارة الى تسافل القوم في الخزي فضلا عن مناسبة اللقب .
(٢) أي تهيب أذى من عقابك.
(٣) يشير الى قرار المؤتمر الوطني بتشجيع الانتخاب ، وتكرارها مرة .

أغرتْه خِفّةُ روحِكَ الـ مُثْلى فخفَّ من «حسابِكْ»[1] !
فاقبلْ عزائي انْ رَشَدْ تَ[2] ولا تُضاعِفْ من عذابِكْ
واضحكْ على نُوَبِ الحيـا ةِ فربَّ خبْرٍ في مصابِكْ !

المنارة

أنيري وحَيِّني فانّي وخاطِري
سفينةُ نَفْسٍ مائجٌ حَوْلها البَحْرُ
أنيري فبَعْضُ النُّورِ للجرْحِ بَلْسَمٌ
ومِنْ سِحْرِكِ الفتّانِ قد يُبْعَثُ السِّحْرُ
أنيري فانّي قَبْلَ سُنْكِ أشتَهي
ضِياءَكِ نبْراساً يحِنُّ له الفِكْرُ
كأنّكِ قد ألْهمْتِ نَفْسي مَصيرَها
وكانَتْ بتِيهِ اليَمِّ يملؤُها الذُّعْرُ

(١) يشير الى سرقة صك كبير القيمة منه . (٢) رشدت : اهتديت .

رَأَتْ منكِ أنَّ العُمْرَ بَحْرٌ وشَطُّهُ
سَلَامٌ ونُورٌ عِنْدَهُ يَقِفُ العُمْرُ

تَهِشُّ الى الآمالِ حتى اذَا دَنَتْ
اليْها تَساوَى عِنْدَها اللَّيْلُ والفَجْرُ

أَنِيري كَخَطْفِ البَرْقِ ظُلْمَةَ خاطِرِي
فألمحُ في نجْوَاكِ ما حَجَبَ الدَّهْرُ

تدورينَ مِثْلَ الأَرْضِ وهيَ أسيرَةٌ
وطَوْراً لها نُورٌ وطَوْراً لهـا سِتْرُ

وتَصطدمُ الأمواجُ حَوْلَكِ في وَغًى
مِراراً ، وحيناً في عِنَاقٍ له سِرُّ

وعَيْنُكِ يَقْظَى لا تنامُ وإنْ صفَتْ
سماءٌ وخانَ البحْرَ عَسكَرُهُ الَمجْرُ

توحَّدَتْ الأَضْدادُ حَوْلَكِ في حِمًى
ولم يُغْنِ عن إلهامِ طَلعتِكِ البَدْرُ

وآمَنْتِ بالإنْصافِ والنفعِ دائماً
بعُزْلَةِ نُسْكٍ عَوْنُها المـاء والصَّخْرُ

وهيْهاتَ تَعْنُو للعَواصِفِ مرةً وهيْهاتَ يُزْجيها الى غَفْلَةٍ شُكْرُ

حياتُكِ جهْدٌ لا يكلُّ ولا يَني
وليْسَ لها زَهْوٌ وليْس لهـا فَخْرُ
وتلقاكِ في ضوْءِ النهارِ حيية وصمْتُكِ جهْدٌ آخرٌ رمزُه البِرُّ
تؤمُّكِ سفْنٌ مِنْ نواحٍ عديدةٍ
ويمْضي اليكِ البيضُ والسُّودُ والصفْرُ
سواءٌ بليْلٍ أوْ نَهارٍ فقدْ بدَتْ
عليكِ سِماتٌ للهدايةِ تقتَرُّ
كما اجتَمعتْ أحلامُنا عندَ غايةٍ
منَ الأَملِ السَّاني فأخطأَها الحصْرُ
وكُنْتِ دليلَ الحشْرِ للنَّاسِ في رِضًى
وقدْ طابَ للنَّاسِ التَّزاحمُ والحَشْرُ
وكُنْتِ شُعاعاً للضيافةِ هادِياً
وحِيناً نذيراً مُخْلِصاً ليْسَ يَغْتَرُّ
يُذكّرُنا أنّا ضِعافٌ وأنّنا
الى العَوْنِ والإِخْلاَصِ يدفعُنا الفقْرُ
ولو كانَ جهْدُ النَّاسِ يأتمُّ هكذا
بنورٍ كهذا النُّورِ ليْسَ لهُ قَصْرُ (١)

(١) قصر : تقصير .

دَليلٌ بصيرٌ بالسَّلامِ ونفعِهِمْ ومَطْلعُهُ بِشْرٌ وغايتُهُ بِشْرُ
إذَنْ ما رأى الإِنْسانُ أنَّ سفينَهُ
لها لَحظٌ مَوْفوراً وغايتُهُ الغَدْرُ
هَدَيْتِ بناتِ البحْرِ واللَّيْلُ خادِعٌ
فما بالُ أهلِ الأَرضِ مَرْكبُهُمْ وَعْرُ ؟!
وكيفَ يخافُ النَّاسُ ضُرَّ متاعِهِمْ
وينسونَ ألباباً يَعيثُ بها الضُّرُّ ؟!
فما بَرِحَ (الإِنْسانُ) عبداً لشَهْوَةٍ
نُعَاماهُ[1] أوْ غاياتُهُ الحَرْبُ والأَسْرُ
وما كانَ أسْراً مثْلَ أسْرِ سفينِهِ
لدى المرفأ الحاني وقد بَسَمَ الثَّغْرُ
ولكِنَّهُ أسْرُ التوَحُّشِ دائماً
بكيْدٍ وأطماعٍ يضيقُ بها العُذْرُ
عُقولٌ وآثارٌ تُضَيَّعُ هكذا
بمصطخبِ الأَمواجِ وهي لها قبْرُ
ولو أدْرَكَ الإِنْسانُ قيمةَ رُوحِهِ
لقدَّسَهُ حُرّاً كما طُبِعَ الحُرُّ

---

(١) نعاماه : قصاراه .

وهامَ بفَتْحِ العُلىٰ قَبْلَ هَمِّهِ
بحَرْبٍ لَدَيْها يستوي النَّصْرُ والقَهْرُ
وكانتْ له العلياءُ مَرْفأَ جُهْدِهِ
وفي (المثلِ الأعلىٰ) المنارَةُ والذِّكْرُ !

***

ضَرَبْتِ لنا الأَمثالَ والنَّاسُ نُوَّمٌ
وقَوْلُكِ وَضَّاءٌ، وفي صَمْتِكِ الجَهْرُ
فيالَيْتَ شعْري هَلْ سبيلٌ مُعبَّدٌ
الى وَعْظِهِمْ بالشِّعْرِ إنْ صَدَقَ الشِّعْرُ ؟!

طانيوس عبده

مُتَّ كالطَّائرِ القتيلِ المُغَنِّي جَرَحَتْهُ الشُّجونُ لمَّا تَغَنَّى
ماتَ، وتيْنِ : من فؤادٍ كليمٍ بِسهامِ الزَّمانِ لمَّا تجنَّى
وعذابٍ أقامَ في كبدٍ حرَّى فذابَتْ وذابَ أنَّا فأنَّا
وهَوَىً دُونَ أنْ يُخَصَّ بدمْعٍ مِنْ نظيمٍ حباهُ بالأمسِ فنَّا
عَرفتْ أُنْسَهُ البَشارِفُ والأَعْـ ـوادُ والحُبُّ بيْنَ مَغْنىً ومَغْنَى

كيفَ لم ترثِهِ ، ترى هدَّها البيـ ـنُ فبانت ؟ أم غُيِّبَتْ فيهِ عنّا ؟
أم سلَتْهُ الافْراحُ والنَّاسُ والدُّنـ ـيا كأنْ لم يكنْ حبيباً الينَا ؟ !
نكْبَةٌ للذَّكاءِ ياعاثرَ الجَـــدِّ وكفْرٌ بمُحْسِنٍ ما تمنَّى
في زَمانٍ أجَلُّ مَرْتَبَةِ التَّقْـ ـديرِ للمالِ لا لشِعْرٍ و مَعْنَى !
في مجالٍ يموتُ فيه أولو الفضْـ ـلِ ويحْيَا مبجَّلاً مَنْ تدَنَّى !
يانَخطْبِ الجَمالِ فيكَ ! فقَدْ كُنـ ـتَ تهزُّ الجمـالَ أنَّى تثنَّى !
يانخطبِ البيانِ في لفْظِكَ العذْ بِ يبُثُّ المُدامَ لوْناً فلوْنَا
يا نخطْبِ العقُولِ إذْ تبْصِرُ النا بغَ يَفْنَى وغَيْرَه ليسَ يفنَى

غُيِّبَتْ فيكَ نَضْرَةٌ من حَنانٍ
عنْ ضميرٍ مُهذَّبِ الطَّبْعِ أحْنَى
غُيبتْ دولةٌ منَ الأدَبِ الصا
في ومِنْ مُبدِعٍ كفَى الشّعرَ حُسْنَا
ما احتفَى النَّاسُ بالوَدَاعِ سوى الخِلْـ
لانِ عفواً ، فبُدِّلَ الحقُّ غَبْنَا
وأبتْ حولكَ (الطبيعةُ) في (لُبـ نانَ) الاَّ بكاءَ مَنْ ذابَ لحْنَا
أرسلتْ شِعرَها الينابيعُ والطَّـ
ـرْ ولَهْفَى اذ شجارِ غصناً فغُصْنَا

والبتامى الأَزهارُ في سَوْرَةِ الحُزْ
نِ ، ولولاكَ ما اَغْتدىٰ البِشْرُ حُزْنَا

***

يا شَهيدَ الألحانِ ! إضحكْ من الدُّنْـ
ـيَا وسامحْ دُموعَ وافٍ مُعَنَّى !

الفنائية

يعد من الشعر المرسل نسبياً ما تجرد من التزام القافية الواحدة ، وان يكن ذا قافية مزدوجة أومتقابلة ، ولكن الحقيقة أن « الشعر المرسل » (Blank Verse) لا يوجد فيه أي التزام للروي . وفي القصيدة التالية مثل لهذا الشعر المرسل مقترناً بنوع آخر يسمى « بالشعر الحر » (Free Verse) ، حيث لا يكتفي الشاعر باطلاق القافية بل يجيز أيضاً مزج البحور حسب مناسبات التأثير . وهذا المزج (من البحور المتجاورة) قد حاوله الشاعر من قبل في النظم المقفى وفي التواشيح ، وفي الشعر الغنائي على الاخص .

***

تَقَدَّسُ في لُبِّ الوجودِ مُعبِّراً عن (الفكرَةِ) العُظْمىٰ بهالأَلِبَّاءِ

تُترجم أسْمَى معاني البَقَاء
وتُثْبتُ بالفنّ سِرَّ (الحياهْ)
وكُلُّ مَعْنًى يَرِفُّ لديكَ في (الفنّ) حَيُّ !
اذا تأمَّلتَ شيئاً قَبَسْتَ منهُ (الجَمالْ)
وصُنْتَهُ كَحَبيسٍ في فَنِّكَ المُتلالي !
تبُثُّ فينَا العِبادَهْ
تَبُثُّ فينا جلالاً لا انْقِضاءَ له !
أنْتَ المُعزِّي لنا في رُزْءِ دُنيانَا !
فأنتَ أنْتَ الأمينُ على (الجمالِ) العزيزْ
وأنتَ أنتَ الأَمينُ على نعيمِ الوجودْ
وكلُّ ما أنتَ تحكيهِ وترسُمُه هو المسيطرُ في الدُّنْيا وأخْرانَا !
وما تركْتَ قشورٌ نثيرُها في الهَوَاء !

* * *

لٰكنْ - وأنتَ سَخِيٌّ بفنِّكَ المُتعالي
وأنْتَ ترسمُ ما في الكونِ مِنْ عَجَبٍ وما تَحَجَّبَ خَلْفَ الشكلِ مِن ألقِ
وأنت تُنْتِجُ آياتٍ من (الفِكَرِ)
وأنتَ تُسْعِفُ دُنْيا في تَعَثُّرِها لم تَسْتطعْ حُسْنَ تعبيرٍ لأَذْهانِ

وأنتَ تشْرحُ رُوحَ (الحُسْن) للنّاسِ
وأنتَ تُعْطي كريماً إشْعاعَ هذا الذّكاءْ
وأنت تُنْقِذُ خَلْقاً منْ أسْر دُنْيا الغُرُورْ ـ
ماذا أفادَكَ هذا سِوى الخَصاصَةِ ؟! . . . قُلْ لي !
فأطْرَقَ (الفَنّانُ) . . . .
وقالَ في غَيْرِ شَكٍّ : بلغتْ مجْدَ (الأُلوهَهْ) ! . . . .

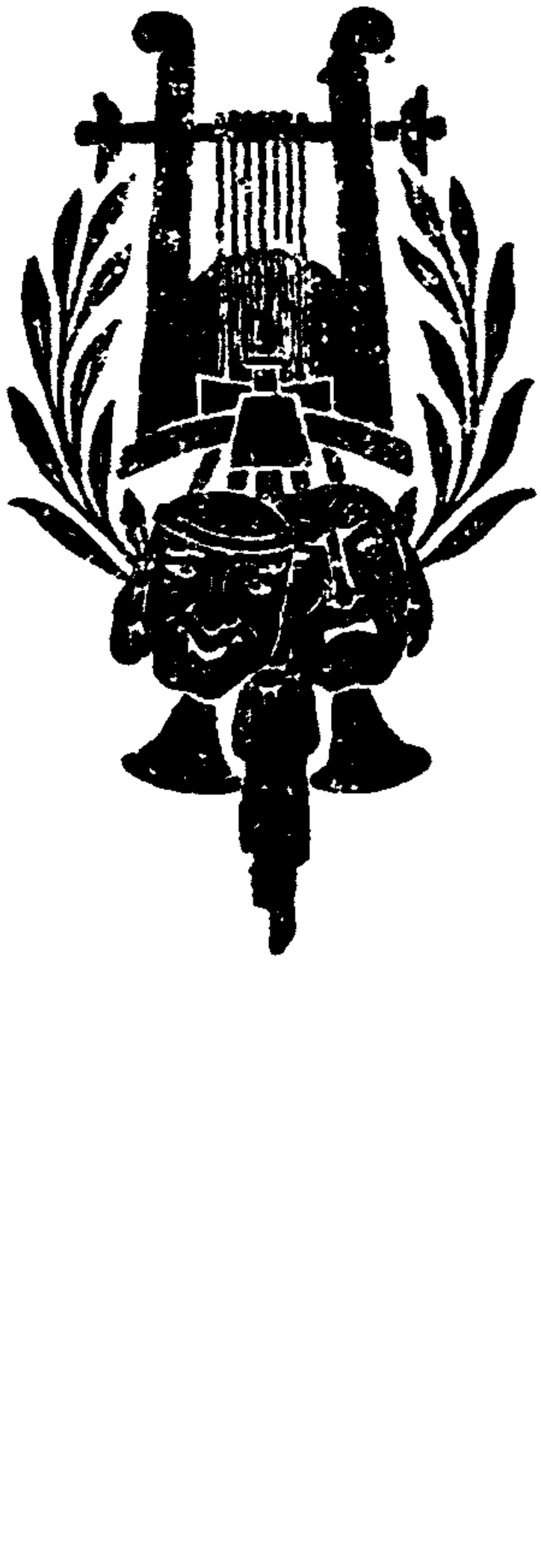

فداء السعادة

نظمها الشاعر لتغنى في عرس صديقه الاديب نابغة الطب
الدكتور عبد الله بك جلال .

أَبَحْتُ هَجْري خِلِّي لولا الهوىٰ لنْ يُجيزَهْ !
فانَّ أَوْفى عزيزٍ أَوْلَى الوَرَىٰ (بعزيزَهْ)
وبِتُّ أشكو وأَرْضَىٰ حُكْمَ الأَماني العزيزَهْ
ما بيْنَ أحلامِ قلبي وبيْنَ نَهْيِ الغريزَهْ (١)
كواهِبِ كنْزَ عُمْرٍ يَزينُ أَبْهَىٰ حريزَهْ (٢)
وكم عَصَيْتُ فِرَاقاً على ليالٍ وَجيزَهْ
حتى رأيْتُ (**جلال**) له السَّعادَةُ مِيزَهْ (٣)
فقلْتُ يا نَفْسُ طِيبي وللفِرَاقِ مُجيزَهْ (٤)
فدًى لهُ صَفْوُ رُوحي وإنْ أَبَىٰ أنْ يُجيزَهْ !

---

(١) اشارة الى توزعه بين أماني السعادة لصديقه ودافع الاستئثار به .
(٢) حريزة : أي نفيسة .
(٣) أصل الكلمة مفتوحة الميم ثم كسرت مجاراة للمد بعد حذف السكون الذي على يائها ، وهي مصرية الاستعمال .
(٤) أي « وكوني للفراق مجيزة » .

لو كان...

النشودة

لوْ كانَ قلْبي اشتَفى كانَ الغبينْ
لٰكنّه ما اكتفى رغْمَ الأَنينْ!

***

نَاجاكِ في بُعْدِهِ رَهْنَ العَذابْ
نَجْوَاكِ في سُهْدِهِ أحلى الثوابْ!

تِيهي وصُدِّي كما يَهْوَى الجمالْ
رُوحِي اليكِ انتمى حتى الخيالْ!

دَوْماً بفِكْري وذِكري والحُبُّ دِينْ
نَبْضي وأنفاسُ شِعْرِي لو تعلمينْ

أَشْكُو وقَلبي الشَّكورْ في أَسْرِهِ

أبكي ومنكِ الشُّعورْ في شعْرِهِ !

تِيهي إذَنْ في البِعادْ أوْ فأَرْحَمي
عَيْشي حليفُ الجِهادْ كالمُعْدِمِ !

وأنتِ لي نِعْمَةٌ مهْما شَقِيتْ
وتَرْكُها نِقمةٌ مهْما كُفيتْ !

***

لوْ كانَ قلبي أشتفَى كانَ الغبينْ
لٰكنَّهُ ما اكتفَى رغمَ الأَنينْ !

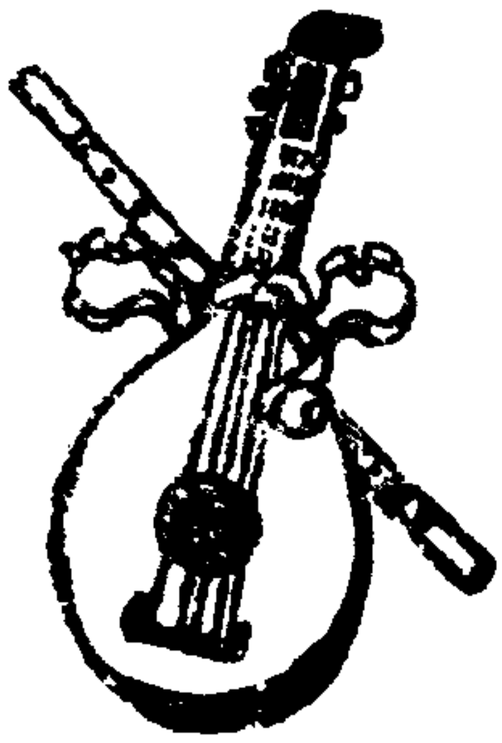

وفاءُ الدَّين

ألم يكْفهمْ بَذْلي طويلاً لنفعهمْ
وأني أُضَحِّي حينَ بَذْلي كَفَنّانِ ؟
وأُنقِذُهُم مِنْ وَهْدَةِ المَوْتِ هذِهِ برَحمَةِ قدّيسٍ وخِبرَةِ إنْسانِ
وأُعْطي لهٰذا الجيلِ ما ليْسَ وَحْدَهُ
حَرِيًّا به مُذْ كانَ ذُخْراً لأَزْمانِ !
ألمْ يكفِهِمْ أنّي ردَدْتُ دُيونَهمْ
وضاعفتُها رِبْحاً بشِعْري وألحاني ؟ !
وقلتُ لِفَنِّي : « بيئتي أصْلُ نَشأَتي
فلا تَنْسَها مَهْمَا سَمَوْتَ بوجداني
فانكَ لنْ تَهْوِي اذا ما شملتَها
بعَطْفٍ ؛ فأنتَ القادِرُ الرّافعُ الباني !
تَواضُعكَ المشكورُ ليسَ تَبذُّلاً
ومَنْ ذا الذي يُزْرِي بأكرَمِ إحسانِ؟!
فقُلْ في صَريحِ اللَّفْظِ وَحيْاً مُزَلزِلاً
دعائمَ آثامٍ وصَوْلَةَ طُغيانِ

وجُلْ في نواحي بِيئتي قاضياً على
شُرورٍ وآلامٍ وضَيْمٍ وأحزانِ
وفَسِّرْ لها معنى (الجَمالِ) وما وَعَى
فلولاهُ مَحْضُ العيْشِ والموْتُ سيّانِ !
وكُنْ مثْلَ قسّيسٍ عزيزٍ مُحبَّبٍ
فقدْ يسكنُ الفنّانَ بالفنِّ ضدّانِ
وأنتَ قمينٌ أنْ تُسخِّرَ وعظَه
لشعرِكَ في نَظْمٍ منَ الحُسنِ رُوحاني
تجلَّى بهِ سِرُّ (الحقيقةِ) مثْلما
تجلَّى بهِ الحُبُّ الأَبَرُّ بها الحاني ! »

***

ألم يكفِهِمْ أنّي شُغِلْتُ بنفعِهِمْ
كثيراً كأنّي ذلكَ الخالقُ الثّاني ؟!
ولم أبقَ في دَيْنٍ ، ولكنّهم غَدَوْا
مَدينينَ لي دَيْنَ الأَنام لديّانِ ؟!
فطابَ لهمْ إنكارُ فَضْلي وأسْرفُوا
جُحُوداً ، كأنَّ الفضْلَ ماتَ بِسُلْوانِ !

وقدْ وَصَمُوا طُهْري وسَمّوْهُ زَلّةً
كما قبّحُوا شوقي اليكِ وتحناني
وأنتِ التي تُنْهَى اليْها عبادَتي
وأعشقُ منها الرُّوحَ عشقي لجثْمان !
تناهيتْ فيهـا فهيَ جنّةُ نِعمتي
وحَلّلَ عِشْقي أنْ أكونَ كَجنّانِ !
وأنتِ التي منها استَمدَّتْ مشاعِري
على البُعْدِ أوصافي وسِحْرِي وأوزاني
رأيتكِ ديوانَ (الطبيعةِ) كلها
فيا ألمي لو كانَ فاتكِ ديواني
وما كانَ شَوْقي في تغاليهِ مُسْرِفاً
وهلْ كانَ إسْرافا تحَرُّقُ ظمآنِ
ووَحّدْتُ فيكِ الُحبَّ مثْلَ عبادَتي.
فكيفَ وفاءُ الُحبِّ يُسقِطُ منْ شَاني؟!
عرفتُكِ ميزاناً لكلِّ ملاحةٍ
ولا أرتضي الأّكِ في الشعر ميزَاني
فما اخترْتِه كانَ الجميلَ مُخلّداً وماعبْتِهِ هيْهاتَ يوصَفُ بالسّاني
وكلُّ نظيمٍ فيكِ شِعْرٌ معزّزٌ ولولاكِ لم يعتزّ أجملُ تبياني

دعوني إذَنْ أُزْجِي لفتَّانِ حُسْنِها
حشاشةَ نفسي في نظيمي وأشْجاني
ولا تحسبوا هذا التغزُّلَ سقطةً فأيُّ عباداتٍ تؤولُ لخسران ؟
ولولا غَرامي ما تفتَّقَ خاطِري
ولا جَمَّلتْ شِعري روائحُ رَيحاني
ولوْ أنّني متَّعْتُ منها عَدَالةً
لجاءَ لكم شعْري بآياتِ قرْباني !
فلا تنهروني ! حَسبُكمْ ما وَهَبْتُه
ولا تمنعوا عنّي موارِدَ إتْقاني !
هيَ المُتْعَةُ الكُبْرى لِرُوحي وانّني
لأنقلُ إمتاعي اليكم كبستاني !
ولولا هَوَاها وآدّكاري وصالُها
وتَرْديدُ لذّاتي حُرِمْتُمْ كحرْماني
فمَنْ قالَ هذِي شَهْوةٌ كانَ حُكْمُهُ
دليلاً على جهْلٍ وَغَبْناً لعرْفاني !
فما شهوَةُ الفنّان شَهوَةُ عاطِلٍ
ولا متعةُ الالّهِي كمتعةِ فنّانِ

مامون

إله الثروة

المصور الانجليزي الشهير جورج فردريك واتس (١٨١٧م. ـ ١٩٠٤ م .) طائفة من الصور الرمزية الفنية المؤثرة ، من أشهرها الصورة الموسومة « مامون » (Mammon) أو اله الثروة ، وهي مودعة في متحف تيت (Tate Gallery) بلندرة وتعد من أروع آثاره الفنية . وفي هذه الصورة يتجلى ذلك الاله القبيح الذي يمثل القسوة المتناهية في سبيل جمع الثروة ـ جالساً على عرشه الدموي ، وله أذنا حمار ، متوجا ولابسا كساء ذهبيا وخلفه ستارة حمراء ، وقد لاحت وراءه عن بعد النيران والدخان رمزاً الى التعاسة التي تتبع نهجه ، بينما يزدان عرشه بالجماجم ، وفي حجره صرر الاموال التي من أجلها ضحى بالمرأة المرتمية على ركبته قهراً ، وقد سقط عنها رداؤها الاخضر الذي كان رمزاً لآمالها ، وأما الرجل فقد هوى صريعا مهدراً عند قدميه . وقد عبر الشاعر في الابيات الآتية عن الروح الفني الذي أوحى الى المصور هذه الصورة الخالدة .

***

تَجَهَّمْ ! تَجَهَّمْ ! أيّها الباطِشُ الذي
يدوسُ على الإِنسانِ في جَهْلِ غاشِمِ

قُصاراكَ أنْ تَفْنىٰ بنارِكَ هاوِياً
مَرُوعاً متى اشتدَّتْ رياحُ المظالمِ
تتوَّجْتَ بالإِبريزِ وهو كأنّه
لَظًى ، وكِساءُ التِّبْرِ أوهامُ حالمِ
وُملِّكْتَ عرْشَ العَسْفِ والموتُ رُكنُه
فأبْشِرْ بموتٍ مِنْ شُرُورِكَ قادِمِ
وضَحَّيْتَ حُسْنَ المَرْأةِ الحُرَّةِ التي
هَوَتْ ، وهَوَتْ آمالُها للدَّراهِمِ
جلسْتَ على رَمْزِ الدّماءِ وحَوْلَهُ
دِماءٌ ، ونارٌ نُقِّطَتْ بالجَماجمِ
وتَحْسَبُ أنَّ الدَّهْرَ أقسَمَ وافياً
بمجدِكَ موفوراً بهذِي المآثمِ
وتَحْسَبُ أنَّ المالَ شمْسُ شُمُوسِنَا
وغَايةُ دُنْيانَا ورُوحُ العَوالِمِ
ومَنْ كان مَزْهُوّاً باذْنيكَ بيْنَما
هما أُذُنَا عَيْرٍ غبيٍّ وغارمِ
فهيهاتَ يَدْري أنَّ في الكوْنِ قُوَّةً
أجلَّ وأقوى في بناءِ الدَّعائمِ

فُتِنْتَ بإيذاءٍ ولٰكنْ مَنَحْتَنَا
قُوى ثورَةٍ تقْضي على خُبْثِ هادِمِ
ستُشْعِلُها الأَحفادُ في يوم هَبَّةٍ
الى الثأرِ مِنْ عَرْشٍ كعَرْشِكَ جارمِ
وَوَاحَرَبَ الإِنْسانِ إنْ هانَ هٰكذَا
بِعَصْرٍ جَلالُ المُلْكِ في مُلْكِ عالِمِ
مَضَى زَمَنٌ كُنْتَ المُغَرَّرَ قاضِياً
على الجُهْدِ والآمالِ بلْ شَرَّحاكمِ
وقد بَلَغَ الإِنسانُ بالنُّورِ رُشْدَهُ
وبَادَلَ هٰذا النُّورَ وحْيَ العظائمِ
وعاهَدَهُ أن لا يَدِينَ لِغيْرِهِ إلٰهاً ، فيحيا سالماً جِدَّ سالِمِ
ويسمو الى مَجْدِ (الأُلوهَةِ) بالحجى
وبالفنِّ والعرفانِ أسعدَ باسِمِ
تجرَّمْ اذَن ! وانظُرْ بغضبةِ جازِعٍ
يرىٰ حَتْفَهُ يأبىٰ توسلَ نادِمِ !

الحبُّ الضرير

سَلَامٌ عليكَ زمانَ (الشَّبَابِ) على أَمَلِ (الحُبِّ) والمُلْتَقَى !
نُكِبْتُ بعمرِ الجَوَى والفِراقِ فلمَّا التقَيْنا حُرِمْتُ اللِّقَا !
كأَنْ لَمْ تكُنْ فَتْرَةٌ للوصالِ نسيتُ بها الخَطَرَ المُحْدِقَا !
عَنَاءٌ جديدٌ، وقلْبٌ وحيدٌ يقطّعه الدَّهرُ ما فرَّقَا
وصفوٌ تولَّى كمَوْتِ (الرَّبيعِ) وقدْ شوَّقَ الرُّوحَ ما شوَّقَا
فياجزَعي لفؤادِ العميدِ (١) يعودُ الى نفسِهِ مُرْهَقَا
ويُفضي بآلامِهِ للنَّظيمِ فيجْري بهِ (٢) دَمْعُهُ مُهْرَقَا !
ويحسدُهُ في الشقاءِ الخليُّ ويحسَبُهُ الشَّاعرَ المُفْلِقَا !

***

نَشَأْتُ على (الحُبِّ) منذ الصِّبَا ودُمْتُ وإنْ شَيَّبَ المَفْرِقَا
وأُوذِيتُ من أجْلِهِ في الحَياةِ وما زلتُ أرْعى له المَوْثِقَا
أدينُ لهُ بمعاني (الجمالِ) وكم ألهمَ الأَملَ الرِّيقَا (٣) .

---

(١) العميد : الشديد الحزن والوجد . (٢) أي بالنظيم .
(٣) الريق : الاول الافضل .

وكنْتُ أراهُ الشِّفاءَ الاكيدَ لرُوحي فأصبَحَ لي مغْرقَا
وكنتُ أراهُ الهُدَى والنَّدى فضلَّ وعِشْتُ بهِ مُخْفِقَا !

***

فُؤادِي الحَزينَ العَصيَّ المُنى
تَشَجَّعْ ! وعِشْ في الأَسى مُشْرِقَا !
لئنْ خانكَ (الحظُّ) طولَ الشَّباب
كما خانكَ (الحُبُّ) مُستَغْرِقَا (١)
فلا تنْسَ انكَ مِلْكُ (الجمال)
وقد ملأَ (العالَمَ) المطْلقَا
فنُحْ إنْ تشَأْ مِنْ هُمُومِ (الغرامِ)
فَكَمْ كانَ في ظُلمِهِ مُحْرقَا !
وذُبْ إنْ تَشَأْ (للوَفاءِ) المُضَاعِ فلنْ يُستَعادَ ولنْ يُشْفِقَا
ولُمْ ما استطَعْتَ فلن تنتهي بلوْمِكَ (للحظِّ) في مُرْتقى
اذا كنْتَ إلْفَ (الغرامِ) الضَّرِير
فماذا تُفيدُ المُنى والرُّقَى ؟ !

---

(١) من « استغرق الغاية » بمعنى جاوزها .

***

تَشَجَّعْ فُؤَادِي ! تَشَجَّعْ ! افكمْ تذوَّقْتَ عُمْراً صُنُوفَ الشَّقَا
وقدْ سَامَكَ (الدَّهْرُ) كل العَذَابِ
فكنتَ بِهِ السَّاخِرَ المُشْفِقَا !
فلا تُلْقِ حَزْمَكَ يومَ الأَسَى
وقد خَذَلَ (الحُبُّ) فيكَ (التُّقَى)
تَناسَ المُنَى والوِصالَ القصيرَ وعَهْداً يظلُّ لكَ المُقْلِقَا
وخَلِّ الهوى وبناتِ الهوى ولُذْ (بالطبيعةِ) مُسْتَوْثِقَا
حيانُكَ (الكونِ)وهوالأَمينُ فناجِ السَّنا الشَّائقَ الشَّيِّقَا
خُفُوتُكَ نَبْضٌ بِشِعرِ (الجَمالِ) وكم رفَّ مبتَسِماً رائِقَا
فعِشْ (الجمالِ) الشَّريفِ العزيزِ
فما الكونُ في حُسْنِهِ ضَيِّقَا !
تسمَّعْ خريرَ المياهِ الشَّجيِّ يغنِّي أغاني الهوى والبقَا
وحصباءَها وهي تُصْغي اليهِ ببشْرٍ وتُوشِكُ أنْ تَنْطقَا !
وراقِبْ تودُّدَ (زَهْرٍ) نضيرٍ إليكَ (وطَيْراً) لهُ زَقْزَقَا
وراقصةَ (النَّحْلِ) بَيْنَ الأَشِعَّةِ تَرِوْ (الرَّوضُ) مِنْ أُنسِها صَفَّقَا
وحاليةً مِنْ جُمُوعِ (النَّخيلِ) تعاف الهمومَ فلنْ تُطْرِقَا !

ولاتَنْسَ مَوْجاً (لبحرٍ) دَؤُوبٍ يُحاكي المفكّر والأَحمقَا !
فيمضي بعسكرِهِ في هُجُومٍ ويرجعُ في خيبةٍ مُخْنَقَا !
ويلبثُ طوراً يُناغِي (١) الرمالَ فيغنَمُ منهـا الذي نَسَّقَا !
ويصفو فيحظى بشكْرِ (الحِسانِ)
و(بالُحسْنِ) يَكسبهُ رونقَا (٢) !

وكَمْ مِنْ جَمالٍ عزيزٍ طَرُوبٍ يراهُ البصيرُ الذِي حقّقَا
ومُلْكُ (السَّماءِ) بآياتِهِ حياةٌ حَوَتْ سرَّنَا الأَعْمَقَا
اذا شئتَ مزَّقْتَ هذا الستارَ فشِمْتَ بِعقْلِكَ ما مزَّقَا !
وإنْ عِشتَ طَوْعَ الهوى والشُّجُونِ
فأنتَ الضَّرير الذي ما ارْتقى

جَمالُ (الحياةِ) حَياةُ (الجَمالِ) وفي (الكوْنِ) مايُشْبعُ المَنْطِقَا
فودِّعْ هُمُومَ (الغرامِ) الضَّرِيرِ وناجِ (السَّنا) الباسمَ المُونِقَا
حياتُكَ أَوْلَى بحسنِ (الُخلودِ) أضاءَ (الوجودَ)ولن يَخْلُقَا (٣)
وخَفْقُكَ أجدَى لبثٍّ (الصَّلاح)
فلا كُنتَ إنْ لم تُمِتْ مُوبِقَا !

---

(١) يناغي : يغازل . (٢) اشارة الى استحمامهن في البحر .
(٣) ولن يبلى .

ولا تبتئس[1] لخداعِ (الحياةِ) ... ولَنْ أنتَ ناموسَها[2] الأصْدَقَا
وكنْ للضحيةِ قبْلَ الغنيـ ... ـمةِ كالنجمِ ضحّى متى أشرقَا!
وحسبُكَ غُنْماً بأنّ (المماتَ) ... يساوي المُتوّجَ والمُلْقَا!
وأنك بعضٌ لهذا (الوجودِ) ... وفي مجدِهِ مَجْدُكَ المُنْتقى!

***

وَداعاً اذاً يادُموعَ (الشّبابِ) ... ويا مَنْ فُتِنْتُ بها مغْرِقَا
جديرٌ بقلبي العظيمِ الهوى ... بحبّ العظائمِ أنْ يَخْفُقَا
تجشّمْتُ منكِ ضُرُوبَ العذابِ ... وآنَ لِعَزْمي أنْ يُشْرِقَا
وقد عِشْتُ عبْداً حزينَ الفؤادِ ... وها آنَ للعبْدِ أنْ يُعْتقَا!

(١) ولا تحزن . (٢) ناموسها : وحيها .

ضمير الخالق

قصيدة تصوفية

قُلْ لي هوَ الإِنْسانُ في تفكيرِهِ ولِعلْمِهِ هذا الوجودَ وُجودَا
لِمَ لا أُحِسُّ بأنَّ رُوحي صُورَةٌ
لضميرِ مَنْ شَغَفَتْ بهِ معْبودَا ؟!
وأنا المُقِرُّ بأنَّ كلّي قِطْعَةٌ مِمّا أراهُ مُجدِّداً ومُعيدَا
أفنى به حَيًّا أحِسُّ بحُكْمِهِ
ومتى قَضيْتُ فلنْ أموتَ شَريدَا !

انّي ضميرُ الخالقِ الموحي بما أبقى أُتابعُ نُورَهُ الممْدُودَا
ويظلُّ نَوْعي [1] حافِظاً لوفائِهِ ومُعبِّراً عنهُ هوًى وخُلودَا !

***

لا تضحكنَّ من اغترابِ خَواطِري
عمّا أَلِفْتَ وما عرفتَ جُمودَا
عقْلي هو الفنّانُ ينْشُرُ شِعْرَهُ نُوراً يُقرّبُ بالخيالِ بعيدَا

---

(١) النوع الانساني .

ويعلّم الحَيْرانَ أصدقَ ما يرى ويُحِسُّ لا وهماً ولا تقليدَا
فيرى الإلٰهَ الكوْنَ في مجموعهِ المُعْلنَ المعْرُوفَ والمرْدودَا
فهو[1] المَدينُ لكلِّ شيءٍ عاملٍ بل للوجودِ بأنْ غَدا موجودَا
ويكادُ يَسْتوحي الجمادَ شعورَهُ متبادِلَيْنِ تحيّةً وسجودَا !
أبداً هو المعبودُ[2] في استعلائهِ بينا يفيضُ عبادةً ونشيدَا !
طوراً ترى فيه القديرَ المعتلي وهنيهةً عبداً يسوقُ عبيدَا !
واذا تغزّل في (الطبيعةِ) لا تلمْ حبّاً يذوبُ بما أحبَّ قصيدَا
فهيَ الحبيبةُ والإلٰهةُ والمُنى والعيْشُ والخُلْدُ الشهي مديدَا
و(المرأةُ) الحسنُ الأعزُّ: بحُسنها مَنْ دامَ عاشقَها أُميتَ شهيدَا
وجمالُها زَيْنُ (الطبيعةِ) كُلِّها فلوحْيها نَظْمَ الحَنينَ عقُودَا
وكفاهُ منْ هٰذِي (الطبيعةِ) خالقٌ
ولو آستَشفَّ[3] إلاهَها المفقودَا !

---

(١) الضمير عائد الى العقل . (٢) أي انه الطبيعة ذاتها المجهول المزعوم وجوده . (٣) استشف : تبين .

الابوة رحمة الوجدان

نظمها الشاعر وقد رزق غلاماً أسماه (أميناً)

قالَ المهنّيء مازِحاً : «صِرْتَ الأَمينَ أبا (**أمين**) !
والأَمسَ كنتَ لنا (**أبا شادي**) ، فهل ولّى الرَّنينْ ؟!
أينَ اَبنُكَ المحبوبُ لا أرواحِ والشعرِ الرّصينْ ؟
أتراهُ مُذْ بلغَ الرُّجو لةَ راح يبحثُ عنْ قرينْ ؟
وتُرِكْتَ أنت لِتتُحْفَ الـ وطن العزيزَ المستعينْ !
بعد البيانِ العذْبِ منْ كَ بمستحَبٍّ في البنينْ ؟ »

***

قلتُ : « الحيــاةُ قصيدةٌ وبها صُنوفٌ مِنْ فُنونْ
والمرء انْ رُزِقَ الأبوّ ةَ عنْ صوابٍ لا يَهُونْ
كلّي عواطِفُ شاعرٍ فاضتْ عن القلْبِ الحَنُونْ
انّ الأُبوَّةَ رحمةُ الـ وجدان انْ قَسَتْ السُّنونْ
وعذابُها الشَّجْوُ الجميـ ـلُ ، وشَدْوُها ملءُ الشجونْ ! »

تحية مولود

مداعبة شعرية

(١)

ملزومة

الى الصديق الأديب الدكتور أحمد زكي أبي شادي

إنّي سمعتُ من الصِّحابِ كَلامَا : إذْ قيلَ إنك قد رُزِقتَ غلامَا
قد جاء من قِبَلِ (الربيع) مبشّراً ويقولُ للمتوسّمينَ : سلامَا !
فسررتُ ثم شرعتُ أكتب رقعة
أبْري لنظْمِ سطورِها الأَقلامَا
قامتْ بتهنئتي اليكَ ، وقتّاً حتى أزورَ فلا أهاب ملامَا
إني حلمتُ بأنني في منزلٍ رفعوا عليه لزينةٍ أعلامَا
فيه أكلتُ ، وقد شَرِبْتُ مُغاتَهُ
هلاّ تفسّرُ يا (ذكي) الأَحلامَا ؟ !

صديق

(الاستاذ عبد الله بكري)

(٢)

تفسير الأَحلام

عزيزي بكري افندي

شُكْراً لبرِّكَ بالنظيمِ تَسامَى وأفاضَ بالودِّ السليمِ سلامَا
متنوِّعَ الأَزْهار يبسمُ حالياً فكأَنّما وهَبَ الرَّبيعَ غلاَمَا!
ودَعا الوليدَ المستعِزَّ لِصُحبةٍ فاليكَ تهنئةَ الشَّكورِ نِظامَا

فاذا حلمتَ بما شربتَ وزينةٍ
فلقد حلمتُ بأنْ سُقيتُ مُداماَ !

ولعلّها الشّعْرُ الذي أهدَيْتَه متلألئاً بحَبابهِ بَسّامَا
فتعالَ اعلّكَ مَنْ يَزيدُ تمتّعي مِنْ فيهِ ثمَّ أزيدُهُ إلهاماَ

واشربْ وذُقْ حَلْوَى الوِدَادِ فانّهُ
تفسيرُ ما قدْ ذُقْتَهُ أحلاماَ !

أبو شادى

المجمال الفرّيد

الى الشاعر رامي

قُلْ للتي تَخِذَتْ غرامَكَ لهوَها: لولاكِ ماعرَفَ الأنامُ غرامي
لولاكِ ما أشجى الوُجودَ تألُّمي عطفاً، ولا أبكى الشبابَ هِيامي
لولاكِ ما استمعَ الأنامُ لزَفرتي مِنْ فيكِ في شجنٍ من الأنغامِ
لولاكِ ما فتَنَ الهُواةَ تأوُّهي مترَدِّداً بغنائِكِ المتسامي
يقْسُو عليَّ السامِعونَ وانْ رَثَوْا ويُناشدُونَ على المَدى آلامي !
حتى أكونَ لهمْ حَرارَةَ حُبّهم ولو أنّها معنى فؤادِي الدّامي !
فنعيمُهمْ في أنْ أذُوبَ صبابةً وسِقامُهمْ في أنْ تَهونَ سِقامي !
يا لَلْمُحبِّ وقدْ تحالفَ فنُّه وهواهُ فاصطلحا على الايلامِ !

يا رحمةَ القلْبِ الشقيّ ! ألا هوًى
يدعوكِ مُنْقِذَةَ الجريحِ الظامي ؟ !
إنَّ الجمادَ يُهَزُّ (١) مِنكِ اذا حكى (٢)
وأراكِ أنتِ بشيمةِ الظُّلّامِ !

---

(١) يهز : اشارة الى التأثر .
(٢) يشير الى حاكي الصدى (الجراموفون) الناقل لتغنيها بشعره .

وأراكِ راميةَ السّهامِ بلا وَنًى
عمداً ، وزاعمةً [1] بأنّيَ رامي !

خالده

خالان : خالٌ يَستعِزُّ بوجنةٍ وأخوهُ بالشَّفةِ الجميلةِ ضاحِ !
متوشّحانِ مِنَ السّوادِ بحلْيَةٍ
ضحِكَتْ من الأصباغِ والأوْضاحِ

خَصِبَا بنفحِ المسكِ واعتزَلا فما عَبِئَا بغيْرِ تفرُّدٍ ونُفَاحِ [2]
الحُسْنُ حولهما مَجالُ بُحيْرَةٍ لكنّها امتلأَتْ بأعذَبِ راحِ !
لهما حِراستُها بخفّةِ طائرٍ لكنّه المأسورُ دونَ جَناحِ !
مَنْ مُبْلِغُ الحسناءَ بعضَ تشوُّقي لمذاقِ بعض جمالها المنّاحِ ؟
طوراً بمشمومٍ يَرُدُّ مشاعري للخُلْدِ ، ثمّ بأكْرَمِ الأقداحِ
وبِعضةِ الثغرِ الشفيقِ كأنها
ذكرى على « أثرٍ » الجمالِ الضّاحي !

---

(١) زاعمة : ضامنة : كافلة . (٢) نفاح : طيب .

يأبىٰ اباءً حارساها مَنْحَها ما لم تكنْ مسبوقةً بسَماحِ [1]
فأقبّلُ الخالينِ رشوةَ عاشقٍ
وأنا الأَسيرُ وقدْ رَميتُ سِلاحي !
وأبيتُ طوْعَهما القنوعَ وانْ يكنْ
بعضُ القناعة حُكْمُهُ كطِماحِ
مَنْ مُبْلِغُ الحسْناءَ خطرةَ شاعرٍ
تاقتْ لنظْرَتِها خُدُودُ مِلاحِ ؟
فدعَتْهُ [2] شاعرَها الرَّقيقَ يزيدُها
شَرَفاً ، وأشرفَ طيرِها الصدَّاحِ !

الزهرة الذابلة

يا رَمْزَ أسنىٰ الحُبِّ كيفَ تضاءَلتْ
حاجاتُهُ فغدَوْتِ لَهْفَى ذابلَهْ
بعد التبرُّجِ والتعطُّرِ والحُلىٰ بعدَ التمنُّعِ للنفوسِ السائِلَهْ

---

(١) سماح : عطاء . (٢) أي خدود الملاح .

عُمرٌ مَضَى ، وكذا الزّمانُ اذا انْقضَى
أرَبٌ لهُ خَذَلَ الحيـاةَ الآمِلَهْ
يرثيكِ عُودٌ كُنتِ جَوْهَرَ تاجِهِ
وأشِعَّةٌ كانَتْ لتاجِكِ حاملَهْ!
وشَقيقةٌ قُطِفَتْ لزينةِ مجْلسٍ
فذَوَتْ وكُنْتِ لهـا بِعَطْفِكِ قاتِلَهْ!
ووفيَّةُ النّحْلِ التي لمَّـا تزَلْ تَهتَزُّ حَوْلَكِ في رَجاءِ العاطِلَهْ
ذاقَتْ شَهِيَّ الشَّهْدِ مِنْكِ ، ومَنْ تَذُقْ
جَدْوَاكِ هلْ تَغدو لُحبِّكِ جاهِلَهْ ؟!
وعزاؤُكِ المَوْلودُ فيكِ ، حيـاتُهُ
تُحييكِ في صُوَرِ الجديدِ القابِلَهْ ![1]
فمتى هويتِ الى التُّرابِ صَريعَةً
أمَلاً بذَرْتِ هوى الحَياةِ الكامِلَهْ !
بيْنا شقيقتُكِ الضَّحِيَّةُ وَحْدَها
للّهوِ والإعْجابِ ، فهيَ الزّائِلَهْ
فجزاؤُها مِثْلُ الذي عانيْتِهِ
ممَّنْ أحبَبْتِني فكانتْ خاتِلَهْ !

---

(١) الغبطة .

باقة السلام

جاءَتْ وفي يدِها العزيزَةِ باقةٌ بَسَمَتْ فكانَتْ للسَّلامِ شِعارَا!

فأجبْتُ دُونَ سؤالها : أيْ مهجتي !

حُسْنٌ كحسْنِكِ يأمُرُ الأَزْهارَا !

لا أنْ تكونَ لهُ (١) الشَّفيعةَ عِنْدَ مَنْ

يَهْواكِ حتى إنْ قَسَوْتِ جِهارَا

تكْفيكِ (٢) عطْفَةُ نظرَةٍ يدْنِي بها

كُنْهَ النَّعيمِ فيجْتليهِ مِرارَا !

أقبلتِ مُذْنِبَةً وأنتِ مليكَةٌ

فازْدَدْتِ بالثَّوْبِ الجميلِ فَخَارَا !

هاتي شَفاعتَكِ السَّنيةَ باقةً من وجنتَيْكِ وفيكِ تُطفيءُ نارَا

خَطَّافةُ الأبصارِ في استِعلائِها وببرِّها لي تُذهل الأبصارَا

فأُمتِّعُ الوجدانَ متْعةَ عابدٍ وأشُمُّ حينَ أشيمُها أسْرارَا

يا باقةَ الحُسْنِ النضيرِ بعَطْفِها مَنْ شَمَّ زَهْرَكِ أنْشدَ الأَشْعارَا!

(١) أي لحسنها . (٢) أي تكفيك نوبا .

عشق النظرة الاولى

كالنُّور في فَجرِ العليلِ اليائِسِ مَرْآكِ بينَ تَهافُتي ووَساوسي
يا نَظْرَةً ما كنتُ أحلُمُ قبلَها أنَّ الغرامَ يردُّ بُؤسَ البائِسِ
غلبتْ جَميعَ مشاعري وعواطِفي
وتملَّكتْ لُبِّي بصوْلَةِ سائِسِ
فتخلَّفَ الضدَّانِ: نَشْوَةُ ظافِرٍ
فَرِحٍ وأُخْرى في لذاذَةِ يائِسِ
فكأنما قلبي الذي رَاعَيْتُه
خطَفَتْه فاتنَتي بِغَفْلَةِ حارسِ!
لكنْ أَبَتْهُ فعادَ يَرْقُبُ عَوْدَها
مثلَ الجريحِ ضَبَا لِعطْفِ الفارِسِ!

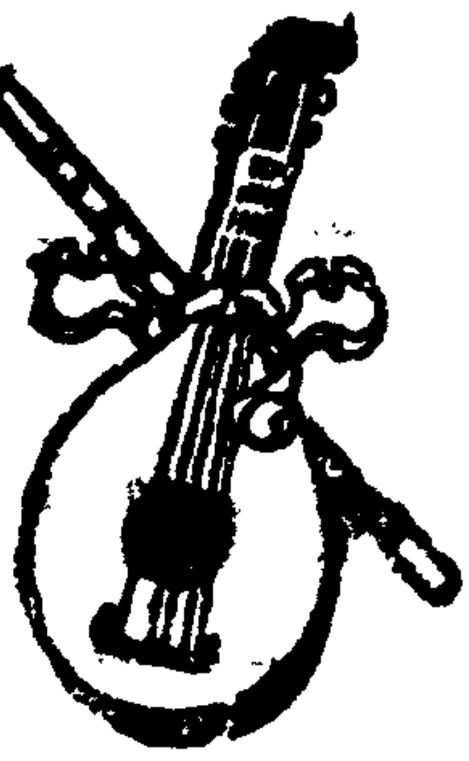

الجريح المنسي

أنشودة

جَرَحْتِ بلَحْظِكِ الفتَّانْ فُؤَادَ العاشقِ الفَاني
وكيْفَ لِمِثْلِهِ السُّلوانْ وعندكِ عُمْرُهُ الثَّاني ؟ !

يُنادِي : آهِ يا قَلْبي ! ويَا بُنَى غَيْرَكِ الآسِي
كذلِكَ شيمَةُ الحُبِّ عبادَةُ حُسْنِكِ النَّاسِي !

قَضَيْتُ بحُرْقتي عمْري على الآلامِ في ذِكرِكْ
وغايةُ مُشْتهَى أجْرِي لقاءُ الطَّيفِ في فكرِكْ !

فَشَبْتُ بنارِ أحزاني ولم تَرْحَمْ (١) مُنى سِنِّي
ونُحْتُ لطولِ نسياني بِجُرْحٍ نائلٍ مِنِّي

فيا معبودَ أحـلامي ولِيتَ الحُلْمَ مِنْ حُلْمِكْ
أطِيلي كُلَّ آلامي إذا ما كُنَّ في عِلْمِكْ !

(١) أي النار.

الصِّبا والحب

مترجمة عن روبرت لويس استيفنسن الشاعر الانجليزي

(١) ـ الترجمة

لدى فُؤَاد الصِّبا دُنياهُ عَبْرُ السَّبيلْ
وانّه دَائمـــاً ماضٍ بها في رَحيلْ!
تَخْفُ على جانبيهِ (في طاوِياتِ الحَدائِقْ
يكنُّها حِضْنُ نَوْرٍ (١)) مُذَهَّبَاتُ الجَواسِقْ
ونَمَّ في البُعْدِ عنهُ على انبساطِ الأديمْ
تدعو بمشكاةِ نُورٍ عند الظَّلامِ البَهيمْ!

***

مِثْلَ النُّجومِ (اللَّوائي لَمَّـا يغيبُ القَمَرْ
تبدوالكَثيفةَ لَيْلاً) غَزَاهُ جَمْعُ الحُبُورْ!
لٰكِنَّه في تَسامٍ كما يَشاءُ القَدَرْ
يَمْضي كما كانَ يمضي على اتّصالِ المسيرْ
مُلَوِّحاً بيـــدٍ مَتَى دَنا شطْرَها

---

(١) زهر أشجار الفاكهة .

مُنادياً يكتفي بلفْظةٍ نحْوَها
أثناءَ سيْرٍ لهُ أمامَ بابِ الحَديقَهْ
ولا يُغنّي سوى دَوْرٍ بروحِ الغُلامْ
وعِندَها وَجْهُهُ وَلّى ووالى طَرِيقَهْ!

(٢) ـ الأصل

Youth and Love

To the heart of youth the world is a highwayside.
Passing for ever. he fares: and on either hand,
Deep in the gardens golden pavillions hide,
Nestle in orchard bloom, and far on the level land
Call him with lighted lamp in the eventide.

Thick as the stars at night when the moon is down,
Pleasures assail him. He to his nobler fate
Fares: and, but waves a hand as he passes on,
Cries but a wayside word to her at the garden gate,
Sings but a boyish stave and his face is gone.

Robert Louis Stevenson

القيامة

يرى بعض علماء الفلك أنه سيأتي وقت بعد ملايين السنين يقف فيه دوران الأرض وحينئذ يسقط عليها القمر فيتلفها اتلافاً ، وآية ذلك أن كل يوم أطول من سابقه بنسبة $\frac{1}{24}$ مليون من الثانية ، وهذا بسبب حركة المد والجزر واحتكاك التيارات ، مما يسبب تباطؤا منتظما مستمراً في دوران الارض . وقد كانت الارض في طفولتها تدور بسرعة عظيمة بحيث كان طول اليوم نحو أربع ساعات فقط ، وعندما انفتق القمر من رتق الارض وبعد عنها ، ثم اضطرته الجاذبية الى الدوران حولها ، وسوف يأتي الوقت الذي ستنعكس فيه هذه الآية فيعود القمر الى الارض ويسبب خرابها !!

***

« مَرْحَباً مَرْحباً بيَوْمِ القِيامَهْ !
يا هلاكَ الطَّغامِ كَيفَ المَلاَمَهْ ؟!
لك شُكْري وأنتَ فينَا جَنينٌ لِقُرُونٍ قَصيَّةٍ قُدَّامَهْ !
عُمْرُ ميلادِكَ الشقيِّ المُرَجَّى هوَ خَطْفٌ كبُرْهَةٍ في الإقامَهْ !
سوْفَ تَقْضِي على مظالمِ كوْنٍ مُذْ تمادَتْ وسَوْفَ تُفْنِي ظَلاَمَهْ !
ولعلّي أكونُ في ذٰلِكَ العَهْـ ـدِ أثيراً أوْ لَمْعَةً بَسَّامَهْ !

أرقُبُ الأَرْضَ في انفِجارٍ مَرُوعٍ
واصطِدامٍ عفّى دوارَ السَّلامَهْ
بوفيٍّ كم طافَ في دَوَرانٍ حوْلها وهيَ مِثْلُهُ مُسْتهامَهْ
ذاكَ الأزْلَمُ (١) المُمِيتُ نُجوماً
ليْسَ ينْسى نُذُورَهُ والعَلامَهْ ! »

***

قالتْ (الأرْضُ) في عِتابٍ كأُمٍّ :
« بعضَ هذا (٢) لمَنْ حَكى أوْهامَهْ !
إنَّ عُمْري السَّلامُ للأَزَلِ (٣) الباقي
ولنْ تُدْرِكَ العُقولُ دَوامَهْ
لا تُصَدِّقْ ما يدّعي فلَكِيٌّ
ليْسَ يدْري، وإنْ دَرى أحْلامَهْ !
كم شُؤونٍ محْجوبةٍ سوْفَ تَقضي
بحياةٍ جديدَةٍ في كرامَهْ
واذا ما فَنِيتُ فالبَعْثُ لنْ يُخْ
طِئَ عنْبايَ حُرَّةً مُلْتامَهْ

---

(١) الازلم : الحدث الذي لا يرم . (٢) أي دع بعض هذا .
(٣) الازل : القدم .

بحَياةٍ جدِيدةٍ لَنْ تُضاهَى بحيــاةٍ وَسَمْتُهَا بالنَّهامَهْ
هيَ ذَاكَ الفِرْدوسُ حيْثُ تَناهى خُلَصائي (١) كما أحبُّوا نِظامَهْ
حينَ تغدو الأَجْرامُ مَلْأَى بأبْنا
ئي جــلالاً وهِمَّةً واستِقامَهْ!
فاتحينَ السَّماءَ : ذاكَ هُوَ البَعْ
ثُ الى الخُلْدِ والعُلَى ، والقِيامَهْ ! »

الاهواء

النقد لغير النقد

أعْشَيْتَ طَرْفي (٢) أمْ ضَلَلْتَ فانّي
ألقاكَ في عَمَهٍ (٣) ولسْتَ بناقِدِ ؟!
أهْلاً بنَقْدٍ يُضْحِكُ الثَّكْلَى أساً (٤)
ويُثيرُ مِنْ عَجَبٍ شُعُورَ الجامِدِ !

(١) أي صفوة أبنائها .
(٢) أي هل جعلت بصري كليلا فعجزت عن رؤية حقيقتك ؟!
(٣) العمه : عمى البصيرة .
(٤) أساً : مداواة ، من أسى يأسو بمعنى داوى .

فيرَى ٱجتهادي زَلَّةً ، وَتَفَنُّني
ضَعْفاً ، وآياتي كَوَهْمٍ شارِدِ !
ويَرَى مُثالاَتي بنَقْدِ قصائِدِي
رَمْزَ الغُرُورِ مِنَ الجَنانِ الرَّاكِدِ !
ويَرى وَفائي للنَّوابغِ ـ حامِداً
إبداعَهم ، فَرِحاً ـ طبيعَةَ حاسِدِ !
ويَرَى ٱبتِكاري مَحْضَ جَهْلٍ فاضِحٍ
وسُمُوَّ وجْداني هَوانَ الرَّاقِدِ !
ويَعيبُني ويَعيبُ صَحْبي إنْ أبَوْا
مِثْلي غَوايَةَ جاهلٍ أو جاحِدِ
مِنْ وَعظِهِ أنْ لا أُدَافِعَ مَرَّةً
عنْ مَذْهبي فأُرُدَّ كَيْدَ الكائِدِ !
وهُوَ الذِي يُلْقِي جُزَافاً حُكْمَهُ
ويَعيبُ إحْساني وكُلَّ مَحامِدِي
ويعيبُ تقدِيرَ الصِّحابِ لمـا بَنَى
قَلَمي مِنَ الشِّعْرِ الرَّصينِ الخالِدِ

لٰكِنَّه هيْهـاتَ يلْمَحُ عَيْبَهُ
في الحَطِّ مِنْ أدَبي وسِحْرِ قَرائِدِي !
متحاملٌ يَصِمُ الذي أبدَعْتُهُ بالقُبْحِ لا يَرْضى عُيونَ قصائِدِي
ويَظُنُّ أنّي مَنْ يَهونُ بطَعْنِهِ وبرَفْعِهِ للْمَجْدِ غيْرَ الماجِدِ !
فَضِلْي هوَ الذَّنْبُ العظيمُ ، وعَجْزُهُمْ
سِحْرٌ وإعْجازٌ ونُورُ فرَاقِدِ !
قُلْ ما تَشاءُ من الغَوايةِ خادِعاً
أحلامَ مَنْ كانوا كَصَيْدِ الصَّائِدِ !
أكسبْتَنِي شَرَفاً بِذَمّي مادِحاً
مَنْ طالَما جَمَعُوا فُتاتَ مَوائِدي ![1]
مَنْ لستُ أُرضاهمْ تلامِذَتي .. فكمْ
منهمْ دَوِينٌ في الزَّمانِ البائِدِ !
ويَهُونُ عِنْدِي أنْ أُشاهِدَ هٰكذَا
سُخْفَ الحياةِ ، فذاكَ مُتْعَةُ شاهِدِ !

---

(١) موائده الادبية : يعني المتطفلين على أدبه .

الشيخوخة

أَطَلَّتْ من الماضي بِمُكَأَّزِ ضَعْفِهِ
مَلاَكاً بلا حُسْنٍ ودُونَ جَنَاحِ!

لهُ طُهْرُ ما تُوحِي الثُّلوجُ بِشَيْبِهِ
وخلْفَ سَلاَمِ الطُّهْرِ نَبْضُ جِرَاحِ!

وما الطُّهرُ فيهِ غيْرَ عَجْزٍ مُحَوَّلٍ ولا الصَّمْتُ الاَّ رقدةٌ لِرياحِ!
يحاكي سُكوناً للشّتاءِ اذا وَنَتْ أعاصيرُهُ قبْلَ اقترابِ رَواحِ!
فيخلُفُهُ حُسْنُ الرَّبيعِ مُجَدِّداً
ويمْحوهُ مِنْ غَدْرِ (الطبيعةِ) ماحي!

***

ولاحَتْ بأُمٍّ في حنانٍ وإنْ يكنْ
بَنُوهَا كِبَاراً في وَفاءِ حَنَانِ
كأَنَّ بياضَ الشَّعْرِ نُوَّارُ نَفْسِهَا
وفيهِ منَ الوَحْيِ الجميلِ مَعانِ!

وقد جِلْتُ حتى تجاعيدُ وَجْهِهَا بخيْرِ حديثٍ عنْ جهادِ زمانِ!
فكانتْ مثالاً للشتاءِ بحسنِهِ اذا ما تَلاَقَى والرَّبيعَ بآنِ!

نُودِّعُهُ بالشّكر والذّكر مثلما نُوَدِّعُهُ في لَهْفَةٍ لِحِنَانِ

***

وأنْتَ بطَيْفٍ في التّعبُّدِ ذَاهلٍ وليْسَ لها الاّ ظِلالُ غُرُوبِ!
وقدْ ذَهَبَ الإِصْباحُ في اللّهْوِ مثْلما
تولّى الضّحى في فاتِناتِ ذُنُوبِ
وقد أطفأَ الإِشعالَ ريحُ أصيلها
وكانت ترجّيها لِطُولِ هُبُوبِ!
فلمّا دنتْ شطْرَ المَغيبِ تَهَشّمَتْ
بزوبعةٍ تُعْنى بهَدْمِ قُلوبِ!
وماتتْ قُبَيْلَ الموتِ مِنْ فَرْطِ ضَعْفِها
مَماتَ صَغارٍ لا مماتَ حُرُوب!

***

فساءَلتُ نَفْسي ـ والنّماذِجُ جَمّةٌ
أمامي ـ اذا ما عِشْتُ : كيفَ مآلي ؟
أتعرفني شيخوختي في قناعةٍ وأحيا بوجداني حياةَ جَمالِ ؟
وألْقى اذا ما العُمْرُ دَارَ كأرضِنا
ازاءَ غروبي روعَةَ لِظلالي ؟!

وليسَ غُرُوبٌ ما ألاقي وانَّما تَنقُّلُ نفسي أو تجدُّدُ حالي
أمْ العُمْرُ تمثيلٌ وأحلامُ ضَلّةٍ ؟!
. . . فحِرْتُ ونفسي في جوابِ سُؤالي !

الربيع

إنْهَضْ وغرِّدْ فأشْهى صَفْوُكَ الآنُ
صَفْوٌ تَهَشُّ لَهُ حُورٌ وَوِلْدَانُ !
لا تَشْكُ من نَكَبَاتٍ مَرَّ عاصِفُها
فيمَ الشَّكَاةُ وقدْ عفَّى[1] الأَسَى الآنْ ؟
عاد (الرَّبيعُ) فعادَ البِشْرُ وانْبَجَستْ
مِنَ (الطَّبيعةِ) أنغامٌ وألوانُ !
وازَّيَّنَتْ هذهِ الدُّنْيا لِمَوْكبِهِ كأنما في مَجالي العُرْسِ تزْدَانُ !
مما الشُّعُورُ سُمُواً من رَوائِعِهِ
حتى كأنّي باحساسي (الشُّبْرُمَانُ) !

---

(١) عفّى : محا .

وما (الرَّبيعُ) سوى رُوحٍ يُجدِّدُنا
فكلُّ شيءٍ بهِ رُوحٌ ورَيْحانُ
تكلَّمَتْ ألْسُنُ الأزْهارِ وانْطلَقتْ
لُسْنُ الطُّيورِ فما في الرَّوْضِ غَفْلانُ
ونبَّهَ الشَّاعرُ الوَسْنانُ مِنْ حُلُمٍ
فالكَوْنُ فَرْدٌ ودُنْيا الشِّعْرِ أكوانُ!
خُذْ يانديمي مُدامي منْ بدائِعِهِ وانْهلْ منَ الشِّعرِ ما يَهْواهُ نَدمانُ!
تلْقَ الرَّبيعَيْنِ في شِعْري وفي بَهَجٍ
منَ الحيـاةِ، كلا النُّورَيْنِ فتَّانُ
فذاكَ عيدٌ لأهلِ الشعرِ قاطبةً تُصغي لهمْ فيهِ أطيارٌ وعِيدانُ
وإنَّني الصَّامتُ الغرِّيدُ، انْصَدَحَتْ
عواطِفي فهيَ ما يَرْضاهُ وِجْدانُ
ما صُغْتُهُ كانَ مِنْ طَبْعي ومِنْ أدَبي
فإنَّما الشَّاعرُ المَطْبوعُ فنَّانُ
وإنْ أبَى خاطِري نَجْوَى لهُ صَمَتَتْ
مشاعِري حينَما غنَّاهُ مَنْ هانُوا

ما الشِّعْرُ الاَّ لسانُ الكوْنِ نِسْبَتُهُ
الى الأُلوهَةِ حَقٌّ ، فهوَ دَيَّانُ !
والشّاعرُ العبْقريّ الرُّوحِ آيتُهُ تُوحى فيَحْيا بهِ فَنٌّ وإنْسانُ !
مِنْ وَقْدَةِ الوجدِ يذْكيناَ ويُشْعِلُنا
حِيناً ، وتُسعِدُنا مِنْ فِيهِ أحيانُ
يَعيشُ في ملكوتِ النَّفْسِ مُقْتَبِساً
مِنْ كلِّ مَعنًى ولا يُرْضيهِ إجنانُ(١)
مُصَوِّراً حالَها في كُلِّ عارِضَةٍ
فلَيْسَ يكفيهِ تَسْجيعٌ وإرْنانُ (٢)
واستَوْزَرَ العَقْلَ والإحساسَ فانْطلقَا
يُشَيِّدانِ لهُ ما فيهِ غُنْيانُ
هواجسُ النَّفْسِ يجْلوها لنُدْرِكَها
وما اسْتَسَرَّ (٣) ، وماصانَتْهُ أزْمانُ !
يجولُ في حُقَبِ الأجيالِ معتبراً مصوِّراً عِبَراً شتَّى لمَنْ كانوا !
ونازِعاً حُجُباً عنها فتُمْتِعُنا بآيِ أسْرارِها العذْراءِ ألْحانُ !

***

(١) اجناد : كتمان . (٢) ارنان : رنين .
(٣) استر : استتر وتوارى .

* * *

عادَ (الرَّبيعُ) فطُوبَانَا بِعَوْدَتِه هٰذي موائِدُهُ الفَيْحاءُ والحانُ!
نَذُوقُ بالشَّمِّ مثلَ السَّمْعِ نعْمَتَهُ كُلُّ الجوارِحِ في نُعماهُ حِبَّانُ(١)!
ولا أَخُصُّ بِرَوْضٍ شاقَ رَوْنَقُه
ذِكْرِي فإِنَّ جَميعَ الكَوْنِ بُسْتانُ
في كلِّ رَسْمٍ لعينَيْ شاعرٍ لَبِقٍ (٢)
حُسْنٌ، وفي كلِّ حُسْنٍ لاَحَ إِحْسانُ
حَسبي سَمَاءٌ تبُثُّ البَحْرَ زُرْقَتَها عُرْيانَةُ الحُسْنِ شاقَتْ وهوعُرْيانُ!
والشَّمْسُ في كبدِ الجوزَاءِ سابِحَةٌ
ورَسْمُها فوْقَ مَوْجِ البَحْرِ جَذْلانُ!
ولاَ تُودِّعْ هٰذِي الأَرضَ في أسَفٍ
الاَّ وتغنمُ منها الذِّكْرَ أصْلانُ (٣)!
تَرْوي السَّماءَ بألوانٍ مُشَعْشَعَةٍ
كالرَّاحِ تَسكُبُها، والكَوْنُ نشْوانُ!
أُنظُرْ جَمالاً على ماءِ (القنالِ) (٤) بدَا
ملءَ ابتسامٍ له سِحْرٌ وإيمانُ

(١) حبان : أحباب ، والمفرد حب (بكسر الحاء) .
(٢) لبق : حاذق . (٣) أصلان : آصال .
(٤) قنال السويس، حيث نظم الشاعر هذه القصيدة في ابريل سنة ١٩٢٦ على شاطىء القنال بثغر بور سعيد .

وذلِكَ الفَلَجَ[1] الجارِي بجانبه يرجو حَماهُ كأنَّ الرَّمْلَ خَوَّانُ!

وذلِكَ الرَّمْلَ في وَشْيٍ وفي أَلَقٍ
كأَنما هُوَ للأَضْواءِ تَحْنانُ!

يَنْفي بِرِقَّتِهِ في لَمْعَةٍ خَلَبتْ
شكاً نَمَتْهُ على أَجْيالِ أَضْغانُ[2]!

ورَوْنَقاً للسُّكونِ الصَّفْوِ يشْملُنا
كأَنما ليْس طَيَّ الدَّهْرِ حِدْثانُ[3]

كأَنما في شباب ريِّقٍ[4] رَجَعَتْ
ملاحةُ الكَوْنِ، وهو الآنَ يقْظانُ

نَضَا مَشيبَ شِتاءٍ في تَنسُّكِهِ
وقادَه للبَرِيءِ اللَّهْوِ شَيْطانُ!

سَلْ العصافيرَ عمَّا باتَ يُسْكِرُها
حتى تُرَتِّلَ ما يَهْواهُ وَلْهانُ!

وسَلْ سَخِيًّا منَ النُّوَّارِ مُغْتبِطاً
بزَوْرَةِ النَّحْلِ: هلْ نادتْه كِرْوانُ[5]؟!

---

(١) الفلج لغة: النهر الصغير، والمقصود هنا الترعة الاسماعيلية.
(٢) أي الاضغان الطبيعية ما بين الرمل والماء.
(٣) حدثان الدهر: نوائبه
(٤) ريق: شيء بهج. (٥) الكروان: الكراوين.

وسائِلْ الزَّهْرَ عَنْ سرِّ نُزَاقِبُهُ
فيهِ الوُجُودُ ولـكنْ نحْنُ عُمْيَانُ!
وسَلْ نَسيماً بليـلاً في حلاوَتِهِ
للرُّوحِ : هلْ هوَ الأرْواحِ مَيْدانُ ؟
يُعتَامُ (١) للحُبِّ والعُشَّاقِ ناصِفَهم (٢)
كأنَّه في جِنانِ الُحبِّ (رِضْوَانُ)
وسَلْ طِرازَ غُرُوبِ الشَّمْسِ في أُفُقٍ
جَمٍّ الشعورهلِ الأَصباغُ أحزانُ ؟!
وارْقُبْ نجُوماً تُحيّينا وإنْ بَعُدَتْ
خَفَقْنَ في طَرَبٍ واللَّيْـلُ نَعْسانُ
كأَنّما هيَ جُنْدٌ في حِرَاسَتِهَا وَالبدْرُ حِينَ نُناجيهِ (سُلَيْمانُ) !
وسابِقُ الفَجْرِ كي تَحْظَى بفلسفَةٍ مِنْ بشْرِهِ حيثما ساءَتْكَ أشْجانُ!
كأَنمـا هُوَ في أُنْسٍ وَفي دَعَةٍ
دَاعِي (الرَّبيعِ) ومِنْهُ النورُ إعلانُ!
بِشَارَةُ اللُّطْفِ والإِسْعادِ حاليةٌ
والـكوْنُ في حِضْنِها النَّدْيانِ مَيْسانُ (٣) !

---

(١) يعتام : يختار. (٢) ناصفهم : خادمهم. (٣) خافق في نومه .

ولامبيرِ تحيّـاتٌ لتوقِظَنا
كأنما الفَجْرُ في الفِرْدَوْسِ جَنَّانُ (١)!

***

وَمَنْ مُعيدي الى الغاباتِ في وَطَنٍ نأَيْتُ عنهُ وقلبي مِنْهُ مَلآنُ ؟!
كم جوْلةٍ لِيَ فيها و(الرَّبيعُ) بها طِفْلٌ يُلاعِبُني والنُّورُ قُضْبانُ !
عَزَّتْ بها زُمَرُ الأَطْيارِ لاهيةً يملكها ولها الأَشْجارُ أَوْطانُ
وكُنْتُ أَنْسى بها دُنْيا مُخَلَّفَةً (٢) كأَنما الطيرُ إخْوانٌ وخِلاَّنُ !
أَوْ أَنّما هٰذِهِ الغاباتُ في حُلُمي
كَوْني وَليْسَ سوى الأَطْيارِ سُكّانُ !
واحوالَّتْ (٣) الأَرضُ وازْدانَتْ حَشائِشُها
وآمَنَتْ بفُتُونِ الشَّدْوِ آذانُ
وكنْتُ أَغنَمُ مِنْ صَيْدِ الفَرَاشِ بها
غُنْمَ الذي صَيْدُهُ دُرٌّ ومَرْجانُ
وأينَ آصالُ تَجْوالي على أَمَلٍ
بشاطِئِ (التَّمْزِ) حيثُ الشطُّ ضَحْيانُ ؟!

---

(١) الجنان : البستاني .
(٢) تركتها خلفي .
(٣) احوالت الارض : اخضرت واستوى نباتها .

تقرُّ فيــه الغواني فهوَ جوْهرَةٌ
تُزْهى المُرُوجُ بها ، والنُّورُ مُزْدَانُ!
أطَّتْ (١) بليلاً بهنَّ الرِّيحُ وافيةً
وأرَّجَ الرِّيحَ نِسْرينٌ وسُوسانُ
مِنْ كُلِّ هيفاءَ قدْ حاكتْ بساطتُها
هذِي (الطبيعةَ) حيثُ الذَّوْقُ مِيزانُ!
صبيحةُ الوَجهِ في الإِشْراقِ ساذجةٌ
وما لإِشْرَاقها المحْبوبِ فُقْدَانُ
مَرِيعةُ (٢) الأَرضِ في بشْرٍ بطَلْعتِها
وظِلُّها في مجَالِ البِشْرِ (٣) غَيْرَانُ
والطَّلُّ بينَ هُنَيْهاتٍ يُغازِلها كأَنَّه مِنْ حَنانِ الرَّبِّ تَهْتانُ!
وللزَّوَارقِ فَوْقَ النَّهْرِ أدْعِيــةٌ
على المجادِيفِ حيْثُ الحُسْنُ عَجْلانُ
والجوّ صَحْوٌ بإيناسِ الهوى ، عَبِقٌ
بالحُبِّ واللُّطْفِ ، بَيْنَا الجَوُّ غَيْمانُ (٤)!

---

(١) أطت : رنت .
(٢) مريعة : مخصبة .
(٣) نهر التمز .
(٤) غيمان : كثير الغيوم .

وأشْرَبُ الشَّايَ منْ كوْبٍ نُهيئُه
يَدٌ تُقبِّلُها شمْسٌ وشُهْبانُ!
كأنّي أنهَلُ الا كسيرَ ذَوَّبَهُ من الشّعاعِ إلهٌ ، فهوَ مِفْتانُ!
يُنفِّقُ[1] الصّفْوَ فينا دُونَ ما ثمنٍ
شَرَابُهُ ، ولغالي الصّفوِ أثْمانُ
وأين أيامُ تَجْوَالي بلا مَلَلٍ
في الرِّيفِ؛ والريفُ فارُوزٌ وعِقْيانُ ؟!
شاقتْ لهُ ولنا طُرْقٌ معبّدةٌ قدزانَها نَوْرُهُ الحالي وأفْنانُ
ونَثْرُ أكْواخِهِ البيضاءِ كلّلَها
قَشٌّ ، وجَمَّلها في الصّمْتِ قُنْعانُ[2]
رَفَّ (الرّبيعُ) عليْها في بَشاشَتِهِ
فمنْ معانيهِ نُزّالٌ وضِيفانُ[3] !
وكمْ حَسَدْتُ أليفاً مِنْ دَوَاجنِها
فكلُّها في نَعيمِ العيْشِ جَوْلانُ[4]!

---

(١) ينفق : يروّج .
(٢) قنعان : رضى وقناعة .
(٣) نزلاء وضيوف .
(٤) جولان : جائل .

حتى الدَّجاجُ تراهُ في طَبيعَتِه
يُفَتِّشُ الأَرْضَ ، لٰكنْ وهوَ خَجْلانُ!
قد عَمَّها الخَيْرُ منْ جُودِ الربيع كما
قدْ عَمَّنَا منْ جَدَاهُ السَّمْحِ غِشْيانُ(١)
قُوتُ النفوسِ وقُوتٌ للجُسومِ بهِ
فمنْ عَطاياهُ أَرْواحٌ وأَبْدَانُ!
وإنْ نَسِيتُ فما أَنْسَى مُسَامَرَةً
للبدْرِ والنَّهْرِ حَيْثُ الليْلُ رِعْوَانُ
أصطادُ في الشَّاطيءِ المَهْجورِ في كَنَفٍ
مِنْ غَرْسِهِ سَمَكاً خانتْه أَجْفانُ!
فما أصيدُ سوى صَبْرٍ أَلوذُ بهِ!
والصَّبْرُ للْبالغِ الغاياتِ دَيْدَانُ(٢)
وإنْ غَنِمْتُ نَسيمَ الليْلِ يُسْكِرُني
وقدْ أَغاثَ فؤادِي وهوَ غَلَّانُ(٣)

---

(١) غشيان : اتيان .
(٢) ديدان : دأب وعادة .
(٣) غلان : صديان ، من الغل (بالضم) وهو العطش الشديد .

كما غَنِمْتُ وِدَادَ العُشْبِ بَلْ شَجَرَ
أَلِفْتُهُ ، ومنَ الأَشْجارِ صُحْبانُ[1] !
حتَّى أعودَ الى بَيْتي مُنْتصفَ
اللّيْلِ ، واللّيْلُ مِنْ نَجْوايَ يقظانُ !
وصوَّتَ العندَليبُ[2] الحُرُّ ما فُتِنَتْ
بهِ (الطَّبيعَةُ) حيثُ الشَّدْوُ رَنّانُ
فكانَ شَاغلُ حِسِّي ما حَكى ، فبكى
قَلبي على الحُبِّ ، حينَ الحُبُّ زَهْرَانُ[3]
كُلُّ الوُجودِ حيالي في مُغازَلةٍ
وذاكَ قلبي بذِكْرَى الحُبِّ غَصَّانُ

* * *

واهاً على زَمَنٍ كانَ (الربيعُ) بهِ
رَبيعَ قلْبي ، وكانَ العُمْرَ (نَيْسَانُ)
ووشَّحَتْ بيْنَ أحلامي وَغايتهِ
خواطِرٌ غَضَّةُ الحُبِّ أعوَانُ !

---

(١) صحبان : صحاب .
(٢) العندليب : الهزار : Nightingale .
(٣) زهران : مزدهر . وغضان : شديد الحزن .

كنتُ الصبيَّ ، وفي رُوحِ الرَّبيعِ صِباً
وليْسَ بيْنهما في الْحبِّ وَهْنانُ [1]

وكان لي مِنْ فَتاتي نُبْلُ ما طَمَحَتْ
اليه في عفَّةٍ للحُبِّ رُهْبانُ!

وإنْ تَذَوَّقْتُ في الرُّوحيِّ مِنْ نَهَمي
ما لا يُكَيِّفُهُ وَصْفٌ وتَبْيانُ!

نُورُ الرَّبيعِ كنُورِ الْحُبِّ أُلْفَنَاَ
وللرَّبيعِ كما للحُبِّ إرْغانُ [2]!

تزاوَجا ، وكأنَّا هٰكذَا لهما طفلانِ ما بهما خَوفٌ وإدْهانُ [3]!
فيُنصِتانِ لما تَحْكي عَواطِفُنا كلاَهما بِشُبوبِ الغَرْسِ فَرْحانُ!
وأسْبَغا حُلَّةً للْحُسْنِ ضَافِيَةً على الدُّنَا فرَحيبُ الكَوْنِ إيوانُ!

وشَذَّبَا برَشيقِ الفَنِّ ما حَكَماَ
كما أجادَ صنَاعُ الكَفِّ دَهَّانُ [4]!

ونَسَّقَا كُلَّ شَيءٍ في نواظِرِنا فناظَرَ الزَّنْبقَ المُسْتملَحَ البانُ
وما رأيْنا الحَصَى الأَجْوَاهرَنا وليْسَ يُعْوِزُنَا في الحُكْمِ بُرْهَانُ!

---

(١) وهنان : ضعيف . (٢) ارغان : اطماع ، من أرغنه بمعنى أطمعه .
(٣) ادهان . مصالحة . (٤) ناقش ماهر .

اذا الرَّبيعُ خَطَا لاَحْبُبِّ فاجْتَمَعا فكلُّ شيءٍ لدَى العُشَّاقِ حَلْيانُ

• • •

يازورةً لَسْتُ أنْساها مدى زَمني
الى رُموسٍ لهـا في صَمْتِهَا شانُ !
خَرائبٌ في نَرَى (سَقَّارَةٍ) دُفِنَتْ
وللخرائِب بالتَّقْدِيس عُمْرانُ !
ما فاتَها مِنْ رَبيعٍ زَارَ مَسْحَتَهُ
فلَيْس في أهلها الأمواتِ مَوْتَانُ (١) !
ولا عَدَاها بِزَوْراتِ الهوى رَوَعٌ (٢)
فالُحبُّ يتْبعُهُ حُسْنٌ ورَيْعانُ (٣)
نَرْنُو اليهـا فلاَ الآثارُ تُصْغِرُنَا
حيثُ التفتْنا ، ولا الأَوثانُ أوثانُ !
وأُنْشِدُ الُحبَّ أشعاري فيُكْرِمُها
كما وَفى لنبيِّ اللهِ (حَسّانُ) !
وللرَّبيعِ أناشـيدٌ تُلَقّنني
شِعْرَ الحياةِ الذي لي فيه نِشْدَانُ (٤)

---

(١) للوتمان: الموت . (٢) روع : جمال وأناقة .
(٣) ريعان : نضارة . (٤) نشدان : مطلب .

أصوغُه قُبَـلاً منّي على قُبَـلِ
للحُسْنِ وهُوَ لشَرْعِ الحُبِّ مِذْعانُ(١)
اذَا الرَّبيعُ أتى فالحُسْنُ مُمْتَثِلٌ
والعطْفُ مُتَّصِلٌ ، والهجْرُ ذَبْلانُ !

كلُّ الوُجودِ تخلَّى عنْ شَواغِلِهِ
وخَنْقُهُ لعزاءِ الحُبِّ صَدْيانُ!
وذْ لِكَ (النِّيــلُ) مُفْتَرٌّ يُسائِلُنا
عمّا غَنِمْنا ، وخَلْفَ النيل (حُلْوَانُ)(٢)
وذلكَ (الهَرَمُ) الوَاهي يُعاوِدُهُ(٣)
منْ نَضْرَةٍ للصِّبا المعبودِ صَوَّانُ(٤)
وذاكَ (بَلْهُوبُ)(٥) يبدو في بُلهْنِيَةٍ(٦)
بالذِّكْرِ منّا فلم يَخْذُلْهُ حِرْمانُ

(١) مذعان : مطيع .
(٢) ضاحية القاهرة المشهورة ، وهي تقابل سقارة أو البدرشين من الجانب الشرقي للنيل .
(٣) هرم سقارة المتدرج وهو مقبرة الملك (زوزر) ، والمظنون أنه أقدم الاهرام ، وقد عمر نحو ستة آلاف من السنين .
(٤) صوان : حريص على صيانته .
(٥) بلهوب : أبو الهول الصغير المصنوع من حجر الالبستر .
(٦) بلهنية : رخاء العيش .

ذِكْرُ الصِّبَا والجَمالِ السَّمْحِ انْ جُمِعَا
غِنًى ورُوْحٌ وتجْدِيدٌ وإتْقانُ !
وما أحَبَّ اقترَابي في تَسَلْسُلِنا
الى المَزارِعِ حيْثُ الزَّرْعُ ظَمآنُ
فيَسْكُبُ الحُبُّ في عَوْنِ الرَّبيعِ له
مِنْ مائِهِ فَوْق ما تُعطيهِ غُدْرانُ !
وإنْ تئنّ السَّواقي في مُعاتَبةٍ
والماء في الجَدْوَلِ المنْسيِّ غَضْبانُ !
حتى السَّوائِمُ لم تَسكُنْ لِعِزْلَتِها
كأنَّ أصْواتَها في البُعْدِ تأنانُ (١) !
لم يكْفِها أنَّها تُرْعَى كسائمَةٍ وحَظُّها عندَها جُهْدٌ وألبانُ
سُبْحانَ مَنْ جَعلَ الحُبَّ المُشاعَ هُدًى
للْخَلْقِ كالدِّينِ لا تَمْحوهُ أدْيانُ !
كُلُّ الوُجودِ به في وَحْدَةٍ جُمِعَتْ
فلا شِقاقٌ ولا شَكٌّ وعُدْوَانُ
كذَا الرَّبيعُ مَدينٌ في جلالَتِهِ وما لِسُلْطانِهِ إلاَّهُ (٢) سُلْطانُ

(١) تأنان : أنين . (٢) الا الحب .

واَلخالقُ الكوْنَ(١) لاعتَبٌ عليهِ اذا
ما مَنَّ ، لٰكنَّهُ قاسٍ ومَنَّانُ !

***

أتَى الرَّبيعُ ووَلَّى للَّذِي حَفِظَتْ
ذِكْراهُ حبًّا وقدْ أشْقاهُ هِجْرانُ
يَلْقاهُ بالدَّمْعِ لا الآفاقُ صافيةٌ
ولا تجلَّى بشِعْرِ الكوْنِ دِيوانُ
وليْسَ يَستَمريءُ الألوانَ ضاحيةً
فكلُّ لوْنٍ لَهُ هَمٌّ وإدْجانُ (٢) !
وليْسَ يُفْصِحُ عِذْقُ (٣) الياسمينِ له
الاَّ عنِ الغَدْرِ في اَستِحْضارِ مَنْ مانُوا (٤) !
وليْسَ في الرَّوْضِ الاَّ ما يُعَذِّبُهُ
وكانَ قَبْلاً لهُ في الرَّوْضِ قُرْآنُ !
وليْسَ في اليَمِّ الاَّ كُلُّ خادِعَةٍ
وليْسَ للْحُسْنِ في مَرْآهُ رُجْحانُ !

(١) اشارة الى الحب . (٢) الادجان : الظلمة الشديدة .
(٣) عذق الياسمين : غصنه المتشعب .
(٤) في تمثل خادعيه وادكارهم .

ولَيْسَ في الأُفقِ مايدْعو تأمُّلَهُ وكانَ مِنْهُ لهُ بالأمْسِ تِيجانُ!
ولَيْسَ للشَّمْسِ أضْواءٌ معزِّيَةٌ وانَّما هيَ تعذِيبٌ وإنْخانُ!
ولَيْسَ للبدرِ معنًى من حبيبَتِهِ
بلْ مِثْلُهُ شبَحٌ في الثَّلْجِ لَهْفانُ!
ولَيْسَ في طُرَفٍ جاءَ الرَّبيعُ بها
ما يُسْتَطابُ لهُ حِرْصٌ وقُنْيانُ!
ولَيْسَ في الشعرِ تأساءٌ فتُلْهِمُهُ
ولَيْسَ بَيْنَ بناتِ الشِّعْرِ حُسَّانُ(١)!
ولَيْسَ في الحُبِّ الاَّ ما يُؤَجِّجُهُ
وفيهِ قَبْـلاً لهُ نورٌ ونيرَانُ!
نوافِحُ المِسْكِ قدْ ضاعَتْ تحيَّتُها
كما تُغيِّبُ ذِكرى الطلّ كُثْبانُ(٢)!
كأنَّما الـكَوْنُ فَوْضى لا جَمالَ بهِ
لا الحُسْنُ حُسْنٌ ولا الأَوْزَانُ أوزانُ!

---

(١) قنيان : اقتناء . وانخان : تقتيل . وحسان : جمع حسانة وهي الحسناء الفاتنة . (٢) الـكثبان : تلال الرمل .

وما تَبَقَّى منَ الدُّنْيا وزُخْرُفِها
ووَشْيِها غيْرُ ما قدْ شامَ أسْوانُ[1]!

وما تعلَّقَ بالتَّأميل بلْ قُطِعَتْ
خُيُوطُهُ، وَعفَتْ[2] للنُّورِ خيطانُ!

كأَنَّما هوَ في عُمْرِ الشِّتاءِ ، فمَا
لغيْرِ هـذَا الشِّتاءِ المُرِّ إيذانُ!

يُشْجِي بكلِّ الذِي يَحْيَا سِواهُ بهِ
كأَنَّما كفَّنتْ نُعْماهُ أكْفانُ!

(١) أسوان : حزين . (٢) عفت : امحت .

البحر

الصديق المتقلب

أ كذا يليقُ الغَدْرُ بالأَصْحابِ ؟
أ كذا تروعُ مشاعري وَشبابي ؟
كم جئتُ في دَمْعي أبُثُّك حَسْرَتي
فاذا بأُنسكِ غاسلٌ أوصابي!
متموّجٌ بعَواطِفٍ مَحْبوبةٍ ومُقهْقِهٌ بالبشْرِ والتّرْحابِ!
والشَّمْسُ ــ في وَهَجِ الأَصيل وذَيلُها
فوْقَ المياهِ ــ مُطيلَةٌ لِعتابي!
واذا النَّسيمُ مبلَّلٌ بدُعابةٍ كتبلّل الأطفالِ منْ ألعابِ!
وَاذا الرّمالُ طَرُوبةٌ مُختالةٌ بتغزّلِ العُشّاقِ والأَحْبابِ!
واذا القوارِبُ في انتِظامِ جُموعِها
كمواكبِ الأَملاكِ فوْقَ سحَابِ!
واذا الطُّيورُ السّابحاتُ جَريئةٌ
تنْسابُ عارِضَةً لكلِّ عُجابِ!
واليوم ياخِلّي القديمَ نَهَرْتَني وزَجَرْتَني بزَئيرِكَ الغَلّابِ

ماذَادَهاكَ وماصَنَعْتُ لأغتدي أهلاً لغضبةِ نِقْمَةٍ وَعقَابِ ؟!
والشَّمْسُ غَطَّاها السَّحابُ كأَنما مرِضَتْ وآذَنَ عُمْرُها بِغيابِ !
وقضى النَّسيمُ فلا بقاءَ لذِكْرِهِ وأَتَتْ عواصِفُ جنَّةٍ وخرابِ !
كنْتَ الصَّدِيقَ لِيَ الحَلِيمَ، وشَدَّ ما
يُلْقَى الحَلِيمُ بثَوْرةٍ وغِضابِ (١)
وجعلتني بعــدَ الذِي علَّمتني
أخشَى اضطِرابَ الودِّ في الأَصْحابِ
ضاعَ الوَفاءُ ولا بقاءَ لغيْرِ ما يرْضاهُ حكمُ الكَوْنِ من إيجابِ!

لو كنتِ علمتِ ...

ـ لسان حال العاشق المريض الى محبوبته الجاهلة بحبه ـ

لوْ كُنْتِ مَنْ عَلِمَتْ دَفِينَ شُعورِي
لعطَفْتِ عطْفَ حنانكِ المأثُورِ
تتساءَلينَ، وما عَرَفْتِ تَنَهُّدِي وتُجاملينَ، وماقَدَرْتِ سُروري
وتداعبينَ عوَاطفي وخَواطِري لا تُدرِكينَ تَعاسة المأسورِ

(١) اشارة الى أمواج البحر المضطربة .

النُّورُ منكِ يزينُ بَهْجةَ مجلِسي والقلبُ لا يَحْظَى ببعضِ النورِ!
أُصغي وأبسِمُ في التِفاتِ مؤنسٍ وفؤادِيَ المهجُورُ كالمذعورِ!
متخبِّطاً في خَفْقِهِ ووُثوبِهِ يأبَى وفيَّ جَوانحٍ وستُورِ!
وأراكِ رانيةً اليهِ، وانما أخطأتِ في الحُسْبانِ والتَّقديرِ!

شَخَصتِ سقمي مِنْ متاعِبِ جاهدٍ
مَنْ قالَ إنَّ الجِهْدَ أصْلُ زفيرِ؟!

وهنيْهةً ألقاكِ غيرَ مُوزَّعٍ وهوَ السكونُ عبادةُ التفكيرِ!
وتُصدِّقينَ القائلينَ بنعْمتي المادِحينَ نزاهتي وضميري
ولو اعتقَدْتِ بانّني لكِ خادِعٌ

بالصَّمْتِ ما حُوسِبْتِ عن تحقيري!

تُهَمُ الغرامِ لذِيذةٌ محْبوبةٌ وله شَريعةُ سيِّدٍ وحقيرِ
الصِّدْقُ فيهِ فضيلةٌ لو لم يكُنْ بالخوْفِ والكِتْمانِ أيَّ جديرِ!

فتأمَّلي باللهِ فيَّ تأمَّلي

تجدِي العَواصِفَ في سكونِ شعورِي
سِتِرَتْ على رَغمي، فحُسْنُكِ قَدْرُهُ

أنْ لا يُعَضَّ بثورَةِ المهجورِ!

دار الفدرع

في المعرض الزراعي الصناعي المصري

(مارس سنة ١٩٢٦ م)

قد دِنْتِ للحُبِّ الشريفِ بنشأةٍ وبناكِ من أسمى العواطفِ بانِي
وخصصتِ بالنّعمى كاونكِ بينما أثمرتِ أحلى البرِّ بالإنْسانِ
ووقفْتِ صاحبةَ الجلالِ كأنما يعتزّ من نظراتكِ الهرَمانِ !
ولسانُ فخرِكِ للذينَ تهافتوا : انَّ الدِّيارَ(١) دعائمُ الأوْطانِ !

فى المعرض

عرَضُوا العجائبَ للعيونِ فليتهم عرَضوا فؤادِي للقُلوبِ النّاظرَهْ
لترَاكِ في عهدِ الشُّيوعِ فريدةً فيهِ ، وحاكمةً عليهِ وآمرَهْ !
أيُعزُّ مِنْ نُخَبِ المتاعِ مجمَّلٌ ويُذَلُّ من آثرْتِهِ يا آسِرَهْ ؟!

(١) استعمل الشاعر كلمة « الديار » ترجمة لفظة « Homes » بكل معناها الدقيق .

الجمال المقسم

سافر الشاعر صحبة صديقه الاستاذ الاديب المفضال حسن افندي الحطيم من الاسماعيلية الى القاهرة في يوم ماطر فلفت نظره تقسيم الخط الحديدي لمبدأ هذه المنطقة الى قسمين : قسم زراعي ، وقسم صحراوي ، ولكل منهما جماله ورونقه ، فقال :

يَجري القطارُ بنا فيشطرُ حاكماً ... مُلكاً منَ الإبريزِ والفيْرُوزِ
فاذا الأَشعّةُ والرِّمالُ تحيّةٌ ... واذا الحُقولُ تبَرّجتْ لعزيزِ
واذا النَّخيلُ معزَّزٌ بعَساكرٍ ... للنبْتِ مثْلَ البَيْرَقِ (١) المهزُوزِ
حيّا الطَّبيعةَ في سخيٍّ جلاَلها ... فتبسّمتْ بالعطْفِ والتَّعزيزِ !

فقال حسن افندى :

متّعْ عيونَكَ يا صديـ ... ـقي إنْ ركِبْتَ قِطارَا
فعلى اليَسارِ زراعةٌ ... وعلى اليَمينِ صحارَى
كيْمَا تُريكَ الفرْقَ بيـ ... ـنَ المنظرينِ جهارَا
أنْظُرْ الى غُرَر (الطَّبيـ ... ـعةِ) تخطفُ الأَبْصارَا
فتخالُ خُضرَتَها الجميـ ... ـلةَ معطفاً وإزارَا
وتخالُ صُفرتَها البديـ ... ـعةَ دَائِراً وسِوارَا !

---

(١) البيرق : العلم المزدان ، والكلمة من الدخيل .

فأجازه شاعرنا بهذه الابيات :

وترى الملاَحةَ أمتعتْ في نَقْشِهَا (١) أزْهَارَا
وترى الجداولَ خُطِّطَتْ للعاشقينَ شِعارَا
حاكَتْ وإنْ لم تُستَمَعْ في نَبْضِها الأوْتارَا
والشّمْسَ في استِحيائِها وجْهَ الحبيبِ تَوارَى
تَخِذَ السّحابَ نقابَهُ لكنْ حَبا الأنوارَا !

خطّ الحظّ

أخذَتْ يدي وتأمّلتْ فيها كما تتأمّلُ الحَسْناء في المرآةِ !
فاذا بها تجدُ الحياةَ كما أرى واذا حياةُ غرامِها كحياتي !
قالتْ : وهذا خَطُّ قلبكَ إنّه خطُّ الطّهارَةِ صادِقٌ ومؤاتي
وكذاكَ عمرُكَ قدْ تمثّلَ خَطُّهُ رمزاً تُسَرُّ بوَحيهِ خَطراتي
لكنّ حظّكَ قدْ تعثّرَ خطُّه حيناً فعادَ مُسَدَّدَ الخطواتِ

---

(١) الضمير عائد الى غرر الطبيعة .

فنظرتهُ ونَظرْتُ صورَة حظِّها فاذا هما صِنوان في اللَّمحَاتِ !
فضممْتُ كفّينا كضُمةِ حظّنا وتَسابقَ الثَّغران للقبلاتِ !

عِبرة الوجود

وصف واقعة حال

يكفي التأمُّلَ أنْ يموتَ مُسافرٌ عند انتهاءِ رَحيلهِ بقضاءِ
مِنْ بعدِ ما بلَغَ الرَّجاءَ مآلهُ فاذا بهِ المخذُولُ عند رجاءِ !

ضحِكَتْ عليهِ منَى الحياةِ ولم تكُنْ
الاَّ كَمَرِّ تغرُّبٍ وفناءِ !

فمضَى برحْلَتِهِ الطَّويلةِ بعدَها سفراً الى القدَرِ الرَّهيبِ النَّائي !
وأتى ولم يعلم بسابقِ خَطبهِ صَاحي الشَّبابِ الضَّاحِكِ الوضَّاءِ
متَرنّمينَ وعازفينَ كأنّما الحظ كلُّ الحظِّ في الضَّرَّاءِ !
سُنَنَ الوُجودِ فكلُّ ما تلْقَى بهِ جَمْعٌ منَ الظَّلْمَاءِ والأَضواءِ !

الفراق

سلامُ اللهِ يا (زينُ) فانّي أعودُ بغيْرِ إيناسِ الأنيسِ
أعودُ وقدْ تركْتُ أعزَّ نفسي ولم أحملْ سوى ألم التعيسِ
كذاكَ العُمْرُ أحلامٌ وغمْضي ولا يُبْكَى سوى الغالي النفيسِ

الفاتح الجريح

عُدْنا كعودَةِ فاتحٍ مِنْ بعدِ معركةِ الغَرامْ
فاذا القُلوبُ جَريحةٌ لكنْ تخافُ على السّهامْ
تأبى انتزاعَ نِصالِها فكأنّها ذِكرى تُقامْ
أو أنّها عُقْبى الشّجا عةِ مِنْ ضرامٍ أوْ وِسامْ!

زهر البنفسج

أبيات ارتجالية

وكأنما زَهْرُ البنف ... سجِ بَسْمَةُ القلْبِ الحزينْ
بينا تُهَزُّ له القلو ... بُ جوًى تَقَرُّ بهِ العيُونْ
وتراهُ في تقْسيمهِ ... مزْجَ السُّرورِ معَ الشجونْ
فكأنَّما هوَ مستلَذُّ الرَّا ... حِ والماءِ المَعينْ
أو أنَّما هوَ خمرةٌ ... جادتْ بها زُرْقُ العيونْ
وتمثَّلتْ في كفِّ مَنْ ... أهوى جَمالاً لا يَهُونْ
متعطِّراً بأريجِها ... فكأنَّهُ نفْحُ الفنونْ
يجْري بهِ ماءُ الحيا ... ةِ ورحمةُ الصَّدْرِ الحَنُونْ
وتراهُ رَغْمَ صُمُوتِهِ ... وسكونِهِ يأبَى السُّكُونْ
متوزِّعاً بيْنَ الوَفا ... ءِ لهجةِ القلْبِ الأَمينْ
والعَوْدِ للحُسْنِ الذي ... أهداهُ ، يُشقيهِ الحَنينْ !

ذكرى ر. هوايت

فقيد العلم والانسانية

الصديق الحميم الشاعر والنحال الايكوسي الشهير ، وقد مات احتراقا بجانب أحد ولديه بعد انقاذه الآخر .

كالنَّحلةِ المفقود دَولتها بكيتُكَ ياصديقي (١)
كحياتها عشْتَ الوَفيَّ ومُتَّ من جَوْرِ الحَريقِ !
كنْتَ الشُّجاعَ الشَّهْمَ لا ينسى الودادَ بأيِّ حالْ
وقضيتَ عنوانَ الشَّجاعةِ والابوّةِ والكمالْ
أنساكَ ؟ ... هلْ ينساكَ وافٍ طالما أمتعتَهُ
بالشَّهْدِ مِنْ عطْفٍ ؟ فذُقْ عطفي بموتٍ ذُقتَهُ !
مُتَّ الشهيدَ وحوْل رُوحكَ لفحُ نيرَانِ القلوبْ
فكأنما ذَابتْ فزادَتْ مِنْ لهيبكَ إذْ تذُوبْ!
مُتَّ المُعذَّبَ والهنيءَ قضَى أمامَ الواجبِ

---

(١) من العادات القديمة بين النحالين في بريطانيا القضاء على طوائف النحل في نهاية الموسم وحرقها بعد أخذ خيراتها ، ثم الاعتماد على طوائف جديدة متوالدة في الموسم التالي .

بجوارِ فلذةِ كبْدِهِ جَذَبَتْهُ قوَّةُ جاذِبِ!
يا ليتَ دَمعي كانَ قُربَكَ وقتَ ما حُمَّ القضاء
يا ليتني خُيِّرتُ في عيشي أو آختيرَ الفِداء!
أسفي على عَهْدٍ مضى بحلاوَةِ البرِّ الصَّحيحْ
أسفي على حُكمِ النوى بمرارَةِ القلبِ الجريحْ!
مِنْ جُرحِهِ خطَّ البرَاءُ سطورَ آلامِ الاخاء
لغة الوَفاءِ تمثَّلتْ فيهِ ، فما فيها خفاء!
تجري اليك وان نزحتْ وبنتَ أنتَ عن الدّيارْ
جريَ التموّجِ والأَشِعَّةِ لا تهابُ مِنَ البحارْ!
واذا رثيتُكَ أو بعثتُ الى ذَويكَ أسى العزاء
فالحقُّ يعلمُ انّني أوْلى لنفْسي بالرثاء!

عبدة الألفاظ

والتماثل اللفظي في الشعر

يا مَنْ تَوَهَّم لي شبيهَ سِرَاجِه
لِمَ لا تُضيء إذنْ بقوَّة نُورِي ؟!
هَوِّنْ عليكَ فما المظاهرُ وحدَها
تكفي ، وما المنّانُ غيْر فقيرِ
واعلمْ أخي أنَّ المَشاعرَ دَفْعُهَا لِشعرِ كالتَّيَّارِ دفعُ قديرِ
فاذا تعلَّق سابحٌ بملاذِها وهيَ العظيمةُ لمْ تقِفْ لحقيرِ!
والشَّاعرِيَّةُ ليْسَ يُنقصُ قدْرَها
الا آنتِقاصُ تخيُّلٍ وَشُعورِ
إبدأ بأنماطِ القريضِ مفنّداً قبلَ الغلوِّ مفنّداً تعبيري
أوْ فاتّخِذْ مِنْ جرْأتي و تفنُّني رغمَ آشتِراكِ اللّفظِ علمَ خبيرِ
خيْرٌ لفكْرِي أنْ تُداسَ يَراعتي
إنْ فاتَ شعْرِي الحرَّ وَحْيُ ضَميرِي!

تحامُل الغدُور

دعابة شاعرين

(١)

عزيزي الاديب الطبيب .

لمْ يَحُلْ دُونَ أنْ أُنفِّذَ وعدِي
غيْر سحّ الأَمطار أمسِ الشَّديدَهْ
فاقبل العُذْرَ يا (ذكي) ولكَ الشكْ
ـرُ كثيراً منّي ، وهاكَ الجريدَهْ !
إنَّ فيهـا مقالةً بكَ زُوراً
عرّضتْ ، وهيَ قَطُّ غيْرُ سديدهْ
فتمطَّعْ ! وآهبدْ (١) دعياً جناها
بمقالٍ يُخْزِيهِ ، واقْطَعْ وريدَهْ !

الخاص

عبد الله بكرى.

(١) يقال لغة : هبده بمعنى أطعمه الهبيد وهو الحنظل .

(٢)

عزيزي الاستاذ بكري افندي :

أيْ أخي ! نحنُ في زمانٍ مريضٍ
بمقاييسهِ الضعافِ الفَريدَهْ !
يُوهِمُ الناسَ أنَّ في ألَقِ المِصْ
باحِ شمساً سنِيّةً معبودَهْ !
ويرى الشَّمْسَ قِطْعةً منْ نحاسٍ
لفظتْها الدُّنيا فهانتْ بعيدَهْ !
انَّ ذَنبي لشاعريّةُ لُبّي وخصيمي غُرُورُ نَفْس بليدَهْ
غيرَ أنّي الغفورُ فالشّعرُ روحي
ومن البرِّ أنْ أكونَ شَهيدَهْ !
قُلْ لمنْ يدَّعي الإمارَةَ فيهِ
رُبَّ بيْتٍ أذابَ ألفَ قصيدَهْ !
أنا واللهِ لستُ أشْري ببَعْضي
كلَّ ما صُغْتُهُ وعِشْتَ مُعِيدَهْ !

المخلص

أبو شادى

تسامى الحرمان

تَسَامَى فؤادي (لِلفُنُونِ) عِبَادَةً
ولولاكِ ما شَاقَ الفُؤادَ تَسَامي !
وما « مَثَلي الأَعلَىٰ » سِوَاكِ وانْ مضَتْ
نوازِعُ رُوحي (للجمالِ) أمامِي
وما انصرَفَتْ نفسي اليهِ بداهةً
ولٰكنْ لحرْماني وكبْحِ غَرَامي
وكُنْتِ شِفائي في سِقَامِ فُتُوَّتي
فأصبحْتِ لي بعدَ الشِّفاءِ سِقامي !
ومنْكِ تلقَّيتُ الهدايةَ والهوَى
فكيْفَ أبَحْتِ اليوْمَ كُلَّ مَلاَم ؟!
ولٰكنْ لكِ الشُّكْرُ الذي أنتِ فَوْقَهُ
إِفْعَمِكِ أحلامي بوَحْيِ إِلهَامِ !
صَرَفْتِ حَناني (للجَمالِ) مُنوَّعاً
فأنتِ قِوامٌ للسَّنَى[1] وقِوامي

---

(١) الجمال .

وكُلُّ معاني الكوْنِ بلْ كلُّ منظرٍ
سَرِيٍّ له في رَوْعةٍ وَنِظَامِ
يمثُلُ في كُنهِ سَناكِ لخاطِري
وأنْهَلُ منهُ ما يَبُلُّ أُوامي !

فلا شيءَ في الدُّنيا سواكِ لشاعرٍ
رآكِ لهُ نُوراً بكلِّ ظلامِ !
ويالِيْتهُ بالرَّغْمِ منْ كُلِّ مَدْحَةٍ
تُكالُ لهُ أوْ مِنْ تحاسُدِ ذَامِ (١)
تخَلَّى عنِ الوصْفِ الذي اخْتُصَّ فنُّهُ
بهِ لوصالٍ منْ جَمالكِ سامِ !
فذاكَ خُلُودٌ في جِنَانٍ شهيةٍ
وما أدَبي الأ لهيبُ ضِرَامي !

---

(١) من التحاسد الذي ينطوي عليه الذم .

ملك النيل

تمثل هذه القصيدة دعوة الشاعر الصريحة الى استقلال أقطار حوض النيل ووصلها بوحدة جامعة مستمدة من ثقافة وسياسة مشتركة . وقد تفرد بهذه الدعوة الحرة في منظومات أخرى من قبل .

أبناءَ (مِصْرَ) ألاَ يسوغُ لشاعرٍ
منكم غُلُوٌّ صَرَاحَةٍ ووَفاءِ ؟
لا تَغْرِسُوا الأوْهامَ طَوْعَ جَماعةٍ
صاحَتْ طَويلاً صَيْحةَ الجُهلاءِ
لا تُثْمِرُ الأَوْهامُ غيْرَ نَظيرِها ولربَّمـا مَنحَتْ أمرَّ بلاءِ !
لاتُهْمِلوا استِقلالَكمْ ،لكنْ بلا جَهْلٍ لحقٍّ تجاوُرٍ وإخاءِ
هذا هو (السُّودَانُ) عَوْنُ حياتِكمْ
فلْيَحْيَ بيْنَ تَعاوُنٍ وولاءِ
نادُوا بدُسْتورٍ لأَهليهِ ،ولا تتَرَدَّدُوا بتَرَدُّدِ الأَهْواءِ !
وَعِدُوهُ باستِقْلالِهِ الوافي متى
قدْ شَبَّ ، بل وعِدُوهُ كُلَّ رَجاءِ!

وتنظَّروا [1] الآتي ليومٍ صالحٍ
تُحيونَ فيــهِ وصيَّةَ الشُّهَداءِ
أُمنيَّتي استقلالُ كلِّ دِيارِنا موصولةَ الأعضاءِ والأجزاءِ
فيصيرُ (حَوْضُ النيل) مُلْكاً واحداً
بثقافةٍ وبغايةٍ ونداءِ
يتضافر (السودَانُ) و(الحَبَشُ) الأُلى
حَفِظُوا لكمْ إبليزَ هذا المــاءِ
فتضافرُوا معهم لِتُحيُوا جَمْعَكمْ
في (وَحْدَة) بكرامةِ الأحْياءِ
لكمُ المِثالُ لحيــلةٍ وكِياسَةٍ
في الحُكمِ عندَ رَوابطِ الأعداءِ
أُمَمٌ يجَمِّعُها اتحادُ صوالحٍ لا حُكمُ أسيادٍ وذُلُّ إماءِ [2]
مَنْ شاءَ إنْصافاً لهُ فعليهِ أنْ يُعْنَى بانْصافِ الشَّقيقِ النَّائي
ولقدْ مضَى عهدُ الهوانِ وأصْبحَتْ
كُلُّ الشُّعوبِ تُدِينُ بالعَلْياءِ [3]

---

(١) تنظره : تأنى عليه وانتظره فى مهلة .
(٢) جمع أمة : وهي الخادمة المملوكة .
(٣) تتخذ العلياء ديناً .

وأرى الجحودَ[1] الحَقَّ يُذْعِنُ صاغراً
مِنْ بَعْدِ ما يَلْقَى منَ الأرزاءِ
فدعوا غُرُورَ الوَهْمِ والتَمِسُوا العُلَى
بتعاوُنِ الخُلَصاءِ لا الدُّخَلاَءِ
لَيْسَ الصِّياحُ دليلَ قُوَّةِ قادِرٍ
انَّ الصِّياحَ وسيلةُ الضُّعَفاءِ !

المرأة

مترجمة عن الاصل الانجليزي للشاعر أوليفرجولد سمث

(١) — الترجمة

متى هَوَتْ الحسناء طَوْعاً لطَالِبِها
وقد عَرَفَتْ غدْرَ الرِّجال أخيرَا
فما ذٰلِكَ السِّحْرُ المُلَطِّفُ وَجْدَهَا ؟
وما الفَنُّ يُودِي بالدُّموعِ قديرَا ؟

---

(١) الجاحد .

***

أرى الوَاحِدَ الفَنَّ المُحَجَّبَ إِنهَا
ليسترَ ذاكَ العارَ عن كلِّ نظْرَةٍ
ويُوحي بتَوْبٍ للَّذِي قد أَحبَّها
ويُشْقِي له قَلْباً — لِقَاءَ مَنِيَّةٍ

(٢) — الأُصل

WOMAN

When lovely woman stoops to folly,
And finds too late that men betray,
What charm can soothe her melancholy ?
What art can wash her tears away ?

The only art her guilt to cover,
To hide her shame from every eye,
To give repentance to her lover.
And wring his bosom is — to die.

Oliver Goldsmith

الاطلال

كم كُنْتُ أضْحَكُ مِنْ جَوَى الشُّعَرَاءِ
النَّائِحِينَ على الزَّمانِ النَّائي
المُكْثِرِينَ منَ « الطُّلُولِ » ونَدْبِهَا
في الشّعرِ ، في جَنَفٍ [1] عن الأحياءِ
حتى نُكِبْتُ بما قَضَيْتِ فطَابَ لي
ذِكْرُ الطلولِ ولوْعَتي وبُكائي
وكأنّني الطَّلَلُ المَهِيلُ بنفسِهِ مِنْ بَعْدِ ما قَدَّرْتِ أنتِ فنائي !
أمْشي كأنّي ظِلُّ أمْسٍ ضاحِكٍ وأخْتَصُّ دُونَ الأَمْسِ بالظَّلْماءِ
والنَّاسُ لا يَدْرُونَ خافيَ لوْعتي لو يفْقهونَ مظاهرَ الشُّهَداءِ
وأزورُ بيْتاً كُنْتِ أنتِ نجُومَهُ وسماءَهُ ، فغدا بغيْرِ سماءِ !
وأطوفُ في حَجِّي وإنْ هو لم يَبِتْ
عندي سوى طَلَلٍ ينوحُ إزائي !
طَلَلٌ على طَلَلٍ يَئِنُّ وهٰكذا قضّيتُ ساعةَ عُمْرِي ودُعائي !
وبكيتُ في حَرَقِ زمانَ شبيبتي فلقدْ أُميتُ مُضَرِّجاً بدِمائي !

---

(١) في بعد .

وتَرِكْتُ والدَهُ المُسِنَّ أخُصُّه بمدامعي وتلهُّفي ورثائي !
أردَيْتِهِ بِهَوَاكِ ثُمَّ تركْتِنِي
ـ وأنا الجَريحُ ـ أذوقُ كُلَّ فَناءِ
وأرى العزاءَ هُنَيْهَةً في خالِفي وأعودُ أهجرُ خالقي وعَزَائي !
وأعودُ أسألُ عنكِ كلَّ شَهيدَةٍ للأَمْسِ في نَبْتٍ لقِيتِ وماءِ
وأُسائِلُ الأَطْيارَ فوْقَ مَنازِلٍ
شَحَبَتْ[1] فلا تَدْري حزينَ ندائي
وأُسائلُ الأشْجارَ وهيَ بأَمسنا كانتْ كأَطفال منَ الرقَباءِ
وأُسائلُ اللَّيْلَ الذِي ما خانني قَبْلاً ، فما يدري زَمانَ ولائي
حتى الكَواكِبُ في السَّماءِ تنكَّرَتْ
والبدرُ ، أو صارتْ من البُلَهاءِ !
نَسِيَتْ زَماناً كانَ منكِ ضياؤُها
عندَ اللقاءِ ، وكنْتِ أنتِ ضيائي
وكأنَّما هذي العوالمُ أصْبحَتْ
بِنَوَاكِ أطلالاً بغيْرِ رَجاءِ !

---

(١) شحبت : تغيرت من سقم ، أي المنازل .

مجد الهزيمة

أسيرُ بأسمالٍ على رغْمِ عزّتي
يُكَرِّمُهَا خُلْقي وطُهْري وإيمـاني
ولوْلاَ زَكاةٌ قدْ تَفانَى ببذْلهـا
وفائي لما أصْبَحْتُ مِنْ أجلها العاني
سجيةُ مَغْطُورٍ على خيْرِ نَوْعِهِ
فيَنْسى حُقُوقَ الذّاتِ في نَفْعِ إنسانِ
ضَحِيةُ أقدارٍ ، ولَسْتُ معاتباً
فما كانَ خُسْرانِي كذاكَ بخُسْرانِ !
ولي لذّةٌ في البُؤْسِ ما دُمْتُ شاعراً
بأنّي طليقٌ : كُلُّ دَيْني لِوجْداني !
ولي مُتعةُ الفَنّانِ : بيْنَ خَصاصةٍ
تُمِضُّ ، وكَنْزٍ في العوالِمِ رُوحَاني .
ويرْشُقُني الباغي الفخورُ بطيْشِهِ
ويهْوَى أذاتي في تَفَنُّنِ شيطانِ !

ويحسدُني حتى كأَنَّ خَسائري
غِنَىً، وكأَنّي صرْتُ صاحبَ سُلْطان !
ويُسْعِفُهُ المـالُ الذي كمْ شَرَى بهِ
صحائفَ أقلامٍ وهمّةَ أعوانِ
فيحْسَبُ أنّي في الهزيمةِ صاغرٌ وما هيَ الاَّ رمزُ مَجْدٍ لعرْفاني
ورُبَّ انتِصارٍ كانَ عاراً لربِّهِ
ورُبَّ اندِحارٍ كانَ فَخْراً لشُجْعان!
وتُزْعِجُ قَوْماً هِمَّتي وتَفَنُّني ويخذُلُهمْ حُسْبانُهمْ قَدْرَ حُسْباني
يَرَوْنَ جُهُودِي لا حُدُودَ لفضْلِها
ولستـوإنْ أعجزْتُـ أرْضَى بإمكاني
فيُدْهِشُهُم هذا التناقُضُ مثْلَما يحيّرُ طِفْلاً طَيْفُ نورٍ بألوانِ !
كذلِكَ نَفْسي في ظُهورٍ تنوَّعَتْ
كَنُورٍ، وما أزْرَى بها الحظُّ من شاني
وآبَى اعتِدادِي في مَقامِ تطَلُّعٍ
الى (الغَرَضِ الأسْمَى) وأُنكِرُ إتقاني
وإنْ كُنْتُ في حال الدِّفاعِ مُهَنَّداً
أذودُ بحَقٍّ عنْ مَفاخرِ بُنْيَاني

فينقُدُني مَنْ كانَ بالأَمْسِ ساعياً
لهدْمي كأَنّي في دِفاعي أنا الجاني !
كأَنَّ قبيحَ الذَّمِّ إنصافُ ناقدٍ
يُكالُ لمثْلي كالجزاءِ لإِحْساني !
وأمَّا دِفَاعي أوْ مديحٌ يخُصُّني
بهِ الصَّحْبُ جَنْبَ النقْدِ فهوَ ككُفْرانِ !

***

فيا قَوْمُ إني قدْ رَضيتُ هزيمتي
بعالِمَكُمْ زُوراً كأَشْرَفِ سلْوانِ !
تعيشون مَرْعىً في المقابحِ دائماً
بجوٍّ كثيفٍ بالمفاسِدِ غيْمانِ (١)
وتأبَوْنَ الأَ الزَّهْوَ والشُّهْرَةَ التي
مبادِؤُها تعزيزُ أسوأِ بُهْتانِ
فلا عَيْشُكُمْ فيهِ رَجاءُ لنهْضَةٍ
ولا مَوْتُكُمْ فيهِ فخارٌ لأَكْفانِ !
وإنْ جاءَ مِثْلي في تحرُّقِ نفْسِهِ يبثُّ بكِ رُوحاً جديداً لأَذْهانِ

(١) غيمان : متلبد بالغيوم .

سخطْتمْ عليهِ سُخْطَ غَدْرٍ كأَنّني
زَلَلْتُ بِبِرّي مِثْلَ أغدَرِ خَوّانِ!
فلا أنتمو آخترْتُمْ هُدًى في سبيلِهِ
ولا قد نأيتُمْ عنهُ في نُبْلِ أقْرانِ
ولٰكنْ أَبَيْتُمْ أنْ يُعَزَّ مُجاهِدٌ
وشئتُمْ لهُ ذُلاًّ كذُلِّ لكُمْ شاني!
فلمَّا أبَى هـذا الهوَانَ وردَّهُ
جُنِنْتُمْ ورُحْتُمْ بيْنَ باغٍ وطَعّانِ!
هنيئاً لكُمْ هـذَا الجلالُ بعارِكُم
وأهْلاً بقَدْحٍ كانَ أكْرَمَ إعلانِ!
يُرَدِّدُهُ كالبَبّغاءِ مُلَقِّنٌ
وأصداؤُهُ ما بيْنَ عِيرٍ[1] وأوْثانِ!

(١) العير : قافلة الحمير .

تل العمارنة

أهذِي بقايا الذِّكْرِ عنْ مَجْدِنا الأَسْمَى
نحِنُّ لهـا طَيْفاً وتُؤْلِمُنا رَسْمَا ؟

أهذي (رسُومُ الشَّمْسِ) أوْدُورُ مَنْ عَنَوْا
اليها تُناجِينَا فنُشْبِعُها لَثْمَا ؟

مَضَتْ ومَضَى الأهْلونَ والشَّمْسُ لم تَزَلْ
تنوحُ عَلَيْهِمْ في أشِعَّتِها سَجْمَا !

كأنْ رَجَمَتْهُمْ للقُرُونِ حَوَاسِدٌ
فوَلَّوْا وهذِي الشَّمْسُ تدفنُها رَجْمَا!

تفيضُ سناءً كانَ تاريخَ أمْسِنَا
ونارَ سَعِيرٍ أحْرَقَ الجَهْلَ والوَهْمَا!

فما عَاشَ الأَ مَنْ فُتِنَّا بنُورِهِ(١)
كأنَّا بِهَا نَلْنَى الهُدَى مِنْهُ مُؤْتَمَّا!

فأجْمِلْ بها نُوراً ، وأكْرِمْ بها هُدَى
ووَحْياً يُعَزِّينَا ويُلْهِمُنا العَزْمَا !

---

(١) يشير الى (اخناتون) العظيم

* * *

وقفتُ على الأطْلالِ في الحُلْمِ وَقفةَ
فكانَتْ ليَ الأمْسَ المُحقَّقَ لا الحُلْمَا!

فألْفيْتُ نَفْسي قُرْبَ فِرْعَوْنَ ماثلاً
على (النِّيلِ) في يَخْتٍ يَشُقُّ بنا اليَمَّا

كأنّي وَزيرٌ قدْ حَكَمْتُ بأمْرِهِ
وهذَّبْتُ في المُلْكِ المَضوضِ لهُ الحُكْمَا!

وأخلصْتُهُ نُصْحي بغيْرِ تَحَرُّجٍ
فأخْلَصَني حُبّاً وقَدَّرَني نَجْمَا!

تَرَكنا مغاني (طِيبةٍ) منْ كراهةٍ
لشيعةِ (آمُونَ) الذي بَسطَ الضَّيْما

نُفتّش عنْ أرضٍ لعاصِمةِ العُلَى
نُبجِّلُ في تبجيلها دِينَنَا الفَخْمَا

نُعامَاهُ توحيدُ العبادَةِ للْوَرَى
وللرَّبِّ تَوْحيداً نقدِّسُهُ وَسْمَا

فُتنّا بوَحْيٍ منْ (أتُونَ) مُطَهَّرٍ
كأنّا رأينا ما عَداهُ لنا إثْمَا

فلمَّا ٱنتقينْا بُقْعةً طابَ حُسْنُها
بِجَوْنٍ بديعٍ زانَ أجبالَه الشَّمَّا
تُقابِلُهُ حُسْناً حُلِيُّ جزيرَةٍ تُداعِبُهُ لُطْفاً وفي قُرْبِهِ تُحْمَى
عُمِرْنا خُشُوعاً للجَمالِ، وعندَها وجَدْنا حِمَى هذا الجمالِ لنا الغُنْمَا
وقدْ طَفِرَ الحُلْمُ اللَّذِيذُ بنَشْوَتي
فكانَ مَقَرُّ المُلْكِ في لَمْحَةٍ يُنْمَى!
وذاكَ (بِكُ)[1] الفنَّانُ يَبْني صَوامِعاً
بهَنْدَسَةٍ شاقَتْ بآيتِها العُظْمَى!
تُمَثِّلُ دُنْيا للخُلودِ، وغيْرُها
بِرَغْمِ خُلودِ الفَنِّ قدْ مثَّلَ الهدْمَا!
وقدْ بَسَمتْ فوْقَ الجزيرَةِ شَطْرَها
جواسقُ (أخْناتونَ) أُنْساً لنا جَمَّا
وفي حافَّةِ الجَوْنِ السَّعيدِ تنسَّقَتْ
بساتينُ قَصْرٍ زدْنَ نِعْمَتَهُ نُعْمَى
مشاهِدُ أوْحَتْ للحياةِ جلالَها
وهَزَّتْ صُخوراً حَوْلَها حُسِبَتْ صُمَّا!

---

(١) Beck ـ المهندس المصري الشهير في ذلك العهد .

غوالي قُصُورٍ في جِنان تحدُّها
شَواهِدُ (١) تأبى أنْ تُجيزَ بها هَمَّا !
وهٰذي تَرانيمُ الهيا كلِ أنْعَشَتْ
بأعذبِ ،وسيقىٰ لها الرُّوحَ والفَهْمَا
وهٰذي تَغاريدُ الطُّيُورِ تجاوَبَتْ
تُبُثُّ بنا الإيمانَ والحُبَّ والسَّلْمَا
وهٰذي دَوَالي كَرْمَةٍ بعدَ كَرْمةٍ (٢)
وَهَبْنَ الهوىٰ قُرْبانَهُ اللَّثْمَ والضَّمَّا!
وهٰذي ذُرَى القَصْرِ المنيفِ وقدْ حَوَى
فُنُوناً كما أرْضىٰ بهِ المَلِكَ الشَّهْمَا
تغنِّي الغَوَاني فيهِ قُرْبَ بُحيْرَةٍ
مُقدَّسَةٍ حُسْناً ، مُنَمَّقَةٍ رَسْمَا
وأسْرَةُ (أخْناتون) تَرْعىٰ بحُبِّها
رضَاهُ وتُسقيهِ الهوىٰ الصِّرْفَ والنَّوْمَا
رَوائِع يُشْفي الصُّمَّ والبُكْمَ سِحْرُها
ولمْ تُغْفِلِ المَوْتَى ولا شيْخَها الهَمَّا !

---

(١) حجارة الحدود الفاصلة . (٢) كرمة : Villa .

وهٰذي وُفودُ التَّابعينَ تتابَعتْ
تُرجّي من الاسعافِ ما يَمْحَقُ الحصا
فيُعْرَضُ (أخْناتُونُ) عنهمْ، مُفدّياً
بمُلْكِ بني الإنْسانِ مهْما هوَى ظُلْمَا !

***

صَحَوْتُ فلم أُبْصرْ سوى الأَمْسِ ظامِئاً
الى اليَوْمِ ، بَيْنا اليومُ في شَوْقِهِ أظْمَا!
رمالٌ وأعْشابٌ تُعَفِّي خُطُوطَهُ !
ولٰكِنَّ قلبي لَنْ يفوتَ لها عِلْمَا!
و(مَعْبدُ طَيفِ الشَّمْسِ [1]) مازالَ دَاوِياً
بِسَمْعي لهُ شَدْوٌ فُتِنْتُ بهِ نَظْمَا!
وتِلْكَ القُصورُ الباذِخاتُ تلألأَتْ
وشَفَّتْ عن المَجْدِ الذي خَصَّها قِدْمَا
وتلْكَ البُرُوجُ الشَّامِخَاتُ تَجَلْبَبَتْ
بفضيٍّ لوْنٍ زَادَ بَسْمَتَهَا بَسْمَا

(١) هو المعبد الفخم الذي بناه (أخناتون) تكريما لوالدته الملكة (تي ـ Tiy).

وما (قصْرُ آيٍ)[١] غيرَ آيٍ عزيزَةٍ
منَ الفنِّ رَغْمَ الدَّهرِ تنفحُنا اليَوْمَا
طَواهَا البِلَى في أعيُنٍ لم ترَ السَّنَا
وفي سَرْنَجَ[٢] البيداءِ تلْقى العُلَى وَهْمَا!
وَخلَّدَها حُبُّ الجمـالِ لخاطِري
فأمتعتْ العَيْنَ الشَّغوفةَ والشَّمَّا!
لمحْتُ بها إبداعَ (أُوتا) وَجنْبَهُ
(تُحُتْمُسُ) للاعجازِ في فَنِّهِ أَوْمَا[٣]!
وألفيْتُ هذا (الدَّهْرَ) وهو يخُصُّها
بوَجْدٍ حيَالي نادِماً فائِضاً لوْمَا!
وملءَ النَّدى دَمْعٌ يُبَثُّ مُجدَّداً
وفي الشَّفقِ الباكي جُرُوحٌ لهُ تُدْمى!
وملءَ نُواحِ الطَّيْرِ شِعْرُ رِثائِها
لطَيْرِ التصاوِيرِ التي خَلَّفَتْ يُتْمَا!

---

(١) قصر آي (Ay) ـ وهو حمو أخناتون ـ كان ممدوداً من أجل مباني العاصمة المصرية في ذلك العهد .
(٢) السرنج : الارض الواسعة المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق .
(٣) كان أوتا (Auta) وتحتمس (Thutmose) ممدودين في طليعة رجال الفن المبدعين في ذلك العصر، وكانت لهم آيات فنية جليلة .

وفي أَلَقِ الفَجْرِ الحَزينِ بُكاؤُهُ
مفاخرَ عصْرٍ لمْ يكنْ جُودُهُ زَعْمَا !

وللْبدْرِ في جَمْعِ الكواكبِ وقفةٌ
عليْها تُنادِي للفُنون بها أُمَّا !

ومِنْ كلِّ أرْبابِ (الطَّبيعةِ) هزّني
سؤالٌ ونحْنانٌ وهَمْسٌ لها أصْمَى [1] !

بَكَتْ في عِبادَاتٍ لعصْرٍ عبادَةً
سَمَا بشُعورِ الرُّوحِ للمَطْلبِ الأَسْمَى !

(١) أصمى : جرح وقتل .

ممنونه الفيلسوف

أو الحكمة الإنسانية

من أخص فروع الأدب الغربي ـ لا سيما في هذا العصر ـ التأليف القصصي سواء المطالعة أو التمثيل . والتأليف القصصي المطالعة ينقسم عرفياً الى ثلاثة أقسام : (١) « الاقصوصة » ـ (Short Story) وأهم ما تعنى به تصوير حادثة فردية تصويراً محكماً كتصوير أزمة أو مفاجأة أو واقعة معينة خاصة بالحياة الانسانية ، و (٢) « القصة » ـ (Short Novel) وهذه عبارة عن رواية صغيرة ، وغايتها عادة دراسة الطبائع والسجايا ، فليست وقفاً على شرح أو تصوير حادثة أو أمر معين ، و (٣) « الرواية » ـ (Novel) وهذه قصة طويلة جامعة لمناظر وحوادث شتى ، كاشفة للغرائز والطباع والاخلاق الانسانية بما فيها من حل وتشريح وتفصيل . ومثال الاقصوصه : « طبيب المركز » لترجنيف ، وممنون « الفيلسوف » لفولتير وهي موضوع هذا النظم المرسل ، ومثال القصة : « كارمن » لمريميه و « شجرة التفاح » لجالزورثي ، ومثال الرواية : « أليفر توست » لدكنز و « تايس » لأناتول فرانس . والنماذج الجميلة لهذا النوع من الادب الغربي تعد بالمئات وهي ذوات ألوان شتى ، فالغرض من عرض هذه الاقصوصة (منظومة شعراً مرسلا في مائتي بيت بأمانة وافية للمعنى والسياق الفني) هو أولا التنويه بمثال من أرقى الامثلة الاوربية للأدب القصصي ، وثانياً لفت الانظار الى هذا النوع من النظم (وان يكن قديماً في الشعر العربي) حيث نعتقد أننا نخدم به الأدب العربي ونصفه مما ، فانه مثال لارضاخ النظم للشعر (وهو ما ينبغي أن يكون نهج الشاعر المطبوع) بدل ارضاخ الشعر للنظم (كعادة أهل الصناعة) ، وهكذا يؤدي ما ينشده المؤلف من وصف وشرح وتحليل . ويدعو القارىء الى متابعة المعنى والمغزى بكل تفكيره ، بدل التأثر بجرس الالفاظ وشعوذة البديع والقوافي .

(الناظم)

* * *

شاءَ (مِنْتُونْ) أنْ يكونَ حكيماً بلْ إماماً وفيلسوفاً عظيماً وقليلٌ هُمُو الذينَ تَخَلَّوْا دائماً عَنْ مَثيل هذا الخيال !

قال (مِنْتُونْ) : « ليْسَ لي حينَ أرْجوفي جَلالٍ أنْ أصبحَ الفيلسوفا.
وأصيرَ السَّعيدَ حقّاً سوى هَجْري جَميعَ الأهواءِ... والأمْرُ سَهْلٌ !
أوَّلاً ينْبغي عليَّ التَّخَلِّي عنْ غرام وعَنْ جمالِ النِّساءِ !
فاذا شِمْتُ رَبَّةَ الحُسْنِ خاطَبْتُ فؤادِي مُحَذِّراً عنْ يقين
فأقولُ : احْذارَ منْ فِتْنةِ الخدَّيْنِ.... لا بُدَّ يعْرِفانِ الذُّبُولا !
وكذاكَ اللَّحْظانِ سَوْفَ يُحاطانِ بصَبْغٍ مُنفِّرٍ قِرْمِزِيٍّ !
وكذا الصَّدْرُ سَوْفَ يُصْبِحُ رَخْواً ومُدَلّى: والرَّأْسُ أصْلعَ يُفْلَجُ[1] !
ليْسَ لي غيرُ أنْ أُصَوِّرَ للذهْنِ ما لا كذاكَ يُؤذِي خيالي.
وبهذا التَّفكيرِ هيْهاتَ أنْ يَبْدُوَ لي الحُسْنُ في وُجُوهِ المِلاحِ !
ثانياً ـ واجِبٌ عليَّ اعتِصامي دائماً باعتدالِ طَبْعٍ ونَفْسِ
فمنَ اللَّغْوِ أنْ يُحاوِلَ إغْرائي بلهْوٍ أوْ خَمْرَةٍ واجتماعِ
ليْسَ لي غيرُ أنْ أُمَثِّلَ عقْباىَ لنفْسي مِنَ الغُلوِّ المُسِيءِ
في صُنَاعٍ وفي اضْطِرابٍ بأعْمالي وجِسْمي وفَقْدِ رُشْدِي ووَقْتي

(١) يقال فلج (الرجل بالبناء للمجهول) أي أصابه داء الفالج .

وإذَنْ سَوْفَ يُصْبِحُ الأَكْلُ عِنْدِي بانِياً ما هَوَى بِفِعْلِ الطَّبيعَهْ
فاذَا صِحَّتي دَواماً بخيْرٍ ولفِكْرِي خَواطِرٌ وضّاءَهْ !
كُلُ هذا سَهْلٌ الى حَدٍّ أنّي لا أرَى في أتّباعِهِ أيَّ فضْلِ !
غيْرَ أنّي أرى التأمُّلَ فَرْضاً في أنتِهاجي سبيلَ هذا الرَّشادِ !
فأنا ألْمَحُ اعتِدالاً جَميلاً دَائماً في رَغائبي وميولي
وأرى أنَّ ثروَتي في أمانٍ عندَ رَبِّ الأَمْوالِ جابي (نِنِيقَهْ)
وأرَاني مَنْ يَسْتطيعُ حيـاةً مستقِلاً ، وتِلْكَ أكبَرُ نِعْمَهْ
وأرَاني لنْ أصبحَ المضْطَرَّ للسَّعْيِ ماثلاً في (البلاَطِ)
وأراني لنْ أحسدَ الناسَ عُمْري ، لا ولَنْ يُوجَدَ الحَسودُ لشاني
كُلُّ هذا سَهْلٌ ، كذلِكَ سَهْلٌ أنْ أُراعِي الخِلاَّنَ دُونَ خِلافِ
كُلُّ أقوالِهِمْ لدَيَّ حِسَانٌ ، وكذا كُلُّ ما أقولُ لدَيْهِمْ ! »

***

هكذا كانَ حَظُّ غُرْفَتِهِ وَضْعاً لمـا ظنَّ خُطَّةَ الفيلسُوفِ
ثمَّ لمَّـا أتمَّها رَاحَ للشّباكِ يرْنو الى الطَّرِيقِ القَرِيبِ
فَرَأى في جِوَار دانيةِ الأَشْجَارِ شَخْصيْنِ في تناقُضِ سَيْرِ
هـذِهِ منهما العَجُوزُ تراءَتْ في صَفاءٍ ولا اضْطِرَابَ لدَيْهَا
بيْنما الغادَةُ الجَميـلةُ لاحَتْ في انْفِعالٍ وفي زَفيرٍ ونَوْحِ

وكأنَّ النَّوَاحَ والشَّجْوَ زَادَاها جَمالاً على جَمالٍ أصيلِ
فاذَا « الفَيْلسُوفُ » يغْلبُهُ المَشْهَدُ بالحزْنِ لا بحُسْنِ الفَتاةِ
فلقَدْ كانَ مزْمِعاً أنْ يرُدَّ الحُبَّ ، فاهتزَّ آسِفاً لِشَجَاهَا
ومَضَى نازِلاً اليْها وَقد أضْمَرَ وَعْظاً (لِنينثيتي) الصَّغيرَهْ
ورَأى أنَّ أفْعلَ الوَعْظِ حقًّا ما رأى أنَّهُ هُدَى الفيلسوفِ !

***

لاَقَتْ الغَادَةُ الجَميلةُ (مِنْوُن) فباحَتْ لهُ بما قَدْ دَهاها
خَبَّرَتْهُ بلَهْجَةٍ شَفَّها الطُّهْرُ ورُوحُ التأثيرِ جَنْبَ السَّذاجَهْ
وشَكَتْ مِنْ أذَاةِ عَمٍّ لها قاسٍ ، وَما كانَ عَمُّها غيْرَ وَهْمِ !
وَصَفَتْ خبْثَهُ بسلْبِ غِناهَا المَوْهومِ في تفَنُّنِ لِصِّ
وبَكَتْ خشْيَةً مِنَ الغَضَبِ العاتي الذي خَصَّها بهِ في احتِكامِهْ
ثمَّ قالتْ : « أراكَ شَهْماً حكيماً يرْتجَى نُصْحُهُ بأزْمةِ شَانِ
فاذَا جِئْتَ بالتنازُلِ تَشْريفاً لبيْتي لفَحْصِ عُقْدَةِ أمْرِي
فيقيني أني سأنْقذُ مِنْ قاسي همُومٍ لما ارتباكي وخُسْرِي ! »
وكذا رَاحَ يتْبعُ (مِنْوُنْ) خُطاهَا لكيْ يُسرِّيَ عنها (١)
ولكيْ يفْحَصَ الشُّؤونَ بإحكامٍ ويُهْدِي نَصائحَ الفيلسوفِ !

(١) اكي يلقي عنها الهم .

***

بَلغتْ بيْتَهَا فقادَتْهُ كالغِرِّ الى غُرْفةٍ تَمِشُ بِعِطْرِ
وبِلُطْفٍ دَعَتْهُ للمَجْلِسِ الدَّانِي اليْها على الأَرِيكةِ فَوْرَا !
بدآ بالجُلوسِ وجْهاً لوَجْهٍ في ٱحْتِشامٍ والسَّاقُ فوْقَ السَّاق
وهيَ في لهْفَةٍ تقُصُّ عليْهِ ، وهوَ ملءَ انتِباهِهِ في ٱستِماعِ
وكذا أطْرَقتْ تحدِّثُهُ شَجْواً وبَعْضُ الحديثِ دَمْعٌ نثيرُ . . .
ثمَّ أنَّى رَنَتْ اليهِ رَأَتْهُ دائماً ناظِراً اليْها بِعَطْفِ
كانَ ذاكَ الحَديثُ عَطْفاً وعطْفاً نامياً عِنْدَ مُلْتَقَى النَّظَرَاتِ !
فاذَا الصَّاحِبُ الجديدُ كثيرُ الهَمِّ يُعْنَى بشأنِها مِثْلَ فَرْضِ
ويَرَى كُلَّ لَحْظَةٍ غايةَ الواجِبِ إنْقاذَ ظُهْرِهَا من شَقَاءِ !
وخِلالَ التَّحْدِيثِ مِنْ شِدَّةِ العَطْفِ بفِعلِ التدرُّجِ المُمْتَحَّ
وكما تقْتَضِي الحَرارَةُ للبحْثِ تدَانَى الأَليفُ شَطْرَ الأَليفَهْ !
وتفانَى (مِمْنُونُ) في العَطْفِ عنْ قُرْبٍ سَخِياً بكلِّ أُنْسٍ رقيقِ
ونَمادَى ، وهكذا نَسِيا البَحْثَ ولمْ يفْطُنَا لما يَصْنَعَانِ !

***

ثمَّ شَاءَ القضَاءُ في هذِهِ اللَّحْظَةِ حَيْثُ السُّرُورُ يَطْفُرُ طَفْرَا

أنْ يكونَ الدَّخيلُ لا أحداً يُخْشَى سِوى العَمِّ ، وهوَ ذاكَ الخَصيمُ !
قد كساهُ السِّلاحُ مِنْ قمَّةِ الرَّأسِ الى الكعْبِ مَرْهباً حَيْثُ لاحا !
قال فوْراً ـ وكانَ أوَّلَ ما قالَ ـ بأنَّ المماتَ حَتْمٌ جزاءُ !
سوفَ يقضي على القوى وعليْها . . . ذاكَ عَدْلٌ وحقُّهُ دُونَ شَكٍّ !
غيْرَ أنَّ الفتاةَ لم تَسُوءِ الصاحِبَ رَغْمَ اقْتِدارِهَا في الهرُوبِ !
فدَعَتْ للفِدَاءِ (مِمْنُونَ) إذْ أوْحَتْ اليهِ الفِداءَ بالمالِ سَهْلاً . . .
طالما لم يضنَّ حيثُ تَرى العَمَّ جواداً بالصَّفْحِ طوْعاً لمالِ !
فاشترَى هكذا بكلِّ الذي كانَ لديهِ الحَياةَ دُونَ انتِظارِ !
حامِداً ربَّهُ فقدْ كانَ في رَوْعٍ ويأسٍ وحَيْرَةٍ وارْتِباكِ !
وبتِلْكَ الأيامِ كانَ منَ الحَظِّ التَّصافي بمثْلِ تلْكَ السُّهُولَهْ !
لم يكُنْ وَقْتَها اكتِشافُ لأمْرِيكا ، ولا الشَّاكياتُ كالشَّاكياتِ
حيْثُ أصْبحْنَ مظْهرَ الخَطَرِ الجاني بهذَا الزَّمانِ وازْدَدْنَ خُبْثاَ !

***

عادَ (مِمْنُونُ) في ارْتباكٍ وفي عارٍ الى بيْتِهِ يَئِنُّ خَجْولاَ !
فرأى دَعوَةَ العشاءِ أتَتْهُ منْ فَرِيقٍ مِنْ أخْلصِ الخِلاَّنِ
عندَها قالَ : « لو بقيتُ ببيتي في اعتِزَالٍ لزِدْتُ ذهني ارتباكاَ

وتجنبتُ - في اشتغالي وهَمِّي بالذي ذُقْتُهُ - مذاقَ الطعام
وبهذا أكونُ مَنْ يَجْلِبُ السقمَ الى نفسِهِ فاغدُو مريضاً .
فأرى الاحكمَ القُبولَ فأقضي قَتْرَةً بينَ اصفيائي هنيئا
آكلاً بعضَ وَجْبةٍ في أثنَاسٍ سوفَ أنسى بهِ ذُنوبَ جنوني !»
وكذا راحَ شاكراً دعوةَ الصَّحْبِ ومستسلماً الى الأُنْسِ فيها
ورأوْه على اكتئابٍ فقالوا : أغرِقْ الهمَّ في الشَّرابِ المُعين!
عِنْدها لم يُلِحْ (لمجنونَ) الاَّ كلُّ خيرٍ وراءَ هذي النصيحه
فقليلٌ مِنَ الشَّرابِ بقَصْدٍ[1] كعزاءٍ لِقَلْبِ رَبٍّ ومَرْءِ[2] !
هكذا شاءَ أنْ يُعلَّلَ حتى صارَ بالبَحْثِ هكذا سكرانا !
ثمَّ بعدَ العشاءِ حنَّوا الى النَّرْدِ فما خافَ مِنْ مُحِبِّيهِ شرَّا
ذاكَ أُنسٌ لا شكَّ بينَ مُحبِّينَ وما كانَ مِثْلُ هذا يَضُرُّ ..
وبهذا الشعورِ ضيَّعَ في اللَّعْبِ جميعَ الذي لديْهِ وزادَا !
زادَ أضعافَه دُيوناً عليهِ واعِداً ردَّها ؛ فضاعَتْ وضاعَا !
ثمَّ قامَ النِّزاعُ في سَوْرَةِ اللَّعْبِ وزادَتْ حرارةُ الانقسامِ

(١) القصد : الاعتدال . (٢) المرء : الانسان أو الرجل ، مثناه مرآن ، والنسبة اليه مرئي ، والجمع رجال من غير لفظه ، وقيل مرؤون كما في حديث الحسن : « أحسنوا املاءكم أيها المرؤون » . - (أقرب الموارد) .

فاذا صاحبُ حميمٌ له يَرْمي على رأسِهِ بصندوقِ نَرْدِ !
وقَضَى الشُّؤْمُ أن يكونَ مُصيباً عَيْنُهُ هكذا فيفقأَ عَيْنَهْ !
وكذا الفيلسوفُ (مِمْنُونُ) إذْ يُنْقَلُ في نكبةٍ الى عُقْرِ بَيْتِهْ
فاسِدَ الرُّشْدِ خاوِيَ الجَيْبِ فاقِدَ عيْنٍ بلا عزاءٍ يُوَاسِي !

***

ثمَّ لمَّا أفاقَ منْ ذلكَ الهوْلِ كَنْ ذاقَ نكبةً بِنْ دَعارَهْ
أرسلَ الخادِمَ الأمينَ — ليأتي بنقودٍ لهُ — لجابي (— نِنيقَهْ)
طَلَبَ المالَ كيْ يردَّ الى الصَّحْبِ دُيونَ القمار ، وَالدَّينُ دينُ ...
غير أنَّ الخدَّامَ في فَشَلٍ عادَ بذكرى خرابِ مَنْ رَاحَ يَرْجو
حيْثُ في صُبْحِ ذلكَ اليوم قد أُعلِنَ إفلاسهُ كشرٍّ مُدَلِّسْ
وبهذا أضْحى مئاتٌ منَ النَّاسِ بفَقْرٍ وفي نهايةِ يأسِ !
صار (مِمْنونُ) شِبْهَ أعزَلَ لا خِلٌّ لهُ ولا قَريبٌ معينُ
وعلى عيْنِهِ براحتِهِ ألْصَقَ بَعْضَ الدَّواءِ قَبْلَ الخُروجِ
ذاهباً (للبلاطِ) يلتمِسُ العَدْلَ وفي جَيْبِهِ عريضةُ شكوى
سائلاً مِنْ جلالةِ الملكِ النِّصْفَ منْ ذلكَ المدلِّسِ بَغْيا [1]
ثمَّ لمَّا أوْفى على البَهْوِ [2] ألفاهُ مَليئاً بسيِّداتٍ حسانِ

(١) النصف : الانصاف . (٢) البهو القصر .

في اختيالٍ بواسعات مِنَ الاطواق[1] يرفلن في ابتهاجٍ عظيم
فرَنَتْ شَطرَهُ فتاةٌ وقدْ كانَتْ على أهْوَنِ اتّصالٍ ضئيلِ !
ثمَّ صاحتْ « أوّاهْ : ما أفظعَ الوَحشَ ! » وجاءَتْ أخرى كصديقهْ
في اعتراضٍ ، فبعدَ أنْ هيَ حيَّتْهُ تحايا مَوَدّةٍ ، سألتْهُ :
« علّكَ الآنَ رَهْنُ خيرٍ ... ولكنْ كيفَ قدْ صِرْتَ فاقدَ
العيْنِ ؟! ... قُلْ لي ! »
ثمّ دُونَ انتظارِ أجوبةٍ منهْ تولّتْ بخفّةٍ بلْ بسُخْرِ ! !
فتنحّى (مِمْنُونْ) واختارَ ركناً لاحتجابٍ حتى يَلُوحَ المليكُ
ثمّ يَهْوِي أمامَ موْطِئِ نَعليْهِ فيرجو الإنصافَ مِنْ شرِّ ظُلْمِ
وأخيراً دَنا المليكُ فحيّاهُ ثلاثاً مقبّلاً لِثراهُ
رافِعاً نحْوَهُ العريضةَ في ذُلٍّ كثيرِ الخضوعِ والاضطرابِ
غيْرَ أنَّ المليكَ لاقاهُ باللُّطفِ وقدْ خصَّ بثّهُ بالرِّعايَهْ !
فدَعا والياً بمقرَبةٍ منهُ لدرْسِ العريضةِ المُستفيضَهْ
طالباً منه أنْ يُوافيَهُ بَعْدُ بصفوِ[2] الذي بها مِنْ شكاةِ
بيدَ أنَّ الوالي تنحّى (بممْنونَ) الى جانبٍ وقالَ بسُخْرِ :

(١) Hoops . (٢) بخلاصة .

«إيهِ يا أعورَ الأنامِ ! ... أتدْري انكَ اليومَ مثلُ كَلْبٍ سخيف؟!
أنتَ حقًّا هــذا ! والاَّ فما معنى تخطِّي مثلي الى التَّاجِ فَوْرَا ؟
ثمَّ كيْفَ اجترأْتَ تلتمسُ الحكمَ لِغُرْمِ امرِيءٍ شريفٍ عديمِ
كانَ إفلاسُهُ شريفاً ، وأيْضاً هوَ عندِي بمنزِلِ المحسُوبِ
جمعتْهُ قرابةٌ بفتاةٍ حظُّها أن تنالَ خِدْمةَ زَوْجي . (١)
فلْتَقِفْ يا « صديقُ » في ذلكَ السَّعْي اذا شئتَ حِفظَ عيْنٍ تبقَّتْ!»

***

كانَ (مِنْوُنْ) رهْنَ غُرْفتِهِ يقْسِمُ أنْ يهْجرَ النِّساءَ بتاتَ
وكذاكَ الإمْرَافَ في الأكلِ والشُّرْبِ وفي اللَّعْبِ والتَّشاحُنِ أيضَا
وأخصَّ الأقسامِ في عزْمِهِ الأوْفى مدَى عُمْرِهِ اجتنابُ (البلاطِ)
وهوَ في فترةٍ مداها يومٌ سلَبتْهُ رَشيقةٌ مُحْتالهْ !
ثمَّ صارَ السِّكيرَ واللاعبَ النَّردَ وغرًّا مشاجراً ثمَّ أعْوَرْ
ثمَّ لمْ يحْظَ في (البلاطِ) بشيءٍ غيْرَ سُخرٍ بهِ وغيرَ شَتيمه !

***

عادَ (مِنْوُنْ) صوْبَ منزِلهِ يُشجى بِحُزنٍ بهِ تهدَّمَ قلبُهْ !

---

(١) تطلق هذه الكلمة على البعل وعلى الزوجة سواء ، حسب المناسبة .

حَجَّرَتْهُ الأحداثُ في دَهْشَةِ الظُّلْمِ فما كانَ غيْرَ إلْفٍ ليأسِ
وهوَ بينا يُريدُ أن يَدْخُلَ البيْتَ رأى شُرْطة بنقْلِ متاعِهْ !
حضرُوا في غِيابهِ وتوَلَّوْا بَيْعَ هذا كما اقْتضى دائِنُوهُ !
فَهوَى في الاسى كَمَيْتٍ طَريحاً تحْتَ إحْدى الأشجار .. والمَوْتُ أرْحَمْ !
فرأى غادَةَ الصَّباحِ وذاكَ « العَمَّ » في مِشيةٍ بلَهْوٍ مُباحِ
نَظَراهُ فأطْلَقا ضحكةَ الهُزْءِ بما فوْقَ عيْنِهِ من رُباطِ !
ثمَّ جاءَ المساءُ فاضْطُرَّ (مِمْنُونُ) الى أنْ ينامَ قُرْبَ جدارِ
نَامَ في قُرْبِ بيْتِهِ فَوْقَ قشٍّ ، فأصابتْهُ نوبةُ البُرَداءِ
وباثنائِها تداركَهُ النَّومُ ، وفي النَّوْمِ لاحَ طيفٌ سماوي !

***

كان طَيْفاً له تَأَلُّقُ نُورٍ وَلَهُ في الجمالِ سِتَّةُ أجْنُحْ
إنما لمْ يكنْ لهُ قَدَمانِ ، لا ولا الرَّأسُ ، لا وَلا شِبْهُ ذَيْلِ
وإذَنْ لمْ يكنْ شبيهاً بشيءٍ بيننا في مجالِ هذِي الحياةِ !
قال (مِمْنُونُ) : « مَنْ تُرَى أنتَ » ؟ . . . قال الطيفُ :
« رُوحٌ مُصادِقٌ وكريمُ » !
قال (مِمْنُونُ) : « فلْتُعِدْ لي إذَنْ عَيْنِي ومالي وصِحَّتي وجَناني . . . ! »

ثُمَّ قَصَّ الذي نجىٰ بهِ اليَوْمُ عليْهِ مِنَ المُصابِ الأليمِ
فأجابَ الخيالُ : « هذي أعاجيبٌ ولنْ يُلْتَقى بها في دُنانا »
قالَ (مِمْنُونُ) : « أيُّ دُنْياكَ هٰذِي ؟ » فأجابَ الخيالْ :
« دُنْياي كَوْنٌ :

بُعْدُهُ خمسةُ الملايين بالفَرْسَخِ عَنْ منزلٍ لشَمْسِكَ هٰذي !
هوَ نَجْمٌ يَدُورُ في جيرَةِ (الشِّعْرَى) وهٰذِي اذَا نَظَرْتَ تَرَاهَا »
« مَوْطِنٌ مُعْجِبٌ ! » .... تفاءَلَ (مِمْنُونْ) ، وقالَ : « النِّساءُ
ـ لا شكَّ ـ فيهِ

غيْرُ أمثالِ مَنْ يُبِحْنَ خِدَاعاً لفتًى ضائعِ المُنَىٰ مسكينِ !
لا يزُرْنَ الصَّحابُ مالَ صديقٍ ، ثُمَّ يَغْدُو وَعَيْنُهُ مفقُودَهْ !
لا ولا فيهِ مَوْطنٌ لأُولي التَّدْليسِ والخُسْرِ أوْ لوالِ خبيثِ
ضاحِكٌ منكَ هازِيءٌ بينما يأْبَى وَفاءً لِفَرْضِ حَقٍّ وَعدْلِ ! »
فأجابَ « النَّجْمِيُّ » : « لا ! ... ما لدَيْنا مِنْ شُؤُون وَصفْتَها
بَعْضُ شيءٍ !

ما عَرَفْنا إساءَةً منْ نِساءٍ في خِداعٍ فلَيْسَ فينَا نِسَاءُ !
لا وَلا ساقَنا التَّوَرُّطُ في الأْكلِ الى مَا يَسُوءُ مِنْ إفْرَاطِ

حيثُ لَسْنا نَدْري مِن الأكل شيْئاً وكذاكَ الشَّرابُ ليْسَ لدَينا
وحْمِينَا مِنْ مُفلِسِينَ فلَسْنا مِنْ أُولي المَالِ مِنْ نُضَارٍ وفِضَّهْ
وحْمِينَا فَنْدَ العُيُونِ لأنَّا ما خُلِقْنا مِثالَكُمْ في جُسُومِ
وحْمِينَا ظُلْمَ الوُلاَةِ لأنَّا كُنَّا دائماً بقَدْرِ سَوائِهْ ! »

قال (مِمْنُونُ) : « إيهِ مَوْلايَ ! قُلْ لي : كيفَ تقضُونَ وقتَكُمْ في الحَيـاةِ
حيثُ لا نِسْوَةٌ لَدَيكُمْ ولا أكلٌ ؟ ! » فقالَ الجِنِّيُّ : « بيْنَ العَزَاءِ
حيثُ نَرْعَى عَوالِماً قدْ سُئِلْنا أنْ نُوَاسَى ، فجِئْتُ كيْما أُوَاسِي »

قالَ (مِمْنُونُ) : « كيفَ لم تأتِ بالأمْسِ حؤولاً بَيْني
وبَيْنَ ذُنُوبي ؟ »

فأجابَ الجِنِّيُّ « قد كنْتُ في صُحْبةِ سَلوَى لبائِسٍ منْكَ أشْقَى
كنتُ أعْنِي بما جنى (حَسَنٌ) - وهوَ أخُوكَ المِسكينُ - عُقْبَى لذَنبِ
إذْ قَضَى صاحِبُ الجَلالةِ سُلْطَانْ (الجُزْرِ الهِنديَّةِ) الأمْسَ فيهِ
كانَ قدْ شَرَّفَنْهُ خِدْمَتُهُ قبْلاً بنُعْمَى مَوْظَّفٍ في (البَلاَطِ)
ثُمَّ مِنْ أجلِ هَفْوَةٍ صارَ مَغضُوباً عليْهِ فغَابَ في السِّجْنِ ذُلاَّ
وقضَى عدْلُ صاحِبِ التَّاجِ أنْ تُفْقَأ عَيْناهُ وَهوَ في الأغلالِ ؟! »

قالَ (مِمْنُونُ) : « ذاكَ حظٌّ سعيدٌ حيثُ أنتَ المَعدُودُ نعمَةَ أسْرَهْ

حينَ أمْسَى أخي ضريراً وأمْسيْتُ شقياً بفقدِ عيني أيْضاً ! !
وهوَ يقضي حياتَهُ رَهْنَ سجْنٍ ، وأنا هاهُنا رَهينٌ لنَشٍّ ! »
فأجابَ النَّجْميُّ : «سوْفَ تحُولُ الحالُ ... لا تخْشَ بعد ذلك شرّا !
وصَحيحٌ هيْهاتَ يُؤْمَل أن تُرْجِعَ عَيْناً فَقَدْتَها دُونَ عَوْدِ
إنما رَغمَ فقدِها سوْفَ لا تعدم صفواً اذا تَعَبَّدْتَ صِدْقاً
باجْتِنابِ الوسْواسِ في الرَّأسِ يدْعوكَ لكيْ تَفْتدِي الحكيمَ الأتمّا »
« أتُرَاهُ المُحالَ ؟ ! » ساءَلَ (مِمْنُونُ) ... فقالَ الجِنّيُّ :
« طَبْعاً مُحالُ !
« مِثْلُه مِثْلُ أنْ تنالَ كمالاً بجَنانٍ وقوّةٍ وسُرُورِ
وترَانا حتى على قدْرِنا نبْعدُ جداً عن مِثْلِ هذا الكمالِ
وُجِدَ العالَمُ الذي فيهِ هذا مُستَطاعٌ ، لكِنّهُ كالمُحالِ :
فهْوَ يَنْأَى عنّا مِئاتِ لآلافِ الملايينِ في العَوالِمِ نَأيا
كلُّ شيءٍ في الكوْنِ يمْضي بمِقدارٍ وينْمُو على نِظامِ التدرُّجْ .
فترَى ثانيَ العوالمِ يحْوِي مِنْ حِجى أو هَوًى نصيباً أقلاّ
وترَى ثالثَ العوالمِ أدْنى هكذا مِنْ نصيبِ ما كانَ قبلَهْ
وأخيراً تضيعُ فلسفةُ الفِكرِ فلا يُرْتَجى سوى البُلَهاءِ ! »
قالَ (مِمْنُون) : « إنّي صِرْتُ أخشى أنّ دُنيايَ في تُرَابٍ وماءِ

هِيَ مَأْوَى جُنُونِ شَتّى المَلايِينِ لتِلْكَ العَوالِمِ المُسْتعِزّهْ
حيثُ شرَّفْتني بذِكرِكَ يامولايَ عنها ، كذاكَ شَوَّقْتَ أُبّي ! »
فأجابَ الجِنّيّ : « ليْسَتْ تماماً هٰكذا بينما تُعَدّ شبيهَهْ !
كُلُّ شيءٍ لابدَّ مِنْ مَنْزِلٍ يكنْ فيهِ تدرُّجاً بانتِظَام !! ... »
قال (مِمْنُونْ) : « هَلْ فلاسِفةُ النّاسِ وأهلُ الاشعارِ أهلُ الضلالَ
فلكم صوَّرُوا لنا هذِهِ الدنيا جَمالاً وكُلَّ شيءٍ لخيرِ ؟ »
فأجابَ الجِنّيّ : « قد صَدَقُوا حقّاً اذا عُدَّ حُكْمُهُمْ نِسْبِيّاً
أيْ اذا نحْنُ لم يفتْ ذِكرُنا الأشياءَ في نِسْبةٍ لُحكمِ التدرُّجْ
ونَظَرْنَا الى الوُجودِ جَميعاً لا الى عالَمٍ وَحيدٍ صغيرِ : »
فأجابَ المِسكينْ (مِمْنُونُ) : « هيْهاتَ ! لمثْلي تصديقُ هٰذِي الحِكايَهْ
قبْلَ أنْ أستَعيدَ ناظِرِيَ المَفقُودَ في نكبتي بِألأمِ يومِ !! »

عذراء الرَّبيع

لَعَلَّها في زَفِيفِ (١) الرِّيحِ لاعِبَةْ
جاءَتْ معَ الفَجْرِ تُحْيي مَيْتَ أحلامي
هٰذِي خُيُوطٌ لها مُدَّتْ فأحسَبُها
نُوراً منَ الشَّمْسِ، بينا الشَّمْسُ أوْهامي
وذاكَ إغواؤُها المُزْجِي عَنَادِلَها
الى أَفْتِنَانِ فيُذْكي حُبَّيَ النَّامي
وذاكَ نَفْحُ أَرِيجٍ مِنْ خَمائِلِها
كأنَّه جاءَ بالمَعْسُولِ مِنْ جَامِ !
فليْسَ هذا أوَانُ النَّوْمِ يُسْعِدُني
فبِرُّها لم يكُنْ طَوْعاً لنُوَّامِ
عُبَّادُها في المُرُوجِ الخُضْرِ قد مرحوا
وذاكَ عِيدٌ لها بلْ زِينَةُ العامِ
عِيدُ النَّسِيمِ وعِيدُ الزَّهْرِ قد جُمِعَا
وعِيدُ ظَمْأَى لأَرْواحٍ وأفْهامِ !

---

(١) مريه .

***

(شَمُّ النَّسيمِ) وما أحلَى مَوَاكبَه
يوْمٌ يُتَوَّجُ فيهِ حُسنُها السَّامي !
و(الفنُّ) قُرْبانُها المحبُوبُ أرفعُهُ
فأغنَمُ الحظُّ منهُ غُنْمَ إلهامِ !
في كُلِّ ما حاطَني مِنْ لُطْفِها قُبَلٌ
جاءتْ شِفاءً لجُرْحٍ غيرِ مُلتَامِ
وإنْ تكنْ صَوَّبَتْ نحوي مُسَدَّدَةً
سِهَامَ (كوبيدَ)[1] مِنْ سِحْرِ الهوَى الرَّامي
فأشْتَفي مِنْ هَوَى عامٍ مَضَى بهوًى
ويخْلُفُ الجُرْحَ جُرْحٌ آخرٌ دَامِ !
مُسْتَمْرِئاً ألمي المحْبُوبَ مِنْ نَهَمي
وراضياً (لجَمالِ) السَّمْحِ[2] إيلامي
مُؤَلِّهاً مَنْ زَها حُسْنٌ (الرَّبيعِ) بها
مُسْتَعْذِباً أمْرَها ما بَيْنَ أنْغَامِ !

(١) Cupid ـ اله الحب . (٢) السخي الكريم .

الشفق الباكي

لا الشِّعْرُ شِعْرٌ ولا الأَوْزانُ أَوْزانُ
انْ فاتَهُ من شُعُور الكَوْنِ ميزانُ

هــذا هوَ الشَّفَقُ الباكي بحرقتهِ
وهذِهِ السُّحْبُ فيها الدَّمْعُ نيرانُ!

بانتْ عن الشَّمْس فارتاعَتْ لفُرقتها
كما يُراعُ لدَفْنِ الحُسنِ هَيْمانُ!

وذلكَ الهيكلُ المَصْدُوعُ يملؤُهُ
حزْنٌ، وتَطْفو على مَرْآهُ أحزانُ!

وهذِهِ العُمُدُ ـ اللَّاتي يُشقّقها
ذِكْرٌ ووَجْدٌ ـ بَراها الآنَ تحْنانُ!

لهــا الشُّعاعُ غذاءٌ تستعينُ به
على الزَّمانِ، إذا لم يقْوَ إنسانُ!

وهذِهِ الشَّمْسُ في الأَجْيالِ تحرُسُها
كأَنمــا هيَ بعدَ اللهِ رَحْمانُ!

فإنْ تَغِبْ فجَمالُ (الفَنِّ) مضْطَرِبُ
والجَوُّ ملتَهِبٌ ، والماء أسوانُ !
يَجْرِي الغديرُ بهِ في رَوْعةٍ عكَسَتْ
نارَ السَّحَابِ ، كأَنَّ الماءَ ظمآنُ !
وتُبْصِرُ السَّاكنَ التِّمثالَ في أسَفٍ
كأَنما ذَلِكَ التِّمثالُ فنَّانُ !
وتَحْسَبُ السُّحْبَ قدْ لاقتْ مِسَلَّتَهُ
وقدتشاكيْنَ ، بيْنا اللَّيْلُ خَجْلانُ!
والبَدْرُ في الجانب الشَّرْقيِّ مُرْتَقِبٌ
حُبًّا ، وما لجديدِ الحُبِّ إيذَانُ
وهذِهِ القَرَيَةُ الآسي النخيلُ بها
قد لَفَّها بظِلالَ النَّارِ شيطانُ!
وذلِكَ التَّلُّ لا شيءٌ يُقاسُ بهِ
في بَغْضِهِ اللَّيلَ ، حيثُ اللَّيْلُ خَوَّانُ!
يَمُوتُ مَوْتَ شريدٍ في الظَّلامِ الى
أنْ تَبْعَثَ الخَلْقَ أضواءٌ وألحانُ!
أمَّا أنا فأنا الباكي الصَّباحَ حَرَقاً
ولن تُعيدَ مُضاعَ الأُنْسِ أشْجانُ

والنَّادِبُ الحُبَّ ، والحُبُّ العزيزُ اذا
وَلَّى فما لشهيدِ الحُبِّ سُلْوَانُ
كأَنما الشَّفَقُ الباكي يمثِّلني
لكنَّ حزْنيَ أضْعافٌ وألوانُ!
الأَرْضُ تُشْجى التياعاً للفراقِ وإنْ
جاءَ الصَّباحُ بوَصلٍ منهُ تَزدانُ
فكيفَ بي وأنا المحْرُومُ في زَمني
وكُلُّ عُمْري تباريحٌ وحِدْثَانُ ؟!

ثورة الرأس

تاقتْ لِلبْسِ القُبَّعَا تِ من الرُّؤوسِ الثَّائِرَهْ
فاذا بقَوْمٍ أعلنوا : « هذي عقولٌ خائرَهْ
الشَّمْسُ تلفحها فتبـ ـقيها بسقْمٍ حائِرَهْ
أوْلى بهـا طبُّ الجنو نِ أو آحتضانُ القاطِرَهْ !
لا خَيْرَ يُرْجَى مِنْ مرا ضِ الفكرِ حتى الآخرَهْ!»

***

واذا سِواهمْ أعلنوا : « بئسَتْ نُفوسٌ جائرَهْ
متحكّماتٌ في الّبا س ، وفي المفاخرِ عاثرَهْ
فيمَ التمسُّكُ بالقديـ ـمِ اذا طرَحتَ مَفاخرَهْ؟!
ننسى مآثرَهُ ونرْ ضَى أنْ نُذِلَّ مآثرَهْ
وأعزَّ ما نُعْنَى بهِ أوْهامُ ماضٍ آسِرَهْ ! »

***

فسمعتُ ما آحتكما بهِ بآسمِ الظُّرُوفِ القاهرَهْ

فاذا الحقيقةُ أصدرَتْ حُكمَ الحيـاة الآمِرَهْ :
« إنَّ الحَيـاةَ تجدُّدٌ انَّ الحَضارَةَ كافرَهْ !
ما كانَ أجدى لن يد ينَ ولا لحـكمِ جبابرَهْ
والأ صلحُ الأَبْقَى ولوْ لاقى الجيوشَ الكاسرَهْ !
في الغَرْبِ أمْ في الشَّرْقِ أم في ظِلِّ (مصرِ القاهرِهْ) ! »

أدب الأمير

(١)

رومة ٢ مارس ١٩٢٦

حضرة الاديب النابغة نفع الله به

فضلك على رأسي فيما خصصتني به من الخطاب في ابياتك الأبيّة وابديته ولا تزال تبديه من الحمية العربية واني والله لمجلان من تأخري عن اداء واجب شكرك وكنت اهمّ بذلك كل يوم ولكن قطائع الفرنسيس في بلادنا اذهلتنا عن كل عمل الا المكافحة فتقبل عذري بكرمك وتنهني لك على خلقك وبك و نفع الله بك العرب والسلام عليك ورحمة الله

المخلص

شكيب

ارسلان

العنوان الدائم في

Hôtel Balmoral, Lausanne

(٢)

سيدي الأمير شكيب أرسلان

كالثَّلجِ [١] يبسِمُ للنواظِرِ نُورَا
أمْتَعْتَ وجدَاني الوَفيَّ شُعُورَا
وافى كتابُكَ في جميـلِ تواضُعٍ
ومنَ التَّواضُعِ ما يُجلُّ أميرَا !
وبدتْ (لِرُومة) فيهِ عِزَّةُ (قيصَرٍ)
وإباؤُهُ ، فلَثَمْتُهُ تقدِيرَا !
ايهاً أميرَ الفَضْلِ في آدَابِهِ
عِشْ ما اسْتَطَبْنَا أنْ تَعيشَ كبيرَا
في غيرِ أُبَّهةٍ وغيْرِ تفرُّدٍ في جُهْدِ مَنْ نَفعَ العبادَ قديرَا
انّي أُحاذِرُ من ثنائِكَ مثلَمـا
يَخْشى المُغرَّقُ بالضياءِ النُّورَا !
واذا ضَمِنْتَ ليَ السلامةَ لم أزَلْ مستغفِراً حَمْداً بذَلْتَ وَفيرَا
دِينٌ على كلٍّ الذِينَ تنعَّموا
بحجاكَ أن تلقَى حِجاكَ فخورَا !

---

(١) اشارة الى طبيعة سويسرا التي اتخذها الأمير وطنا ثانيا له .

بالأمْسِ حَرَّرْتَ البَلاغةَ قادِراً واليومْ تُنقِذُ شعبكَ المأسورَا[1] !

المخلص

أحمد زكي ابو شادي.

(١) للأمير شكيب ولآل أرسلان جميعاً جهود شريفة مشهورة لتحرير سورية ، وللأمير شكيب خاصة فضل عظيم على الادب العربي الذي هو في طليعة أعلامه . وبهذه المناسبة يروقني أن أنقل هذا التقدير عن صحيفة (كوكب الشرق) الغراء من قلم كاتب عربي كبير . قال : « أمراء آل أرسلان ، التنوخيون المناذرة القحطانيون ، ساكنو اليمن فالعراق فسورية ، تاريخهم قبل الاسلام وبعده ، منذ خمس عشرة مائة من السنين بل أكثر ، تاريخ جهاد شريف في سبيل العرب ، وذب عن سياج العشيرة والأهل والديار ، حملوا ملكا وتاجا حقبا من الدهر طويلة ، فكان ملكهم عربيا بحتا من العرب وللعرب ، وكان تاجهم خالصا مرصعا بمفاخر عظيمة يظل التاريخ حافظا لها على منقضى الاجيال . ولما قامت الفتوح الاسلامية في سورية حمل أمراء هذه الاسرة العلية الشأن أعلام الفتح ومشوا من العراق فنزلوا سوريا أمراء حكاماً أعزة كراماً ، واستوطنوا جبل لبنان استيطانا منيع الحمى ، عامر الدار ، فاعتز بهم الاسلام اعتزازاً كبيراً ، وكانوا ممكنين للعرب والعروبة العرباء في تلك الربوع تمكينا باقيا الى يوم الدين ، فاذا ما جئت تتصفح تاريخ الامراء الارسلانيين وجدته كناية عن جماع الشرف والفخر ، تتجلى لك فيه نفوس هؤلاء الفطاريف مفطورة من خالقها الذي أبدعها على حب حفظ الذمار القومية ومنافحة أعداء العرب والطامعين فيهم ، عزهم منتزع من لباب الجهاد في سبيل العرب ، ومصدر مفاخرهم مشتق من أكرم المعادن وخيرها ، تراهم في كل عصورهم وهم يبنون مجدهم ويخلدون ذكرهم تمرون أمامك في التاريخ قواداً مجاهدين عظماء كباراً ، معقودة عليهم ألوية الدفاع الوطني ، وملوكا أمراء أهلا للامر والحكم ، فهم تحت جناح الحرب في الطليعة ، وتحت جناح السلم في المنزلة الرفيعة . عرقهم أطهر عرق متحدر من أرومة العرب ، ولحاؤهم لا ينتضن الا على عود العرب . هذا شأنهم خلقاً وجبلة طبقة تاريخهم وهم عرب اليمن والعراق وسورية » .

الحياة المشتركة

أبيات ارتجالية في واقعة حال ، حيث وصف الشاعر فراشة سقطت على طربوش صديقه العلامة الاستاذ عبد القادر عاشور

وترَى الفَراشةَ فوْقَ زينةِ رَأسِهِ
مجْذُوبةً لَجنانِه المُزْدَانِ !
فكأنما عبَقُ الشّعورِ بدا لها وكأنما سكِرَتْ بشَهْدِ جَنانِ !
فتظَلُّ باسِمَةً عليْهِ بلوْنِهَا وبتيهِهَا في نَشْوَةِ السكرانِ !
وكذا نُبُوغُ العقْلِ يجذِبُ فاتِناً في الخَلْقِ نحوَ جَمالِهِ الفتّانِ !
إنَّ الطَّبيعةَ في تنوُّعِ شكلِها
مَثلاَنِ مِنْ حُسْنٍ وَمنْ احسان
وبِها الصَّغيرُ قرينُ كلِّ مجلَّلٍ في الرُّوحِ انْ طُبِعَا على الاتقَانِ
مَنْ ذَا يقولُ بأنّ ذلِكَ خالِدٌ وأخوهُ في حُكمِ الطبيعةِ فان ؟!
وكلاهما نَوْعُ الحيـاةِ دَقيقةً وكلاهما نوْعٌ منَ الإنسانِ !
إنَّ الحَياةَ اذَا بحثْتَ مُشاعةٌ ولرُبَّ ما اختلفَا بها صِنْوَانِ

تمثال دلسبس

أبيات ارتجالية

تلمذهُ أروَعَ [1] شامخاً في موْقِفِ البطَلِ الخطيبِ !
في بِزّةِ الرَّجل الشريـ ـفِ وخُضْرَةِ الوادِي الخصيبِ
يرنو ويُومِئُ مثلمـا يرنو الحبيبُ الى الحبيبِ !
وهو الرّقيبُ وليسَ يَعْـ يا مِنْ مشقّاتِ الرقيبِ
وهو العجيبُ ممثَّلٌ ما شاءَ منْ معنًى عجيبِ
حفّوهُ بالصّخرِ الأَصـ ـمِّ وحوْلهُ سوْرُ القلُوبِ !
وجميـلُ تقديرِ الشعو بِ كأَنّه عَلَمُ الشّعوبِ
وعلى السّفينِ أمامَه عطْفُ القريبِ على القريبِ
وله و (مصرُ) ازاءَه وَعْظُ الصّدِيقِ لدى الخُطوبِ
يُوحي بناطِقِ إصمتِهِ عَتْبَ الأصيل على الجَنيبِ
وينوبُ عنهـا في بليـ غِ السُّخْطِ في اليوْمِ العَصيبِ
والموجُ ينشدُ حولَهُ بُشْرَاهُ الأملِ القريبِ !

---

(١) الاروع: من يعجبك بشجاعته وشهامته .

مقامات أبي الشمقمق

وهي المقامات التهذيبية الفكاهية التي تنشرها صحيفتا (المؤدب) و (النهضة النسائية) الأديب المتفنن الاستاذ عبد الله بكري

أكملْ سُرُورَكَ بل شُعو رَكَ من حديثِ (أبي الشمقمقْ)
تشتاقُهُ منْ جلسَةٍ وتعُودُ للتكرَارِ أشْوَقْ
وهو الفتى اللَّبقُ الأَديـ بُ بنقْدِهِ الحرِّ المُوَفَّقْ
جمَعَ الرَّجاحةَ والفكا هةَ والدُّعابةَ والترَقرُقْ
في حُسْنِ اسْرَافِ الظَّرِيـ فِ وحكمةِ الشَّيْخِ المُحقَّقْ
في رقّةِ المصْرِيّ ، وال مصريُّ بالإِبْداعِ أخلَقْ

جسر التنهد

في مدينة كيمبردج

أيا جِسْرَ التنهُّدِ هلْ سبيلٌ الى نجْواكَ منْ قلْبٍ شجي
ذكرْتُكَ بعدَ أعوَامٍ وذِكري
كتحْنانِ الوَفيِّ الى الوَفيِّ

فما زِلتَ الذِي عَبَرَتْ عليهِ شُجُونٌ للقَريب وللقَصيِّ !
الى الجنّات حَوْلَكَ ياوَلياً يُراعيها بإيمانِ الوَلِيِّ (١)
تُغالبُنى السُّنونُ ولَسْتُ أُنْسى وهلْ يُنْسى سوى اللّاهى الخَلِيِّ
فمن حَقِّ الصِّبا المفقُودِ أنْ لا أحاوِلَ هَدْمَ أحلامَ الصبيِّ
فلوْلاها لمـا آنَسْتُ صَفْواً بدُنْيا لا تَهشُّ الى حيِّ
ذكرْتُكَ ذاكراً أنساً توَلَّى وأجمَلُهُ بساعاتِ العَشِيِّ
على تغْريدِ جدْوَلِكَ المُوافي وفي بَسَماتِ نجْمٍ لُؤْلُئِيِّ
فياللهِ كيفَ غدَا ظَلامي ظلاماً بعدَ بُعْدِي عنْ صفِيّ (٢)
وكانَ اللَّيْلُ لي معشوقَ أُنْسٍ فصِرْتُ أردُّهُ ردَّ العَصيِّ (٣)
كذا الدُّنْيا تُضيءُ بها الأَماني فانْ غابتْ فلا نُورٌ لَحيِّ !

صحف الطبيعة

أنْظُرْ الى صُحُفِ (الطَّبيعَةِ) إنَّها لُغَةُ البيانِ ووَحْيُ كُلِّ أديبِ!
كم جامعٍ كُتُباً وقاريءَ جَمْعِها لم تُغْنِهِ عن نظْرَةِ التَّهْذِيبِ !

(١) الولي : الحبيب كما في الشطر الاول من البيت ، وأيضاً بمعنى القديس كما في الشطر الثاني . (٢) الصفي : الصديق الخاص .
(٣) العصي : العاصي .

ومُحَدِّثٌ أصغى الرِّجالُ لنَقْلِهِ في جَهْلِهِ المَرْئِيِّ غيْرُ نجيبِ

خَيْرٌ لِبَيِّكَ أنْ تضيعَ دَفاتري
ويظلَّ لي بصَري ووَحْيُ حبيبي!

لأَرى الوُجودَ بنظْرَةِ القَاري لهُ
وأخطَّ مِنْ غُرَرِ القريضِ نسيبي!

لا تحْسبْ الشِّعرَ الأصيلَ روايةً
أو أنّه المكسُوبُ بالتَّدْريب

الشِّعرُ فِطْرَةُ صادِحٍ بنَشيدِهِ
في كلِّ اشْرَاقٍ وَكلِّ مغيبِ

يَرْنو فيسْتوحي (الطَّبيعةَ) رَبَّهُ (١)
فتُجيبُ مُلْهِمةً جَوابَ أريب!

لا تذكرْ الكتبَ التي احتفلتْ بهِ
ونوَادِرَ التصْديقِ والتكذِيبِ

وآذكرْ لنا صُوَرَ الوُجودِ فإنّها
الأَصلُ في الإِنْشادِ والتَّعريبِ!

لو أنصفَ الأُدَباءُ وحْيَ عيونهمْ وعقولهمْ لأَتَوْا بكلِّ عجيب!

---

(١) أي صاحب الشعر.

غُنم وغُرم

المكافأة في الشعر

(١)

أتاكَ يا ابنَ الكِرَامِ ساعي ... لحاجةٍ تُبتَغَى وَداعي
وَعَدْتني أمسِ وَعدَ حرٍّ ... ولم تؤكّدْهُ في وَداعي
فأعطِهِ - إنْ سمحتَ - فوْراً ... طوابعَ المعرضِ الزِّراعي ؟!

عبد الله بكرى

(٢)

لكَ ابتِدَاعٌ على ابْتِداعِ ... ونشوَةُ السّمْعِ والبَراعِ
طوابعُ الفَنِّ ترتجيها ... وأرتجي زينةَ الطّباعِ
فيا كها! ... ما غَنِمْتَ مِثْلي ... نظيمكَ الباسِمَ الشّعاعِ !
وما متاعٌ بجنبِ شِعْرٍ ... يُجَلُّ عنْ رُتْبةِ المَتاعِ ؟!

أبو شادى

العليل المنفي

ذِكرَاكِ في القلْبِ الحبيبْ أبقى مِنَ الدَّهرِ الرَّقيبْ
وكأَنَّ لي رَغمَ النوى أنساً بذِكركِ لا يَغيبْ
لا تسأليني أنْ أعو دَ فلسْتُ في الحُبِّ «الطَّبيبْ»
وأنا «العليلُ» بحرقةِ ال منفيِّ لا أدْري الذُّنوبْ!
وأنا الأَحقُّ بعَطْفِكَ ال مأمولِ يانجوى القُلوبْ
واذا اَستحالَ[1] لنا الوصا لُ فرُبَّ تحنانٍ يَنوبْ
انّي القنوعُ بهِ على رغمي ولكنْ لا أتُوبْ!
فتعطّفي بجميلِ كُتـ ـبِكِ فهيَ أنفاسُ الأديبْ
وكأَنّها في صِدْقِ حبّـ ـكِ باقةُ الروْضِ الخصيبْ
مَنْ ذا يظنُّ عبيرَها يُغْني عن الحسْنِ الرَّطيبْ
هيْهات يُغْني ا غيرَ أنَّ ال حظَّ من «خطٍّ»[2] الحبيبْ
فكأَنما في شكلهِ ال آمالُ للآتي القريبْ
وكأَنما مِنْ رَسمِهِ «خَطُّ السَّعادَةِ» يَستنيبْ[3]!

(١) صار محالا .
(٢) يشير الى « خط الحظ » في الكف ، كما يعرفه أهل الفراسة .
(٣) يقال استنابه استنابة أي طلبه نائبا عنه .

القيثارة الميتة

معربة عن الانكليزية للشاعر همبرت ولف

(١) — التعريب

هٰذِي هي القيثارَةُ الميّتهْ ! تأمّلْ الكسْرَ بها مِنْ نَغَمْ !
وهيْهاتَ أن تَغْتَدِي ناطِقَهْ بِحُسْنٍ كشأنٍ لها في الأَلَمْ !
فلا تسألْ الآنَ عَنْ كَسْرِهَا وعنْ سَبَبِ الكَسْرِ في الانتهاء
وعمّا اذا كانَ مِنْ أمْرِها غُلُوُّ الوَجيعةِ فَوْقَ البهاء !
بحسبكَ هاتيكَ قِيثارَةٌ وقدْ نطقتْ هكذَا سابقَا
ولٰكنّها الآنَ مُنْهارَةٌ فلمْ يَبْقَ صَوْتٌ لهـا ناطِقَا !

(٢) — الأصل

THE DEAD FIDDLE

This is the dead fiddle. Look where the wood
broke with the music. Never again
Will it speak, as only the fiddle could
of beauty in the deep of pain.

Ask not why in the end it broke.
nor if pain than beauty was stronger
This was a fiddle, and thus it spoke,
and now it speaks no longer.

Humbert Wolfe

الرُّؤيَا

في وسع الشاعر للطبوع أن يبث في شعره ـ كيفما كان موضوعه ـ ما تنطوي عليه نفسه من معان فلسفية وأسرار كونية وعواطف سامية وأخيلة جميلة ، وهذا مشاهد في تاريخ الشعر منذ القدم ، وانما الذي يعاب التصنع وفقدان الاخلاص الأدبي أو ضعفه . وفي هذه القصيدة تتجلى حرية الفكر والنظم وسمو الموضوع ، فهي فتح آخر جديد في الشعر المصري جامعة لأجل ما نكرهه في الشعر الحي .

***

(١)

في ليلةٍ مِنْ ليالي الصيْفِ في شَغَفٍ بِرَوْعَةِ للنجُومِ الزُّهْرِ تلْقاني
جلسْتُ أرْقبُها حتى اتّصلْتُ بها بالرُّوحِ في مِثْلِ إيحاءٍ وإسْراءِ
وبينما أنا أرْنو غيْرَ مُلْتَفِتٍ حَوْلي شعرتُ باغماءٍ يغالِبُني
كأنما سَحَرَتْني قُوَّةٌ خَفِيَتْ فأرْغمَتْني ، وقدْ كانتْ تُراقِبُني
وكانَ آخِرُ ذِكْري أنْ وضَعْتُ يدِي خَوْفاً على تُكَأَةٍ[1] قدهَيَّأتْ نَومي

---

(١) تكأة : Armchair .

تُريحُني في وَفاءٍ مِنْ رِعايتِها بشَرْقي بَعْدَ جهْدِ الفكْرِ واليَوْمِ
وبعد ذلكَ لم أشعرْ بعالَمِنا وَقتاً طويلاً كأنّي تائهٌ حائرْ
ما بينَ دُنْيا نأَتْ عنّي وَثانيةٍ لم تَبْدُ بَعْدُ كأنّي الصاعِدُ الطّائِرْ !
حَوْلي فَضاءٌ ولا فِكْرٌ يُخامِرُني وَلا شُعُورٌ سِوَى جَهْلي وإعيائي
كأنما أنا مَيْتٌ ما يَزالُ بهِ شَيْءٌ مِنَ الحِسِّ لكنْ رُوحُهُ ناءِ !
حتى أفَقْتُ ولكِن لم أجِدْ زَمَني ما قد عهِدْتُ ولا حَوْلي الذي حَوْلي
كأنما ذاكَ نَوْمٌ آخرٌ وأنا غرْقانُ في بُحَرانِ شِبْهَ معتَلِّ !

***

(٢)

رأيتُ أنّي على طَيّارَةٍ وَقَفتْ فوْقَ السَّحابِ بلا خَوْفٍ وَلا حَرَكهْ
وشكلُها في آنتِظامٍ مِثْلُ باخِرَةٍ وَحَجْمُها رَائِعٌ للعَيْنِ والذِّهْنِ
فَحِرْتُ في أمْرِها حتى رَأَيْتُ بها قِسْماً تَوَشَّحَ « باللاَّسِلْكِ » مَنْظَرُهُ
وكنتُ أخْشَى سُؤَالَ النّاسِ في جَزَعي مِمّا رأيتُ وِمِنْ حالي وَمَرْآهُ
رؤوسُهُمْ ضَخْمَةٌ ما كنتُ أعرفُها قبْلا لنوعٍ مِنَ الإنْسانِ مَشْهُودِ
وما عرَفتُ ذُكوراً مِنْ اناثِهِمِ فكلُّهُمْ شبَهٌ في الشَّكلِ والرُّوحِ

مُرْدٌ عليهِمْ سِماتُ اللُّطْفِ بادِيَةٌ لٰكنَّهُمْ فقدوا أسْنانَهُمْ فَقَدَا ا
فحِرْتُ في أمرهمْ حتى بَدَا شَبَحٌ عندَ اقترابي منَ المِرْآةِ في البَهْوِ
وكان تبدُو عليهِ دَهْشَتي ، ولَهُ عيناي ، والوَجْهُ وَجْهي في مُبالَغةٍ
وقد تَخَلَّى عن الأَسْنانِ فكأنَّهُ وإنْ تناسَبَ لولا الرَّأْسُ مَرْآهُ
فرُحْتُ مُقْتَرِباً منها (١) فقارَبَني حتى كأنَّ الذي شاهدتُ تمثالي
فصِرْتُ أبدي حراكاً وهوَ يُشبهني في كُلِّ شيء ، فصارَ الشكُّ إيمانا
أيقنْتُ حينَئِذٍ أنّي غَدَوتُ كذا نوعاً مِنَ الجنّ في شكلي وما حَوْلي!
فكِدْتُ أصعقُ من ذُعْرٍ وصِحْتُ كمَنْ قد مَسَّهُ الجنُّ في عقلٍ وفي بَدَنِ!
فخَفَّ لي نفرٌ منهمْ يُسائِلُني عمّا أصِبْتُ بهِ ، حتى أنِسْتُ بهمْ
وبعدَ وقتٍ قصيرٍ جاءَ ناحيتي فتًى مهيبٌ ، ولٰكنْ مِلْؤُهُ عَطَفُ
فقال أقربُهمْ منّي : « الطَّبيبُ أتَى! » ... لكنّني كُنْتُ في صَمْتٍ
وفي حَيْرَهْ !

فصار يفحصُني هذا الطّبيبُ وقَدْ بَدَأْتُ أحسبُ أنّي واهمٌ ثَمِلُ!
وقال لي : « لا تخَفْ مِنْ نَوْبَةٍ رجعتْ فسوفَ تُشفى تماماً مِنْ تَرَدُّدِها »
وجاءَ لي بدَواءٍ ملءَ ملعقةٍ شعرْتُ بَعْدَ تَعاطيهِ بانْعاش

---

(١) أي من المرآة .

فقلتُ يا قومْ : « ما حالي ؟ ألا خبَرٌ فانّني لستُ أدْري ما جرى حَوْلي ؟ »

قالَ الطبيبُ : « كَفى ! لا تَخْشَ ! نحنُ هنا نصطَافُ في مثلِ إخوانٍ وخِلاّنِ ،

وأنتَ أكرمُنا نَفْساً وأرجَحُنا عَقلاً فلا تخْشَ منْ وِدّ لنا بادِ

لٰكنْ أصابتْكَ نوباتٌ مُمثّلةٌ لكَ الزّمانَ بعَصرٍ منذ أدْهارِ

كأنما أنتَ في (مصرٍ) لدى زَمَنٍ جَمّ النِّضالِ يُنادِي باسْمِهَا (سَعْدُ)

وما تزالُ بها الأحداثُ غاشِمَةً والحَقُّ للسيْفِ والشعبُ الفَتَى عبدُ

وذاكَ في العلمِ نوعٌ مِنْ مراسلةٍ للرُّوحِ ما بيْنَ أعصارٍ وأعصارِ

كأنما أنتَ تحكي عنْ نُهًى زَمَنٍ ولّى بأحداثِهِ منْ مائتَيْ قَرْنِ !

كأنما كنْتَ فيهِ حينَ تَشْرحُهُ كما وصفتَ بتَمْحيصٍ وتدقيقِ

فتِلْكَ رَجْعَةُ فِكْرٍ ليْسَ يفهمُها الاّ أولو العِلْمِ ، لٰكنْ فهْمُهمْ عَجَزُ

ألستَ تعرفني ؟ » .... لٰكنْ مُحاولتي إجابةً لم تكن مِنّي سوى صَمْتِ !

كانَ الذُّهولُ حَليفي لا أرى وأعي الاّ عجائِبَ أحلامٍ وأحلامِ !

فقالَ : « هيّا معي ياصاحبي ! » ومضى يقودني نحو ركْنٍ مِنْ سفينتنا ،
على انفرادٍ بحيثُ الجوّ ينعِشُنا نوراً ولُطْفَ هواءٍ باردٍ صافِ.
فقلتُ : « ياصاحبي إنّي على ثِقَةٍ مِنْ نُبْلِ نفسِكَ ملمُوحاً بمرآكَ
ألا تحدّثني صِدْقاً وترْشِدني إذَنْ ، فانّي كمحْمُومٍ ومَذْهولِ ! »
فراحَ يُخبرُني إخبارَ مُعْتقدٍ بما يقولُ فأَوْحى رَجْعَ إيماني
مؤكّداً أنّني ماعِشْتُ في زَمنٍ مَضَى ولكنّ رُوحي في تناجيهِ !
وانّي عالمٌ بالطِّبِّ أنهكَني جهْدِي فعُدْتُ الى نوباتِ أحْلامي
كذَاكَ أنّي أديبٌ شاعرٌ وله جَولاتُ شِعْرٍ بوَصفي رِحْلةَ القمرِ !
وأنّنا نحْنُ في قَرْنٍ عجائبُهُ بُلوغُنا القمَرَ المعْدُودَ كالأَرْضِ ،
وما عرفْناهُ من أخبارِ جيرَتِنا بين الكَواكِب (كالمرّيخِ) عنْ أهلِهْ !
فقدْ تطوّرَ بأسُ العلمِ منتَصِراً على (الطّبيعةِ) حتى قد تألّهْنا
وقد خَبَرْنا ونِلْنا الأثيرَ قُوَى صِرْنا بها سادَةً للجسْمِ والرّوحِ
وأصبَحتْ هـذِه الدُّنيا الجِنانَ لنا فما حلْمُنا بجنّاتٍ تُعادِلها
فكلُّنا طَوعُ أحكامٍ تُسيِّرُها حكومةٌ لبني الإنْسانِ أجمعهمْ

وإنْ تكنْ ذاتَ أقسامٍ منوَّعةٍ في كلِّ قُطْرٍ كما تقْضي طبيعتُهُ
لكنَّها في اتِّصالٍ ثمَّ مَرْكزُها بُرْجٌ على الجوِّ كالمَسْحورِ موقوفُ
من بعد ما أصْبحَ «اللَّاسِلْكُ» عمْدَ تُنافي الدَّفْعِ والجَذْبِ والإحْياءِ
والمَوْتِ !

وصار عُمْرُ بني الإنْسان متّصلاً رغْمَ الطَّبيعةِ حتى مائَتَيْ عَامِ !
وصارَ مَنْ كان يُرْجَى مِنْ مواهبِهِ تقضي الحكومةُ بالتطويل
في عُمْرهْ !

وذاكَ سَهْلٌ بذرَّات مكهربَةٍ للرَّادِ [1] تنفثُ فيهِ نفثةَ السِّحْرُ
ومَنْ عداه فلا ترضَى حكومتُهُ بعيشِهِ بعدَ ما تقضي طُبيعتُهُ
والناسُ باتوا سواءً لا تفرّقُهُمْ الاَّ قُوَى العقْلِ فهوَ السيّدُ النَّاهي
وصار أحجَى الوَرَى عقْلاً وأوفرُهُمْ علماً رجالات هاتيكَ الحكومات
وأصبحَ النَّاسُ لا الأسقامُ تُزْعِجُهُمْ ، ولا المَمَاتُ سوى نَوْعٍ
منَ الرَّاحَهْ !

وقد تقدَّمتْ الدُّنيا بهندسةٍ تحولُ دونَ وُقوعٍ في مصائبِها !

***

(١) الراديوم - Radium .

(٣)

وهكذا مَضَتْ الأيَّامُ مقتنعاً بأنّي كُنْتُ في سقْمٍ فحوّلني
وصِرْتُ أدْرُسُ ما حَوْلي وأحفظهُ كأنّني طالبٌ للعلْمِ مبتدِيءٌ
علمْتُ أنّي مقيمٌ فوْقَ (مِصر) وقد صارتْ بلاداً لها في العِلْمِ إمكانْ
وأهلُها عرفوا تاريخَ غابرهم مِنْ غيْرِ شكٍّ وأحيوا سرَّ موتاهمْ
وبرّزوا في مجالِ البَحْثِ وانتفعتْ بهمْ شعُوبٌ وصار العِلْمُ رائدَهمْ
وقيلَ لي إنّني تلقاءَ مأثَرتي للعِلْمِ يُعْنَى بتطْبيبي وإنعاشي
وسوفَ أبقى أُراعَى أشْهُراً ومتى شُفِيتُ عدتُ كاستاذٍ بجامعتي !
فلستُ في حاجةٍ للمالِ أنْفِقُهُ وليْسَ في النّاسِ مَنْ يُدْعَى بذِي فقَرِ
فكلُّ فَرْدٍ لهُ دَخْلٌ على عَمَلٍ ، وللحُكومةِ تدبيرُ الحيـاةِ لنا
منَ الولادَةِ حتى الموْتِ تشملُنا منها الرعايةُ في سقْمٍ وفي صِحّهْ
وأنّني لمْ أصِرْ بَعْلاً فلا حَرَجٌ عليَّ في عزْلتي حتى المعافاةِ
كذا اطمأنَّ شعُوري رَغْمَ ثورَتِهِ الى حياةِ هدُوءٍ جنّبَ تفكيرِ
وكلُّها عَجَبٌ يفْضِي الى عَجَبٍ من الجليلِ الى الأدْنى منَ العيشِ
فكُنْتُ أسكنُ في هذِي السّماءِ كما عهِدتُ مِنْ قبلُ سُكْنَى الأرْضِ في أمْنِ !

وقدْ شَهِدْتُ صُفوفاً لا آنتِهاءَ لها منَ المنازلِ كالسُّفْنِ الهَوائيَّهْ
صُفَّتْ كأنَّ أثيرَ الجَوِّ يمسكُها وبينَها طُرُقٌ مَحْدُودَةٌ شتَّى
مدينةٌ حرَّةٌ لكنْ مُكهْرَبَةٌ تعتزّ فوقَ أعاصيرٍ وأنواءِ
فيها التَّنقُّلُ سَهْلٌ في مُجَنَّحةٍ من القوارِبِ تزْجى دونَ أخطاءِ
فيها العَمائرُ لا تُحْصى كما جمعتْ من الدَّكاكينِ أنواعاً وأحجاماَ
كانَ الغذاءُ خلاصاتٍ منوَّعةً منَ النباتِ بأشكالٍ وألوانِ
فما تكلَّفتُ مضغاً ،لا ولا زمناً، في أكلها دُونَ جُوعٍ أوْ مضايقةٍ
وما حُرِمْتُ رياضاتٍ منوَّعةً في مسكني وبدُورِ الرَّقصِ والفنِّ
وفي مراصِدَ أشْهى ما رأيتُ بها مناظرُ القمرِ المسكونِ بالنَّاسِ :
حيث استطاعوا انتقالاً ثمَّ صارَ لهمْ بالعِلْمِ أهلاً لسكناهم وراحتهمْ!
أمَّا المعابدُ فيما قد خبرْتُ فلم تكنْ سوَى دُورِ تاريخٍ وفلسفةِ
فكان يَشْرحُ أعلامٌ لنا صُوَراً من أمسنا في مناجاةٍ لغادِينَا
والمعبدُ الأكبرُ المُمْتازُ صبغتُهُ كمرْصدٍ جامعٍ أضواءَ أفلاكِ!
وركّزوا النورَ من مختارها فبدَا مصوَّراً (مِصرَ) في عهدِ الفراعنةِ!
وهكذا برْهنوا أنَّ الزَّمانَ بلا حَدٍّ وانَّ حياةَ الأَمْسِ حاضرُنَا
وأنَّ عِبْرَةَ ماضينا تُسَيِّرُنا بِيَوْمِنا وَدليلُ اليَوْمِ آتينَا

وشَوَّقُونَا الى سَعْيٍ بلا مَللٍ الى فتُوحٍ وآمالٍ لنا أُخْرَى
وقيلَ ذلكَ إيمانٌ ، وغايتُهُ دِينٌ وترْدِيدُهُ أسْمَى العِباداتِ
وليسَ وَقْفاً على فكْرٍ يُحَدُّ بهِ بل دائماً يتَسامَى في تَطَوُّرِهِ
وكانَ يذْهبُ صَحْبي في تنقُّلهم الأَرضِ في قُطُرِ طيَّارةٍ تجْري
وتارَةً في فُرَادَى الطَّائِراتِ بلا خَوْفٍ ، فآلاتُها لا تخْطِيء
القَصْدَا !

تَطيرُ منْ دَفْعِ « لاسِلكٍ » يُسَيِّرُها بالضَّبْطِ وهوَ لها الهادِي
كرُبَّانِ !

فعندما سَمحتْ لي صحتي عَرضوا عليَّ أنْ أشْهَدَ الأَرْضَ التي تحتي
فكنْتُ أطوعَ مشتاقٍ لدَعوَتِهم وطِرْتُ في جَمْعِ أصْحابٍ الى وطني!
فيا لدَهْشَةِ نَفْسي عِنْد رُؤيتِها ما قامَ مِنْ عجبٍ في قطرنا العَجَبِ !
هذي قُصورٌ مِنَ الفُولاذِ رائِعَةٌ ملءَ المدائنِ والأُخْرَى منَ الوَرَقِ
وهذِهِ طُرُقُ المطَّاطِ حاليةٌ وغيْرُها بالزّجاجِ المُنْتقَى فُرِشَتْ
ونَمْ شُمٌ عمارَاتٍ مُجَمَّلةٍ منْ كلِّ شائقِ بلُّورٍ لحيطانِ
ولا تسلْ عنْ طباقٍ منْ شوارِعها ، ولا تَسَلْ عنْ حياةٍ باطِنَ
الأَرْضِ !

ولا تَسَلْ عنْ جَمال في مصانِعِها منَ النَّظافةِ والإتْقانِ والرَّاحَهْ
وعن وسائل شتّى المتَنقُّلِ لا تَلْفُ بها غيْرَ إعجابٍ وإمتاعِ
و (النيلُ) أضْحَى مزاراً (للطَّبيعةِ) لا يُعْنَى بهِ الناسُ في ريٍّ وفي شُرْب !

فالماء مُنبَجِسٌ من أرضهمْ أبداً بآلةٍ طَبْعُها أنْ تجْذِبَ الماءَ !
والشُّرْبُ سَهْلٌ بآلاتٍ مكلَّفةٍ أنْ تصنعَ الماءَ في رُخْصٍ بلا تَعَبِ !
ولا تَسَلْ كيفَ صارَ الزارعونَ على حظٍّ عظيمٍ من الدُّنيا وقدْ كرُمُوا ،

مِنْ بعدِ أجيالِ تسخيرٍ وسخْرِيَةٍ مِنْ جهْدِهِمْ وهمُ المَوْتَى بلا مَوتِ
فأصْبحوا أهلَ تمدينٍ وتربيةٍ وعَوْنُهمْ ذُخْرُ آلاتٍ وعرْفانِ
ولا تَسَلْ كيفَ أنَّ النَّاسَ قد حُصِرُوا في النَّسْلِ طَوْعَ مشيئاتٍ لُحكّامِ !

وكيفَ أصْبحَ شغْلُ النَّاسِ خِدْمتَهمْ للنَّوْعِ في جَمٍّ إخلاصٍ بإحكام
وكيفَ أفنَوْا بتَدْرِيجٍ وتنْقيةٍ كلَّ الضعافِ بموْتٍ حانِمٍ رَاحِمْ
وأسعدوا (نِتْشةً) في قبرِهِ وغدوْا يسعُونَ سعياً الى حَظِّ (السبرمانِ)!

***

(٤)

وهٰكذا سِحْتُ في أرْضٍ مقدَّسةٍ في كلِّ ذِكرَايَ ، فهِيَ الموْطنُ الغالي :

حيثُ الجمـالُ عزيزٌ في ملاحتِها وحيثُ آمالُها الشمّاء آمالي
فأطرَبتْني بهـا نُظْمٌ مُنوَّعةٌ وكلُّها بيْنَ إتْقانٍ وإحْسانِ
حيثُ الفضيلةُ قانونٌ وحيْثُ لها دِينُ السَّعادَةِ إسْعادٌ لإنْسانِ
وحيثُ للعلْمِ إرشادٌ يسيِّرُها ومنهُ للدِّين تَهْذِيبٌ وإيحاءُ
كأنما الدِّينُ أضْحَى خيْرَ فلسفةٍ تحيي النفوسَ ويَرْجوها الأُلباءُ
وبينما كنْتُ أمضي ذاهباً لأرى عَوْداً لقوْمٍ أتَوْا مِنْ عالَمِ القمرِ
في جوفِ سارُوخهم ، في ساعةٍ ذُكِرَتْ في ساحةٍ هُيِّئَتْ للعَوْدِ والسَّفرِ
سمِعْتُ في فجأةٍ صَفَّارَةً صفرَتْ كأنما هيَ إنذارٌ لإعلامي
وزادَ تصويتُها جداً فنبَّهني لمَّا (صَفِيَّةُ) [1] أنْهَتْ طيفَ أحلامي !
فقُمتُ أضحَكُ مِنْ وَهْمي ومنْ خَبَلي وطفلتي بيْنَ تصفيرٍ تُلاعِبُني
وبينَ وَثْبٍ وَقَفْزٍ شِبْهَ طائرَةٍ بروحِ دُنيَا الأحلامِ تُداعِبُني !

(١) بنية الشاعر . وقد نظمت هـذه القصيدة في أغسطس سنة ١٩٢٦ م .

حمام سايك

The Bath of Psyche

للورد ليتون

كُنْتُ في مَيْعةِ الصِّبا مَنْ يُنادي
مِنْ فؤادٍ رَهْنِ (الجمالِ) تَعَبَّدْ :
« مَذْهبي في جلالةِ الحُسْنِ أنْ لا يغتدِي نِعْمةً تُحَبُّ لِتُفْسَدْ
كَثْرَةُ الحُسْنِ ما يُصانُ ليَشْقَى إنما الحُسْنُ ما يُصانُ ليُعْبَدْ ! » (١)
ثمَّ دارَ الزَّمانُ دَوْرَةَ نحسٍ وفؤادِي بحُرْقَةٍ يتوقَّدْ
وغَدوْتُ الشَّهيدَ مِنْ رُوحيَ السَّا
جِدِ (لِلْحُسْنِ) بل إلَهي المُوَحَّدْ
قَذَفَتْنِي أحكامُهُ في يَدِ النَّفْـ ـرَةِ كالخاضِعِ الوَفيِّ المُسَهَّدْ
وأنا الثَّائرُ الذي دَامَ في الثَّوْ ـرَةِ والبُؤْسِ والعَذَابِ المُجدَّدْ
نافراً ساخِطاً حَزيناً ذَليلاً والجَوَى كالهوَى به ليْسَ يَنْفَدْ

(١) راجع ديوان (زينب) ص ٢٧

فاذا بي ما زِلتُ مَنْ يحْسَبُ (الُحسْ
نَ) عزاءَ الورَى الثَّمينَ الُمخَلَّدْ
هو أُبِّي ومُلْهِمي وغِذَائي ورَجائي منَ النَّعيمِ الُمجَسَّدْ !

***

أنا في العَيْشِ أنشدُ النُّورَ واللَّوْ نَ وحُسْناً من فَنِّهِ أتَزوَّدْ !
فاغفروا لي تَقْدِيسَ ما صوَّرَ (الفَ نُ) نَ الوحْيِ في الجَمالِ الُمجَرَّدْ
رَضِيَ اللهُ عنكَ يا (لوردُ ليتو
نُ) فهذا هوَ « التّسامي » المُسَوَّدْ !
صُورَةُ تِلْكَ ، أمْ هيَ السُّورَةُ الكُبْ
رى ، أم الشِّعْرُ بالتّأمُّلِ يُنْشَدْ[1] ؟ !
تَتَعالى الاحلامُ منها وتلتذْ ذُ عُيونٌ بنعمةٍ تتعدَّدْ !
هذِهِ فِتْنَةُ (الجَمالِ) تبدَّتْ فاذا النُّورُ حولها ما تبدَّدْ !

---

(١) تمثل هذه الصورة الحسناء (سايك Psyche) وهي المرأة الجميلة التي فتنت الاله (ابروس ـ Eros) فجذبته اليها دون أن تدر أنه اله ، وقد اتفق معها على التردد عليها ليلا بشرط أن لا تحاول معرفته ، ولكنها في احدى الليالي حنت الى عرفانه ، فأوقدت شمعة واقتربت منه ، فسقطت نقطة من الشمع على وجهه فاستيقظ وهجرها ! وهذه اسطورة ذات فلسفة حقة عن خلق المرأة وعن عبادة الجمال للمتأمل المفكر .

نَضَّتْ الملْبَسَ الشَّفوفَ بهـا الآ
سي[1]، فلاحَتْ بها (الطبيعةُ) معْبَدْ !
وقفةٌ كلُّها الرَّشاقةُ والسِّحْـ ـرُ على جانبٍ كبَسْمةِ فَرْقَدْ !
في انْسجامِ الإبداعِ للخالقِ المُفْـ
ـتَنِّ كأنَّ الأعضاءَ فنٌّ منضَّدْ !
وبهذا الجمالِ قد يُصْبحُ المـا ـءُ شِفاءً لنا ومَحْلولَ عَسْجَدْ
حسبيَ الرَّسْمُ واعذُروني فانّي
في سِوَى ما حَبا عُلَى الفنِّ أزْهَدْ
أنا مَنْ يعذرُ المؤلِّهَ (إيرو
سَ) وقدجاءَ يشتهيكِ ليَسْعدْ
لم يكنْ بالحَقيرِ اذْ دانَ للحُسْـ
ـنِ فانَّ الحقيرَ مَنْ كان يجحدْ
أنتِ قد خُنْتِهِ بحبِّكِ للبَحْـ
ـرِ، فوَلَّى وهدَّ حُلْمٌ مشيدْ
وأنا هَدَّني مِثالُكِ في النَّا
سِ جزاءً على وفاءٍ تفرَّدْ !
فبقيتُ الوَفيَّ لِلْمثَلِ السَّا
مي وفيٌّ له السَّبيلُ المُعبَّدْ !
عاشِقاً رَسْمَكِ الملقَّنَ رُوحي
صلواتٍ بذُخرها أتَعبَّدْ !
وجَميعُ الحياةِ عندِيَ أطْـ
ـلالٌ سوى الحُسْنِ فهوَ دِينٌ ومَعْبَدْ !

(١) الآسي : الحزين ، من أسا يأسو أسواً .

لغة الدموع

إِرْبأ بقلبِكَ أنْ يُريقَ دُمُوعَا
فلقدْ تُذِيبُ اذا ظَلَمْتَ مَرُوعَا!
لُغَةُ الدُّموعِ الحُزْنُ في إِرْهاقِهِ
ودُموعُ غالي الصَّفْوِ لَسْنَ دُمُوعَا!
قالوا « عزاءُ النَّفْسِ في بلوائِها » !
هيْهاتَ يُنْقِذُ طِبُّهـا المَفْجُوعَا !
تمضي ببعْضٍ مِنْ حُشاشَةِ نفْسِهِ
فاذَا الذِي وَلَّى يعافُ رُجُوعَا!
والمرءُ صُورَتُهُ بصُورَةِ كلِّهِ فاذا تناثَرَ لمْ يَعُدْ مجموعَا !

على قبر اخوَيَّ

وقفتُ عليكما بخُفُوقِ قَلْبٍ يجاذِبُهُ الحَنانُ للحدِ[1] قبرِ!

(١) الحد هو الشق المائل بجانب القبر .

وفي ذِكراكما ذِكرى حياتي فانّي أنتُما والقلْبُ يدْرِي !
ومن أقسى الظُّلاَمةِ[1] أنَّ بعضي
يعيشُ وأنتُما في موتِ غدرِ
فلا عجبٌ اذا رفَّتْ ضُلوعي
وضاقَ بوحدةِ الإِحْساس صدرِي !
فكادَ الرُّوحُ يقْسَمُ مِنْ حناني
وكادَ الرُّوحُ نحْوَ القبْرِ يجْري !
فيا اخوَيَّ في جسْمي وحسِّي ويا نجْوايَ في أحزان عُمْري
أنوبُ اليوْمَ عنْ أُمٍّ حَنونٍ بكيتُ بكاءَها مفقُودَ زَهْرِ
مضتْ وبنِمّتي الذكْرَى ، وَحسبي
دُموعٌ لا تضيعُ ببحْرِ شِعْرِي !

ذكرى المستر جنل

الوطني الارلندي الشهير وصديق مصر والمصريين

ودّعتَ في هذي الحيـاةِ الجيلاَ
ولَقِيتَ أجْيالاً رأتْكَ جليلاَ !

---

(١) الظلامة : ما يحتمل الانسان من الظلم ، أو ما يؤخذ منه ظلما .

لستَ الغبينَ مودِّعاً أحبابَه
مهما أسفتَ ، فما عدمتَ خليلاَ !
سيعيشُ ذِكرُكَ في قلُوبٍ جَمَّةٍ
كُنتَ الصديقَ لها وكنتَ مَقيلاَ
مِنْ لَفْحِ نيرانِ الطُّغاةِ تُظِلُّها
ويَظَلُّ ذِكرُكَ في العزاءِ ظليـــلاَ
ونَعُدُّ فقدَكَ قرَنا ومُصابَنا وعوالمٌ أخرى تراه جميلاَ !
فكأنما أنتَ السَّخيُّ برُوحِهِ
ليبثَّ في الدُّنيا الشُّعورَ نبيلاَ (١)
وكأنما ضَحَّى وَودَّعَ أهلَه ليزيدَ في ألقِ النجومِ طَويلاَ !
مَنْ ذا يكابرُ والحَياةُ مشاعةٌ ؟!
مَنْ ذَا يفنّد ما أُحِسُّ دَليـــلاَ ؟!
والموْتُ مِنْ صُوَرِ الحيـــاةِ وانما
في النَّاسِ مَنْ لا يفهَمُ التَّحْويلاَ !
وكأنّهُ أقوى الحيـــاةِ تنوُّعاً وكأنه المُلقى الشقاءَ ذليلاَ
في راحةِ المنصورِ أنتَ وإنْ تدُمْ متنقلاً ومُجاهِداً وعليـــلاَ

---

(١) أي ليطلق روحه من قيودها وينشرها في عوالم الدنيا فتبث فيها الحس النبيل .

نَفْسٌ من الحسِّ الدَّقيقِ تكوَّنتْ
وصِفاتُها تأبى الهوانَ زَميلاَ
بذَلَتْ لموْطنيَ الحزينِ وَفاءَها
واليومَ أكرِمُ حبَّها المَبْذولاَ
وكأنما أملى عليَّ رثاءَها (١)
واختارَ من باكي المدادِ (النيلا) :
هي صفحةٌ في سِفرِ عمرِكَ فلأدْعْ
لمفاخرٍ أنشأتَها التكميلاَ !

أسرٌ وأسرٌ

يشقَى الغنيُّ بمالِهِ وينوءُ بالفقرِ الفقيرْ
ذاكَ الفخيمُ بأسْرِهِ وأخوهُ في ذُلِّ الأَسيرْ !
وكلاهما يشكو الحيا ةَ ويستغيثُ ويستجيرْ
وكلاهما صِنْوُ الحقيرِ الـ عبدِ أو مثلُ الأَجيرْ
يا ليتَ شعري مَنْ سوى الـ مالِ المُسَخِّرِ والأميرْ ؟!

(١) الضمير عائد الى الوطن .

المبت الحيّ

قالها الشاعر في طالبة حسناء مترجلة تشرح جثة للفائدة العلمية . وقد نقلنا هذه الأبيات عن مجلة (فتاة الشرق) الغراء المؤرخة ١٥ فبراير سنة ١٩١١ م بفضل معاونة صاحبتها الادبية السيدة لبيبة هاشم ، وتمثل نموذجاً من نظم الشاعرفي صباه ، وكذلك نقلنا عنها طائفة من القصائد التالية وأشرنا الى ماأخذها.

***

ومشرِّحٍ تثبُ القلوبُ (١) لوثبةٍ
مِنْ سحرِهِ وتنفُّسٍ من طيبهِ !
يهفو له الفاني فينفرُ ضاحكاً
ويغارُ هذا الميتُ مِنْ كافي بهِ !
متنعّماً ببنانهِ ، متشوّقاً لحنانهِ،مستهدِفاً لصبيبهِ (٢) !
يحيا بأقتل رَشقةٍ من لحظِهِ ويموتُ جدَّ الموتِ في تقطيبهِ !
وهو المنعَّمُ في الفَناءِ وفي الرّدى ينهدُّ مغبوطاً على تعذيبهِ !

---

(١) يقصد قلوب الموتى ، فضلا عن قلوب الأحياء ...
(٢) الصبيب : طرف المبضع .

* * *

يا باعثَ الصبِّ القتيلِ [١] كرامةً
ضيّعتَ عُمرَ الصبِّ في تأديبهِ !
تركَ الدُّنَى [٢] ومضى ، وما تركَ الهوى
فعلامَ لا تصبو الى تطبيبهِ ؟ !
ومن القساوَةِ أنْ تظلَّ مرنّحاً
بعدَ الممات بصمتهِ ووجيبهِ !
وتكونَ أنتَ ــ وأنتَ أجملُ شاعرٍ ــ
من يَقْصِر [٣] الوافي على تنقيبهِ [٤] !
صَفْوُ الحياةِ وبؤسُها ودَوامُها
وفناؤُها طَوعٌ لما تقضي بهِ !

---

(١) يشير الى لايت الشرحة جثته .
(٢) الدنى : جمع دنيا ـ أي مظاهر الحياة الحاضرة .
(٣) يقال : قصر الشيء على كذا أي لم يتجاوز به غيره .
(٤) التنقيب الفحص البليغ ، يعني التشريح .

بعد الفراق

من مجلة « فتاة الشرق » لشهر ديسمبر سنة ١٩١٠

ويومَ أثار البينُ كامنَ لوعتي
وأغرقتُ في شكوى تخفّفُ مِنْ همّي (١)
نفضتُ الكرى وارتحتُ للبثِّ بعدَما
تهالكتُ ما بيْنَ الصَّبَابَةِ والسُّقْمِ
يكادُ يكونُ الُحبُّ ديناً أُعزُّهُ
وهذا الشقاءُ العذبُ من منتهى همّي (٢)
ولٰكنْ يهُونُ البُؤسُ في كلِّ لحظةٍ
اذا زادَ حِفظُ العهدِ غمّاً على غمّي !
نزحتُ عَيوفاً عنْ بلادٍ أحبُّها
تُساقُ بها الأحرارُ للخَسْفِ والضيْمِ
أقمتُ بها عُمْراً على الوجدِ صابراً
وخلّفتها بيْنَ التلفُّتِ والأَمِّ !

---

(١) همي : حزني .
(٢) بمعنى ارادتي ورغبتي .

ذكرتُ بها بدراً ضللنا لبُعدِهِ
فأرسلْتُ توديعَ الفؤادِ على اليَمِّ
سلامٌ على حُسْنٍ دَفنّا سِهامَهُ
بأضلُعِنا بيْنَ التكتُّمِ والنَّمِّ !
سلامٌ وفي نفسي شجونٌ كثيرَةٌ
تفيضُ لدَى التذْكارِ في مَدْمَعي الجمِّ
تحمَّلتُ قلباً دامَ رَهنَ ودادِهِمْ
وما زالَ مملوكاً على الطَّوْعِ والرَّغْمِ !

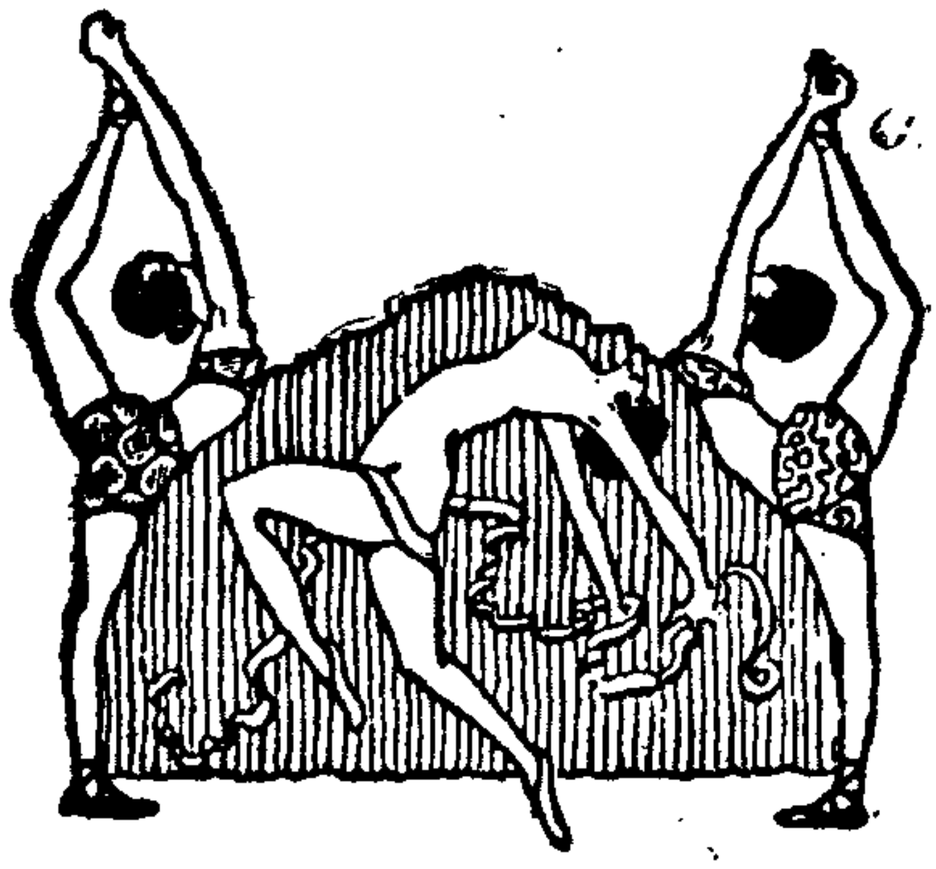

شعر الغناء (١)

أبق الرحيل وخل الحسن يهديني

عن مجلة « فتاة الشرق » لشهر ابريل سنة ١٩١٢ .

أبقِ الرَّحيلَ وخلِّ الحسنَ يَهديني
إنْ باتَ غيْري سليبَ العقْلِ والدِّينِ !
يا باعثَ الأملِ المفقودِ مطلعُهُ
أشْرقْ على وهدَةِ القَوْم المَساكينِ
لولا سناكَ ولولا مهجَةٌ عشِقَتْ
لما بقيتُ على الدُّنيا الى حينِ !
وأنتَ لولا شعُورٌ تستَخِفُّ بهِ
لما شكَوْتُ عذاباً ليْسَ يُقْصيني

---

(١) هذا مثال من نظم الشاعر فى أواخر العقد الثانى من عمره ، وقد نشرت فى ديوانه « انين و رنين » امثلة من شعر طفولته الأدبية ولم يكن الشاعر متجاوزاً وقتها الخامسة عشرة سنة . وا كثر شعره المفقود هو شعر العقد الثالث ويمتاز بجمال الرقة فى الغزل على الأخص وبشعر الحماسة الوطنية المشتعلة .

لِلّهِ قلبكَ أفديهِ ويعذُلُني
ياليتَ قلبكَ بالإخْلاصِ يَشفيني
تُنْبي المشوقَ الذي يرْعاكَ مبتسِماً
على الجَفاءِ، وكم تقْسُو وتُبكيني !
أشفِقْ على الصبِّ إنْ أودى البعادُ بهِ
وارْحَمْ أسيرَكَ من بأسٍ ومِنْ لينِ !
أصغرتُ كلَّ جَمالٍ لا تَهشُّ لهُ
وما أضعتُ وفاءً منهُ تُشقيني !
نفسٌ تُديمُ على لُقياكَ راحتَها
اللهَ في حظِّها إنْ بتَّ تُضنيني !
حيِّ الشَّبابَ الذي يُعطيكَ نَضْرَتَه
أوْتِهْ عليهِ، فما يُرْضيكَ يُرضيني!
ومِنْ دَلالِكَ ما يَحْلو ويُسعِدُني
ومِنْ صُدودِكَ ما يُبكي ويُفنيني!

في شرشر صو

« شرشر صو اسم جنة من جنان البسفور واقعة على بعد نصف ساعة من شاطئه الغربي للراكب من بيوكدرة ـ احدى الضواحي المشرفة على ذلك الممر ـ وفي تلك الجنة الفيحاء نخب من أجل المناظر الطبيعية ، وبها عين ماء فرات ينصب متسهلا في مثل الخيط ، ويزدحم الناس من جميع الطبقات مبكرين متسابقين حول منهله الضنين . ويعز الحصول بغير ذلك على هـذا النوع من الماء للمدني الثمين الذي يتداوى به الوطنيون والاجانب من كثير الأمراض الكلوية » . ـ من مجلة « فتاة الشرق » لشهر مارس سنة ١٩١٢

***

يا مَنْ تصونُ الماءَ صَوْنَ جمالها الصَّبُّ أَوْلى بالحيـاةِ لديكِ !
يجري مُنًى ومَحبَّةً وسلاسةً
ويسيلُ قبل « العيْنِ » بيْن يديكِ !
مِنْ أُنْسِكِ المبقي عليهِ شبابَهُ وكمالكِ المبقي الشبابَ عليْكِ!
وَدَّ العليـلُ وقالَ فيكِ طبيبُهُ:
علَّ الشفاءَ الشهدُ منْ شفتيكِ ! (١)

(١) ارتجل الشاعر هذه الابيات في زيارته لشرشرصو وكان عليلا .

أنات وعواطف

من مجلة « فتاة الشرق » الغراء لشهر يوليه سنة ١٩١١ م

يشكو لرحمتِكَ المُسَا ءُ بصمْتِ مبسمِكَ الضنينْ
المستَحَبِّ وانْ جنى عَمْداً على القلبِ الحزينْ
ويذوبُ في نَجْوَى الفؤا دِ وعلَّةِ الحُبِّ الكمينْ
صَبٌّ على النُّعمى وفي ال شكوى لغيْرِكَ لا يَدِينْ
يُرْبي بايثارِ الوفا ءِ على عهودِ المتقَّينْ !
صُنْهُ منَ الجزَعِ المُمي تِ وثِقْ بخافقِهِ الأَمينْ
الواهبِ الدُّنْيا لُحِسْ نِكَ في السُّرُورِ وفي الأنينْ!
المُسْتهينِ بكلِّ با رِقَةٍ وفتَّانِ الرَّنينْ
الضاحكِ الباكي لِقُرْ بِكَ والمُذَلِّ من الحَنينْ
لا يستطيعُ البثَّ مِنْ وَجْدٍ ولا الكتمَ الدَّفينْ
أتُراكَ مُسْعِدَه ومُنْ صِفَ قلبهِ الحُرَّ المَهينْ
أفنى الوفاءُ رجاءَهُ وقضى على العُمْرِ الثَّمينْ
يفديكَ بسَّاماً وكم تقسو عليهِ وكمْ تبينْ !

مُلكُ القلوبِ ملـكتَه أوْلَى بمثلِكَ أن يَلِينْ !
ويُعِزَّ مَنْ يحيـا بطا عتِهِ على الودِّ المكينْ !
بالكِ على عهدِ الشَّبا بِ وذِكرِ حُبِّكَ وهو دينْ !

همزات الزمان

قالت مجلة (فتاة الشرق) الغراء بعددها المؤرخ ١٥ فبراير سنة ١٩١٢م :

الشاعر الناثر الطائر الصيت خليل افندي مطران نبوغ خاص ومقدرة غير محدودة في ابتكار المعاني الدقيقة وأساليب الكتابة المؤثرة نظم أم نثر . ويزيد ما يخطه قلمه جلالا ورونقاً انه حقيقة ما يريده ويشعر به لا ما يريده القلم في يده ، وانه اذا كتب فانما يكتب رجاء نفع عام أو نفع خاص يؤدي الى ذلك النفع العام الذي يشغل ذهنه المتوقد الكبير في كل أعماله .

ومن بين حسناته الادبية الكثيرة جل حكيمة سافنا الحفظ للاطلاع عليها في خطاب ودي أرسله ذلك الحكيم المجرب الى صديقه الاديب أحمد افندي زكي أبو شادي في مبحث من أهم المباحث التي يجدر بكل شاب أن يمعن النظر فيها .

وقد اطلعنا كذلك على رد شعري نفيس أرسله الاخير الى صديقه (الخليل) فأعجبنا اثبات القطعتين لسمو مغزاهما ومبناهما ، وجمال الحقيقة في المنثور ، ورفي الخيال في المنظوم ، وشرف الاحساس في كلتيهما .

وكنا نود لو سمح لنا بأن نكتب بيانا موجزاً لمبحث هذه المراسلة التي لا نشك في أنه ليس بها غير اشارات بسيطة فقط لذلك ، دون تعرض لدقائق موضوعها الذي كله دروس في الاخلاق تستحق التأمل والاعتبار بها .

قال خليل افندي مطران في كتابه :

بُنيَّ الكريم أحمد

ساءني أيْ بُنيَّ ما ساءك وبقدر ما ساءك ، وتمنَّيتُ لو أنَّ مابي من الجَلَدِ انتقل اليكَ مع بقائِكَ على حداثة سنّك لتتحمَّل كتحملي وأنتَ قويٌّ أيِّدٌ ، على أنني اعتقدتُ منذ الساعةِ الاولى

وما زلتُ على عقيدَتي تلك : اعتقدتُ أنَّ شرف نفسك وسعة حلمك يتغلَّبان على الحدث الذي مرَّ بك ، وانْ هو الا أُولى همزات الزمان ، وهكذا الدُّنيا ـ ويا للأسف ـ من مبدئها الى نهايتها . وخيرُ ما فيها على ما أكسبني « الاختبار » ـ ومعناه : « الصَّلابة من توالي الجراحات » ـ هو أن يشتغل الرجل بما هوَ أليق للرجال ، هو أن يكافح في سبيلِ مجدٍ فيُعَزَّ غالباً و يُعَزَّ مغلوباً ، هو أن يكون مثلك شغفاً بالمعنى ، ولـكن على أن يكون المعنى المشغوف فيه لا يُمثَّل باحدى صُوَر الانوثة ، بل يُخيَّل في مطلبٍ جلل من مطالب نفع الناس وخلود الذكر .

إعلمْ ذلك ياطبيبَ الغد ، ولعـلّ علمكَ قد شفاك ، والله يتولَّى رعايتك وصيانة قلبك ، واطالة بقائك ، على ما أحبُّه لكَ من المجد وعلوّ النفس ؟

الاسكندرية فى ١١ مارس سنة ١٩١١

المخلص

خليل مطران

وهـذا نص الرد الذي كتبه زكي افندي أبو شادي في ذلك الوقت بين عواطف متنازعة الى صديقه ومرشده :

الى شاعر الامتين

خليـل مطران

يا مُنعشَ الفاني بسحْرِ بيـانهِ
لِلّهِ آية شعرِكَ المنثورِ !
الموتُ يصغرُ - ياحكيمُ - كرامةً
للمجْدِ بعـد حنانِكَ المسطورِ !
والحُكمُ حكمكَ ياطبيبَ مُسَهَّدٍ
يشكو اليكَ تعسُّفَ المقْدُورِ
ألفى [1] الجمالَ فحبَّ غيرَ مُوَفَّقٍ
وأتى الوداعُ فماتَ غيرَ صبورِ !
والعُمْرُ بيْنَ رخيصهِ وثمينهِ
في البحْثِ ضاعَ ولم يفزْ بسرور !

---

(١) ألفى : وجد .

أحيـا الشَّبابَ معذَّباً بشعورهِ
وطوى الشَّبابَ مكفَّناً بشعورا (١)
ولعلَّ غايةَ حظِّهِ مِنْ سعْيِهِ
أنْ لا يُبَرَّ بسعيهِ المبْرورِ (٢)
ويُذالَ (٣) رغمَ ابائِهِ وحيائِهِ
ووفائِهِ وغرامِهِ المقبورِ
ولعلَّ مبعثَ هَمِّهِ المُودِي بهِ
أنْ يُسْتخَفَّ بقلبِهِ المأسورِ !
والنفسُ إنْ وَثِقَتْ بغيْرِ حقيقةٍ
مُنِيتْ بعلةِ وهمِها المأثور (٤) !
أمَّا (الجلالةُ) ـ يا عظيمُ ـ فنِعْمةٌ
ليستْ منَ التَّمحيصِ والتفكيرِ !
وأعلمْ ـ ومِثْلُكَ لا يُهينُ عقيدَتي
وأنا المعزُّكَ في سماءِ ضميري !

---

(١) راجع أبياته « وداع الشباب » في ديوان (زيلب) ، صفحة ٢٦ .
(٢) المبرور : ما لا شبهة فيه ولا كذب .
(٣) يذال : يهان .
(٤) المأثور : المنقول الشائع كما تنقل عدوى المرض . ويقال مني بكذا : أي امتحن واختبر به .

انَّ الذَّكاءَ وكلَّ أسبابِ العُلَى
هَمٌّ بغيرِ نتيجةٍ ومَصيرِ !
ولَرُبَّ موفور الجلالِ جلالُه
من رشْقِ ألحاظٍ ونُورِ ثغور [1] !
والمالِكُ الدُّنيا بحُكمِ عواطِفٍ
غيْرُ المُجدِّ لها بحكمِ غُرُورِ !
فاشْفِقْ عليَّ اذا عذلتَ فانما
عَذْلُ الكثيرِ البرِّ غيْرُ يَسيرِ !
وخفِيُّ أسْرَارِ القُلوبِ وحالها
ليْستْ كحالةِ خَفْقِها المنظُورِ !
كم في الخيالِ مباحثٌ لا تنْتهي
لتبيُّن المعروفِ والمنكورِ [2]
كم في النَّسيمِ مُبدِّدٌ ومُجدِّدٌ ومُؤيِّدٌ لصبابةٍ وحُبُور

(١) من القصص التاريخية الادبية المفسرة لهذا البيت والمعززة لمغزاه قصة بهرام جور وابنه (راجع الجزء الثاني من كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري ص ١٤٠) . وراجع أيضا كتاب « أشهر قصص الحب التاريخية » لسلامة موسى .

(٢) المنكور : المجهول ، من نكر الامر بمعنى جهله .

ولقدْ ترى المصْدُورَ ليْسَ بمالِكٍ بَثَّاً لحسْرَةِ قلبهِ المَقْهُورِ
يدْري ويجهَلُ ما كآبةُ نفسِهِ في نفْسِهِ وأنينِهِ المَوْفورِ
وتنوُّعُ الإِحْساسِ يُخْرِجُ ناقِداً
في فهمِ صُورَةِ حِسِّهِ المستورِ !
وحقائقُ المُهَجِ الحزينةِ والمُنى
وصوابُها ليْستْ لكلِّ خبيرْ (١) !
يامَنْ يقدِّرُ عقْلَ كلِّ مفكِّرٍ أنتَ الحَرِيُّ بميْزَةِ التقديرِ !
عَفْواً اذا صَرَّحْتُ أنكَ في الهوَى
أولى بحَقِّ أنْ تكونَ عذيرِي (٢) !

---

(١) مثل هذا الرد الفلسفي على ملاحظات الاستاذ (مطران) ، وما تضمنته هذه القصيدة الفياضة بالشعور من معان وجدانية دقيقة كثيرة ، لما يهزني تأثراً ، لا سيما وقد كان الشاعر وقت نظمها (في منتصف مارس سنة ١٩١١) في التاسعة عشرة من عمره . وهي مثال لقسم كبير مفقود من شعره ما بين سنة ١٩١١ م وسنة ١٩٢٢ م بسبب الحرب والاحكام العرفية واغترابه الطويل عن مصر وغير ذلك من ظروف عائلية قاسية أشرت الى بعضها فيما نشرته سابقا من دواوينه .

(٢) لعله يشير الى تبادله المحبة مع صديقه (مطران) ، أو لعله يشير الى غراميات (مطران) في صباه ، وبين شعره الشهير قصيدته التي يقول في مطلعها :

سُررتُ في العُمر مَرَّهْ وكنتِ أنتِ المَسَرَّهْ !

فتِّشْ عن الوجدِ المميتِ شبيبتي
ظُلْماً ، وكم بثَّتْ لغيْرِ نَصيرِ !
وعن الوفاءِ المُصفِرِ الدُّنيا لهُ المستحلِّ له شقاءَ مَصيري !
وأنصتْ لما يُوحِي الفؤادُ الى النُّهى
وحنينهِ الخافي عن التّعبيرِ !
أنْصِتْ ! وكنْ باللهِ أعدلَ حاكمٍ
في الخُلْفِ بين رَوِيَّتي وشُعوري !
أبغي (١) السلامَ لقوَّةٍ أحيـا بها
ونُفورُها عفواً يجُرُّ نفوري !
والعقلُ يُطفئهُ المغيبُ وعلَّني
أيقنتُ أنَّ النورَ (٢) بعضُ النّور (٣) !
فأدركْ بحلمكَ (٤) مهجةً أرشدْتَها
حُبًّا ، وعِيقتْ عن هواكَ بسُورِ (٥)
لتسير بيْن مفاخرٍ وعظائمٍ لا بيْنَ أطلالٍ وبين قبُورِ !

سراي القبة في ١٤ مارس سنة ١٩١١

المخلص

أحمد زكي أبو شادي

---

(١) أبغي : أطلب . (٢) ذكاء العقل ورجاحته .
(٣) أي مستمد من اشراق الحبيبة ، فاذا انقضى اشراقها اطفأ المغيب العقل .
(٤) بحلمك : بعفك . (٥) يعني حاجز الحنين والوفاء لمحبوبته النائية .

الزهرة الصائمة

او حسناء رمضان

صامت كصوْمِ الزَّهرَةِ الـ ... ـمحسودِ رونقها النَّضيرْ
فكأنَّ ماءَ شبابها ... أغنى عن الرَّيِّ الكثيرْ !
وكأنَّ رشفَ جمالها ... لم يُفقرْ الحُسنَ الوَفيرْ
وكأنَّ بعضَ زكاتها ... هذا الزَّكيُّ منَ العبيرْ !
أو أفطرتْ سهواً وانْ صا ... متْ بلذَّاتِ الشعورْ !

فتنة العود

وصف ارتجالي وصورة شعرية أمينة لحفلة غناء وأنس ، وفي القصيدة اشارات كثيرة الى وقائع ومناسبات ، والى ما وقع من نغمات وأدوار ومقاطيع وقد ارتجلها الشاعر بيننا بينما مجاراة للواقع ، وكان زينة المجلس سعادة الاستاذ القانوني الجليل والموسيقي المبدع خورشيد بك من مؤسسي (نادي الموسيقى الشرقي) بالقاهرة والاستاذ الأديب عبد الله افندي بكري .

أنْصِتْ (لخورشيد) الرَّشيـ
ـدِ[1] يُداعبُ العُودَ الرَّشيدْ[2] !

(١) اشارة الى مركزه الاجتماعي وخلقه الرزين .
(٢) اشارة الى قدم العود المستعمل في الحفلة .

و كأَننا في مجلسٍ للأُنْسِ في عهْدِ (الرَّشيدْ) !
نغماتُه شَرْحُ المُدَا مِ وسكرَةُ القلْبِ العميدْ !
وكأَنما (**تفسير**) تقسيمُ ألبابٍ شُهُودْ !
طوْراً (**قرارٌ**) عندَهُ إقرارُ آمالِ الوَدُودْ
وهنيهةً مِنْهُ (**الجوا** **بُ**) وكم يُجيد وكم يُجيدْ !
ويجيءُ (**بشرفٍ**) الشَّجِ يُّ ببِشْرِ أحلامٍ تَزيدْ !
واذا (**النصيحة**) أعقبَتْ جاءَتْ بآياتِ العُهُودْ !
واذا ترنَّم حُبُّهُ (**بالنيل**) ناجانا الخُلُودْ !
واذا شكى شكْوى المحـبِّ (**الصبُّ**) بُلِّلتْ الخُدُودْ!
واذا (**الحجازُ السارُ**) أنْ شِدَ أنصتَتْ مُدْنٌ وبِيدْ !
وكأَنَّ حُلْوَ (**دلالِهِ**) يُحْلي لنا مُرَّ الصُّدُودْ !
وكأَنما الأَنّاتُ وآ تفهامُهُ رُوحُ الشَّهيدْ !
(**سُقم الصحيح من الهوى**) مِنْ فيهِ يخْشاهُ الجَليدْ !
واذا (**الصَّبا**) أشْجَى فما يَعْصيهِ صَبٌّ مستزيدْ !
وكأَنما توقيعُهُ تعذيبُ منفيٍّ وَحيدْ !

واذا أشارَ (لجنة ا مشاعلِ فى نارِ) يُبيدْ
ويُعيـدُ مفتنًّا بتشْ ويق وإغْراءٍ شديدْ !
واذا أرَدْنا شُكْرَهْ نادَى بشُكْرٍ عَزْفُ عُودْ !
وأتَتْ تُغَنِّي بالثّنا ءِ كمنْجةُ (البكرى) المجيدْ
فكأنّهـا وكأنّهُ صبّانِ في وَصْلٍ أكيدْ !
وكأنما القَوْسُ المُرَنَّ حُ عارضُ الرقصِ الفريدْ !
جُمِعَا وكانَ من ازدوا جِ اللّحْنِ اعجازُ النَّشيدْ !
وتفرّقا كتفرُّقِ ا أحْلَام بالحُلْمِ الجديدْ !
فاذا (أحاديثُ القرى م) تعودُ في عقدٍ نضيدْ
نُصغي لهـا نَشْوَى كما نُصغي الى (الزِّكر) الحميدْ
وكأنّهـا حَلْوى السَّحُو رِ[1] تُذاقُ في حلوى القصيدْ!
والعُودُ صَدّاحٌ به رِدِهِ كمعتزّ فريدْ !
وعلى (الـواقى) مُنْشِدٌ كالبلبُلِ الشّاكي القيُودْ
وهوَ الطليقُ وانمـا (بصماتُهُ) نجْوَى شَهيدْ !
لُكنْ (فريدٌ للمحا سن) جاءَ يُنقذُهُ بجُودْ

---

(١) كانت الحفلة في ليلة من ليالي رمضان .

والليلُ منتصفٌ فطا بَ النومُ للهجِ الهجودْ
وكأنه الشكرانُ لا فنانِ أوْ معنى السجودْ !
لكن (رأينا في الطرب ـ ـرِ العاشقو) الباكي يجودْ!
فاذا بنا في (ضحكةٍ) ال إنعاشِ لا نخشى الحسودْ
(فرعا هلبنا) أنْ نذو قَ سقامَهُ حتى نبيدْ !
لكنَّ من (بدْعِ الحبيـ ـبِ) نهايةَ الطَّرَبِ الفريدْ
لولا (الجفاء) وقسوةُ ال تَشْويقِ للحسنِ الجليدْ
(وعلى هَواهُ) قد حييـ ـنا وهو (بالعفو) المُعيدْ
وأنا لهُ (بالبرِّ المرجى) وصلَه المُحْيي العبيدْ
فقضيتُ في تيهِ المتو ج والمُنعَّمِ يومَ عيدْ !

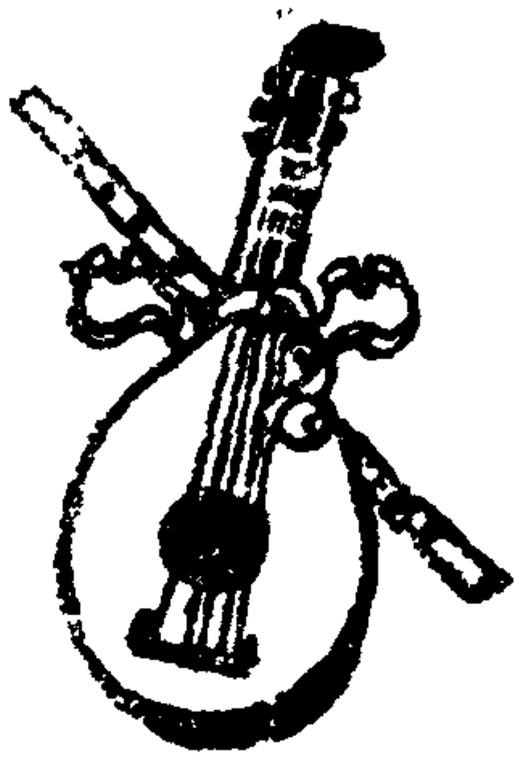

عودة العود

الى الاخ الاديب عبد الله افندى بكرى .

إنْ يرجعْ (العُودُ) بلا مهلةٍ
ما كانفي (السُّرْعة) [1] ذلكَ الرَّخيصْ
لكنه شوقُ الوَفيِّ الذي يهواكَ لا يُعْنى بانسٍ خصيصْ
فاشكرْهُ إذْ شُكري قليـلٌ لهُ
وآغنمْهُ معتزًّا بشوْقِ الحريصْ
وآسمَعْهُ صدَّاحاً بشكراننا [2]
فالشكرُ مِنْ فِيــهِ أحبُّ المنّصوصْ

(١) يشير الشاعر أيضا الى نظمه هذا الايذان من البحر « السريع » الذي يهواه صاحب العود .

(٢) يشير الى تقدير الجمع الذين حضروا حفلة الانس وهي التي وصفها قصيدته السابقة : « فتنة العود » .

قسوة رمضانه

قالها مشيراً الى تفشي الملاهي والخلاعة في ليالى رمضـان والى مظاهر التقوى المزيفة

(رَمضانُ) أنتَ لرَحمةِ العُشَّاقِ تُحيي لَيالِيَهُمْ بطيبِ عِناقِ !
قدْ عُدْتَ عَوْدَ الوصل بعْد تَشَتُّت
وعَذُبْتَ بعدَ مَرارَةِ الأَشْواقِ
راعَوْكَ صَوْماً بالنَّهارِ وَأقْسَمُوا أن يُفْطِرُوا بسُلافةِ الأَحداقِ!
وبرشْفِ ما يقضي الجمالُ لعابدٍ عندَ الزَّكاةِ وساعةَ الاشفاقِ !
ماذا جَنَيتُ وماذُنوبُ عبادَتي حتى تُبيحَ بقسْوةٍ إرْهاقي ؟ !
وتجودَ بالأرزاقِ غيرَ محاسِبٍ وتضنَّ لي بمُنى اليَسير الباقي؟
نجْوايَ و البرُّ الذِي أسْعى لهُ في شهرِكَ المبرُور حَلَّ وثاقي
لأَرى الحبيبةَ عن قريبٍ ظافراً منها ببسْمتِها وكأسِ فراقِ(١)
لا أنْ أصوم على ظماءٍ دائمٍ وعلى أنينٍ يُتْعِسُ استرْقاقي(٢)
والنَّاسُ تَفْرَحُ بالتَّسامُرِ والهوى وأنا الوحيدُ لهُ شَكاةُ مآقي!

(١) يشير الى تبادل العهود على الكؤوس قبل الفراق أو لعله يشير الى قبل التوديع . (٢) أي يجعل الاسترقاق شقاء .

الحاكمة

وَقَفْتِ وُقُوفَ « الرَّبِّ » في بُرْجِهِ الأَسْمَى
تشيرينَ للدُّنيا كما شِئْتِها رَسْمَا !
تسرْبلتِ بالطُّهر الذي عَزَّ قدْرُهُ
وإنْ لُحْتِ للأَبْصار عرْيانةً جِسْمَا !
كأنكِ تستَوْحينَ حِكْمَةَ خَالقٍ
حَبَاكِ العُلَى والحُسْنَ من حُسْنِهِ الأَسْمَى
عَبَدْناهُ في هذِي الملاحةِ قَبْلَ ما
عَبَدْناهُ في حُسْنٍ يُوزِّعهُ جَمَّا !
وَقَفْتِ على الصَّخْرِ المُنيفِ إلَهَةً
تُبيحينَ للأَضْواءِ من جِسْمِكِ اللَّثْمَا !
تَزيدينَ نُورَ الكَوْنِ نُوراً معطَّراً
وتُحيينَ أَشْهَى ما تلمَّسَ من نُعْمَى !
إليكِ انتهتْ كلُّ (الفنُونِ) كأَنما
هيَ الخَمْرُ لمَّا كُنْتِ أنتِ لها الكَرْمَا !

فمنْ جِسْمِكِ الفتَّانِ إعجازُ راسِمٍ
ولولاكِ لمْ يُبْدِعْ بفِتْنَتِهِ يَوْمَا !

ومِنْ سِحْرِكِ المَعْسُولِ آياتُ شاعرٍ
رآكِ مُنى الدُّنْيا وآيتَها العُظْمَى !

ومِنْ هذهِ الأَمواجِ للنُّورِ قد حبَا
أغانِيَهُ الفنَّانُ والنَّاظِمُ النَّظْما

ومِنْ هذِهِ الأَلْوانِ يغْشَى نعيمَنَا
منَ الحُلْمِ ما نأبى البقاءَ لهُ حُلْمَا !

ومِنْ ظِلِّكِ المَثَّالُ أَنْطَقَ صُنْعَهُ
وأَشْبَعَهُ نُوراً وأَكْسَبَهُ غُنْمَا !

ومِنْ طُفْلِكِ الصُّوفيُّ أَلَّهَ رَبَّهُ
فأَخْلصَهُ حُبًّا وقدَّرَهُ فَهْمَا !

فأَنْتِ اذنْ أَصْلُ (الفنُونِ) جميعِها
ولولاكِ ماتتْ، أَوْشكتْ بعدَكِ اليُتْمَا !

وأَنتِ اذَنْ مَلْقَى العبادَاتِ كلِّها
ولولاكِ باتَ الدِّينُ في كوْنِنا وَهْمَا !

وَقفْتِ على صَخْرِ الوُجودِ رَشيقةً
وصَوَّبْتِ نحْوَ السُّحْبِ من لحظِكِ السَّهْمَا

فبدَّلَتْ السُّحْبُ الصَّخورَ، فأصْبحَتْ
جِنَاناً تَشُوقُ العيْنَ والسَّمْعَ والشَّمَّا !
وحوْلَكِ مِنْ كُلِّ الجوانب نَضْرَةٌ
لدُنيا وأُخْرَى كنتِ أنتِ لها بَسْمَا !
وأوحيْتِ للشَّمسِ الوفاءَ فأطلَعتْ
لأجلِكِ هذا النورَ والبدْرَ والنَّجْمَا !
وَبَثَّتْ حياة منكِ في كُلِّ بهْجَةٍ
فكلُّ الذي نَهْوَى عليْكِ إذَنْ نمَّا !
وما كانتْ الصَّحْراءُ جدباءَ للوَرَى
اذا لُحْتِ، بلْ كانتْ جمالاً لهمْ فَخْمَا !
فدُومِي لنا إلهامَ كلِّ عظيمةٍ
وكوني لنا دِيناً نُقدِّسُهُ دَوْمَا !
يَذلُّ لهـا عُبَّادُها بأسْمِ شَهْوَةٍ
فتَرْفَعُهمْ لِلْحُسْنِ في رَفْضِهَا الوَهْمَا !
لديكِ الأَذَى والخيْرُ، فَلتطْرحي الأَذَى
وكُونِي إلهاً في سَنَا بِرِّهِ نُحْمَى
ومَنْ لمْ يكنْ إيمانُهُ فيكِ كامِلاً
فما هوَّنَ الكفرَانَ أنْ يُحْسَبَ الأَعْمَى!

المرآة

« أُنْظُرْ ضَحَايَا الهوى في نَارِ هٰذا الشَّفَقْ!
تَشبَّعَتْ هٰكذا بكلِّ قَلْبٍ خَفَقْ
وآنْظُرْ هُمُومَ الورى كَشُعْلَةٍ تحْتَرِقْ
تَسَرَّبَتْ مِنْهُمُو بِنْتَ الأَسَى والأَرَقْ
وسُطِّرَتْ لوعةً بِصَفْحَةِ الْغَسَقْ
وآنْظُرْ معاني الصِّبَا فيما زَهَا واتَّسَقْ
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ لهُ أنفاسُ روْضٍ عَبَقْ
لولا زَوالٌ لهُ في اللَّيلِ مِثْلُ الغرَقْ
لذاكَ يبْدُو على رَوْعٍ كثيرَ القَلَقْ
فيهِ حياةٌ كما فيهِ ممـاتٌ صَدَقْ! »

***

فلم يُجِبْ لهفتي هذا الحبيبُ الارَقْ(١)
لٰكنَّهُ قدْ رَنَا في بَسْمَةٍ تُسْتَرَقْ(٢)
الى السَّمَاءِ التي فيها الأَسَى والحَرَقْ

---

(١) الارق : الالطف .
(٢) تسترق : تملك ، كناية عن نفاستها ، وكذلك بمعنى تسرق .

فأشْرَقَتْ ثانياً مِرْآتُها في أَلَقْ !
وأخجلتْ خاطري وطال عُمْرُ الشَّفَقْ !

المنديل

مَرَّتْ سُنونٌ عليهِ وعِطْرُهُ لا يَضيعْ
كأَنما العِطْرُ فيه ذِكْرَى الغَرام الصَّريعْ
أو رُوحُ ماضي وَفاءٍ مَضَى مُضِيَّ (الرَّبيعْ)
فأنشقُ الحُبَّ مِنْهُ كشَمِّ زَهْرٍ بديعْ
وأشتكي في جُنوني وهوَ الحَزينُ السَّميعْ !
كأَنما هوَ قلْبي والعِطْرُ فيهِ النَّجيعْ !
يشكو بصَمْتٍ بليغٍ شَكْوَى المهينِ الوَديعْ
مِنْ بعدِ ما نسِيَتْه نِسْيانَ حُبِّي الرَّفيعْ
فحالُه حالُ نَفْسي وما لَهُ مِنْ شفيعْ
وما لَهُ منْ عَزَاءٍ غيْري ، فلا أستطيعْ !
وما العَزَاءُ بنفْيٍ على الشَّقاءِ المنيعْ ؟ !

مَجمع الفنون

الشِّعر

عَزَفْتُ ملءَ رنينِ القَلْبِ أشْعاري
وكانَ لي منهُ أصدائي وأوْتارِي
قيثارَةٌ صدحتْ باللَّحْنِ ضاحكةً
حيناً، وآناً بَكَتْ في وَجْدِيَ النّارِي
كم بين جَنْبَيَّ من شِعْرٍ ومِنْ نَغَمٍ
أحَبَّهُ لم يزَلْ سرِّي وإضْمَارِي !
فانْ سمِعتُمْ أناشيدِي مُرَتَّلةً فما سمِعتمْ مزاميري وأسْرارِي!
لكنْ كفتكم أغَاني مُهْجَتي نُخَباً
مِنْ كلِّ لحنٍ عجيبِ الرُّوحِ سيَّارِ
غَنيتُ باللَّفْظِ عنْ عُودٍ يؤيِّدُني
وكانَ لي كُلُّ ذِهْنٍ شِبْهَ مِزْمَار !
والشِّعْرُ يُحيي الأَغاني في النفوسِ كما
يُحْيي النَّسيمُ أغاني الجدْولِ الجاري

وكم يُصَوِّرُ جنبَ العَزْفِ مِنْ صُوَرٍ
في أبدعِ النَّقْشِ أوْ في قُوَّةِ الباري

بل كم يمثِّلُ في نحْتٍ لناظِرِهِ
بالفكرِ آيَ تماثيلٍ وآثارِ !

كأنما جُمِعَتْ فيهِ (الفنُونُ) كما
يؤلِّفُ الرَّوْضُ أطياراً بأزْهارِ

فلا تَعيبوا جمالَ الشِّعْرِ عنْ خَطَلٍ
جَمالُهُ رُوحُ أرواحٍ وأفكارِ

إنْ لم يحرِّكْ دفيناً منْ عواطفكم
فَعُذْرُهُ أنَّها في حُكمِ أحْجارِ !

وإنْ جهلتُمْ جلالا مِنْ نُبُوَّتِه
وما أَسَغْتُمْ نَشيداً ملءَ أشْعارِي

وما تَضَمَّنَ مِنْ سِحْرٍ ومِنْ عَبَقٍ
ومِنْ دَليلٍ لِسِرِّ الكوْنِ جبَّارِ

وما يمثلُ مِنْ (دُنْيا) يُصاحبُها
ومِنْ مُحَجَّب (أُخْرَى) بينَ أنوار

ومِنْ مَلاَحِنِ حُورِ الخُلْدِ في طرَبٍ
ومِنْ رَوائعِ ما يَحْبُوهُ للقارِي
فكلُّ ذَنبيَ أنّي ما ضَنَنْتُ بهِ
ولم أصُنْهُ لأَرْبابٍ وأقمارِ !
والحُسْنُ إنْ بلتَ مبْذُولاً لسائِلِهِ
ـ وإنْ سَما ـ هانَ عند الجاهلِ الزاري !
أعيشُ حرًّا بأكْوانٍ أُسامِرُهَا
وناقِدِي عاثِرٌ يلهو بأسفارِ !

بعضه الصيام حرام !!

كتب الأديب عبد الله افندي بكري في يوم من رمضان :

أسائلُ عَنْ صحّةِ السيّد لعلّكَ في رَغَدٍ جيدٍ ؟

فأجابه الشاعر :

سؤالُكَ معشوقُ زَهْرٍ ندي ترفُّ به في حنانٍ يدي !
تناولْتُه ثمَّ قبّلْتُهُ فأفطرَني دونَ أنْ يعتدِي !

فانّ لهُ نَكْهَةً عَذْبَةً تُذاقُ لدى الشمِّ عند الصدِي !
كأَن المشاعرَ مِنْ شوقها تُمَثَّلُ في حِسِّها المُفْرَدِ !
فقال الرَّفيقُ وقدْ شامني طَرُوباً كصَبٍّ على موعدِ :
« لكَ اللهُ ! أفطَرت من قُبلةٍ وأسكرت ! يالكَ من مُسْعَدِ !
فلا تجزعنَّ ! فبعْضُ الصيامِ حرامٌ اذا القلْبُ لم يَحْمَدِ » !

فمنْ كانَ في نِعمةٍ هكذا بعطْفِكَ يُحْسبُ في سُؤدَدِ !
ويُغْفرُ ذنبٌ لهُ ، فالهوى يكفِّرُ عن خطأ المهتدِي !

كليمنصو في منفاه

يوجد في شمال فرنسا على شاطيء البحر كوخ صغير قديم أناخ عليه الدهر بكلكله وفي داخله شيخ ينوء تحت اعباء السنين التي أثقلت كاهله ، يتسمع الى صدى الامواج المتكسرة على أقدام الصخور ، ويتمعن بسكون في زبد المياه التي تزوره أغلب الاحيان في وسط منزله : ذلك هو كليمنصو أحد أقطاب السياسة في الحرب العالمية الكبرى ! ...

« كليمنصو » ... كلمة كانت اذا قيلت قبل سنين دلت على القدرة والحنكة والسياسة . . . دلت على أحد مسيري الكون القابضين على أزمة أموره . أما الآن فشيخ هرم بعيد عن العمران يقطن كوخا على شاطيء خضم مضطرب ، منعزلا عن العالم وضوضائه فكأن كليمنصو أراد — بعزلته الموحشة وعيشته البسيطة بعد عجزه وكبره ، وتمضية البقية الباقية من حياته بهدوء — التكفير عن خطيئاته ، وما أكثر خطايا السياسيين ! ... فسبحان مغير الاحوال !

— من « كوكب الشرق » .

***

(كليمنصُ) هذي غايةُ العَبْثِ بالعُلَى !

فمــا كُلُّ قَدْرٍ بالبقاءِ جديرُ !

وانَّ «جلالَ» الظُّلمِ وهْمٌ مبدَّدٌ وليسَ لهُ غيرَ الزوالِ مَصيرُ

وانَّ هناءَ النفسِ غيرُ أدِّ كارهِ
وفي الذّ كْرِ ما يَبكي عليهِ ضميرُ !
نزحتَ لكوخٍ قِيلَ أنتَ فخارُهُ !
وكم مِنْ حقيرٍ عُدَّ وهوَ كبيرُ !
تمتَّعْ ـ ولٰكنْ شاقياً غيرَ هادىءٍ ـ
بُطْلَقِ عيْشٍ يَشْتَهيهِ أميرُ !
وقدِّرْ نعيمَ المرْءِ وهو محرَّرٌ
من الأسْرِ ، فالعصْرُ الجديدُ أسيرُ !
وكم كنتَ عوناً للقيُودِ مكبِّلاً
شُعوباً على نار الشَّقاءِ تسيرُ !
فهلاَّ رأيتَ اليوْم كيفَ ترَكْتَها
وفيها عليلٌ مُرْهَقٌ وأجيرُ ؟ !
وهلاَّ اعترَفْتَ (١) اليوْمَ أنك نادِمٌ
فحالُكَ عُقْبَى ما ادَّعاهُ غُرورُ ؟ !
فلا أنتَ مَنْ أنمَى الحضارةَ جهْدُهُ
ولا أنتَ مَنْ أبْقَى علاهُ ظهُورُ

(١) عرفت

ولا أنتَ من أحيْا الزَّمان لجوْرهِ
خُلوداً ... وهلْ تُحيي الخُلودَ شُرُورُ ؟!
تعيشُ وحيداً في الصّفاء معذّباً !
وتمضي وما يبكي عليكَ شُعورُ !
كأنَّ مياهَ البحْرِ حولكَ أدْمُعٌ
ضحايا ، ومِن شمسِ النهارِ سعيرُ !
كأنَّ نجومَ الليل شتّى قنابلٍ تحدِّثُ عن ماضيكَ ثمَّ تغورُ !
كأنَّ اندِفَاعَ الموْجِ نحوكَ ساخِطاً
شعورٌ من الكونِ الجريحِ يفورُ !
وهيهاتَ للتفكيرِ محْوُ جريمةٍ
تنوءُ بها الدُّنيا . . . فتوْبُكِ زورُ !
اذا هَدمَ الإنسانُ آمالَ جِنْسه[1]
فليْسَ لهُ في العالمينَ شَكورُ !
وهيهاتَ يُفنِي التوبُ آثامَ قسوَةٍ
تُردِّدُها طُولَ الابُودِ[2] عُصورُ !

(١) يعني الجنس البشري . (٢) الابود : جمع الابد وهو الدهر .

الكبرياء القومية

ليستْ بغطرَسةِ الغُرُورِ وانَّما ... هي عِزَّةُ المعتزِّ بالآثارِ !
الشَّاعرُ الرَّاوي جلالةَ أمسِهِ ... والعاملُ السَّاعي لعيْش فخارِ
والباذِلُ الجُهْدَ العظيمَ لنهضةٍ ... قد تستهينُ بغضبةِ الأَقدارِ
يُنمي «واهبَهُ» وتصعدُ حولَها ... أحلامُهُ كمنارَةٍ للسَّاري
ويخطُّ خطَّتَهُ الجريئةَ للعُلَى ... ويخصُّها بالحبِّ والاكبارِ
وكأنما هيَ رُوحُهُ وغذاؤُهُ ... ومَلاذُهُ في الخطْبِ والاعسارِ
هيهاتَ تحيا أمةٌ لمْ تعتَمِدْ ... في حقِّها المتغلِّبَ القهَّارِ !
إنَّ الحياةَ مشاعرٌ وعواطِفٌ ... وعقائدٌ وتشبثٌ بِشِعَارِ !
والموتُ في هذا الوُجودِ تضاؤلٌ ... ونُخبُّطٌ بمذلَّةٍ وعِثارِ
والشَّعبُ إن فقدَ اعتِدادَ شعورِهِ ... بصفاتِهِ فصيرُهُ لِدَمارِ !

ذكرى دنشواى

ـ من قصيدة قديمة مفقودة ـ

ضجّتْ لنكبةِ أهلكِ الأَقطارُ وغدوْتِ قبراً للبكاءِ يُزارُ
جُنَّ الطغاةُ فأرْهقوكِ وأقسَموا
أن تستحِلَّ خطُوبَكِ الأَوْغارُ (١)
فاذا المشانقُ والسِّياطُ تَسابقتْ واذا البنادِقُ والقنا الخطّارُ
عاثوا فقامَ بكلِّ بيْتٍ مأتمٌ وتيتّمَتْ بيدِ الجُناةِ صِغَارُ
ياسوءَ ما يجني الذينَ تشدّقوا باسمِ الحضارَةِ ضلّةً وأغارُوا
صادُوا النفوسَ كأنّهُنَّ حمائمٌ واسترْسلوا في الموبقاتِ وجاروا !

لاتذْكرُوا ظُلُماتِ أدهارٍ مضَتْ جُزْتُمْ مدى ما أفزَعتْ أدْهار !
(نيرون) لم «يُسْعَد» بأقبحَ عصبة
منكم ، ولا أمثالهُ الفُجّارُ !
وفظائعُ الجبرُوتِ قدْ شَهِدَتْ كما
شهِدَ (المغولُ) بعسفكم و (تتارُ)!

(١) الأوْغار : الاضغان .

صَبْراً وحَزْماً (ونشوانُ) فانما يتغلّبُ المستبسلُ الصَّبّارُ!

شُرِّفْتِ بالقَدَرِ الخطير ضحيّةً لحياةِ (مصر) فما أتاكِ العارُ!

وتلطّختْ بدمٍ زكيٍّ دَوْلةٌ زعموا بُناةَ جلالها الأحرارُ[1]!

إنَّ الشَّهيدَ مضرَّجٌ بدمائِه فوقَ الأَثيمِ بدا عليهِ الغارُ!

والشعبُ لن يَرْقَى الى آمالِهِ إنْ رَوَّعتْهُ بطعنها الأَقدارُ

ومن المصائب قُوَّةٌ وجلادَةٌ ومن المصائبِ للأُباةِ فخارُ!

ومع التمسكِ في الكوارث رحمةٌ كالصُّلْبِ رُدَّتْ عن حِماهُ النّارُ!

غَمُّ الحوادثِ لن تدومَ وانما يبقى الحِجَا والعزمُ والأَوطارُ

في ذمّةِ اللهِ الكريمِ جراحنا في ذِمّة الشُّهداءِ ما نختارُ

جاءتْ مقدَّمةَ الكتابِ وقبلَه سِيَرٌ ، وقد تتعاقبُ الأَسفارُ!

حتى يُخطَّ جهادُ (مصرٍ) من دَمٍ

مِنْ قَبْلِ أنْ تتبلّجَ الأَنوارُ!

لنْ يَقتلَ الوطنَ الجريحَ إباؤُهُ بل يقتلُ الوطنَ السَّليمَ صَغارُ!

---

(١) كانت وزارة الاحرار الانجليز قابضة على زمام الحكومة البريطانية في ذلك الوقت ، ومن تقاليد الانجليز المعروفة المباهاة بنصرة الحرية .

والغاصبُ الغلاَّبُ في آستِعلائِهِ هَاوٍ متى عصفتْ به الإِعْصَارُ!

دارَ الشَّهَامةِ ـ والشَّهامَةُ عِزَّةٌ للعارفينَ ـ بكتْ عليكِ دِيَارُ!

ولأنتِ في عيْنِي أجلُّ من البُكا
فلمثلِ أهلكِ يعْرَفُ الإِكبارُ
بالأمْسِ حَفَّ بكِ الجُنودُ كأنَّهُم
لِمَشَاهدِ الشَّرَفِ الأبيِّ إطارُ!
واليومْ يحرسُكِ النّخيلُ كأنه سُورٌ، ومن أشجاننا أسوارُ!
يُزْجَى اليكِ حَنانُنا ووفاؤُنا واليكِ تقديرُ الرّجال يُسارُ
ويُمضُّنا منكِ النّواحُ، فخفِّفي! إنَّ الزَّمانَ مُكافيءٌ دَوَّارُ!
إنَّ العناية أظهرتْكِ لنَهْضَةٍ فاذا شعورُكِ للنهوضِ شِعَارُ!
قد صِيغَ من شَمَمٍ ومن حُرِّيّةٍ وشدائدٌ شَهِدَتْ لهُ وغمارُ!
فاذا بخَطْبِكِ خَطْبُ (مصر) بأسْرِها
وإذاهُ نَصْرٌ صانهُ الأَنْصارُ!
وأرى الأُلى عاثوا يودُّ زعيمُهمْ لو بُودِلَ المَقْهُورُ والقهّارُ!
وأرى ظلامكِ كالنّهارِ بما وَعَى مِنْ سِيرَةٍ هيَ للحُمَاةِ مَنارُ
ومعَ اليقينِ رَباحُ كُلِّ كرامةٍ ومعَ التّشكّكِ والبُكاءِ خَسارُ
وذخيرةُ الاممِ المَبادِيءُ بيدَ أُممٌ تُساءُ ببأسها وتُضارُ!

بلاد النيل

من قصيدة وطنية طويلة مفقودة ا تجل الشاعر مقدمتها على ظهر الباخرة « بلاد العرب ـ Arabia » ، فى ديسمبر سنة ١٩١٣ وقد لاحت أرض (مصر) العزيزة ، ثم أتمها فى أوائل الحرب العالمية . وحدثنى الشاعر أنها كانت مثار تحقيق على يد (فيليبدس) بمصر و رؤساء (اسكتلند يارد) بلو ندرة وكانت خاتمتها أن نالها الضياع نهائياً بجمرك الاسكندرية سنة ١٩٢٢ م مع مجموعة شعره الكثير المنظوم أثناء غيبته الطويلة بانجلترا !

بلادَ (**النيل**) يا أُمَّ البلادِ ! ويا وَطناً يقدّسهُ فؤادي !
أتيتُ اليكِ يدفعُني غرامي ويُغْنيني الهوى انْقلَّ زادِي!
ويُنعشني النّسيمُ ـ نسيمُ (**مصر**) ـ
تعبّقهُ تحيـــاتُ الودادِ
أبَرُّ بنيكِ مَنْ شبُّوا وشابوا على ذِكراكِ منْ عهدِ المهاد
غلا الُحبُّ الصّحيحُ فرُمتُ بخْلاً ولم أرَ فيكِ مبدَأ الاقتصاد!
وما شِعْرٌ أصوغُ عليكِ جزْلاً سوى إلهامِ هاتيك البَوادي
وما هوَ غيرَ وجدانٍ تجلّى لمحرومٍ تعذّبَ في بعادِ

أطلِّي وانظريه ترَيْهِ يَجْرِي اليكِ حنينهُ قبلَ الجمادِ (١) !
ولو تركوهُ منسياً بنوْمٍ لأيقظه شُروقُكِ من رُقادِ !
ولو كانَ العليلَ بلا شفاءٍ لأرجعه هواؤكِ للجهادِ !
وقدْ ظنُّوه يحلمُ في غرَامٍ .. وكيفَ الحُلْمُ والمحبُوبُ بادِي ؟!
تزيَّنَ ثوبهُ الوردِيُّ سِحْراً من الشَّفَقِ الجميلِ المستجادِ
فيا للهِ مَرأَى مستحيلٌ
شُروقٌ في غروبٍ (٢) في مَعَادِ !

تولَّى العامُ بعدَ العامِ يجري وشوقي في ازديادٍ وازديادِ !
كأنَّ الحربَ أشعلها عَذولٌ ليقتلني بنيرانٍ شدادِ !
فيا أسفي على هجران أهلي كأنَّ الدَّهْرَ أغْرَى باضطهادي!
وكنتُ أنا الأحقَّ اليومَ برّاً
بساحة مجد (مصر) المستعادِ !

أجودُ لها سَخِيًّا دونَ مَنٍّ بروحي ، فالضحيَّةُ من مُرادي!
ولو خُبِّرْتُ عنْ غيبٍ أليمٍ كهذا ما تركتُ ثرى بلادِي

(١) بعني السفينة (٢) أقبلت السفينة على المياه المصرية قبل الغروب .

فُروضُ العِلْمِ مهما ناشدَتْني
تهونُ متى دعا الوَطَنُ المنادي (١)
ولو أنِّي أرى الموتَ حيارى
من الموتِ المسلَّط في العبادِ !
كأنَّ ديارَنا ليستْ جِناناً
لأهليها ولٰكنْ للأعادي!

فيا أبناءَ (فرعونه) و (عمرو)

هلمّوا للنهوضِ والاتحادِ !
هلمّوا وارفعوا الاصفارَ عنكم
والاَّ فالبَسوا ثوْبَ الحدادِ !
نُفرّقُ أيدياً أوْلى بجمْعٍ
وكانَ الخَيْرُ في جمع الأيادِي
شَغَفْنَا بالمظاهرِ عنْ خُمول
فباتَ جميعُنا سهلَ القيادِ
وآفةُ شعبنا خُلقٌ يؤدّي
الى بطْشِ الطغاةِ ولفَسادِ
وما دامَتْ أثمتنا سكارَى
فأيُّ رجاحةٍ يرجو المُنادِي ؟!
وما كان النيامُ ولا الحيارَى
بأهلِ السَّبْقِ في عهدِ السهادِ
وما كانَ الذليلُ بربّ حقٍّ
ولا نيلُ الحقوقِ بلا عتادِ
ولا أبقى الضعيفَ حليفَ رَقٍّ
سوى داءِ الخمولِ والاَعتمادِ !

(١) المستغيث.

وما كانَ الخصيمُ على خداعٍ سوى نار تُخبَّأُ في رماد !
ولا كان التيقُّظُ دونَ داعٍ يموتُ النبْتُ من ضعفِ السَّمادِ!
فغذّوا همّةَ الأَجدادِ فيكم وكونوا للكفاحِ وللجلادِ
وخلّوا ما يغالبكم مَثاراً لنخوتكم وعيشوا عيشَ فادِي
اذا الضَّرباتُ من جانٍ توالت فردّوها على الشُّمر الصّعادِ!
وعُدّوها سلاحاً في الأَيادي فانَّ العسفَ أقرَبُ للعتادِ
يوحِّد أمةً ويردّ شعباً الى عَلَمِ الشَّهامةِ والسّدادِ.
أروني أمةً عاشتْ وسادَتْ على غيرِ العظيمِ من المبادي!
أروني دولةً نامتْ فبادَتْ وقدغنمتْ سوى الذكرِ المُبادِ!
أو آنتبهتْ وهمّتْ فاستقلّتْ بلا علمٍ ولا عَملٍ مُجادِ
اذا حرِّيّةُ الناسِ اضمحلّتْ فقدْ ولّى لهمْ أقوى عِمادِ!
ولم أرَ أمّةً ولّتْ سواها مرافقَها فكانتْ للسَّدادِ
ذروني أُعلنْ الهيجاءَ عنكم فاني في مجالِ البرّ بادي!
ولو أني الصغير أخافُ أنّي أعيبُ بجرأتي أهلَ البلادِ!
ويا أسفي فنيهمْ كلُّ ضخم من القوادِ مشْهور النِّجادِ!
ومَن ذا قبلَهمْ أوْلى بدفع عن الأَوطان إن نادتْ بفادِ؟!
وانَّ الحربَ أوّلها آعتمادٌ على الأخلاق ثابتةِ العمادِ

وعُدَّتُها يقينٌ ثمَّ سيفٌ فليْسَ السيفُ نوعاً من جمادِ !
ولـكنْ قوَّةٌ من عِزِّ نفسٍ ورأيٌ ثارَ ثائرَةَ الجهادِ!
فلا تَهِنُوا وكونوا سِرَّ نُورٍ (لمصر) تراهُ في داجي السَّوادِ
تناشدُ خلفكُمْ أسمى حقوقٍ لوادٍ لم ينلْ ذِكْرَاهُ وادِي!
وبثُّوا ما استطعتُمْ بثَّ حقٍّ مبادِيءَ الاتحادِ والاعتِداد
وخلوا الكبرياءَ لكم بصِدْقٍ اباءَ الضَّيم ،لا للارْتدادِ!
وخلوا الدينَ توحيداً (بمصر) فحبُّ اللهِ منْ حُبِّ البلادِ!
ولا تتعجلوا الأحداثَ لكنْ حذارِ منَ التقهقرِ والعنادِ
فما غيرُ الثَّبات ضمينُ نصرٍ ولا غيرُ العقيدَة من عتادِ
ولا غيرُ القناعةِ موتُ خسرٍ أمام تقاتل الامم الشِّدادِ
ولكنَّ الحيـاةَ على وُثوقٍ من الحقِّ المنزَّهِ عن نفاد
وسعيٌ منقذٌ مهما توالتْ خطوبٌ في ضرامٍ واتِّقادِ!

فيا قلبي اتقدْ عزماً وحزماً فأنتَ المستقلُّ أو المُفادِي!
تخرُّ الرَّاسياتُ ولا سبيلٌ الى هدمِ الكريمِ من اعتقادِي!
وكيفَ أهابُ إنَّا مُت حيَا ؟!
وكيفَ أعيشُ إنْ ماتتْ بلادي ؟!

الحقيقة

La Vérité

للنقاش ا . فوجيرون

A. Faugeron

تجلّيْتِ في أبْهى نصوعِكِ لِلْوَرَى ... وما كنتِ الاَّ خيرَ ما هو فيهِمْ
ولمْ تُغفِلي المِشْكاةَ في يَدكِ التي ... تَحَدَّتْ بنُورٍ جَهْلَهُمْ وغُرُورَهُمْ

فحارُوا وَوَلْوْا هائبينَ وربَّمـا
على خَجَلٍ وَلَّوْا أمامَ بَنِيهِمْ
وما خجلوا الاَّ لأَنَّ حياتَهمْ
ضَلَالٌ وغِشٌّ يَستَبيحُ شُرورَهُمْ !

●▭●

وام تَلْقِ في هذِي (الطبيعةِ) كلّها
مُحِبًّا سوى هذي (الطبيعةِ) وَحْدَهَا
فحولكِ في بِشْرٍ تحيّكِ دائماً
فانَّكِ قد مثّلْتِ صِدْقَ مُناهَا
وقد خانكِ (الإِنْسانُ) انَّ وَليدُهُ
فعوَّضَ للامِّ (الطبيعةِ) فَقْدَهَا
ونادَاكِ مَسْرُوراً، وحيَّاكِ بَيْنَمَا
ذَووهُ على جُبْنٍ رَأَوْكِ أذاهَا !

صرار الليل

الجُدْجُد

The Cricket

كُنتُ أتلو بلذّةٍ وائتناسٍ قصّةً مِنْ طريفِ (دِيكِنْزَ) [1] وَصْفا !
قصّة (الجُدْجُدِ) الذي لم يفُتْني بَعْدَها ساكناً بدفْأ بَيْتي !
فاذا أقبلَ الظَّلامُ تَغَنّى بل تمادَى مُزَقْزِقاً لا يَكِلُّ
وأنا كلّما غضبتُ عليهِ أوحتْ القصةُ العِتابَ الشّديدَا !
ليتني ما شكرتُ مُنْشِئَها المبدِعَ مادُمْتُ قد جُزِيتُ عقابا !
أنا باللهِ أستغيثُ من (الجُدْجُدِ) مثْلَ استغاثةِ المنكوبِ !
قد سئِمتُ الرَّبيعَ والطَّيْرَ والعَزْفَ وكلَّ الغناءِ مِنْ أجل صَوْتِهْ !
يُلْشفيّ بالطّبْعِ في نزْوةِ الثّائرِ لا يعرفُ السكينةَ ليلا !
وهوَ مِثْلُ الجبان في حِصْنِهِ الخافي على ناظِري المُنقّب عَنْهُ
وهوَ زَيْنُ الشجْعانِ في ظلمةِ اللّيلِ بصوتٍ يرنُّ حولي رَنينا

(١) هي قصة (الجدجد على المدفأ ـ The Cricket on the Hearth) من تأليف القصصي الانجليزي الطائر الصيت (تشارلس ديكنز ـ Charles Dickens).

وأنا وَحْدِيَ الجَبانُ على سُخْطِي اذا الليلُ قد دعاني لنومِ
أكبرُ الخَوْفِ أنْ يُشَرِّفَ لَهْواً غُرْفةَ النومِ مُسرفاً في نَشيدِهْ !
فهوَ شِبْهُ السِّكِّيرِ ! هيهاتَ أنْ تدريَ إنْ ثارَ مُنْتهَى لأذاهُ !
ويُغَنِّي بمِبردٍ ، فتأمَّلْ في عجيبٍ لِحِذْقِهِ المَكْرُوهِ !
ويَرَى الحُسْنَ أنْ يُغازِلَ جَهْراً هكذا في نِداءِ أُنْثاهُ لَيْلاَ !
أنا واللهِ لا أَضَنُّ عليهِ بِهُورٍ لو أنّه يُعْفِيني !

قال لي صاحبي : « بحسبك حَظّاً أن تكون البعيدَ عن (ايطالْيَا)
حيث قد عَزَّ في (صِقِلِّيَةَ) الجُدْجُدُ ، إذْ صَارَ صَوْتُهُ غلاّبَا !
فوقَ ميلٍ في اللَّيلِ يُسمِعُ أُنْثاهُ اذا زَقْزَقَ اللَّعِينُ ونادَى !
فتأمَّلْ ! وقُلْ لربِّكَ : شُكراً ! ، ولْتُصَاحِبْ صديقكَ الغِرِّيدَا
فهو فَأْلٌ لليُسْرِ في مُقْبِلِ العُمْرِ ، فلاَ ترفضْ اليَسَارَ وفألَهْ ! »
قلتُ : « ياصاحبي ! رويدَكَ إنّي قد وجدتُ اللعينَ ، وهو حبيسُ !
فهنيئاً بهِ لبيْتِكَ مني حيثُ أوصيْتُ خادِمي بالهديَّهْ ! . . .
فأنا أعلمُ ائْتِناسَك حقّاً بدراساتِ هـذِهِ الحشرَات ! »

فمضَى صاحبي يُهَرْوِلُ خوْفاً ليردَّ الهديةَ الملعونَهْ !
وكذا الناسُ في عَزاءٍ ووعظٍ يمدحونَ الذي يخافونَ منهُ !

الغضب

إنْ أنْسَ لا أنْسَ ذاكَ الشَّيْخَ في غَضَبٍ
وقد بدَا شِبْهَ مجنونٍ بثوْرَتِهِ
فلاحَ كالميْتِ لَوْناً ثمَّ جالَ الى
لونِ الدّماءِ كمشْبوبٍ بغَضْبَتِهِ !
وكُلُّ أجزاءِ ذاكَ الوجهِ خافقةٌ
كأنّها صاخبٌ للموْجِ يلْتطِمُ
وملءَ عينيْهِ نارُ السّخطِ تلمحُهَا
وحاجباهُ دُخانُ النّارِ تضطَرِمُ !
بلَحْظَةٍ مَرَّ هذَا ، ثمَّ ثَارَ فما رَأَيْتُ أقبحَ منهُ عند ما وَثَبا
كأنّه « الوُصْلَةُ المفقودَةُ »[1] اكتشِفَتْ
فراعَ خَصْماً له قدْ فاته هَرَبَا !
شَعْرٌ وزأرٌ ونارٌ كلُّها اخْتلطتْ
وهَجْمَةٌ حيَّرَتْني حَيْرَةً كُبْرَى!

(١) حلقة الاتصال في مذهب النشوء والارتقاء ما بين الانسان والقرد الاعلى .

فقُلتُ سبحانَ رَبِّي كيفَ يُرْجِعُنا
بالسُّخْطِ كالحيوان الساكن القَفْرَا !
وعادَ يَبْسِمُ ذاكَ الشَّيْخُ في خَجَلٍ
فسرَّني بتجاعيدٍ تزينه
وصارَ مِثْلَ سماءٍ لا غُيومَ بها
الاَّ خُطُوطُ سحابٍ ليْسَ يُحْزِنُه !

اليوم الجديد

رأس السنة المصرية

النوروز أو أول توت (١)

لم يَنْسَكَ النَّاسُ بالذِّكرى وإنْ نَامُوا
فانَّ ذِكْرَكَ للأَجْدَادِ إكْرامُ

---

(١) ذكر الشراح أن (توت) بالقبطية « سمي من اله المعارف ـ رب القلم مخترع الكتابة ومقسم الزمن ـ المعروف عند اليونان بهرمس ، ولدى العرب بادريس ، وعند الاسرائيليين بأخنوخ . وكان الاحتفال به يبقى أسبوعاً ، وسمي اليوم الاول منه بالنيروز أو النوروز ، والكلمة فارسية معربة ومعناها « اليوم الجديد » وهو عندنا رأس السنة المصرية . وكان يحتفل به رسميا حتى أيام السلطان برقوق في منتهى القرن الرابع عشر المسيحي ، ولكن نصارى مصر ومسلميها ما يزالون يحتفلون به احتفالا شعبيا .

يا مُسْتَهَلاًّ لعـام لا أُشبِّهُهُ
بغَيْرِه ، فهوَ مِصريٌّ وبَسَّامُ
طلعْتَ في فيضانِ (النّيل) مبتَهجاً
كانمـا أنتَ خيراتٌ وإنعامُ
ووَجْهُ (تُوت) المُلَقَّبِ مِنْ مآثِرِهِ
رَبُّ الحِجى : مَنْ لهُ الأَقلامُ خُدَّامُ
المُبْدِعُ العِلْمَ والتحبيرَ مُقْتَدِراً
فكيفَ تنساهُ ألبابٌ وأفهامُ ؟
كانَ الجُدُودُ ـ احتِفاءً عندَ طَلْعَتِهِ ـ
يعيِّدونَ بحيثُ العيدُ أيّامُ
فكيفَ نُغْفِلُ هـذا العيدَ في عَمَهٍ
ونحنُ بعدَ جلالِ الأَمْسِ أيتامُ ؟ !
عيدُ (الخَريفِ) وعيدٌ (للرَّبيعِ) بهِ
تلاقيَا ، فهوَ أحلامٌ وأنْغامُ
تَهْفو (الطَّبيعةُ) فيـهِ للسكونِ بلا
غَبْنٍ ، وتصدق للزُّرّاعِ أحكامُ

يومُ الوفاءِ بخِصْبٍ وابتِداءِ مُنًى
جديدَةٍ وعليْها (النيلُ) قَوَّامُ !
فكيفَ تُصْغِرُ ذِكْرَاهُ وقد كثُرَتْ
أعيادُنا ، وهيَ أوهامٌ وأوهامُ ؟!
وليسَ أوْلى بتَعييدٍ وتَكْرِمَةٍ
مِنْ ذِكرَياتٍ لها مَجْدٌ وإلهامُ

النجوم

مترجمة بنظم مرسل حر عن الانجليزية للشاعرف . و . هارفى

(١) — الترجمة

لاشيءَ أكثرُ ودًّا مُعمِّراً ، في الأَرض
يَدْري بهِ الإِنسانُ ، مِنْ هذِه السَّاطِعاتِ :
تلكَ التي بارَكَتْهَا تحيّةٌ للرُّعاةِ
على الحُقُولِ ، وأيضاً على البُحُورِ أتَتْها

تحيّة الملّاحِ [1]

***

لـكنْ ملايينُ دَهْرٍ مِن السّنينِ العجيبَهْ
مَضَتْ ، وتلكَ بوجْهٍ مُغَبَّرٍ [2] للسماءِ
تَشْدُو بشَدْوٍ اعتزالٍ برقْصِهَا في الفضاءِ !

(٢) — الأصل

STARS

Nothing more friendly . old.
Man knows on earth than these
Bright shapes that shepherds and sailors
have blessed
In fields . on seas.

Yet millions of strange years
They , set in Heaven's dark face,
Have sung of loneliness , dancing
To empty space.

F. W. Harvey.

---

(١) جمع ملاح (بفتح الميم) وهو النوتي .
(٢) مغبر : أقتم .

الكوكايين

رحمته ونقمته

يا راحماً يخدعُ اشفاقُهُ ويُبري السقمَ ويُعطي السقَامْ
لولاكَ كم ذاقَ العليلُ الضنى لولاك كم ذاقَ السليمُ السلامْ
يا مُحْسِناً يُحْسنُ في بُخْلِهِ بالجودِ كم تُشقي، وتُذكي الضرامْ
كم تُذبلُ الحسنَ بلا رحمةٍ كم تُرهقُ الفكرَ الذي لا يُضامْ
يا لابساً نورَ الرجاءِ الذي في طيّه أقسى صفاتِ الظلامْ
يا باسماً يفتنُ في زَهْوِهِ وقلبُهُ ليسَ عليه ابتسامْ

هل أنت تخشانا . . . ؟ افحدِّثْ لنا

ما شئتَ من شتّى صنوفِ الملامْ

في سيرةِ اللاهي الذي غرَّهُ تغريرُ أوهامِ اللصوصِ اللئامْ
في سيرةِ العاشق لم يمتثِلْ للطُّهرِ في الحبِّ ورُوحِ الغرامْ
في سيرةِ الشاعر لم يعتبرْ للشعرِ إلهاماً رفيعَ المقامْ
في سيرةِ العاملِ لم يحتفِظْ بالرِّزْقِ، أفناهُ ارتيادُ الحرامْ
في سيرةِ المرأةِ قد ضيّعتْ ما عزَّ، فالعفّةُ أسمى وسامْ
في سيرةِ الشمسِ التي أطفئتْ في سيرةِ البدرِ عداهُ التمامْ

في سيرَةِ الفضل الذي قد غدا
مستقبَحاً ، مستأهِلاً كلَّ ذامْ (١)

في سيرَةِ التَّقوى التي زُيِّفتْ ... لا العقلُ يرضاها ولا الاحتِشامْ
في سيرةِ الفِطْنةِ أوْدَى بها ... أنْ لا ترى الفطنةُ فرضَ النِّظامْ
سيرةُ مَنْ جُنُّوا جُنوناً بما ... لا يقبلُ العلمُ ولا الاعتِصامْ
في كُلِّ ما حرَّمَ حُسْنٌ لهمْ ... وكلِّ ما حُلِّلَ قُبْحٌ يُشَامْ
وكلِّ ما خُبِّيَ كَنْزٌ وَفَى ... والموتُ قد خُبِّيَ تحتَ اللِّثامْ
لا يَعْدَمُ الرَّحمةَ في جُرْمِهِ ... مثلُكَ إنْ يوماً أفاقَ الأنامْ
تلعنُكَ الأجيالُ في جهلِهمْ ... والمدحُ منْ حقِّكَ لا الانتِقامْ
حَدِّثْ ولا تسأمْ ، وأرْشِدْ فما ... يكفيكَ في وعظِكَ عامٌ وعامْ

●●●●

المرء في القُوَّةِ مِنْ عقلِهِ
إنْ خاصمَ الحكمةَ لاقَى الرَّغامْ (٢)

والشَّهوةُ الموتُ لعُشَّاقِها ... لكنَّه موتُ الخطوبِ الجسامْ!

(١) الذام : الذم . (٢) الرغام : التراب .

النقد السليم

والتجديد فى الأدب

إنْ تَطْلُبْ النَّقْدَ السّلِيمَ فلا تكنْ
متحاملا أو جاهلاً وعَجُولاَ !
إبْدَأْ بنفسِكَ مُرْشِداً ومهذِّباً
وتلقَّ منْ دَرْسِ البيانِ أُصُولاَ
واُعلمْ بأنَّ الفَنَّ غيرُ روايةٍ للَّفْظِ كم نَشَرَتْ عليكَ فُصُولاَ !
تتعاقبُ الأَجيالُ وهيَ بعينِها وتدُومُ مُلقاةً عليْكَ فُضُولاَ !
وتنوُّعُ الأَصْباغَ وهيَ مريضةٌ فيخالُ مظهَرَها الغبيُّ جميلاَ !
أيقِظْ شعورَكَ !... لا تَعِشْ في غفلةٍ
واَنشدْ بديعاً للجمالِ جليــلاَ !
واَعْطِ المجدِّدَ حقَّهُ ، فجهودُهُ
فتحت الى الملكِ الجديدِ سبيلا !
لولاهُ عاشَ الجيــلُ عيشاً مائتاً
متقهْقراً ، متصدِّعاً ، مَغْلُولاَ [1] !

---

(١) مغلولا : مهزوما .

خَلَّ الأَديبَ الفَذَّ يَنْشُرُ وحْيَهُ
حُرًّا ، ولا تكُ في السباتِ عَذُولاَ
ما المُومياءُ وانْ تحدَّثنا بها أَجْدَى من الحَيِّ المعِزِّ الجيلاَ !
وتَعيبُ ـ لا تَدْرِي ـ خيالاً شارِداً
ولطالما كانَ الخيالُ دَليلاَ !
هو قُوَّةُ التصويرِ ، بلْ ونُبوَّةٌ
هيْهاتَ تلتمسُ السكونَ بديلاَ
تسري الى الدُّنيا البعيدَةِ كُلِّها
وتبُثُّ مِن شَتّى الحياةِ نبيلاَ !
فاذا وَقَفْتَ هنيْهَةً لتأمُّلٍ
فلكم وقفْتَ لتفهمَ (التَّنْزيلاَ) !

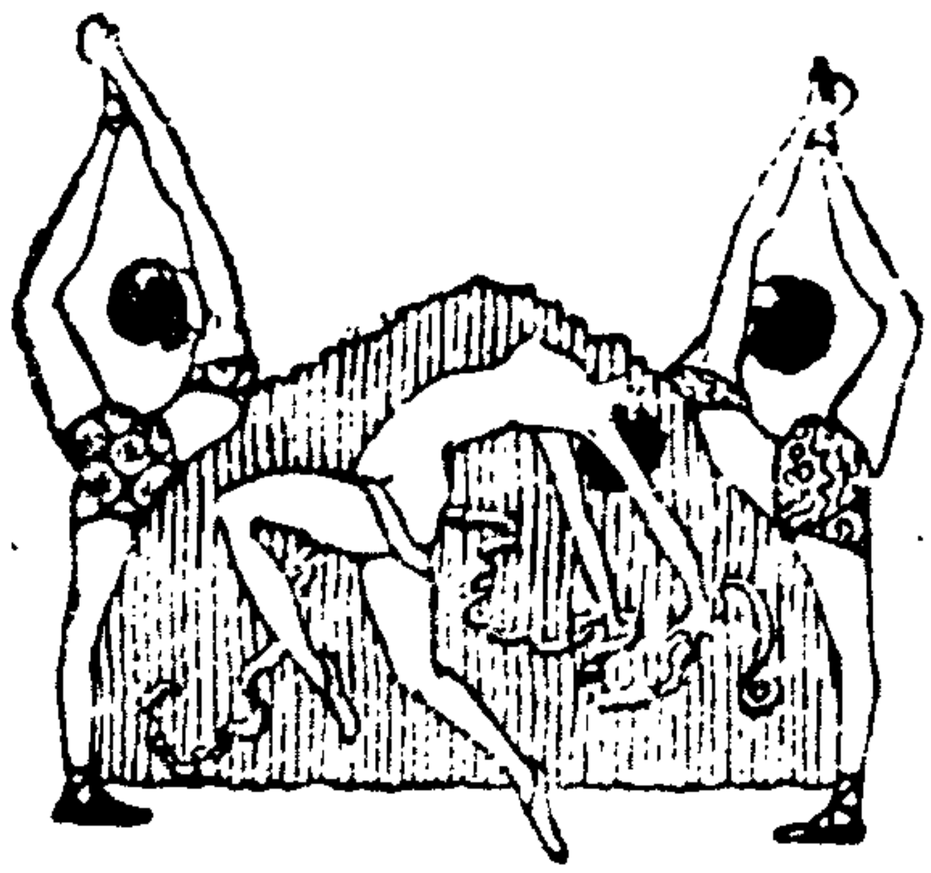

جنوني

وقالوا : « عَزَاءً ! قد جُنِنْتَ بحُبِّها ! »

فقلتُ لهم : « إنَّ النَّعيمَ جُنُوني !

ومَنْ لي سوَاها في القيامَةِ شافِعاً

لدى الرَّبِّ إنْ جلَّتْ لديهِ ذُيُوني ؟ !

أقولُ : إلَهي ! أنتَ تَدْرِي عبادَتي

لُحِسْنِكَ في حُسْنٍ أحَلَّ فُتُوني !

فكلُّ ذُنُوبي جَنْبَ ذلِكَ تُمَّحِي

وما بذُنُوبِ الحُبِّ غيْرُ فُنُونِ !

عَرَفْتُ بها مَعْنَى الحَيـاةِ فشاقني

ولم أخْشَ في حُبِّي الجمـالَ مَنُوني !

فانّي تَذَوَّقْتُ الخُلودَ بعَطْفِها

ونزَّهْتُهُ عَنْ رَيبةٍ وظُنُونِ !

ومنها عَرَفْتُ الكَوْنَ حَيًّا ، ودونها

أرى الكَوْنَ مَيْتاً أوخيالَ سُكُونِ !

إليها ضَرَاعَاتي وفِكْرِي ولَذَّتي
وما نَارُ أشْجاني لها بشُجُون
ولٰكِنّه الإيمـانُ يُشعِلُ بهْجَتي
ويُطْلِقُ مِنْ نَفْسي بَناتِ سُجُوني
فيحسَبُهُ الشَّاقي جُنوناً ، وما دَرَى
جُنُوني ، وما أحْلَى عَذَابَ جُنوني !

***

بَني الأَرْضِ ! مِثْلي ليسَ في الأَرضِ وَحدَها
يعيشُ ، فعندي عَنْكُمْ كُمُجُونِ ! »

أُخى حسن

من ناظم الديوان لى نشره

يا أخي (حَسَنْ) عِشْتَ للمَنَنْ !
كيفَ فُتِّي أشْرَبُ الحَزَنْ؟!
دونَ مُؤْنِسٍ سُلْوَتي شَجَنْ !
كنْتَ رحمةَ النفسِ والبَدَنْ

كنتَ صُحْبةً ما لها ثمنْ
كنتَ بُلبُلي كنتَ لي الفَنَنْ
وأنا الذي عندكَ افتتَنْ
كنْتَ مُلهمي الـ شعرَ يا (حَسَنْ)
حُسْنُهُ سَنَى طبْعِكَ الحَسَنْ
كمْ أصابني بعدكَ الوَهَنْ
مَنْ سواكَ لي مَنْ سواكَ مَنْ ؟!
فاذَّكرْ وزُرْ يبسمْ الزَّمَنْ !

نوعٌ من البرْ

وكأنَّ عتبَ جمالها نَوْعٌ من البرِّ الجميلِ !
أنا أشتهي منها العتا بَ فربَّ في عتبٍ مُنيلي !
ولو آنَّ في ايلامها سهمَ الغرام الى القتيلِ
في لحظةٍ تُغنيهِ ثُمَّ تُعيدُهُ عودَ الجميلِ (١) !
يامطلعَ الانسِ الشَّهيِّ وانْ قساتِيهاً أطيلي !

(١) الاحسان .

دعابة الغفران

أرسلها الشاعر الى صديقه الأديب الطروب محمد افندى عبد الغفور

(١)

يا عارفاً معنى السُّرو رِ بَقيتَ في كَنَفِ السُّرورْ
انّي غفرتُ لكَ اعتيا دَ الهجرِ يا (عبدَ الغفورْ)
حسبي اشتغالك في افتنا ن بالنّحورِ وبالثغورْ !
فكأنّما أنتَ الممثّـ لُ لي هوًى ، وأنا الشكورْ
أو ليسَ قلبانا على صلة العواطِفِ والشعورْ ؟!
فاذا مَرِحْتَ فانّ لي رغمَ النوى نصفَ الحبورْ !
واذا أثِمْتَ فانّ لي منْ بِرِّكَ الشطْرَ الطَّهُورْ !
بِرٌّ يدومُ على البعا دِ ، مزاجُهُ حُبٌّ ونُورْ

(٢)

رد عبد الغفور افندى

يا (شادياً) جعلَ النَّظيـ مَ أرقَّ من نَغَمِ الطُّيورْ !
أهدي اليكَ تحيـةً تُشتقُّ من أرجِ الزُّهورْ !

حسبي البعادُ فانهُ يُشجي ويَحْرِمُني السرورْ
هيهاتَ يُشغلني الهوى بين القلائدِ والنُّحُورْ
القلبُ مني مَعْبَدٌ مِحرابُهُ الحُبُّ الطَّهورْ !
واذا غفوتُ فانَّ طيـ ـفَكَ في وفاءٍ لم يزورْ
حُبٌّ تعهَّدَهُ الإِخا ءُ بكلِّ أنواعِ الحُبورْ
أو ليسَ هـذا شاهداً ؟ فالصفحَ عن (عبد الغفورْ) !

زيارة الكبير

بعث بها الشاعر الى صديقه العالم الكبير الدكتور علي بك توفيق شوشه

يا مَنْ وعدتَ بزوْرَةٍ هلاَّ لفضلكَ أن يزورْ ؟
انَّ الكبيرَ اذا تعطـ ـفَ زائراً فهوَ المَزُورْ !
هيَ مُتعةٌ للعقلِ والـ وجدانِ من علمٍ ونُورْ
وكأنها عيدُ الربيـ ـعِ مجبَّباً طول الشهور(١)
مَنْ فاتَ عامكَ يا (علىٌّ) يفوتُهُ صِدْقُ الشُّعورْ

(١) اشارة الى ندرة زيارته الناظم .

راحٌ ، وريحانٌ ، واذ ماشٌ ، وعرفانٌ غزيرْ
انّي القَنُوعُ ولو بيو مٍ ، فهو بالنُعمى جديرْ
مِنْ طبعكَ الحرِّ التقـيِّ وفضلِك الجمِّ الكبيرْ
يشتاقُهُ القلبُ الوفيُّ ويشتهي الفكرُ القَريرْ
نفسٌ كنفْسِكَ يستعزّ بِقُرْبها حُكمُ الضميرْ

روح الصائم

زار الاديب عبد الله افندى بكرى الشاعر فى الساعة الثانية بعد الظهر ليوم فى رمضان بعد محاولات سابقة فلم يجده ، فترك له هذه الابيات على بطاقته :

أتيتُكَ في الساعة الثّانيهْ ونفسيَ مِنْ صوْمها عانيَهْ
وقلبيَ يخفقُ من جُوعِهِ وعيني الى (مغربٍ) رانيهْ!
فلمّا أجدْكَ ـ وهذا الذي تحيَّنتُ مِن فُرَص فانيهْ
فعذْراً اذا قصرتْ زورتي لأنَّ هنا فقط الآنيهْ !
سآتيكمو بعـدُ كيْ أجتَني قُطوفَ وصالِـكمُ الدَّانيهْ...

فلما عاد الشاعر الى مكتبه واطلع على هذه الابيات بعث اليه بهذه الرسالة معتذراً وراجيا تكرار زيارته :

سمحتَ بزورتِكَ الغانيهْ[1] ولٰكنْ كأحلاميَ الفانيهْ !
وكم كانَ حظّي فواتُ السُّرورِ فانْ جاءَ لم يصطبرْ ثانيهْ !
فيا ليتني لم أغبْ لحظةً ولم ألقَ نفسيَ كالجانيهْ !
تحمَّلْتَ منها ازدِيادَ العناءِ فصارتْ بلوْمي لها عانيهْ
فهل لكَ توْبي ؟ وصفحاً لها... بزورتك الحُلوةِ الثانيهْ
لعلَّ بها مِنْ حديثِ الصِّيام شهيّاً يُعوِّض مِنْ آنيهْ...!

(١) الغانية : الغنية بحسنها .

الكرامة القومية

الى الاستاذ فكرى اباظه لمناسبة مقاله « مستشار تحت المراقبة » (١)

أرسلتَ سُخطكَ شعلةً منْ نارِ يا أوحدَ الكتّابِ يومَ الثارِ !
هذا الشعورُ المستثيرُ بعينهِ هو منقذُ العاني لحكم العارِ

(١) هذا هو نص المقال الوطني المؤثر للاستاذ محمد فكري أباظه :

مستشار تحت المراقبة ؟ !

محكوم عليه بالأشغال الشاقة ؟ ! — لا . . .
مزيف ؟ ! — لا . . .
لص ؟ ! — لا . . .
قاتل ؟ ! — لا . . .

اذن لم يوضع تحت « مراقبة البوليس » والمادة ٢٨ من قانون العقوبات لا علاقة لها بالمستشارين — وانما بالمجرمين . . وهي توجب — فقط — وضع المحكوم عليه بأشغال شاقة أو بسجن في جناية مخلة بأمن الحكومة ، أو في تزييف ، أو في سرقة ، أو في قتل . . الخ الخ تحت مراقبة البوليس . . .

اذن لم يضمون « علي سالم » التقي النقي الشريف العيوف تحت عيون البصاصين والمخبرين يتعقبونه حتى منزله . . . وينقلون لمحافظة أسماء زواره وأصدقائه ؟ !!

الجواب عند « البوليس » . . . « أولا » ، وعند وزير الحقانية الافخم وطلعت باشا الأعظم . . . « ثانيا » ، وعند سيد الجميع وحاكم الجميع « بصيع » الحكومة « ثالثا » وأخيراً ؟ ! !

ادأَبْ ولا تيأسْ فحوْلكَ أمّةٌ تهتاجُ عِزّتَها قُوى الجبّارِ
ابعثْ لها أشجى العظاتِ فانّها أقوى من البَتّار للقهّار !
هيهاتَ تبلغُ أمّةٌ آمالَها وتسودُ وهي مَطِيّةُ الفُجّارِ

***

عشنا وشفنا سنين !

ومن حاش ـ ياعيني ـ بشوف العجب ! كم لقنونا في المدارس ان انكلترا هي أم العدالة وأبو العدالة ، وكم علمونا أن « القضاء » عند الانجليز حرم مقدس ، وكم أفهمونا أن « القضاء المصري » هو فقط ، وفقط هو ، العنصر الوطني الاهلي الوحيد الذي لم تمس الانجليز استقلاله .. وها قد دار الزمان دورته وديس الحرم المقدس ووزير الحقانية خافض الرأس خاشع البصر كل مأموريته أن ينقل الكلام من الموظفين الانكليز العظام... الى طلعت باشا الهمام ؟ ! !

أيها الناس : اجمعوا عصيكم باقة عليكم و « انزلوا » على « صدافي » أنا لطما ، وضربا ، وتنكيلا ، وتعذيبا ، فاني أشعر بخجل عميت ، وأرى أن المصري اليوم لا يستحق أن يموت الا بضرب الهراوة في عهد جبن فيه الرجال وتسلط فيه الانذال ! ! !

***

... اذن ألفوها محكمة عسكرية انكليزية استعمارية فواقة لاستقلال القضاء عند أعدائنا أضمن ؟ ! !

... وواقة لن يجرؤ كبير الانكليز أن يوعز لموظفيه الانكليز الكبار ـ بأن يوعزوا لوزير الحقانية ـ بأن يوعز لرئيس محكمة الاستئناف ـ بأن يوعز لعلي سالم ـ بأن ينسحب من منصة العدالة والحق والواجب ! ! !

... وبأن يتخلى عن وظيفته لان ..... و « نجيب الهلباوي » ليعيد ... رأوا أنه يزور ويزار ! وكيف يزور المستشار ويزار المستشار ؟ ! !

***

واجتمعت الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف ... اجتمع ليوث الغابة ،

هيهات يعتزُّ الأصيل ببيتِهِ وهو المطأطيءُ للدخيل الزّاري

ادأبْ أبيَّ النفسِ ! ... جُهدُكَ حقُّه

حَقَّ الكرامةِ في مجالِ فخارِ

يزهوعلى غَسَقِ الظلامِ فيمتحي

لشعاعِهِ الشّعبُ النبيلُ السّاري !

غلبَ الحوادِثَ والمصائبَ جاهدٌ

عرفَ الشّهامةَ قبلَ كلِّ شعارِ !

أبناء الكريمة ، وفحول العدالة ، وحماة الحق ، وأرفع الناس رأسا ، وأشمخهم أنفاً ...

فماذا فعلوا ؟ ؟

الي « بالمراوة » مرة أخرى ، واقتلوني بها مرة أخرى ، ثم اذا مت بشكل حاسم فاقذفوا بي الى حفرة واهتفوا على قبري قائلين : الى أحقر قرار أيها المصري الغدر ! ما بذلت من الفداء في سبيل حريتك ، وعدالتك ، ونزاهتك ؟ ! !

مت دفينا في أحقر حفرة ! كما دفنت كرامتك في أحقر حفرة ! ! !

•••

بما أن ... ولو أن ... ومع أن ... تداولت ... وتناقشت ... وتأسفت ... هذا هو قرار الجمعية العمومية لمستشاري محكمة الاستئناف : فليحي العدل ! ! ! وليحي استقلال القضاء ! ! !

•••

لا ! لا !

الوداع أيها السادة ...

أسدلوا الستار على ماض فاخر ... ثم ارفعوا الستار عن مستقبل الله به أعلم ! ! !

الطيار المصرى

حسن أنيس باشا

لمناسبة حفلة تكريمه فى ١٦ يوليو سنة ١٩٢٦

هَمَمْتَ ورُمْتَ الفَتْحَ والمَثَلَ الأَعْلَى
وطِرْتَ مَطارَ النَّسْرِ حَوَّمَ واسْتَعْلَى
وحاولتَ أنْ تُحْيِي لقوْمِكَ سيرَةً
تَسيرُ مَسيرَ الرِّيحِ في هِمَّةٍ عَجْلَى
وقُلتَ : « اذا ثَلَّتْ خُطوبٌ عُروشَنا
فما ثلّتْ العزْمَ المكافحَ والأَصْلاَ
وانْ هدَّتْ الأمراضُ (١) مُلكاً وأُمَّةً
فقد يُبْتَنَى طِبًّا ، وقدْ تُرْتَجَى عَقْلاَ
بميناً سأَسْعَى في يقينٍ وَوَثْبَةٍ
لأُعلنَ فضلاً للأُلى أنكرُوا الفضْلاَ ! »

---

(١) يشير الى الامراض الطفيلية التي ذهبت بدولة الفراعنة ولا تزال جانية على مصر .

وَبَيْنَا السَّرِيُّ الفَحْلُ يختالُ غاشِماً
على الأرضِ كُنْتَ الطائرَ السيدَ الفَحْلاَ!
ملكتَ بِساطَ الرّيحِ في غيرِ نَشْوَةٍ
ولم تعترِرْ بالنَّصْرِ أو تنتَقِصْ أهْلاَ
وكنتَ الفتى الوافي بفوْزِكَ دائباً
تُعِدُّ (لمصر) الفخرَ والحَقَّ والعَدْلاَ
فَطِرْتَ ولم يُشْغِلْكَ حُبُّ سَلامَةٍ
فقد كان نجْوى (مصر) هَمَّكَ والشُّغْلاَ!
كأنك أشهدْتَ القُرُونَ التي خَلَتْ
بمَرْقَبِها الأعلَى على دأبك الأعلى!
فلم تخْشَ الاَّ أنْ تُقَصِّرَ زلَّةً
وما خِفْتَ حَرْقاً في الفضاءِ ولا قتْلاَ
كأنك في تمثيل (مَنْفٍ) ومَجْدِها
ضمنتَ لكَ المجدَ المحقَّقَ لا الذُّلاَّ!
وكنتَ مِثالَ النَّحْلِ ضحَّى لشَعْبِهِ
وفي مركبِ الأخطار قد تفضلُ النَّحلاَ

فَخُضْتَ الخِضمَّ الوَعْرَ: قد عدَّ كُنْهُهُ
هواءً، وظنّوا خوضَهُ مطلباً سَهْلاَ !
وما هوَ الاَّ البحرُ والبَحْرُ كالثرى
وكم مِنْ رَشيدٍ فيهِ خُودِعَ أوْ ضَلاَّ!
الى أنْ تولَّى العِلْمُ فَتْحاً مُجَدَّداً
وضَرَّجَتْ[1] الحَرْبُ الهَواءَ من القَتْلَى !
فأصْبحَ يُزْجِي (الغربَ) ألفُ مبشِّرٍ
وصَلَّى لغلاَّبِ الأثيرِ الذي صَلَّى!
وعَدُّوا (الغرَ) المرجوَّ رَهناً لعزَّةٍ
على ذلكَ الموْجِ[2] الذي لم يكنْ يَبْلى!
ولم تَرْضَ الاَّ أنْ تكونَ إمامَنا
وأن تُرْخِصَ الجهدَ المبجَّلَ والبَذْلاَ
فصدَّكَ قَوْمٌ (كالخوارجِ) قادَهمْ
قرينُ (أبي جهل) وقد طفحوا جهلاَ !

---

(١) ضرجت : لطخت بالدم . ويريد بالحرب : الحرب العالمية الكبرى .
(٢) موج الهواء .

ولٰـكنَّ شَعباً أنتَ زَيْنُ شبابِهِ
يصونُ لكَ الوعدَ المحقَّقَ لا العَذْلاَ

الى قنبرة

سَكتِّ بِقُرْبي، ما عَرَفْتِ الذي دَنَا
إليكِ وَفِيًّا في حَنان لهُ آفْتَرَا
ولو أنتِ قَدَّرْتِ الجمـالَ بِرَحْمَتي
لأَلْفَيْتِ في حِسِّي الصَّبابةَ والزُّهْرَا!
فغرَّدْتِ أضعافاً، وكُنتِ لمهجتي
شِفاءً، وما جانبتِ لي مُهْجةً حَرَّى
وناولتُكِ الحبَّ الذي تشتَهينهُ
وأسقيتِ مِلءَ الأَمْنِ مِنْ يَدِيَ القَطْرَا
ولم تُشْمِتي بي مَنْ تَطَفَّلَ هازِئاً
بحُبِّيَ هذا الرَّوْضَ والماءَ والطَّيْرَا

ولم يَدْرِ أنّي بَعْضُهُ ، وحيـاتُهُ
حياتي ، وأني أسكنُ الكَوْنَ والدَّهْرَا!
وما كانَ شِعْري في نَظيمٍ أصوغُهُ
ولٰكنَّ شِعري أنْ أكونَ أنا الشِّعْرَا!

خرافة

الشرق والغرب

رد على كبلنج

«الشَّرْقُ شَرْقٌ والغَرْبُ غَرْبٌ وما التَّلاقي لتوأمَيْنِ» (١)
خُرافةٌ قالها قديمـاً مُسَخِّرُ (الشِّعْرِ) لِلْحُرُوبِ!
كأنما (الشِّعْرُ) ليْس فنّاً لخدمةِ الحَقِّ والجمالِ!
وأيُّ قَدْرٍ لأيِّ فَنٍّ مُبَشِّرٍ بالعداءِ فِينَا؟!
فكلنا وَحْدَةٌ وفِينَا جَميعنا الجِدُّ والصِّغارُ
وما أقرَّنا بغيرِ جَهْلٍ وما اتَّحدْنا بغيرِ عِلْمِ

(١) من نظم رديارد كبلنج الشاعر الاستعماري الانجليزي الشهير .

وليسَ (للشَّرقِ) في قديمٍ به تَسَامَى انحِطاطُ فِكرِ !
وليْسَ (للغَرْبِ) في زَمانٍ بهِ تَدَلَّى عُلُوُّ مَجْدِ !
عوارضٌ تلكَ أو شؤونٌ لها ظُرُوفٌ مُسَبِّباتْ
فمن سخيفِ البَيَانِ حَقًّا تَبَذُّلُ (الشِّعْرِ) بالخرافَهْ
مُحَقِّراً غايةَ التآخي ومُبْعِداً قِبْلَةَ (الحياةِ)
وجُهْدُها في القُرُونِ دَوْماً يُوَجِّهُ الخَلْقَ للتَّعالي
وكان أحْرى بمَنْ يُباهي بشِعْرِهِ أنْ يُرَى نبيًّا !
يُحَبِّبُ الناسَ في (السلامِ) وفي (الجمالِ) وفي (السُّمُوِّ)
فما رجاءُ (الحياةِ) الا بنهضةٍ وَحَّدَتْ بَنِيهَا !

لغتي

قُلْ للذِي ما دَرَى ما عبَّرَتْ لُغَتي
به عن النَّفْسِ مِنْ حِسٍّ وتفكيرِ
وقالَ ذلكَ زِنديقٌ بلهجتِهِ :
خَفِّفْ ملامَكَ !... لا تلْجأْ لتكفيرِ!

لعلّي أفهمُ الرَّحمٰنَ خالقَنا فَهْماً جديراً بالهامي وتفسيرِي

أعيشُ عيشةَ صُوفيٍّ بهجتِهِ
في كلّ آنٍ ، وحسبي رُوحُ تعبيرِي

وكم دَعِيٍّ بتفكيرٍ وفلسفةٍ
وكلُّ أحلامِهِ أضغاثُ تَغْرِيرِ !

الدّينُ والعِلْمُ ليسا في محابِرِكمْ
بلْ في الحياةِ ، فخُضُّوها بتدبيرِ !

وهل مقالةُ زُورٍ جِدُّ شافعةٍ وأنتمُ بيْنَ عُبّادِ الدّنانيرِ ؟!

خُذُوا الهدايةَ مِنّي ! إنّني رَجلٌ
أعيشُ للحُبِّ حُرّاً غيرَ مأسورِ

أعيشُ في ملكوتِ اللهِ مقتبِساً
النّورَ منهُ ، وأفْشي حِكمةَ النُّورِ

وفي الطبيعةِ ألقى اللهَ بارئَنا
بكلِّ حُسْنٍ برُوحٍ مِنْهُ معمورِ

اللهُ حرّرَ وجداني وأطْلَقَهُ
وأنتمُو ترفضُونَ اليومَ تحريرِي !

لا كنْتُ شاعرَ قَومي إنْ خُذِلْتُ بهمْ
طَوْعَ الوشايةِ مِنْ جَهْلٍ لِتَحْقيرِي
(الكونُ) ديوانُ أشعاري ، ولي لُغَةٌ
فَوْقَ القُيُودِ بتعبيرٍ وتقْدِيرِ !
وليْسَ لي مِنْ رَقيبٍ غيْرُ ما حَفِظَتْ
جوانحي مِنْ وفاءٍ غيْرِ مَسْتُورِ
ومَنْ يكنْ ذا ضميرٍ لا حياةَ بهِ
فليسَ يُغْنَى بإرْشادٍ وتحْذِيرِ !
ومَنْ خلاَ شِعْرُهُ مِنْ رُوحِ فلسفةٍ
فشِعْرُهُ سُخْرِيَاتٌ للمقادِيرِ !

السجين

أذَى السّجن أقْسى أم أذى السّجنِ أرْحمُ
اذا كانَ في الأحياءِ مَنْ ليْسَ يرحمُ ؟!
وللخيرِ ما يُشقي السَّجينَ وهلْ تُرَى
مدى الرِّفقِ أولى أمْ مدى البأس أحْزَمُ ؟!
يعيشُ وحيداً ، والشّقاوةُ عزلةٌ
وحبسٌ ، فما النّفسُ السعيدةُ تُحْكَمُ !
وقد كانَ في بؤسِ الشُّذوذِ بأمسهِ
فأصبحَ في بؤسِ النّظامِ يُقَسَّمُ !
كفاهُ بني الدّنيا وداعُ متاعِكُمْ
وَصَفْحاً ، ففي نُعْمَى السُّجونِ جَهَنَّمُ !
فلا تتركوهُ بينَ أسْرٍ وظُلْمَةٍ
كفاهُ مِنَ الحظِّ الذي هوَ أظلمُ !
ذَرُوهُ يَذُقْ بعضَ الحياةِ لعلَّه
يُخفِّفُ من سُخْطٍ بهِ القلبُ مُفْعَمُ !

وانْ كانَ خُلْقُ الجُرْمِ فيهِ طبيعةً
فيا ربمـا يُجْدِي بصُنْعٍ ويندَمُ
فخَلُّوا السُّجُونَ اليومَ للرُّوحِ مَعْهداً
فانَّ وَفاءَ النَّفْسِ للنَّفسِ أكرَمُ !
أعَزُّ متاعِ المرءِ حُرِّيَّةٌ لهُ
ويا ربمـا فيها الوُجودُ المجسَّمُ
ومهما يكنْ ذُلُّ النُّفوسِ فانهـا
تعودُ لمجدِ العُلَى تتألَّمُ
وما السجنُ تعذيبُ السَّجينِ وانما
وِقَايةٌ وإصْلاحٌ ووَعظٌ وَمَغْنَمُ
تُميتونَ فيـهِ الشرَّ بالخيرِ سائغاً
ويُنْشَرُ فيهِ النُّورُ بِرّاً بمنْ عَمُوا
وليسَ عذاباً يُرهِقُ الجسمَ باطِشاً
ولا مُلكَ (ابليسٍ)بهِ الشَّرُّ يُعْلَمُ !
فأحيوا مواتاً للنفوسِ وعلِّموا
فانَّ الصَّلاحَ السَّمْحَ بالعلمِ يُغْنَمُ

وقد يُوقَظُ الغافي الشُّعُورُ فيرْتقي
ويتبعهُ الرُّوحُ الجديدُ المُقوَّمُ
فكونوا أُساةً للمشاعرِ ، فالهُدَى
يُنَالُ بعطْفٍ ، والهُدَى الحُرُّ أقوَمُ
وعارٌ على أهلِ العدالةِ عدْلُهُمْ
اذا كان منه يَقطُرُ العسفُ والدَّمُ !

السواد المحبوب

ابيات ارتجالية فى واقعة حال

وتَرى سوادَ ردائها يُحْلي السوادَ الى العُيونْ !
ستَرتْ محاسنَها ومِنْ طبع المحاسن أنْ تَبينْ(١)
فكأنَّ تحْتَ ردائها يتخطَّرُ المَلَكُ(٢) المصونْ
وكأنَّ ما حجبتْ بدَا في غير تقتير الضَّنينْ
وكأنَّ رَمزَ حدادِها يَعْني سوى حزْنَ الحزينْ
وكأنَّ خَطْرَةَ حسنها مِنْ عِزَّةِ الحسنِ الحصينْ

(١) تبين : تظهر . (٢) المفروض فى الأساطير عن الملائكة ان لا يحجبها حلباب.

ارسطو

المعلِّم الأول

يا ناظراً نظرةَ التفكيرِ مضْطَلِعاً
بالبحْثِ للنَّاسِ ما فاتتْكَ أعباءُ !

لا يَطْلُبُ الشِّعْرُ في ذِكراكَ أخيلةً
فَمِلْؤُهَا (١) صُوَرٌ للشِّعْرِ حَسْنَاءُ !
وحَسْبُهُ مِنْ قوانينِ الحِجى عَجَبٌ
ما زَالَ حَيًّا يُغَذَّى منهُ أحيـاءُ
ومَنْطِقٌ لا يزالُ الدَّهْرُ يُعْلِنُهُ
صِدْقاً ، ويَعْنُو لِنجْواهُ الأُلَبَّاءُ
وعِلْمُكَ الحقَّ في الدُّنيا فَتُرْشِدُنَا
لا الخَيْرُ خيْرٌ ، ولا الأرزاءُ أرزاءُ !
وإنمـا أحكمُ الأخلاقِ أوْسَطُها
وفي التطرُّفِ أدواءٌ وأدواءُ !
وما الحكومةُ أوصافٌ مُحَدَّدَةٌ
بل الحكومةُ نِشدانٌ وإيفاءُ
وخَيْرُها ما تَنَى الشَّعْبُ جُمْلَتُهُ
وما تُلائِمُهُ نَفْعاً كما شاءوا
قواعدٌ لم تَزَلْ في الخُلْدِ ساطِعَةً
عِلْمٌ وفِكْرٌ وآدابٌ وإنشاءُ !

---

(١) أى ذكراه .

تحالفتْ وأبودُ الدَّهرِ عن شَرَفٍ
فسرُّها بأبودِ الدَّهْرِ مَشَّاء !
كأنما نحن « مشَّاؤونَ » نحفظُها (١)
والكونُ ذاتُكَ والأحياءُ أصداء !
ماهزَّ (فيليبَ) أو (اسكندراً) فُتِنَتْ
على المَدَى منهُ أفرادٌ ودَهْماء (٢)
كل العقولِ تساوتْ في محبَّتِهِ فانَّ نفحكَ إسعادٌ وإحياء
مآثرٌ ضخمةٌ شتّى معارفُها وكُلُّها حُجَجٌ غرَّاء شَمَّاء
فانْ تحدَّاكَ خَصْمٌ في مُجادَلَةٍ فما لَهُ غيرَها عَوْنٌ وإيحاء !
أجْلِلْ بعلمِكَ أن لا يُستطالَ له
الاَّ بعلمِكَ ، لا ترْقاهُ أهواء (٣) !
فيعتلي ذِهْنُكَ الوضَّاء مُقْتَحِماً
دُخانَهُمْ ، وبخُسْرِ الوهْمِ قد باءوا !

---

(١) اشارة الى « مدرسة المشائين » وهى معهدهالدراسى الشهير حيث كان يلقى دروسه ماشيا مع تلاميذه فى الحديقة .
(٢) كان أرسطو صديق (فيليب) ملك مقدونيا ومربى ولده (الاسكندر) العظيم .
(٣) اشارة الى اعتماد خصومه على نفس اساليبه المنطقية التى ابتدعها فى محاولتهم النيل من آرائه !

يانا قلا رُوحَ (أفلاطُونَ) مؤتلقاً
قد زدْتَهُ ألقاً زادتهُ أنباء !
رُوحاً كما جُمعا فيما فُتِنْتَ بهِ فأنتما الآنَ أجزاء وأجزاء !
وإنْ تكنْ أنتَ وسْمَ السِّفْرِ نعشقُهُ
وأنت وحدَك بالإعجازِ وَضَّاء
حَسْبُ الحياةِ بُحُوثاً في سعادَتِها قد زانَها منكَ تفكيرٌ وإملاء
هي الفضيلةُ في ذات منزَّهةٍ فما السَّعادةُ أسبابٌ وأشياء
وما أنى العَقْلُ إنطاقاً لِحكمتِهِ حيثُ الطَّبيعةُ عجماء وخرساء
وقلتَ لا بُدَّ مِنْ عَقْلٍ ومِنْ بَدَنٍ
ومِنْ مزاجٍ لها حُسْنٌ وإرْضاءُ
يَشْقَى الحكيمُ بآلامٍ تُعانِدُهُ كذاكَ يَشْقَى بفَقْرٍ منه إيذاءُ
وما الحكيمُ بخالٍ من منغِّصةٍ لكنَّها نِسْبَةٌ في الضُّرِّ جوفاءُ
أمَّا السَّفيهُ فعانٍ مِنْ نقيصتِهِ وليسَ يُنقِذُهُ يُسْرٌ وإغناءُ !
وما الفضائلُ في ناسٍ بعَيْنِهِمِ وغيْرُهُمْ ما لَهُمْ لِلْخيْرِ إصغاءُ
فانها وُزِّعَتْ في النَّاسِ وانْتشرَتْ
مع الشُّرُور ، كما تفْتَرُّ صَهباءُ !

وكم قرينٍ لأَخلاقٍ مُجَمَّلَةٍ فيهِ من الشَهْوَةِ العَوراءِ هَوْجاءُ
وقدْ قدَرْتَ وَفيًّا من مشاعرنا لولا المشاعرُ ما كانَ الأَجِلاَّءُ
وقُلتَ لافَخْرَ فيزَهْوٍلمُنْتَسِبٍ إنْ لم تُؤَهِّلْهُ للعلياءِ علياءُ !
والفيلَسُوفُ مُطيعٌ مَحْضَ رغبتِهِ وما لهُ غيْرَهَا وَحْيٌ وإيماءُ

بَيْنَا سِواهُ يُطيعُ الشَّرْعَ مزْدجراً
كأَنما الشَّرْعُ للخاشينَ أنواءُ !
وكنتَ تُعْلنُ أنَّ الكَوْنَ متَّصلٌ
وليسَ يُدْركهُ عَجْزٌ وإفناءُ !
بل كُلُّهُ صُوَرٌ من وَحْدَةٍ خلَدَتْ
وكُلها بمآلٍ فيهِ أكفاءُ !
فليسَ في الكَوْنِ شيءٌ يَمَّحي أبداً
لا الموْتُ موتٌ ، ولا الأَشلاءُ أشلاءُ !
فكيفَ تنساكَ أفهامٌ مقدَّسَةٌ
وأنتَ شمسٌ لها خَلْقٌ وأضواءُ ؟ !
وأنتَ جَنَّةُ ألبابٍ مفتحةٌ للخلقِ طُرًّا فتجزي البؤسَ نعماءُ
تمضي القُرُونُ ولا تمْضي روائِعُها
ولا شُعاعٌ لها للفكرِ بَنَّاءُ !

تعالى ! تعالى ! حبيبة قلبى !

معربة عن الانجليزية للشاعر و . ه . ديفز

(١) — التعريب

تَعَالي : تَعَالي ! حبيبةَ قلبي ! فانَّ الصَّباحَ الجميلَ انتظرْ
وما أبْهَجَ السِّحْرَ منه ارْتقاباً لنا ليُحَيِّ لَدَيْنا النَّظَرْ

فيا لَلْفَرَاشِ
أيَّامَ العُيُونِ
سيَمْضي ويَفْنَى بَطَلْق الضياءِ ، سيمضي ويَفْنَى بنُورٍ سَفَرْ !

تَعالي معَ الشَّمْسِ قبلَ انتهاءِ لقوَّتِهَا في انْطلاقِ الحرارَهْ
فهاتيكَ نيرانُنا المنزليَّةُ ماتتْ ولن تُرْتجَى مُسْتَثارَهْ

فيـا للنسيمِ
اللطيفِ الهُبُوبِ
مَتَى ما مَضَى — ناهباً هكذا — بِحَقْلٍ من التِّبْرِ أبْدَى نُضَارَهْ

تَعالي ! فنَمْضي الى حاجزٍ يُنَمِّقُهُ الوَرَقُ المُزْدَهي
فنُبْصرُ في خَلْفِهِ مِثْلَ ثَلْجٍ بياضاً وَليدَ اِلخرَافِ البَهي
فما لَحظَتْهُ
من النّاس عَيْنْ
بحيثُ نَرَاهُ على رَقْدَةٍ نَؤُوماً يُرَاعى لَدَى أُمِّهِ

تَعَالي ! تَعالي ! حَبيبَةَ قَلبي ! فانَّ الصَّباحَ الجميلَ انتَظَرْ
وهٰذِي هي الشَّمْسُ تَعْلو سَريعاً كما قد تولَّى النّدى وانتَثَرْ
ونُورُ الهَواءِ
الكثيرُ الرّواءِ
تَجَلَّى كَجَمْعٍ لتكرارِ صُبْحٍ (لنيسان) مِنْ نُورِ إثنَى عَشَرْ[1] !

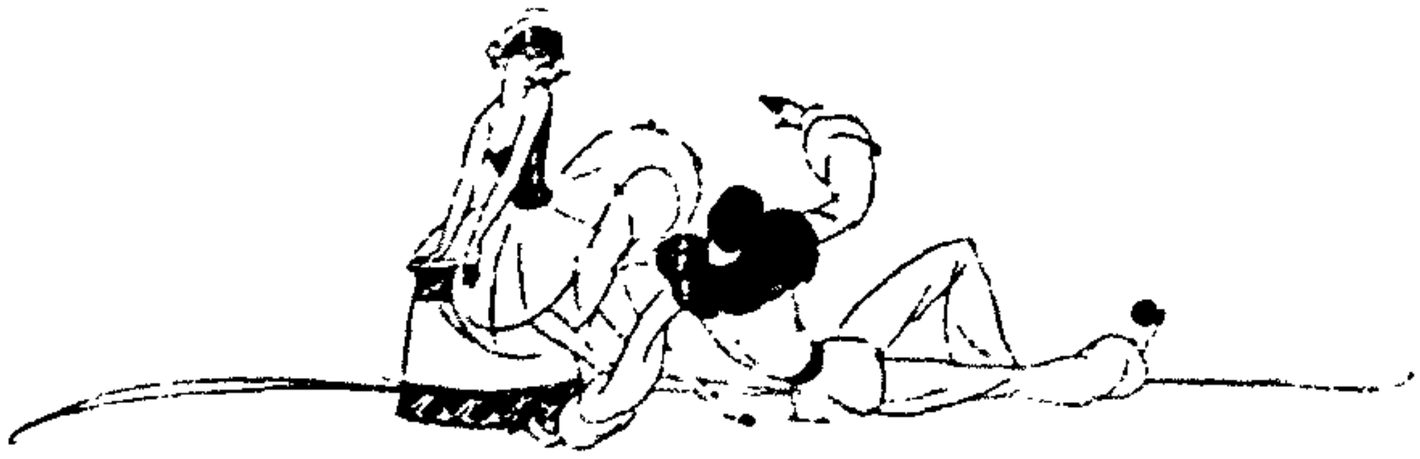

(١) معروف عادة بأن نيسان (مايو) أبهج الشهور فى انجلترا. وهذه المنظومة فى اصلها الانجليزى عدها النقاد أجمل ما ظهر فى لغتها فى سنة ١٩٢٥ م . وقد اعتبرها المستر جون اوستين (John Austin) فى طبقة شمرشلى (Shelley) الغنائى - (الناظم)

(٢) — الأصل

COME , COME , MY LOVE

Come , come , my Love, the morning waits ,
What magic now shall greet our sight!
What butterflies
Before our eyes
Shall vanish in the open light !

Come, while the Sun has power to strike
Our huosehold fires all dead and cold !
How softly now
The wind can blow—
When carrying off a field of gold !

Come , when behind some lealy hedge
We'll see a snow - white , new - - born lamb
No man has set
His eyes on yet - -
Where it lies sleeping near its dam.

Come , come . my Love . the morning waits ,
The Sun is high . the dew has gone !
The air's as bright
As though the light
Of twelve May mornings came in one.

W. H. Davies.

الشمأل

او روح الطبيعة

رَأَتْ في (الطَّبيعةِ) تمثالَهَا فَرَاحَتْ تُسَائِلُ مَنَّالَهَا!

وَحنَّتْ لِنَجْوَاهُ قُرْبَ الصُّخورِ حَرَسْنَ المياهَ وشَلاَّلَهَا !
فنضَّتْ ملابسَها في خُشوعٍ كأَن بذٰلِكَ إجْلاَلَهَا !
وساءلتْ الماءَ في دَفْقِهِ فمَّا تمهَّلَ غنَّى لَهَا !
كأَنَّ بهِ جارِياتْ الحياةِ وقد أشْبعَ الماء آمالَهَا !
فسالَ يُحَمِّلُ أنوارَها ويُهْدِي الى الخَلْقِ سَلْسَالَهَا !
وينقلُ إلْهَامَها للحَياةِ كأَنَّ المياهَ وَعَتْ بالَهَا !
عليها رَفيفُ الجَمالِ الشَّهيِّ جواهرَ مازجْنَ سَيَّالَهَا !
وقدْ حُوِّلَ الماء منْ فِضَّةٍ نضاراً يمثِّلُ آصالَهَا
لجِنٌّ بمرْآةِ جِسْمٍ لها وتِبْرٌ اذا نالَ إقْبالَهَا
ونارٌ على البُعْدِ في مُنْحَنًى تُطيلُ بهِ الشَّمْسُ إشْعَالَهَا
وأُخْرَى بأقْصَى دَوِيٍّ لها سقُوطاً ولَهْواً شكَتْ حالَهَا !
دَوَتْ خَلْفَهَا في احْتِفاءِ المَشُوقِ تَنَاسَى الخُطُوبَ وأهْوَالَهَا !
وقدْ حَسَدَتْ ما ازْدَهَى من حَصًى حَبَتْهُ المَليحَةُ إظْلاَلَهَا !
وصَخْراً أشَمَّ عليهِ اتَّكَتْ فلا عَجَبٌ إنْ هُوَ استأْلَهَا !
ولم يَكْفِهِ حِسُّهُ بالحياةِ وكان الجَمادَ فما خالَهَا !
وفي البُعْدِ عنها بَدَتْ غابةٌ تَخالُ البواسِقَ أطْلاَلَهَا !
فقد حُرِمَتْ سِحْرَهَا البابليُّ فكانَ بها الخِصْبُ إمْحَالَهَا !

كذلِكَ حكمُ العزيزِ (الجمالِ) بدُنْيا يُحَدِّدُ آجالَهَا
وينشرُ مِنْ لُطْفِهِ أنْسَهَا ويَحْفَظُ بالُحبِّ أجْيالَهَا
ويُسْعِدُ بالفنِّ أحْوالَهَا ويَرْفَعُ بالعَطْفِ أثْقالَهَا
فانْ ضِيمَ زالَ النَّعيمُ السَّليمْ وكَسَّرَتْ « الأمُّ »[1] مِنْوالَهَا
فلاحتْ كعِرْيانةٍ مالَهَا جَمَالٌ ، ولم تُبْقِ سِرْبالَهَا
فمـا (للطبيعةِ) رُوحٌ سِوَاهْ عزيزاً شَريفاً حَمَى آلَهَا
ولو لم يكن (لِقِنوسَ)[2] الخلودُ لَزُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا !

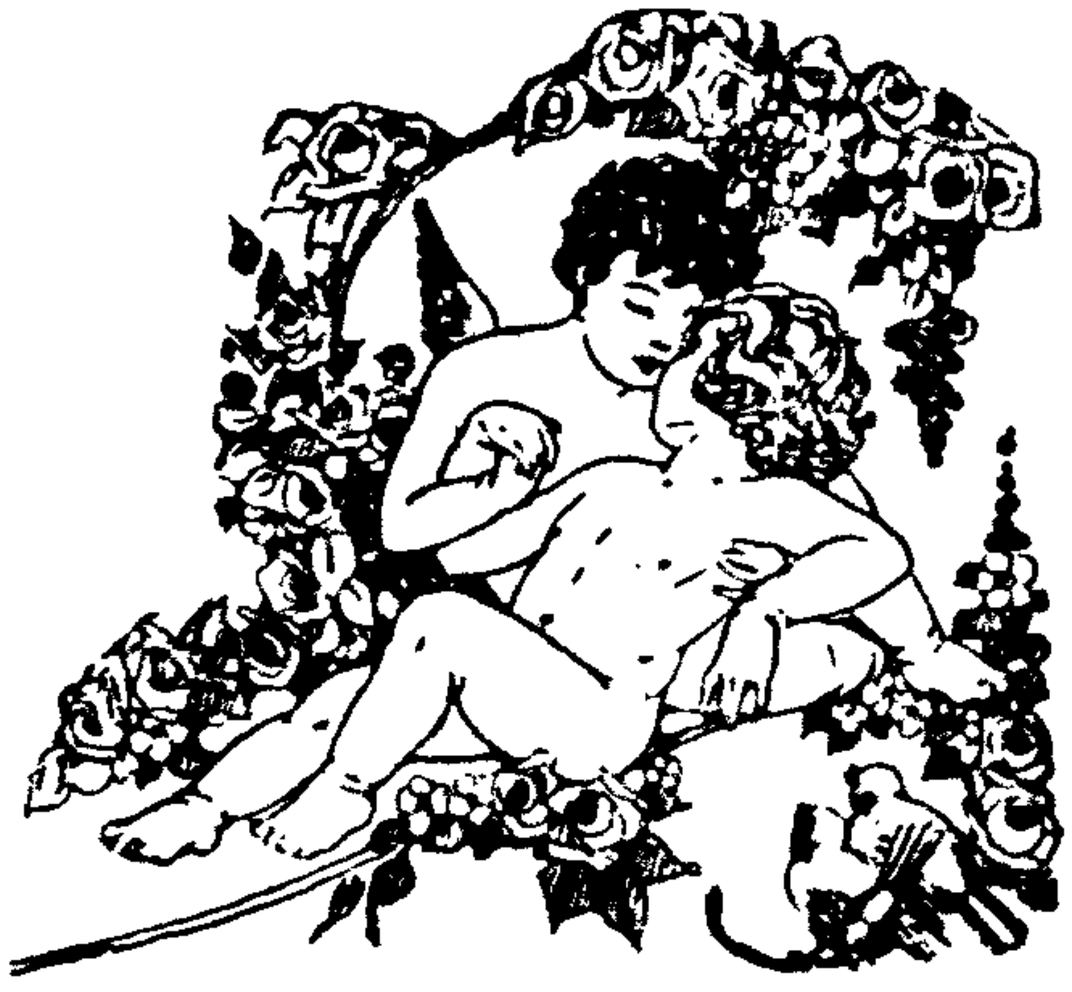

(١) يعنى الطبيعة . (٢) Venus : الهة الجمـال والحب مجتمعين .

في مرقص

ايلت ارتجالية

جُودِي، أموسيقى العوا طفِ ياإمامَ الرَّقصِ جُودِي!
نَغَمٌ يرفُّ لهُ الفؤا دُ كرِفِّ لاعبةِ النُّهُودِ!
أطَرِبْتَ مِنْ طَرَبِ الحسا نِ وخفّةِ الحُسْنِ الوَدُودِ؟!
يرْقُصْنَ في حُلَلِ البنفْ سجِ والزمُرُّدِ والوُرُودِ
في هزّةِ السكرَى وا لكنْ سُكْرُهنَّ على حُدُودِ!
مُتثنّياتٍ في فنُو نٍ للقُلوبِ وللشهودِ
وترى الجمالَ مُسَوَّداً وترى الهيامَ على الخُدُودِ
وترى الخُصُورَ أسيرَةً لكنْ تنعَّمُ بالقُيُودِ!
وترى الصُّدُورَ شفيعةً! وترى القُدُودَ على القدُودِ!
وترى الحريرَ مُموَّجاً من نَشْوةِ الطَّرَبِ الفريدِ!
وترى السواعدَ غضَّةً تنبضْنَ بالحُبِّ السَّعيدِ!
وترى الصدُورَ بواسما دلَّتْ على نِعَمِ الوُجودِ!
وتُطَقْطِقُ الأقدامُ في غَزَلٍ على غَزَلٍ جديدِ!
وكأنّها القُبُلاتُ تأ مُرُ بالعبادَةِ والسُّجُودِ!

وترى مواطِئَهاَ الشّفا ه أعزَّ من زَهْرٍ نَضيدِ!
واذا الغواني رَاقِصا تُ الشعرِ من عَجَبِ القصيدِ!
ولهنَّ آياتُ الفصا حةِ ما بَخَلْنَ لمستزيدِ!
ينطِقْنَ بالمعْنى الشَّهيِّ يطيبُ للفكْرِ الشَّرُودِ!
في غيرِ ألفاظٍ سوى الـ إيحاءِ للرَّاني الشَّهيدِ
وهنيهةً بينَ انْسيا بٍ في وُثوبٍ في جُمُودِ
فكأنّها سُوَرُ الخلو دِ زَهتْ على حُورِ الخُلودِ!

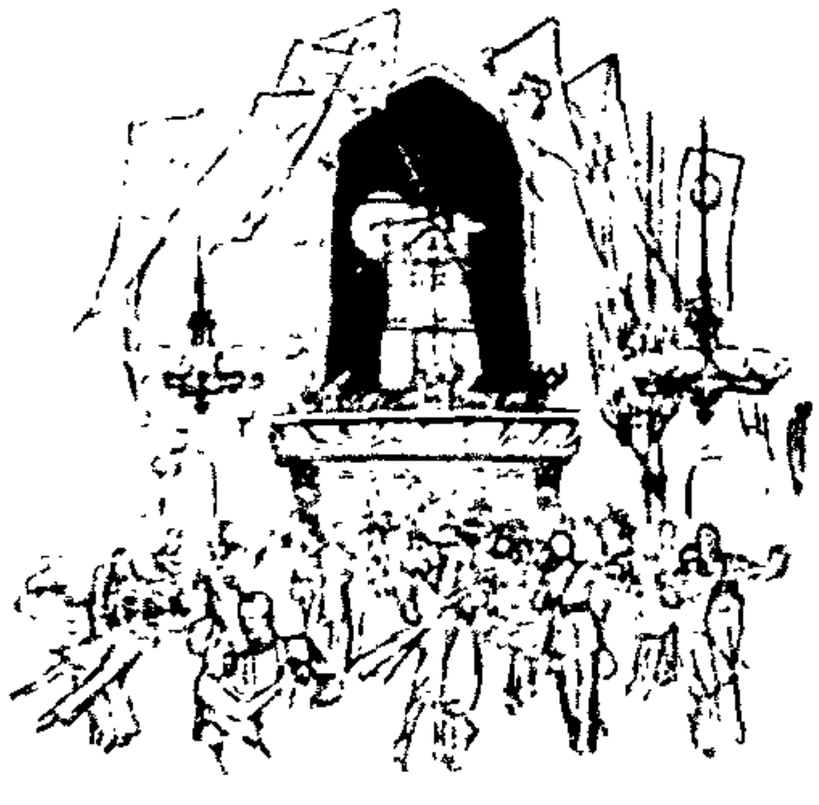

فلسفة العبرات

رَسَمَتْ ـ وحاشا أنْ أقولَ دُعَابَةً ـ
قلبيْنِ قد ذَرَفَا سخيَّ دموعِ
فاذا هما خِلَّانِ أعرفُ : بائِساً منها، وصاحبهُ نَزِيلُ ضلوعي
فبكى بألحانٍ سُمِعْنَ [1] وخافقي يبكي كذاكَ بشعري المَطْبُوعِ !
والدَّمْعُ يندرُ أنْ يَهُونَ بمائِهِ أو أنْ يظلَّ بحظِّهِ المفجُوعِ !
بلْ يَستحيلُ مُنَوَّعاً لمظاهرٍ شتّى، ومُلتَجئاً لكلِّ بديعِ !
فتراهُ مَسْمُوعاً بلحنٍ محزنٍ حيناً تحنُّ لهُ دُموعُ سميعِ !
وتراهُ منظُوراً بمرأى عاطِفٍ وتراهُ محسوساً كثيرَ شيُوعِ !
وكأنما نقشتْ كذلكَ رَسْمَها بمدامعٍ حُرِّرْنَ من توقيعِ [2] !
وكأنما هذِي الحَياةُ بأسْرِها صُوَرٌ من العَبَراتِ في المجموعِ !

(١) يشير الى اجادتها الغناء ، وكذلك حال قلبها الباكي !
(٢) أي ان هذه الدموع كانت تحولت قبلا الى ألحان ثم تحررت من التوقيع واستحالت الى الرسم الذي بدأ الشاعر أبياته بالاشارة اليه .

المصلح الاثيم

الاستاذ البحاثة الشيخ علي عبد الرازق

أخطأتَ يا عَلَماً يقودُ الجيلاَ ويُعيدُ للذِّكرِ الجميلِ جميلا
ويعلِّمُ الأبناءَ ذنبَ جدودهمْ ليخطَّ للرُّشدِ السليمِ سبيلاَ
لو كنتَ مَنْ زعَمَ النبوَّةَ باطلاً لعُددتَ أهلاً للخلودِ نبيلاَ !
أوْ كنتَ مَنْ شَرَحَ الحياةَ خرافةً
لَحَسِبْتَ فينا مُصْلِحاً ومُقِيلاَ !
لِمَ قدْ طلعْتَ على الضَّلالِ بجرْأةٍ
هزَّتْ صغاراً صاحَبوا التضليلاَ ؟!
لِمَ لمْ تُنِلْهُمْ مِنْ سُكوتِكَ حَظَّهُمْ
فلقدْ أثرْتَ مناحةً وعَويلاَ ؟!
أزعَجْتَ حالِمَهُمْ ورُعْتَ دَعِيَّهُمْ
بالصَّالحاتِ تجُدُّ التنزيلاَ (١)

(١) نشرت هذه القصيدة بجريدة (السياسة) في مبدأ الحملة على فضيلته من أقلام (الالحاديين) ، وقد أثبتت مجلة (العالم) فيما بعد انه لم يكن لهذه الحملة في الواقع أي باعث من الغيرة الدينية ، وانما كانت سياسية بل شخصية ! المنشأ دبرها الوزير يحيى باشا ابراهيم.

فاشْربْ منَ الحقْدِ الذَّميمِ كُؤوسَهُمْ
وآرْجَعْ لنفسِكَ لائماً ودليـلا !

وَيحي (علىٌّ) اذا نَصَحْتكَ نُصْحَ مَنْ
جَبُنُوا فلسْتَ ـ وانْ ظُنِنْتَ ـ عَليلاَ
إنَّ التي خَطَّتْ سُطُورَ رَجاحَةٍ
يُهْدِي فمي لبنانَهَا التَّقْـيلاَ
حَبِّرْ وحَرِّرْ ما أرَدْتَ فكمْ بهِ
تُحيي مَواتاً أوْ تَرُدَّ وبيلاَ !
أنْقِذْ جُموعَ الغارقينَ بوَهْمِهِمْ
وأَبْعثْ منَ العقْلِ الحكيمِ سليلاَ
وأَدفنْ خرافاتٍ توَلَّى عَصْرُهَا
وآنْشُرْ (كلوثرَ)[1] للصَّلاحِ زَميلاَ
فلنَدْ سئِمْنا طُولَ عهدِ عبادَةٍ
(ايزيسُ) خصَّتْهَا (بمصرَ) طويلاَ

(١) هو مارتن لوثر المصلح المسيحي الشهير . وبهذه المناسبة نذكر ان من رأي الاستاذ الشيخ علي عبد الرازق الاستعاضة عن الخلافة الفردية بهيئة ضامنة للجامعة الاسلامية ، والظاهر أن بعض كبار المصلحين مثل الاستاذ الشالي قد جاراه أخيراً في هذا الرأي .

حتى مضتْ دُنيا الظُّنونِ ولمْ نَزَلْ
للجهلِ أسْرَى لا نرُومُ بديلاَ !

واليومُ عَهْدُ الفِكْرِ لا عهْدُ الهوى
فليحيَ فِكْرُكَ للنُّهُوضِ خليلاَ (١)
للعلمِ لا التأويل يرجعُ رأيُنا وله نصونُ الحُبَّ والتبْجيلاَ
فانْشرْ « إمامَ العَصْرِ » حُكمَكَ هادِياً
تُكْرِمْ به (القرآنَ) و (الانجيلا)(٢)

(١) لقد تراجع شوقي بك (كعادته حينما يتبدل مهب الريح ويخذل الجمهور جماعة الرجعيين) فقال في قصيدته « الخلافة » :

القَيْدُ أفسحُ من عقولِ عصابةٍ زعموا فكاكَ العقلِ في الالحادِ

ثم قال طاعنا في علماء الاسلام :

فاشفوا الممالكَ منْ قضاةٍ صُيِّدٍ قعدوا لصيْدِ ولايةٍ أو زادِ
وتداركوها من عمائم صادفتْ مَرْعَىً من الأَوْقافِ والأَرصادِ

وحشر في قصيدته ماشاء من الاعتذار المزيف عن مواقفه الرجعية وجبنه المعروف عن القيادة الفكرية لأمته ، وخذلانه للمحررين المجددين أو عدم نصرته إياهم ، الى أن يصبحوا في غنى تام عن هذه النصرة منه — بفضل مابلغوه من قوة — ثم يتظاهر حينئذ بتمجيدهم !!

(٢) اشارة الى مذهبه في التسامح والتعاون والتجرد من الاوهام.

انَّ الذينَ طغَوْا عليك (١) تَسابقُوا
لزوالِ دولتهمْ ، فقُمْتَ مُدِيلاَ !

بدعة المحمل

وفاجعة مِنَى

لا العَقْلُ ما يَجْني ولا المِقْدَارُ
يَهوِي (٢) الأَنامُ فتُلْعَنُ الأقدارُ !
يا هولَ طُغيانِ الجهالةِ إنّه
عارٌ ، وهل يُحيي النّفوسَ العارُ ؟ !
أتُهانُ في سمعِ الحجيجِ شعائرٌ ويُفجّعُ الأطْهارُ والأبرارُ ؟!
ليسَ الجُناةُ هُمُ الرّماةُ (٣) وانما الجهْلُ والإغْراء والايغارُ

---

(١) يشير الي جماعة (الاتحاديين) أصحاب السلطة والنفوذ فى ذلك الوقت .
(٢) يسقطون من علو الى أسفل .
(٣) اشارة الى من رموا جند المحمل وابله بالحجارة والرصاص عند استنكارهم هزف الابواق والمزامير فى مكان الخشوع والاحترام ، ووقع ذلك فى أول عيد الاضحية الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣٤٤ ﻫ .

يا بئسَ (محمدكم) وسوءَ شِعارهِ
إِنْ كانَ للوَهمِ العتيق شِعارُ ؟
هو بدعةُ الأَخدار في عصرٍ مَضى
واليومَ تنزَعُ للهُدَى الأَخدارُ

ما كانَ مظهرَ عزّةٍ لدِيارنا أُتعَزُّ بالوهمِ السَّخيفِ دِيارُ ؟ !
إنّا بعَصْرٍ نُورُهُ في حكمةٍ وله منَ العقْلِ السَّليمِ نجَارُ(١)
وجميعُ ما يأباهُ علْمُ سيّدٍ زُورٌ وغايةُ أمْرِهِ أوزارُ
باللهِ أفْتوني لأيِّ كرامةٍ
(المحمدُ) المنصوبُ والمزْمارُ

ولكُمْ منَ الحسناتِ خيرُ مظاهرٍ
ولكم من الأدبِ الصحيحِ فخارُ ؟!
ولِمَ التشبُّثُ بالذِي هو ضَلّةٌ
لا الشَّرْعُ يَرْضاهُ ولا الكُفّارُ ؟!
مَضَتْ القُرُونُ الباكياتُ ولمْ تزلْ
نُؤْذَى ، ونُؤْذِي تارةً ، ونُضَارُ

---

(١) النجار : الحسب .

حتى حُجِبْنا عن حقائقِ عصرِنا أو أنما ليستْ لنا أبصارُ !
فاذا الفقيهُ مُرَوِّجٌ لخلافةٍ ماتتْ ، وآخرُ ما كرٌ أمّارُ !
واذا المقاومُ كلَّ بحثٍ مُرْشِدٍ
يُزْجَى لهُ الإِيثارُ والاكبارُ !
واذا المصغِّرُ كلَّ صاحبِ حُجَّةٍ يهذي كأنَّ عقولَنا أصغارُ !
واذا المعاندُ للحضارةِ خاطِئاً تَبَعٌ لهُ الآمالُ والأَوْطارُ !
حتى غَدَوْنا عِبْرَةً بجُمُودِنَا بَينا الزّمانُ مُجاهِدٌ دَوّارُ !

شُهَداءَ (نجد) جرى القضاءُ بحُكمِهِ
وكأَنَّهُ الزّلْزالُ والإِعْصارُ !
ما أذنبَ الفُرْسَانُ عندَ دِفاعهمْ
كلاّ ، ولا السَّفَهاءُ والأَشْرارُ !
بلْ أذنبَ النَّفَرُ الذين تحكّموا
وتشبّثوا برضى القديمِ ومارُوا[1]
هُمْ مَنْ تمادَوْا في الوساوسِ وابْتَغَوْا
أنّا نُقَادُ بطيْشهمْ ونُسَارُ

(١) ماروا : ماجوا واضطربوا .

واليومَ مِنْ جَرَّائِهِمْ تَلْقَى الرَّدَى
تلكَ النفوسُ وتُسْتَهَبُّ (١) النَّارُ
لِمَنْ الدّماءُ أيا عصابةَ خِزْيِنا ؟ !
لمن المآتمُ أيُّها الأَغرارُ ؟ !
اليومَ يَدْفِنُ باقياتِ غُرُورِكم
شَطْرَ الرَّدى (**الاخوان**) و (**الأنصار**) (٢)

شعبان هَمَّا للحياةِ بعَزْمةٍ سيخرُّ مِنْ ضَرَباتِها الفُجَّارُ
فُجِعا، ولكنَّ الوَفاءَ أبى القِلَى لهما، وأسْدِلَ للعَزَاءِ سِتَارُ

والآنَ ياوَطني الحزينَ تأسِّياً ماشابَ فخركَ في الزّمانِ صَغَارُ
خُذْ عِبْرَةً تُجْدِي لآتٍ حافلٍ
جَرْحَى النُّفُوسِ تَثورُ حينَ تُثَارُ
واهْدِمْ كهُوفَ التَّائهينَ بنومِهمْ
في ظُلْمَةٍ، بينا الوجودُ نَهارُ !
قد يبلُغُ الإعْراضُ عنهمْ فوقَ ما
ترمي المعاولُ والقنا الخطَّارُ

---

(١) تستهب : يطلب هبوبها .
(٢) يعني النجديين والمصريين .

فأنشدْ حقوقَكَ واحتفِظْ بوقارِها
ما كانَ عندَ العابثينَ وَقارُ !
وآعملْ لتوطيدِ الوئامِ واخوةٌ ما للخصامِ بِدِينِنا أعذارُ
العلمُ (**الاسلام**) من جَنَباتِهِ
ما فيهِ منبوذٌ ، ولا مُخْتارُ !
فجميعُ ما تُوحِي الحضارةُ باسمِهِ[1]
رُكنٌ من (**الاسلام**) لا ينهارُ
و (**المسلمون**) هم الذين تآزروا
في الصالحاتِ ، وللمفاخرِ سارُوا
عرفوا التعاونَ رُوحَ كلِّ (**خلافة**)
إنَّ التعاونَ للنهوضِ جِدارُ
واليومَ لا ظلَّ (**الخليفة**) سيدٌ
كلاَّ ، ولا غيرُ العقولِ كبارُ
والحقُّ للدستورِ في أحكامِهِ لا الوهمُ سلطانٌ ولا الجبَّارُ

---

(١) أي باسم العلم .

تحيا الشعوبُ على الكرامةِ إنْ غدتْ
تَرعَى كرامةَ مجدِها وتَغارُ
والجاحدونَ لعصْرِهِمْ (١) فمآلهُمْ
بيدِ الهوانِ مصائبٌ ودَمارُ

عيشي منارَ الشَّرقِ (مصرُ) وحقِّقي
أنَّ الحضارةَ للشُّعوبِ منَارُ !

(١) متعلقة بمحذوف تقديره : خاسرون .

وَحدة الحب

قَلْبي الخَفُوقُ مُصاحِباً أنْفاسي
شِعْري ، وما شِعْري سوى إحْسَاسي
هو مِلْءُ أنْفاسي وفي مَجْرَى دَمِي
كالحُبِّ ، فاتَّحَدَا معَ الأَنْفاسِ !
وكِلاهما لُغَةُ العَواطِفِ حينما هذا جَمالُكِ صامِتٌ مُتَنامي
سأعيشُ أنظمُهُ لُحسْنِكِ دائماً
رَغْمَ التجائِكِ لِلصُّموتِ القاسي
لا أستطيعُ ـ ولو أرَدْتُ ـ تمنعاً
مَنْ ذَا سواهُ ـ وقد هَجَرْتِ ـ يُواسِي؟
والشِّعْرُ مِنْ صُوَرِ الحياةِ لخاطِري
والحُبُّ في جسْمي كَرَاحِ الكاسِ!
فالكاسُ دُونَ الرَّاحِ غيرُ عزيزةٍ
وكذاكَ خالي الناسِ بينَ الناسِ !
سأعيشُ شاعِرَكِ الأَمينَ وإنْ هَفَتْ
رُوحي الى حُسْنٍ شَبِيهِكِ آسِي !

مَنْ ذا الذي يَنْسَى غرامَ شبابهِ
ما دامَ للأَحلامِ ليسَ بناسِ ؟
لي وَحْدَةٌ في الحُبِّ أَسْتَعْلِي بها
وخُلُودُ إيمانٍ كحُبِّيَ راسي
عِيشي وتِيهي في صُدُودِكِ رَبَّةً
تَتَنَعَّمِينَ بحُرْقتي وبيَاسِي !
وعَلَيَّ أَنْ أَشْقَى لأَجلِكِ أو أرَى
مَثَلاً يَنِمُّ عليكِ دُونَ قياسِ
فأَبُثُّهُ حُبِّي لأَجْلِكِ ، إِذْ أَرَى
مَرْآهُ مِنْكِ ومِنْ سَناكِ الكاسي !
وأَعيشُ في دُنْيا الخيالِ بحَسْرَتي
وجَمالُها عندِي جَمالُ الياسِ !

مذهبي

أو دين المستقبل

اذا أنا قَضَّيْتُ الحَيـاةَ مُجَاهداً
كَدُوداً فما في النَّاسِ الاَّ المُجَاهِدُ
وقد ذُقْتُ صابَ العيشِ مَرَّاتِ حينما
دأبْتُ ، ولي بالرّغمِ خاشٍ وحاسدُ
وما أنا مَنْ يَلْقَى معَ النَّوْم حَظَّهُ
ولو ساد في الأحياءِ غافٍ وراقدُ
تأمَّلْتُ في الماضي السَّحيقِ بخاطري
وفي المقبلِ النائي كأَنّيَ شاهدُ !
وآثَرْتُ إخفاءَ الشقاوَةِ مُعْلِناً
رجاءً لهـذا الـكَوْنِ يَلْقاهُ عابدُ
وما آحتَجبتْ عنّي تجاريبُ بيئتي
ولا سُنَنُ الدُّنيا كما أنا وَاجدُ
وكلُّ الذي فيها منَ اللُّؤْمِ والأَسَى
ولـكنني في القُبْحِ واللُّؤْمِ زاهدُ

أرى الدَّهْرَ الأجيالِ خيرَ مُؤَدِّبٍ
وليْس سوى السامي المكمَّل سائدُ
تَسيرُ بنا الدُّنيا الى الحُسْنِ والعُلَى
وإنْ كانَ في الوَعْرِ الطريقِ مفاسِدُ
فأحجُبُ بمثْلي أنْ يزيدَ جمالهَا بياناً وتحبيذاً ، فذلكَ خالدُ
ولا خَيْرَ في نَشْرِ الشُّكوكِ فانَّها
تُحَبِّبُ آمالَ العُلى وتُباعِدُ
أرى الحقَّ كلَّ الحَقِّ رهنَ تفاؤُلٍ
وما كانَ في ليْلِ التشاؤُمِ ماجدُ
وما احتقرتْ نفسي عواملَ قُوَّةٍ
منَ المالِ والذِّكرَى وإنْ ذَمَّ ناقدُ
ولكنَّني لم أرْضَها محضَ غايةٍ
فمنْ يَرْضَها قَصْداً فعانٍ وبائِدُ !
أعيشُ لنوْعي لا لنَفْسيَ وَحْدَها
صدوقاً أميناً ليسَ يَثْنيهِ واجدُ
وآبَى خُنُوعاً في نِفَاقٍ وذِلَّةٍ
وإنْ كُنْتُ مَنْ ضَحَّى فما أنا فاقدُ !

أبثُّ جمالَ الحُبِّ في النَّاسِ هانِئاً
فذلكَ دينٌ للسعادَةِ قائدُ
وغيري يَرى أنْ ينشرَ النقصَ حكمةً
كأنَّ مآلَ النَّاس صَيْدٌ وصائِدُ !
وما الشِّعْرُ الاَّ أنْ يكونَ هدايةً قتُرْفَعُ أحلامٌ ويُنْعَشُ جامدُ
ولا خيْرَ في شعْرٍ يبثُّ ضغينةً
ومُخْطَاً كأنَّ الشِّعْرَ للخير جاحدُ
له واجبٌ كالأَنبياءِ تَطَلُّعاً الى غايةِ الإِنْسانِ إنْ زلَّ كائدُ !
ليكشفْ جمالَ الكوْنِ للنَّاسِ صاعداً
بألبابِهِمْ إنْ أرهقتهمْ شدائدُ
وما عابه الوَصْفُ الصَّحيحُ لعارِهِمْ
ولكنْ به الأَوْلى المُلَى والمحامِدُ
فيخلقُ بالتكرارِ دُنيا جديدةً على مَرِّ أجيالٍ لها الحُسْنُ رائدُ
يعَزُّ إخاءُ النَّاس فيها، ولا يُرَى أقاربُ فيها للورَى وأباعِدُ !

العاطفة المحبوسة

في لَحْظِها أَلَقٌ ، وبيْنَا صَوْتُها بِحُنُوِّهِ يَغْوِي يَعُودُ يَرُدُّ !
تُصْغي اليْها ـ لَسْتَ تدري هل لها سِرٌّ تَبُوحُ بِهِ ، وهلْ يَمْدَدُّ !
وهنيهةً في غَفْلَةٍ محبُوبَةٍ تَهْوالكَ في صَمْتٍ ، وبَعْدُ تَصُدُّ !
تُبدِي التَّظاهُرَ بالحَياةِ وشُغْلِها وتعافُ ذِكْرَ الحُبِّ حين تَوَدُّ !
فاذا أَرَدْتَ تحَدُّثاً عن شأْنِهِ في هذهِ الدُّنيا بَدَا لكَ حَدُّ !

واذا آشتهيتَ منَ الملاحةِ قُبْلَةً
مَنَحَتْكَ ، وهي برغْمِ مَنْحِكَ سَدُّ !

ترْنو الى الوَجْهِ الصَّبيح فلا ترَى
الاَّ الُحبُورَ طَغَى عليهِ الوَرْدُ !
مَعْنًى ولَوْنٌ في عراكٍ دائمٍ وعواطفٌ تشتدُّ أَوْ ترْتَدُّ !
فتحار : لا تدْري أُحِبُّكَ ماثلٌ
وضياءُ ذاكَ الوجهِ فيهِ الوَعْدُ ؟ !
أم أنها تلهو ، وأنتَ بغفلةٍ
تَلْهُو كما يَلْهُو الضَّريرُ العَبْدُ ؟ !

اللؤم

تَبَسَّم في رِقَّةٍ ذاكراً قديمَ الصَّداقةِ منذ الطُّفُولَهْ
وعاتبَ صاحبَه ناسباً اليــهِ التَّناسي لحقِّ الإِخاءِ
وفَسَّرَ هٰــذا بحِرْمانهِ فُرُوضَ المساعدةِ الواجِبَهْ
أليسَ عليهِ لأَجْلِ الاخاءِ مساءٍ لصاحبهِ المُعْرِضِ؟!
فــكيفَ تنكَّبَ تكليفَه بخدمتِه وهيَ أَقْصَى مُناهُ؟!

ولٰــكنَّ صاحِبَهُ لم يَجِدْ من الوَقْتِ فُرْصَةَ شُكْرانِهِ...
فقد طرَقَ البابَ في لهفَةٍ شَقيقٌ لِيُعْلِنَ إِفْلاسَهُ!
وَحيَّرَهُ أَنْ يَرَى خَصْمَهُ يؤانِسُهُ، وهوَ داعي خَرابهْ!
فكشَّرَ منْ كانَ في بَسْمَةٍ، وقال: «أَهنْتَ الصَّديقَ الوَفيَّا
فلا تنتظرْ أَنْ تَرَى ثانياً وُجُودي هنا!»... ثم وَلَّى سريعَا!

الرأى الناضج

صورة من الدنيا

للنَّاس في الرَّأيِ « الأَصَحِّ » خُرافَةٌ
محبوكةُ الأَوْهَام الأَوْهام!
هُوَ ما يُرَدِّدُ حينما ترديدُهُ خاوٍ من الأصداءِ والأَحلامِ !
(عُمَرٌ) يقولُ ، و (بكرٌ) يذكرُ قولَه
كمقالِهِ ، و (بَخِيتُ) بُوقُ كلامِ !
حتى يجيئكَ (خالدٌ) بِرَائِهِمْ لِتَرَاهُ أنتَ نهايةَ الأَحكام !
فاذا لحظْتَ به « التَّسَلْسُلَ » ، رافضاً
تَقْدِيرَهُ حُوسِبْتَ مِثْلَ غُلامِ !
واذا رأيتَ بهِ خَصيمَكَ ساتراً حِيَلاً لهُ ، فعليكَ ألفُ سلام !
الحكمةُ الكبْرى خُضُوعُكَ خاشِعاً
لزرايةِ الجُهَلاءِ واللُّوَّام !
أمَّا الإِباءُ : إباءُ مَنْ هُوَ عارفٌ حقًّا لهُ فسخافةُ المُتعامي !
واذا أطَعْتَ دَسيسةً محبوكةً لعدوِّكَ الرَّامي فأنتَ السَّامي !

خُذْ ما تَشاءُ من الحياةِ تجِدْ بها
عَكْسَ الحقيقةِ شهْوةَ الأَحْزامِ (١)
الحُسْنُ فيكَ يَراهُ خَصْمُكَ غايةً
في القُبْحِ حينَ يراكَ مثلَ رَغامِ
ويرى أحبَّ الطَّعْنِ طعنكَ هكذا
بيدِ الصَّديقِ ، وما الصَّديقُ الرَّامي
فتعودُ تَسْمَعُ منْ صديقِك ذمَّهُ (٢)
في قالبِ النُّصْحِ السَّخيفِ الذَّامِ !
وتُذَاعُ عنكَ غرائبٌ يكفي لها ترديدُها لتدُومَ كالآثام !
لا يعرفُ الجمهورُ قُوَّةَ منطقٍ وقواعدَ التَّفكيرِ للأَفهامِ
بلْ يكتفي بعقيدَةٍ غلاَّبةٍ بتكرُّرٍ ، ويُسَاسُ كالأَغنامِ
ولطالما حاكى « الأَئِمَّةُ » جَمْعَهمْ
في الوَهْمِ ، واستُدرِجُوا على استِسْلامِ !
ما أكثرَ « الدَّهماءَ » في « الافرادِ » ، بل
ما أشبهَ « الأَفرادَ » بالأَصنامِ !

---

(١) الأحزاب . (٢) اى ذم الخصم لك على لسان صديقك المخدوع .

الخير والشرّ

اَلخيرُ والشَّرُّ تَوْأَمَانِ مِنْ خالِدِ الكَوْنِ والزَّمَانِ !
تَفَرَّقَا ظاهراً ولُكِنْ تَلاَقَيَا عِنْدَ كلِّ آنِ
كِلاَهُما عامِلٌ ، مُجِدٌّ لنهْضَةِ الفكْرِ والجَنَانِ !
كِلاَهُما خادِمٌ أمِينٌ لواهِبِ الخُلْدِ والجِنَانِ !
تأصَّلاَ في الوُجُودِ حتى تملَّكاهُ بلاَ تَوَانِ
أصْلاَهما واحدٌ ، وهذا سليقةُ النبْلِ لا الهوَانِ
كِلاَهما هادِمٌ لخَلْقٍ وهادِمُ الخلقِ بَعْدُ بانِ
يُنقِّحانِ ويُصْلِحانِ ويفحَصانِ ويَهْدِيانِ !
وربَّ شرٍّ قدْ عُدَّ خَيْراً وربَّ خيْرٍ أباهُ[1] عانِ !
مُناسَباتُ الزَّمانِ تَقْضي بذلكَ الخُلْفِ ، والمكانِ
ونحنُ في جَهْلِنا مِراراً نخلطِ أحكامِنا نُعاني
فما الشُّيوعيُّ بالشُّيوعِي ولا الأناني بالأناني
نَنْسَى اتّجاهَ الحياةِ دَوْماً الى سُمُوّ وللأَمانِ
ولو ذَكَرْنَا لما كَفَرْنَا بالعِلْمِ ، والعِلْمُ كالضَّمانِ
مُنَبِّيءٌ أنَّنَا سنَمْضِي لغايةِ النُّبْلِ والأَماني

(١) رفضه .

وليْسَ خيْرٌ هُناكَ مَحْضْ كلاَّ ولا الشَّرُّ في رِهانِ
وأحْكَمُ النَّاسِ مَنْ تَخَلَّى في الحُكمِ عن شَهْوَةِ لفانِ
ومَنْ رأى الكَوْنَ في أطّرادٍ للنبْلِ في ذمَّةِ الزَّمانِ !

الضريبة

أتى بأقذَرِ أسمالٍ يُنقّطها عَدَّ الخُرُوقِ ذُبابٌ في أبابيلِ
ووَجْهُهُ وَجْهُ خِنزيرٍ ، ومِشيتُهُ
كالتَّيْسِ في عَرَجٍ حِيناً وكالفيلِ !
وحَوْلَهُ صِبْيَةٌ لا هَمَّ يشغلُهُمْ
الاَّ اقتِناصُ البرَايا بالأَضاليلِ
تمسكنوا تارَةً والذُّلُّ شارتُهُمْ
الاَّ لعارفِ هاتيكَ الأَحابيلِ
فَحَظُّهُ أنْ يُلاَقي مِنْ شَتَائمِهِمْ
وسُخْرِهِمْ - حَرَجاً - أحْجارَ سجِّيلِ

ومِنْ بذاءَةِ ما يُلقيهِ قائِدُهُمْ
ما بينَ شَرْحٍ لهمْ حيناً وتكميلِ !
تحرَّكوا كوباءٍ لا تُطهِّرُهُ
نارُ الجحيمِ ولا رِضوانُ (جِبريلِ) !

ومَرَّةً كنتُ أمشي قُرْبَهُم فاذا
بجَمْعِهِمْ بينَ تكبيرٍ وتَهْليلِ !
وذاكَ السَّائلُ المَلْعونُ تحْرُسُهُ
عِمامةٌ مِثلُ اسيادٍ بهاليلِ !
خضْراءُ صفراءُ كالبرسيمِ خالطَهُ
رَوْثُ البَهائمِ في حُسْنٍ وتحجيلِ !
و (أمُّ زينب) تدعو أنْ يُبارِكَها
وقدْ أتتْ بنذُورٍ في المناديلِ !
بينْا يُقادُ تجاهَ «القِسْمِ»[1] في غَضَبٍ
باسْمِ النِّظامِ قَفًى في غيرِ تضليلِ

(١) مركز الشرطة .

هـذا الأَمينُ الذي يدعو لِسِلْعَتِهِ
عان ، وسار قُنا زاهٍ بتكليل !
فقُلْ لهم آسفاً ، بلْ ناجياً ، وأنا
أظُنُّ لي هيبةً تَحْمي ، وتكْفِي لي!
حتى اذا جئْتُ بيْتي راعني خَجَلاً
جيبي الجريحُ ، فلم أحتجْ لتعليلِ !

الرجاء

قالوا الهِجاء له فُنونٌ جَمَّةٌ ! آمَنْتُ ! لكنْ كُلُّها هَذَيانُ!
ليسَ الفَتَى الهَجَّاء رَغْمَ ذَكائِهِ الاَّ فَتًى قدْ فَاتَهُ البُرْهَانُ !
وأرى الأَدِيبَ اذاتَسَفَّلَ هاجياً غيرَ الأَديبِ سَمَا بِهِ الوِجدانُ
فيم الهِجاء وفي الأنام جميعهمْ خَيْرٌ ؟ فيكفي العَدْلُ والتِّبيانُ
ما هانَ مَنْ خَدَمَ (الحقيقةَ) مُخْلِصاً
بلْ نال مَنْ يَطْغَى عليهِ هَوَانُ

بين ملك وجندي

ابن السعود وعسكري مصري

«لم يقع ما سنرويه لجندي من جنود نابليون ولا لعسكري من عساكر العصور الحربية المشهورة ، وانما وقع لجندي مصري ، فقد روى لنا بعض الذين رافقوا المحمل المصري بالحجاز قصة ظريفة وهي انه لما اعتدي على المحمل في (منى) أمر أمير الحج الحرس بأن يحيط بالمحمل وركبه ومن معه من جميع الجهات ويضرب حوله أطاقا ، وأمر الجنود بأن لا يسمحوا لأحد باختراق النطاق . ولما وقع الحادث جاء الملك ابن السعود ومعه امراؤه واخوته وحاشيته وكانوا جميعا بملابس الاحرام . ولما وصلوا الى النطاق العسكري تقدم الملك لاختراقه ، فقال له العسكري الذي كان في مواجهته ان الأوامر تحرم عليهم أن يسمحوا لأحد باختراقه . فقال : ولكني الملك ! فقال العسكري : ان الاوامر التي لدي عامة وليس في استطاعتي أن أخالفها . فقال للملك : ولكني سأمر . وتحرك الملك يريد اختراق النطاق . فقال العسكري اذن سأضطر لمنعك بهذا ! وسدد السونكي الى صدر الملك ابن السعود ؟

ولما لم يجد ابن السعود سبيلا للمرور أرسل الى أمير الحج فبادر اليه ، ولما روى له الملك القصة قال عزمي باشا : مثل هذا الجندي يعد من خيرة جنودي»

من صحيفة (الاهرام) المؤرخة أول أغسطس سنة ١٩٢٦

أنتَ الصغيرُ العظيمُ يَجِلُّ فيكَ النَّظيمُ
وحارسٌ مستعِزٌّ علاهُ مَجْدٌ قديمُ

وقفتَ وَقْفَةَ سدّ حَواهُ حِصْنٌ جسيمُ!
يخافُ منه شَقِيٌّ (١) ويرتجيهِ الحكيمُ (٢)!

أكْرِمْ بمثْلِكَ أكْرِمْ! أنتَ الأبيُّ الكريمُ
تَضَنُّ بالعِرْضِ ضَنّا كما يضَنُّ العديمُ!
وقدْ تَجُودُ بروحٍ ولا يُقالُ الغريمُ!
فالواجبُ الفَرْضُ دِينٌ لدى حِماكَ يُقيمُ!
إغفالُهُ أيَّ جُرْمٍ وإنْ أطافَ الجحيمُ!
أبَيْتَ سؤْلَ مَليكٍ حتى أجازَ الزَّعيمُ
فكُنْتَ نِعْمَ المُفادِي وكنْتَ نِعْمَ الحليمُ
وكنْتَ (للنيل) فَخْراً اذا تحدَّى الخصيمُ
سلمتَ خُلْقاً متيناً فكانَ نَصْرٌ سليمُ
وأعتزَّ جيْشٌ وأهلٌ ورِيعَ جانٍ أثيمُ
أُخلِقُ بُنْيانُ مَجْدٍ أُخلِقُ شيءٌ عظيمُ!

---

(١) اشارة الى الاعراب المناوئين .
(٢) اشارة الى موقف الملك ابن السعود ... .

تَمضي شُعُوبٌ ويَبقى بالخلقِ شعبٌ قويمُ
الضَّعْفُ ذُلٌّ ، ولٰكنْ الجبْنُ موتٌ ذَميمُ
ليْسَ الفَخارُ بفَرْدٍ إنَّ الفخارَ العميمُ

دُعيتَ جُندي (مصر) وأنتَ أنتَ الزَّعيمُ !

سعد القاهر

وآمالنا القومية

نظمها الشاعر لمناسبة فوز السعديين الساحق بالانتخاب البرلماني
في مايو سنة ١٩٢٦

عُدْ للشَّريفِ الحُكْمِ بعدَ غيابِهِ
لولاَ ايابُكَ ما ازْدَهى بايابه!
وارقأْ مكانَكَ في السِّياسةِ فاتحاً
بمآثر الفذِّ العظيمِ النَّابهِ

تتناثرُ العَقَباتُ حولكَ مثلمـا
يرمي الأتيُّ السَّيلُ نثرَ عُبابهِ (١)
مُلِّكتَ ما تهَبُ الحيـاةُ بخبرةٍ
مِن نقْمةِ المـاضي وهوْلِ صعابِهِ
وبلغت مرتبةَ الزَّعامةِ مثلمـا
جازَ الشَّمُوخُ الرأسِ (٢) حِصْنَ سحابهِ

خدعَ المعاندُ وهْمَهُ وغُرُورَهُ ـ مثلَ النَّعامةِ ـ في لقاءِ مُصابهِ!
إنّا بعصْرٍ للمشورَةِ أمرُهُ لا للطَّغَاةِ القابعينَ ببابهِ
وعليَّ تهنئةُ الذينَ تضافروا والعرشَ للدَّستور يومَ مآبهِ
سيبثُّ شعري مِن بيانِ مشاعرِي
في يومِ عودَتهمْ وفيَّ خِطابهِ
اليومَ حسبي ياعظيمُ تحيّتي لوقارِ عقلكَ أو لنُورِ صوابهِ
لله آيةُ صبركَ الباقي كما يبقى هُدى الإيمانِ بعدَ سرابهِ
لا يعرفُ الشعبُ الهزيمةَ إنْ رَأى
نهجَ الفلاحِ فسارَ فوقَ شِعَابهِ (٣)

---

(١) عبابه : موجه . (٢) اي الجبل الشاهق .
(٣) الشعاب : طرق الجبل ، والمقصود الطرق الشاقة .

والعمرُ للأمم القرُونُ ورُبما
تمضي الفرُونُ وعمرُها بشبابهِ !
وغذاء قوتها متانةُ خلقها
ودوامُ نهضتها دوامُ جوَابهِ
إنْ نالها التَّشكيكُ (١) في آمالها
هجمَ الزمانُ بظُفْرِهِ وبنابهِ
واذا أبتْ الاَّ البلوغَ لحتِّها
فالحقُّ مردودٌ الى أصحابهِ
وأرى الجهادَ منَ الجَلاَدةِ (٢) سيفهُ
وأرى مآلَ الظُّلمِ تحتَ حِرابهِ !

(١) التشكيك : الالقاء في الشك . (٢) الجلادة : الثبات والصبر .

الدستور الفاتح

١٠ يونيو سنة ١٩٢٦

أرأيتَ كيفَ مصارعُ الأهواءِ ؟ !
كيفَ الحُقوقُ تعودُ للعلياءِ ؟ !
كيفَ الحُماةُ اذا المصائبُ رَوَّعَتْ
وقفوا لها سدّاً وحِصْنَ اباءِ ؟ !
كيفَ الأساةُ اذا الجِراحُ تعاقبتْ
هرعوا الى التضميدِ والإِحياءِ ؟ !
كيفَ الرجالُ اذا الخُطوبُ تحكّمتْ
غلبوا بحكمةِ أشرَفِ الحكماءِ ؟
نفضوا (١) النراعَ كما ينفّض رُدْنَهُ
مَنْ كانَ مَلِقيًّا على الغبراءِ !
وتدثّروا عبادي يُسْمُ بها كتحصن الطيّار في الأجواءِ !
هي دِرعُهم ومَلاذُهم بعواصِفٍ وضمانةٌ لحرارةٍ ورجاءِ

---

(١) نفضوا : أسقطوا . والملقي لغة بمعنى الممتحن الذي لا يزال يلقاه المكروه ، ومجازا هنا بمعنى العاني المنهزم .

فخروا كما فخرَ الأَسيفُ لامسِهِ المستعِزُّ بيومِهِ الوضّاءُ
والحِلْمُ كلُّ الحِلْمِ مَحْوُ خطيئةٍ بالتَّوْبِ والتكفيرِ لا الاغضاءِ
اللهَ في جرْمِ التَّشاحُنِ بينما يَبكي لهم وَطَنٌ أمرَّ بكاءِ !
قد كفكفوا عبراتِهِ بصُدورهم
وتَصدَّروا شَرَفاً ليوْم نداءِ !
وتساندوا شطرَ الجَنيبِ كأنهم سَدٌّ يصدُّ تدخُّلَ الدخلاءِ
أو (**مائطُ الصين**)[1] العظيمُ مكرَّراً
إعجازُهُ من نخوَةٍ وإخاءِ !
وكأنما عرفوا الحقيقةَ ثانياً بمشاعرِ الأحياءِ في الشُّهدَاءِ !
قتلوا بأيديهمْ ودُونَ ندامةٍ ما شَبَّ حولَهمُو من الأهواءِ!
وهيَ التي آنتَسبتْ لهمْ ببنوَّةٍ فأبوْا ابوَّةَ نقمةٍ وشقاءِ!
ومَشَوْا على اشلائها ودمائها
مشْيَ الشجاعِ أسًى على الرَّمضاءِ[2]!
وكأنما (**دارُ النيابةِ**) مَعْبَدٌ وكأنما المحرابُ عهدُ وفاءِ !

---

(١) هو سور الصين الذي بناه الامبراطور (تسن شيه هوانجتي) الذي حكم الصين من سنة ٢٤٦ الى سنة ٢٠٩ قبل الميلاد ليحمي مملكته من التتار، وكان طوله ١٤٠٠ ميل، وارتفاعه ما بين ٢٠ و ٣٠ قدماً.

(٢) أسى: صبراً. والرمضاء: الارض الحامية من شدة حر الشمس.

أهلاً أباةَ الضَّيْمِ بعدَ تناطُحٍ !
أهلا بُناةَ الخُلدِ بعـدَ فناءِ !
أهلاً بعودَتِكم الى سلطانكم فالعرشُ عرشُ نيابةٍ وقضاءِ
سلطانُكم تاجُ الجلالِ، وحكمُهُ
حكمٌ على الأفرادِ والدُّهَماءِ
مَنْ هدَّ قوّتكم تزعزعَ بأسُهُ فالشعبُ موئلُهُ لربّ سماءِ !
أهلاً ! يرفُّ بهِ الفؤادُ وخاطري وتَهشُّ منْ طَرَبٍ له أعضائي
ولو آستَطعْتُ اليومَ جئتُ مقبّلاً
آحادَكم فرْويتُ بعـدَ ظماءِ !
مَرأًى يحن لهُ المحبُّ بلادَهُ بعدَ الجوى ويُمِرُّ عينَ الرّائي
ويُكبُّ طاغوتُ العداةِ أمامهُ ويخرُّ حكمُ الظلمِ بعـد سناءِ
وكأنما عِيدُ العدالةِ كلّها هذا العظيمُ النّصرُ شاقَ ازائي!

***

أنْصت الى هذي المدافع ! قصْفُها
ما كانَ أبلغ منْ عزيزِ ندائي !

ومِن الحوادِثِ والمَواعِظِ ما بهِ تُوفي الجلالةَ ألسنُ الشّعراءِ !

وآسمعْ (**خطابَ العرشِ**) : إنَّ بيانَهُ

هذي النفُوسُ ، وروحَهُ املائي !

فالشعبُ سيدُ نفسهِ وديارِهِ إنْ صانَ حُرْمَةَ حقِّهِ لبقاءِ

وانظرْ الى هذي الوجوهِ تلألأتْ

والى الصدورِ تدفَّقتْ برضاءِ

والى المشاعرِ بُلِّغتْ آمالَهَا والى العواطِفِ مُتِّعتْ بجزاءِ

والى مَعالمِ عهدِ صدقٍ بالغٍ للنفعِ والإصلاحِ بالعُلماءِ

وتعالَ شاطرْني الحُبورَ مصفّقاً ومهلّلاً ، ومهنّئاً بشفاءِ

وتحلَّ بالعلمِ الخفوقِ مموَّجاً طرباً كسندسِ أرضِهِ الخضراءِ

إنا لسانُ الشّعب قبلَ عُيونهِ (١)

وكذا تكونُ مراتبُ الأُدَباءِ

ولنا « خِطابٌ » في النصيحةِ سيّدٌ

يُشْتَقُّ منْ حُبٍّ وطُهرِ ولاءِ

قُلْ في مقامِ الذّكر: هٰذا يومُكم

لضمانِ عصرِ تعاوُنٍ وعَلاءِ

---

(١) العيون : صفة « الاشراف » و « السادة » .

ولِعزَّةِ الدُّستورِ كلُّ جلالهِ ولقوَّةِ الدستورِ عَوْدُ بِناءِ
لا تحسَبوا أنَ المشا كلَ حولكم
هيَ دَفْعُ مُحْتَلٍّ وقِسمةُ ماءِ!
ليستْ وحقِّ اللهِ غيرَ شعوركمْ
حقَّ الشعورِ بواجبِ الزملاءِ
كلٌّ يقدّسُ ما يحقُّ لغيرهِ مهما أجيزَ تباينُ الآراءِ
كلٌّ بذمّتهِ خلاصُ بلادِهِ فتُوجِّهونَ لها أبرَّ وَقاءِ
وتهذِّبونَ وتُنشئونَ بلاَ وَنًى وتحرِّرونَ مرافقَ الأبناءِ
فمتى غدَوْتُمْ سادَةً ببيوتكم
هَانَ الدَّخيلُ فرَاحَ غيرَ مُرَاءِ!

قبلة الجمال

يا سمائي يا سنائي يا إلهَ الشُّعراءْ !
يا سَقامي يا دَوَائي يا همومي يا رجائي !
أنتِ مِحْرَابي وربّي في صلاتي ودعائي !
أنتِ رَيحاني ورُوحي لم تُجزَّأْ في التَّنائي !
تجذبينَ الحُسنَ جذباً يا ملاذاً للضياءْ !
قُرْبُكِ المعشوقُ قربٌ لافانين الهنـــاءْ
والنّوى شِبهُ امتِحانٍ لثباتي ووفائي !
فاذا كلِّي مطيعٌ وصَبورٌ في عنائي
لستُ غيرانَ ، فاني أنتِ، يانُعْمَى شقائي
كلُّ ما يهفو اليكِ لا يُساوبني بدائي !
مالي[1] ذرّاتِ جسمي فائضٌ فيضَ الإِناءْ
ليتني مُتُّ بنارٍ منكِ في يوم اللقاءْ
كفَراشٍ[2] في جُنونٍ حولَ نُورِ الكهرباءْ!
ليتني أفنيتُ عمري فبكيتِ في رثائي !

---

(١) أي داء الهوى . (٢) فراش : جمع فراشة ، وهي الحشرة الطائرة المعروفة التي تتهافت على السراج فتحترق .

صديق الروح

ابيات ترحيب ارتجالية بالأديب المفضال الاستاذ عبد القادر عاشور

أهلاً (بعبد القادرِ) أهلاً بأنسي النادرِ !
المُستطَابِ لخاطِرِي والمستحَبِّ لناظري
يأتي كما يأتي الحيا متعطّراً بأزاهرِ
متواضعاً بمفاخرٍ متلألئاً ببشائرِ
تتفتّحُ الأكمامُ عن دَ لقائهِ كخواطري
فيخصّني بجميلهِ وأخصُّهُ بسرَائري !
ويبثّني آمالَهُ آمالَ قلبٍ عامرِ
فيسيلُ منّي الشّعـ رُ بالاعجابِ غيرَ مُفاخرِ
الاّ بتحقيق الوفا ءِ لصاحبي ومَشاعرِي
ومِنَ الصَّداقَةِ مُلْهِمٌ كالرَّوْضِ حَوْلَ الطَّائرِ
فيسيرُ بعدَ رضائهِ شعري كحُبِّ سائر
أستافُهُ مِنْ فضلهِ كَسُلافةٍ لمحاجرِ
وأعيدُهُ النَّغَمَ الشجيَّ لعاشقٍ ولشاعرِ
أهلاً ! وأهلاً يا صديـ قَ الرُّوحِ قبلَ دفاترِي !

نشيد الملائكة

CHORUS OF ANGELS

قصيدة تصوّفية

معربة بشعر مرسل حر من نظم ، شكسبر هولاندا ، (جوست فان دن فوندل ـ Joost Van Den Vondel) اعتماداً على ترجمة السير جون بورنج المذكورة في الجزء السابع من (الموسوعة الدولية للآداب الشهيرة - International Library of Famous Literature) والتي يحول ضيق الفراغ دون نشرها في هـذا الديوان للمقابلة

ولد هذا الشاعر العبقري في سنة ١٥٨٧ م . وتوفي سنة ١٦٧٩ م. ، والصورة الرمزية التالية من رسم النقاش الخالد الذكر رينولدز . (الناظم)

مَنْ المُسْتَوِي فَوْقَ أَعْلَى السَّماءِ جليـلاً ويملأُ عُمْقاً لِتَبْرِ
وراءَ الخُلودِ وخَلْفَ الزَّمانِ وخَلْفَ الفَضاءِ القَصِيِّ السَّحيقِ ؟!
على نَفْسِهِ وَحْدَهُ في اعتمادٍ يَظَلُّ دَواماً جليـلا خفيّا
وفي ذاتِهِ قاهراً ينتهي جميـعُ الذي حَوْلَهُ ولَدَيْهِ.
ومِمّا جهلنا ومِمـا علمنا عن الأَصْلِ والمبدأ الأَوّلِ :
خِضَمٌّ ومِنْ فَيضِ أمواهِهِ على الأَرْضِ مِنْ تحتِهِ نِعمةٌ
تُذَبِّبُهُ أَبْهَى الشُّعاعِ الجميلِ لأَكْرَمِ ما عزَّ مِنْ غِبْطَةٍ.
بِقوَّتِهِ ثَمَّ مِنْ حُبِّهِ وحكمتِهِ كانَ مبدأُ دُنيا
فَمجَّدَها مَوْقِظاً مِنْ سُباتٍ، وكَوَّنَ قَوْساً لها مِنْ نُجُومِ
ومَعْقُودَ قَصْرٍ هُناكَ، وأَسْمَى سَماواتِهِ، في ابتِسامِ لأَرْضِ!
ومِنْ أَلَقِ لجلالِ لهُ ظَلَّ بأَجْنِحَةٍ ساترَهْ
لَنَا، بينما نَحنُ في خَشْيَةٍ ورَوْعٍ وفي رَعْشَةٍ غالبَهْ
نَزِفُّ الثناءَ لأَسْمَى المُلوكِ بلحْظٍ كليـلٍ وحِسٍّ تحيَّرْ!
ألا فاذْكرُوا إِسْمَهُ، بلْ صِفُوا العظيمَ المُسَوَّدَ فَوْقَ العِظَامِ!
لِيَتْبعْهُ مِنْ قُدُسيِّ الثَّناءِ ثناءُ الملائكةِ السِّيَرِ فيهِ!
فانْ عزَّ هذا فهلْ كانَ ذلكَ بحْثاً عظيماً سَمَا عنْ كلامِ؟!

تلبية

RESPONSE

إِنَّهُ الرَّبُّ مَنْ يُرِيقُ وَهيجاً لحياةٍ في النورِ : نَبْعِ الوُجُودِ !
اغْفِرْ المَدْحَ ، فهوَ واهٍ ضَئيلٌ مِنْ جُمُوعِ الأَحْياءِ والأَمْواتِ!
لم يقلْ اسمَكَ الفريدَ لسانٌ ، فهوَ رَوْعٌ لا يَحْتويهِ فضاءُ !
والمَلاكُ الذي تَطَلَّعَ للسِّرِّ كَسيرُ الجَناحِ لنْ يَسْتطيعَا
بينما كُنْتَ ، ثُمَّ انكَ باقٍ ، وستَبقَى بلا تحوُّلِ حَالِ .
أُخْرِسَ القَوْلُ ، والتَّخَيُّلُ والعِرْفانُ والعِلْمُ في سقوطٍ لِعَجْزِ
فهيَ جَمْعاءُ كامتهانٍ مُذَالٍ حينَ يارَبُّ تحتوي كلَّ شيءٍ !
عَبَثٌ أنْ نُطيلَ في ذلكَ الفِكْرِ ! فَمَنْ ذا الذي تَعَرَّفَ سِرَّكْ ؟
أنتَ رَبُّ الخَفاءِ ؟ هلْ كانَ للأَمْلاكِ أنْ يَغْتَدُوا لساناً لوحيكْ
أنْتَ يامَنْ يَدُومُ خالصَ نَفْسِهِ ؟ !
ليسَ منْ يستطيعُ أنْ يتبعَ الإِثْرَ لهذا الجَلالِ مِنْكَ قديرَا
حيثُ لنْ يَسْتَطيعَ في الخَلْقِ فَرْدٌ يقبسُ النورَ مِنْ سَنَا إِشْعاعِكْ
أنتَ يارَوْنَقَ الوُجُودِ ونَبْعَ الوَقْتِ بلْ أنتَ ياخُلُودَ الخُلُودِ !
إِنَّ نُورَ النُّورِ الذي فاضَ يُعْطينا خلاصاً في طيْرِهِ[1] الفِرْدَوْسي

---

(١) بمعنى طيرانه . وفي الأصل : flight elysian .

وهوَ أبْهَى من نُورِ رَحمتِكَ العُظْمى ولٰكنْ أبصارُنا في كَلالِ!
فهيَ لَنْ تَسْتطيعَ مَهْما أرَدنا لعياءٍ تَطَلُّعاً نحوَ ذاتِكْ!
ثُمَّ إنَّا ما بَيْنَ يَوْمٍ ويومٍ نتلاقَى والعُمْرَ في الشَّيْخُوخهْ!
حيثما لا نلاقيكَ يارَبُّ يوْماً، فَقُوَاكَ الحياةُ حِفْظاً ودَفْعَا!
نَحْنُ نُثْني عليكَ، نحنُ بشَدْوٍ دَائمٍ أيُّها المقدَّسُ نَدْعُو
فليكُنْ دائماً ثناؤُكَ حيًّا في جميعِ الوُجُودِ، في كلِّ أرْضِ
ولتكنْ عندكَ السَّلامةُ ذخراً، بينما أمْرُكَ المُقدَّسُ دَوْمَا!

أصل الانسانية

أذُمّ زماني لاَعناً سوءَ أهلهِ
فأُحْسَبُ أنّي لا أرَى فَضْلَهُ فضلاَ
وما أنا مأسورَ السَّوادِ [1] وانمـا
أحنُّ الى الإصلاحِ والمَثلِ الأَعْلى
وعندي أنَّ الخلقَ في حالِ ظافرٍ
يئنُّ بعبءِ المُرْتَقِي كلّما استعلى
وأنّا بعصْرِ الضَّعْفِ حيناً وغالباً
بعصْرٍ يرَى أهليهِ بالمُنتَهى [2] أهلاَ
فعُذْراً على بعضِ الشّكوكِ ولا تكنْ
على بَعْض وَجْدِي مَنْ يرَى حَقَّه العذْلا
فانّي رسولٌ في الرَّجاءِ الى غدٍ
أُبَشِّرُ بالآتي الذي يُكرِمُ العَقْلاَ

(١) يعني ليس سوداوي المزاج .
(٢) اي بمنتهى الرفعة .

لئنْ طَحَنَ الدَّهْرُ الأَنامَ فانّ
أحِسُّ بأنَّ الدَّهْرَ لنْ يطحنَ الأصلاَ
وأنَّ ممـاتَ الخلْقِ عُمْرٌ مُجَدَّدٌ
فانْ تَنْعَ فَلْتَنْعَ المظاهرَ والشَّكلاَ
وثِقْ بالغدِ الآتي لجنْسِكَ [1] بالمنى
فلا يعرفُ الإنْسانُ ضَيْماً ولا ذُلاَّ !
ويملِكُ أسْرارَ (الطَّبيعةِ) فاتحاً
ويعبدُ فيهِ [2] الحقَّ والعِلمَ والعَدْلاَ !
ويبلغ غاياتِ الخلودِ بذَبلِهِ
ولا يكرَهُ التُّرْبَ الذي صانه قبْـلاَ
ويعتقدُ العيْشَ البقاءَ وانْ غدَا
جَماداً ، وأنَّ المجدَ أنْ يَهزِمَ الجهلاَ !

---

(١) الجنس البشري . (٢) أي في الغد

القدر

من ناظم الديوان الى ناشره

أتاني شجيٌّ بدمعِ الطَّريدْ ولو أنّه في ثيابِ العميدْ !
فقلتُ : « ومَنْ أنتَ يامَنْ أُهينْ ؟ »
فقال : « أنا (المالُ) نجوَايَ دينْ :
ولٰكن صديقُكَ لم يَرْضَ حُكمي
وحقّرني رغم دِرعي وسهْمي !! .... »
وإذْ كاد يفرغُ من بثّهِ ومن سُخطِهِ الجمَّ أوْ عبْئهِ
هُنالكَ أقبلَ في إثْرِهِ ينوحُ ويجبرُ من كسرِهِ
عظيمُ العِمامةِ في جبّةٍ كأنْ هيَ مُدّتْ على دُبّةٍ :
فقلتُ : « ومنْ أنتَ يا ابنَ الكرامْ »
فقالَ : « أنا الحسَبُ المُسْتضامْ » (١)
وقاطعَهُ ثالثٌ صارخٌ ! وآخرُ في همِّهِ راضخُ !
وآخرُ كم سادَ قوماً ونالْ وكم أوْرَثَ المُضعفين السُّلالْ !
فقلتُ : « اذنْ فارقوني فانّي صديقي بروحي وعقلي وذِهني !

(١) أي المستضام الحق . يقال : استضامه حقه أي انتقصه اياه .

فكلُّكمُو مِنْ أذَلِّ الأَنامْ بمحْضِ الخداعِ وسُبْلِ الحرَامْ !
ولولا الجهالةُ لم يحتكمْ سوى الفكرِ، فهوَ الأَجَلُّ الأتمّ !
فراحوا وأدْهشَهُمْ ما لقُوا فكم قد تعبَّدَهُمْ مُرْهَقُ
ولكنْ أتى بَعدهم شامخًا وحيَّا وقال : أتنْسى أخَا ؟

فقلتُ : « ومَنْ أنتَ ؟ » قال : الرَّسولْ
أُمَثِّلُ صِدْقاً صديقاً سَؤُولْ (١) !

« وانّي لهُ كلُّ ما في الحَياهْ ثَراءٌ (٢) وبأسٌ ومُلْكٌ وجَاهْ

فقلتُ : « ومَنْ أنتَ باللهِ قلْ لي ؟
ألستَ (النَّبوغَ) بحذْقٍ وفضْلِ ؟ »

فقالَ : « نعمْ .. ! » قلتُ : « نِعمَ الخليلْ
ونِعمَ الرَّسولُ ونِعمَ المثيلْ (٣) ! »

فيا (حسنٌ) ألفَ شكْرٍ لُحلْمي
فقدْرُكَ في الحُلْمِ تمثالُ عِلْمي !
فقلْ للغبيِّ الذي ما دَرَاكَ : « حِجايَ يساوي مراراً غِناكَ ! »

(١) السؤول : الكثير السؤال . (٢) الثراء : الخير .
(٣) المثيل : الشبه والنظير ، وأيضاً بمعنى الفاضل .

اليها...

مقتبسة من قصيدة لجان ريشبان نقل عباراتها الى العربية الناشر
ونظم معانيها صاحب هذا الديوان

لجمـيلِ صَوْتِكِ نغمةُ البلُّورِ
فلكم أذُوبُ له بذَوْبِ حُبُوري!
وأكادُ مِنْ فرْطِ اغتباطي والهوى
يُغْمى عليَّ لعطْفِكِ المبرُور!
أطبقْتُ عينيَّ التِذاذاً مُمْتِعاً
بَينا انحنيْتِ على الفتى المصدُورِ
وهمستِ فوقَ الصَّدْرِ همسةَ رحمةٍ
وكأنمـا حدّثتِ لُبَّ ضميري!
فاذا سكرْتُ ـ وقد سكرتُ ـ فانما
مِنْ صَوْتكِ الفتّانِ سُكْرُ شعوري
ولو أنَّ أنفاساً لديكِ طهورَةً
جادَتْ على حلواكِ بالتعْطيرِ!
هيَ وحْدَها تكفي لسحْري، انما
في صَوْتِكِ المحبوبِ سِحْرٌ قديرِ

تُمْتَصُّ (١) مَصَّ الثَّغْرِ بينَ تدلُّلٍ
وأنا الأَحَقُّ بعطْرِكِ المَنْشُورِ !
أُصغي اليكِ ولستُ أدْري ما الذي
نبّأْتِ في عذْبٍ منَ التَّعبيرِ
حُلْوُ السَّماحِ وانْ جَهِلْتُ بيانَهُ
وكأَنّه لُغَةُ السَّما والحُورِ !
فأظلُّ في بَحْرِ السَّعادَةِ غارِقاً
وأحسُّ رفقَ بنانِكَ المَشكورِ (٢)
يَجري (٣) على جسمي المجرَّدِ (٤) نِعْمَةً
فكأَنَّ صوْتَكِ ذو بنانِ خبيرِ
اعتادَ لَمْسَ الصَّبِّ لمسةَ مُشْفِقٍ
وكسا أسيرَ النُّورِ حُلَّةَ نُورِ !

---

(١) اي الحلوى التي في فمها المعطرة بأنفاسها .

(٢) البنان : جمع بنانة وهي اطراف الأصابع ، وهو جمع يوحد ويذكر . قال الامام الرازي في (مختار الصحاح) : « ويقال بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء فانه يوحد ويذكر ».

(٣) اي البنان . (٤) المجرد : العاري .

الرجل الجرير

يا طالما حسدوه للصيت والمظهر !
وهو الأسير الذي عانى شقاء الذيوع[1] !
يا طالما حسبوه في عزة المزدري
ما هان بين الورى بينا يهاب الجموع !
قالوا له قوة أو همة ظاهرة
وما دروا أنه لولاهمو ما اعتلا
كم من نبوغ هوى في بيئة عاثرة
هيهات تبقى العلى الا بأهل العلى !
ان العظيم الذي يغدو الامام الجهير
نبت البلاد التي أعطته حق الذكاء
وليس من حظه عبء الزعيم الشهير
لكن من حظها مجهوده والوفاء !

(١) الذيوع : الشهرة .

تزكية الأدب

قيلت في تعزيز انتخاب الدكتور محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير « السياسة »
ومرشح الأحزاب المؤتلفة لعضوية البرلمان المصري

حيٌّ بآسمِ (الشّعرِ) قدْرَ النابهينْ
ليسَ شِعْرُ الحقِّ في مدْحِ مَهينْ
وسَلِ القلبَ يَبُحْ في خَفْقِهِ بمعانٍ وأمانٍ لا تَبينْ (١)
بينما يجْري بها في عِزَّةٍ نظمُكَ الوَثّابُ مِنْ فَرْطِ الحنينْ
يُنصفُ الإبداعَ في دَولتهِ ويؤدّي من حقوقِ النابغينْ
ويُحيي قوّةَ أكْبَرها سيّدُ القُوّةِ والبأسِ المكينْ
شُعلةٌ مِنْ هِمّةٍ لا تنطفي وذكاءٌ لاحَ كالصُّبْحِ المبينْ
يقبسُ الأبناءُ منْ بَسْمتِهِ مثلما يُفزعُ مُلكَ الظّالمينْ.
ويؤدّي مِن رسالاتٍ لهُ صفوَ ما أوحاهُ في الماضي (أمونْ)
ويرَى عَهْدَ (فتاحٍ) عهدَهُ فيُعيدُ الأمسَ حيًّا للعيونْ!

---

(١) لا تبين : لا تظهر .

قلْ طروباً اذ تُناجي (هيكلاً) :
أنت مِثل (الهيكل) الغالي مَصُونْ !

يا أديبَ الأَمْس في تلقينهِ
منْ هُدَى (منْفٍ) دُروساً للبنينْ

وأديبَ العصر في استِمْارِهِ لبيانِ العصرِ والعلمِ المبينْ
أوحدي أنتَ في نزعتِهِ بينَ رَهْطٍ منْ خيار الكاتبينْ
وخِلافُ الرأي ما خادَعَهمْ فيكَ أوفي عقلِكَ الفذّ الرَّصينْ
وأرى قوْماً على غفلتِهمْ في ضلال الجاهلينَ الحالمينْ

يسألونَ اليومَ عنْ تزكيةٍ
قلْ لهمْ : تزكيتي أسمى اليقينْ
في جهادٍ عرَكَ الدَّهْرَ كما
ردَّت (الأهرامْ) أحداثَ السنينْ
حَسْبُ فضْلي أنَّ مَنْ يمدَحُني
ليسَ مِن حزبي ولا في الهاتفينْ
زمنْ مُنْى (مصرَ) ومن آلامها
رُوحُ مِثْلي ، ليْسَ منْ ماءٍ وطينْ!

وشعاري حَقُّها الباقي على كرِّ أجيالٍ وذِكرى الخالدينْ !

يا بني قومي ! ألا مَوْعظةً ؟ !

رُبَّ وعظ جاءَ بالإصلاحِ دِينْ !

صدِّقوني كلُّ ما يجْدِي لكمْ حَدُّهُ في حدِّ اخلاصٍ متينْ

عِلمهُ أنْ تبْذلوا من علمكم وندا كم بذْلَ مفتونٍ أمينْ

كلكم أبناءُ شعْبٍ واحدٍ بالإخاءِ الحُرِّ والحُسنى قَمِينْ (١)

مَنْ يُهِنْ منكمْ أخاهُ قدْ يُهِن نفسهَ ، اذْ كلكم ذاكَ الخدينْ

إنْ تطاحنتمْ غدَوْتمْ رِمماً فحُسِبْتمْ في عدادِ البائِدِينْ

فابذُلوا الجهْدَ لفتْحٍ مقْبلٍ مستعزٍّ بالرِّجالِ العامِلينْ

واندُبوا مَنْ يخدمُ الشُّورَى ومَنْ كانَ في ايمانهِ كالمُرْسَلينْ (٢) !

مِنْ نجومِ الرَّأيِ انْ طاحُوا غدا

مَن تناسَوْهم بحالِ الآفلينْ !

وعجيبٌ أنني في موْقفي

سائلٌ (٣) تعضيدَ أقوى الفاتحينْ !

كلُّهمْ أعلامُ فضلٍ باذِخٍ و(حسينٌ) بينهمْ حِرزٌ حصينْ

---

(١) الحسنى : الظفر . (٢) واندبوا : وانتدبوا . (٣) من سأل بمعنى استدعى .

رَجُلٌ في خُلْقِهِ العالي كما
هوَ عندَ الخَطْبِ من أُسْدِ العرينْ
يخدِمُ الآدابَ أسنى خِدْمةٍ في صفوفِ الهادِمينَ الخالقينْ
لا يُبالي بظُهُورٍ بينما هوَ في الإِحْسانِ بيْنَ القائدينْ
كم لهُ من آيةٍ سطَّرَها في مآلِ الزّارعينَ (الفالحينْ)
كم له منْ وثبةٍ في لُغَةٍ أرسلت نوراً وأحيتْ ميّتينْ
وجديدٍ في اطّرادٍ دائمٍ وفِكاكٍ لأسيرٍ وسجينْ
ثائِرٌ في غيرِ عُنْفٍ للعُلَى هازِمٌ في غيرِ مكْرِ الخادِعينْ
يَسْتمد الوَحْيَ منْ حاضِرنا وكذا نجْوَى قُرُونِ الغابرينْ
فاذا زكّيتُهُ زكيتُ في برّهِ آمالَ كلِّ البائسينْ
هُمْ سَوادُ الشّعب بلْ حِليتُهُ
في لباسِ المُجْدِبينَ المُسْنتينْ (١)
عرفوا الفقرَ لهمْ اذْ بذروا للوَرَى التبرَ ومنثورَ الجبينْ!
واذا عظّمْتُهُ عنْ شَغَفٍ فهوَ عشقي لنبوغ المصلحينْ
إنْ توارَوْا فَتْرَةً أوْ حُجِبوا لم تجدْ منهُمْ لدى الجُلّى ضنينْ
لنْ تدومَ السُّحْبُ مَهْما اجتَمعتْ
فضياءُ الفضْلِ يجْلو (٢) بعدَ حِينْ!

---

(١) يشير الى جمهرة الشعب : « الفلاحين » . (٢) يجلو : يظهر .

المجد الشخصي

وعظمة الفن

حسبي شِعارَ المجدِ أنْ يُصْغي الورَى
لعواطفي ويمجِّدوا انشادِي
ما الزَّهْوُ مِنْ طلبي ولا هوَ عزَّتي
لكنْ أُعَزُّ بما يسرُّ فؤادي
يزْجي بيانَ الصِّدْقِ في نبَضاتِهِ
ويمدُّ لي قلَماً وسَيْلَ مِدادِ
قالَ الصَّديقُ وقدْ أطالَ بمدْحتي :
« أقسمْتُ أنكَ بالعظائمِ غادِي
أُعطيتَ تاجاً للقريضِ مُجوْهَراً
فليرْهُ فوقَ جبينِكَ الوقّادِ ! »
فضحكتُ ثمَّ أجبتُهُ متعجِّباً :
« أعلمتَ أنَّ التاجَ كالأوْتادِ
والشاعرَ الفنّيَّ ليسَ لنفسهِ
لكنْ لملْكِ بالمفاخرِ بادِي ؟

والعرْشَ والتَّاجَ الصحيحَ لدوْلةٍ
الفنُّ سيِّدُها على الآبادِ ؟
والمبدعينَ النَّابغينَ وانْ سَمَوْا
ليسوا سوى القُوَّادِ والأَجنادِ
لو أنَّ مَنْ زَعَمُوا الامارَةَ أنصفوا
أقدارَهمْ لتعاوَنوا بودادِ
فجميعُهمْ رَهْنُ الزَّوالِ جَلاَلَهمْ
والفنُّ ـ لا الأَفرادُ ـ للإِخلادِ
انّي الشَّكورُ اذا أذَعْتَ عقيدَتي
ومدَحْتَ كيْ يُصغي الورَى لمرادِي
أمَّا الغرُورُ ومجدُهُ وسماؤُهُ فوساوسٌ لم تقترِنْ بجهادِ
وأَحبُّ من صافَيْتُهمْ مَنْ قَدَّروا
رَأْيي ، وانْ عدُّوا مِنَ النُّقَّادِ!»

٥٢ ـ الشفق

عبد الوهاب

أترَاكَ افتَتَنْتَ عندَ افتنانكْ ؟!

فِتنةٌ أنتَ لا مُغنِّي زمانِكْ !

صوتُك العذبُ نفحةٌ منْ خلودٍ ورسولٌ دَعا الى ايمانِكْ
وكأنَّ الذي شَدوْتَ علينا سُورٌ أُنزِلتْ على وجدانكْ
يانبيَّ الغناءِ في دَوْلةِ اللحظِّ تعطّفْ على سكارى جنانكْ
وترفّقْ بمنْ سَحَرْتَ بصوْت منْ جمالِ الصِّبا ومنْ عنفوانكْ
حُلِّلَ السكرُ للعبادَةِ والسحْـ ـرُ لمنْ يسمعونَ أحلى بيانكْ

وقلوبٌ يقالُ أقسى من الصَّخ
ـرِ أُذيبتْ ورُنِّقت [1] مِنْ حَنانِكْ

انما الصَّوْتُ قطْعةٌ منْ حياةٍ وكذاكَ الحياةُ منْ احسانِكْ
وتُنادِي بحرْقةِ القلْبِ (ياليـ ـلُ) فيهتزّ بالصَّدى في مكانكْ
ماثلاً مُصغياً شجياً يؤدّي صِيغةً ماحجبْتَ عنْ ترجمانِكْ
وتُغنّي بدمعةِ الصوتِ (ياعيـ ـنُ) فتَنْدَى النجومُ مِنْ أشجانِكْ!

---

(١) يقال لغة : رنق الماء أي صفاه .

وتُناجي الأرواحَ نَشْوَى فلا تدْ
ري أنشوى الحُبُورِ أم أحزانِكْ
واذا انفضَّ مجلسُ الانْس رَغْماً
فُضَّ (١) تَحْنانُها على اردانِكْ !

يا أمل ...

يا أمَلْ ! يا أمَلْ !
يا هَوَى مَنْ عَمِلْ
يا حُلًى للبَطَلْ
يا قُوىً في الجَلَلْ
يا دَواً للكَلِلْ
يا لَظًى للكَسِلْ
يا عُلى (٢) مَنْ وَصَلْ
يا حِمًى منْ فَشَلْ
يا شَذاً يا قُبَلْ

(١) يقال فض العطر اي نثره (٢) اي من وصل الى العلياء

يا سَنَى للغَزَلْ
يا نَدى مَنْ نَهَلْ
يا فِدًى كم قَتَلْ
يا جنىً (١) كالعَسَلْ
يا رَدًى للشَّلَلْ
ياهُـدًى للرُّسُلْ
إنْ تَضِعْ فالمِلَلْ
والمُـنى والحِيَلْ
والوَرَى والدُّوَلْ
مَوْتُهـا محتَملْ!

(١) الجنى : ما يجنى .

الكؤوس

نظَمُوا الكؤوسَ كأنّها مُثُلُ الاحبّةِ في عِنَاقِ !
فاذا اقتَرَبْنَ الى الشّفا هِ أُثِرْنَ في دَمْعِ الفرَاقِ !
ورَنينُها عندَ التحيّـ ـةِ كالحنينِ الى التّلاقي
أوْ كالتأوُّهِ منْ جَوى الـ اهراق أوألم احتراقِ !
قالَ النَّديمُ : أعِدْ لنا دَوْراً منَ الطَّرَفِ الدِّهَاقِ (١)
فملأتُها وكأنّني بمنوَّعِ اللّذاتِ ساقي
وكأنّما مَوْتى الكُؤُو سِ مُجدَّداتٌ في ائتِلاقِ !
وكأنّني الخلاّقُ أحْـ ـيِيها ويُفْنيها التّساقي !
وكأنّما الرّاحُ السنيّـ ـةُ رُوحُ أحلامِ الوفاقِ !
يهْفُو الصّحابُ لنفْحِها هَفْوَ الوفيِّ منَ اشْتياقِ !

---

(١) الدهاق : الملآنة . والطرف : الملح .

غادة البحر

هيفاءُ يَنْبضُ بالملاحةِ جِسْمُها
فتَرَى الحَيَاةَ منَ الثّيابِ تُطلُّ !
فكأنّها الزَّهْرُ المُحَبَّبُ بَعْضُهُ
بالطَّلِّ ، لو يُخْفي الملاحةَ طَلَّ (١) !
أو أنما هذِي الثّيابُ تحوَّلَتْ
فَغَدَتْ مِثالاً للحيـاةِ يَجِلُّ !
كشفتْ جَمَالَ السَّاعدين : كلاهما
سِحْرٌ لهُ في المُقلتيْنِ مَحَلُّ
فأُغازِلُ الألوانَ من نُورٍ حَلاَ
متناسقٍ صافي الشُّعاعِ يَدِلُّ (٢)
وأعافُ نُورَ الشَّمْسِ جَنْبَ صَباحةٍ (٣)
تستأسرُ الفنَّانَ (٤) أوْ تحتلُّ !

●▭●

(١) ندى . (٢) يتكسر تدللا .
(٣) يريد اشراق الحسناء . (٤) تأخذه أسيراً .

وَهَفت[1] الى المَوْجِ الطَّرُوبِ فأظهرتْ
قَدَمَيْنِ لوْنُهُما حكاهُ الفُلُّ !
لهما الرَّشاقةُ مثلَ ساقيْها ، فما
تبتلُّ خِفَّتُهَا كما نَبْتَلُّ !
تَجْرِي وتَمْرَحُ في سُرُورٍ لاعبٍ
والماءُ يرْقُصُ والرِّمالُ تَعِلُّ[2] !
والناسُ قد شُغِلوا بها عنْ لَهوهمْ
وعن الحسانِ اللَّاعباتِ تَخَلُّوا !
فتأمَّلوها ذاهلينَ ، وأسْرَفُوا بتأمُّلٍ هيهاتَ منهُ يُمَلُّ
ونَظَمْتُ شِعْرِي منْ شُعُورِ عبادَتي
(للحُسْنِ) فهوَ من (الحياةِ) أجلُّ !

---

(١) تاقت .
(٢) تشرب تباعا، كأنما هي نشوى من الفرح بهذه الرشاقة التي تلامسها!

الوطنية والانسانية

تعزيز الاخاء الانساني

أتجذِبُ الخلْقَ في التَّقْدِيسِ أوْطَانُ
وليْسَ يجذِبُهُمْ كَوْنٌ ودَيَّانُ ؟!
(اللهُ) في الكوْنِ هذا ، وهُوَ صُورَتُهُ
فكيفَ تَعْلو على الدَّيَّانِ أوْطَانْ ؟!
أليستْ النَّاسُ أسْمَى ما يمثّلُه
إبداعُهُ ، فعلامَ النَّاسُ قدْ هانُوا ؟!
تَنابَذُوا ونَسَوْا ما نَوْعُهُمْ(١) ، وَمَضَوْا
كلٌّ بسخريةِ الأقدارِ فرحانُ !
يا بَوْنَ بِرّاً بدُنيا كم تبرُّ بهمْ
وجَمْعُهُمْ في انقِسامِ الطَّيْشِ غَفْلانُ
أجْمِلْ بتَقديسِنَا الأوطانَ لو عرفتْ
عُقولُنا أنّها رِبْحٌ وخُسْرانُ !

---

(١) أي النوع الانساني .

فيها الوَفاءُ ولٰكنْ عنْ أنانيةٍ أمَّا الوَفاءُ المُعَلَّى فهوَ إيمانُ

بحيثُ نَلْقَى بَني الإِنْسانِ إخوتَنا

برغمِ بَيْنٍ وخُلْفٍ أينما كانُوا

هذا هوَ الدِّينُ عِنْدِي لا حماقتُنَا

كأنّما هذِهِ الأَوْطانُ أضْغانُ !

وإنّني الرَّجُلُ الحانِي على وَطَنِي

فانّه صُورَتِي الكُبْرَى ووِجدانُ

وأفتدِيهِ بِرُوحي مِنْ مَحَبَّتِهِ

فانَّ قلبي بِهٰذا الحُبِّ مَلآنُ

لٰكنَّ غايةَ أحْلامي — وإنْ بَعُدَتْ —

أنْ يَشْمل الأَرْضَ باسم (الحُبِّ) سُلْطانُ

وأنْ أُغَالِبَ ما يُوحي الضَّلالُ به

للنَّاسِ ، حيثُ جُمُوعُ النَّاسِ عُمْيانُ

عقيدَةٌ لستُ أدْري كيْفَ يُصْغِرهَا

مَنْ يَدَّعي أنّه سامٍ وإنْسانُ !

حياة النوع

ومَا دَامَ جُرْمُ (الأَرْضِ) يَحْفظُ « نَوْعَنا »
فلسنا وإنْ مُتْنا بمنْ صَحِبَ المَوْتَا !
تُصَانُ بها أشْلاؤُنَا ونفُوسُنا مُوَزَّعَةً فيها ، مُنوَّعَةً شتَّى
وما المَوْتُ الاَّ في الفناءِ لأَرْضِنا
فانْ دَامتِ الدُّنْيا فمــا غُبِنَ المَوْتَى !

عظمة النفس

لا في الزُّهُورِ ولا في ملبسي البالي
حَظُّ الجَلالِ ولا فُقْدانُ آمالي !
في قُوَّةِ النَّفْسِ والإيمَانِ لي عُدَدٌ
ولَسْتُ أنشُدُها في وَهْمِ جُهَّالِ !
ولا أُبالي ، وكم سُخْرِي بمنتقدٍ لِبزَّةِ العَلَمِ الرَّاقي لأَجْبالِ (١)

---

(١) البزة : الثياب ، والعلم : الرجل الجهير ، وكذلك بمعنى سيد القوم ، والراقي : الصاعد . ضرب الشاعر المثل بمن يرقى الى الاجبال متدثراً بما يجدي غير حافل بالمظهر ، وهو المبدأ الخليق بطالب العلى .

أنا الزَّعيمُ لنفسي وهيَ في دَعَةٍ
آبَى الخنُوعَ وآبَى زَهْوَ مختالِ !
دِيني التعاوُنُ لا أرْضَى بمملكةٍ
ولا بتسخيرِ أحلامٍ وآجالِ !
ولو شَعَرْتُ بأنّي مِنْ جبابرَةٍ
لَمَا حَفَلْتُ بتهليـــــلٍ وإجلالِ!
حسبي جَلالٌ لفنِّي أستعِزُّ بهِ
وأنْ يعيشَ بياني ذُخْرَ أجْيالِ !
وخاطِيءٍ ظنَّ لي صَلْفاً بمعتَقَدِي
وكلَّ ماغابَ عن خُلْقي وعنْ بالي
وتارَةً ظنَّ بي ضَعفاً لأنَّ لهُ
حِقْدَ الحسودِ لاخوانٍ وأخْوالِ (١)
فقلتُ :حسبكَ وَهْماً ... إنَّني رَجُلٌ
لي في العَلاَءِ شعورُ الصِّدْقِ لا الغالي (٢)

---

(١) المقصود باخوان وأخوال : اخوان الادب وشيوخه ، وشاعرنا من ينكر التحاسد بين الادباء . راجع قصيدته « اسرة الادب » وغيرها .
(٢) الغالي : المبالغ . يقال غلا بالدين أي شدد وتصلب حتى جاوز الحد .

لي عِزَّةُ المخلصِ الوافي لذِمَّتِهِ
ولي اعتدادُ العُلَى بالعقْل لا المالِ
وانْ أُقيَّدَ غيْري في مُتابعتي
فكيفَ أطلبُ تقييدِي بأغلالِ ؟!

الاخلاص

لم أَلْقَ كالمخْلِصِ الأَمينِ أَوْلى بحُبِّ الوَرَى الثَّمينِ
حَياتُهُ بيْنَهُمْ تُضَحَّى لهمْ بصِدْقِ الهَوَى المَدِينِ
ومِثْلُهُ غالباً غَبينٌ مُسْتَعْذِبٌ شِقوةَ الغبينِ !
يَنْسَى الاساءَاتِ في التفاتٍ الى غَرَامٍ لهُ ودِينِ
لمثْلِ هٰذا أسوقُ مَدْحي وإنْ تباعدتُ في يَقيني (١) !
وقدْ أذمُّ الذي حكاني لٰكنْ بلا نزْعةِ الأَمينِ !
فليْسَ يكفي اتّفاقُ رأْيٍ اذا تخلَّى عن اليقينِ
سئِمْتُ عَيْشَ النفاقِ حَوْلي مِنْ كُلِّ مَنْ خِلْتُهُ خَدِيني
وَصِرْتُ أَحْنُو على خصيمي بفضْلِ إخلاصِهِ المكينِ !

(١) في عقيدتي

هلْ قيمةُ النَّاسِ في مَرَاءٍ وفي مَقالٍ وفي رَنينِ
وقدْ تخَلَّوْا بلا حَياءٍ عنْ كلّ صِدْقٍ وعنْ حنينِ؟!
وقدْ تمادَوْا بلا انتهاءٍ تمادِيَ المُجْرِمِ اللَّعين ؟!

البشير

هـ . ج . ولز

H. G. Wells

بَشيرَ الحيـاةِ لنا والسَّلامْ رَجاؤُكَ أَسْمَى أَمانِي الأَنامْ
هَمَمْتَ كأنَّكَ أنْتَ (المسيحُ) تَعُودُ لِفَضِّ الأَذَى والخِصَامْ!
تَجدَّ لخلْقٍ وُجُودٍ جديدٍ وتَبعثنا مِنْ قُبُورِ الظَّلامْ!
وتعتبرُ الأَرْضَ ـ في حِكْمَةٍ ـ كقُطْرٍ لِشَعْبٍ حليفِ الوئامْ
وكلَّ العقائدِ مثْلُ الوَرَى تُوَحِّدُهَا نَزْعَةٌ للسَّلامْ
وسَعْيٌ جميـلٌ الى حالةٍ يَعيشُ بها النَّاسُ عيْشَ الكرامْ
لهمْ كلُّهمْ غايةٌ ما لَهَا خُصُومٌ ، ولا باعِثٌ للخِصامْ
وَهَبْتَ سُلالاتِ أحفادِهِمْ رعايةَ قلبٍ عظيمٍ هُمَامْ!
فكمْ مِنْ كتابٍ وكمْ مِنْ مَقالٍ لَهُمْ صِفْتُهُ في أَبَرِّ اهتمامْ

تُخبِّرُنا عَنْ حقُوقٍ لهمْ
وعن نَكبةِ الأَرْضِ يومَ الزِّحَامْ
وتدعو الى دَفْعِ هذا الرَّدَى بتجديدِ نَسْلٍ ونَبْذِ الحُسَامْ
وتدعو الى كلِّ ما يرتقي بهِ العقْلُ والرُّوحُ فَوْقَ السَّوامْ
وهمك أنْ يُصْبحَ الساكنون
على الأَرْضِ أهلَ العُلَى لا الرَّغامْ
فأَنْفقْتَ عُمْرَكَ في خَيْرِهِمْ . وما ضاعَ جُهْدُكَ رَغْمَ اللِّئامْ
فأَصْبَحَتْ الأَرْضُ تجري لديكَ
كأنك محْوَرُهَا في دَوَامْ !
كأَنْكَ أنْتَ الضَّمينُ لآتٍ عظيمِ الضّياءِ جليلِ المَقامْ
ورُوحُكَ نَفْحُ الإِلهِ العزيزِ يجدّدُنا بعدَ موتٍ زُؤَامْ!
فانّ حياةَ الوَغَى في سِباقٍ الى الشَّرِّ مَوْتٌ قبيحٌ لِزَامْ
وأنتَ الذي عافَ هذا المماتَ لهمْ ، جاهِداً مُسْتقِلاً تُلامْ
لَأَهْلٌ لتقديسِهِمْ في الخُلُودِ بَرَّ القُرُونِ وكرَّ الأَنامْ !

الحقيقة الموزَّعة

أنا مَنْ يُفتِّشُ عن محاسن ناقدِي
فأُذِيعُها كمَحاسِنٍ لجنانِي
حُبُّ الجمالِ أراهُ فَوْقَ خُصُومَةٍ
وأرى الجَمالَ مُوَزَّعَ الاحْسانِ !
وأرَى الحقيقةَ لا تُحَد فما لَنَا
نَهْوَى التَّعصبَ في غُرُورٍ جَانِ ؟
لِمَ لا نُفَتِّشُ في شعُورٍ مُخْلِصٍ
للحقِّ دُونَ تَحزُّبٍ وَهَوَانِ ؟
ليْستْ أنانيةُ الحياةِ جميلةً
كلاَّ ولا عَجْزُ الضَّريرِ الوَانِي
واذا تأمَّلْتَ الخلافَ وَجَدْتَهُ
يَحْوِي بُذُورَ الحقِّ للإِنْسان

السلام والحب

كِلاهُما قِبْلَتِي وراحتي بلْ عَزَائِي
كِلاَهُما مُنْتَهَى جُهْدِي ومَعْنَى رجائي

فقلْ لَمَنْ يَشْتهي لمْحضِ خبْثٍ عَدَائي :
لقدْ غَنِمْتَ انتِحاراً اذا قتلتَ إخائي !
فلستُ أحيا لِفَرْدٍ بلْ لِلْوُجُودِ ازائي
فانْ فقدتُكَ منهُ فما فقدْتُ سمائي !

أميرنا الصعلوك

هو ذلِكَ (الفَلَّاحُ) ـ يا قَوْمي ـ الذي
يَحْيا حيـــاةَ سوائِمٍ ورَغَامِ
مِثْلَ السَّوائِمِ بلْ أحطُّ بعيشِهِ مثـلُ الرَّغام بذِلّةٍ وبذامِ
وهوَ الذي لولاهُ ما ارْتَفعتْ لنا رأسٌ ولا كُنَّا منَ الأَقوامِ
إنَّا جَميعاً مجرمونَ ازاءَهُ
حتى يُخَلَّصَ مِنْ هَوَى الإجْرامِ
حتى ينالَ حُقوقَه في عيشةٍ خلصتْ من الأدْرانِ والاسقامِ
انَّ الجُذُورَ هيَ الحَياةُ وانْ تكُنْ
في التربِ نامِيةً بغيْرِ تَسَامِ

الشاعر الانسانى

لا أرَى غيْرَهُ قميناً بعرْشٍ لنظيمٍ يَعيشُ في الأَجيالِ
هو يَبْني معَ (الطَّبيعةِ) مُلْكا لحيـاةٍ غنيةٍ الأَجْيالِ
ليسَ يكفي للشّعرِ فنًّا تَلاَهِ فهوَ رُوحُ النُّبوّةِ المُتعالي
كلُّ شِعْرٍ سِوَاهُ لَحْنٌ ضئيلٌ وشُعاعٌ يموتُ طيَّ الليالي !

الكرامة البشرية

الفكر الحر

أَسْمَى الكرَامةِ مَجْدُ الفِكْرِ لا صُوَرُ
منَ التَّظاهُرِ في بأسٍ وفي عِظَمِ
حُرِّيةٌ تِلْكَ لا تُشْرَى ، ولا ثَمَنٌ
لها ، فكم كوَّنَتْ مَحْسُودةَ الأُمَمِ
إنْ عُدَّتْ الحَرْبُ جُرْماً والسُّجُونُ رَدَى
فضَيْعَةُ الفكْرِ أنْكَى في مَدَى التُّهَمِ

تلكَ العُبوديّةُ النكراء ليْسَ لهـا
الاَّ قُرُونٌ مَضَتْ بالبَطْشِ والنقِّمِ
واليومَ تَتَّجِهُ الدُّنْيا مُوَفَّقَةً
رَغْمَ العراقيلِ شَطْرَ النُّورِ والشَّمَمِ
فلن يُصَفَّدَ عَقْلٌ في غَدٍ عرُفَتْ
بهِ الكرامةُ للأَذْهانِ والذِّمَمِ
غَدٌ يَسودُ إخاءُ النَّاسِ نَزْعَتَه
حينَ السُّمُوُّ بفكرٍ غَايَةَ الهِمَمِ

العطف الالهى

وأُحِسُّ أنّي في اَنْدِماجٍ دَائِمِ
بالكَوْنِ، والكَوْنُ العظيمُ حَياتي
أتأمَّلُ السَّاعاتِ في أجْرَامِهِ وكأنّني متأمِّلٌ مرْآتي
وأنالُ عَطْفاً مِنْ جميل حَنانِهِ يَسْرِي الى رُوحي بغيْرِ فَوَاتِ
حِسٌّ خَفيٌّ لستُ أُدْرِكُ كُنْهَهُ وَكأنما هو مُعْجِزُ الآياتِ
بلغَ الضَّميرَ، وكانَ خَيْرَ مؤذِّنٍ باللهِ في ملَكُوتِهِ لَحيَاتي

الزمن

عن نظم ماثيو أرنولد الشاعر الناقد الانجليزي الشهير
(١٨٢٢ ـ ١٨٨٨ م .)

(١) — التعريب

أرى (الزَّمَنَ) المَشْكُوَّ مِنْهُ بكَثْرةٍ
ومَنْ ليْسَ بالإِيثارِ يَبْدُو لإِنْسانِ
يُعيدُ الى كُلِّ الرِّجالِ مُوَزَّعاً
نصيباً منَ السَّاعَاتِ في غيْرِ إدْجانِ (١)

(٢) — الأصل

TIME

Time, so complained of,
Who to no one man
Shows partiality,
Brings round to all men
Some undimmed hours.

Matthew Arnold

---

(١) في غير ظلمة .

العظيم

والثقة بالنفس

لَيْسَتْ صُرُوفُ الرَّدَى تَكْفي لِسَحْقِ العَظيمْ
لكنَّما يَأْسُهُ يُودِي بِهِ كالهَشيمْ !
فانْ مَضَى دائماً في جِدِّهِ لا يَهابْ
فهوَ العظيمُ الذي تَعْنُو اليهِ الصِّعابْ
أمَّا اذا نَالَهُ يأسٌ بما أَمَّلاَ
فليْسَ يَبْقَى لَهُ حتى خَيالُ العُلى
لا يَرْفَعُ المُعْتَلي الاَّ عُلَى نَفْسِهِ
فانْ هَوَى مِنْ عَلٍ فالمَوْتُ في يَأْسِهِ

حكيم الغد

الُحكْمُ في الغَدِ لِلْعُقُولِ فانّها
أَوْلَى مِن « الأَصْوَاتِ » والأَمْوالِ

لِتُنظِّمَ الدُّنْيا بحكمَةِ حاكِمٍ لا بالهوى يَقْضِي ولا بخَيالِ
ما أَجْمَلَ الشُّورَى، ولَكنْ أَهْلُها
أَهْلُ الرَّجاحَةِ لا جُمُوعُ رجالِ
ليسوا بعَدٍّ بلْ بقيمتِهِمْ هُدًى وبما لهَمْ منْ نُبْلِ رَأْيٍ عالِ
فَفَخَارُنا الحالي له وَجْهانِ من
رُشْدٍ، ومِنْ عَجْزٍ وبَعْضِ ضَلالِ
والفَخْرُ كُلُّ الفَخْرِ في يَوْمٍ بهِ تَغْدُو العُقُولُ مَعَاقِلَ الآمالِ
ما الحُكْمُ الأَمِهْنَةُ الأَفرادِ في عِلْمٍ وفي حِذْقٍ وصِدْقٍ جَلالِ

النصر

هُو يَوْمٌ تنفكُّ القُيُودُ ويغتدِي
أَبْناءُ هذِي الأَرْضِ مِلْءَ كَواكِبِ
مُتَغلِّبِينَ على القَضاءِ بقوَّةٍ
لِلْعِلْمِ لم تُهْزَمْ بِفَرْطِ مَصاعِبِ
لا تعجبَنَّ إِذَنْ كغِرٍّ جاهلٍ
مِنْ مُرْتَقَى أَدَبِي لهذا الواجبِ

لا رُوحَ في أدَبٍ يَعيشُ بغابرٍ
ويَتيهُ مَزْهُوّاً بحِسّ كاذِبِ
والعِلْمُ والأَدَبُ الصَّميمُ كِلاَهُما
مَعْنًى مِنَ الكَوْنِ العظيمِ الجاذِبِ !

شكوى الحياة

خَلِّ شكوى الحياةِ يا رجلُ وخُذْ النَّفعَ من مصائبِهَا
ليسَ حَظُّ الحياةِ في رَغَدٍ لا ولا البؤسُ في متاعبِهَا
انما العيْشُ كلُّهُ طَمَعٌ في الأماني وفي عواقبِهَا
كيفَ ترجو السُّرورَ في شَجنٍ؟ كيفَ تبكي على غياهِبِهَا؟
كُنْ بصيراً برُوحِ فلسفةٍ نِعمةُ النفس في مَواهبِهَا
إنَّ دُنياكَ في مآتمِها مِثلُ دنياكَ في ملاعبِهَا !
أكرمُ الحظِّ ما تحسُّ بهِ كلُّ نفسٍ بحبِّ واجبِهَا !

مقى فى العلى

سَمَوْتُ بقدْري لا غُرُوراً ولا قِلًى
لغيري ، ولٰكنْ حَيْثُ شاءَ لهُ القَصْدُ (١)
وسيّانِ عندِي شهرَةٌ أوْ خُمولُها
فانَّ ذُيُوعَ الذِّكْرِ يَتبعهُ النَّقْدُ
وليْسَ الهناء المحْضُ شمسَ سيادَةٍ
يُصاحبُها النُّورُ المُؤَرَّقُ والسُّهْدُ
ولٰكنّهُ في رَاحةٍ بعــدَ رَاحةٍ
منَ الفكْرِ لا يُلْفَى لغايتها حَدُّ
ومَنْ كانَ مثْلي واهبَ النَّفسِ طَبْعُهُ
الى الفَنِّ لم يقبلْ تخلُّفَها (٢) مَجْدُ !
ستَقْرعُ آذانَ الأَنامِ مَوَاعظي
وتمشي مسيرَ الشَّمْسِ ليْسَ لها رَدُّ !

---

(١) القصد : المرمى ، والقلى : البغض.
(٢) يعني تخلفها عن السمو.

هيَ العِلْمُ تحقيقاً ، هيَ الفنُّ بهجةً
تُصاحبُ عُمراً للحقيقةِ يَمْتدُّ !
فقلْ لحسُودٍ جازعٍ عندَ نَشْرِها :
رُوَيْدَكَ ! ماجيْشُ الأَثيرِ لهُ صَدُّ !
رويدكَ ! حقّي في العُلى حَقُّ نَهْضَةٍ
وما كانَ زَعْماً يَنتحِي (١) سُؤْلَهُ فَرْدُ
ستُبْصِرُ شِعْرِي زاحِفاً في كتائبٍ
يُحاربُها مُلْكُ الضَّلالِ فينهَدُّ
وتُذْعنُ للفِكْرِ الذي في سبيلِهِ
أُجُودُ بجُهْدٍ لنْ يُغالِبَهُ جُهْدُ
وتعلمُ أنّي سيدٌ في وَدَاعةٍ (٢)
وأنَّ جناني لنْ يخادِعَه الحَمْدُ (٣) !

---

(١) ينتحي : يقصد . والسؤل : الطلب .
(٢) الوداعة (مصدر ودع بضم الدال) : السكينة والوقار .
(٣) الحمد : الثناء عليه .

عيد الرَّبيع

(الربيعُ) لا القلَمُ شاعرٌ لهُ الكلِمُ !
منْ نظيمِهِ عَجَباً الرُّواة قد نظموا
وآفتِنانْ فتنَتِهِ للبدائعِ الحكمُ
خالقٌ يجدِّدُ ما قدْ أضاعَه الهَرَمْ !
فالشتاءُ دَوْلتُهُ وفُلولهُ انهزَموا !
والزُّهورُ في أملٍ كالقلوبِ تبتسمُ (١)
شَاملٌ لهـا فَرَحٌ خَافِقٌ لها عَلَمُ !
والعيونُ أمتعَها في عِيانِهـا الحُلمُ
والرَّبيعُ سيِّدُها يستثيرُهُ الكَرَمُ
تُشتَهَى موائِدُهُ وهيَ حَوْلَنا عَمَمُ
في احمرارِ بُرْدَتِهِ ثائرٌ ومُضْطَرِمُ !
في آصفرَارِ وَجنتِهِ عاشِقٌ ومُتَيَّمُ !
في بياضِ فِضَّتِهِ طاهرٌ ومُحْتشِمُ !
في سَنى تألُّقِهِ السَّلامُ والسَّلَمُ (٢)

---

(١) الفلول : الجيوش المنهزمة . والزهور : البراعيم بعد تفتحها أو نور النبات ، الواحدة زهرة بتسكين الهاء وفتحها . (٢) السلم : شجر .

والحِسَانُ في ضَحِكٍ لا يفوتُهُ النَّغَمُ !
مِنْ بديعِ جَوْهرِهِ لجواهرٍ قِيَمُ !
فالعقولُ ناهبةٌ واللحاظُ تغتنمُ !
والهمومُ ذائِبَةٌ والعذابُ والنَّدَمُ
في صُفُوفِ رَوْضَتِهِ طائِعٌ ومُنْتظِمُ !
كم مُجِلٌّ سُندسَها في تحذُّرٍ قَدَمُ !
كم يرفُّ من طَرَبٍ في هَوَى الجمالِ فمُ
والطيورُ شادِيَةٌ للأنامِ لو عَلِمُوا !
دَافِقٌ لها غَزَلٌ لا يشُوبُهُ أَلَمُ
تَحْسَبُ الوُجُودَ لها وكأنّنا الخَدَمُ !
وتَغارُ إنْ جُمِعَتْ باقةٌ فتحتدِمُ !
ننتحي ونَسْمَعُهَا في ذُهُولٍ لِنا نَجِمُ (١)
في الوُثُوبِ خِفَّتُها بالغُصونِ تصطدِمُ
سَبْحُها بلا حذَرٍ في الفضاءِ تنسجمُ (٢)
صَنْوُها الأَلَذُّ هَوًى غيرُهُ هوَ العَدَمُ !
أو كذاكَ خاطِرَتي حينَ شفَّ السَّقَمُ

---

(١) نمسك من الكلام . (٢) يقال لغة : ينسجم الماء بمعنى يسيل .

في آدّكارِ فاتِنتي فاحتجابُها ظُلَمُ
بينما الوُجودُ غدا للحُبورِ يقتَسِمُ
والنَّسيمُ مرتقبٌ زاجرٌ اذا اختصَموا
حاملٌ لهمْ قُبَلاً لا يناله السَّأَمُ
يَنشُرُ الغرَامَ كما تَنشرُ المُنى دِيَمُ !
طَبْعُهُ الرَّقيقُ هوًى بالحنينِ يلْتثِمُ
يطرُقُ الصُّدُورَ رِضًى كم لغيرِهِ حرِمُ !
جالياً لها صَدَأً فتفوتُها النِّقَمُ
نَحلُهُ مَراقِصُها في سُرُورها نَهَمُ
في النَّشيدِ أعرفُها ما عَليَّ ينكتِمُ
والفَراشُ لاعبةٌ وكأنَّها نَسَمُ !
فاقتبستُ نِعْمتَها كم لطائرٍ نِعَمُ !
والخيالُ يسعفني والبيانُ والشِّيَمُ (١)
والطَّبيعةُ ائتلقتْ لجلالها القسَمُ !
عِيدُها أقابلُهُ كالحبيبِ يبتَسِمُ

---

(١) الشيم : الطباع ، بمعنى طباع الشاعر .

عِيدُها لِنِعْمَتِهِ تَحْمَدُ المُنى أُمَمُ (١)
أنْسُبُها مَظاهِرُهُ بالجَمالِ تَتَسِمُ (٢)

عيد العمال

اول مايو

اخترْتُمُو عِيدَ (الرَّبيعِ) العِيدَا
ولَبِسْتُمُو زَهْرَ الفخارِ نَضِيدَا !
وهَزَأْتمُو « بالأَمْسِ » وَهوَ مسخَّرٌ
لجهودِكمْ ومقيَّدٌ تقييدَا
اليوْمَ قدرُ النَّاسِ قدرُ كفايةٍ
واليومَ لن يطأَ الزَّمانُ عبيدَا
أنتمْ بنو الشَّرَفِ العظيمِ بنفعكمْ
للنَّاس تبنونَ الوجودَ جديدَا !

(١) يعني بكلمة « امم » طوائف الاحياء المختلفة المتنمة بعيد الربيع من انسان وحيوان ونبات .
(٢) تجعل لنفسها سمة (أو علامة) تعرف بها .

لا تعرفونَ لغيْرِ عِلْمِ سيِّدٍ
ولغيْرِ أحكامِ النّظامِ عُهودَا !
التُّرْبُ : أنتمْ مَنْ بَعثتُمْ تِبْرَهُ
يختالُ ما بيْنَ الوَرَى معبودَا !
والأَرْضُ : أنتمْ مَنْ نَشَرْتُمْ فَحْمَها
فأنارَ بلْ أحيا البلادَ السُّودَا[1] !
والحَقْلُ : أنتمْ مَنْ خلقتمْ نَبتَهُ فأغاثَ مَحْرُوماً وردَّ شَهيدَا
والبَحْرُ : أنتمْ مَنْ قهرْتُمْ بأسَهُ ولكمْ تَمرَّدَ عاتياً وعنيدَا
والجوُّ : أنتمْ مَنْ فتحتمْ مُلْكَهُ فغدَا مجالاً للحياةِ مديدَا !
دُوَلُ الصناعةِ والزّراعةِ والحِجا
عرفتْ بكمْ للمعجزَاتِ شُهُودَا !
كنتمْ مُؤَخّرَها فكنتمْ دونَها عند المطارِ ، وفي الثباتِ عمودَا
ميزانُ عزّتِها تجاهَ عواصِفٍ وقوَامُها المُبْقي الجَلالَ مَشيدَا
إنْ تحفلوا بجلالكم بتواضعٍ فالمَجْدُ يُعلنُ فخرَكم تعييدَا !
أنتمْ لديهِ النّاصِرُونَ بدأبكم والمانِحُوهُ مِن الوَفاءِ جُنودَا

---

(١) البلاد السود : يشير الناظم ـ عدا المعنى الشعري المفهوم ـ الى بلاد الفحم ، وتسمى في انجلترا بالبلاد السود .

والتَّاخِذُونَ من الاخاءِ شعارَكم ومن الامانةِ والنَّشاطِ عُقودَا
كم تسبقونَ الشَّمْسَ (١) في اسعادكم
للناس سعياً مُجْدِياً وجُهودَا
ومن العجائبِ أنْ تُمِضَّ أجُورُكم
مَنْ تُبْدِعونَ لَهُ البدائع جُودَا !
كلُّ المآثر حَظُّها في عيدكم حَقٌّ يزيدُ على المدى توكيدَا
لا بدعَ إنْ رقصَ الجمالُ مغرّداً وأختارَ من نَغَمِ الحياةِ نشيدَا
في حفلةِ التعييدِ أبهجُ أُنسها أنْ يَكْسِرَ الشَّهْمُ الفقيرُ قُيودَا
ويذوقَ مِنْ راوي الهناءِ مُحرَّراً
نُخَباً ، ويَلْتَمِسَ الإخاءَ سُعودَا

(١) اشارة الى تبكيرهم للعمل .

شعر الرقص

ابيات ارتجاليـــة

تهتزُّ في إبداعِها هَزَّ الزُّهُورِ على الغصونْ
فالزَّهْرُ شارَةُ كُمِّها والزهرُ في الصَّدْرِ الحَنُونْ !
فكأنمـا بَسَماتُها ضَحكُ الأَشِعَّةِ للعُيونْ
«ويُشمُّها» الغَزِلُ الرَّفيـ ق (١) كأنها عَبَقُ الفنونْ !
في كلِّ ميلةِ خَصرِها للجانبين مُنَى الحنينْ !
ما بينَ رِفْقِ دَعابَةٍ وتدلُّلِ مغرٍ ضنينْ
وكأنمـا حَرَكاتها مجموعُ أحلامٍ تبينْ
فيّاضة بالحُبِّ والـ تَشْويقِ والأُنْسِ الأمينْ
هذا هوَ السِّحرُ الحلا لُ وطِبُّ أشجانِ الحزينْ !

(١) الرفيق : الراقص معها وكانت حفلة الرقص في عيد (شم النسيم)

يا كونه !

يا كَوْنُ ! أنتَ مِثَالي وفي حَيَاتي حَيَاتُكْ
أَلسْتَ مِرْآةَ نَفْسي وانّني مِرْآتُكْ
ومِنْ جَمَالِكَ رُوحي ومِلْءَ رُوحي صِفَاتُكْ
وفي نُزُوعي وحُبِّي ما عَبَّرَتْ لمحاتُكْ
أراكَ سِرًّا جَميلاً تَبْثُهُ آياتُكْ !
أراكَ حُسْنًا نبيلاً تَزْفُـــهُ أوْقاتُكْ
أراكَ حُبًّا جليلاً والحُبُّ كالحسْنِ ذاتُكْ
وفي خُفُوقِ فؤادِي ووَجْـدُهُ آهاتُكْ
وفي حَنيني وَدَمْعي ما مَثَّلَتْ عَبَرَاتُكْ
فأنْتَ كلي وَبَعْضي وفي حياتي حَيَاتُكْ !

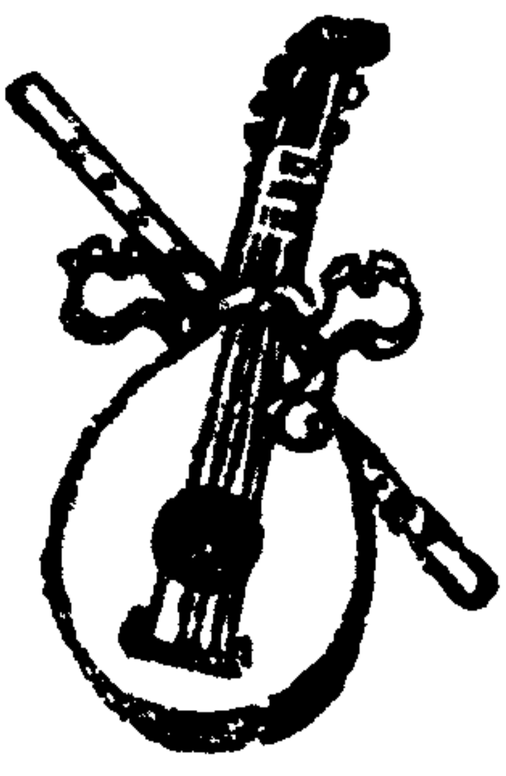

كهرباء الحياة

(١)

بعث الأديب عبد الله افندي بكري الى صاحب الديوان بهـذه الابيات في عيد (شم النسيم) :

إنَّ (شمَّ النسيم) في المعمل البكـ
ـرِ يلُوحِي يا صديقي العزيزُ
في هُدوءٍ وراحةٍ تفحصُ الميكـ
ـرُوبَ بالمجهر الذى كم يميزُ (١)
فأنا عاملُ التلغرافِ يُضنيـ
ـني مِنَ الكهرباءِ (٢) دَوْماً أزيزُ
فمتى أيُّهـا الصَّديقُ سنغْدُو
في غِنًى عنْ وَظيفةٍ ونفوزُ ؟!

---

(١) يميز : من ماز الشيء بمعنى فرزه عن غيره أو استعرفه .
(٢) الكهرباء والكهربا صمغ شجرة اذا حك نشأت به قوة مغنطيسية ، وهذه الجاذبية هي ما يسميه علماء الطبيعة بالكهربائية أو الكهربية وأحيانا بالكهرباء من قبيل تسمية الشيء بمنشئه .

(٢)

فرد عليه شاعرنا بهذه الابيات :

ياصديقي العزيز أسعدكَ اللَّـ ـهُ بشمِّ النَّسيمِ فهوَ المجيزُ
رُبَّ حَبْسٍ يُعَدُّ حظًّا سنيًّا يعرفُ الحبسَ قبلَنا الابريزُ !
كنْ صبوراً اكذا الحَياةُ احتجابُ
وانطِلاقٌ ، وكم سجينٍ يفوزُ !
يُسْجَنُ الجِسْمُ بينما الفِكْرُ جَوَّا
لٌ لَهُ في الوُجُودِ ملْكٌ عزيزُ !
إنما العيْشُ كلُّهُ كهرباءُ [1] ومثالُ الحَياةِ ذاكَ الأزيزُ !
أنتَ في سَمعِهِ وفي الردِّ كالحا اقِ رُوحاً لقدرِها التعزيزُ !

(١) يقول الدكتور الحديث بان الحياة على تباين صورها أنواع من الكهرباء حتى انتقال الافكار فهو في رأي العالمين الباحثين الدكتور كازاماني والاستاذ لازاروف ناشيء عن أشعة كهربائية مغنطيسية .

رفعة الأوطان

نظمها صاحب الديوان لمناسبة الانتخاب الثالث لمجلس النواب المصري تزكية لصديقه العالم الكبير والطبيب الشهير الاستاذ الدكتور نجيب اسكندر

دَعَتْكَ دواعي المجدِ قبلَ (نيابةٍ)
ومِثْلُكَ للعَلْيـاءِ خيرُ مُجيبِ
اذا قَدَرَ النَّاسُ الرجالَ فانمـا
بِناءُ العُلَى تقديرُ كُلِّ نجيبِ
وما رِفْعةُ الأوْطانِ الاّ رجالها بعلمٍ عليمٍ أوْ بطبٍّ طبيبِ
ومثْلُكَ فَذٌّ في الرجالِ بنُبلِهِ وخُلْقُكَ معشُوقٌ لكلِّ أريبِ
وقدْرُكَ أسمى من سؤالٍ ومَبْحَثٍ فعمْرُكَ اصلاحٌ وروضةُ طِيبِ
ويُخجِلُ حُبِّي أنْ أكونَ مزكّياً
عظيماً لهُ في الرَّأي كُلُّ مُصيبِ
فكيفَ اذا قالوا أمامَكَ مُدَّعٍ ؟ !
ولكننا في عصْرِ كلِّ عجيبِ !
فنسْمعُ مايُشجي نقيقَ ضفادعٍ يُعدُّ نبوغاً أوْ فخارَ خطيبِ !
حلفتُ (بمصْر) لنْ ينالَ وفاءَها
دَعِيٌّ ، ولنْ تنسى وفاءَ (نجيبِ) !

المثال مختار

والنهضة الفنية

فِدًى لِفَنِّكَ أَلحانٌ وأوزانُ فانَّ فنَّكَ بالالهامِ يَزْدَانُ

يا ناحِتَ السِّرِّ في تمثالِ (**كاعنة**

للسر) (١) نحتُكَ للتاريخِ بُرْهانُ

وسَمْتَها بالأحاجي وَسْمَ كاهنةٍ وللتَّماثيلِ أَسْرَارٌ وكُهَّانُ !

يَرَى الرَّقيبُ بمرآها روايتَها عن الفخارِ الذي ما فيهِ بُهتانُ

تَبوحُ آناً وآناً لا تَبُوحُ بهِ والعقْلُ بينهُما حيْرانُ لهفانُ!

وتلتقي حوْلها أنباءُ ما كتمتْ تلكَ القُرونُ وما أخفتهُ أزْمانُ

كأنَّ (**بلهوبَ**) (٢) مشغولٌ يُحَدِّثُها

والصَّمْتُ بينهما فَهْمٌ وتِبْيانُ !

---

(١) يمثل هذا التمثال كاهنة مصرية جالسة فوق أحد نجود طيبة على مقربة من مدافن الفراعنة كأنها تحرس أسرارهم وأجسادهم ، وقد عرض بباريز في ربيع سنة ١٩٢٦م .

(٢) بلهوب : أبو الهول — Sphinx . وقد أبدع الاستاذ مختار هذا التمثال مناظراً لتمثال (أبي الهول) في بعض الصفات .

وأرْضَ (**طيبةَ**) قد حَنَّتْ لنظرتِها

كما تناجَتْ مقاصيرٌ وتِيجانُ !

يُرْوَى الشّبابُ بما تُوحيهِ صُورتُها

انَّ الشَّبابَ بذكرَى المجْدِ ريّانُ

وأبلغُ الحِسِّ في تقديرِ مَفْخَرَةٍ حِسٌّ يُرَدِّده للدَّهرِ شُبّانُ

وكنتَ بالأَمْسِ مَثَّالاً (**نهضتنا**)[1]

واليومَ أنْتَ بذِكرى المجْدِ فنّانُ

فما عُنيتَ (**بأسرارٍ**) تمثّلها

الاّ وأنتَ (**بلقيا**) [2] الكنزِ فنّانُ

خلقتَها صُورَةً للحُسْنِ مُعْجِزَةً شعارُها الحَيُّ إبداعٌ وإتقانُ

كأنّها غادَةُ الفِرْدَوْسِ ضاحكةً

وجسْمُها الحُرُّ وَضّاءٌ وعُرْيانُ !

---

(١) يشير الى تمثال (نهضة مصر) للمثال مختار أيضاً .

(٢) هذا تمثال آخر للاستاذ مختار عرضه في باريز في ربيع سنة ١٩٢٦ وهو يمثل فتاة مصرية قروية عريانة وقد تهلت بشراً لعثورها على آثار مصرية قديمة .

يُذاقُ بالعينِ حُلْوٌ مِنْ رَشاقتِها
و (**النيلُ**) يُلمَحُ فيها وَهُوجِنْ لانُ!
كأنما هوَ قدْ أوْحى ملامِحَها أوْانما هيَ للابداعِ أفنانُ! (١)
وفي يديها حُلى الآثارِ قدْ بَسَمتْ
لِبِشْرِها ، وشُعاعُ الشَّمْسِ نشوانُ!
وعصَّبتْ رأسها في تيهِ فاخِرَةٍ فالرأسُ مملكةٌ والتمُّ بُستانُ!
كلتاهما (٢) صُورَةُ الاحسانِ في زَمنٍ
يَقلُّ فيهِ مَعَ العِرْفانِ إحْسانُ
فلا أقلَّ لشِعْري من تحيتِهِ
فدونَ فضلِكَ إكبارٌ وشُكرانُ
وللنّبوغِ اذا نادَى اجابتُهُ فبالنّبوغِ تنالُ المجدَ أوْطانُ

ويا شبابَ بني (**مصرٍ**) ونضْرَتها
أنتمْ لنهْضتِها رُوحٌ وريحانُ
لا تغفلوا مَنْ حَبَوْا إكليلَ عزّتِها
بالفنِّ ، فاعتزَّتْ الدُّنيا وقدْ هانُوا

---

(١) أفنان : بمعنى فنون .
(٢) يعني صورتي التمثالين : تمثال الكاهن ، وتمثال الدروية .

لـكم جَمالٌ تذرَّى ذِرْوَةً حكمتْ (١)
على العُقُولِ ، وذِكْرٌ عنهُ فيْنانُ
مَضَتْ شعوبٌ وما أبقتْ سوى أثَرٍ
بَيْنا مفاخرُكم نورٌ وأذْهانُ !
الصخْرُ يلمعُ مَزْهُوًّا بسيرَتِهِ وتارَةً هوَ نزّاعٌ وهَيْمانُ !
تنوَّعتْ واستَعزَّتْ في تنوُّعِها
كذاكَ تعتز بالجيرَانِ جيرانُ (٢)
فلا (**الجوامع**) ما عافتْ (**هياكلها**)(٣)
ولا جَفَتْ وَحْدَةَ التّبجيل أدْيانُ
كأنمـا في سبيل الفنِّ ما بقِيَتْ
وفي سبيلِ العُلَى ما شادَ مَنْ بانُوا
مِنْ كلِّ أروعَ مشبوبِ الذَّكاءِ (٤) بنى
للخلْدِ بُنيانَ مجـدٍ فيهِ غُنيانُ

---

(١) تذري الذروة : علاها . والفينـان : لغة ـ الطويل الحسن الشعر ، والمقصود هنا الجميل البعيد الاثر .

(٢) تنوعت: اشارة الى المفاخر القديمة . وهيمان : ظمآن ـ اشارة لحنانه الى مبدعه .

(٣) اشارة الى مختلف الحضارات القديمة الباقية معالمها من مصرية قديمة ومسيحية واسلامية . (٤)مشبوب الذكاء : متوقد الذكاء . وبانوا بمعنى نأوا :

كأنما مِنْ رَحيقِ الخلدِ نشوتُهُ
لمَّا بَنَى ، ولهُ الاعجازُ بُنيانُ !
كأنما نَحتَهُ خَلْقٌ ، فلا حَجَرٌ
ذاكَ المثالُ ، ولا الأَوْثانُ أَوْثانُ !
وإنما هيَ مِنْ (فرعونه) طائفةٌ
كالمرْسلينَ لها وَعظٌ وإيمانُ !
صَمَّاءُ ، لكنْ لها في صَمتِها لغةٌ
جرداءُ ، لكنْ عليها الخِصْبُ[1] ضحيانُ !
وما انقِضاءُ الزَّفيفِ[2] العُمْرِ هدَّمها
وانما هدَّها وَجْدٌ وتحْنانُ !
وما يزالُ الشّبابُ الغَضُّ يرْمقُها
ويُستطابُ عليها منهُ رَيْعانُ ![3]
ما (البرتنونُ) ولا (فينوسَ)[4] إنْ قُرِنا
بها لِقَدْرٍ ، ولا الأَقمارُ أقرانُ !

---

(١) ضحيان . زاه .
(٢) الزفيف . السريع . اشارة الى أن المفروض لها طول البقاء .
(٣) ريعان الشباب : أوله وأفضله .
(٤) البرتنون : من أجل المعابد اليونانية القديمة . وفينوس: تمثال الزهرة الهة الجمال .

زالتْ بدُولاتِهَا عَجْلَى وما بقيَتْ

الاَّ رُسومٌ وأحلامٌ (١) وعنوانُ !

وفي دِيارِ بني (الفسطاطِ) ما برحتْ

مظاهرُ المُلْكِ مَوْفوراً لها الشَّانُ

وللجَمالِ بها وَحْيٌ ، لعِزَّتِهِ تضامَنَ اليومَ أحبارٌ ورُهْبانُ !

فما استَخَصَّ أذانٌ عندَ دَعْوَتِهِ

ولا تفرَّدَ ناقوسٌ وَصُلْبانُ !

وانما كلّها للحُبِّ داعيةٌ

وللجَمالِ الذي ناجاهُ وجدانُ (٢)

فأكملوا سيرَةَ الماضينَ في شَغَفٍ

فكم يُنضّي الجمالَ (٣) الفَخْمَ سلوانُ

---

(١) أحلام : أخيلة . يشير الى آثار الدول الاخرى .

(٢) اشارة الى أن الاذان وصوت الناقوس وان كانا بمثابة الدعوة العبادة الدينية الخاصة فقد تضامنا أيضا واشتركا في تبجيل وحي الجمال الكثير المظاهر في ديار بني (الفسطاط) فكأن كل عبادة دينية مقترنة كذلك بهذا التقدير العام المشترك للجمال المصري العربي القديم .

(٣) ينضي : يجرد .

وأنْصِفُوا نابغاً مِنْ جُهْدِهِ مُثُلٌ
للأمسِ، وهوَ بدانِي الفَجْرِ إيذانُ (١)

فالشّعبُ في غفلةٍ عنْ فنّه كفتًى
كَزّ اليدين (٢) غريبٌ عنه احسانُ

كلاهُما في ظلامٍ لا يحسُّ بهِ لكنَّ عُقباه إشقاءٌ وحرمانُ
إنّ الفنونَ غذاءٌ للنفوس، وكم تَصحُّ بعدَ نفوس النّاس أبدانُ
والنّابهُ الفحْلُ في شعبٍ يُضيّعهُ مثلُ اللّواءِ بعيدٌ عنهُ شُجعانُ!

هذا (٣) يُضَلَّل مخذولاً بعِشْوَتِهِ (٤)
وذاكَ (٥) أهونُ ما يَرْجوهُ خِذْلانُ!

قال الصّديقُ وقد أسمعتهُ أدبي:
« أحسنتَ، لكنْ كذاكَ الشّعرُ أسْوانُ (٦)

---

(١) داني الفجر: أي الفجر القريب الآتي ـ اشارة الى فجر نهضة جديدة. وايذان بمعنى اعلام. وقوله: « وهو » اشارة الى الجهد.

(٢) كز اليدين: بخيل. يقال لغة: كز كزازة وكزوزة بمعنى انقبض وبيس.

(٣) هذا: اشارة الى النابه.

(٤) عشوته: حيرته.

(٥) أي اللواء في جيش الجبناء.

(٦) أسوان. واجد.

فهلْ عطفتَ بتقديرِ إلى تُبَتِه
فالشِّعْرُ واللَّحْنُ والتَّصويرُ خِلاَّنُ ؟ »

فقلتُ : « واللهِ قد أعذرْتَ (١) منتقِداً
فانما نحنُ في الحالَيْنِ إخوانُ
وكلنا رَافعٌ فَنًّا يَهشُّ لهُ
وكلُّها (٢) للجمالِ الصِّفوِ أفنانُ (٣)
وكلُّنا تابعٌ للْحُسْنِ يعبدُهُ وكلُّنا في سبيلِ الحُسْنِ وَلْهانُ
فما يُعَزُّ بهِ فَرْدٌ يُعزِّزُنَا وإنْ يُعَانِ رأيتَ الجَمْعَ قدعانوا
فِدًى لهُ كلُّ شِعْري ، وهو (٤) خيرُ فدًى
اذا دَعتْه لنصْرِ الشِّعْرِ أشْجانُ
لولا التّضامُنُ لم يَخْلُدْ لنا أدَبٌ
ولا رجاءٌ ، ولا كُنّا ولاكانُوا ! »

---

(١) أعذرت : رفعت اللوم والذنب عنه .
(٢) اشارة الى جم الفنون التي يتحدث عنها . والصفو : بمعنى المحض .
(٣) جم فنن : وهو الغصن المستقيم .
(٤) أي ذلك الفرد أو الفني الآخر .

حفلة الأمس ...

بعث الأديب عبد الله افندي بكري بهذه الأبيات لصاحب الديوان
ذكرى لواقعة حال

(١)

هلْ أنتَ ذاكرُ حفلةِ الأَمْسِ والرَّقصُ فيها لذَّ باللَّمْسِ !
كم غادَةٍ باللَّيلِ مُشْرِقَةٍ قامتْ مقامَ البدْرِ والشَّمْسِ !
تقضي على حيّ بنظْرَتِها وكذاكَ تُحيي ساكِنَ الرَّمسِ !
أُنظرْ (**أبا شادى**) تكسُّرَها بتبسّمٍ يُفضي الى همْسِ !
ورفيقُها الوَلهانُ يحضُنُها مترَفِّقاً بأصابعٍ خَمْسِ !

(٢)

فرد عليه شاعرنا بهذه الأبيات :

نجوايَ أنسُ لذاذةِ الأَمْسِ يا حُسْنَ ما أسْدَاهُ لي أمسِي !
حيثُ الملاحةُ في تدَفُّقِها
تَرْوِي النفوسَ بأكؤس الشَّمسِ !

حيثُ العواطِفُ في تألُّقِهَا وسرَائرُ الوِجدانِ في همْسِ !
اللّمسُ بعضُ لُغاتِها ولها سِرٌّ تضنُّ بهِ على اللَّمْسِ !
أنا مَنْ حَييتُ بها وإنْ عَرَفَتْ رُوحي - بمسْرَحِ لَهْوِهَا - رَمْسِي !

الفردوس

الخُلْدُ آيةُ ما تَرَى والحورُ حكمتْ لهنَّ مباسِمٌ ونُحُورُ !
أشْرَقْنَ في شَفَقِ الغُروبِ فوَدَّعَتْ شمسُ النهارِ ، فنورُهُنَّ النورُ !
وخطرْنَ في بيضِ القلانس بينما بُسُطُ الجِنانِ الباسِمَاتُ تمورُ ! (١)
وضَحِكْنَ في نَعَمٍ على نَعَمٍ كما نثر التحيّةَ زَنْبقٌ منثورُ !
وكأنما هُوَ من سُرُورٍ خالِصٍ أو للنفوسِ سلافةٌ وعُطورُ !
ووَثِبْنَ تيهاً في قيودٍ حرةٍ (٢) وَثْباً حكاهُ البُلْبُلُ المأسورُ !
خطراتُهنَّ خواطرٌ منظومةٌ وملاحةٌ ورَشاقةٌ وحُبُورُ !

---

(١) تمور : تموج . (٢) يشير الى الاساور وغيرها من الحلي .

متكسّراتٍ في النضارَةِ والصِّبا مثل الأشِعَّةِ حسنُها مكسُورُ!
وترَى الزّهورَ تضمهنّ أناملٌ قُبُلَ الغرَامِ تَصُوبُهُنَّ ثُغُورُ!
وتكادُ تُفْتَحُ للجَمالِ براعمٌ شغفاً ، وتَسْجُدُ للجَمالِ زُهُورُ!
جُذِبتْ لهنّ نواظِرٌ وَعواطِفٌ وكذا الفَراشُ حيالهنّ يدُورُ!
وتصعَّد الماء القريرُ بنظْرَةٍ وكأنه أملُ الشبابِ يفورُ!
يَجْذَبْنَ شطرَ هواهُ في فسقيةٍ مِمَّا رَوَتْهُ مدامعٌ وسرُورُ!
فيرشهنّ كما تُرَشُّ أشِعَّةٌ للكَهْرباءِ أضافها البلُّورُ!

واذا الحَشائِشُ لاثماتٌ عن مُنًى
أقدامَهنَّ ... وللنباتِ فَخورُ!

وترَى عيونَ العاشِقينَ مُقِرَّةً ما غيرهُنَّ بحِسِّها منظورُ!
وتكادُ تفهمُ للطُّيورِ تَغَزُّلاً ومِنَ الرَّوائِعِ ما تقُصُّ طيورُ!

وترَى صُفوفَ الوَرْدِ في استِحْيائِها
طَوْراً ، وحيناً في الدّماءِ تثورُ!

وجموعَ أزْهارٍ سَطَعْنَ منَ الحُلَى وكأنّهُنَّ مَراشِفٌ وصُدُورُ
ولرُبما أسِفتْ غصُونٌ أثمرتْ
قَبْلاً ، فعوّضَ حُلْوَها الشحْرُورُ!

إنَّ الفواكِهَ للمَذاقِ شهيَّةً مِثْلُ الغِناءِ اذا اشتَهاهُ شُعُورُ!

وأتى أوانُ الشَّايِ اذْ مُدَّتْ لهُ نُخَبُ المَوائِدِ بِرُّها مشكورُ!
فاذا بحظي أنْ أجاورَ دَوْلةً للحُسْنِ يعبدُ سحرَها المسحورُ!
عرَضَتْ عليَّ من الطعام ألذَّهُ
وألذ ما أهدِي هوًى مَوفورُ!
فلبثتُ بيْن مُدامةٍ ودَعابةٍ وأنا شجيٌّ تارةً وصبورُ
حتى حَبَتْني..اذْغوَتْ..تفَّاحةً وبها الجمالُ على الهوَى مزرورُ!
فأخذتُها واذا بحُلمي زائلٌ بعدَ المذاق ومطمحي مبتورُ!
وصحَوْتُ مِنْ عيْشِ الخُلودِ كأنني
ميتٌ ، وفي حُلم الغرامِ نُشُورُ!
فبكيتُ في دَمْعِ اليراعِ عواطفي وجرَتْ بتِذْكارِ الخُلودِ سطورُ
بسامةٌ بمدَامِعٍ في نعمةٍ يُكْتَنُّ فيها المَدْمَعُ المَصْدُورُ!

وكذلكَ الفردَوْسُ في أحلامِنا وهمٌ، وغايةُ ما احتوَاهُ غُرُورُ!

الألم

كم شِمْتُ في الأَلمِ العَصيِّ صَديقَا
وشكَرْتُهُ بَعــدَ الفِراقِ رفيقَا!
وعرفْتُ مِنْهُ حقائِقاً أغفلْتُهَا فغدَا بتقْدِيري الجميلَ خليقَا!
في الضُّرِّ يعرفُني، وكنتُ إخالُهُ
يجْني عليَّ، فهلْ أكونُ مُطيقَا[1]... ؟!
حتى اكتسبْتُ مِنَ السَّقامِ رجاحتي
فرَأيتُهُ بفمِ الثَّناءِ حقيقَا
نعمَ المهذِّبُ للفُهُومِ يَدُلها والـكاشِفُ الدَّاءَ الدَّفينَ عَميقَا
نعمَ المرَوِّضُ للجسُومِ وقدْ نحَتْ نحْوَ المفاسِدِ اذْ حسِبْنَ رحيقَا
وأرى المشاعِرَ قد تخذْنَ لِسانَهُ للعقْلِ سُؤلاً للنَّجاةِ وَثيقَا
والعقلُ يُدْرِكُ فضلَهُ في أزْمةٍ
جعلتْهُ في الخطَرِ الجَسيمِ مفيقَا!
وكذا الطَّبيبُ يَخُصُّهُ بثَنائِه قبلَ الدَّواءِ كما يخصُّ شَفيقَا!
وكأنمــا هوَ منقِذُ العاني كما يُنْجي التَّوسُّلُ للشُّجاعِ غريقا!

---

(١) أي مطيقا صحبته .

لم يُنصفْ الألمَ الوَفيَّ معانِدٌ ومجازفٌ كم جانبَ التَّوْفيقَا
وكذا يُسيءُ لنفْسِهِ بعِنادِهِ ويظلُّ في وادِي الضَّلالِ طليقَا
إنَّ الحكيمَ هوَ المحقِّقُ والذي عَدَّ الخصيمَ اذا أفادَ صديقَا

الكلب التائه

هَجرُوكَ في سَفَرٍ وأَنْتَ الوافي يا أصدقَ الخلاّنِ والأُلاّفِ
واستكثَرُوا المالَ القليلَ لنُقْلَةٍ ولكم بذلْتَ الرُّوحَ بذلَ مُوافِ
فتُرِكتَ تبحثُ في المسالكِ تائِهاً وتُسائلُ الأثرَ القديمَ الخافي
وحُرِمْتَ حتى من غذاءٍ صالحٍ ومُنِعْتَ حتى مِنْ وِقاءٍ دافِ
فرثتْ لكَ الطُّرُقاتُ وهيَ حجارةٌ ورثى لنكبتِكَ الزَّمانُ الجافي
بينا الذينَ حرستَهُمْ ووددتَهم خذلوكَ في حِرْصٍ وفي اسْرَافِ

وتشدّقوا بعواطِفٍ بوداعهمْ
للنّاس ، واعتبروا من « الاشرافِ »[1]
الاَّ الوفاءُ فقدْ أبى توديعَهم فهم الجناةُ عليه بالاتلافِ
الاَّ الفضيلةُ يا معزَّ جلالها عرفتكَ خادِمَها بغيْر خلافِ
ياما أحَطَّ الآدميَّ بغدرِهِ وأجلَّ كلباً بالمروءَةِ وافِ!
هــذا هوَ الإِنْسانُ الاَّ في اسمِهِ
في أكرَمِ الأَخلاقِ والأوصافِ
يَجزيكَ بالبرِّ الصّحيحِ ولو قَضَى
فيهِ الضحيّةَ للإِخاءِ الكافي
وأخوكَ في « الجنس المبجَّل »[2] طالما
آذاكَ أو أقصاكَ عن انصافِ !

(١) الاعيان . (٢) الجنس الانساني .

الاهساله

والانسانية المقبلة

مِنْ لَذَّةِ الرُّوحِ إسْعادٌ واحسانُ
فلنْ يُطيقَ شَقَاءَ النَّفس انْسانُ
وهٰذِهِ دَولةُ الدّنيا بأجمعها سمحاء (١) ليْسَ لها ظُلْمٌ وحرْمانُ
لم ينشُرْ البؤسَ في أكنافِها جَذِلاً
الاَّ خِصَامٌ وافْسادٌ وبُهْتانُ
ولو أُتيحَ لأَهلِ العِلْمِ أن يَضَعوا
لها النّظامَ لما هُنَّا ولا هانُوا
« السّائِسونَ » لها أدواءُ نقمتِها
وللمدافِعِ ميزانٌ وأوْزانُ !
وما الحُقوقُ لها تقديسُ حُرْمَتِها
فكيْفَ يبلغُ بعضَ الذِّكرِ احسانُ ؟!
نُورٌ ضئيلٌ على الظُّلماتِ منبعِثٌ
لكنْ عليْهِ لها حُكمٌ وسلطانُ !

---

(١) سمحة .

والفكْرُ نَهْبٌ لهـا ، لا يستقرُّ لَهُ
قَدْرٌ ، وإنْ عزَّهُ عِلْمٌ وإيمانُ

وقالَ مَنْ يَدَّعي فَهْماً وفلسفةً :

« المرءُ للمرءِ إنْشاءٌ وبُنيانُ . . . »

ومِثْلُهُ مُنْكِرٌ عرفانَ واجبهِ اذاقضى لحقوقِ الغيْرِ عرفانُ !

فقلتُ : « إيْ وجلالِ الحقِّ لوْ صدقتْ
مبادِيءُ العِلْمِ إنَّ العِلمَ عِرْفانُ !
لا في مجالٍ بهِ للسَّطْوِ مَنْزِلَةٌ ولا بعصرٍ به للحَرْبِ أعوانُ
لكنْ بعصرٍ تُرَى للفكرِ دَوْلتُهُ
ويرفعُ الفكْرَ للعَلْياءِ وِجْدَانُ
فيعملُ النَّاسُ إخواناً لوحْدَتِهِمْ (١)
ويَستعيدُ حياةَ البرِّ إنسانُ »

(١) يعني الوحدة الانسانية .

الجاذبية والجمال

سألتُ عنكِ (١) وإنْ أجابَ فؤادي
فبدَا العتابُ من الجمـالِ البادِي !
أنتِ الرَّسولُ لمـا يشاءُ جلالُهُ (٢)
أنتِ الضَّمينةُ طاعتي وسُهادِي !
أوْ طُولَ نَوْمي في هُدُوءٍ شامِلٍ
وصفاءَ أنفاسي وحُلْمَ جِهادِي
يا قُوَّةَ الجَذْبِ التي تبقى بهـا
مُثُلُ الحيـاةِ ، وكم تُرَى بجمادِ
أستغفرُ العرْفانَ ! ليْسَ بدافعي
احسانُك الحادِي الى إلحادِي
أنتِ التي لولاكِ ما عرَفَ الورى
حُسْناً ، ولا فهموا رَجاءَ مَبادِي
ولكِ الجَدَا للكَوْنِ سَمْحاً ، بينما
قدْ عُدَّ في « الأمجادِ » ألأمَ جادِ !

---

(١) الخطاب موجه الى الجاذبية . (٢) الضمير عائد الى الجمال .

ومسائلينَ عن (الجمالِ) وسِرِّهِ
قلتُ الجمـالُ تناسقُ الإيجادِ
نُظُمُ الحياةِ ، فكلُّ شيءٍ فاتنٍ
فيـهِ نظامٌ للحياةِ يُنادِي
انَّ الوُجودَ (وكلَّ ما تلتَمُ) بهِ
صُوَرُ الحَياةِ ـ وانْ خَفِينَ ـ بَوَادي
فاذا تجلَّتْ في التناسُبِ حِلْيَةً
عُدَّتْ جَمالاً أوْ جلالَ مُرادِ !
شأنُ الحَيـاةِ تجاذُبٌ وتعارُفٌ
ومِنَ النّفوسِ الى النُّفوسِ صَوادي
فيرفّ للحسناءِ قلبُكَ عاشِقاً
فجمالُهـا حيٌّ بكلِّ فؤادِ !
وترى البساتينَ الحِسانَ كأنَّها
دُوَلٌ من الأَزْهارِ والأَعْوادِ !
ويشوقكَ الوادِي الغنيُّ بروْعةٍ
مِنْ شامخاتِ رُبًى ولُطفِ وهادِ !

ويهزّكَ الجبَلُ العتيُّ بنظْرَةٍ فبهِ لِمَكْنُونِ الحياةِ عوادي!
وتُراقبُ الشّلالَ في ثوَرَانِهِ متحكّماً بمشاعرِ العُبّادِ!
وتهشُّ للنجمِ السَّنيِّ فنورُهُ ذَرّاتُ أمواجٍ اليكَ غَوادِي!
وتُسَرُّ بالسِّفْرِ السَّرِيِّ بذُخْرِهِ مِنْ فكْرةٍ وضّاءةٍ بمدادِ!
وتذُوبُ في أثَرِ الغناءِ متيّماً وتحِنُّ للرَّقْصِ الشَّهيِّ الشّادِي
ولأَلفِ مَعْنًى للحياةِ مُجَمَّلٍ بتناسُبٍ وتجاذُبٍ وسَدَادِ
وجميعُها صُوَرُ الجمالِ لأنها صُوَرُ الحياةِ على نِظامٍ ودَادِ!

الشاعر المجنون

دَعَوْهُ شَقِيَّ الفكْرِ لكنَّهُمْ عَمُوا
فمـا الشَّاعِرُ المجنُونُ الاَّ المُنَعَّمُ!

يرَى الـكونَ بالرُّوحِ التي مِنْ صميمها
تألَّفَ هذا الـكَوْنُ والفِكْرُ والدَّمُ

ويارُبمـا أُوحِىَ اليـهِ بأنَّهُ
رَأَى الـكَوْنَ من بدءِ الخليقةِ يُنْظَمُ!

وشاهَدَ أطوارَ الحيـاةِ جميعَها
فمنها الهُدَى الصَّافي ، ومنها المحرَّمُ

فمـا ذنبُهُ إنْ يكشفْ السِّترَ باحِثاً
ويرسمْ لنا الشَّرَّ الذِي هوَ أعظَمُ

وما عيبُهُ إنْ يعترِفْ عنْ حقيقةٍ
فنفسيَّةُ الانسانِ تقْسُو وترْحَمُ

وفيهِ على الاجمالِ خيرٌ ونِقمةٌ
ومنهُ على الاجمالِ غُرْمٌ ومَغْنَمُ

ذَرُوهُ يَقُلْ شتَّى النَّشيدِ وإنْ يكنْ
بأفراحِهِ حُزْنٌ خفيٌّ ومأتمُ
فكم يُبْصَرُ الضدّانِ في العيشِ مثلما
تآلفَ طَيرُ الغاب : شادٍ وأبكمُ!
وخلوا الذي لا تشتهُونَ ، فعندكم
شَهِيٌّ مِنَ الشِّعْرِ الذي هوَ أفخَمُ
فقد يُمْنَحُ الإِحسانُ من كفِّ مملقٍ
ويَنظمُ تيجانَ الجلالةِ مُعْدِمُ
ويذشرُ آيَ الحِكْمَةِ الأَبلهُ الذي
يُترجم عن سِرِّ الوجودِ ويحكم
كأنَّ له بين الكواكبِ جولةً
وليسَ لهُ غيرَ الأَثيرِ معلِّمُ!
فلا تَبخسُوهُ الحَقَّ ، انَّ شعاعهُ
قويٌّ وكم بينَ الأَشِعَّةِ مُظْلِمُ (١)!

(١) اشارة الى بعض امواج الضياء التي لا ترى بالعين ، وهي رغم ذلك عظيمة الا ثر في الحيـاة .

حروب الشتاء

هجمَ الشّتاءُ مُرَوِّعاً بحُروبِهِ وكأنما أنْسى طويلَ ذُنُوبِهِ
في كلِّ عامٍ غَزْوَةٌ لجيوشِهِ ولكلِّ جيْشٍ فجأةً بوُثُوبِهِ
وكأنما ثارَاتُهُ لا تنقضي
بينا هوَ الجاني بثورَةِ حُوبِهِ [1] !
وتراهُ يُعلنُ ساخِطاً بشراسةٍ للأرضِ أنَّ المُلْكَ مِنْ مَطْلوبِهِ !
فلكمْ قرُونٍ بالجليدِ أحاطَها
ولكم بكتْ وعَنتْ لمحْضِ قطُوبِهِ !
حتى اذا أتتْ الحرارَةُ قُوَّةً تأبى السَّلامَ وطالبتْ بذُهُوبِهِ
بدأَ النّزاعُ فما يزالُ مطارداً طُولَ السّنينَ جيوشَها بهبُوبِهِ
وهيَ الرَّبيعُ يليهِ صَيْفٌ مُحْرِقٌ
ثُمَّ الخريفُ بخَوْفِهِ وشُحُوبِهِ
بَيْنا الشّتاءُ ولا حليفَ يُعزُّهُ أبداً يُتابعُها بكلّ خطوبِهِ
البرْقُ والرَّعدُ المهولُ كلاهُما مِنْ بعضِ حيلتِهِ وبأسِ حرُوبِهِ

---

(١) الحوب : الاثم.

وكذا الأتيُّ السَّيْلُ بيْنَ عوَاصِفٍ
تَذْرو النَّباتَ على عَتِيٍّ صبُوبهِ (١)
وسوَاقِطُ الثَّلْجِ التي تهوي كما
يَهْوي المُصَابُ مُدَجَّجاً بغيوبهِ! (٢)
والشَّمْسُ لا تقوى بكلِّ سهامها
في يومِ شدّتِهِ برَغْمِ نُدُوبهِ (٣)!
وَتظلُّ معركةُ البقاءِ تناوُباً ما دَامَ غلاَّبٌ على مغلوبهِ!
حتَّى اذا تَعِبَ الشّتاءُ وقدْ مَضَى
حلَّ الرَّبيعُ هوًى الى محْبُوبهِ!

اليقين

ذُخرانِ للنَّاسِ في الدّنيا اذا انعدَمَا
ماتَ الرَّجاءُ ورَاحَ الفِكْرُ منهدِمَا
هما (**اليقينُ**) الذي يغذو سَرائرَنا
و (**صحةٌ**) عذْبةٌ كم أسبغتْ نِعَمَا

---

(١) الصبوب : الانحدار . (٢) المصاب : المكروه . وغيوبه : أسراره
(٣) الندوب : الجروح .

هما الغِنَى ليْسَ مَرُّ العُمْرِ يُنْقِصُهُ
وكم يُخلِّفُ مَعْدُودُ الغِنَى العدَمَا !
والخَلْقُ في جهلِهِمْ أوْ في سعادَتِهِمْ
لا يَشكُرُونَهُمَا حتى ولا كَرَمَا
ما أكفرَ المرءَ في ابّانِ قُوَّتِهِ
وأكثرَ البثَّ والإيمانَ إنْ هُزِمَا !

وَمَجْمَعٍ مِنْ رِجَالِ الفَضْلِ قَدْ أَخَذُوا
يُسائلونَ عن « الاكسيرِ » مُتَّهَمَا
هذا يُحاولُ أنْ يُؤْذِي كَرامتَهُ
وذاكَ بالسُّخْرِ قدْ أذكى بهِ الأَلَمَا
فقلتُ : « ياقومُ !... انّي مَنْ يعضُّهُ
وما أشكُّ ، ومَنْ يُفْضِي بما عَلِمَا
فصَدِّقُونِي اذا قرَّرْتُ عَنْ ثِقَةٍ
وُجودَهُ شائِعاً يستدْفعُ الاَمَمَا
هُوَ (**اليقينُ**) الذي لولاهُ ما طلَعَتْ
شمْسٌ ، ولا قتلتْ مِن نورِها الظَّلَمَا

السَّاحرُ القادِرُ المُحْيي المَواتَ كما
يَحْيا النَّباتُ اذا ماصاحبَ الدِّيَمَا
وما أُبالي أَدِيناً كانَ أمْ سُوَراً
مِنْ فلسفاتِ الحِجى المستَيقظِ الهِمَمَا
إنَّ (**اليقين**) هوَ السِّرُّ الذي قبسَتْ
منهُ الحياةُ رَجاءً كُلَّمَا ابتسَمَا

* * *

فَصَدِّقوني سوى عانٍ أُميتَ بهِ
رُوحُ اليقينِ فأفنى العمرَ منهزِمَا !

البكاء

أَجْلَى مظاهِرِهِ السَّخاءُ ولا أرَى
جُوداً أَراحَ كما يُريحُ بُكاءُ!
الاَّ لمنكُوبِ الفؤادِ فانّهُ يَبكي وإنْ خَذَلَ البكاءَ الماءُ!
وتظلّ حرقتُهُ مثارَ شُجُونِهِ فلهُ الجَوَى ولهُ الدُّمُوعُ سواءُ
أوْ أنّه أثَرُ الضِّرَامِ تبخَّراً فاذا انقضى فلها الهشيمُ غذاءُ

كم مِنْ نفوسٍ قدْ تُغَصُّ بِعَبْرَةٍ وعيونُها بشَقائِها جَرْدَاءُ!
تَبكي ولا يدْري الأَنامُ بكاءَهَا
مِثلُ الشجاع يدِبُّ فيهِ الدَّاءُ!

ومِنَ البكاءِ مُحَبَّبٌ لخفائِهِ يشقى بهِ الوجْدَانُ والاعضاءُ
والدَّمْعُ انْ غلبَ الرَّجاءَ تحيَّةٌ ومِنَ التَّحيَّةِ للهُمُومِ شِفَاءُ!
خطأً تَراهُ مِنَ البكاءِ، فانما أصلُ البكاءِ تعاسةٌ وشقاءُ
وكأنمـا هوَ للحَيَاةِ رَسولُها
فمنَ الحَيَاةِ الى الحَيَاةِ رَجاءُ
أو انمـا هوَ في المصابِ عزاؤُنَا
أوْ انمـا هوَ للحظُوظ دَوَاءُ
والفيلسُوفُ اذا بكى بشعورِهِ
غيْرُ الضَّعيفِ سطَا عليْهِ بُكاءُ!

فلسفة الرقص

(١)

هلاَّ نظَرْتَ (**أبا شادى**) ملائكةً
لمَّا حواهنَّ وقتَ الرَّقصِ كازينو[١] ؟!
خففنَ لبساً وأرْواحاً فلا عَجَبٌ
لهنَّ يا صاحِ إنْ خفَّتْ موَازينُ !

عبد الله بكرى

(٢)

أجلْ صَدِيقيَ ! ما ذِكرِي بمنقطِعٍ
لرَقصِهِنَّ الذي فيــهِ أفانين
كُنَّ الجمــالَ بلا حَدٍّ ولا صُوَرٍ
كُنَّ الرِّياحينَ تَهْواها الرَّياحينُ !
وكُنَّ مُنْتَخَبَ الأَمواجِ في لَعِبٍ
تلألأتْ مِنْ تَلاهيها البساتينُ !

---

(١) الكازينو : الملهى والكلمة من الدخيل (Casino)

وكُنَّ نُوراً بلاَ وَزْنٍ يُقاسُ بهِ
الاَّ القُلوبُ التي فيها المَوازينُ !
وكُنَّ أبْهَى مثالٍ للحيـاةِ فمـا
غَيْرُ الجمـالِ هُوَ الدُّنْيا أو الدِّينُ !
لَبسْنَ ما رَقَّ حتى لا عِتابَ لنا
وكان منهُنَّ حِسًّا حُورُنا العِينُ !
ما خِفْنَ حَبْساً ولا سَتْراً ولا شَرَكاً !
هُنَّ الملائِكُ أمْ هُنَّ الشَّياطينُ ؟!

أبو شادى

القُبلة

يشتاقُها مِنْ ظَمَاءِ الرُّوحِ ظمآنُ
فقُبْلَةُ الحُسْنِ إحياءٌ وإحسانُ
أوْ أنّما هيَ آمالٌ مُعَذَّبَةٌ يَرُدُّها لسَنَاءِ البِشْرِ إيمـانُ
ونَضْرَةٌ من نعيمٍ كوَّنتْ سَبَباً
للصَّفْحِ عنْ هذِهِ الدنيا لمنْ عانَوا

ومَظْهرٌ منْ حَنَان الرُّوحِ يَجْذِبُهَا
رُوحُ الجَمـالِ الذي ناجاهُ وِجدانُ
والُحسْنُ في هذِهِ الدُّنْيا على صُوَرٍ
لٰكنَّما يَجْذِبُ الإِنسانَ إنْسانُ
هيَ الحيـاةُ لها في العَطْفِ تنميةٌ
وكم يقومُ بها شَوْقٌ وَتَحْنانُ
وَقُبْلَةٌ مِنْ صَمِيمِ الحِسِّ جامِعَةٌ
لـكهربائيةٍ بالسِّحْرِ تزدَانُ !
كأَنمـا تنقُلُ الأَحلامَ لذَّتُها الى اليقينِ الذِي يلقاهُ جذلانُ
وتنفثُ الرُّوحَ في العاني فتُرْجِعُهُ
الى النّعيمِ الذي أفنتْهُ أشْجانُ !
مَهْما تَطُلْ فقصيرٌ عُمْرُهَا ولها حَقُّ التَّجدُّدِ لا يَعْصيهِ إهْفانُ
لها مِنَ الأُنْسِ ألوانٌ منوَّعَةٌ
ومنْ نشيدِ الهوَى والخُلْدِ ألحانُ !
ومِنْ شهيِّ المعاني كلُّ مُمْتِعَةٍ كأنما هيَ للذَّاتِ بُسْتانُ !
وقائل : «ذاكَ وَهْمٌ للخيالِ» ... فيا للهِ كم يستوي حِسٌّ وحُسْبانُ !

الشرف

خُذْ ما تَشاءُ ودَعْ لي مُكْرَماً شَرَفي
فضَيْعَةُ الشَّرَفِ الغالي مِنَ التَّلَفِ
هُوَ الشِّعارُ لوِجْداني وعِزَّتِه هُوَ الممثِّلُ صِدْقاً مُرْتقَى شَغَفي
ولو أبيتُ فقيرَ المالِ ذَا عَوَزٍ
فالفقْرُ في المالِ غيْرُ الفَقْرِ في الشَّرَفِ
وكم بدُنياكَ آلام تئِنُّ لها وشَرُّها في ضَميرٍ غيْرُ منكشِف
هيَ الشَّقاءُ لعانٍ منْ ضلالتِهِ
فليسَ تُدْفَعُ من طِبٍّ ولا أسَفِ!

●▭●

وواهِمٍ ظنَّ أنَّ المالَ خالقُهُ فليسَ عنهُ ولو مَيْتاً بمنصرفِ
مشى يُصعِّرُ خدّيهِ ويُشْعِرُنَا
كُرْهَ الحياةِ ولو كنّا على كَلَفِ!
كأنهُ النّارُ في الجَنّاتِ تُفْزعُنا
أوْ أنّه السُّمُّ في حالٍ منَ الطُّرَفِ!

يَبيعُ أرْواحنَا بَيْعاً لشَهْوَتِهِ
ويَشتري العِرْضَ أوْ يُلقيهِ للهَدَفِ
سألتُهُ : « أيْ عزيزَ النّاسِ في بَذَخٍ
ومَنْ تبختَرَ في السّاحَاتِ والصُّحُفِ !
ومَنْ يخرُّ الى الأَذْقانِ تبّعُهُ (١)
اذا التملّقُ ناجاهُمْ ، ولم يَقِفِ !
باللهِ هلْ أنْتَ تدري أيَّ مفخرَةٍ
كسبتَها من صنيعِ النّفسِ لا السَّلَفِ؟
وهلْ علمتَ يقينَ العلمِ ايَّ سناً
لزائِفِ اللؤلؤ المعروضِ في الصَّدَفِ ؟!
وبينما أكرَمُ الابريزِ معتكفٌ
في باطِنِ الأَرْضِ لكنْ غيْرُ منكسِفِ
هذا لَهُ شرَفٌ في لبِّ جوهرِهِ
وأنتَ بالعَرَضِ الفاني وبالسَّرَفِ ! »
فحارَ من جُرْأتي سُخْطاً فقلتُ له :
« إنْ صَحَّ انكَ انسانٌ فوَا أسفي ! »

(١) التبع لغة بمعنى الظل ، ومجازاً بمعنى المماثين .

هباناه

الشقاء والسعادة

بِنَ مَرَّ الضُّحَى وكَرَّ العَشِيُّ أُنْفِقُ العُمْرَ في عَناءِ الشَّقِيِّ
وأُواسِي - برغْمِ هَمِّيَ - نَفْسي بجمالِ المُنَى وحِسِّ الابيِّ !
فاقِلاً للفُؤادِ وَحْيَ جَنَاني مطمئِنًّا الى هَوَى الصُّوفيِّ
يَنظُرُ المُقْبِلَ البَعيدَ فيَنْسَى
حاضِرَ البُؤْسِ في الرَّجَاءِ القَصِيِّ !
كم دَهَتْني الأَحْدَاثُ والنَّاسُ والا
دُنيا برزْءِ المُنَغِّضِ العَبْقَرِيِّ
مِنْ جُحُودٍ لِطُولِ بَذْلي وحُبِّي وامتِهانٍ لخاطِري الأَلْمَعِيِّ
وأفانينِ كُلِّ لُؤْمٍ خبيثٍ
مِنْ رقيعِ الأَنام مثل « التقِيِّ »
كُلُّ ذَنبي تَرَفُّعي عنْ سُقُوطٍ قدْ تَدَلَّوْا اليهِ في كُلِّ شيِّ
وأنا المُعْدِمُ الذِي عافَ بُخْلاً في مَقَامٍ دُعَاؤُهُ للغنيِّ !
وأنا الصَّافحُ الذي ذاقَ مُرًّا لمسيءٍ بدَا بتيهِ الدَّعِيِّ !
وأنا الجاهِدُ الذِي مَا توانى عنْ حُقُوقِ الوَرَى وحَقِّ العلِيِّ

وأنا المُصْلِحُ الذِي كم تفانى وتخَلَّى عنْ مَظْهَرٍ أوْ حُلِيِّ
وأنا الجاعلُ الفِعَالَ مَقَالي وكأَنَّ الفِعالَ ذَنْبُ الذَّكِيِّ!
زَمَنٌ جِئْتُ فيهِ قَبْلَ أواني طافحٌ بالولاءِ المُدَّعِيِّ
يُخْذَلُ الحقُّ فيهِ رَغْمَ سطُوعٍ ويُساوَى المُسِفُّ بالجَوْهرِيِّ
زَمَنٌ خِلْتُهُ زمان انتقالٍ ضَلَّ عنْ منهَجِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ
كلُّ أوزانهِ اضطِرابٌ وخَلْط أيُّ مَعْنًى لِوَصْفِهِ الذَّهَبِيِّ؟!

وشَجَتْني مصائبٌ ما تَناهَتْ وأذاةُ «البصيرِ» بعدَ الغَنِيِّ!
كلُّ مَنْ خِلْتُهُ عَزَائي تمادَى في أذَاتي بقَلْبِهِ الحَجَرِيِّ!
فقهرْتُ الشقاءَ مِنْ دُونِ بَثٍّ بشُعُورِ العُلَى وَدأْبِ القَوِيِّ
وتخَيَّلْتُ أنَّني في زَمَانٍ مُقْبِلٍ يَحْتَفي بعقْلي السَّرِيِّ!
فأنا الآنَ ساكنٌ بيْنَ دُنْيا سوْفَ تأتي بكلِّ حُسْنٍ وفِيِّ!

حيثُ يَسْمو الانسانُ عنْ وَهْدَةِ الشَّـ
ـرِّ ويَرْقَى الى النَّعيمِ الشَّهِيِّ
وأنا الآنَ حينَ أُنْشِدُ شِعْري
فلآتي الأجْيالِ يُزْجَى رَوِيِّ!

وكأنّي بكَتْمِ حزْني ووَجْدِي وعذابي مُبشِّرٌ كَنَبيِّ !
وكأنّي أنالُ حظّيْنِ جَمْعاً بحَياةِ الشّتيّ غيْرِ الشّقيّ !

الصيف

فصل السكون والجلال

لِمَ لا أخُصُّكَ بالثّناءِ وقد وَفَى
في جِيرَةِ البَحْرِ الطَّرُوبِ خيالي
هذِي بَنَاتُ البحْرِ شِبْهَ ملائِكٍ
تَرْفُلْنَ في الأضْوَاءِ والآمالِ !
وتهَبْنَ للأرْضِ القريرَةِ حظَّها
مِنْ نَفْحَةِ الحُسْنِ الطَّليقِ الغالي
والشّمْسُ بالتّجديدِ جدُّ سَخيّةٍ
والرّوْضُ بالأحْلامِ جِدُّ مُغالي !

سادَ السُّكونُ على زَمانِكَ مثلما
سادَ الصَّفاءُ على الكسيفِ البالِ !
وأخْضَرَّ بُستانٌ لفرْحةِ طَيْرِهِ
كنضارَةِ القَلْبِ السَّعيدِ الحالي !
ويَعودُ للظِّلِّ الشَّفيقِ حنُوُّهُ حينَ الضِّياءُ يرفُّ كالمخْتالِ
و (الكَوْنُ) يضحكُ دُونَ صَوْتٍ مُعْلِنٍ
و (الحُبُّ) مُحْتَكِمٌ على الآجالِ !
يَصِفُ الغُرُوبُ القِرمِزيُّ جفاءَهُ (١)
والبَدْرُ يَسكُبُ عَطْفَهُ المُتعالي
ومَرَائرُ العُشَّاقِ في أفيائِهِ ما بيْنَ أغلالٍ وبيْنَ جَمالِ
وَعَدَ الرَّبيعُ لهمْ بهِ فأتى كما يأتي عِيانُ الحُلْمِ بعدَ خَيالِ
واستَمْتعوا مِنْ بِرِّهِ أضْعافَ ما ظَنّوهُ في التقديرِ شِبْهَ مُحالِ !
الشَّمْسُ في الإشفاقِ طالَ مُكُوثُها
والبدْرُ في الإغْواءِ جاءَ يُوالي !
والزَّهْرُ ينشرُ عِطْرَهُ لمُحِبِّهِ في غيْرِ تقتيرٍ ولا إدْلالِ !
وحَرارَةُ الجَوِّ استحالتْ للورى حُبًّا تنَزَّهَ عنْ أذَى العُذَّالِ !

---

(١) أي جفاء الحب .

تُذْكي عواطِفَهمْ ، وتَسْمَحُ هكذا
بتحرُّرٍ وتعانُقٍ ووِصالِ !

ما الصَّيْفُ الاَّ مَوْسِمٌ لملاَحَةٍ بلغتْ نفائِسُهَا أعزَّ جلاَلِ !

الحظ الضائع

تعوَّدْتُ أنْ أُلْقِيَ شُعاعي مُصَوَّراً
ظَلاَماً ، وعِلْمي وَصْفُهُ أنَّهُ الجَهْلُ !
فأصْبَحْتُ لا أُعْنَى بمدْحٍ يُكالُ لي
كأنَّ مَدِيحَ النَّاس في جِدِّه هَزْلُ !
ولم أعدمْ الرَّاجينَ جُهْدِي ومَطْلبي
ومَنْ قدَّرُوا شِعْراً بهِ حِسَّهُم يَعْلو
غَنِياً بإحْساسٍ ، سَخِياً برَسْمِهِ
تَناوَبَ فيهِ الفَنُّ والحِسُّ والعقْلُ
ولكنَّ طَبْعَ النَّاسِ طَبْعُ تذبذُبٍ
واكْثَرُهُمْ في الوَهْمِ يَشْغَلُه شُغْلُ

ومِثْلي الذي تَكفيهِ شُهْرَةُ رَأْيِهِ
وما شاقَهُ زَهْوٌ . كما شَاقَهُ نُبْلُ
ومَنْ ليْسَ يُلْفَى رَاضياً عنْ نفيسِهِ
فيعْمَلُ للاتقانِ مِنْ رُوحِهِ البَذْلُ
ومَنْ يَتَغَالَى في انتِقادٍ لنفْسِهِ
ويَرْفَعُ مَنْ عاداهُ إنْ زَانهُ فضْلُ
جديرٌ بأنْ يَلْقَى منَ البَخْسِ والأَذَى
صُنُوفاً ، وأنْ يُغْرَى بإصْغارِهِ الجَهْلُ!

كتاب الفن

أهْلاً بسِحْرٍ (للطَّبيعةِ) فاتِنٍ ... عُوِّدْتُ أنْ أتْلو سَنَاهُ كتابَا
في كلّ ما شَملتْ جمالٌ رائِعٌ ... يستأسر الأَذْهَانَ والألبَابَا
وتمدُّني أوزانُهُ وبيانُهُ ... بالشّعرِ والأَلحانِ طِبْنَ وطَابَا
وتُثيرُ أخيلتي فأطْفرُ سابِحاً ... في عالمٍ أسْمَى حَوى الأَرْبابَا!
وأعودُ أنقلُ للأَنام روايتي ... شِعْرَ التَّفاؤُلِ سامياً غلاَّبَا

دِين العلم

لِلْعِلْمِ مِنْ نُورِ الحقيقَةِ دِينُ ... وبِهِ على مَرِّ الزَّمَانِ أَدِينُ
ما لَيْسَ يُثْبِتُهُ الدَّلِيلُ فما لَهُ ... قَدْرٌ ، وما يَسْمُو اليهِ يقينُ
واذَا تعارَضتْ الأَدِلَّةُ فالحِجى ... يقضي بأنْ لا يَجْزِمَ التَّبيينُ
اَلجَهْلُ أَوْلى بالفضيلةِ ذِكْرُهُ ... مِنْ أنْ يُضلِّلَ بالعقولِ أمينُ

قُلْ : « لستُ أَدْري » صادِقاً ومُحقِّقاً
لا أنْ يُخادِعَ فهْمَكَ التَّزْيينُ
جَرِّدْ شُعُورَكَ مِنْ سخيفِ عقائدٍ
يَنْدَى لها عِنْدَ الحِسَابِ جبينُ
وٱحْرِصْ على العِلْمِ الأَكيدِ كأَنَّهُ
رُوحٌ وَرَيْحانٌ عليْكَ يَزينُ
وٱبذلْ مِنَ الجُهْدِ الشَّريفِ أَجلَّهُ
لِتُعَلِّمَ المخْدُوعَ كيْفَ يدينُ
كم مِنْ رجالٍ طلّقوا أفهامَهمْ
وجَميعُهمْ بهُدَى الدَّليلِ قمينُ (١)

---

(١) قمين : جدير .

ولهمْ بعادَاتِ القديمِ صَلابةٌ ولو آنَّ إعجازَ الجديدِ يُلينُ
وحيالَهمْ للكهرباءِ عجائبٌ ولهمْ الى عِيسِ الفَلاَةِ حنينُ!
ويُصدِّقونَ خرافةً كم أضحكتْ أطفالَهمْ فتهاوَنُوا وأُهينوا
ويكذِّبونَ شَواهِداً لا تنمحي الحِسُّ فيها ناطِقٌ ومَكينُ
فتسيرُ مَيْراً للحضيضِ أمورُهم
وجميعُهمْ بأذَى الهوَانِ رهينُ
ومِنَ العجائبِ أنْ يلوموا بينما
كُلٌّ بمَسْلكِهِ العقيمِ سجينُ!

مناجاة القمر

تطوفُ شوقاً حيالَ الأرْضِ يا (قمرُ)
كعاشِقٍ دَائِبٍ يلهو بهِ القَدَرُ!
قدْ كنتما وَحْدَةً في الحُبِّ ذائبةً
وَلا عَذُولٌ ولا خوْفٌ ولا حَذَرُ
فصرْتما مَثلاً للعاشقيْنِ قضَى حُكمُ الفراقِ بما يَبكيهِ مُخْتَبِرُ

تَظَلَّ أنتَ طَويلَ الدَّهْرِ في جزَعٍ
والنَّاسُ تَعْشَقُ فيكَ الحُسْنَ يا (قمرُ)
ويَجْهلُونَ معاني صفْرَةٍ ظَهَرتْ
عندَ الشُّروقِ على مَرْآكَ تستَعرُ!
عن أُمِّكَ (الشمسِ) قدْ فُرِّقتَ منْ قِدَمٍ
وعنْ حبيبتِكَ الباكي لها المطَرُ
تجيءُ في اللَّيْلِ باسْمِ الحُبِّ تسألُها
أنْ لا تضنَّ ببرٍّ... ثمَّ تنتَظِرُ!
فترْتقي لكَ أنفاسُ الحياةِ بها
على المُناجاةِ اذْ يُزْجى لكَ النَّظَرُ!
وتارَةً أنتَ في سَتْرٍ تُراودُها
وليْسَ مِثْلُكَ في الحالَيْنِ يستترُ
وأنتَ مَضْرَبُ أمثالِ الجمالِ كما
تحْلو بطَلْعَتِكَ الآمال والسَّهَرُ
فانما نحْنُ اخْوانٌ وتُرْبَتُنا
فينا لها دائماً منْ عَطْفِنا أثَرُ!

مهْما نأيْتَ فلاَ السُّلوانُ نَعْرفُهُ
ولنْ تَجُورَ على أنْسابنا العُصُرُ !
ولنْ تُساويكَ في تقديرِنا أبداً
أسْمى الشُّموسِ وتلكَ الأنْجُمُ الزُّهرُ
أنتَ الحبيبُ ، وهذِي (**الشمس**) شاهِدَةٌ
و (**الأرض**) ذاكِرَةٌ ، والنَّبْتُ والبَشَرُ
والمَدُّ والجزْرُ مِنْ أمثالِ ما عَرفَتْ
حياتُنا مِنْ حنينٍ فيكَ ينحَصِرُ !

عظمة الأدب

لمناسبة ترشيح الاستاذ أحمد حافظ بك عوض صاحب (كوكب الشرق)
بدائرة باب الشعرية نائباً عنها في مجلس النواب

غَنِمْنا أميرَ الطبِّ للنفعِ بيننا (١)
ولٰكنَّ بعْضَ الطبِّ أنْ يُنْصَرَ الادبْ
فيا (حافِظَ) الآدَابِ فوزُكَ نُصْرَةٌ
يُعَزُّ بها الآسي ويفخَرُ مَنْ كتَبْ
فقدْ مَرَّ جيلٌ كُنْتَ بينَ أساتِهِ
ومَطلبُهُ الأَسْمَى الى مِثْلِكَ انتَسَبْ
وقدْ جاءَ جيلٌ أنتَ بَعْضُ شُعاعِهِ
ولنْ يُغْفِلَ الاشْعاعَ مَنْ يَعْرِفُ الدَّأَبْ
فَثِقْ ... انّ شعباً يُدركُ النّورَ والحِجا
يَعِفّ عن الاصغاءِ للوَهْمِ والصَّخَبْ
وما كنْتُ في هذِي التحيّةِ مادِحاً
ولٰكنّي أروي المآثرَ والسَّبَبْ !

(١) يشير الى تخلي الاستاذ الدكتور علي بك ابراهيم عن الترشيح البرلماني تلبية لرجاء زملائه الاطباء .

وما الشّعرُ الاّ انْ يكونَ عَواطِفاً
تُنشِّطُ احساساً وتَبتعثُ الطَّرَبْ
وتَرْسمُ مِنْ معنى الحَيـــاةِ مشاهِداً
ومِنْ صُوَرِ الأَسْرَارِ مادَقَّ واحتجَبْ
فانْ جئْتُ بالشِّعْرِ الأَبيِّ مُزَكِّياً
فانّي أُزكِّي للمبادِيءِ مُنْتخَبْ
تجَسَّمَ فيها الحِسُّ منْ كُلِّ جانبٍ
وعندَكَ منها مَنجمُ الفَخْرِ لا الذهَبْ
وذِكْرُكَ عِنْدِي ذِكْرُ نَفْسٍ عظيمةٍ
تمثَّلَ فيها الحِلْمُ والعِلْمُ والأَدَبْ

دولة القلم

لمناسبة ترشيح الاستاذ عبد القادر حمزة صاحب (البلاغ) نائباً عن دائرة حوش عيسى في مجلس النواب

إنْ قدَّروكَ ـ وما أشك ـ فانما
قَدَرُوا النُّبوغَ وَما عليهِ يُشادُ
فلديْكَ منْ شَرَفِ اليَراعةِ دَوْلَةٌ
يكفي لصَوْنِ جلالها (العقَّادُ)
ما كنْتَ ذا عوزٍ لفخْرِ نيابةٍ
(فبلاغُكَ) الفَخْمُ اصْطَفَتْهُ بِلادُ
لكنَّها فَرْضُ الزَّكاةِ مُحَتَّمٌ
ولكم يجودُ جنانُكَ الوَقّادُ
حَقٌّ عليَّ تحيَّتي لمعلِّمٍ
الرأيُ طَوْعُ بنانهِ و (الضَّادُ)
وأُجِلُّ شعري عن عُيوبِ مدائحٍ
لكنَّهُ طَرِباً لكَ المُنْقادُ

إنْ يَخْذُلْ الأُدَباءُ مظهرَ حقّهمْ
في الحُكمِ فالأَملُ العريضُ نَفَادُ
ليْسَ التحاسُدُ مِنْ مواهبِ نابغٍ
إنّ التعاوُنَ للنُّبوغِ عِمَادُ
وأرى الممالِكَ بالعُقُولِ قِوَامُها
وأرى العقولَ حُصُونُها الأَفرادُ (١)

الى المتجردين

لكمِ ما أرَدْتُمْ مِنْ يقينٍ وضِدِّهِ
فلستُ على خُلْفِ العقيدَةِ أَحْنَقُ
ويا طالما قدْ كُنْتُ للفكْرِ ناصِراً
وما زِلْتُ مَنْ يرْضاهُ (٢) حرٌّ مُحقّقُ
لكمْ دِينكم أوْ أيّ دِينٍ ومَذْهبٍ
فانَّ فخارَ العصْرِ بالفكْرِ مُوثَقُ

---

(١) الافراد : رجالها النابغون . (٢) يختاره ويقنع به .

ومِنْ رُتبةِ الإِنْسان حُرِّيَّةُ الحِجَا
وما هانَ قَوْمٌ في مدى البَحْثِ أُخْفقُوا
ولٰكنْ بحقِّ العِلْمِ والفَضْلِ هلْ لكم
صِيانة ميراثٍ هُوَ المجْدُ يُشْرِقُ ؟
وفيمَ ابتِغاءُ الهدْمِ في كلِّ وَثْبَةٍ
كأَنَّ النهُوضَ الحقَّ هَدْمٌ مُحَقَّقُ ؟!
وأيُّ رَجاءٍ في غَدٍ حينَ أَمْسُكمْ
يُذالُ بما يأباهُ عِلْمٌ ومَنْطِقُ ؟
اذَا ما قطعتم ذلِكَ الجِذْعَ ضَلَّةً
فكيفَ الغَدُ المأمولُ ينمُو ويُورِقُ؟
وانْ كانَ ذَنْبُ الأَمْسِ آثارَ دِينِهِ
أليْسَ لهُ تاجٌ من الفنِّ يُعْشَقُ ؟!
فلا تحْسَبوا أنَّ الفلاحَ تَجرُّدٌ ولٰكنَّهُ عِلْمٌ متينٌ مُوَفَّقُ
وأخذٌ بأسْبابِ العظائِمِ كُلِّها
ومِنْ بينها الأَمْسُ العزيزُ المحلَّقُ
لعَمْريَ ما يُطْفي الجواهرَ عُمْرُهَا ولٰكنْ على مَرِّ الزَّمانِ تَأَلَّقُ!
وتَبقى مِثالاً للجمالِ مهذَّباً يُصاغُ على إشْعَاعِها ويُنمَّقُ !

تذكرة طبيب

بعث بها الشاعر الى فضيلة الاستاذ الاديب الشيخ عبد العظيم حجاب
في مرض منهك

وسُئِلتُ تذْكِرَةَ الطَّبيبِ فها كَها
شِعْرٌ مِنَ الأدَبِ السَّليمِ مُذابُ!
ردِّدْهُ تَرْدِيدَ المدام فطالَما شُفِيَتْ ببعضِ سلافِهِ الألبابُ!
وتأسَّ ... صَوْمُكَ كالزَّكاةِ وربَّما
في الصَّوْمِ ـ إنْ لَجَّ السَّقامُ ـ ثوابُ!
أنتَ الاديبُ ، والأديبِ مَناعةٌ!
ولدَيهِ عَنْ صِغَرِ (١) الزَّمانِ «حِجابُ»!
ليسَ الفِراشُ بحابس لكَ هِمَّةً
رُوحُ الأديبِ لها الوُجُودُ رِحَابُ!
ومِنَ النفوسِ حرائرٌ وثوائرٌ
ومِنَ النفوسِ إسارُها الجِلْبابُ!
والنّاسُ مِنهمْ في سُجونِ جُسومِهمْ
بيْنا يُقِلُّ النابهينَ سَحابُ!

(١) صغر : ذل .

أَنْظرْ ـ ولو أغمضتَ عينيكَ ـ السنّا
هيْهاتَ يُغْلقُ دُونَ حِسِّكَ بابُ !
وانشقْ عبيراً للجمالِ، فزهرُهُ لكَ ذاكرٌ، وأريجُهُ وثّابُ !
أقسى السقامِ يهُونُ إنْ ملكَ الهوى
حُسْنٌ وانْ أسَرَ الشُّعورَ كتابُ !
فاصبرْ بعقْلِ الفيلسُوفِ فانما ذهْنُ الحكيمِ سَماحةٌ وصوابُ
والكَوْنُ أضيقُ مِنْ فسيحِ جنانِهِ
تَبعٌ لهُ الأجْيالُ والأحْقابُ !
والسُّقْمُ أوْلى أنْ يُخَصَّ بهزْئِهِ
فالصمْتُ للمَرَضِ الأليمِ عقابُ !
ورثَ الحقيقةَ عنْ ألوفِ جَمّةٍ بنتْ الوجودَ ولم يفتْهُ شبابُ !
وأرى الأَدِيبَ هوَ الحكيمُ بعينِهِ
وكذاكَ أنتَ مُسائلٌ ومُجَابُ !

التل الكبير

ذكرى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢

لِمَ لا يُشيدُ بذِكْرِهِ إنشادِي ؟ !
لِمَ لا يُبجِّلُهُ الفَخُورُ الشَّادِي ؟ !

فَخْرُ الحُروبِ نَبالةٌ وبَسالةٌ شَرَفُ الهزيمَةِ لنْ يعودَ لعادِ
والشَّاعرُ القوْميُّ يُنصِفُ قومَهُ لا يرْفعُ الايمانَ بالإلحادِ!
لنْ يكْذِبَ التاريخَ اوْ وِجْدانَهُ
التاريءِ الإلْهامَ خلْفَ سَوادِ
بلْ يكذِبُ الخُلُقَ السَّليمَ مُحَقِّرٌ
لشهامةِ الماضي وسؤْلِ الغادي

ذِكْرٌ يَطُولُ بيانُهُ ، فهمومُهُ شتّى ، فحسبي ما يَقُصُّ فؤادِي
ولربّ أبياتٍ تُعَدُّ سَما بها خُلُقٌ ، فكنَّ شوامخَ الأَطْوادِ!

مرَّ الفِطَارُ وقدْ تقاطرَ مَدْمَعي
ما بيْنَ ذِكْرِ مُنًى ووَقْعِ حِدَاد !

في مُوحِشِ الصَّحْراءِ تكشفُ سِرَّها
تلكَ الرِّمالُ الخاطِباتُ ودَادِي!
أجزَتْ[1] عن الشَّرْحِ الطَّويلِ فانَّها
صَفَرتْ عنِ الأَلَمِ العظيمِ البادِي!
فبدَتْ خنادِقُها الأَسيفةُ مثلمـا
تُبدِي الشجونَ وحيدَةُ الأَغمادِ!
مُلِئَتْ حَصًى، والأَمْسَ كانَ قوامَها
أَنَفُ الرِّجالِ ونخْوةُ الأَنجادِ[2]!
أشباهُهُمْ هزَموا العدوَّ بضَرْبةٍ
في (كفرة الدوار)[3] ذاتِ سَدَادِ

تَبقَى مثاراً للحَماسَةِ كلّما رُمْنا انتجاعَ الفخْرِ للأَجْدَادِ
وهم الدينَ وانْ تهدَّمَ حِصنُهُمْ غَدْراً بهمْ ما استسلموا للمادي
تركوهُ في شَمَمِ الاسُودِ اذا مضَتْ
لمجدِّدٍ مِنْ حِيلةٍ وجِهادِ!

---

(١) اجزت : اغنت . (٢) الانجاد : الشجعان .

(٣) كفر الدوار : بلد مصرية معروفة حيث هزم المصريون الانجليز شر هزيمة في اوائل حرب الاستقلال العرابية مما اضطرهم الى الهجوم المستتر من ناحية قنال السويس . والكفرة : ظلمة الليل واسوداده ، اشارة الى هزيمة العدو .

هرَعُوا لمربضهمْ ومعقلِ ملكهم ليُصانَ بالأرواحِ والاجْسادِ
فتقضى المغالِطُ أنْ يَعُدَّ دِفاعَهُمْ
ضَرْباً من الاجفالِ [1] لا الازبادِ [2]

إنَّ المقاتلَ دونَ عقْلٍ ماكرٍ مثلُ المخاطِرِ في غريبِ بوادِي!
والنّصْرُ معقودٌ على مستظهرٍ بالحذْقِ قبلَ صلابةٍ وعنادِ
حَسِبُوا العدوَّ نظيرَهم بشجاعةٍ فاذا بهِ المنسابُ بالإرفادِ
يا بئسَ جيْشٍ بأسُهُ في رشْوَةٍ يا عارَ جيْشٍ يحْتمي بجمادِ!
ما السَّيْفُ الاَّ القلْبُ قبلَ سلاحِهِ
والجُنْدُ غيرُ مشاعرٍ ومَبادِي!

●▭●

يا (تَلُّ) أنتَ بَدَاءَةٌ ونهايةٌ لمفاخرٍ ومآثرٍ وعَتادِ
ناجيتُ قُرْبكَ ثورَةً في عِزَّةٍ
ذابتْ، وصُنتُ عِظامَها البلاَدِي!
وأقولُ «للبطَلِ» المصغِّرِ قدرَها
ـ وهو الجبَانُ ـ جَهِلْتَ رُوحَ (الوادى)!

---

(١) الاجفال : الانفضاض . (٢) الازباد : الغضب والتهديد .

لو كنتَ تَقْتبِسُ من شعُورِ رِجالِهِ
وجلالِ ماضيهِ لـكنْتَ الهـادِي
لنْ تبلغَ الأَلفاظُ مهما رُنِّقتْ قدرَ الشُّعورِ يعيشُ للآبادِ!
والواعِظُونَ هم الذينَ بِرُوحهمْ
يُذْكى اللَّظى المخْبُوءُ تحتَ رَمادِ!
ويُجدِّدونَ من المُصَاب عظائماً ومنَ المآتِمِ أشْرَفَ الأعيادِ!
يبنونَ بالحِسِّ الشَّريفِ لقومهمْ
ما تاحَ (١) للهَمِّ الخطيرِ الفادي (٢)
لا يَصْدِفُون شُعورَهم عن قومِهِمْ
أوْ يَتْرُكونَ حنينَهُمْ لنفادِ
فمن الخَصاصَةِ (٣) للشُّعوب وَلوعُها
بالأجنبيِّ وتَرْكُها لجـلادِ
تَعتامُ (٤) سِيرَةَ مَنْ أذَلُّوا مُلكَها
بوساوسِ الضُّلَّلِ والنُّقَّادِ
ولو أنّهم وَهبوا لها إخلاصَهم نالتْ من الآمالِ أكرمَ زادِ

---

(١) ما تاح : ما تهيا . (٢) الهم : ذو الهمة الطالب لمعالي الامور .
(٣) الخصاصة : شدة الفقر . (٤) تعتام : تختار .

وطني ـ وحقّكَ ـ ليْسَ أمسُكَ غيرَ ما
بَنَتْ الحضارَةُ في قَصيٍّ بلادِ!
أُنْسِيتَهُ وغُذِيتَ ممن أسرَفوا في الوَهْمِ ما يأباهُ صِدْقُ ودادِ
وأرَى فُتوحكَ لافتوحَ تفوقُها وأرى الهزيمةَ مبدأً لِمَعادِ!
فاقرأْ فخارَ الأمْسِ واسْمَعْ بُرْهةً
شِعْري الذي يُزْجيهِ للإِنْشادِ!
تُلْفِ الوراثةَ للعظائِمِ كلّها أبقى من الأديانِ للأحفادِ!
تُبْنَى الممالكُ بالعقيدَةِ قبلما تُبْنَى الممالِكُ بالدَّمِ الفِرصادِي!

شكوى حافظ

(١)

قدْ ضِقْتُ ذَرْعاً بالحياةِ ومنْ ... يفقدْ أحبتّهُ يَضِقْ ذَرْعَا
وغدَوْتُ في بلدٍ تُكنفُّني ... فيهِ الشّرورُ ولا أرى دَفْعَا
كم من صديقٍ لي يُحاسِبُني ... وكأنَّ تحتَ ثيابهِ أفْعَى !
يَسعَى فيُخفي لينُ مَلمَسِهِ ... عنّي مساربَ حيّةٍ تَسْعَى !
كم حاولتْ هَدْمي معاولُهُمْ ... وأبَى الإلهُ فزادَني رَفْعَا
أصبَحْتُ فَرْداً لا يُناصرُني ... غيرُ البيانِ وأصبَحوا جَمْعَا
ومُناهُمُ أنْ يَحْطِمُوا بيدِي ... قَلَماً أثارَ عليهمُ النَّقْعَا (١)
ولرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَفَرٌ ... لا يَصلُحُونَ لنَعْلِهِ شِسْعَا (٢) !

محمد حافظ ابراهيم

(١) النقع : الغبار .
(٢) الشسع : زمام للنعل بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

(٢)

هَوِّنْ عليكَ ولا تَضِقْ ذَرْعَا يا دَوْحَةً كم أبدَعتْ فَرْعَا
في ظِلِّها كم مُهْجَةٍ نَعِمَتْ في قُرْبِها كم رَنَّقتْ (١) نَبْعَا
أدَباءَ (مصرَ) - وأنتَ أكرمُهُمْ - (٢)
لن يَجْحَدُوا عَهْداً ولا صُنْعَا
كلاّ ... ولا وَطَنٌ لُحرْمَتِهِ
كم كنْتَ بلْ ما زِلْتَ مَنْ يَرْعَى
مِنْ زَهْرِ شِعْرِكَ في الصَّفاءِ لَهُ رَاحٌ وأُنْسٌ بالمُنَى شَعَّا
ومِنَ ازْدِرائِكَ للرِّياحِ وقَدْ عصفَتْ أقامَ لِعَزْمِهِ دِرْعَا
والحاسِدُوكَ على ضلالتِهِمْ في نومِهِمْ باتوا وفي المَرْعَى... !
وتوهَّموا التَّاريخَ خادِمَهُمْ
بالمَيْنِ (٣)... بئسَ الغَدْرُ مِنْ مَسْعَى
فاذا بفَضْلِكَ لَنْ يُهَدَّمَهُ زُورٌ ، ويَصفعُ وهْمُهُمْ صَفْعَا
واذا مآثِرُكَ الحِسَانُ بدَتْ كالشَّمْسِ هازِئَةً بمَنْ يَنْعَى !
يتبرَّأُ الأدَبُ السليمُ ، كما تأبى المكارمُ حالَهُمْ طَبْعَا

---

(١) رنق : صفى . (٢) يشير الى ما اشتهر به حافظ بك ابراهيم من الكرم حتى في ايام بؤسه . (٣) المين : الكذب

هَوِّنْ عليكَ فكلُّ صالحةٍ لفخارِهَا ذَمُّ الهوَى[1] أدْعَى!
والنَّاسُ كم وَهَمُوا وكم ظَلَمُوا والحَقُّ يمْنعُ ظُلْمَهُمْ منعا!
تَبقَى المآثرُ في جلالتِهَا بيْنَا المثالِبُ حَوْلها صَرْعَى!
ليْسَ التَّحاسُدُ ما يُحَقِّرُهَا أقْوَى التَّحاسدِ زادَهَا رَفْعَا!
لو يعقلُ الحُسَّادَ لاعتبرُوا حقًّا، وصارَ بُناتُنَا جَمْعَا
يَدْعُونَ للخُلُقِ الكريمِ وكم آذَوْهُ مِنْ أحْقادِهِمْ صَدْعَا!
ليْسَ الأديبُ قوى يراعَتِهِ والخالبَ الألبَابَ والسَّمْعَا
بلْ مَنْ يُخلِّدُ في براعتِهِ مَجْداً، ويُورِثُ قومَه النَّفْعَا
ويكونُ عِنوانَ الحياةِ كما تَرْضَى الفضيلةُ عنهُ إذْ يُدْعَى

أحمد زكى أبو شادى

---

(١) الهوى : بمعنى الغرض السيء .

لغة الجمال

إنْ قلتُ في لُغَةِ المُتُونِ[1] « دُعابَةً »
أوْ قلْتُ في لُغةِ الجمـالِ « دُعابَا »
سِيّان في عجزي بوَصفِ رَشاقةٍ
خلعَتْ على مَيْتِ السُّرُورِ شبابَا !
ماذا يُبينُ اللَّفظُ في تخفيفِهِ عنْ خِفَّةٍ تستأسِرُ الألبابَا ؟!
خلِّي فؤادِي يملأُ الدُّنيا هَوًى وتَناجياً وتَساؤُلاً وجَوابَا !
وَدَعي قريضي ناسِخاً ومُهذَّباً لِلَّفظِ ، تعشقُهُ النُّفُوسُ شَرَابَا
أنا لا أمتُّ الى « اللسانِ »[2] بخاطِري
لُكنْ الى طُرَفٍ بَسَمْنَ عِذَابَا !
مِنْ سِحْرِ عينيْكِ اللَّتَيْنِ إذا هُمَا
رَمَتَا فلنْ يَهْوَى الشَّهيدُ مآبَا !
ومن اقتِرَارِكِ عنْ نظيمٍ فاتِنٍ عطفتْ لآلِئُهُ عليَّ طِرَابَا !
وأبيحُ في شِعْرِي صِياغَةَ ما أرَى
صَوْغاً يَرِق بِهِ الشُّعورُ مُذَابا

---

(١) جمع المتن . ومتن اللغة أصولها ومفرداتها .
(٢) معجم « لسان العرب » المشهور .

في نُورِ عَصْرِي بعدَ وَحْيِكِ هادِياً
لا تابعاً لُغَةَ القَدِيمِ سَرَابَا
مَنْ كانَ يخذُلُ عصرَه ببيانِهِ فهوَ المُقِرُّ بمَوْتِهِ أحْقَابَا !

الحياة الثائرة

أبيات ارتجالية

يَرْقُصْنَ أمثلةَ الحيـــــاةِ هرَبْنَ مِنْ أسْرِ الجُسُومْ !
لُكِنْ يعُدْنَ الى إسار !! نظْمٍ يجِذِبُهُ النّظيمْ !
قرَى القُدُودَ ثوائراً حيناً على خَطَرٍ عظيمْ !
وهنيْهةً يَرْجِعْنَ في شَغَفٍ الى العهْدِ القديمْ
ضِدّانِ من صُوَرِ الحيـاةِ ترفٌ في مُثُـــلِ النّعيمْ
سَلْ ذِي العيُونَ تجبْكَ باا سِحْرِ العَتيِّ وبالرّحيمْ
سَلْ واثباتٍ للنُّهُودِ حُبِسْنَ كالطّيرِ النّديمْ !
والآمِرَاتِ مِنَ الحُصُورِ الخَاضِعاتِ بلا حَمِيمْ ! (١)
الخافِقـاتِ اللاعِبـاتِ الحاكِماتِ على الحكيمْ !

(١) اي بلا صديق يدفع عنها هذا الخضوع المشتهى .

متتابعاتٍ مثـلَ أمواجِ الخوَاطِرِ للفُهُومْ !
أوْ أنّهـا من زئْبقٍ أو أنّهـا أَلَقُ النّجُومْ !

الوصف الصامت

قالَ الصّديقُ مُداعِباً والعيْنُ تَنْهَبُ حُسْنَهُنّهْ :
« إنّي أُراهنُ أنّ شِعْـ رَكَ لنْ يُصوِّرَ وصفَهُنّهْ
فجميعُهنّ على سجالٍ لا يَقَرُّ قَرَارُهُنّهْ
وكأنّمـا قدْ رُكِّبتْ منْ زئْبقٍ أجسامُهُنّهْ ! »
فَضَحِكْتُ ثُمّ أجبْتُه والشّعْرُ يتبعُ شِعْرَهُنّهْ :
أعلِمْتَ أنّ نَظيمَ شعْـ ري ليْسَ غيرَ نَظيمِهِنّهْ ؟!
تَدْعُو البَراعَ عواطِفي فيخط سورَةَ رَقْصِهِنّهْ !
ومخارجُ الألفاظِ في حُسْنِ الصّياغةِ ذَوْقُهُنّهْ !
وبيُوتُ نَظْمي قد حَوَيْـ نَ وإنْ خَفِينَ قدُودَهُنّهْ !
الشّعْرُ مِرْآةُ الجَمـا لِ وللجَمالِ حيـاتُهُنّهْ
حسبي إذنْ في الوصْفِ أنـ ني لا أُفرّقُ بينَهُنّهْ !

وأقولُ هٰـذِي مِلَّةٌ للسّحر ، فاعبُدْ سِحْرَهُنَّهْ !
تجدْ الجمـــالَ ممثّلاً في الذّهْن مثْلَ خصورهِنَّهْ !
وتصِرْ مثيلي في اكتفا ئي بالشُّعُور أمامَهُنَّهْ
ما حاجتي للّفظِ والتّحـ ـبير اذْ حِسِّي لَهُنَّهْ ؟!
ولو آستَطَعْتَ رَأيتَ في عجزي البدائعَ كلَّهُنَّهْ
فمجالُ فـكْري أرضهنّ وكُلُّ حِسِّي ملـكهُنَّهْ !
ورَوِيُّ نظْمي جامعٌ نَسَقاً لهنَّ ووحْيهُنَّهْ ! »

مقياس العظمة

وتُعْلِنُ أخلاقَ العظيمِ فِعَالُهُ
كما تُعْلِنُ الأَضْواءَ مَبعَثُها الرَّأسي
وللنّاس تحليـلُ الصِّفاتِ بخبْرَةٍ
كما حَلّلَ المَوْشُورُ (١) طيفاً مِنَ الشّمْسِ

(١) يعني منظار الطيف الشمسي (السبكترسكوب) الذي يستدل بواسطته على العناصر التي تؤلف الشمس .

فلا مَعْدِنٌ يَخْفَى عليــهِ وانمــا
يَدُلُّ على أخفى المُحجَّبِ عنْ حِسِّ
فقلْ لِدَعِيٍّ غارِقٍ في غُرُورِهِ
علامَ وأنْتَ المُظْلِمُ العقْلِ والحَدْسِ (١) ؟
لديْكَ العُلى ، فاذْخَرْ بنفسِكَ سِرَّهَا
تُضِيءُ للورَى في نُورِ مَعْدِنِهَا القُدْسِي
ولسْتَ بذِي عَوْزٍ لمَظْهرِ عِزَّةٍ
فأَسْنَى جلالِ النفسِ يُبْعَثُ في النَّفْس
وأشْرَفُ مِقْياسٍ لنُبْــلٍ مآثرٌ
وليْسَ بتفخيمِ الجُدُودِ ولا أمْسِ

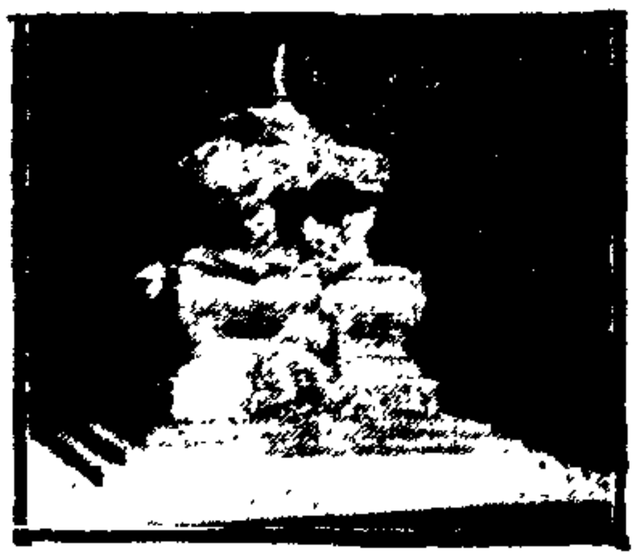

(١) الحدس : سرعة الانتقال في الفهم والاستنتاج .

أيها المصريون !

اعرفوا واجبكم !

نظمت هذه القطعة الخطابية ارتجالا لمناسبة الانذار القضائي الانجليزي وآلازمة الوزارية في ٣ يونية سنة ١٩٢٦ م.

إعرَفوهُ ! إعرَفُوهْ يارِجالْ !

اعرفوه !

لا تهابُوا مِنْ خُطوبٍ ، لا تَهابُوا !
إنَّ موتَ الشعبِ في عَيْشِ الخُنُوعْ !

كُلُّ فردٍ فَرْضُهُ ما عنهُ يَدري
فليقمْ كلٌّ بارضاءِ الضميرْ
إنمـــا الذِّمَّةُ تاجُ الفرْدِ حقًّا
ثمَّ تاجٌ لعُلى الشعبِ الكبيرْ
إنما الواجبُ والمفرُوضُ صِدْقاً
قوَّةُ الإيمـانِ والحزْمُ الوفيرْ

فليؤدِّ الفَرْدُ ما يُرْجَى لديهِ
فاعتزازُ الفَرْدِ إعزازُ الكثيرْ

إعرفوهُ ! إعرفوهُ يارِجالْ !

اعرفوه !

لا تَهابُوا منْ خطوبٍ ، لا تهابوا !
انَّ موتَ الشّعبِ في عيْشِ الخُنُوعْ !

مرحباً بالعسف!

نظمت ابان الأزمة القضائية الوزارية
في أوائل يونية سنة ١٩٢٦ م.

مَرْحَباً بالعَسْفِ منكم مرحبَا ! علّمونا يا طُغاةُ الأَدَبَا !
أرهقونَا جُهْدَكم حتى نرَى أصلحَ الخُلْقِ يَنالُ الغَلَبَا !
نحْنُ شَعْبٌ قد مرضْنا كَرماً نحْنُ قوْمٌ قد سقمْنا لِعِبَا
نُحْسنُ الظَّنَّ بمَنْ سخَّرنا ! نذشدُ الذّمةَ ممن غصبَا !
نرْتجي منكمْ وفاءً مثلمـا يرْتجي الظّامي سراباً كذِبَا !

نحسَبُ الذُّلَّ خَلاصاً من أذًى رُبَّ ذُلٍّ يستثيرُ النُّوَبَا
نتّقي بالصَّمْتِ ظُلْماً بالِغاً فاذا بالصّمتِ يُدني الحَرَبَا (١)
ونُداوي بالأسى آلامَنا فاذا بالصبْرِ يُذْكي اللَّهَبَا
أرهِقُونَا ! أرهِقُونَا ! انما يبعثُ الإرْهاقُ حَزْماً وَجبَا !
حيثُ يغدُو كُلُّ فَرْدٍ عارِفاً عِزَّةَ النفس يقيناً لا هَبَا (٢)
نقبلُ المَوْتَ على أنواعِهِ قبْلَ أنْ نَقْبلَ ضيْماً عَجَبَا !
كم ضحِكتُمْ مِن كرامات لنا هلْ نسيتُمْ انَّ فينا العرَبَا ؟!

ألفَ شكْرٍ ! قد جَمَعتُمْ رَأْيَنا فاتّحدْنا مذهباً وَطلبَا !
وفحصنا ثُمَّ ذُقنا « طِبَكُمْ » فعرَفْنا خَمْرَكم والحَبَبَا !
وأفقْنا مِنْ تلاهي « عطفِكُمْ » فاتَّخَذْنا المعَالي سَبَبَا !
مِنْ يقينٍ وكِفاحٍ دَائِمٍ نَستعيدُ الحَقَّ مهما اغتَرَبَا !

(١) الحرب : الهلاك والويل . (٢) مخففة هباء ، والهباء :الغبار

صورة الرئيس

اهدى حضرة ميشيل افندي سركيس الى صاحب الديوان صورة فنية بديعة لزعيم مصر الجليـل صاحب الدولة سعد زغلول باشا . فقال شاعرنا على الفور :

شُكْراً لفضلِكَ يا (سركيسُ) معترِفاً
بالفنِّ في رسمِكَ المستكرَمِ [1] الغالي
حَوَى مِثالاً لإبداعٍ نُكرِّمُهُ
كما حَوَى صُورَةً للقائدِ العـــالي

الدهماء

هُمْ عَدُّ أجسامٍ ، فَمِنْ عَجَبٍ تَرَى
عَقْلاً أمامَ جُسُومِهِمْ يَتَمَلْقُ !
لو كانَ لِلعِلمِ السِّيادَةُ في الوَرَى
لِيُبَلِّغَ الدُّنْيا عُلًى لم يُخْلقُوا !

---

(١) المستكرم : الكريم المختار .

أَصِفي على هٰـذِي الجُموع ، ولَيتَهَا
حُصِرَتْ فأصْلُ البُؤْسِ جَهْلٌ مُطْبِقُ
يتناسلونَ بلا حُدُودٍ مثلَمـا
تتناسَلُ الأوْباءُ ، بلْ هُمْ أسبقُ !
ولو آغْتدَى للعلْمِ حَقُّ رقابةٍ
ما عاشَ يُزْعِجُنا الغبيُّ الأَحْمَقُ
لنْ يَرْفَعَ الإنسانَ كثْرَةُ نَسْلِهِ
بل نوْعُهُ المُتَخَيَّرُ المُتفوِّقُ
فليَ العَفَاءُ اذا جَعلْتُ مَواهبي
طَوْعاً لمن يتعثَّرُونَ فما ارْتَقَوا
وأرَى فخَاري أنْ أُعَبِّرَ دَائمـاً
مِنْ جَمْعِهِمْ ، فثناؤُهمْ لا يُعْشَقُ !

الطبع والتحوُّل

مَثَلُ الغَبِيِّ إذا غدَوْتَ دَليلَهُ
مَثَلُ الضَّرِيرِ إذا استحالَ بصيرَا
فَكِلاهُما يَجِدُ الظَّلامَ نصيرَهُ
ويَعافُ مِنْ سُبُلِ الضِّياءِ نصيرَا !
وكِلاهُما عَرَفَ الوجودَ بصُورَةٍ
مَوْهُومَةٍ لا تَصْدُقُ التَّصْوِيرَا
وكِلاهما يَرْتَاحُ رَغْمَ هدايةٍ
لضلالِهِ ويُبَاعِدُ التَّنويرَا
وَيَرَى الحقائقَ غيرَ ما نَلْقَى ، وما
يشتاق إلاَّ أن يَظَلَّ حسيرَا !
ونَخُصُّهُ بالعطْفِ أو نَرْثِي له
وَيرى وَلاءَ قُلوبنا تَعْزِيرا !

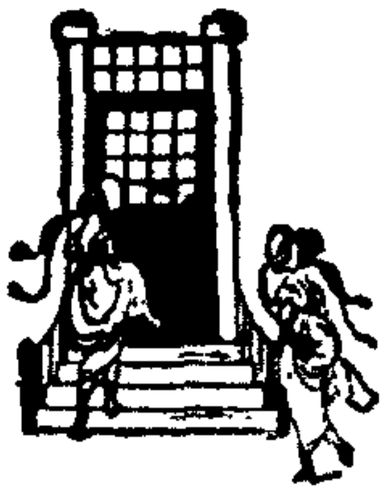

العذاب المنشود

وقالوا : « تَعذَّبْ في هَوَاهَا ! فانَّمَا
تُجِيدُ بشِعْرٍ إنْ بَرَاكَ هَوَاهَا ! »
فقلتُ : « حَرَامٌ أيُّها النَّاسُ ! إنّني
أرى الشِّعْرَ يَدْعُو الشِّعْرَ حينَ أراهَا !
ومَنْ لي سِوَاها يَجْعَلُ الكَوْنَ بَهْجَةً ؟
ومَنْ مُلْهِمي الآياتِ فيهِ سِواهَا ؟ !
إذا هي لاحَتْ صارَتْ الارْضُ جَنَّةً !
وإنْ هيَ غابَتْ لا أُطيقُ لَظَاهَا !
كأَنَّ جمالَ الكَوْنِ طَوْعٌ لِحُسْنِها
وفي حُسْنِها كُلُّ الجَمالِ تَنَاهَى !
فانْ هي بَانَتْ[1] أَوْحَشَ الكَوْنُ بَعْدَهَا
كأَنَّا عدمنا في الوجودِ إلَهَا !

---

(١) نأت .

وإنْ هيَ عادتْ أفْعَمَ الكَوْنُ خاطِري
نظماً ، وأسْقَاني الحَياةَ سناهَا !
وَلاَحَ لأبِّي كلُّ شيءٍ قصائداً
منَ الشِّعْرِ حَيَّتْ حُسْنَهَا ومُنَاهَا ! »

الملوم

او الشاعر الغريب

عابُوا عليَّ الشِّعْرَ حتى أنَّهُمْ لم يُدْركوا فيه كِيانَ حياتي !
ما الشِّعرُ لي الاَّ الشُّعورُ وجَوْلتي
في عالم الأَحيـاءِ لا الأَمواتِ
فيه خواطرُ مُهجتي وسعادتي وشقاوتي وعواطفي وصِفاتي
فيهِ أعيشُ بحـاضرٍ وبغابرٍ
وأُتَرْجِمُ الماضي ووحيَ الآني !
وأخُصُّ بالدَّهْرِ الذي هو خالدٌ ما نَغَّمَتْهُ لسمعهِ آياتي !
فليهْزَؤا وليَنقُدوا وليعـلموا أني أقيمُ الخُلدَ في أبياتي !

ما شِدْتُها لتكونَ حليةَ بيتي
بل كيْ تصونَ على الدَّوامِ شَتاتي
وأنا الذي يَحْيا لنوعي[1] والذي
يأبى حياةً شأنُها كوَفاة
إنْ يجهلوا أدَبي فانّي خالِقٌ
مَن سَوْفَ يقْرَنُ حبُّهم بصَلاتي !
يَفْنى هَوَى النُّقّادِ مِثْلَ جُسومهمْ
ويعيشُ لي أدَبٌ لغير فواتِ
فليهنأوا بخداع كُلٍّ ملَفَّقٍ نظماً من الأَوْهامِ والآفاتِ !
وَلْيُعْرِضوا عَمَّا يُنَمِّقُ خاطري
مِنْ صِدْقِ إحساسٍ وفِكرِ عاتِ
وتجاربي وتأمُّلي وسياحتي في الكوْنِ غيرُ مقيَّدٍ بلغاتِ !
فأحيل ما ألقاهُ لَحْناً سائغاً لتهافُتِ الألبابِ والمُهَجَاتِ !
لُغتي هيَ الحِسُّ الأَصيلُ ، وغيرُها
رَغْمَ البهارج مَيِّتُ الكلماتِ !
وعقيدتي بِنتُ (الحقيقةِ) وحدَها
ولي (الطبيعةُ) دائماً مِرآتي !

---

(١) يريد النوع الانساني .

وأنا كذلك دائماً مِرْآتُهَا فأَجلُّ حالاتٍ لها حالاتي !

فاذا أُبِيْ الجهلُ العَنيدُ محبَّتي

فكفايَ مِنْ عَطْفِ الجمال حياتي !

اذا —

IF —

معربة بنظم مرسل عن قصيدة الشاعر الانجليزي الشهير رديار دكبلنج

وهي من جوامع كلمه الرائعة

إذا أنتَ لم تَفْقِدْ جَنانَكَ حينما جميعُ الأُلىٰ حَفُّوكَ لاموكَ في الفَقْدْ

إذا أَنْتَ لم تبرحْ بنفسِكَ وَاثقاً ، وإنْ شكَّ كلُّ الناس ، بلْ كنتَ عاذرَا

إذا اَسْطَعْتَ أن تَبْقى صَبُوراً بلا وَنىً ، وإنْ صِرْتَ مَرْمَىٰ

الإِفْكِ لم تصْحَبْ الإِفكاَ
وإِنْ صِرْتَ مَرْمَى الحِقْدِ لم تَغْدُ حاقداً ، ولـكنْ بلا زَهْوِ الفضيلةِ والعَقْلِ :

* * *

إذا اسْطَعْتَ حُلْماً دونَ أن تجعلَ الذي تراه من الاحلامِ فوقكَ سَيِّدًا
إذا اسْطَعْتَ فِكراً دون أن تجعل الذي تراهُ من الافكار غايتَكَ القُصْوَى
إذا اسْطَعْتَ أنْ تَلْقى (انتصاراً) و (نَكْبَةً) ، وعاملْتَ ذيْنِ الخادعيْنِ سواءَ
إذا اسْطَعْتَ أنْ تُصْغي لحقٍّ ذَكَرْتَهُ فحرَّفَهُ الأَوْغادُ فخًّا لأَغرارِ
أو اسْطَعْتَ رُؤْيا مافَدَيْتَ مُهَدَّماً فطاطْتَ تَبنيهِ بعُدَّتِكَ الثَّلْمى (١) :

***

اذا اسْطَعْتَ أن تَستجمعَ الرِّيحَ كُلَّهُ لدَيْكَ فتُلقيهِ الى رَمْيَةِ الحظِّ
فتخسرَ ، لكنْ تبتدِي بَعْدُ ثانياً ولن يذكرَ الخُسْرانَ لَفْظٌ لأَنفاسِكْ

---

(١) الثلى : البينة الثلم أي الكسر والتلف .

اذا أَسْطَعْتَ حَمْلَ القَلْبِ والبأسِ والقُوَى لتخدمَ منْ بَعْدِ انقِضَاءِ لها حَظَّكْ

فَتبقَى مُصِرّاً في ثَباتِكَ حينما مَضَى كلُّ شيءٍ فيكَ الاّ (الارادَةُ) وهذي تُنادِي وَحْدَها في جُمُوعِهِمْ : « ألا ثَابِرُوا ! » بالرّغمِ مِنْ كُلِّ فُقْدَانِ :

***

إذا اسْطَعْتَ أنْ تَرْعَى الفضيلةَ حينما تُحَادِثُ دَهْمَاءَ الجُموعِ مِنَ الناسِ

أو اَسْطَعْتَ أنْ تَمْضِي بغيرِ ترفُّعٍ عن الخَلْقِ إذْ تَمْشِي بقُرْبِ مُلُوكِ

إذا لم يُوَفِّقْ شانِئوكَ ولا الأُلَى أحبُّوكَ في اِخْلاَنِ يوماً لايذائِكْ

إذا أنتَ قدَّرْتَ الأَنامَ جَمِيعَهُمْ ولم تَغْلُ في تقديرِ فَرْدٍ بِهِمْ يَوْمَا

إذا اَسْطَعْتَ مَلْأً للدَّقيقةِ ـ وهي لا تُسامِحُ ـ بالكافي من الجَرَيَانِ

بحيثُ يُساوي ذلكَ الدَّأْبُ عندَها مَقامَ الذي ساوَتْه ستّون ثانيَهْ

فحينئذٍ هذي (البسيطةُ) كلُّها وكلُّ الذِي فيها ستعرفُهُ مِلْكَكْ

وماهوَ اسْمُكَ ـ يا بُنيَّ ـ ستَغْتَدِي جديراً بحقٍّ أنْ تُلقَّبَ « بالرَّجُلْ » !

في حضن الريف

يومٌ في (قُطُور)

موطن أسرة الشاعر

مَرَّتْ على ذِكْرَى اللِّقاءِ شُهُورُ والقلْبُ مفتونٌ بهِ مأسورُ
وَطَنٌ حَنَنْتُ الى ثَراهُ ونَبْتِهِ ويَظَلُّ بي هـذا الحَنينُ يَثُورُ
فَصِفَاتُ أجدادِي ومَنْشَأُ أُسْرَتِي
حيثُ التَفتُّ تضمّهنّ (قُطُورُ)
مَرَّتْ سنينٌ عِدَّةٌ في غيبتي عنهُ، وما غابَ الهوى المذكورُ
إنْ أَنْسَ هلْ أَنْسَى جَمالَ سكينةٍ
فيهـا تَنَعَّمَ زائرٌ ومَزُورُ ؟!
حيثُ الضُّحى متألِّقٌ بتحيةٍ حيثُ الأشِعَّةُ بَهْرَجٌ مَنْثُورُ
ورَوائعُ الالوانِ ملءَ مَزَارعٍ بسمتْ يُرَدِّدُ وَصْفَهَا الشُّحرورُ
والسِّنديانُ مُرَنَّحٌ بجَمالِهِ والتُّوتُ مَزْهُوٌّ بهِ مَسْرُورُ
ومُسِنَّةُ الجَمّيزِ يلثم جِذْعَها عُشْبٌ، وتَسأَلُها الوقاءَ طُيُورُ
القَرْيَةُ السَّمراءُ نقطَةُ طِينِها اللَّقْلَقُ (١) المتأمِّلُ المبْرُورُ

---

(١) اللقلق (Stauk) : طائر مصري مفيد ينقي الأرض من الحشرات الضارة بالمزروعات .

وتَلوحُ أحراجُ النَّخيلِ كأنَّها جُنْدٌ تَرُدُّ الدَّهْرَ حينَ يجُورُ !
لم ترْضَ غيْرَ الصَّفْوِ يَسكُنُ قُرْبَها
فالهَمُّ عنْ جِيراتِها مَحْسُورُ !
لا بِدْعَ إنْ عَبَقَ الهَوَاءُ بِسُكْرِهِ
وتلا أهازيجَ المُنى العصفورُ !
فمشيتُ بينَ فواتِنٍ مبثوثةٍ والفاتِنُ الغاوي بها مَسْحُورُ !
مِلْءَ الحَصى - مِثْلَ النَّباتِ ومائِهِ
والنور - فاضَ منَ الإلهِ شُعُورُ !
وحَسَدْتُ سائمةً يُلَطِّفُ عَيْشَها
هذا الجمالُ الشَّائقُ المَعْمُورُ
وغبطْتُ مأسوراً لساقيةٍ بكَتْ والماءُ يضْحَكُ حَوْلَها ويَدُورُ
فجلسْتُ في ظِلِّ النَّخيلِ بقُرْبِها
أُصْغي فيُسْرِفُ بَثُّها المَوْفورُ
والغَرْسُ يشكُرُها بهزَّةِ رَأْسِهِ والبِشْرُ في لَمَحاتِهِ مَنْظُورُ !
حتى اذا سكنَتْ تمايلَ لُوفُها وأتى يَزِنُّ حيالَهُ الزُّنبُورُ
والنَّحْلُ تُنْشِدُ شِعْرَها فتُجيبُها
برَحيقِها الصَّافي الشَّهيِّ زُهُورُ

والُجدْجُدُ الفَرْحانُ يقْصدُ جُحْرَهُ
متهادِياً يبدُو عليهِ غُرُورُ !
وأكادُ أنشقُ في التُّرَابِ ألوهةً
وكأنّني (غَنْدِيُّ) أوْ (تاجورُ) !
لِمَ لا وأنفاسي بأنفاسِ الهوَى
تَسْرِي وهذا الكوْنُ منهُ سُطُورُ ؟ !
والرِّيفُ مرْآةُ (الطَّبيعةِ) عندَما
تُجْلَى فيُنْشَرُ سِحْرُهَا المَسْتُورُ !
ما أطيبَ الحالي الأصيلَ برقَّةٍ
يهْفو لها المَكْلُومُ والموْتورُ !
يأتي النَّسيمُ بهِ كإشفاقِ المُنَى
أو كالحبيبِ يَعودُ وَهُوَ غفورُ !
والزَّرْعُ بَعْدَ تَهامُسٍ بحقُولِهِ
حيَّاهُ (١) مِنْهُ لعطْفهِ جُمهُورُ !
وأنا السَّعيدُ بما أرى وأحسُّهُ
وكأنما هوَ شِعْرِيَ المَنْثُورُ !
حتى أفاجأَ بالغُروبِ كأنَّه توديعُ مَنْ قدَّسْتُ وهوَ نَفورُ !

(١) حيا النسيم

وسمعتُ عن بُعْدٍ ربابةَ « شاعرٍ »
ونَشيدُهُ متموِّجٌ مَشْكُورُ !
فانَمْ لي حُلْماً كأحلام الصِّبا
فاضَتْ عليهِ صَبابةٌ وسُرُورُ !
وأظَلُّ أذْكُرُهُ عِياناً كُلَّمَا
أحْسَسْتُ أنّي البائسُ المأسُورُ !

سامحي نظرتي ...

سامحي نظرتي الى ساعديكِ ! فافتتانُ العيونِ عَذْبٌ لديكِ
كُلُّ نُورٍ للشَّمْسِ قد ضاعَ الاَّ كَنْزَ نُورٍ صانَتْهُ في ساعديكِ
خُضِّبَا بالبَهيِّ مِنْ شَفَقِ الشَّمْـ ـسِ ومِنْ سُمْرَةٍ حَكَتْ ناظريكِ !
فتأنَّتْ عمّا تَبَدَّدَ منها بجمالٍ يَفيضُ سِحْراً عليكِ !
ويُمِلُّ الضياءُ مِنْ وَهَجِ الشَّمْـ ـسِ وما خَفَّ شَوْقُ رانٍ اليكِ!

٥٩ ـ الشفق

الصبح الجديد

القيت في حفلة تكريم أدباء بور سعيد لشاعر مصر الكبير حافظ بك ابراهيم في كازينو الثغر يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٦ م .

أهلاً بشاعرِ (مصر) الباذِخ الأَدَبِ
وبالفخُور بمجدِ (النيلِ) و (العَرَبِ)
أتيْتَ مستشفياً هشَّ المقامُ لهُ
ونحْنُ حولكَ نستشفي على طَرَبِ !
فانَّ رُوحَك رَيْحَانٌ لأَنفسنا
مهما شكوْتَ مِنَ الأَوْصابِ والتَّعَبِ
ولَنْ تَضيرَكَ أسقامٌ تُعالُجها
وبيْنَ جَنْبَيْكَ قلبٌ غيْرُ مضطَربِ!
أ كادُ أسمعُ ألحانَ الرَّجاءِ بهِ
وهُزْءَهُ بشقاءِ العيْشِ والصَّخَبِ!
وكانَ عهْدٌ مضَى يشكو الوجودَ وما
يزالُ وهو على الشكْوى كمغتربِ
كأنَّ مثلكَ لم يُخْلقْ لبيئتِهِ
وانما حظُّهُ في مَوْطنِ الشُّهُبِ!

فأيُّ فخرٍ لثَغْرٍ أنتَ عاشقُهْ ! (١)

وأيُّ قدرٍ لأُنْسٍ عنكَ لم يَغِبِ !

كأنما أنتَ عِيدٌ غيرُ منقطعٍ

لهُ بحُبٍّ وعَطْفٍ منكَ مكتَسَبِ (٢) !

نُدِبْتُ بين الألَى حيَّوا تحيّتهُ

لفضلِكَ الجمّ لكنْ غيرَ مُنْتدَبِ !

فالحقُّ يعلمُ كم قلبي يفيضُ هوًى

الى النُّبوغِ وكم أزجي له أربي

ولستُ تابعَ أفرادٍ أجامَلُهُمْ

لكنَّ كلَّ رَجائي نُصْرَةُ الأدَبِ

أنَّى التفتَّ ترَ الثَّغْرَ الجميلَ زها

بوحي عطْفِكَ بسّاماً بلا حُجُبِ !

وتُبصرْ الشمْسَ قدْ ردّتْ أشعّتَها

لنسْجِ شعركَ في حَالٍ من الذَّهَبِ !

---

(١) اشارة الى ولع حافظ بك بالاصطياف في بور سعيد .

(٢) مكتسب : اشارة الى عناية بور سعيد باستحقاق هذا العطف منه .

وتَشهدْ البحرَ في ترحيبِ مرتقبٍ
ـ وأبلغُ الشَّوْقِ في ترحيبِ مرتقبِ ـ
مصفقّاً وطُيورُ البَحْرِ راقِصةٌ
والرَّمْلُ يضحكَ بالإيناسِ عن كَثَبِ!
وتنظُرْ الحُسْنَ في شتّى مشاهدِهِ
اليك يَنزِعُ بالنّجوى وبالطَّرَبِ!
فمن فُضولٍ نشيدي بعد ما خطبتْ
هذي (الطبيعةُ) شعراً دُونهُ أدَبي!
لولا الوَفاءُ لاستاذٍ حفِظْتُ لهُ
قدراً يجِلُّ عن الألقابِ والرُّتَبِ
فمرحباً بامامٍ منْ أئمّتنا
يسمو على نزَواتِ الحِقْدِ والرِّيَبِ!

●▬●

وسائلٍ مِنْ شبابِ اليوْمِ عن طُرَفٍ
مِنْ سيرَةٍ لكَ في التاريخ والكُتُبِ
أردتُ عَتْباً له، لكنْ رَجَعْتُ فما
يُجْدِي العِتابُ اذا الأخلاقُ لم تُجِبِ

والنَّجْمُ لو يَفْقَهُ الرَّاؤونَ نَشْأتَه
خرّوا لهُ سُجَّداً من ثَوْرَةِ العَجَبِ !
وكم لبيبٍ جهولٍ سِرَّ قوّتِه (١)
في نظرَةٍ منهُ لم يُنصِفْ ولم يُصِبِ
فيا قريناً لنجمٍ كنتُ أُرْقبُهُ منذ الطفولةِ في هَمٍّ وفي كَرَبِ
هيْهاتَ أَنْسَى شُعاعاً كُنْتَ تُرْسلهُ
الى النُّفُوسِ برغم اللَّيْلِ والسُّحُبِ
فكُنْتَ باعثَ آمالي ومُنْعِشَهَا
وكنتَ مُنْقِذَ وِجداني من العطَبِ
في عُصْبةِ الأَزَمَاتِ التَّاليات كما
تَتابعَ الهَوْلُ والزَّلزالُ في غَضَبِ !
سَلْ الرّجالَ شَبابَ الأَمْسِ عن أَثَرٍ
لشِعرِكَ الحيِّ تلْقَ الفَخْرَ بالنَّسَبِ
فكلُّهُمْ كانَ جُنْدِياً لمبْدَئِهِ
وكنْتَ أنتَ الفتى في المَوْقِفِ الحزِبِ (٢)

---

(١) أي قوة النجم . (٢) مبدئه : أي مبدأ شعره ، والحزب : الحرج الشديد .

يَهُزُّ شِعرُكَ أوتاراً لأَفئِدَةٍ
وكنتَ إنْ أنتَ لم تَرْأفْ بها تَذُبِ!
فما عبأتَ بأخطارٍ مُهَدِّمَةٍ
بل كنتَ هدَّامَ أخطارٍ على لَهَبِ!
وصُنْتَ رُوحَ شبابِ الأَمْس مُقْتدِراً
وسِرتَ من سَبَبٍ عالٍ الى سَبَبِ
ولم تُبالِ بتهْدِيدٍ ولا جَزَعٍ
للتابعين[1] وللماضين في لَعِبِ
أرَّخْتَ نهضةَ جيلٍ كنتَ تُسْعِفُهُ
بالوعظِ والحمدِ أو بالزّجرِ والطَّلَبِ
فما زعيمٌ مضى الاَّ وكنتَ لَهُ
نعْمَ المُعينُ بروحِ الجحْفلِ اللَّجِبِ[2]
قصائدٌ هي للآدابِ مفخرَةٌ
سارَتْ مسيرَ الهُدَى في كل مُضْطَرَبِ!
وما يزالُ دَويٌّ من وقائعها
في مِسْمَعِ الدَّهْرِ للاجلالِ والرَّهبِ!

---

(١) التابعين : يعني الجبناء . (٢) الجحفل اللجب : الجيش العظيم الاثر .

في كلِّ بيتٍ شُوَاظُ النَّارِ مُزْعِجةً
للغاصبينَ وهزَّاتُ القنا السُّلُبِ ![1]

وكلُّ غَضْبةِ صِدْقٍ منكَ بالغةٍ
فَصْلُ الخِطابِ وآياتٌ منَ الخُطَبِ!

مُرَدَّداتٍ بإيمانٍ كأنَّ بها
مجامعَ الوَحْيِ عنْ ماضٍ من الحِقَبِ[2]!

واللهُ يَشْهَدُكم أنقذْتَ مِنْ أممٍ
يومَ البلاءِ وكمْ بدَّدْتَ منْ سُحُبِ

وما شهادَةُ مثلي فيكَ جائزةٌ
لكنَّ خيْرَ بياني مِنْ بيانِ أبي[3] !

فقلْ لمنْ قامَ للتاريخِ يُفْسِدُهُ
ومَنْ توغَّلَ في عارٍ منَ الكذِبِ

ومَنْ يُخاصِمُ مَخْدُوعاً بلا سَبَبٍ
للفنِّ والعلمِ ، بلْ للعَبْثِ والغضبِ :

« لا تُتعبوا في سبيلِ الوهْمِ هِمَّتكم
أوْ تُشعلوا الحربَ في جَمْعٍ من الخُشُبِ!

---

(١) السلب : الطويلة . ومفردها سلب . (٢) الحقب : الدهور .

(٣) اشارة الى ما كان بين والد الناظم وحافظ بك من صداقة ادبية ومحبة قديمة .

فقدْ مَضَى الوهمُ مقتُولاً بلا نَدَمٍ
وقد غدا العقلُ منصُوراً على الحَسَبِ
إنّا لفي زمن حِصْنُ اليقينِ بهِ
هوَ الملاذُ لدَى الأخطار والنُّوَبِ
ولن يُذالَ [1] عظيمٌ في مآثرهِ
مهما تقلَّبَ دَهْرٌ أيَّ مُنْقَلَبِ ! »

* * *

أهلاً وأهلاً نصيرَ (الضَّادِ) رافعَها
وخادِمَ الوطَنِ المفديَّ و (العَرَبِ) !
و (حافظَ) اللُّهجةِ الفُصْحَى ومُمتعَها
اذا اشتكتْ منْ أذى الجاني ومن سَغَبِ
لكَ الشِّفاءُ وللآدابِ نعمتُها
في كلِّ شِعْرٍ سريٍّ صادِقٍ وأبي !
حتى يعودَ نَشَاطُ الأمسِ مزدَهِراً
كما يعودُ شُعاعُ الصُّبْحِ لِلْهُضُبِ
مُعَمَّماً بِرِّهُ عنـد الضُّحَى فاذا
بالنُّورِ يختالُ من صَعْدٍ الى صَبَبِ [2] !

---

(١) يذال : يهان . (٢) الصعد : الارتفاع . والصبب : الانحدار .

فلا نَباتٌ بلا شُكرٍ يَبوحُ بهِ ولا حَياةٌ بلا حَمْدٍ ولا دَأبِ !
جميعُها صُوَرُ الشكرانِ باسمةً وكلها في تحيّاتٍ وفي رَغَبِ !
كذاكَ كُنْتَ لآمالٍ وجامعةٍ
منَ الطَّوائفِ بَرًّا غيرَ مُنْشَعِبِ (١)
وأنتَ أهلٌ لأنْ تبقى وقدْ خَضَعَتْ
لكَ الهمومُ وشكْوى الرَّأْسِ والعَصَبِ (٢)
وما مدَحتُكَ الاَّ مادِحاً وطني
ونشوةُ الأدَبِ القوْميِّ تُشْرِقُ (٣) بي
وإنَّ مجداً لمثلي أنْ يكونَ لنا
أمثالُ (تاجورَ) (٤) في فتحٍ وفي غلَبِ
فَثِقْ بصِدْقِ شعورٍ كلُّهُ شرَفي وثِقْ بصِدْقِ مديحٍ كلُّه طرَبي

(١) غير منشعب : غير متباعد . (٢) اشارة الى شكوى حافظ بك الصحية .
(٣) تشرق : تضيء . (٤) هو شاعر الهند العظيم حامل جائزة (نوبل) .

الطبيعة والأدب

نظمت على اثر نزهة في مياه نور سعيد مع شاعر مصر الكبير حافظ بك ابراهيم وطائفة من الادباء

هيهاتَ أنْ يُوفي الجَمالَ ثنائي فالى الجمـالِ عِبادَةُ الشعرَاءِ
ذِكْرِي لهذا اليومِ ذِكْرَى نِعمةٍ
راحتْ كما وَلَّى عزيزُ رَجاءِ
جمعَتْ صميمَ الأُنْسِ بيْنَ تَمنُّعٍ (١)
لبقائِهِ ومحايلٍ لبقـــاءِ!
في حَضْرَةِ الأدَبِ الشَّهِيِّ تذوقهُ
في نَشوَةِ المفتونِ بالصَّهباءِ!
وأنا الغريقُ ببحْرِهِ (٢) في زَوْرَق
يجري على البَحْرِ القريرِ ازائي!
بَحْرانِ : هذا باسمٌ بعذُوبةٍ يعلو على المِلْحِ (٣) السَّرِيِّ الماءِ!
والشَّمْسُ في شتَّى فُنونِ دُعَابةٍ
سكبتْ علينا الخمرَ في الأضواءِ!

---

(١) تمنع : تعذر . (٢) اي في بحر الادب ـ اشار الى حافظ بك ابراهيم .
(٣) أي على البحر الملح ، والسري : الغني بقيمته .

وأنا الهنيء بخمرتي في سكرةٍ هي للكبيرِ النفسِ كالإِثراءِ
وأنا الغريقُ ببحرِ علمٍ جامعٍ للظَّرْفِ والإِمتاعِ والآلاءِ
وكأنما هو خالقي في صُحْبةٍ كتجدُّدِ الأحلام بعدَ هناءِ !
طُفْنا بماءِ الثَّغْرِ وهو(١) مُرَحَّبٌ في حُلَّةِ الكُرَماءِ والسُّعَدَاءِ
حتى بدَا بابُ (القتال) كأنّه بابُ الرَّجاءِ لخاطبِ العلياءِ !
والرَّملُ رَفَّ بجانبيْهِ كأنَّهُ دُرٌّ ، وفي مَرْآهُ رُوحُ سَخاءِ
والفَحْمُ في الإِثراءِ ماسٌ أسودٌ قد رُصَّ رَصَّ جواهرٍ بغِطَاءِ !
تركوهُ لا حَرَسٌ عليهِ كأنما حَرَسَتْهُ آمالٌ(٢) صباحَ مَسَاءِ
وبدَتْ تِلالُ المِلْحِ في لَمَعانِهَا بعُذُوبةٍ في بِشْرِها الوضَّاءِ

وجرى حديثُ الصفوِ ـ وهوَ مُسَلْسَلٌ
كالماءِ ـ بيْنَ خواطرِ النُّدَماءِ !
أومِثْلَ عذْبِ الرَّاحِ(٣) وهي لظامئٍ
رُوحٌ تَرُدُّ الرَّاحَ(٤) بعدَ ظَمَاءِ !

وجرَتْ أحادِيثُ النظيمِ فقائلٌ :
الشِّعْرُ بالتبيانِ والإِنْشاءِ !

---

(١) أي الثغر (٢) آمال السفن والناس . والمعروف ان أغلى الماس هو الماس الازرق لندرته كما ان اغلى الدر هو الدر الاسود . (٣) الخمر (٤) النشاط والارتياح ..

ومعلِّمٌ أقتى بأنَّ خيالَهُ (١) إنْ طاشَ أنواعٌ من الأقذاءِ !
وسواهُ أكَّدَ أنَّ خيرَ بيانِهِ (٢)
لغةُ (الكتاب) ولهجةُ الفُصَحاءِ !
فأجبتُهُمْ - وأنا المُقِرُّ بفضلهمْ :
« الشعرُ بالحسِّ السَّرِيِّ النَّائي :
أبداً يُفتشُ عن خَفيِّ سَعادَةٍ
ويَطُوفُ في الدُّنيا طوافَ ضياءِ !
ويُصَوِّرُ الأشياءَ في أصباغِهِ تصويرَ ما تلقاهُ في الأشْياءِ
ويُلقِّنُ الإحسانَ في آياتِهِ وروائعَ العلماءِ والحكماءِ
ويَبُثُّ مِنْ أسمى الشعورِ مُسَدَّداً
يرمي جُيُوشَ الظُّلمِ والجهلاءِ !
فلكُمْ بيانُ العُرْبِ إنْ شئتمْ ولي
هذا البيانُ الحُسْنُ ، فهوَ رجائي!
لغَتي الذي يُوحيهِ ذَوْقي والذي
لَبَّى بهِ الأدَبُ الحديثُ نِدائي !
فبكلِّ لفظٍ مَشْرِقٌ لعواطفي وبكلِّ معنًى لي نجُومُ سماءِ !

---

(١) و (٢) أي خيال الشعر وبيانه .

ما الذَّنْبُ ذنبي إنْ تعثَّرَ قارِئي فسبقتُ في سُوَرٍ من الإسْراءِ!
ما الشِّعرُ ألفاظٌ تُرَصُّ وإنما الشِّعْرُ نَبْعُ عَواطِفِ الشُّعَراءِ
وأنا المُطَالَبُ بالوَفاءِ لبيئتي أمَّا الجنيبُ فلنْ ينالَ وَفائي
وغرائبُ الامْسِ البعيدِ مكانُها
عندِي كأفْوِ الوَهمِ والأهواءِ!
ديباجتي مِنْ عصرِ نورٍ سِرُّهُ
في الكهْرباءِ أراهُ لا البَطْحاءِ (١)!
والحقُّ يعلمُ كم أكرِّمُ مجْدَها (٢)
لكنَّ مثلي عاشَ غيرَ مُرَاءِ
وأرى فمي وحِجَايَ ثُمَّ يراعتي
مِلْكاً لِمَوْطِنيَ الشَّجِيِّ شقَائي!
ولسوف يُنصفني الزَّمانُ لدى غدٍ
إنْ فاتَ هذا اليومْ حُسْنَ جزائي»!

ثم أثنينا شَطْرَ تمثالٍ لهُ شَرَفُ الحياةِ(٣) تحجَّبتْ برِدَاءْ

(١) البطحاء: يريد بادية العرب (٢) أي مجد البطحاء.
(٣) كأنما التمثال فيه حياة محجبة.

تَمثالُ (رِلْسبسَ) العظيم يُشيرُ في
ظَفَرِ الأَبِيِّ بعزْمةٍ ومضاءِ
فاذا بهِ عنوانُ شِعْرٍ خالد (١) كم عُدَّ وَهْماً في زمانِ غباءِ !
وكذلِكَ الأَدَبُ الجريءُ نخالُهُ طوراً كداءٍ وهوَ خيرُ شفاءِ !
كالبَحْرِ في حَرْبٍ وملءَ عقيقِهِ (٢)
سَلْمٌ ، وانْ جَوِلتْهُ عينُ الرَّائي !
ما كانَ أغدَى من هواهُ لِمُتْعَبٍ قَلِقٍ ، وأجْدَى مِنْ نَداهُ لِنائي !

حتى انتهَيْنا مِنْ جَميلِ طَوافِنَا
والصَّحْبُ في جَدَلٍ وفي استِفْتاءِ
فنظَرْتُ نحوَ الشَّمْسِ قبلَ مَغيبِهَا
والشَّمْسُ عارفةٌ هوَاي ودَائي !
فرَنَتْ كما رَنتْ (الطَّبيعةُ) كلُّها
لِمُنايَ بالتَّشْجيعِ والإيحاءِ !

(١) اشارة الى تحقيق فتح قنال السويس .
(٢) عقيق البحر : عمقه ونهاية اسفله .

صداقة الادب

بعث بها الشاعر الى صديق أديب

وما باقةُ المَدْحِ التي قدْ بَعثتَها
سوى الأدبِ البسّامِ من رُوحِكَ الفنّي !
تأمّلتُ فيها العطْفَ جَذْلانَ آسياً (١)
يردّ شقاءَ النفسِ والألَمَ المُضْني
بإِذْنكَ يكفيني ودادُكَ حالياً
غِنًى لوفيٍّ عن مديحِكَ يستغني !
فحبُّكَ مَدْحٌ لا يُماسُ لنائلٍ
وبِرُّكَ حِرْزٌ مِنْ مَلامٍ ومنْ غَبْنِ
وفَيْتَ ، فقلْ للأمّي انّي الفتى
سواهُ لديهِ المدْحُ أو شِدّةُ الطّعنِ !
فلستُ سوى الباني الكدُودِ لقوّةٍ
هي الخيرُ ، لا غِرًّا يُهَدِّمُ ما يَبْني

---

(١) آسياً : مداوياً .

ضَحِكْتُ وقد هَبُّوا ثِقالاً لضَرْبتي
وكِدتُ لهم أبكي وقد جَزِعُوا منّي!
كأنْ جهلوا أنَّ الجزاءَ لهمّتي
جهادِي، فيُغنيني الجِهادُ الذي يُغْني
لَذَاذَةُ نفسٍ يملكُ الفَنُّ حُبَّها
وتبذلُ مبذولَ السَّخاءِ بلا مَنِّ
وانَّ صديقي إنْ رأى الحَقَّ شِرْعتي
فليْسَ يُحابيني، ولا يَثْنَني عنّي
يُعزِّزُني في موقفِ الحَقِّ طائِعاً
فيُكرِمُ للآدابِ ما أعتزَّ مِنْ رُكْنِ
وليسَ يَهَابُ النقْدَ من جَهْلِ لائمٍ
دَعِيّ، ولا مِنْ حِقْدِ مَنْ لم ينلْ ذِهني
ومنْ كانَ لا يُعْنى بمَدْحٍ ولا قِلًى
سَمَا، وكفاهُ الحَظُّ مِنْ جُهْدِهِ الفنِّي!

الوَعد

عَزَّ اللقاءُ وشَاقَنِي الوَعْدُ أتُرَى يَبَرُّ بهيجتي بَعْدُ ؟ !
تَمْضِي أسابيعُ المُنَى وأنَا كالنَّارِ يُتْلِفُ عُمْرَها الوَقْدُ !
مَنْ مُبْلِغٌ حُسْناً أقَدِّسُهُ أنِّي لهُ المَوْهُوبُ والعَبْدُ ؟ !
مهْما شَكَوْتُ فلستُ شاكِيَهُ بل أشتكي الحظَّ الذي يَعْدُو!

لَيْتَ الجَمَالَ وقدْ نَأَى وسَلاَ لم يَقْسُ حِينَ أمَضَّنِي الوَعْدُ
ليتَ التي كانَتْهُ (١) فاتنةً أبِيَّ طَوَتْه (٢) كما انْطَوى العَهْدُ
راحَتْ وقدْ بقيتْ تذكِّرُنِي منها أغاني الصُّبْحِ والوَرْدُ !
ياليتَها ما خَلَّفَتْ أثَراً منها يُجَمِّعُ حَوْلَهُ الوَجْدُ!
أنَّى التَفَتُّ رأيْتُ رقَّتَها في كلِّ ما يُشْتاقُ تَمْتَدُّ !
هذِي مآثِرُها مُنَمَّقَةٌ في حالياتِ الكَوْنِ تَعْتَدُّ
فأردُّها عن خاطري ، وأنا جَمُّ الحَنَانِ ، وما لَهَا رَدُّ
وأصونُ حُبِّي للتي رَحلتْ عني ولم يَبْرَحْ لها الوُدُّ

(١) اي الجمال . (٢) اي طوت لبه .

غابتْ فمتُّ بحسْرَةٍ وهَوًى وكأنَّ هذا الصدَّ لي لَحَدُ!
وظللْتُ أذْكُرُ وَعْدَها فاذا بالوعدِ مِثْلُ البَعْثِ لو يَبْدُو!
أوْ أنَّهُ تذْكارُ مَرْحَمَةٍ تَرَكَتْهُ فَوْقَ القَبْرِ ينهَدُّ!
جَمَعَ التَّناقضَ في تَصَوُّرِهِ وبِرَمْزِهِ الآلامُ والسُّهْدُ!

همس الاقدام

ذكرى حفلة رقص

يَهْمِسْنَ بالأَقْدَامِ كالْ أَلْحانِ في نجْوَى القُلوبْ
وكأَنَّ وقعَ حفيفها شَوْقُ الرَّبيعِ لها الطُّرُوبْ
أوْ صوتُهُنَّ وقد هَرَ نَ من الجِنانِ (١) بلارقيبْ!
كلٌّ يخاصِرُهَا حبيـ ـبٌ، والوُجودُ (٢) لها حبيبْ!
فترى القُدُودَ كأَنَّهـا صِيغَتْ من الشِّعْرِ العجيبْ!
بينا يُجاذِبُها النَّسيـ ـبُ تفُوتُ آياتِ النَّسيبْ!

---

(١) اشارة الى صوت جريهن على اوراق الشجر المنشورة في تلك الجنان ، وهو صوت اشبه بالهمس نسبة منه بالجلبة .

(٢) الوجود : الكون .

وتقولُ آلافَ المَعا ني اللأديبِ والأريبْ
اللهَ في هـذا التَّكَسْـ ـسُرِ كم يَطيبُ وكمْ يطيبْ !
وأنا الرَّقيبُ لهـا أُمَتْـ ـتَعُ فوْقَ إيناسِ الرّقيبْ
فـكأَنَّ حِسِّي كُل ما أفشتهُ مِنْ حُسْنٍ وَطِيبْ
والشّاعرُ الفنّي ينـ ـهَلُ مِنْ حَنَانٍ لا بغيبْ
في رُوحِهِ وَحْيُ الجمـا لِ، ووَحْيُهُ رُوحٌ أُذِيبْ !

مجمة المرقص

ـ مداعبة لمناسبة ـ

هي فِتنةٌ في فِتْنةٍ وندِيمُهـا نِعْمَ النّدِيمْ
وكأنمـا فُتِنَتْ بهِ وكأنّه (حَسَنُ الحَطِيمْ) (١)

(١) الشاعر الرقيق المعروف . والمناسبة مشابهة الراقص له في صورته وشكله وظرفه

مرآة نفسي

أبيات توديع للصديق الطبيب النابغة عبد الله بك جلال لمناسبة ترقيته من مستشفى بور سعيد الى ادارة مستشفى ملوي

هيْهاتَ بُعْدُكَ يُنْسِي مَنْ كان مَشْرِقَ أُنْس
مَنْ ذاقَ وِدَّكَ مثلي لا بُدَّ يَعْذُرُ يأسي
الى العُلَى يا (**جلال**) الى المُنَى والتَّحَسِّي
هـذا رَجاءُ المُرَجِّي هـذا عزاءُ المؤسِّي
أنتَ العظيمُ بحُبٍّ أنتَ الخطيرُ ببأسِ
وأنتَ جَرَّاحُ جِسْمٍ وأنتَ إبْلالُ نَفْسِ
حَلَفْتُ أنَّكَ تَجْري الى محلّةِ شَمْسِ (١)
فما النُّبوغُ لأَسْرٍ ولا الجلالُ لحَبْسِ
ولنْ يُجاملَ وَهْماً في الحقِّ شِعْري وطِرْسي
فِراستي فيكَ صِدْقٌ وأكرَمُ الصِّدْقِ حَدْسِي

أنا المودِّعُ ، لكنْ نِصْفُ الوَداعِ لنفْسي

---

(١) اشارة الى انتقاله الى ملوي والى ترقيته ايضاً .

وكم تَولَّى صديقٌ وكم شَقيتُ بأمسي
فكانَ أوْلىٰ بمثلي صَبْرُ الهدَى والتأسّي
لٰكنَّ طَبْعَ وَفائي أن لا أضنَّ بحسِّي
وأنْ يفيضَ نظيمي قبلَ الوَداعِ بكأسِي !

ولو نَسيتُكَ فذًّا ما كانَ فضلُكَ يُنْسِي
كُنْتَ الطَّبيبَ لأهلي كنتَ الشّفاءَ ليأسِي
تَفُضُّ بالبِشْرِ هَمّي فلا أعودُ لِنُكْسِ
كفيلسوفٍ كريمٍ سَناهُ معشُوقُ دَرْسِ
أُصْغي اليهِ قريراً والشَّيْبُ يلهو برأسي
وكم دُعابةِ صَفْوٍ بذلتَها دُونَ بَخْسِ
وكم مآدِبِ نُورٍ نَعِمتُ منها بقَبْسِ
زَهَتْ على (بورسعيدٍ) وأشْرقتْ في (السويس)
وكنتُ إنْ غِبْتُ عنها ذكرتَني ذِكرَ حِسِّ
كانتْ شعاعاً سَرِياً وكنْتُ (عباسَ شمسِ)!

فيا صديقاً عزيزاً ورَبَّ فضلٍ وغَرْسِ

إكرامُ مِثْلِكَ عندِي إكرامُ أبناءِ جِنْسي
فتَّشتُ عن خيرِ ذِكرى أدْنى لِحسِّي ولَمْسي
تعيشُ بعدي وَفاءً إنْ غيَّبَ الجسْمَ رَمْسي
اذا نظرتَ اليها رأيتني دُونَ لَمْسِ
وإنْ عتبتَ عليها غنّتْ أغاريدَ (**قيس**)
وانْ تأمَّلتَ فيها باحتْ بسِرِّي وهَمْسِي
فلم أجدْ غيْرَ شِعْري فالشِّعرُ مِرْآةُ نفسِي !

الأفواه

التغالي والتقلب

كِلاهُمَا في نَشَاطٍ يَدْعُو لِنَبْذِ التَّغالي
لُكنَّهُ في آندِفاع يَحْيا حيـــاةَ المُغالي !
كِلاهُما رَبُّ وَعْظٍ يَرى سِوَاهُ الجَهُولاَ

ويحسَبُ النُّورَ عَقْلاً لدَيْهِ بذَّ [1] العُقُولاَ !
تَبادَلاَ هٰكذا نُضحاً يُناقِضُ نُصْحَا
كِلاَهُمـــا حاسبٌ ما يدَّعيهِ الأصْحَّا !
فلامَ زَيْدٌ أخاهُ على تَراخي يَقينِهْ
ولامَ خالدُ زيداً على جُنونٍ بدِينِهْ !

ومَرَّ حَوْلٌ فأضْحَى زيدٌ أميرَ الصَّبابَهْ !
وصارَ خالدُ حَقًّا خليفةً للصَّحابَهْ !

(١) بذ : غلب وفاق .

أحمد لطفي بك

النبوغ الأدبي

خَلُّوا البُكاءَ على العظيمِ النَّائي
إنَّ الخُلودَ منازِلُ العُظَماءِ !
لا تُوهِموني أنَّ أصْلَ ضِيائِهِ
مَوْتٌ ، وانَّ النفسَ غيرُ ضياءِ !
النَّجْمُ تُطْفِئُهُ الدُّهُورُ ، ولا أرَى
للعقلِ بالإِنْتاجِ أيَّ فناءِ !
إنْ تجزَعوا فابكوا على أحلامِكُمْ
إنْ تَهْنَ (١) خلفَ شُعاعِهِ الوضَّاءِ
مَنْ عاشَ مَشبوبَ الذَّكاءِ فمالهُ
عَوَزٌ (٢) الى ذِكْرٍ وشِعرِ رثاءِ
فبرغمِ غَدْرِ الدَّهْرِ ذِكْراهُ العُلى
تبقَى بقاءَ الحقِّ دُونَ مِرَاءِ (٣)

---

(١) تهن : ضللن . (٢) عوز : حاجة .
(٣) مراء : مجادلة .

ما النَّاسُ غيرَ النَّابغينَ بفضلهمْ
المالئينَ مراتبَ الأَحيـــاءِ !

جاءَ النَعِي فكدْتُ أصْعَقُ من أسًى
ثمَّ استفقْتُ على نحيبِ (١) بُكائي !
فَخَجِلْتُ مِنْ جَزَعي العتيّ وانْ يكنْ
جزعي قرينَ بنُوَّةٍ واخاءِ !
وَشهِدْتُ ضَعْفي رَغْمَ دَفْعِ عقيدَتي
وعَرَفْتُ كيفَ رزيئةُ (٢) النهاءِ
ولكم تعدَّدتْ الفجيعةُ قبلَهُ
في العـلمِ والآدَابِ والآلاءِ
فاذا المُصابُ بهِ جُموعُ مصائبِ
وخَسَارَةُ الآباءِ والأَبناءِ !

(لطفي) ! ومِثلُكَ جامعُ الألطافِ في
خُلُقٍ ، وفي عَمَلٍ ، وفي أنداءِ (٣)

---

(١) النحيب : رفع الصوت بالبكاء .
(٢) الرزيئة : المصيبة العظيمة .
(٣) جمع ندى ، وهو الجود .

يا مُطلقَ السجناءِ يوْمَ بلائهمْ أدْرِكْ مُحِبًّا باتَ في السُّجَناءِ !
فالحزنُ قيّد خاطِري في لمحةٍ فَذَهَلْت بين مصيبةٍ وعزاءِ !
الفقدُ حقٌّ ، والبقاءُ محقَّقٌ ! مَنْ لي بذهْنِكَ مُسْتَمَدَّ ذكاءِ !
ضَلَّتْ قُوايَ وحِرْتُ في الدُّنيا التي
فيها الحيـاةُ تَناقُضُ الأشياءِ !

●▭●

ومحدِّثٍ عنْ سيرَةٍ لكَ فخمةٍ مِنْ عهدِ مدرسةٍ لعهدِ عَلاءِ
تَخذَتْ من القانونِ عزّةَ عرشِها ومِنَ النزاهَةِ تاجَ كلِّ سَنَاءِ
وتقلَّبتْ ما بين فضْلِ مُعَلِّمٍ ، والمِدرهِ المحبُوبِ للزملاءِ
ومتاعبِ السّاعي لنشْرِ تعاوُنٍ للزارعينَ ، ومُرشِدِ الدَّهْماءِ
ومُدافعٍ بسياسَةٍ وحَماسَةٍ في النكْبَةِ الوطنيّةِ الدَّهْياءِ
هيَ جَمْعُ أوصافٍ : أقلُّ عديدِها
فَخْرُ الرِّجالِ ومُرْتَقى الأُمَراءِ !

●▭●

فسمعتُ راويةَ المآثر مثلمـا أسْمعْتهُ المجهُولَ مِنْ آرائي
وسألتهُ : « هلْ أنتَ تدري بعدما
أحصيتَ منْ آلائِهِ الغَرَّاءِ !

ومواقفٍ هيَ للدَّوام شهيدةٌ بالمجدِ ، لم تطلبْ أقلَّ جزاءْ
وعواطِفٍ هيْهاتَ يُدْرِكُها البِلى
نُشِرَتْ كَنَشْرِ النَّور واللَّأْلاءْ
ما غابَ عنكَ ، وكانَ أسمى نَفْسِهِ .
منْ شيمةِ القُوَّادِ والزُّعَماءْ ؟ »
قالَ : « الفِدَاءُ لقَوْمِهِ بجِهادِهِ
حتى قضَى ومضَى بأشْرَفِ داءْ ! »
فسكتُّ ، ثمَّ أجبتُهُ في حَسْرَةٍ :
« كلاَّ ! .. ولـكنْ عاشَ غيْرَ مُرَائي !
وأبَى بعيدَ الصِّيتِ حتى جاءَهُ (١)
والناسُ تَعْبُدُهُ (٢) صَباحَ مَساءْ ! »

(١) و (٢) اي الصيت وهو الشهرة .

جزاء اليقين

ألقيت هذه الابيات في توديع رجل الوطنيـة الشهم المصلح الغيور الاستاذ محمود بك حسن محافظ السويس في حفلة توديعه بفندق بلير يوم الاربعاء ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م . ، وكان سعادته شبه منفي فيها بحكم الوزارة الزبورية المشؤومة .

في سبيلِ اليتيمِ تُنفى وتَنعمْ ولكَ المَبْدأُ المُبجَّلُ مَعْلَمْ
في سبيلِ العُلى انتقالُكَ مشكو راً ، فعِشْ للعُلى وفيًّا مُعظَّمْ
كُنْتَ للثغرِ زينةً تُعْجِبُ الحَقْـ قَ ، فهيْهاتَ في النَّوَى إنْ تبَسَّمْ !
جئتَهُ في مواقِفِ الحُزْنِ شتَّى فانقضى مأتمٌ عَرَفْنا ومأتمْ !
صُنتَ فيهِ الأَخْلاقَ مِنْ ضَيعةِ اللهْـ ـوِ وأكسبتَها بعقلِكَ مَغْنَمْ !
وبذلتَ الإصلاحَ بذلَ أُولي الجو دِ كبيرَ الفؤادِ لا تتحكمْ
شكرَتْكَ الآدابُ والعِلمُ والاحْـ سانُ والنّبلُ شكرَ برٍّ محتّمْ

●▭●

ياعظيمَ الحِجَا كما أنتَ في الودْ دِ عظيمٌ ، وفي المآثرِ أعظَمْ !

وجليلَ التّذكار من كُلِّ (محمو دٍ) عزيزٍ قرينِ إسمِكَ يُكْرَمْ
لكَ عُذْري اذا عَجزتُ عن التّوْ ديع في موْقِفِ الوفاءِ المُجَسَّمْ
شغلتْني متاعبُ العيْشِ مغبو ناً ، فسامحْ قُصورَ وافٍ تظلَّمْ
وشفيعي اليكَ خُلقي ووجْ
دانِي ، فبالنَّفْسِ مثلُ نفسِكَ أعْلَمْ
وشفيعي الصديقُ ينثرُ ألفا ظِ كنثْرِ الزهورِ حَوْلكَ تُغْنَمْ
فتمدَّتكَ (السويسُ) فقدَ إمامٍ
فالعُلى دائماً بمثْلِكَ تأتمّْ !
وارتضتْ خُسْرَها لمغنمِ (مصر)
هكذا كُنتَ منْ يُضحّي ويَغْنمْ
في رِضى (مصرَ) كم بذلتَ هنيئاً
في هوى (مصرَ) لا تزالُ المتيَّمْ
تَغضَبُ الغَضبةَ الشَّريفةَ للحقْ قِ وتَشقى شقاءَ منْ ليْسَ يندمْ
وتعافُ الغُرُورَ والجُبْنَ والذلْ لَ وحُكما منَ الفَسادِ المُنظَّمْ
هكذا بالمبادِيءِ الغُرِّ تُبْنى دَوْلةُ النورِ والدُّجى يتهدَّمْ !
يازَعيماً بنفْسِهِ وهُماماً في ملمّاتنا ... تقدَّمْ ! تقدَّمْ !

العصا البكرية

أبيات مداعبة في رثاء عصا تذكارية ثمينة مفقودة للصديق الاديب الاستاذ عبد الله بكري نظمت اجابة لاستغاثته الصارخة ونصها :

ارسل الي بسرعة برشامة اذ انني ياصاحبي محموم !
ضاعت عصاي ـ ولن اراها ـ فارثها بقصيدة منهـا نضيع هموم !

سلبوكَ يا خِلِّي عَصَاكْ وكأنَّ « شاطرَهم » عصاكْ (١)
كانتْ صديقَكَ في انتقا لٍ واقتتالٍ « واحتكاكْ » !
الأَرْضُ تخْشاها ويخـ شاها بغضبتِكَ السِّماكْ !
والغانياتُ يخَفْنَ مَرْ ماها كما تخْشَى الشِّباكْ !
وكأنمـا هيَ سِحْرُ (مو سـى) تستقلُّ بهِ يدَاكْ !
اللهُ أكبَرُ حينما تختالُ سابقَةً خُطاكْ !
في زينةِ الحُسْنِ الأبيْ يِ ومِنْعَةٍ تأبَى الفِكاكْ
تحيي هَواها مثلمـا مِنْ بِرِّها تحيي هَوَاكْ
حتى كُنيتَ (أبا العصا) « شَرَفٌ » تمنَّاهُ سِوَاكْ !
ياليتَ شِعْري هلْ دَهَا ها في غِيابِكَ ما دَهَاكْ ؟ !

---

(١) يقال عصا الرجل اي ضربه بالعصا .

واللهِ أخْشَى أنْ تكو نَ قضتْ « وفكّكَها » نَواكْ
وتجزّأتْ في ظِلّ دُ كْ كان هنالِكَ أو هُناكْ !
اللهُ يرْحَمُها ويَجـ ـعلُ رُوحَها رُوحَ المَلاَكْ[1] !
حتى تظلَّ لكَ الهُدَى وتكُونَ في حَقِّ فِداكْ !
واللهُ يُلهِمُكَ العزَا ءَ كِفَاءَ[2] فضلِكَ أوجَدَاكْ
ما كُنتَ أوَّلَ عاشقٍ بيْنَ الضَّياعِ والارتباكْ
لـكنْ صفاتُكَ أنْ تعفْ فَ اذا حكمتَ على عِداكْ
« بِكْرُ » المحـامدِ غُنْيةٌ لكَ عن حُلاَكَ وعن عَصَاكْ !

***

ثم بلغ الشاعر ان صاحبه استطاع استرداد العصا من سارقيها بعد ايام ثلاثة فكتب اليه مهنئاً :

عادَتْ عَصاكَ فمرحباً بوفاءِ أوْفَى مُؤْنِسِ !
وكأنمـا هي (يونسٌ) مِنْ غَيْبةٍ في القيطَسِ[3] !
فاقبـلْ تهانِئَنا التي دارَتْ مدَارَ الاكؤُسِ

---

(١) الملاك مخفف ملاّك وهو احد الارواح السماوية .

(٢) كفاءً فضلك : اي مساوياً فضلك .

(٣) القيطس هو العنبر اشارة الى حكاية ابتلاعه النبي يونس وحمله اياه ثلاثة ايام في بطنه ثم خروج النبي حيا منه الى الشاطيء .

واحرصْ عليها ياصديـ ـقي كالنّفيسِ الانْفَسِ
فلقد تقومُ عصا الأديـ ـبِ مقامَ بعضِ الأَنْفُسِ !

وردونار

وصف راقصة في ثوب أحمر وفي فمها وردة حمراء قد عضت عليها

رَقَصَتْ وفي فمهـا المُوَرَّدِ وردَةٌ
عكستْ لهيبَ الشَّمْسِ مِنْ بُرْدَيْهَا !
فَوَدَدْتُ لو عَضَّتْ عليَّ وأشفقتْ
مِن نارِ وَرْدَيْهَا ومِنْ شَفَتَيْهَا !

الزهر القتيل

وصف الزهر الذابل طي كتاب الحبيبة

أجريتِ للزَّهْرِ القتيلِ دُموعي ... وأثَرْتِ مِنْ قلبي وَفيَّ وَلُوعِي
قبَّلْتُهُ وشَمَمْتُهُ وضَمَمْتُه ... وحَنينُهُ مثلي حَنينُ رُجُوعِ
أرْسلتِهِ طَيَّ الكتاب فماتَ في ... كَنَفِ الجَمالِ الحاكمِ المتبوعِ !
أودى الفِرَاقُ بهِ، وقد كفّنتِهِ ... برسالةِ الحُبِّ المُثيرِ نُزُوعي
فوَدَدْتُ لو أنّي القتيلُ مكانَه
بيديْك ... لا أرضى رجاءَ شفيعِ !
لم يَبْقَ منهُ سوى تحيَّتِكِ التي ... فاحتْ كما فاحَتْ جِنَانُ ربيعِ !
وكأنما هيَ فيهِ رُوحٌ دائِمٌ
رَغْمَ الذبُولِ، فماتَ غيرَ جَزُوعِ !
واعتزَّ في الظَّرْفِ (١) العزيزِ كأنهُ
مَلِكٌ بتابوتِ السَّنَا المَطْبوعِ !
وكأنما الأَحلامُ قدْ زَفَّتْهُ لي
من سالِفِ الأَجيالِ لا الاسبوعِ !

(١) اي ظرف الكتاب .

شُكْراً مُعَذِّبَتي وألفَ ضَراعةٍ
لجمالِكِ الجاني الضمينِ خُضُوعي !
مِنْ صَفْوِ وجْداني ونَبْعِ عواطفي
مِنْ كلِّ إحْساسي ومِنْ مجموعي
أنْسيتِني بالأُنْسِ حَولكَ وافراً
مِنْ منظَرٍ ضاحٍ [1] ومِنْ مسموعِ
وأنا أئنُّ بغُرْبتي في حَسْرَةٍ وتعاسةِ المحرُومِ والمَفْجوعِ
حتى ذَكَرتِ شقاوَتي فبعثْتِ لي
هـذا العزاءَ لقلبيَ المصدُوعِ !

مَنْ ذا الذي جعلَ الضحيّةَ [2] سُلْوَةً
إلاَّكِ ، والإرْضاءَ نَثْرَ دُمُوعي ؟!

(١) ضاح : بارز للشمس . (٢) يشير الى الزهر الذابل في كتابها .

ترنيمة « أتون »

منقولة حرفيا تقريبا بأسلوب النظم الحر (Free Verse) عن ترجمة الاستاذ برستيد لمنظومة أخناتون الشهيرة . وهي برغم سذاجتها وضعفها من مفاخر الشعر المصري القديم لأعظم فراعين مصر فكراً ونفساً بل للانسان الروحي الأول الذي دعا الى وحدة العبادة والاخاء الانساني العام .

تَبَلَّجُ الفَجْرِ حَالَ بِأُفْقِ هٰذِي السَّمَاءْ ،
يا (أتونُ) [1] اَلحَيُّ يا مستَمِدًّا للحَيَاهْ !
عندَما أنتَ تَعتَلي أُفُقَ الشَّرْقِ للسَّمَا
كُلُّ أَرْضٍ ملأْتَها مِنْ جَمَالٍ مَلَكْتَهُ ؛
فأنتَ حال عظيمٌ يزْهو على الأَرض بُعْدَا ؛
حَصَرَتْ أشعّتُكَ الحُقُولَ وإنْ تكنْ ما قد صَنَعْتَ .
فأنتَ (رَعٌ) [2] ونراك الذي مضيتَ بهمْ كلهمْ آسِرَا ؛
وثَقْتَهُمْ طَوْعَ حُبِّكْ .
برَغم بُعدِكَ هذا ، على الثرى إشعاعُكْ ؛

---

(١) أتون : قرص الشمس ، وقد عدها أخناتون (أمنحتب أو أمنوفيس الرابع) مظهر القوة الالهية المختفية وراءها ، وله العذر في ذلك الوقت حيث رآها موجدة الحياة على الارض والكفيلة بدوامها .

(٢) رع : آله الشمس الأصيل قبل ظهور فلسفة أخناتون الوحدانية التي قضت على جميع الارباب الآخرين .

وَرَغْمَ هذا السُّمُوِّ ، هذا النهارُ تجلَّى كالرَّسْمِ مِنْ وَقْعِ خَطْوِكْ.

عندَما أنتَ تَنْتَحي أُفُقَ الغَرْبِ وتمضي مُوَدِّعاً في السَّماءِ ،
يَصيرُ هذا الوجودُ بِظُلْمَةٍ مِثْلَ مَيْتِ .
ينامُ الرِّجالُ بقاعاتهمْ ،
وقد لُفَّتْ رُؤوسُهمو ،
سَكَنَتْ أنوفُهمو وصاروا لا يَشيمُ البَعْضُ بَعْضَا .
سلِبُوا متاعاً كانَ تحتَ رُؤوسِهمْ
بينهم جاهلونْ .
كلُّ ضرغمٍ بَدَا جائلاً مِنْ عَرينهِ ،
كذا جميعُ الأفاعي ، وكلُّها لادِغَهْ .
يَسُودُ الظَّلامُ ،
ويسكتُ العالَمُ
فانَّ مَنْ قد بَراها بأُفْتِهِ يستريحْ .

تُشْرِقُ الأَرْضُ عندما أنتَ تُشْرِقْ ،
في نهارٍ تُشِعُّ ملءَ (أتونِ) .

ينقضي الإظلامُ
عندما تُرْسِلُ الأَشِعَّةَ مِنْكَ ؛
كِلاَ الأرضيْنِ في (مصر) تُقَضِّي يومَها عيدَا ،
فقدْ فاقَتْ وقد هبَّتْ ،
لأنّكَ كنتَ مُوقِظَها .
ولمَّا استحمّوا أتَوْا بالملابسْ ،
وقدْ رَفعوا السواعِدَ مِنْ هيامٍ ـ هيام عبادةٍ بك في بزُوغِكْ
ثُمَّ في الكَوْنِ كلِّهِ يَذْهبون لِلْعَمَلْ .

كلُّ البهائمِ تَمْضي لرَقْدَةٍ في الحشائِشْ ،
وكذاكَ الأشجارُ مثل النباتاتِ تبدَّتْ جَميعُها في تَرَعْرُعْ ،
وتُرفرفُ الأطيارُ في بِرَكٍ مُحَبَّبةٍ اليها ،
وقدْ رَفعتْ مِنْ أجلِ تقْدِيسِكَ الأجْنِحَهْ .
وجَميعُ الخِرَافِ راقصةٌ تَزْدَهي حوافرُهَا ،
وكُلُّ مُجَنَّحٍ طَارَا ،
فجميعُها تحْيَاً مَتَى أرسلتَ نُورَكَ فوْقَها .

في مَجالِ التيّارِ تَرْتحلُ الأطوافُ [1] ما بينَ جيئةٍ وذهابِ .
وكلُّ طريقٍ صارَ يُفْتَحُ هكذا لأنكَ قدْ أشْعَعْتَ فوقَ مَدَاهُ.
ويَطْفُرُ سَمَكُ النّهْرِ في الفضاءِ أمامَكْ ،
وفي المحيطِ العَظيمِ أرْسلتَ فَيْضَ الأشِعّهْ .

أنتَ ذلكَ المُوجدُ للجَنينِ بأُنثى ،
وأنْتَ تَصنعُ خَلْقاً بذْرَةَ الرَّجلِ ،
وأنتَ مَنْ وَهَبَ الرّوحَ للجَنينِ بأمّهْ ،
ومَنْ يُسلّيهِ لُطْفاً فلا ينوحُ ويبكي ،
فأنتَ حاضِنُهُ في مدّةِ الرَّحِمِ .
ومَنْ يَجُودُ بنفْسٍ لكلِّ مَنْ قدْ بَرَاهْ .
وعِندَما يترُكُ الجِسْمَ . . .

في يومِ ميلادِهِ ،
فأنتَ تفتَحُ فاه منادِياً في كلامِ ،
وأنتَ تُعطيهِ حاجَهْ .

---

(١) أطواف : Barques ، مفردها طوف ، وهو خشب النقل العائم على النهر .

عندَ ما يصرخُ الفَرُّوجُ في داخل البَيْضَةِ ،
تُعطيهِ رُوحَكَ حتى يَبْقى بروحِكَ حيًّا ،
عندَ ما أنتَ بالغٌ حذقَ اتقانِ صُنْعِهِ
فيستطيعُ أنْ يَثْقُبَ قِشْرَةَ البيْضَةِ ،
نراهُ ينفذُ منها ،
مُزَقْزِقاً بقُواهُ ،
يَجْري على قدَمَيْهِ
مَتى أتى مِنْ مقرِّهْ

كم مِنْ تَنوُّعِ صُنْعِكْ !
وكلُّها عَنْ مَجالي عُيونِنا مَخْفيَّهْ ،
يا أيُّها الفَرْدُ الإلهُ جلالةً فَقُوَاهُ ما أحَدٌ سِواهُ يَنالُهـا
فالأَرْضُ أنتَ خَلَقْتَها تبعاً لشوقِ إرَادَتِكْ
بيْنما كُنتَ أنتَ وَحْدَكَ حيًّا :
فأناسٌ ، كذا البَهائمُ شتّى ،
وجميعُ الذِي على الأَرْضِ دَبَّا ،
فوقَ هذِي الأَقدَامِ في جَوَلانِ ؛

وكلٌّ ما قد سما ،
الطّائراتُ بأَجْنُحٍ .
أقطارُ (سُورْيا) و (نوبْيَا)
وأَرْضُ (مصرَ) كذلِكْ ؛
أنتَ واضِعْ كلِّ إنسانٍ كذاك بمَوْضعِهْ
وأنتَ تُعطي احتياجَهمْ
كُلٌّ لديْهِ مَتاعُهْ ،
مَحْسُوبَةٌ أيّامُهْ .
وفي الكلامِ لهم لُسْنٌ مُنوَّعَةٌ ،
كذلِكَ أشكالُهُمْ وجُمْلةُ ألوانِهمْ
لأنّكَ أنتَ المقسِّمُ وزَّعتَهُمْ شعُوبَا .

أنتَ توجدُ (النيلَ) في العالَمِ الأسفلِ ،
وأنتَ تأتي مُريداً بهِ ليُحْيي الأنامْ .
إيهِ ياسيِّدَ الجميعَ متى سادَ في الجميعِ القُصُورُ
إيهِ يارَبِّ كلِّ بيْتٍ مشْرقاً لأجْلِهْ ،
ايهِ ياشمْسَ النهارِ ورَوْعَ أرْضٍ نازِحَهْ

أنتَ أيضاً واهبٌ لَهُمُو أرْواحَهُمْ .
فأنتَ أجريتَ (نيلاً) لدَى السَّماواتِ أعْلىٰ
حتى يُصَبَّ لأجلِهِمْ ،
فَوْقَ الجبالِ فيُوضَهُ كالبحْرِ كوّنَها عظيماً ،
راوِياً حُقولَهُمْ بينَ هاتيكَ القُرَى .

أعْظِمْ بما قدْ رَسَمْتَ ياسيِّداً للخُلُودِ !
(فالنيلُ) رَهنَ السماءِ خَصَصْتَهُ بالأجانبْ ،
وللسوائِمِ ترْعىٰ بكلِّ أرْضٍ وقُطْرِ ؛
لُكنّما ذلكَ (النيـلُ) الذي يأتي مِنْ عالَمٍ واطِيءٍ في
(مِصْرَ) غايتُهُ .
كذا أشِعّتُكَ الحسناء واهبةٌ أشهى الغذاء لبستانٍ وبستانِ :
متى نهضْتَ تراها تحيا وتنمو وتزكو .

خلقتَ أنتَ الفُصُولَ ، لكيْ تصوغَ جهودَكْ ،
فالبَرْدُ مَنْحُ الشتاءِ ،
والحرُّ يأتي بصَيْفٍ .

وكوَّنْتَ أنتَ السَّماءَ البعيدَةَ كيما تُطِلَّ على العالَمِينْ ،
وكيْما ترى كل ما قدْ صنعتَ ،
عند ما كُنتَ أنتَ أنتَ الوحيدْ ،
وكنتَ تُشْرِقُ حيًّا ممثَّلاً (بأتونْ) ،
فتبزُغُ ثمَّ تمْضِي بنُورِكَ ثم ترجعْ .

إنما أنتَ تَصْنَعُ الحُسْنَ للشَّكلِ فريداً مِنْ حُسْنِ ذاتِكَ وَحْدَكْ ،
في بلادٍ وفي قُرًى ومنازِلْ ،
في سبيلٍ وفوْقَ نَهْرٍ كذلكْ ،
كُلُّ العيونِ تراكَ أنتَ أمامَها ،
وأنتَ رَبُّ النهارِ مَنْ سادَ فوْقَ البسيطَهْ .

تُقيمُ أنتَ بقلْبي ،
وما دَرَى بكَ خَلْقٌ ،
الاَّ الفتى (أخنتونُ) .
هو ابنُكَ مَنْ لَقَّنْتَهُ فَهْمَ حِكْمتِكْ

وفَهْمَ قُوَاكْ
الخَلْقُ تَبْقَى في يَدِكْ ،
حتى كما أبدعتَهُمْ .
فاذا بزغتَ حَيُوا ،
واذا غربتَ قَضَوْا .
فأنتَ أنتَ الخُلُودُ يَدُومُ خَلْفَ الجوارحْ ،
بكَ الإِنْسانُ يَحْيَا ،
وعُيُونُهُمْ ترْنو لِحُسْنِكْ
حتى تغيبْ .
يُلْقَى على جانبِ كلُّ اجتهادٍ وشُغْلِ
متى توجَّهتَ أنتَ الى المغيبِ بغَرْبِ .
وعندما أنتَ تبدو فكلُّها في نُمُوِّ ...
منْ حيثُ أنكَ أنتَ أسَّسْتَ هذِي البسيطهْ ،
انبتها كلها مجاملا لِفتاك ،
مَنْ جاءَ مِنْ أعضائِكْ ،
مَلِكٌ يعيشُ على الحقيقَهْ ، ...
فتاكَ (أخناتونُ) مَنْ عُمْرُهُ طائلُ .

وكذا لزوجتهِ وبهجتهِ العظيمَهْ
ربّة الأرضيْن ، . . . (نفريتيتي) [1] ،
بحَياةٍ ونِعْمةٍ في دَوَامِ .

البيغاء

او طفيلي النقد

أهْلاً بنقدِكَ أهْلاً يا سَيِّدِي البَيَّغاء !
نَشَرْتَ للسّخْرِ فصْلاً حَوَى فُنونَ الهراء !
لو كُنتَ تدْري سألتُكْ مَنْ أسخفُ الصائحينْ ؟
ومَنْ يُقلِّدُ صَوْتُكْ ، إنْ نَاحَ في النّائحينْ ؟ !
زعمتَ أنّي أثيمٌ قَتلْتُ شِعْراً وحِكْمَهْ !
صدقتَ ! أنتَ عليمٌ بكلِّ إثمٍ وَنِقْمَهْ !

(١) الملكة (نفريتيتي) زوجة (أخناتون) كانت ابنة (آي) احد النبلاء ، وقد تزوجها (اخناتون) لما كان اميراً قبل اعتلاء العرش حيث كان يدعى (الامير امنوفيس) ، والمعروف انها كانت مشاركة له في جميع آرائه .

عَفواً أميرَ البَيَانِ ! لزلّةٍ لِلِّسانْ !
إذْ كُنتُ كالسكرَانِ فضاعَ رُشْدُ الجَنَانْ !
ذَنْبي العظيمُ شُعُوري ذاكَ الذي هو شِعْري
ولم يكنْ جُمْهُوري الأَ ضميري وفِكري !
فما تمثَّلَ فيهِ الاَّ جَناني وقَلبي !
وكلُّ مَنْ يَصْطفيهِ ينالُ شخصي ولُبِّي !
فكلُّ شِعْرٍ أقولُ عقيدةٌ وحيـــاةُ
ولستُ يوْماً أحولُ وإنْ نَعاني النُّعاةُ !
فما تذَبْذَبْتُ يَوْماً ولا عُرِفْتُ جَبَانَا
وعِشْتُ أنْشرُ عِلْماً ورحمـــةً فَنَّانَا !
وكانَ فرْضاً خُضُوعي لوحْيِ هـذا وذَاكَا !
مُطأطِئاً للجُمُوعِ رأسي وذِهني كذا كَا !
مُقَلِّداً دُونَ حِسٍّ مُعَقِّـداً أسلوبي
لكيْ أفوزَ بقَبْسٍ مِنَ الجمـالِ العجيبِ !
وعِندَها كُنتُ أغدُو رَبَّ النُّهى العبقريَّهْ

وكُنتُ أزْهَى وأبدُو علاَّمةَ العرَبيَّـهْ !
فأقبـلْ مَتَابِيَ واغنمْ ـ ما شِئتَ ـ حُسْنَ الجزاءْ
فاليومَ أصبَحْتُ أعلَمُ مآثِرَ البَبَّغَاءْ !

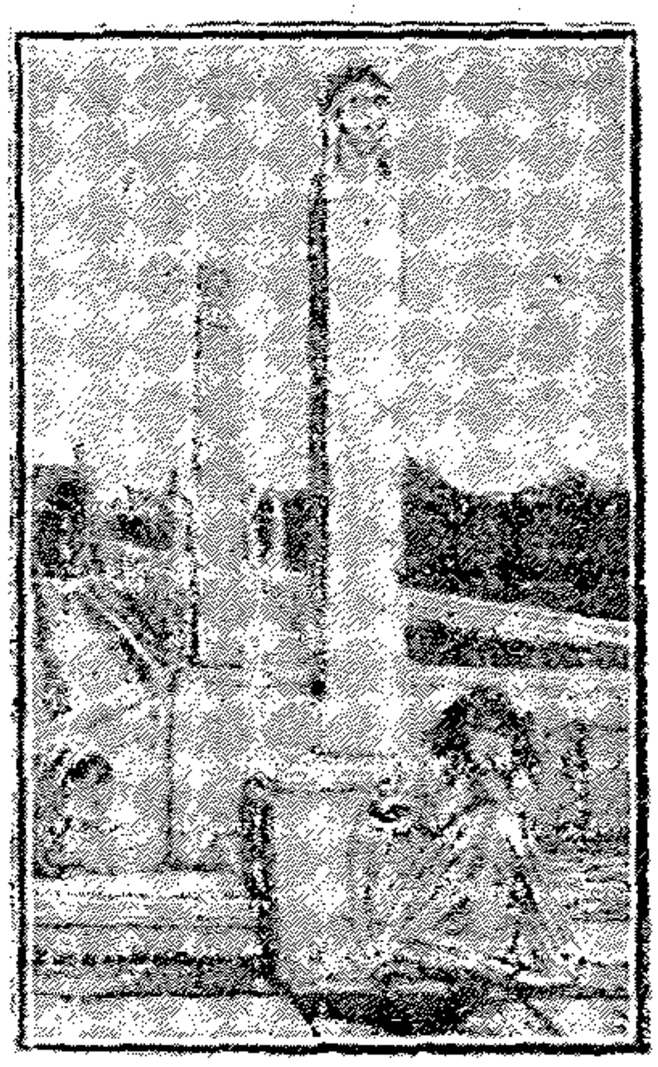

« خير البر ماتعهد به المرء نفسه ، وخير بر النفس ان تربا بها عن مواقف الاعتذار »

عبد العزيز فهمي

حلم الغابة

لمّـا تأمّلَ مهوتاً بيقظتِهِ

الى (الجَمَالِ) الذي حيَّاهُ إحسانَا

والزَّهْرُ في قُرْبِهِ يَهْزُّ مُبتَهِجاً

شَوْقاً ، ويَرْشُفُ راحَ الماءِ جذلانَا !

والغابةُ الحُرَّةُ المَزْهُوُّ رَوْنَقُهَا تُرَدِّدُ الشِّعْرَ أضواءً وألحانَا !

والعُشْبُ في مَرَحٍ ، والتُّرْبُ في فَرَحٍ

وعالَمُ الجوِّ حَاكَى الأَرضَ فَرْحَانَا :

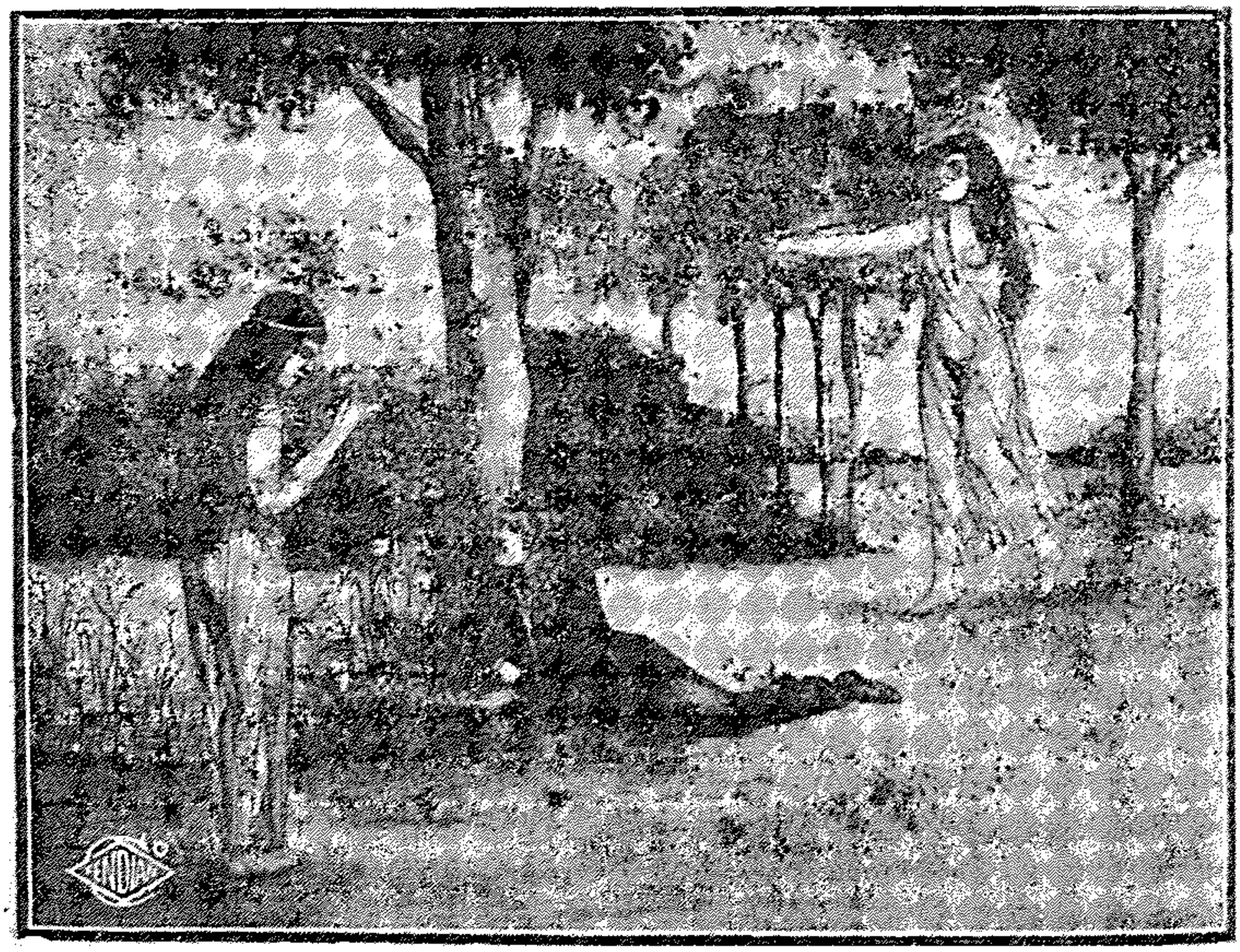

لمَّا رأى كُلَّ هــذا ظَلَّ في أَلَمٍ
ووَحْشَةٍ ما رَأَتْ في الحُسْنِ دَيَّانَا !
ولو تلَفَّتَ ألْفَى (الحُبَّ) يَرْمُقُهُ
وكان يملؤُهُ صَفْواً وإيمـــانَا
وكانَ يجْرَحُهُ جَرْحاً يَعيشُ بهِ !
وكانَ يَمْنَحُهُ مُلْـكاً وأعْوانَا
لُـكِنَّهُ ظلَّ مبهُوتاً بلا أَمَلٍ
ولا حُبُورٍ كَليلَ الطَّرْفِ حَيْرانَا
والحُسْنُ ما لم يكنْ بالحُبِّ مجتمِعاً
فلنْ يكونَ على الوجدانِ سُلْطَانَا !

وعِشْتُ عِيشةَ صُوفيٍّ رأى أبداً
في كلِّ حُسْنٍ هَوىً يَدْعُوهُ فَتَّانَا
فما حَيِيتُ شَقِياً في مغاضَبةٍ
للعيْشِ مهما قسَا أوْ عِشْتُ غفلانَا
بلْ رُمْتُ كلَّ جَمالٍ ، ثمَّ شِمْتُ بهِ
حُبّاً يُجَدِّدُ أرْواحاً وأبدانا

فعِشْتُ أنْهَلُ مِنْ دُنْيايَ بَهْجَتَها
بغيْرِ إثْمٍ ، وألْقَى الصَّفْوَ نَشْوانَا
وبينما دَامَ غيري في أذًى قَلَقٍ
حتى تحوَّلَ بالوَسْواسِ شيطانَا !
حَييتُ كالنُّورِ أجْلُو كلَّ ما وقعتْ
عليهِ عيني وأزْهَى منهُ حَلْيانَا !
وصارَ لي الكونُ نفسي فهيَ مُذْ رضيتْ
تبسَّمَ الكَوْنُ غرِّيداً وضَحْيَانَا !
ولم أزُرْ غابةً الاَّ على حُلُمٍ هو العِيانُ جَمالاً بَثَّ تَحْنانَا!
ولا تَنقَّلْتُ الاَّ وهوَ يَلْزَمُني
فصارَ قَيِّيَ لَمَّا صِرْتُ فنَّانا !
يَئِنُّ غيري بأوْهامٍ تُساوِرُهُ
بينَا لَنَيتُ الهوى والحُسْنَ أنوانَا !

٦٢ ـ الشفق

المهجرة

نظمها الشاعر توديعا وتذكيراً للكاتب الاديب يوسف افندي أحمد طيره مندوب صحيفة (كوكب الشرق) قبيل اعتزامه السفر الى الهند سنة ١٩٢٦م وألقيت في حفلة تكريمه في نادي رمسيس بپور سعيد .

كُنْ كالعزيزِ الطَّيْرِ يومَ مَطارِهِ[1]
أسمى المجالِ الحُرِّ من أوطارِهِ
يهتاجُهُ فرَحُ الرَّحيلِ لنعمةٍ ويُمِضُّهُ[2] التوديعُ في تذكارِهِ
فيرِفُّ آونةً على ألأَفِهِ ويطوفُ آونةً على أوكارِهِ!
ما بينَ فَرْحَتِهِ ونَوْحِ شُجُونِهِ عُمْرانِ مبذولانِ من أعمارِهِ!
كنْ مِثْلَهُ وابذلْ سخيَّ عواطفٍ
بَذْلَ السخيِّ لعطفِهِ ونُضارِهِ
أنا لا ألومُكَ للوَداعِ بحُرْقَةٍ
فلقدْ تَذَوَّقْتُ الوَدَاعَ بنارِهِ![3]
أنا لا ألومُكَ للدُّمُوعِ شهيدَةً
كلاَّ ، ولا لروائعٍ ومكارِهِ!

---

(١) مطاره : طيرانه للرحيل . (٢) يمضه : يؤلمه و يوجعه .
(٣) يشير الشاعر الى اغترابه عن مصر في سنة ١٩١٢ م .

لـكنْ أُلومُكَ إنْ غَنيتَ بمدْمعٍ
فالطَّيرُ لا يُغنيهِ دَمعُ الـكارِهِ !
كنْ مِثلَهُ إنْ شِئْتَ في أشجانِهِ
كُنْ مِثلهُ انْ شِئْتَ في أذكارِهِ (١)
لـكنْ ـ وأنتَ سَمِيُّهُ ـ كُنْ مِثْلَهُ
في عَزْمَةِ الإقدامِ أوْ أخطارِهِ !
لا يَرْتَضِي عيْشَ الإسارِ (٢) ، وبيننا
مَنْ يرتضي عيشَ الأَذَى باسارِهِ !

سِرْ ياجريئاً حَظُّهُ في هِجْرَةٍ
يأبَى السكونَ بليلِهِ ونهارِهِ !
يرثي لكَ المتنطِّعون (٣) وأنتَ مَنْ
يرثِي لُحِكمِ الجهلِ منْ نُظَّارِهِ !

(١) مقابلة بين رقص الطائر وشجنه .
(٢) الاسار : القد ـ كناية عن الأسر
(٣) المتنطعون : المغالون في شهواتهم .

سِرْ فاتحاً فتْحَ اليقينِ مكرَّماً
أوطانَه بجهـادِهِ وشِعارِهِ [1]
لا يَنْثنى شَطْرَ الصِّعابِ ، وانما
تلقى الصِّعابُ البَطْشَ من إنكارِهِ !
متعلِّماً ، ومعلِّماً ، لا ينتهي سعيٌ لفضلِ وَفائِهِ وفخارِهِ
ومتى يَهَشُّ لهُ الغِنى لا يَرْتجي
أغنى من الأخْلاقِ بينَ يسارِهِ !
وهُمومُهُ انْ يَستعِزَّ بهمَّةٍ لا باخْتِداعٍ ، ولا بهمَّةِ جارِهِ !
وكأنما محْضُ الشقاءِ سُكونُهُ
وكأنما النُّعْمى بخَوْضِ غمارِهِ [2]

أنْصِتْ فحَوْلَكَ قبلَ صَوْتِ مُوَدِّعٍ
صوتُ الذى يبكي ابؤسِ صِغَارِهِ

(١) قال حضرة المحتفل به في حفلة توديعه التي أقامتها طائفة من أدباء القاهرة ووصفتها (جريدة كوكب الشرق) بعدد ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٢٦ « أنه ماترك أهله ووطنه وأصدقاءه الا من أجل غاية نبيلة يستعذب في سبيلها كل عسر : ألا وهي رفع شأن الوطن في سماء البلاد الشرقية ».

(٢) غماره : اي غمار الشقاء .

القُطْنُ ثمَّ القُطْنُ غَرْسُ مُصابِهِ (١)

والجهلُ ثمَّ الجهلُ مَهْدُ دَمارِهِ !

ما كانَ أولاهُ ـ وذلكَ حالُهُ ـ

في الحَقْلِ بالإيثارِ مِنْ مِجْدارِهِ!

أنْصِتْ لهُ ولجمعِهِ وهُمومِهِمْ

وابْعَثْ لهم باليُسْرِ في أسْرارِهِ (٢)

سترى المغازلَ ناسجاتِ سعادةٍ

للنّاهِضِ (**الهندىّ**) قبل دِثارِهِ (٣)

سترى له (**تاجورَ**) حائكَ مجدِهِ

من وَحيِ (**غندىّ**) ومنْ أنصارِهِ

سترى الفلاسفةَ الذينَ بكدِّهِمْ

يبنونَ للغدِ مُنْتَهَى إيثارِدِ (٤)

---

(١) اشارة الى خطر اعتماد المصريين في حياتهم الاقتصادية على زراعة القطن واكتفائهم بذلك . والمجدار : الخيال المنصوب في الزرع لطرد الطير والوحش ويسمى أيضا نطار (بضم النون وتشديد الطاء) .

(٢) اشارة الى النهوض الاقتصادي الحديث في الهند .

(٣) دثاره : ثوبه ، يشير الى السياسة الاقتصادية القومية التي ينهجها الزعيم الهندي (غندي) والشاعر (تاجور) وانصارهما .

(٤) ايثاره : اختياره وتفضيله .

ستَرى الذينَ بغرْسِهِمْ جعلوا الثَّرَى
يَزْهى كما يزْهَى الفَتَى بنِجارِهِ (١)
ستَرى الصِّناعاتِ الكثيرَةَ عُمِّمَتْ
والشعبَ في عَكْفٍ (٢) على تُجَّارِهِ
ولسوفَ تَلقى تُرَّهاتٍ (٣) جَمةً
هيَ سِرُّ نكبتِهِ وأصلُ عِثارِهِ
ما بيْنَ فِيلٍ أبيضٍ بقَدَاسَةٍ يختالُ معبوداً لدى زوَّارِهِ!
ومشاكلٍ لا تنْتَهي لمحرِّمٍ متعبِّدٍ يعنو الى أثوارِهِ!
« ونجاسةِ » الطَّبقاتِ ، وهيَ كثيرَةٌ
كالجهْلِ أنواعاً ومِنْ آثارِهِ!
دَعْها ، وخبِّرْ أهلَ (مصر) عن الذي
في (الهندِ) يَجذِبُنَا الى أخبارِهِ

---

(١) نجاره : حسبه .
(٢) عكف : ملازمة ومواظبة .
(٣) ترهات : أباطيل . والعيار : الحمير ، اشارة الى العادات الهندية القديمة السخيفة . وقد شرحت بعضها على أثر سياحتها ودراستها الاجتماعية في الهند السيدة الفاضلة زكية عبد الحميد سليمان (ناظرة مدرسة روضة الاطفال بقصر الدوبارة) في مجلة « العالم » الصادرة بتاريخ ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٢٦ ، وكلها عجائب أليمة يصعب تصديقها من تقديس الاثوار والبقر الى نجاسة الطبقات الموهومة!

مِنْ قُوَّةٍ للمــالِ بينَ صِناعةٍ
وزراعةٍ شتَّى ببُعْدِ مَدَارِهِ !
وتضافُرٍ يومَ البــلاءِ لنهْضَةٍ
حَرَمَتْ عَتِيَّ الأُسْدِ (١) مِنْ أظفارِهِ
شَعْبٌ كشعبِ (الهِنْدِ) في وَثَباتِهِ
العدلُ كلُّ العدلِ في إكْبارِهِ
لم يُلقِ ذُخْرَ رجائِهِ في سَلَّةٍ
بلْ نوّعَ المجهودَ لاستثْمارِهِ
واستعمرَ الوَطنَ الوفيَّ لسَعْيِهِ
بينا الجَنيبُ يذَالُ في استِعْمارِهِ
يسعى بلا جَزَعٍ الى استِقْلالِهِ ويمزِّقُ الغلاَّبَ من أستارِهِ
ويرى الخرافاتِ القديمةَ عارَهُ فيظلُّ في حَرْبٍ لِضَرْبةِ عارِهِ
مَنْ عاشَ في بيتِ الزجاجِ كعيشِنا
لا يُفْزِعُ الجيرانَ مِن أحْجارِهِ (٢) !

---

(١) اشارة الى الأسد البريطاني .
(٢) اشارة الى نقد المغالين من المصريين لعادات الهنود والى الناسين جهود الهنود الاستقلالية الاقتصادية وحركة المقاطعة للتجارة الانجليزية .

سِرْ يا أَبنَ (**طبرة**) للصَّحافةِ رافِعاً
عَلَماً بأَرْضِ (**الجنج**)[1] بيْنَ خِيارهِ
فتبُثُّ نوراً مِنهُ يُنصِفُ شَعْبَنَا
وتَشوقنا بالرَّجْعِ مِنْ أنواره !
وآجعلْ عِمَامَتكَ العزيزةَ قُبَّةً
وآبعثْ برَسْمِكَ ضاحكاً باطارهِ!
وآحفظْ من اللُّسْنِ المُجابَ مجدِّداً
عهداً (**بابل**) فيعجيبِ حِوارهِ!
وآسْمَحْ لنا بدْعَابَةٍ في طيِّها — إنْ لم تزِنْكَ الدُّرْطَيُّ محارهِ!
أو كنْ كغالي التِّبرِ حُبِّيَ فِرَّةً
حتى يَسُودَ محرَّراً من نارهِ!
لا بُدَّ منْ حُلْوِ الحياةِ ومُرِّها
والعيْشُ قدْ يُجدي لدَى إمرارهِ

---

(١) Ganges ، وهو نهر الهند المقدس العظيم الذي يبلغ طوله خمسمائة وألفاً من الاميال . وهو ينبع من كهف ثلجي في جبال الهملايا ويخترق شمال الهند حتى البنغال وعلى أحد فروع مصبه مدينة كلكتا .

حُمِّلْتَ أيَّ أمانةٍ من (كوْكبٍ
للشرق) فلْتُكْرِمْ رَفيعَ مَنارِهِ
أنتَ السَّفيرُ، وربما أنْتَ الذي
يُوحي الهدَى إنْ شاءَ في أسفارِهِ
هي فُرصةٌ إنْ تأتِ (لابن بطوطةٍ)[1]
في البَعْثِ لم يسكنْ الى أقدارِهِ!
فيجُبْ[2] البلادَ منقِّباً مُستَجْمِعاً
لجمالِ هذا (الشرق) من أقطارِهِ
وانْشُرْ معارفَ (مصر) نشْرَ مُهَذَّبٍ
كالنَّحْلِ يُعْطي النفعَ في مُشتارِهِ[3]!
ويَمُجُّ[4] كلَّ الخيرِ وهوَ ضحيةٌ
للخيْرِ، بغْيتُه سعادَةُ دارِهِ!
فترى الوُجُودَ مُقدِّراً لوجودِهِ مِنْ عالَمِ الدُّنيا الى أزهارِهِ!

---

(١) هو الرحالة الاسلامي المشهور.
(٢) فجب: فافطم.
(٣) مشتاره: عسله.
(٤) يمج: يعطي ويبث.

وسُئِلْتُ مِنْ قلبي الوَفيِّ هديةً
فنظمتُ هـذا الصَّفْوَ من أشعارِهِ!
وأنا الضَّنينُ ، فانْ عرفتَ مكانَه
ألفيْتَ أغلى النُّصْحِ في أسطارِهِ
وهممْتَ للجُهْدِ العظيمِ مغرِّداً
بنشيدِهِ ، وهززْتَ مِنْ أوْتارِه
واذا نَسِيتَ ـ ولا إخالُكَ ناسياً ـ
فعليَّ ذَنْبُ ضَياعِهِ ونِفَارِهِ[1]!

والآنَ أُقرِئُكَ الوَدَاعَ مكرَّراً
وأرى الوداعَ يَشُوقُ في تَكرارِهِ!
وكأنما مثلي المودِّعُ والذي ودَّعْتُ مَوْطِنَيَ الشقيَّ بثارِهِ!
فاذْكرْ ، فانَّ الذِّكْرَ ينفعُ ربَّهُ
ما أنتَ الاَّ (النبلُ) في تيَّارِهِ!

(١) نفاره : نفوره .

يَنصبُّ في البحر الخِضَمِّ (١) وانما
يُوحى الى الأفكار منْ أفكارهِ !
فأحرصْ على قَدْرٍ نُدِبْتَ لِحفْظِهِ
واجْعلْ وَقارَكَ مَظْهراً لوقارِهِ !
واذهبْ مع (**النيل**) المبارَكِ ، حُلْوهُ
ملءَ الأجاجِ (٢) ، فضنَّ في إظْهارِهِ !
لكنْ يَعودُ الى الدِّيارِ بخيرِهِ
باسْمِ الندى الزاهي ، وفي أمطارِهِ (٣) !

(١) الخضم : البحر العظيم .
(٢) الاجاج الملح المر ، اشارة الى البحر ، كأنما ذرات ماء النيل المنصب في البحر تصاحبه في سفره .
(٣) اشارة الى الامل المرموق من عودة المحتفل به آجلا .

تحية تاجور

لمناسبة زيارته مصر في اواخر نوفمبر سنة ١٩٢٦ وخطابته عن الفلسفة الهندية

(**تاجورُ**) يا عَلَمَ (**الرسولِ**) ويا أديبَ (**المشرق**)
أهلاً بمَقْدَمِكَ الوَدُودِ الى الوَدُودِ الشَّيِّقِ [1] !
شَعْبٌ (**بوادى النيل**) يعشقُ فيكَ نُوراً بعدَ نُورْ
مِنْ وَحْيِكَ الصَّافي النَّبيلِ غِذاءه دُولاتِ الشعورْ
أُنْظُرْ ! تأمَّلْ ـ يازَعيمُ ـ عواطِفاً لكَ تَنتهي [2] !
مُلِكَتْ ، وكم ملكَ الحكيمُ من المُنى ما يَشتهي !
أهلاً وسَهْلاً (**بالرسولِ**) الفيلسوفِ الشاعرِ !
المانحِ الهادِي السَّوْلِ [3] لِرَفْعِ كَوْنٍ عاثِرِ
تَخِذَ السَّلامَ سِياجَهُ في دَفْعِ ويلاتِ الوُجودْ
فنرى العقولَ نِتاجَهُ ، ونرى مآثرَهُ الخُلودْ !

(١) الشيق : المشتاق . اشارة الى الشعب المصري .
(٢) أي تتوجه اليك وتقر عندك .
(٣) اشارة الى طوافه والقائه الخطب في العواصم لنصرة كليته الفلسفية الهندية المسماة (شنتي ـ نيكتان: Shante - Niketan) التي يبشر منها العلوم الادبية والفلسفية الداعية لخدمة الانسانية من طريق السلام والوئام .

في نهْضةِ الوَطن العزيزِ يجلُّ عنْ ضنٍّ بمالْ
لكنَّه غيرُ الُمجيزِ لثَرٍّ ما يَجْني القِتالْ (١)
متقلِّداً (**الحكمةِ**) الكبرْى سِلاحاً لن يُهانْ !
وملقِّناً للجهدِ والذكْرْى أمانيَهُ الحِسَانْ !
وكأنَّ (**شنتى - نيكتانه**) مثابةُ (**المعهد الجديدْ**)
تُفشِي الحرارةَ والامانَ الى الطَّريفِ مع التّليدْ (٢) !
أسَّستَ في (**البنغال**) مدرسةَ الجمالِ بل الكمالْ (٣)
رمزاً الى استِقْلالِ شعب بالحقيقةِ لا الخيالْ !
رَسَمَ (**الطبيعةَ**) واهتدَى بالحرّةِ الشَّماءِ منها

---

(١) اشتهر رابندرانات تاجور (Rabindranath Tagore) بوطنيته ، وبسخائه في سبيل وطنه ، ولكنه اشتهر ايضاً بحبه للسلام ، ومن أجل هذه العاطفة الشريفة فضلا عن مكانته الادبية وآرائه الفلسفية منح جائزة (نوبل) المشهورة .

(٢) أي لجديد الفلسفة وقديمها .

(٣) اشارة الى أصدقائه الادباء وبينهم ابن عمه (ناندلال بوز - NandalalBose) وتلاميذه الذين عنوا أولا ايام دراستهم في كلكتا (حوالي سنة ١٩٠٠ م) برسم الطبيعة الهندية تصويراً وشعراً ، ثم بيث الاحسان في فنهم ، وكان الفن الهندي المصري قبل ذلك العهد مجرد تقليد للانجليزي !

فارسمْ لنا نُورَ الهدَى وآذْكُرْ حدِيثَ الشعرِ عنها (١)
إنْ قيلَ (نُوبلُ) (٢) قَدْرُ مِثْلِكَ فالنَّبالةُ أصْلُ قدرِكْ
وكفاكَ فخراً دأبُ شغلِكَ بالبريّةِ قبلَ ذِكْرِكْ
فتلقَّ وُفَّادَ المحبَّةِ (**كالوفودِ**) (٣) أمامَ (**كسرى**)
لكنَّهُمْ جعلوا الفخارَ قُبولَ دَعوتِهِمْ وشُكْرَا !

---

(١) تحدث تاجور الى وفد الجالية المصرية في فينا الذى زاره في صيف سنة ١٩٢٦ حينما ذهب اليها ذلك الشاعر الفيلسوف « فأغرق في وصف حبه لمصر وعطفه عليها ، وكان يردد تمنياته الطيبة نحوها لتحقيق أمانيها الوطنية . وكان يصرح أنه ليس سياسيا ، ويفتخر بأنه من عشاق الحقائق ومن رجال الفلسفة والشعر الذي يقود الافكار الى التغني بمحاسن الطبيعة وجمال الازهار وعطر الرياحين » .

(٢) اشارة الى جائزة نوبل وهو الدكتور ألفريد ب . نوبل المهندس والكيماوي السويدي مخترع الديناميت وصاحب الجوائز الشهيرة باسمه لخدمة السلم والسلام . ولد سنة ١٨٣٣ م . وتوفي سنة ١٨٩٦ م .

(٣) اشارة الى وفود العرب برئاسة اكثم بن صيفي التي بعث بها النعمان ابن المنذر الى كسرى لاظهار فضل العرب ورجاحة عقولهم وآدابهم ، وقد وقفت تلك الوفود موقف الفخار أمامه . فالشاعر هنا يشبه وفود المصريين لديه بوفود العرب أمام كسرى في فخرهم ، ولكنه يستدرك باشارته الى أن فخر المصريين انما هو بقبوله دعوتهم اياه ، وبتقديره لهم وثنائه عليهم .

آنَ الوداع

ألقاها الشاعر في حفلة توديعه بكازينو بور سعيد يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٦ م . بعد اقامته عاماً فيها بين صفوة من أهل العلم والأدب

آنَ الوَدَاعُ فعاقني ألمي
لا النُّطْقُ يُسْعِفُني ولا قَلَمي
والشِّعْرُ لم يَنْعِشْهُ توديعي
الموطنِ الحاكي لترْجيعي
شِعْرِ الغِناءِ بذلكَ الأمْسِ
ولّى (١) كما ولّتْ لهُ نفسي !

●▭●

فأتيتُ أشكوها وأنشُدُها
أوَلَيْسَ لي منكم تَجدُّدُها ؟ !
حسبي الأسى لِفراقِ ما أهوَى
هيهاتَ تُغْني بَعْدهُ النَّجْوَى
رُدُّوا اليَّ وفيَّ إحْساسي !

(١) اي الأمس .

يكفي الزَّمانُ بحُكمِهِ القاسي !

وأتيتُ أشكرُكم بعرفاني
رُوحَ الاخاءِ ونُورَ وِجداني
أسديتمْ التَّقديرَ إسداءَ
وحبَوْتمْ الإخْلاصَ آلاءَ
فالشكْرُ مِنْ قلبي لكم باقِ
مِنْ بَعْدِ ألفاظي بأشواقي
ثَغْرٌ كهذا الثَّغْرِ لنْ يُنْسى
بلْ لنْ يُبَدَّلَ أُنسُهُ أُنْسا
فَتَدِي لهُ فُقْدانَ إحسانِ
مهما نَعِمْتُ بآخرِ سانِ
ستَفوتُ مَرْأى حُسْنِهِ عَيْني
ويَظلُّ في ذِهْني على البيْنِ

مَنْ ذلكَ السَّالي لمـــا فيه
ومَراقِصَ الأغواءِ والتّيهِ
والعَوْمَ قُرْبَ الشاطِئِ التبْرِي

يهتزُّ مِنْ عُجْبٍ ومِنْ بِشْرِ
والغانياتِ بسُوقِ أزْهارِ
يَفْضحنَ أسْراراً بأسْرار ؟!

مَنْ ذا الذي يَنسَى أُولي الطبِّ
الحافظينَ بعطفهمْ قلبي ؟
يكفي دَليلَ نُبوغِهمْ (ناجي)
فالمستغيثُ بطبِّهِ ناجِ
وكفى لصُورَةِ فضلهمْ (شَفعي)[1]
هيْهاتَ يُسْدِي البِرَّ للنَّفْعِ

مَنْ ذا الذي يَنْسَى بِهِ أدَبَا
وأئمةً لفخارِهِ نُخَبَا ؟
كم أمتعوا أُبِّي ووجدَاني
بنفائِسٍ شاقتْ وإحْسانِ

(١) هما الاديبان الفاضلان الدكتور ابراهيم حنفي ناجي والدكتور على شفعي المتعافي .

ومجالسٍ كمفاخِرِ الجُمْعَـــهْ
وإمامُنا استاذُنا (جمعه) [1]

●▬●

مَنْ ظنَّ أنْ يُنْسَى (على الأُنفى) [2]
بلطائفٍ زاغَتْ عنِ الوَصْفِ
تلقاهُ بينَ الوِزِّ مشغُولاَ
يستجمعُ الأَرْقامَ والفُولاَ
بينا تُجاذِبنـــا فتاوِيهِ
حيناً وتأسِرُنا أغانيـــهِ ؟ !

●▬●

مَنْ ظنَّ أنْ يُنْسَى بهِ (بكرى) [3]
رَبُّ الدُّعَابةِ مُنْعِشُ الفِكْرِ
جاءَتْ « مقامتهُ » كبُسْتانٍ
فيـــهِ منَ الأَثمارِ زَوْجانِ !
وجميعُها مِنْ طَعْمِها (المِصْري)

---

(١) هو الاستاذ الشيخ محمود جمعة حلبة منشي صحيفة (المؤدب) الغراء .
(٢) هو الأديب علي افندي محمد الالفي وله صلة كبرى بتجارة الدجاج والوز في بور سعيد .
(٣) هو الأديب عبد الله افندى بكري (صاحب مقامات أبي الشمقمق) .

أشهى لدى النشوانِ منْ خَمْرِ ؟ !

مَنْ يُفْضِلُ الاستاذَ (عاشورَا) [1]
أجدى لنا من يوم « عاشورَا »
كم أمْتَعَ الافهامَ من عِلْمِ
كم هذَّبَ الأخلاقَ من حِلْمِ
دَيْنٌ لهُ رُوحي وأحْلامي
وهوَ القليـــــلُ لِبرِّهِ النَّامي !

مَنْ ذا الذي يَنسَى (أبا دِرَعْ) [2]
يَمشي كمشي الهِرِّ في القَشِّ ؟ !
كم جَمْع ياقوتٍ ومَرْجان !
في شِعْرِهِ المُغْني لأشْجَاني

(١) هو الاستاذ عبد القادر عاشور .
(٢) هو حضرة مصطفى افندي حسن البنهاوي صاحب ديواني (العبرات) و (البنهاوي) وعضو اللجنة التنفيذية العامة لتكريم شوقي بك سنة ١٩٢٧ م . ، وفي الابيات اشارة الى ولعه بالتشابيه الياقوتية والمرجانية .

يُهْدِي لنا مِنْ وَصْفِهِ عَجَبا
ويُحَيِّرُ الأَلبـــابَ والأَدَبَا !

مَنْ ذَا الذي ينسى الفتى (البَدرى)[1]
المستعزَّ (كليـلةِ القَدْرِ) ؟ !
يَزْهُو بقَدُومٍ وبيكارِ
وبنايةٍ مِنْ غيْرِ أحجارِ
هيَ جَمْعُ أفهامٍ لهُ تاقتْ
وعواطِفٍ ومحـــامدٍ شاقتْ

ولو استطعتُ الحَصْرَ أخجلني
طُولُ الحَديثِ لكم وأذهلني
فجميعُكمْ أهلي واخواني
وجميعُكمْ نُورٌ لإِنْساني !
تمضي السنونُ وذِكْرُكم عِنْدِي
مهما نزحْتُ ، ولو الى (السُّدر) !

(١) هو حضرة رمزي افندي البدري الرئيس المحترم لمحفل (البدر المنير) الموقر بيور سعيد.

تالوث النهضة

نظمت لمناسبة زيارة صاحب الدولة سعد زغلول باشا تمثال « نهضة مصر »
وهو على وشك الانجاز في ٩ يناير سنة ١٩٢٧ م .

نَفَضْتِ عنكِ الكَرَى مِنْ غابرِ الزَّمَنِ
فَفُتِّ يا « بِنْتَ مِصْرَ » مَسْحَةَ الدِّمَنِ !
بكِ الحياةُ تجلَّتْ بعدَ غفلتِها
كما تجلَّتْ بصَخْرٍ بالعُلى قَمِنِ !
لَمَسْتِ رأسَ (أبي الهَوْلِ) الصَّمُوتِ فما
لَمَسْتِهِ وهوَ مُرْتدٌّ الى الوَسَنِ !
ما كانَ في غفْلةٍ أوْ كانَ في سِنَةٍ
لكنَّهُ كانَ في يأسٍ مِنَ الزَّمَنِ !
واليأسُ أقْبحُ مِنْ مَوْتِ النُّؤُومِ فكم
يَستَعبدُ اليأسُ ما قدْ عزَّ مِنْ فِطَنِ !
حتى نَهَضْتِ فأيقظتِ البلادَ كما
أيقظْتِ ما نامَ مِنْ حُبٍّ ومِنْ سُنَنِ
تَعودُ (مِصْرُ) الى ماضي مآثِرِها
والحُسْنُ فيها مَجالي وَجْهِكِ الحَسَنِ

في العِلْمِ والدِّينِ والآدَابِ أجْمَعِهَا
ما شِئْتِ أنتِ لَهُ تَسْمُو بلا وَهَنِ
والمرْأةُ الحاكِمُ الغَلاَّبُ في عِظَمٍ
فانْ تَهُنْ فمصيرُ الشَّعْبِ للإِحَنِ
فمـا لِغَيْرِ سواها دَانَ غابِرُهُ
وإنْ بَنَا في غَدٍ مَجْداً لهـا يَدِنِ !
أجْمِلْ بهـا فِتْنَةً غنَّاءَ ساميةً
تَرُدُّ عنهُ عوادِي الدَّهْرِ والفِتَنِ !
ما بَجَّلَ الشَّعْبُ أُنثاهُ وقدَّسَها
الاَّ وقدَّسَ مَعْنَى عِزَّةِ الوَطَنِ !
لِمَنْ نكدُّ اذا لم تَبْلُغي شَرَفاً
في العَيْشِ والمجْدِ معصُومَيْنِ عن ثَمَنِ ؟!
وما الحَيـاةُ سوى حُبٍّ ندِينُ لهُ
بالسَّعْيِ والجُهْدِ والاسعادِ والمِنَنِ
فانْ مَضَى الحُبُّ في تحقيرِ مَطْلَعِهِ
فما غِنِيُّ الوَرَى في البُعْدِ عنه غَنِي !
قفي بقامَتِكِ الهيفاءِ باسمةً للشعبِ ، فاتنةً بالرُّوح والبَدَنِ!

ما كانَ تمثالُكِ المحبُوبُ منْ حَجَرٍ
بلْ كان مِنْ مُهَجَاتِ الرِّيفِ والمُدُنِ !
حامَتْ حَواليْهِ حتى قدْ طُبِعْنَ بهِ
فما بهِ غيرُ ما يفترُّ مِنْ وَثَنِ !
تُغنِي غِنًى عَنْ سؤالٍ أوْ مُناشدَةٍ
وتُفْصِحُ القَوْلَ عنْ علاَّمَةٍ لَسِنِ
وذاكَ (بلهوبُ) بعْدَ اليأسِ منتفِضٌ
يُسائِلُ الخَصْمَ عنْ جَيْشٍ وعنْ سُفُنِ !
أخوهُ في جِبرَةِ (الأَهْرام) يحرُسُهَا
ويحرُسُ (النيلَ) في تدبيرِ مُختزِنِ
وهوَ المُقيمُ على ميدانِ عاصِمَةٍ
يبُثُّ بعْدَكِ فيها أوْجَبَ السُّنَنِ
ويحْرُسُ (الفنَّ) والآمالَ حاليةً
مِنْ فِيكِ كالفَجْرِ تمحوَ وَحْشَةَ الدَّجَنِ!
فلاَّحةٌ أنتِ في سِحْرٍ وفي دَعَةٍ
وفي جمـــالٍ ، وفي حزم وفي شجَنِ
فانْ يَزُرْكِ زعيمُ (النيلِ) في شَغَفٍ
فقلبُهُ لكما الموهوبُ مِنْ سَكَنِ

وإنْ تَطلَّعَتْ الأَلْبابُ في قلَقٍ
اليكِ خَلْفَ سِتارِ الخُشْبِ للعَلَنِ
فكيْ تُضيفَ الى كُتبٍ مُقدَّسَةٍ
هذا الكتابَ بشِعْرٍ فيه مُتَّزِنِ !
بَناهُ (مُخْتارُنا) المثَّالُ مِنْ صَلَدٍ
مِنَ الصُّخُورِ ، ولكنْ للحياةِ بُنِي !
سما سُمُوًّا ببنيانٍ ومفْخَرَةٍ
فمن يَهِنْ وَحْيُهُ في غفلةٍ يَهُنِ !
وقدْ أزَحْتِ خِمارَ الغَبْنِ ، واثقةً
بالشَّعْبِ عالمةَ إنْ قُلْتِ كُنْ يَكُنِ !

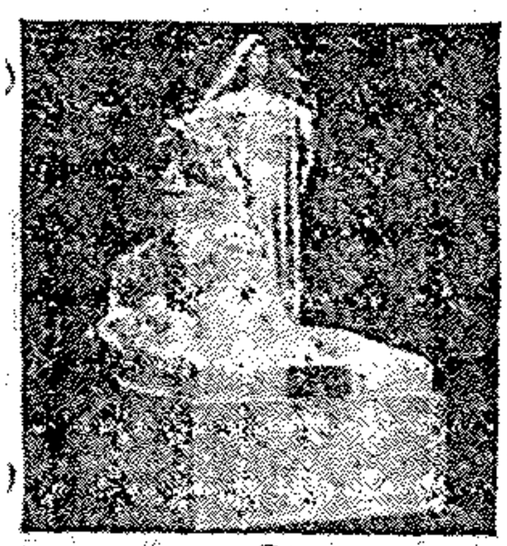

الليل

معربة عن الانجليزية للشاعر ه . كولردج

(١) — التعريب

مُطَقْطِقَةُ الجَمْرَاتِ في الموقدِ انتهتْ وكُلُّ اجتهادٍ داخلَ البيتِ ساكنُ
وقدْ أحْكَمَ المِزْلاجُ قفلا فلا تَرَى صِغارَ عصافيرٍ برفرفِ نَافذَهْ
يُراقِبْنَ قُوتَ اليوْم ، والزَّهرُ صامتٌ ويَسكُبُ في رفْقٍ عبيرَ مسائِهِ
وللجدْوَلِ البَيْدِيِّ عندَ خَرِيرِهِ دَواماً سخيٌّ مِنْ أغانٍ شهيّةٍ
بها امتلأَ الخالي التَّرَقُّبُ مثلما بها زالَ خَوْفُ اللَّيْلِ في طُولِ سَمْعِهِ !

ويا رُبما قد نامتْ الآنَ إذْ مضتْ ثَرَاثِرَةُ الأصواتِ في الجَوِّ ساكِتَهْ
بسَلْمٍ ، وهذا الظِّلُّ في الصَّمْتِ والبُكا كمَنْ عشقُوا في اليأسِ غانيةَ الحُسْنِ

فيالَيْتَني الحُلْمُ الهنيء تَسَلَّلاْ الى قلْبها حتى أرَى فيهِ صُورَتي !

(٢) — الأصل

NIGHT

The crackling embers on the hearth are dead
The indoor note of industry is still;
The latch is fast ; upon the window-sill
The small birds wait not for their daily bread ;
The voiceless flowers — how quietly they shed
Their nightly odours ; - and the household rill
Murmurs coutinuous dulcet sounds that fill
The vacant expectation, and the dread
of listening night. And haply now she sleeps ;
For all the garrulous noises of the air
Are hush'd in peace ; the soft dew silent weeps,
Like hopeless lovers for a maid so fair : —
Oh ! that I were the happy dream that creeps
To her soft heart, to find my image there,

H. Coleridge.

البخيل

يَعيشُ في البُخْلِ في اُنحلالِ ويحْسَبُ الحظَّ جَمْعَ مَالِ
وكلّما زادَ ما اُقْتَناهُ تَناقَصَ الحظُّ بالتَّوالي!
وبُدِّلَ اليُسْرُ خَوْفَ فَقْرٍ وبُودِلَ الأَمْنُ بالقِتَالِ
وساوسٌ كأنّها عليهِ ألْيَمةُ الوَقْعِ كالنبالِ
يَعيشُ عَيْشَ الجُنُون لُكنْ يحسُّ بالهَمِّ والنَّكالِ
فلا هناءٌ لدَيْه يُرْجَى ولا شِفاءٌ مِنَ الخبَالِ
ويَوْمُهُ كلُّه حُرُوبٌ من احتيالٍ الى اُحتيالِ
ولَيْلُهُ كلُّهُ رَهيبٌ وكم تَأَذَّى منَ اللَّيالي
يَخالُ في اللّيْلِ مِنْ ضَحايَا هُ مَنْ يجيئونَ بالحبالِ
ولا شفيقٌ لدَيْهِ لمّا ذَوَى بداءٍ لهُ عُضالِ!
وقدْ أبى الطِّبُّ خَوْفَ بذْل وآثرَ القُوتَ في الخيالِ!
فماتَ لا وارثٌ لدَيْه ولا حَبيبٌ ولا مُوالي
وأَوْدَعَ البِئْرَ قبلَ مَوْتٍ نُضارَهُ بلْ دَمَ التَّغالي!
أبى إباءً شِرَاءَ قَبْرٍ واُستْقبحَ الموْتَ في جَلالِ!

وكانَ كُلُّ العَزاءِ أنْ لا يُكلَّفَ البَذْلَ في آنتِقالِ !

شَيْخٌ كهذا يَعيشُ مَوْتَا ومَوْتُهُ عِبْرَةُ الضَّلالِ
أحَقُّ بالعطْفِ مِنْ عَيِيٍّ يودُّهُ موطِيءَ النّعالِ
فانّه كالمريضِ أوْلَى بأنْ يُرَاعَى مِنَ الرّجالِ
كأنّما بُخْلُهُ جُنونٌ بلْ قُلْ وَباءٌ من الوَبالِ
فَحَسْبُهُ رَحْمَةٌ وعَدْلٌ لهُ وللمالِ والمَعالي !
فإنْ يَمُتْ بعدَ ذا فموتٌ يُصَانُ عنْ ذِلَّةِ المآلِ !

لَعَلَّ مَوْتَ السَّخيِّ فَقْراً غِنًى عن البُخْلِ والسُّؤَالِ !
وما فقيرٌ بلا آمتِثالٍ حَكى فقيراً على آمتِثالِ
وما كَريمٌ بما لديْهِ يُذالُ كالباخِلِ المُذالِ
فكلُّ برّ تراثُ مَجْدٍ وفَقْدُهُ غايةُ المُحالِ
اذا تذكّرْتَ نُبْلَ جُرْحٍ لفارِسِ الكَرِّ والنّزالِ
فرُبَّ فَقْرٍ حكاهُ نُبْلاً لمُحْسِنٍ باذِخِ الفِعالِ !

الأرغن

أبَ الكَمَنْجَةِ إيقاعاً وألْحانَا
شَجِيٌّ صَوْتِكَ بالآياتِ أشْجانَا
تَئِنُّ كالأسَدِ المجْرُوحِ مازَجَهُ
حُبٌّ ، فكانَ يُناجِي القَلْبَ غَصَّانَا
لولا سُمُوٌّ باحْساسٍ كأنَّ بهِ
إعجازَ (سِيسيليَا) يُوحِي لِدُنْيانَا[1]
فنحْسَبُ الكوْنَ « أُخْرَى » غيْرَهُ ونَرَى
رُؤْيَا (رَفَائيلَ) تصويراً وألحانَا
نُصْغِي اليكَ برُوحٍ كُلُّهُ شَغَفٌ
بِما تُلَقِّنُهُ وَعْظاً وإيمانَا
كأنَّما هُوَ تنزيلٌ يُوَزِّعُهُ
عَدْلُ الإلهِ على الوافينَ إحْسانَا !

---

(١) اشارة الى اسطورة القديسة (سيسيليا) التي ابتدعت الأرغن ملهمة وعزفت عليه فسمعها ملك وهبط قربها منصتاً حاسباً أنه في السماوات ! وقد صورها رفائيل وغيره من كبار المصورين .

نَلْتَفُّ حَوْلكَ فِي شِبْهِ السُّجُودِ كما
لم تَدْنُ للغَرْبِ هذِي الشَّمْسُ تحنانَا(١)
بلْ فيكَ رَحْمَةُ (هاتُورٍ) تؤيِّدُها
(سِمِيرميسُ) و(أفروديتُ) تَبْيانَا(٢)
فَيغْمُرُ الُحبُّ أَسْمَاعاً على صَمَمٍ
ويُرْجِعُ الُحبُّ أَكْواناً وأَزْمانَا !
كأَنَّ (ڤينُوسَ) لم تَخْتَرْ (كَبِيدَ)(٣) لها
ـ الاَّ اذا غِبْتَ ـ للعُشَّاق مِعْوانَا
جَمَعْتَ آمالَ أَرْباب تُرَدِّدُها
حُلْماً يُنَعِّمُ أَرْواحاً وأَبدانَا !
سِيَّانِ في أَلَمٍ قاسٍ وفي طَرَبٍ
شَنَفْتَ بالفَنِّ أَلْباباً وآذانَا
مَثَّلْتَ ما وَعَتْ الدُّنيا بأَجمعِها
مِنَ (الطَّبيعَةِ) أَنفاساً وأَلْوانَا !

---

(١) اشارة الى اسطورة استماع الشمس الى (بان) اله المراعي وافتتانها بعزفه حتى أنساها ذلك الغروب !

(٢) الهة الانوثة والشوق والرغبة عند المصريين والاشوريين والاغريق .

(٣) الهة الجمال عند الاغريق وابنها اله الحب .

تَدْوِي دَوِيًّا وتَبكي تارَةَ ، وكما
تَبْـكي تجُودُ بغالي الصفْوِ رَيَّانَا !
هــذِي الرَّخامةُ للألحانِ مُلْهِمَةٌ
أنَّا نُقدِّسُ رَحمانًا وَدَيَّانَا
وقد لَحَنَّا ـ وإنْ حَجَّبْتَ ـ آلهَةً
وقدْ جَعَلْنا خُشُوعَ النَّفْسِ قُرْبانَا
وعندَ سَمْعِكَ يبدو الحُسْنُ مُمْتثِلاً
والحُسْنُ مَنْ جَعَلَ الإِنْسَانَ إنْسانَا!
وبَعْدَ صَمْتِكِ نَدْري أنّنا بِغِنًى
مِمَّا وَهَبْتَ ومِمـا نِلْتَ سُلْطَانَا
وأنَّ عُمْراً لنـا أرْجَعْتَ جِدَّتَهُ
واللّحْنُ قدْ يخْلُقُ الانْسانَ أحْيانَا !
أعِدْ نَشيدَكَ ! لا تَسكُتْ وإنْ بقيَتْ
أصْداؤُها مِلْأَنا سِحْراً وأَوْزانَا !
لِئِنْ تَبَنَّيْتَ مَشْغُوفاً أَبرَّ فلنْ
تُصِيبَ الاّ فَتىً للشِّعْرِ فَنَّانَا !

أُلْجْتَلي مِنْكَ أَشْعاراً مُقَدَّسَةً
والواهبَ الحُسْنَ بالأَشْعارِ تيجَانا!
والعارفَ الكَوْنَ أُلحاناً مُنَوَّعَةً
حتى الأُلوهةُ لم تخذلْهُ عِرْفانَا!
أَعِدْ نَشيدَكَ! لا تَبْخَلْ فانَّ بهِ
رُوحاً مِنَ الحُبِّ بَعْدَ اللهِ أَحْيانَا!

الواعظ

يَتْلُو علينا فُنونَ الوَعْظِ مُدَّعياً
له الجَلالةَ مِنْ عِلْمٍ وتجْرِيبِ !
يَرَى الرِّجالَ جميعاً أدْعياءَ ، ولا
يَرَى ادِّعاءً له أوْلَى بتهْذِيبِ !
ويُنْكِرُ الفَضْلَ في حِقْدٍ وفي ضَغَنٍ
مُحَارِباً للمناجيدِ المَناجيبِ (١)
يَأْبَى انتِشاراً لِنُورٍ ، ثمَّ يُشْبِعُهُمْ
شَتْماً اذا هُمْ أبَوْا سُود الأكاذِيبِ !
ويَسْتَحِلُّ لهمْ دَفْناً لِيُظْهِرَهُ
تَرَدٍّ فَوْقَ تدميرٍ وتَخْرِيبِ !
جَمُّ التَّحايُلِ في لُؤْمٍ وفي سَفَهٍ
جَمُّ الصَّفاقةِ في خُبْثِ الأساليبِ
مُدَبِّراً خُطَطاً شَتَّى ليقتلهمْ
في الصَّمْتِ ، من بَعْدِ تذليلٍ وتَعذيبِ

---

(١) جمع منجاد (كعمود ومعاوين) ، وجمع منجاب : وهو والد النجباء .

فانْ أَبْى بَعْضُهُمْ ما بَثَّ مِنْ حَسَدٍ
وردَّ كيداً لهُ مِنْ شِيمةِ الذِّيبِ
أذاقَهمْ كلَّ أنواعِ السِّباب كما
رأى رجاحَتَهُمْ شَرَّ الأَلاعيبِ !
وعَدَّ جُرْماً لهم أنْ يهدِموا حِيَلاً
لهُ بحيلةِ ذِي لُبٍّ وتأْدِيبِ !
ورَاحَ يُعْلِنُهُمْ قَوْماً دجاجلةً
وفَخْرُه رَهْبَةُ الشُّبّان والشِّيبِ !
وما لهُ رَهْبةٌ الاَّ سَفاهتُه
وكم لِسانٍ سليطٍ جِدُّ مَرْهُوبُ !

لِمَ التَّعَجُّبُ منْ وَعْظٍ يُنَمِّقُهُ
لُؤْمٌ ونَحْنُ بعَصْرٍ الأعاجيبِ ؟!

الأحياء والأموات

هٰذِي (الطَّبيعةُ) في أطّرادِ صِفَاتِهَا
تَأْبَى الرُّجُوعَ لأَمْسِهَا وَمَوَاتِهَا
تَمْضِي مُسَدَّدَةَ الخُطَى لجديدِهَا
فَتُضيفُ آياتٍ الى آياتِهَا
تَسْعَى الى مُثُلِ الكمالِ مُجِدَّةً
وعلى السُّمُوِّ تُقِيمُ كلَّ حياتِهَا
أيجُوزُ بَعْدُ لكمْ جُمُودُ شعُورِكمْ
وكأنكم في الجُبْنِ مِنْ أمواتِهَا ؟!
هٰذِي (الطَّبيعةُ) في ابتِكارٍ دَائمٍ
للنَّفْعِ والتَّجْمِيلِ في خَطَواتِهَا
وَوُقُوفُكمْ سُخْرٌ بكلِّ فضيلةٍ
فيها ، وكلِّ جليلةٍ لِنِيَاتِهَا !
سُخْرٌ ، وأنتمْ مَرْجِعُ السُّخْرِ الذِي
يَرْتَدُّ بالمَوْفورِ مِنْ لَعَنَاتِهَا !

ثُوبوا الى رُشْدِ الحَيـــاةِ وكَفِّرُوا
عنْ إثمكمْ وعقُوقكمْ وأذَاتِهَا
لا تَنْهَرُوا الأَحْيـاءَ : مَنْ فُتِنُوا بها
وسَمَوْا ولَبُّوْا داعِياتِ هِبَاتِهَا
العاشقينَ جمـــالَها ، النَّاشِرِيـ
ـنَ جَلاَلَهـــا ، السَّاجدينَ لذاتِهَا
الـكاشفينَ لكمْ رُمُوزَ خُلُودِهَا
والمحسنينَ العَزْفَ مِنْ صَلَواتِهَا
والخَاطِفِينَ حُلِيَّهـا ، والعارضيـ
ـنَ بَهِيَّهَا مِنْ فاتِناتِ بَنَاتِهَا
والرَّائضينَ نُفُوسَكمْ مِنْ وَحْيِهِمْ
أوْ وَحْيِهَا دَوْماً على حَسَنَاتِهَا
والعارفينَ الجمَّ مِنْ أسْرَارِهَا
بتأمُّلِ النَّمَّامِ مِنْ نَظَرَاتِهَا
هُمْ سادَةُ (الفنِّ الجميلِ) مُنَوَّعاً
يُوحُونَ بالفَنِّ الهدَى لِبُنَاتِهَا

فاذا قَنِعتمْ بالجهالةِ والرَّدَى
في جَهلِكمْ ، والجَهْلُ خَصْمُ كُمَاتِهَا
واذا رضيتُمْ عيشةَ الأَعْمَى الذي
ظنَّ الكهوفَ الشُّمَّ من أبياتِهَا
فَدَعُوا الحياةَ لمنَ يُقَدِّسُ وَحيَهَا
لا يَستَهِينُ بتُرْبِهَا وَنَباتِهَا
ويَرَى (الطَّبيعةَ) أُمَّهُ ، وَرجاءَهُ
كرجائِها ، وصِفاتِهِ كصِفَاتِهَا !

، كن عالماً كبيراً ، وكن فيلسوفاً جليلا ، واحفظ علمك وفلسفتك في صدرك ، ولا تبرزهما لغيرك بكلامك ، تكن كالقدر وقد طهي به الغذاء ولكنه ظل مقفلا محكم الأقفال لاتصل اليه الايدي ، فهو لايغذي النفوس ، .

داود بركات

أيتها الدسيسة

مترجمة عن الانجليزية للشاعر العالمي وليم شكسبير

(١) — الترجمة

هل تخجلين من الظُّهُورِ ـ بطَلْعَةٍ
في طيِّها خَطَرٌ ـ خِلالَ ظَلامِ
بَيْنَا الشُّرُورُ تكونُ جِدَّ طَليقَةٍ ؟
وإذَنْ فأيْنَ اذا بَحَثْتِ نَهارَا
تجِدينَ كَهْفاً في ظلامٍ كافِلٍ
لِيُخَبِّئَ المَرْهُوبَ مِنْ مَرْآكِ ؟!

●▭●

لا تَطْلُبِيهِ يا (دَسيسةُ) واُحْجُبي
مَرْآكِ في البَسَماتِ والإِيناسِ
إذْ لوْ مَرَرْتِ بصُورَةٍ مَطْبوعةٍ
وأصيلةٍ لكِ ما اُستطَعْتِ حِجَابَا

حتى ولا (إربُوسُ)[1] يَبْلُغُ غُنيةً
مِنْ ظُلْمَةٍ ليقيكِ مِنْ عِرْفانِ !

(٢) — الأصل

O Conspiracy,

Sham'st thou to show thy dangerous brow by night,
When evils are most free ? O, then, by day
Where wilt thou find a cavern dark enough
To mask thy monstrous visage! Seek none Conspirary;
Hide it in smiles and affability :
For if thou path, thy native semblance on,
Not Erebus itself were dim enough
To hide thee from prevention.

(١) اربوس : هو (في تعبير الاساطير) الممر الذي تسلكه الارواح الشريرة في طريقها الى جهنم ، فهو مظلم بالدخان الكثيف .

يوم بيروت

بعث بها الشاعر في منتصف فبراير سنة ١٩٢٧ م تحية للعلامة الاستاذ جبر ضومط في بويله الخسيني بحفلة الجامعة الاميركية في بيروت ، وقد اجلت الحفلة الى العام التالي بسبب اعتلال صحة الاستاذ ، اطال الله بقاءه .

ساءَلْتُ عنكَ العارِفيكَ مِرارَا الحافِظينَ لمجدِكَ الإِكْبارَا
كلٌّ يُحَدِّثُ ـ لا حديثَ قرينِهِ ـ
سِيَراً تُبجِّلُها العقُولُ مَنَارَا
وكذاكَ يَخْتَلفُ الرُّواةُ وانْ هُمُو
عرفوا صِفاتِ الفضلِ فِيكَ شِعارَا
كالنَّجْمِ يَرْصُدُهُ الذينَ تَوَدَّدُوا
لهُدَاهُ وآفْتتنوا بهِ أنوارَا !
ويبلِّغونَ بدائِعاً لا تنتهي
شَتَّى يُصيخُ لها الأَنامُ حَيَارَى !
بُورِكتَ في هذِي المواهبِ كلِّها
عُمراً يَزيدُ على الدَّوامِ فخارَا
وأنا الصَّغيرُ فهلْ تَهِشُّ لطاقةٍ ضَمَّنْتُها الأزهارَ والاشعارَا ؟

وجَمعتُها لجميـلِ (عيدِكِ) نفحةً
مِنْ رَوْض (مصر) ، فأشرَقَتْ تَذْكارَا
حسبي خُلوصُ طَويّي (١) ومحبّتي
للنّابغينَ العاملينَ كِبارَا
الرّافعينَ بجُهْدِهِمْ أوطانَهُمْ والباذِلينَ كبَذْلِكَ الأعْمارَا !

أهلاً بعيدٍ تَنْعُمُ (الفُصْحَى) بهِ
يستأهلُ الأَضْواءَ والأَقمـارَا !
ويُعيدُ أمثِلةَ الجلالِ سَنيّةً المبصرينَ فيُسْعِدُ الأَبْصارَا
ويَقُصُّ محْسُوداً (خواطِرَ) عالِمٍ
جَلَّتْ عن النسيانِ لا تتوارَى
شاقتْ (بفلسَفةِ البلاغةِ) مثلَما
شاقتْ باعجازِ البَيانِ نهارَا
وزَهَتْ بأمثلةِ التّدَفُّقِ عذْبةً كمياهِ (لُبْنانٍ) رَوَيْنَ غِزارَا
ويُعطرُ الخُلُقُ الزّكيُّ (حِسانَها)
فيزيدُنا حُبّاً لهنّ مُثارَا

(١) صفاء طويتي .

نَبْعٌ منَ الأَدَبِ الصَّمِيمِ مُرَنَّقٌ (١)

كم أَمتعَ الأَلبابَ والأَفكارَا

يَقِقٌ (٢) مِنَ الكافورِ ضمَّخَ شَهْدَهُ

وأساغَهُ للمُهتدينَ عُقَارَا (٣)

وكأنما (للأَرْزِ) (٤) في مكنونِهِ

سِرٌّ يزيحُ عن العُقُولِ ستارَا

ويهزّ أفهامَ الذينَ تَغافلوا ويُشعُّ اعجازاً لمنْ يتمارَى

صَفْوٌ يَمُرُّ مُسَلْسَلاً ومؤهَّلاً

بالشَّاكرينَ الشَّاربينَ مِرارَا !

قدْ نمَّ مِنْ حُلْوِ المَذاقِ وطبْعِهِ

عنْ طَبْعِ مَنْ تَخِذُوا الجِنانَ دِيارَا !

كم فاضَ مِنْ عَلَمٍ أَشَمَّ، وانمـــا

أخفى التَّواضُعُ عَقْلَهُ الجبَّارَا !

---

(١) مرنق : مصفى .

(٢) اشارة الى زهر الكافور الابيض العطر .

(٣) ضمخ : اشبع طيباً ، والعقار : الخمر .

(٤) ارز لبنان الشهير .

كم مِنْ « جداول » في الصَّحائفِ زانَها
أدَبًا ، وكمْ أحْيَا بها « أنهارَا »!
عَلَمٌ رَضِيُّ الخُلْقِ يَستَذْري بما
يكسُو النفوسَ المُنْجِبَاتِ وَقارَا
يتضاءَلُ الصِّيتُ الجنيبُ وينقضي
بينا الأَصيلُ مُخلَّدٌ ما أنهارَا
كم مِنْ شهيرٍ قبلهُ خذلَ الوَرى
بتقلُّبٍ واستكبرَ استِكْبارَا
عبثوا بأحلامِ الأنامِ فبدَّدُوا
ثِقَةَ الأنامِ وأصبحُوا أغرارَا
وهو العظيمُ بعِلمِهِ وبطبعِهِ ما زالَ يُنكرُ برَّهُ إنكارَا
ويَعُدُّ أكرَمَ ما أفادَ ضريبةً للعلمِ يَدْفعُ قِسْطها مُخْتارَا
ويعافُ ألقابَ الامارَةِ والعُلَى
شَرَفاً ، ويصحَبُ للنُّبُوغِ خِيارَا
هُمْ جَمْعُ أسفارٍ لدَيهِ [1] ونُخْبَةٌ
في الطَّالبينَ تُقدِّسُ الأَسفارَا

---

(١) اشارة الى مؤلفات المحتفل به .

ساروا على وَحْيٍ تَوهَّجَ مثلمـا
قادَ (المسيحُ) رجالَهُ الأخيارَا !

يا (جَبْرُ ضُومَطُ) مِنْ حياتِكَ فِتْيَةٌ
داموا تلاميذَ الحِجى الأبرارَا

أطلعْتَهم في كلّ وادٍ فرقداً[1] ونشَرْتَهم نَشْرَ الضياءِ كِثارَا
يا بالغَ السبعينَ دُونَ فتوّةٍ كالشمْسِ تأتلِقُ القرونَ أُوارَا
في نِصفِ قَرْنٍ لم تدَعْ لمؤمّلٍ أملاً يخيبُ ولم تُطِقْ إيثارَا
يا خادِمَ اللُّغةِ الشَّريفةِ صادِقاً صَوَّرْتُ جُهْدَكَ عالماً سيّارَا
ستعيشُ أجيالٌ تبجلَ نورَه شَغَفاً ولا تنسى له استمرارَا

لكَ في الصَّحافةِ والمَعاهدِ عُصبةٌ
مِنْ تابعيكَ عزيمةً وغِيارَا[2]

نشتارُ من إحسانِهمْ مَعْسُولَ مَا لَقَّنْتَهُ فنُعزِّزُ المُشْتَارَا
والعِلمُ ليْسَ لهُ حدُودُ ممالِكٍ لا يَرْتجي داراً ولا دَيَّارَا[3]
كالدِّينِ حُرْمَتُهُ، ولكنْ حَظُّهُ أغْنَى وأوفرُ نِعْمةً ويَسارَا

---

(١) الفرقد اصلا النجم القطبي الذي يهتدى به . والاوار : الحرارة .
(٢) الغيار : الغيرة والحمية . والايثار :عكس المساواة .
(٣) الديار : صاحب الدير او ساكنه .

خَضعتْ لهُ الاممُ الكبارُ، وسوَّدت[1]

أُمَمٌ بهِ كانتْ تُعَدُّ صِغارَا

لا اللَّونُ أوْ خُلْفُ العقيدَةِ هَمَّهُ

كلاَّ ، ولا أنْ يَرْقُبَ الأَذكارَا !

لٰكنَّهُ أملُ البريَّةِ كلِّهـا

جعـلَ الإِخاءَ شَريعَةً وذِمَارَا

فاذا العليمُ الى العليمِ مُقَرَّبٌ

ويرَى المقيمُ به المُغرَّبَ جارَا

فاهنأْ بآلافِ القلُوبِ وَفِيَّـةً

وافتْ نداكَ المستفيضَ بِدارَا !

(بيروتُ) تِيهي بالذينَ تسابقوا

للعيدِ واُعتنقوا هَواكِ جِهارَا

أكرمتِ (جامِعةً) حَبَتْكِ[2] فخارَها

ومُنِحْتِ منها الفضلَ والأَقْدَارَا

---

(١) سودت : جعلت سيدة .

(٢) حبتك : اعطتك .

واليومَ مِدْرَهُها الأديبُ تَخُصُّهُ (١)
بثنائها فأستنهضي الأَطيارَا !
وسَلِي (الطَّبيعةَ) أنْ ترتّل شعرَها
طرَباً وتُلهمَ بُلبلاً وهزَارَا
الفيلسوفُ أبو البيان حقُوقُهُ يومَ الوفاءِ نُعزُّها تَكْرارَا
زُفّي أريجَكِ يا جِنانُ ورنّحي أهلَ البيانِ وأنْعِشِي الأَوتارَا
لولا فُرُوضٌ غالباتٌ قُوِّتي
ومُنى الفؤادِ هنا لَطِرْتُ وطارَا !

(١) المدره : السيد المتكلم .

مملكة ابليس

أوْ جَوْلَةُ يومٍ

قصيدة فلسفية من الشعر المرسل

جلستُ ألْعنُ (إبليساً) وما اُقترفتْ يَدَاهُ مِن خلْقِ دُنْيا للاساءَاتِ

في مجلِسٍ ذي غطاريفٍ لهمْ سِيَرٌ محمودَةَ الذّكرِ مِنْ بِرٍّ ومنْ أدَبِ
وكُلُّهمْ سَبَّحُوا باللهِ واَلتمسُوا معونةَ اللهِ للإصلاحِ في الناسِ
فجاءَني واحِدٌ منهمْ وساءَلني بخفْتِ صَوْتٍ له : « هل أنتَ تعرفني ؟ »

فقُلْتُ : « طَبْعاً ! وما معنى السؤَالِ ؟ ألا ترى برأْسِيَ عَقْلاً أو هَوَى خِلٍّ ؟ ! »

فقالَ : « أخطأْتَ ! إنّي مَنْ طَعَنْتَ بهِ ! » فقلتُ : « مَنْ ذاكَ ؟! »
مَبهُوتاً على خَجَلِ !

فقال : « إنّيَ (ابليسٌ) ! ... » فقلتُ : « كَفَى ! ياصاحِ هذا مزاحٌ ليسَ يُرْضيني ! »

فقال : « ثِقْ ياصديقي ! هذِه سِمَتي ! » ... فلاحتْ النارُ في عَيْنَيْهِ تُرْهِبُني !

فقال : « لا تخْشَ بأساً وارْتقبْ ! فأنا آتٍ الى بيتِكَ المعمورِ أُرْشِدُكَ ! » ....

فَزادَ ذلِكَ رَوْعي ثمَّ حيَّرني حتى مَضيْتُ الى بيتي كمجنونِ !

قضَيْتُ لَيْلي بلا نَوْمٍ وفي هَلَعٍ ، كأنمـا أنا عندَ الجنِّ مأسُورُ
وبينما أنا أرْنو ـ غيْرَ منتبهٍ ـ الى الجدارِ وذِهني رَهْنُ أوْهامِ
ألْفَيْتُ طيفاً مِن الشبّاكِ يرمقُني ومِلْءُ لَحْظَيْهِ نيرانٌ وفي فمِهِ !
فكِدْتُ أصْعَقُ مِنْ ذُعْري فطمْأنني ببسْمةٍ مِنْهُ زادَتْ رَهبتي هَلَعا !!!
لُكِنَّه أشْعلَ المِصْباحَ منْ فمِهِ وجاءَ مُقترِباً مني فحيَّرني !
إذْ لم يكنْ غيْرَ خِلّي في الصَّباحِ وقد أتى كوَعْدٍ لَهُ في حيلةِ الجِنِّ
فقُلتُ والخوْفُ يُفْنيني ويَبْعثُني : « ياصاحبي كِدْتَ تُفنيني من الهَلَعِ ! »
فقال : « دَعْ عنْكَ هذا الخوْفَ ! سوف ترَى مِنِّي صداقةَ معوانٍ بلا شكٍّ

وسَوْفَ تُدْرِكُ أنّي سيّدٌ مَلَكٌ ، وليسَ في الكَوْنِ غيْري مَنْ يُسيِّرُهُ أنا (الغرائزُ) والدُّنيا بأجْمَعِها لي مثلُ مملكةٍ هامَتْ بقُرْبانِ

وبينما أنا شيطانٌ أنا مَلَكٌ ، وللأنام الذي يرضونَ مِنْ حظّي وكلُّ فَرْدٍ به بَعْضِي ، وإنْ خُبِّئْتَ مَشْبُوبُ رُوحي التي تهْوَى الملذّاتِ ولنْ أفارقَ دُنياكم وإنْ غَنِيَتْ الأمّ متى يغتدي الانسانُ رَحْمانَا (١) !

فلا تَلُمْني ولا تلعنْ مُحاوَلتي أنْ أجعلَ النَّاسَ بعد الشَّرِّ أخيارَا
أسُوقُهُمْ لمجالِ الشَّرِّ مُمْتَحِناً حتى أُخلّصَ منهمْ مَنْ سَمَا خُلُقَا
فيرتقي الأصلحُ السّامي بفطْرَتِهِ بعدَ انتخابٍ وبَعْدَ الفَحْصِ مِنْ حِيَلي !
فلا تلُمْني إذنْ وانظُرْ تجدْ حِيَلي عَوْنَ (الأُلوهةِ) أوخيْراً من الشَّرِّ (٢) !

وكلها عِبَرٌ تَهْدِي البصيرَ ، فكُنْ ذاكَ البصيرَ وراقبْ كُلَّ أعمالي:
لا تُهْملْ النَّاسَ وافحصْهُمْ بلا كَلَلٍ تجدْ دُروساً وآيات من العِبَرِ
وتَلْقَني بينهُمْ دَوْماً بحيث اذا نَظَرْتَ أبصَرْتَ لَمْعَ النَّارِ في بَصَري !

---

(١) رحماناً : الهاً .

(٢) اي خيراً مشتقا من الشر .

فهذِهِ شارَتي ... فاستوضِحهَا أبداً اذا أردْتَ بياناً عنْ مجاهدتي !
وثِقْ بنفْعي وإخلاصي تَعِشْ مَلِكاً فوقَ الاساءةِ، سَبَّاقَ (السُّبَرْمَانِ) !
ولا تُجازِفْ بلعني ناسياً صِلَتي ، وأنت بَعْضي ككلُّ الناسِ
ياصاح !
أنا المُطَهِّرُ بالنّيرانِ ما جَمَعَتْ دُنيا كَوُرِنْ نفُوسٍ كلُّها ضَرَرُ !
وليْسَ يَبْقَى سوى الاصلاحِ مضطلعاً بعبءِ نهضتكمْ (للطلب الأَسْمَى) ! »

فشاقني رأيُهُ العالي ، وصافحني مُعاهِداً عَهْدَ إخلاصٍ وإحسانِ ،
وهزَّني .... فاذا بِنْتي تُداعبني عندَ الصباحِ لإيقاظي من النَّوْمِ !!
فقلتُ : « ما هذِهِ الأَحلامُ تُرْعِبُني حيناً وتضحكُ مني باسمِ
فلسفةٍ ؟ ! »

لكنْ رأيتُ ـ وكُلِّي دَهْشَةٌ وَجِلاً ـ مِصْبَاحَ زيتٍ مُضاءً قرْبَ نافذتي !
وما عرفتُ له مِنْ قَبْلُ منزلةً عندِي بغرفةِ نَوْمي طُولَ أعوامي ! ...

لم أمْضِ يومي هنيءَ البالِ بلْ أخَذَتْ هواجسُ الحُلْمِ طُولَ اليَوْمِ

تُشقيني !

فلم أجدْ لي مَفراً مِنْ هواجسهِ الاَّ بمجلسِ أُنْسٍ بين أصحابي : بمنزلٍ فيهِ كلُّ الطَّيباتِ ، وقد أطَلَّ[1] يَرْقُبُ مَوْجَ البَحْرِ فتَّانَا والعُودُ يُرْسِلُ أنغاماً مجدِّدَةً نشاطَنا ونَشاطَ المَوْجِ مِنْ طَرَبِ ! ومَرَّتْ الخَمْرُ في الأَكوابِ راقِصَةً بَناتُها كَحَبَابٍ نافثٍ سِحْرَا ! وربَّةُ البيْتِ تُغْوينا بنظرَتِها ، ولم تكنْ غيرَ فتَّانٍ من الأدبِ وصاحبُ البيتِ يُغرينا برِقَّتِهِ حتى قَضيْنا على خَمْرٍ بها ضَحَّى ! خَمْرٌ ولَهْوٌ وظَرْفٌ رائعٌ وهَوًى ومَنْظَرٌ بهجٌ حيثُهُ أنغامُ !

حتى انتشيْنا بلا سُكْرٍ فحرَّكَنا هذا الصَّفاءُ الى التفكيرِ في (الفنِّ) !

فقال أكثرُنا خُبْثاً وأعرفُنا بالنَّاسِ والفَنِّ والدُّنيا ولذَّتِها :

« ما رأيكم ياعبادَ اللهِ في رجُلٍ يَرَى من (الفنِّ) ما عدُّوهُ شهوتَنا ؟ ! »

وحيثُ كُنَّا رجالاً كلّنا ومَضَتْ مِنْ قَبْلُ ربَّةُ هذا البيْتِ مُعْتَزَلَهْ فما خشينا رَقيباً ، لا ولاسبَباً يدعو الى حَذَرٍ في الرَّأيِ والبَحْثِ ، فقلتُ : « ياصاحبي ! (الفنُّ) غايتُهُ أنْ يُظْهِرَ الحُسْنَ أنَّى كانَ محتجِباً ،

---

(١) اي المنزل •

وأيْنَ حَلَّ ،فلا عيبٌ عليكَ اذا رأيتَ شهوةَ دُنيانَا حَوتْ حُسْنَا.
لُكنْ تُعابُ اذا لم تَدْرِ حكمَتَها وما تبيَّنتَ قَصْدَ الُحسْنِ في الدُّنْيَا
وإنْ تناسَيْتَ أنَّا صائرُونَ الى عَهْدٍ بهِ (شهوةُ) الانسانِ خادِمُهُ
فليسَ خادمَها الاَّ لتخدمَه ، فانْ تَعلَّتْ فقدْ أضْحَى لها عَبْدَا ،
وصارَ حينئذٍ يُؤْذِي طَبيعتَه ، وقَدْ هَوَى بينا الأَحْجَى تساميه
فليْسَ في كلّ هذا ذَرَّةٌ مَنَحَتْ (للفنِّ) معنَى عظيماً يُكْرِمُ
(الفَنَّا) ! »

فقال : « أخطأْتَ ! إنّي شاعرٌ ولَهُ حَقُّ التمتُّعِ بالدُّنيا وما فيها
و (الشَّهْوَةُ) الكَوْنُ لا شيءٌ يُعادِلُها ، الاَّ اذا نحْنُ بعدْنَا
الصِّدْقَ بالوَهْمِ !

(الفَنُّ) عِندي خُمورٌ مِلْؤُها شَغَفٌ مثلي بحُسْانةِ مَعْبُودَةِ الفِتَنِ
وكلُّ غانيةٍ لا شيءَ يُشْغِلُها الا الهَوَى ولذيذُ الوَصْلِ والقُبَلِ
حُبِّي لها مُتْعَةٌ هيْهاتَ يَشْمَلُها وَصْفٌ ويحْلو التَّغالي في تذوُّقِها !
وقد أُخالِفُ كلَّ النَّاسِ في سُبُلي ، فذاكَ فنّي وكم طابَ الشّذُوذُ بهِ !
وانّي عبقريُّ الطَّبْعِ شيمتُهُ مستهتراً قَطْفُ أزهارٍ فأزهارِ !
هذا هوَ (الفَنُّ) عندِي فاتّخِذْهُ هُدًى إنْ شِئْتَ أنْ تغتدي في
الَحظِّ محسودَا !! » ...

فأمَّنَ الجَمْعُ تأميناً ... ! فأدهشَني هذا الغُلوُّ بتقديسٍ لشهْوتهمْ !
وقلتُ في النفْسِ : ما عُقْبَى دعاوَتِهمْ في النَّاسِ ، بل أيُّ معْنًى ذاكَ (للفنِّ) ؟
أليسَ هذا سقُوطاً للنُّفوسِ كما يتلوهُ حَتْماً ضياعُ النُّبْلِ والشَّرَفِ ؟
وكيْفَ يُحْسَبُ هذا (للجمالِ) هُدًى ؟ وكيف يُحْسَبُ لَوْناً مِنْ حُلَى (الفنِّ ؟ !)
وبينما أنا في صَمْتٍ وفي شُغُلٍ من التأمُّلِ في عُبَّادِ شهوتهمْ ،
دَنَا الىَّ وحيَّاني برقّتِهِ هذا الصَّديقُ كأَنْ قد خافَ إيلامي ...
وقال : « علَّكَ لم تحملْ مناقشتي على الخُصُومَةِ فالغاياتُ واحِدةٌ
ولو تأمَّلْتَ ألفيتَ الذي اختلفتْ طِباعُنا فيهِ نَوْعاً مِنْ مجانسةٍ
فسوْفَ يستخلِصُ الأَقوى وسوفَ ترى أنَّ (السُّرمانَ) ينمو مِنْ تجاريبي ؟
ألستَ تعرفُني ؟! » .... ثم انتبهتُ فما وَجدْتُ الاَّ لهيباً مِلْءَ عينيْهْ !! ....

هرَبْتُ مِنْ مجلسي هـذا وخِفْتُ ـ اذا رجعتُ للبيْتِ فَوْراً ـ عَوْدَ أحلامي !

فَقُلْتُ لا بدَّ من جُهْدٍ ومِنْ سَهَرٍ حتى أحسَّ باعياءٍ يُخَدِّرُني !
فَسِرْتُ سَيْراً طَويلا دُونَ ما غَرَضٍ ، ودُون عِلْمٍ بما حَوْلي
وقُدَّامي ! ...
كأنّني نائِمٌ بالسِّحْرِ تدفعُهُ للسيْرِ في نَوْمِهِ غاياتُ شيطانِ !
فلسْتُ أَلْوِي على شيءٍ ، ولا أُنتبهتْ عيناي لِلَّهْوِ والأنوارِ
في طُرُقي ....
حتى أتيتُ الى بابٍ به اجتمعتْ عصابةٌ في صياحٍ ردَّ لي حِسّي!
وكدتُ أفزعُ من تصويتهمْ فلهمْ جَنْبَ الشَّحيحِ نَبيبُ التَّيْسِ
غلاّبا [1] !!

كانوا ثمانية صاحوا ببائسةٍ قد لطَّخَتْ رأسَهَا بالوحْلِ ضارعةً !
وحَوْلها جَمْعُ أطفالٍ لها صرخوا مِنْ هَوْلِ موقفهمْ أوخوفَ والدِهمْ
بباب (حانة كَسْتي) حيثُ قد ذهبتْ نُقودُ والِدِهمْ في
صُحْبَةِ السُّوءِ :
وحيثُ زَوْجَةُ (كَسْتي) أوْ خليلتُهُ صارَتْ رفيقةَ هذا الجاهلِ اللاهي !
وهذهِ أمُّهمْ في الجوعِ نادِبةٌ ، وهم كذلكَ في جُوعٍ وفي هَلَعِ
مَضَتْ عليهمْ شُهورٌ في تعاستهمْ ، وما رأَوْا مرَّةً وَجْهاً لوالِدِهمْ !

---

(١) الشحيح : صوت البغل ، والنيب : صوت التيس .

فأحضَرَتْهمْ اليهِ بعــد ما يئستْ منهُ ، وبَعْدَ مَذاقِ البُؤْسِ ألوانَا . . .

فثارَ فَوْراً عليها مِثْلَ منتقمٍ منها ، كأنْ قدأتتْ ما شَذَّ منْ عارِ!
وما ارْتَضَى صَحْبُهُ الاَّ اساءَتَها بشَتْمها و بتسفيهٍ وإصْغارِ !
والنَّاسُ تضحكُ منها دُونَ ذِي شَمَمٍ يردُّ عنها الأَذَى منْ كَيْدِ أوباشِ....
لُكنْ تبَيَّنْتُ مِنْ صَيْحَاتها خَجِلاً ما نالها كجزاءِ البرِّ بالزَّوْجِ
فقلتُ : « أخطأْتَ ياهذا ! » فجاوبنى بصفعةٍ و بنار مِلْءَ عينيْهِ !
وقالَ : « هذِي كتذْ كارٍ لتعرفَني ! » . . . وهزَّني صَحْبُهُ هزّاً
وما خجلُوا ! ! . . .

فَسِرْتُ في حَيْرَةٍ كُبْرَى وفي لَهَفٍ ، كأَنّي عائشٌ بينَ المجانينِ !
ورُحْتُ ألعَنُ يَوْمي ، بل وما ذهبتْ اليهِ نفسي منَ الإِحْسانِ للنَّاسِ !

وسِرْتُ سَيْراً حثيثاً شِبْهَ مضطربٍ كأنما كانَ شَيْطانٌ يُطاردُني !
فأوْقَفَتْنِيَ أنغامٌ حَنَنْتُ لها مِنْ مرقصٍ بهجٍ قد رَفَّ بالانْسِ
فقلتُ : هذا مَلاذِي بعدما شقيتْ نَفْسي بيومي من الآلامِ والفَشَلِ .

وقد نَعِمْتُ بما شاهدتُ مِنْ مَرَحٍ ومِنْ جَمالٍ ومِنْ لُطْفٍ ومِنْ طَرَبِ :

فهذِهِ سُوَرُ الأَنْغامِ مُنْزَلَةٌ للنَّاسِ مِنْ ملكُوتِ اللهِ طاهرةَ !

في كُلِّ لَحْنٍ مَعَانٍ للحياةِ كما في كلِّ لَحْنٍ شُعُورٌ بالملذّاتِ !

وهذِهِ خِفَّةُ الأَقدامِ حاكيةٌ نفُوسَ ربّاتِها في خِفَّةِ الرُّوحِ !

منْ كُلِ غانيةٍ قدجَسَّمَتْ فِتَناً للنُّورِ في جِسْمِها الشَّفَّافِ إبْداعَا !

لم أدْرِ هلْ خُلِقَتْ كيْما نقدِّسَها أوْ كيْ نذُوقَ بها الجَنّاتِ إمتاعَا ؟ !

قد أتقن (الفنَّ) للتخليدِ صانِعُها كأَنما مثّلَتْه حين نعبدُهَا !

فما بها حاجةٌ للماسِ بلْ سطعتْ للماسِ رَوْعَةُ نُورٍ مِنْ بشاشَتِهَا !

وزَيَّنَتْ كلَّ ملبُوسٍ كما نفحتْ كلَّ الجَوارحِ بالإِمتاعِ ألوانَا !

فكنْتُ في ساعَةٍ قضَيْتُها طَرِباً بجنّةِ (الفَنّ) هذا شبهَ مَسْحُورٍ !

رأيتُ فيها « التَّسامي » (بالفُنونِ) قضى على سُقوطٍ لشهْواتٍ وتَضليلِ ،

فُطِبْتُ نَفْساً ، وقد أُنْسيتُ ما لَقِيَتْ في اليوْمِ مِنْ عَنَتٍ لاحَظ أرْهقني !

وقُمْتُ والفَجْرُ قدْ أوْفى لِيُعْلِنَنا بالانْصِرافِ ، وما كُنّا على سأمِ

وعند ذلك آذى مِسْمَعِي طَلَقٌ من جانبٍ حجبوهُ عنْ نَواظِرِنا فاخْرِسَ النّاسُ ! ... هذا صوْتُ ناطِقةٍ مِنَ الرّصاص ! فيا لَلْهوْلِ ! مَنْ هذا ؟ !

وتابعتْها رَصاصاتٌ ، وصاحَبَها صَيْحَاتُ جازعةٍ تستنجدُ الناسَا فما توانَوْا ووافوها فما وجدوا الاّ مزيجَ دِماءِ الرُّوحِ والشَّرَفِ ! ثلاثةٌ ضُرِّجوا مَوْتاً وكلهمْ في ريقٍ من شبابٍ وافرِ الأَمل :

هذا أخٌ ماتزالُ النّارُ مُشْعَلَةً في ناظِرَيْهِ يُلاقي المَوْتَ مسْرُورَا !

وهٰذِهِ أُخْتُهُ في حِضْنِ عاشقها ، وقد تردَّتْ بعارٍ قَبْلَ ضرْبتِهِ ! وذلكَ العاشِقُ المغرُورُ في هَلَعٍ قد ماتَ موتيْنِ مقتولاً بشهوَتِهِ ! ....

فلم اُطِقْ ذلكَ المرْأى ، فقدْ جُمِعَتْ فيهِ المصائبُ والاتراحُ أشكالاَ !

ورُحْتُ عدْواً الى البَوّابِ أسألُهُ عنْ مِعْطَفي وبودِّي الجَرْيُ للمنْتِ !

لكنْ تملّكَ نَفْسي وَقتَها طَرَبٌ ما كانَ عهدِي بهِ في النَّفْسِ مِنْ قبْلُ ! ...

وقلتُ : فَلْيُمْحَقْ (الانسانُ) إنْ حقُرَتْ همومُهُ ، ولْيَسُدْ إنْ

كانَ مِقْدَاماَ !

لا خَيْرَ (للأَرضِ) في النَّسْلِ الضَّعيفِ بها ، فليذهبْ النَّسْلُ
إنْ لم يعبأْ النَّاسُ !

●●●

ولاَحَ وَجْهي بمرْآةٍ فأذْهلني ما لاحَ مِنْ شَرَرٍ زاهٍ بعينيَّ !
ثمَّ التفتُّ الى خَلْفي ، فأدْهشني أنّي أرى « صاحبي »[1] بالأَمس
يَبْسِمُ لي ... !!

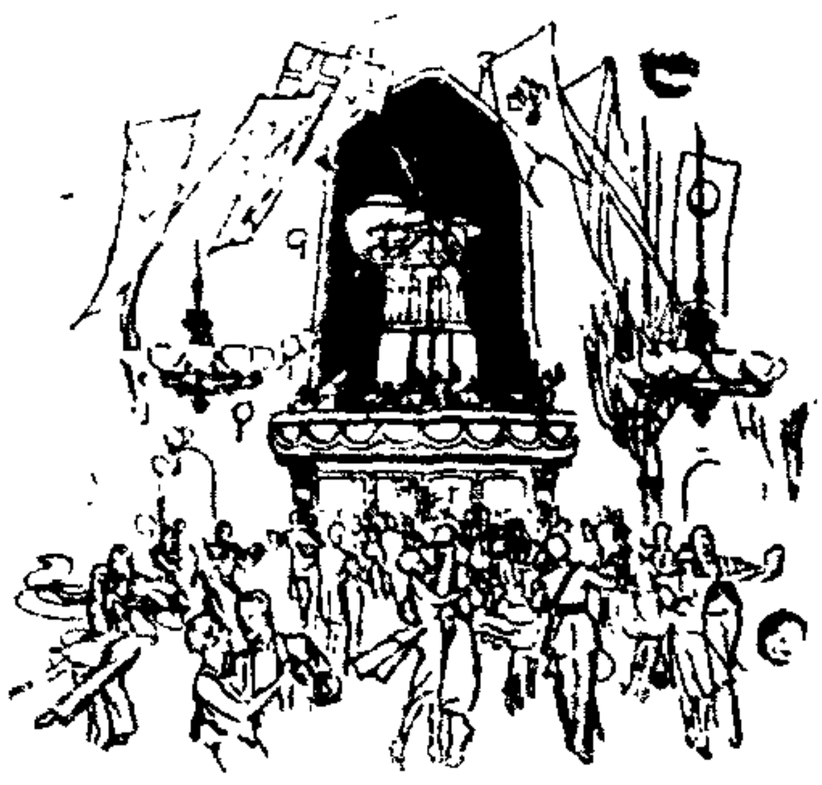

(١) ابليس المتنكر المتمثل في الغرائز الجامحة التى لا « تسامى »

ذنبٌ وعقاب

عانَيْتُ مِنْ غَدْرِ الأَنَامِ ولُؤْمِهِمْ
ما لا يزالُ مُحَيِّري ومؤرِّقي
وأظلُّ رغمَ تَشَاؤُمي مُتفائلاً متنزِّهاً عن كَيْدِ غَيْظِ المحْنَقِ
فكأنّني خاصَمْتُ دُنيا آثَرَتْ
خُسْري ، ولكنْ لي خِصامُ المُشْفِقِ
وكأنّني آثرتُ دُنْيَا بَعْدَها ووهبتُها حُبِّي ولمَّا تُخْلَقِ !
فأنا الغريبُ ببيئتي ، وأنا الذي
بمحبّتي الانسانَ غيرُ مُفرَّقِ !
وأنا الأسيرُ لجهلِ مَنْ قد حَفَّني
وبخيْرِ حُلْمي كالأميرِ المُطْلَقِ !
ما أعظمَ الدُّنيا لمنْ هوَ عبدُها
وأقلَّها جُرْماً لذهنِ مُحَلِّقِ !

الصنم

يرَى له عِصْمَةً في الرَّأْي بالِغَةً
وكُلُّ عِصْمَتِهِ تَضْليلُ مَنْ وَهَمُوا !
ويَحْسَبُ المَجْدَ دَعْوَى لا حُدُودَ لها
والمرءُ إنْ لَجَّ في دَعْواهُ يُتَّهَمُ
يُزْهَى بمَظْهَرِ مُعْتَدٍّ ، ومَظْهَرُهُ
كالصَّخْرِ ، لكنَّ حيَّ الصَّخْرِ لا يَجِمُ !
إني لأَعجَزُ عن وَصْفٍ يُكَيِّفُهُ
وقدْ تبَرَّأَ مِنْ أوصافِهِ الصَّنَمُ !
هذا الجُمودُ عجيبٌ ، ثمَّ أعْجَبُهُ
حَلْقٌ لصاحِبِهِ السَّامي الذُّرَى وفَمُ !
كلاهما نَزَّها عن لفظةٍ كَرُمَتْ
كأنَّ صَمْتَهُما في طُولِهِ كَرَمُ !
وبعد هـذا نلاقِي المَنَّ في سَفَهٍ !
والمَنُّ مِنْ مُفْسِدٍ يُذْكِي بهِ الأَلَمَ

مَنْ عاشَ عِيشَةَ مَفْتُونٍ بقوَّتِهِ
يَنْبَثُّ مِنْ عَصْفِ أحقادٍ له ضَرَمُ
سِيّانِ والقائِدُ الخَدَّاعُ أُمَّتَهُ
كِلاهُمَا عابثاً أَوْلَىٰ بِهِ العَدَمُ !

الشهرة

كَمْ كُنْتُ أحسَبُ عُقْبَىٰ شُهْرَتِي أَمَلاً
للحَقِّ لكنْ غَدَوْتُ اليومَ أَسأَمُهَا !
ظَنَنْتُهَا مِنبراً يَعْلُو النِّداءُ بِهِ
مُبَلِّغاً دَعْوَتِي مَنْ لَيْسَ يَعْلَمُهَا
وما حَفَلْتُ بها يوماً كأُبْهَةٍ
بلْ كُنْتُ أُدْرِكُ مَبْنَاهَا وأَفْهَمُهَا

ولا سَخَطْتُ على مَنْ ضيَّقوا سُبُلي
الاَّ ونفسي تُفَدِّي مَنْ يُهَدِّمُهَا !
وكلُّ بُغْيَتِها مِنْ شُهْرَةٍ سَبَبٌ
لخدْمةِ النَّاس، لاما كانَ يَخْدِمُهَا
فأصبحتْ [1] لي دُخاناً بعد مَشْرِقها
وبَغْضَ اللحظَ في عَيْنيَّ مَقدَمُهَا !
وَصِرْتُ أُنبذُها لمَّا لَمحْتُ لها
حِقْدَ الوَرَى وشَجاني اليومَ مَبْسِمُهَا
وَعِفْتُها كبغيٍّ ليسَ يَعْشَقُها
عِشْقَ الجُنونِ سِوى مَنْ ليْسَ يَرْحَمُهَا
وعُدْتُ أشتاقُ لي صَمْتاً وعُزْلتَهُ
فالصَّمْتُ للنَّفْسِ في الضَّوْضاء يُكْرِمُهَا
تَناحَرَ النَّاسُ حُبًّا في الظُّهُور، وما
نالُوا سوى جُثَّةٍ قد رَثَّهُمْ دَمُهَا !
قد شَوَّهُوهَا فماتتْ مِنْ أَسِنَّتِهِمْ
وعَانَقُوها فلمْ ينبسْ لهم فَمُهَا !

---

(١) اي الشهرة .

وكُلُّهمْ بين مَطْعُونٍ ومُقْتَتِلٍ
كأنما غنمهمْ هذا ومَغْنَمُهُ !

خيرٌ لِمثلي أنْ يُنْسى اذا اقترنتْ
ذِكْراهُ بالحقدِ حيثُ الحقدُ مأتمُها
إنْ لم أعِشْ لجمالِ الحبِّ في عِظَمِي
فلا سَمَوْتُ بِنَفْسٍ ضاعَ أكرَمُها !

شَمّ النسيم

الى الحبيب الهاجر

أهلاً (بشَمِّ النّسيمِ) يَطيبُ في ذِكْراكْ
كأنما هوَ رُوحٌ نَشَرْتَها مِنْ هَواكْ !
ففاحَ منها (الرَّبيعُ) وجُدِّدَ الكَوْنُ طُرّاً
ورَفَّ قلبي سُروراً كأنما حالَ زَهْرا !

أوْ أنـــا بَعَثَتْهُ ذِكْرَى صعُودِ (المَسيحْ)[1]
وجُدْتَ أنْتَ بِعَطْفٍ أحيَى الشَّهيدَ الجريحْ !
وأوقدُوا النَّارَ فيـهِ و (الفَجْرُ) يَرْنُو لناري
حتى الإلهُ (پتاحٌ)[2] رأى بهـا أشعاري !
يَوْمٌ بهِ تَتَبَاهَى مواكِبُ الشُبَّانِ
تستَقْبِلُ الصَفْوَ (حُبًّا) في النهْرِ والبُسْتانِ !
وما تباشيرُ عيدِي وغَرْسُ هذا (الرَّبيعْ)
الاّ حنانُ فؤادِي الى سناكَ البديعْ !
عيدٌ لابناءِ (مِصْرَ) مُؤَصَّلٌ في قُرُونْ
وعيدُ قلبي المرَجِّي مَنْ خَصَّني بالفُتُونْ !
فكلُّ (شمِّ نسيمٍ) وأنتَ تقطفُ أنْسَا
لم أسْلُ أُنْسَكَ فيـهِ هيهاتُ أُنْسُكَ يُنْسَى !

---

(١) توافق عند المسيحيين الشرقيين يوم (شم النسيم) .

(٢) الاله (بتاح – Ptah) عند قدماء المصريين هو مهندس الكون الاعظم وموجد النار العالية او الشمس . وتشعل النار في فجر (شم النسيم) علامة على تجدد الحياة بابتداء الربيع .

الحسانه

وسُئِلْتُ : منْ هُنَّ « الحِسَانْ » !

هُنَّ العفيفاتُ اللِّسانْ

الفائِضاتُ عُذُوبةً تُنسيكَ موعودَ الجِنَانْ !

النَّائِراتُ على (الطَّبيـ ـعةِ) في التَّفَنُّنِ بالمَعانْ !

النَّاهِضاتُ بكلِّ ما يَجْلُو لنا نِعَمَ الزَّمَانْ !

صُنَّ الوجُودَ مُجَمَّلاً يَخْتالُ في الحُسْنِ المُصانْ (١)

في زينةِ الأُطْفِ الأصيـ ـلِ وخِفَّةٍ تتناظَران

حُمِلْنَ أعباءَ الهدَا يَةِ للسعادَةِ والأَمانْ

فَسَطَعْنَ دُونَ تكلف لا في الضِّياء ولا البيانْ !

وبَسَمْنَ دُونَ تَرَدُّدٍ بشِفاءِ أفئِدَةٍ عَوَانْ

وبَعَثْنَ بالنَّظَرَاتِ في سَكَرَاتِ أحلامِ العِيَانْ

وَوَهَبْنَ للأَرْواحِ ما غَذَّى الشُّعورَ والافتِتانْ !

---

(١) المصان (بضم الميم او فتحها) لغة: غلاف القوس . وفي هذا الوصف معنى شعري دقيق ، حيث وصف الشاعر رشاقة الحسان وصيانتهن جمـال الوجود المجمل بهن ابلغ وصف تصويري في ايجاز ورقة تعبير .

الباذِلاتُ جمـــالهنَّ أشعةً في كلّ آنْ !
والباخـــلاتُ بغيْرِ ما يُحيي المدَارِكَ والحَنَانْ
والجامِعاتُ من (الطّبيـ ـعَةِ) كُلَّ ما حَيًّا وزانْ !
في نُورهنَّ من الكوا كِبِ والرّياضِ أحَبُّ شانْ !
ومِنَ الجمـالِ وإنْ تَنَوَّ عَ كلُّ مُعْتَزّ ودَانْ !
بيْنَ التناسُبِ في الملا حَةِ والرَّشاقةِ والأَغانْ !
ونَبالةِ الطّبْعِ الشَّفيـ ـقِ ورَحْمَةٍ تَأْبَى الهَوَانْ
وجلالةِ الخُلُقِ الكريـ ـمِ يَعاف ورْدَ الامتهانْ
مثَلانِ من عَجَبِ الغوَا يةِ والهدايةِ للجِنَانْ !
جَمَعَا السَّعادةَ والشقا وةَ للرَّجاءِ والامتِحانْ !
هذِي صِفَاتٌ للحِسا نِ نَظمتُها لِهُدَى (الحِسَانْ)[1]

(١) اشارة الى مجلة (الحسان) التي نشرت فيها القصيدة .

شفاء وشفاء

اهدى العلامة الشهير الاستاذ جبر ضومط مجموعة مؤلفاته الى الشاعر ثم بعث اليه بالكتاب الودي الآتي فرد عليه صاحب الديوان بالابيات التالية

١ — كتاب الاستاذ جبر ضومط

جامعة اميركانية ١٨ ايار ٩٤٧

زينة الاباء حضرة الدكتور احمد زكي بك ابو شادي دام عزه في سبتمبر الاسكندرية

عزيزي الدكتور سلامته

لست وان كنت غريبا عني غريب وهذا ما جعلني اخاطبك كما يخاطب الصديق اعز اصدقائه ولست اخال انك تجمع بين الشاعر قضى في عبارتي اخا توافقني على هجوم الناقض ؟

فهمت من اشارة ابو خ الاستاذ جبور المقدسي وانا في الفراش بما جعلني اوعز الى ابني نجيب ان يرسل اليك ما وصلت اليه يداي من مؤلفاتي على ان اكتب اليك هاما اعود على الكتابة

اليوم قمت من فراشي واشعر ببعض الهمة والنشاط وفيما انا استعرض قواي لاكتب اليك اذا بالطارق الحلوة وخطك الواضح الذي يطبع على النفس التي كتبه فلم يسعني بعدها الا ان اخر عن الكتابة اليك وكفيني ما كتبته وهو بمثابة عنوان دال يخبرك عن فحوى المطبوع ان اصورة لك بعبارتي وادام الله لنا شرف بقائك

المخلص
جبر ضومط

(هذا المثال من خط الاستاذ ضومط مصغر الى النصف)

٢ — رد الشاعر

يا إمامَ (الشآمِ) في البَحْثِ والحِفْـ
ـظِ ، ويا جابراً أصيلَ البَيانِ
عُرِفيَتْ في شِفائِكَ (الضَّادُ) واعتَزْ
زَتْ وتاهَتْ بِمُبْدَعاتِ المباني
كُنْتَ بالأمسِ صاحبَ الفضْلِ إهدَا
ءً فضاعفتَهُ بهـذا التَّدَاني !
طُرَفٌ في كتابِكَ السَّمْحِ تُعْطِيـ
ـني نعيمَ اللّقاءِ بعـدَ أفتِتانِ
حُسْنُها حِلْيَـةُ السَّماحةِ في النفْـ
ـسِ ، فأنْعِمْ بمُلْكِها في الحِسَانِ
مَنْ يكُنْ مُنْشِئاً كعقْلِكَ ألبا
باً فمن حقِّهِ أفتِنَانُ الجَنَانِ
والفؤادُ الذي كقلبِكَ يُناجيـ
ـكَ لَهُ من حِجاكَ أُنْسُ الجِنَانِ !

المتنطعون

THE CRANKS

لو أعلنوا أنَّ السَّوائِمَ أصلُها
نَمْلٌ ولُمْتَ خَلصَّكَ التَّكْفيرُ !
أو أعلنوا أنَّ الظّلامَ أشِعَّةٌ
ورَفَضْتَ ذاكَ فأنتَ أنتَ ضَريرُ !
قَوْمٌ لهمْ حَقُّ القَضاءِ ، وما لَهُمْ
رَدٌّ ، وكلُّ قَضائِهِمْ تَغْريرُ !
يَتَنَطَّعونَ ، وما يَحُدُّ شُذُوذَهُمْ
حَدٌّ ، وكلٌّ في الشُّذُوذِ أميرُ !
إنْ يَرْغَبوا فبكلِّ خَطْبٍ نِعْمَةٌ
ولهمْ نظيمٌ حَوْلَها ونَثيرُ !
أوْ يَغْضَبُوا وَصَفُوا النَّعيمَ جَهنّماً
وتَوَهَّمُوا أنَّ الطَّليقَ أسيرُ !
وَلَهُمْ بسفسطةِ الجِدَالِ أدِلَّةٌ
شَتَّى ، وكمْ يأبى الجِدَالَ بصيرُ

حَسِبوا التَّفَلْسُفَ في التَّنَطُّعِ هكذا!
لكنّما حَبْلُ الضَّلال قَصيرُ
وتَوَهَّمُوا أنَّ الذَّكاءَ عِنادُهُمْ!
ولكَمْ تَشَبَّثَ بالعِنادِ حَقيرُ
لا يَفْتَأُونَ يُنَقِّبونَ بلا هُدًى
ويُقَدِّرُون، فيُخْطِيءُ التَّقديرُ!
مُتَقَلِّبِينَ فلَسْتَ تأمَنُ رَأْيَهُمْ
أبداً، وليْسَ لرَأْيِهِمْ تَعْميرُ!
ومُوَسْوِسِينَ، فجِدُّهُمْ هَزْلٌ، وفي
هَزْلٍ لَهُمْ شَجَنٌ كذاكَ يُثيرُ!
واللهِ ما أدْري رَجاحَةَ عَيْشِهِمْ!
لكنما اللهُ الحَكيمُ قديرُ!
وكأنَّهُمْ في مَلْعَبِ الدُّنْيا لهُ
لَهْوٌ، فعزَّ بل استحالَ نَظيرُ!

يا سادَتي المُتَنطِّعينَ تَمَهَّلُوا!
يَتْلُو السُّقوطُ الطَّيْشَ حيثُ يَسيرُ

ليسَ الغُلُوُّ بذَمِّكمْ وبمدْحِكمْ
ما تَشْتهيهِ حَصافةٌ وضميرُ !
هانَ الجدَالُ ، وعزَّ رأيُ مُحقّق
وكذاكَ يَنْهَضُ بالحُقُوقِ كبيرُ
يُعْطِي الحيـاةَ حقُوقَها مِنْ طَبْعِهِ
إذْ يَسْتَشِفُّ (١) الحُسْنَ وهوَ ستيرُ (٢)
والذَّمُّ سَهْلٌ لِلْغبيِّ ، ومِثْلُهُ
طَبْعٌ لَهُ التَّدْميرُ والتَّزْويرُ !

(١) يستشف : يتبين ويستقصي .
(٢) ستير : مستور ، وتستعمل مجازاً بمعنى عفيف ، ويوصف بها الشجر اذا كثرت اغصانه .

ما هو الفن ؟

ما هو الفَنُّ ؟ . . . إنمـا الفَنُّ عندي
هو حُسْنُ « البلاغةِ الرَّمْزِيَّهْ »

ليسَ بَسْطُ التَّعبيرِ فَنًّا جميـلاً
إنمـا الفَنُّ لَهْجَةُ العَبْقَرِيَّهْ

يَبلغُ النَّفْسَ في الصَّميم ويُوحي
بِرُموزٍ لهُ المعـاني السَّرِيَّهْ

ذاكَ شانُ الغِناءِ والرَّقْصِ والرَّسْـ
ـمِ بآياتِ حُسْنِها الفنِّيَّهْ !

ذاكَ شَأنُ النَّظيمِ إنْ شاقَ إعجا
زاً بأبْهَى الفواتِنِ النَّظْمِيَّهْ

ذاكَ سِرُّ الفُنونِ جَمْعاً ، فلا بِدْ
عَ اذا تَيَّمَتْ شُعورَ البَرِيَّهْ

بينَ فَهْمٍ ومَبْحَثٍ وآفْتِتانٍ
وآتِّصالٍ بمسْرَحِ الأبديَّهْ !

يَتَجَلَّى الجمـالُ فيها ، ويُعْطيـ
ـها شُرُوحاً نفيسةً عَلَوِيّهْ
قرى النَّفْسُ طَيَّ ما أتقن الفَنُّ حيـاةً ولَهْجَةً رُوحيّهْ
لم تَقِفْ عِنْدَ مَظْهرٍ بلْ تَنَاهَتْ
باندِماجٍ في الذِّكرياتِ القويّهْ
وكذا الفَنُّ كلمـا صاغَ رَمْزاً
مِنْ رُموزِ البدائعِ الـكَوْنيّهْ
كانَ في رَمْزِهِ البليغِ رَسولاً
هادِياً يُسْعِدُ النُّفوسَ الشَّقيّهْ
ودَليلَ الجمـالِ إنْ أصْبحَ النا
سُ حَيَارَى أو عاندوا الجاذِبيّهْ !

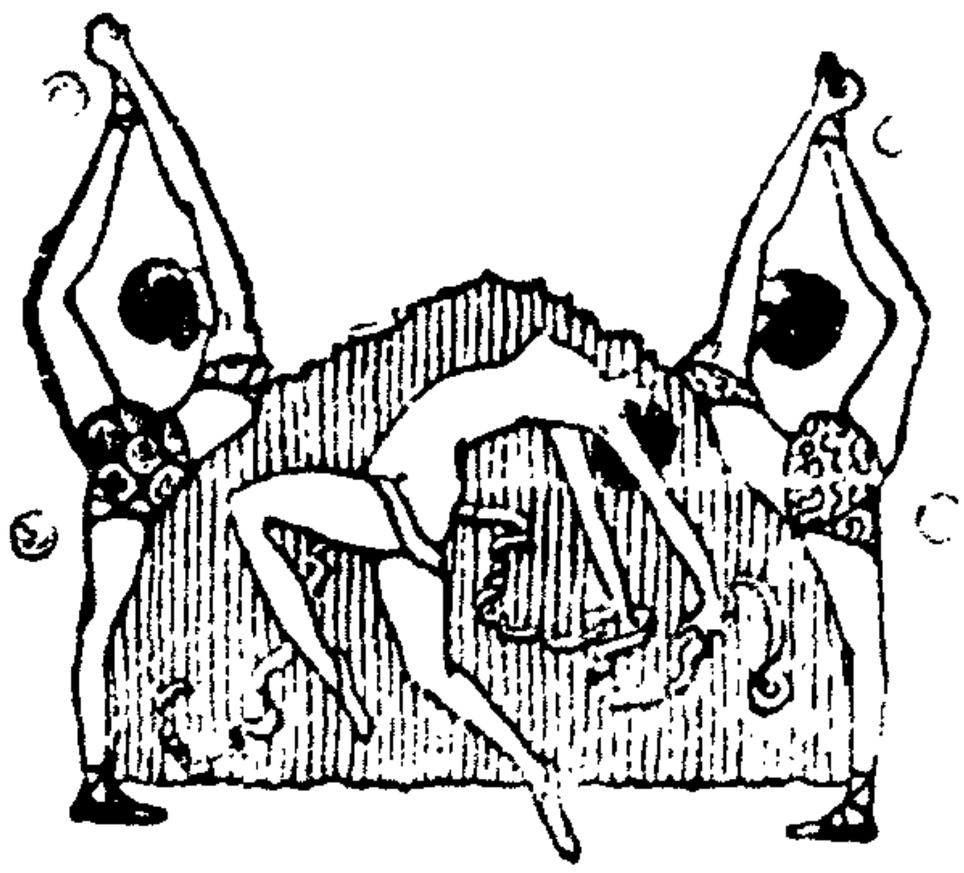

كرواتة المسرح

ابيات تقدير للسيدة منيرة المهدية الممثلة الغنائية المصرية الشهيرة لمناسبة درج اسمها في (الكتاب الذهبي) الخاص بملك ايطاليا — وهو سجل العظيمات والعظماء في العالم اجمع — ومنحها الوسام الخاص بذلك والمدالية الذهبية الملحقة به ، وقد نالت من شارات التقدير الفني أوسمة اوروبية اخرى من قبل ، بينما لم تنل بعض هذا التقدير من حكومة بلادها .... !

مَلَكْتِ تقديرَ أهلِ الفَنِّ في وَطَنٍ
الفَنُّ أعلامُهُ أصحابُ تيجانِ !
مَنْ نال ما نالَ (كاروزو) بصَدْحَتِهِ
فيه، وما نال (دانْنزيو) بأوزانِ[1] ؟!
وما أُتيحَ (لپتشيني) ودولتِهِ
وقد بَنَى ما بَنى مِنْ مُلْكِ ألحانِ[2] ؟!

---

(١) السنيوْر كاروزو (Signor Caruso) المغني العالمي الذائع الصيت . ولد سنة ١٨٧٤ م . وتوفي سنة ١٩٢١ م . وكان نجاحه في غناء الاوپرا لا يحد . واما جبريل دانزيو (Gabriele D'Annuunzio) فشاعر ايطاليا الدرامي الشهير ومن اكبر رجال الادب المعاصرين في اوروبا . ولد سنة ١٨٦٤ م .

(٢) جياكومو بتشيني (Giacomo Puccini) حامل لواء الاصلاح الموسيقي في ايطاليا اخيراً والملحن الشهير للاوپرات الخفيفة . ولد سنة ١٨٥٨ م . وتوفي سنة ١٩٢٤ م داء السرطان ، وكان آخر ما نظمه قصة (تورانْدور) ولم يكملها .

ومَجْدَ (فِرْدِي) المُعَلَّى عندَ مُعْجزَةٍ
للفَنِّ يَحْسُدُها إعْجازُ أقرانِ [1] ؟ !
والسابقين لهم في كلِّ مَفخرَةٍ
واللاحقين بهم في كلِّ إحسانِ ؟!
في أرض (رُمْيُو) [2] التي ما زال يَنفحُها
الُحبُّ والشِّعرُ في عَزْفٍ وألوانِ ؟
طُوبَى لمملكةِ الفَنِّ زينتُها
بَنَتْ عليهِ المعالي خُلْدَ بُنْيانِ
وألفَ شكرٍ لأهليها وقد عرفوا
قَدْرَ التي سطعَتْ في (مصْر) للرَّاني
عاشتْ ضياءً كما عاشتْ لنا نَغَماً
منها (الهُدَى) والنَّدَى للمسْرَحِ الهاني
(مُنيرةُ) بَسَماتُ (النِّيلِ) تُعْلِنُها
ومُسْتَطابُ الصَّدَى في اللَّيْلِ للعاني

---

(١) جيسبي فردي (Giuseppe Verdi) ملحن الاوبرا (عائدة) الخالدة الذكر . ولد سنة ١٨١٣ . م وتوفي سنة ١٩٠١ م .

(٢) اختار شكسبير وقوع حوادث روايته (روميو وجولييت) في مدينة فيرونا وهي من اعمال ايطاليا وبها آثار رومانية وكنسرائية جميلة .

لم يَكْفها أنّها نُورٌ ومَحْمَدَةٌ
حتى حَبَتْ طِبَّ أرْواحٍ وأذْهانِ
يُصغي اليها قتيلُ اليأسِ في شَغَفٍ
بالعيشِ مِنْ بَعْدِ أتراحٍ وحِرْمانِ
ويَشتهي صَوْتَها المُضنى على رَمَقٍ
كأنّما صَوْتُها عُمْرٌ لهُ ثانِ !
فليسَ بِدْعاً اذا خُصَّتْ بمنزِلةٍ
في عالَمِ الفَنِّ واختُصَّتْ بايمانِ
وزانَ صَدْرٌ لها « مَهْدِيَّ » أوْسِمَةٍ
فانها غَنِيَتْ عَنْ كلِّ إعلانِ
وعَزَّ ذِكْراً لها في سِفْرِهِ مَلِكٌ
ما عزَّ ذا شُهْرَةٍ الاَّ بميزانِ !
وانما عَجَبُ الدُّنيا وخَيْرَتُها
أنَّ النبوغَ (بمصْر) شِبْهُ خِذْلانِ
وهي التي طالما كانتْ حَضارَتُها
وَحْياً ونُوراً لأجْيالٍ وأوْطانِ !
لكنما العِزَّةُ الشَّمّاءُ باقيةٌ للعبقريةِ في ذِكْرٍ ونِسْيانِ

جَلالُها فوقَ شارَاتٍ وأوْسِمَةٍ
ولا تَدينُ لِسُلْطانٍ بسُلْطانِ !
الكَوْنُ مَسْرَحُها والفَنُّ يَنْفَحُها
بِرُتْبةِ الخُلْدِ لا شارَاتِ بُهْتانِ !
تُرْعَى بحُرْمَةِ إجْلالٍ لنِعْمتِها
برّاً بفِكْرٍ وتكْويناً لوِجْدانِ
وكَمْ منازِلَ للْجُهّالِ قدْ خُلِفَتْ
جهْلاً لتُرْعَى كما تُرْعَى لأَوْثانِ

●◻●

أبناءَ (ايطاليا) دُمتمْ بِغَيْرَتِكمْ
مِثالَ شَعْبٍ كريمِ النَّفْسِ فَنَّانِ
رَأى المحبّةَ أسْمى ما يفوزُ بهِ
في الفاتحينَ فأحياها لأزْمانِ
نِلتمْ مكاناً (بوادي النيلِ) يغبطكم
عليهِ في بأسِهِ المستأسدُ[1] الجاني

(١) المستاسد : المجتريء . يقال استاسد عليه أي اجترا .

بمثلِ هـذا ينال السَّلْمُ عِزَّتَهُ
ويُعْرَفُ النَّاسُ إخواناً لاخوانِ

إنَّ المالِكَ تَحْيَا مِنْ ثَقافَتِهَا
ولا تعيشُ بحدِّ الصَّارمِ القاني

وللشُّعُوبِ مَقَالٌ دُونَ ساسَتِهَا
يدعو الى الحُبِّ لا يدعو لعدوانِ

العِلْمُ يُرْشِدُها ، والفَنُّ يُسْعِدُها
ومَجْدُها رَفْعُ عِرْفانٍ بعِرْفانِ

دعامة الاستقلال

نظمت لمناسبة فتح الدار الجديدة لبنك مصر

يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٧ م .

يادَارُ خافِقَةً بكِ الأَعْلامُ حُيِّيتِ مِنْ عَلَمٍ أَشَمَّ يُقامُ!
قامَتْ بصَرْحِكِ تضحياتٌ جَمَّةٌ للنَّابِهِينَ وصَحَّتْ الأحلامُ
ووَقَفْتِ كالبُرْجِ المُمَرَّدِ هازئاً بالسُّحبِ وهو المنقِذُ العَلاَّمُ
يَهْدِي الخَلايا [1] الماخراتِ عُبابَهُ
ويُغيثُ إنْ خَذَلَ المياهَ غَمَامُ !
قَسَماً بألبابٍ رُفِعْتِ ببَذْلها قدْ شَعَّ مِنْكِ الوَحْيُ والإلهامُ!
وَقَفَ الهُدَاةُ حِيَالَ بابِكِ مِثْلما
وقفتْ أمام (الكَعْبَةِ) الأقوامُ !
وكأنما قدْ وُطِّدَ استِقْلالُنا فأنَى يُبارِكُ اسَّهُ الأَعلامُ
وكأنهُ (اللِّبَرَنْتُ) خفَّ اليهِ منْ
أبطالنا القُوَّادُ والقُوَّامُ [2] !

---

(١) الخلايا : السفن الكبيرة .

(٢) أي القوامون : جمع وضعي لقوام (بفتح القاف) مثل سواس (بفتح السين) وسواس (بضم السين) .

حَجُّوا اليكِ بحِسِّ شَعبٍ مُؤْمِنٍ
بالحقِّ حينَ تَقلَّبَ الأَخْصامُ
في مِثْلِ ظِلِّكِ والكَوارثُ جَمَّةٌ
تُشْفَى النفوسُ ولنْ تُطَاطِي الهامُ !
وتَطيبُ أَمْوَاجُ النَّسيمِ وانْ قستْ
نارُ السياسَةِ والخُطُوبُ جِسامُ !
وتُنَشَّطُ الآمالُ بعد ذُبولها وتُخفَّفُ الأَشْجانُ والآلامُ
تَخِذَ الخُشُوعُ بكِ الفخارَ بديلَه
فاذا الخُشُوعُ تأَلُّمٌ وغرَامُ !
في فتحِ هذا اليوم بَعْدَ مصائبٍ
للشعبِ تُنجزُ وعْدَها الأَيَّامُ
بالمالِ حوْلَكَ يا (ابنَ حرب) نلت ما
قد فاتَ نيلَ أُقلِّهِ الصِّمْصَامُ !
وبِصحْبِكَ الأَخيارِ حين زعيمُهُمْ
(سُلْطَانُكَ) المتهالِكُ المِقْدامُ !
نَسْتافُ سِيرَتَكَ الزَّكيةَ مثلما
نَسْتافُ حَظَّ العُمْرِ وهُوَ تَمامُ

ونَذُوقُ مِنْ خمرٍ معتّقةٍ لها
مُنِحَتْ (لمصْرَ) ففُضَّتْ الأختامُ

ونَشُمُّ مِنْ عبقِ الوَفاءِ لذِكْرِها
كالزَّهْرِ إنْ سمحَتْ بهِ الأَكمامُ!

ويَرِفُّ نجمُكَ ساطِعاً ومؤذّناً بالعبقريّةِ نُورُهُ البسّامُ
رجلٌ ولا كلُّ الرِّجالِ بدَا بهِ أوْ صبرِهِ إنْ قُورِنَ الإقدامُ

صاحِ تَسابقَ والزّمانَ على السُّرَى
بيْنا الصِّغارُ الصّائحُونَ نِيامُ!

حسبوا الزّمانَ مسالماً ومصافياً وكأنما تغريرُهُ استِسْلامُ
والدّهرُ يضحكُ والحوادِثُ لا تني
فاذا صَحَوْا لم يعْملوا وتَعامُوا!

تَجْري الشّهورُ بل السّنونُ وحظنا
رَهنَ الجدالِ وتُمْتَلُ الأعوامُ!

سُبُلٌ مِنَ الإصْلاحِ شتّى لم تَجُزْ
أبْوابَها حتى ولا الأقلامُ!

وكأنما سُرُرُ السِّياسةِ مجلِسٌ
للّهْوِ قد خُصَّتْ به الأوْهامُ!

وكأنما الجُبْنُ الأَتَمُّ مَهارَةٌ وكأنما السَّعْيُ الخبيثُ حرامُ !
في كُلِّ ناحيةٍ يُثَلَّمُ عِرْضُنا في غيرِ ما خَجَلٍ ونحْنُ نُضامُ
ونَصيحُ كالعاني الجريحِ ولا نعي
عِظَةَ الخطوب فننتفي[1] ونُسَامُ
ونَضنُّ بالأَموالِ في دَفْعِ الأذى
والبُخْلُ لم يَصعدْ عليهِ كرامُ !
مُثُلُ التفرُّقِ والتَّخاذُلِ بينما تُشكى الجراحُ ويُلْعَنُ الظُّلَّامُ !
هيهاتَ ! ما أعْطى الغَبينَ حُقُوقَه
بَثٌّ ، ولا ردعَ الأثيمَ مَلامُ
لكنْ تَغلَّبَ بالبناءِ وعَزْمَةٍ وثَبَتْ، فريعَ وحُيِّرَ الهدَّامُ
هذا فخارُكَ يا (ابنَ حربٍ) جاهداً
وشِعارُكَ الآثارُ لا الأَقسامُ !
كَوَّنْتَ مملكةً لها استقلالُها
لا السيفُ بالغهُ ولا الإِرْغامُ !
دُستورُك المعصومُ دُستورٌ لنا
حفَّ الجلالُ بهِ وبان[2] الذَّامُ

---

(١) ننتفي : ننحى ولا نثبت .
(٢) بان : بعد .

حفلتْ بفضلِكَ قبلما احتفلتْ بهِ
هذِي الجُموعُ وطالتْ (الأهرامُ)!
ما ذا يقولُ المادِحونَ وانْ غَلَوْا
وكِرَامُ مصرَ اذا ذُكِرْتَ قِيامُ ؟!
العارفونَ لكَ المكانةَ في العُلى
ياواحداً ما فاتَهُ الإعظامُ ؟ !
النَّجْمُ إلفُكَ ، والرجالُ جميعُهمْ
رَغْمَ التَّبايُنِ بَجَّلوكَ ودَامُوا
فكأنما (فرعونُ) أنتَ بهيبةً
لولا السَّخاءُ لدَيكَ والإنعامُ !
قدْ صُنْتَ مِنْ عَرَقِ الأَجيرِ وغَرْسِهِ
مِنْ بعدِ ما قد هَدَّهُ الإِجْرامُ
وبنيتَ مِنْ (مالِ الفِداءِ) جلالةً
فكأنها (الزَّهراءُ) وهيَ تُرامُ [1] !
(مِصرُ) تمنَّتْ أن تُشادَ فكنْتَ مَنْ
لَبَّى ، وقامَ المجْدُ والإكْرامُ

---

(١) مدينة (الزهراء) الاندلسية الشهيرة التي بنيت من مال الفداء للمسلمين بطلب الملكة (الزهراء) .

يَتطلَّعُ المتسائلونَ لها كما
يَتطلّعُ الأفرادُ والحُكّامُ
جَمعتْ جلالتُها جَـــلالَ بَنيَّةٍ
أثريَّةٍ أوحى بِهـا (الإِسلامُ) !
وجلالَ آمالٍ تزَفُّ الى غدٍ
صِدْقاً، ويَضْمَنُ عُمْرَها الإِحكامْ
ولو أنما عادَ (المُعزُّ) بمالِهِ لم يلقَ مثلَ فخارها يُستَامْ[1]
ولودَّ خزنَ نُضَارِهِ وكُنوزِهِ فيها، وهلْ كانَ الحكيمُ يُلامُ؟
عصْرٌ بهِ الجبّارُ مالُ سيِّدٌ وتسودُ أرقامَ الوغى الأرقامْ !
لرنينِهِ صوتُ المدافعِ في الوغى انْ شاءَ، أوخفيفِهِ الانغامْ !
لا الحَرْبُ قائمةٌ بغيرِ قِوامِهِ والسِّلْمُ ليسَ لهُ سواهُ قِوامْ !
والعِلْمُ والدنيا بأنفسِ ما وعتْ المالُ سوّاسٌ لهـا وإمامْ
هوزينةُ الاحياءِ انْ بلغوا العُلى وفخامةٌ تُزْهى بها الأصنامُ !
فلْتُكْرِمُوهُ شِعارَ كلِّ عظيمةٍ ولْتُصغِرُوهُ كما أباهُ هُمَامْ !
وتمثّلوا (بمحمدٍ) في عَقْلِهِ
لا البَذْرُ[2] صاحبَهُ ولا الاحجامُ

---

(١) ينالى به .
(٢) البذر : الاسراف .

أحيـا (لمصر) بحرْصِهِ وبجُودِهِ
صُوَرَ الحيـــــاةِ ففاتَها الإلمامُ
كانتْ تَفيضُ بخيرِها لنزيلها
واليومَ بات لهـا (بمصْر) مقَامُ
في ذِمَّةِ التاريخِ فَضْلٌ مُتَوَّجٌ
بالحُبِّ قدَّرَهُ البنونُ فهامُوا !
ويقبِّلون يدَيْهِ في شُكرٍ كما
شكرَ العُفَاةُ وقدَّرَ الأيتامُ !

ايماء واملاء

غَنَّيْتِ رَاقِصَةً وأنتِ غَنِيَّةٌ
بالرَّقْصِ عنْ لَحَنٍ وسِحْرِ غِنَاءْ !
فمرِحْتِ فاتِنَةً وجِسْمُكِ نابضٌ
بالحُسْنِ والإِحسانِ للشُّعَرَاءِ !
العَيْنُ تَنْهَبُ مِنْهُ ألفَ تموُّجٍ
لعواطِفِ الأَصْبَاغِ والأَضْوَاءِ !
وبكلِّ خافِقَةٍ لِمَدِّكَ نَشْوَةٌ
متبُوعَةُ الإِغْواءِ والإِغْراءِ !
فيها رُمُوزٌ للبلاَغةِ جَمَّةٌ بمُنوَّعِ البَسَمَاتِ والإِيماءِ
تُزْهَى بها رُوحُ الفنُونِ فنَّها
جَمَعَتْ فُنُونَ خَلاَبَةٍ غنَّاءِ
أرْنُو لها والقلْبُ يَتْبَعُ خفْقَها
بخُفُوقِهِ ، ويُطيلُ حَبْلَ رجائي !
وأرَاكِ مُتْعَبَةً فأعْشَقُ هكذا
تَعَباً يَبُثُّ الرّاحَ في أعضائي !

مَنْ قالَ إنَّ الجِسْمَ دُونَ الرُّوحِ في
لُطْفٍ وما استثناكِ غَيْرَ مُرَائي ؟!
يَصِفُو صَفَاءَ الياسمينِ ، وعِطْرُهُ
كالياسمينِ يَفُوحُ في الأَرْجاءِ !
جِسْمٌ أَحَقُّ بهِ العِبادَةُ كلّما
أَحْيَا مَوَاتَ مَشَاعِرٍ وَمَرَائي !
هُوَ مِنْ بيانِ اللهِ يَنْشُرُ هكذا
نِعَمَ الهوَى والحُسْنِ في الأَحياءِ !
مَرَّتْ دقائقُ لُطْفِهِ وَسَخائِهِ
وكأَنَّهـا وَلَّتْ بغيرِ سخاءِ !
فالنَّفْسُ مُنْعَمَةٌ وحُرْقَةُ شَوْقِهَا
جَعَلَتْ حَنِينَ نَعيمِها إشقائي !
حتى اذا ما غِبْتِ مَازَجَ صَفْوَهَا
شَجَنِي ، وشَيَّعَ ما بَذَلْتِ بُكائي !
وَفَقَدْتُ فيكِ الفَنَّ والفَنَّانَ ، بَلْ
مَعْنَى الأُلوهةِ في أَعَزِّ سَمَاءِ !

ويَعُودُ جُودُكِ لي مُجَدِّدَ مُهْجَتي
مِنْ بَعْدِ يأسٍ بالِغٍ ودُعَاءِ
فأصوغُ هذا الشِّعْرَ مِنْ جَدْوَاكِ في
وَزْنٍ ، ومِنْ نَجْوَاكِ في إملاءِ !

مقار الأحياء

فُتْنَا مَجالي الأُنْسِ حيثُ حَدَا بنا
للبيْتِ دَاعي التَّوْبِ للإغفاءِ !
فاجتَزْتُ والصَّحْبَ الذينَ تثاءَبوا
بعضَ الأزقَّةِ بعدَ طولِ عَياءِ
كانوا سَكارَى دُونَ خَمْرٍ مِنْ مَدَى
سَهَرٍ ، وكُنتُ بنَشْوَةٍ عَمْياءِ !
أمْشي كما يمْشي « الدَّليلُ » ، وكُلُّنا
أعْمَى بتلْكَ اللَّيْلَةِ اللَّيْلاءِ !

قالوا : « لنختصرْ الطَّريقَ ...وهكذا
نجتازُ منطِقَةً بغيرِ عَنـاءِ »

فتبعتُهمْ ، وجميعُهمْ في حَيْرَةٍ وشجاعةٍ كشجاعةِ الجبناءِ !
حتى إذا زَلِقَ الدَّليلُ تيقَّظوا فاذا بهِ هاوٍ بغيرِ رجاءِ !
في حُفْرَةٍ فيها الْبِرَازُ مكدَّسٌ والبولُ خالطَ آسِناً مِنْ ماءِ !
ويطن بالفَرَحِ البَعوضُ حيالَها وحيالَها الأَكواخُ كالأَرزاءِ !

فأُغِيثَ ، ثم مَضَوْا ، وسِرْتُ وكلنَا
جَزِعٌ من الأدرانِ والأَقذاءِ

لا نستطيعُ لنا رُجوعاً بينما في صَبْرِنا رَوْعٌ من الأدواءِ
حتى بلغنا مَسْكَناً ، مِنْ حُجْرَةٍ
فيـهِ يُطِلُّ النُّورُ شِبْهَ مُرَائي !
وهنا الْتَمَسْنا بَعْضَ ماءٍ ، بينما هَبَّتْ رَوائحُ نَتْنِهِ الهَوْجاءِ !
وبدَتْ به امْرَأَةٌ لفرطِ هُزالها
كالطَّيْفِ في وَهْمِ الخيالِ النّائي !

فأَبَتْ علينا ما سألْنا في أَسًى وإباؤُها للمـاءِ غيرُ إباءِ
إذْ كلُّ ما ملكَتْهُ كُوزٌ مُنتنٌ
لرضيعِها الدَّاني ليومِ فَناءِ !

ثمَّ انطَلَقْنَا ، غيْرَ أنَّ دَليلَنا
وزميلَهُ وَقَعا وُقُوعَ ثَواءِ ! (١)
في حُفْرَةٍ كانتْ كَحَدِّ فاصِلٍ
ما بينَ إنْعامٍ وبينَ بَلاَءِ
حيثُ اقتربْنا من طَريقِ حضارَةٍ
بعدَ الضَّلالِ ببقْعةٍ نَكْراءِ
عَيْشُ البهائِمِ كانَ خيراً حينَا
يَحْيَا الوَرى كحُثالةِ الأشياءِ !
فخَرَجْتُ أجْري مِنْ بلاءٍ مُطْبِقٍ
وعرَفتُ بَعْضَ مقابرِ الأحياءِ !

(١) اي وقوعاً لا قيام بعده .

الأُغرار

وَعَدَّ سَفيهُ القَوْمِ جُرْماً لِهِمَّتي
عُزُوفي عن اللَّؤْمِ الذي هوَ باذِلُ !
أَبَيْتُ إباء أنْ أعيشَ مُسَخَّراً
سجيناً وفِكْرى الحُرُّ في الكَوْنِ جائلُ
يعانِدُني الحسَّادُ حُبّاً بنكبتي
ومالي بهاتيكَ الصغائرِ شاغلُ !
بحسبي اقتِداري أنْ أردَّ سِهامَهُمْ
وأنّي أشقُّ الكَيْدَ وهوَ جَحافِلُ
سِلاَحي يَقينٌ في خُلُوصٍ طويّةٍ
وعَزْمٌ وحَزْمٌ في الرَّدَى لا يُزايلُ
هَدَمْتُ وصَحّى ما أقاموا منَ الأذَى
حِيالى ، وهَلْ يقوى على الحَقّ حائلُ ؟
فلمّا رَأَوْا إقْدامَ نَفْسي وَهِمَّتي
وأنّي بما تَقْضِي الكَرامةَ حافِلُ

وأنّي الفتَى الغلاّبُ رَغْمَ مكائدٍ
وما ارْتدَّ يوماً جُهدِيَ المُتواصِل
وأنّي حَليفُ النّصْرِ رَغمَ نوازلٍ
أُقاوِمها حتى تهونَ النّوازِلُ
تَنادَوْا بأنّي في انتِصاريَ مُدَّعٍ !
وأنّي بحَزْمي صاغرُ النَّفْسِ جاهلُ !
وكان حَرِيًّا بي لأبْلُغَ مَدْحَهُمْ
خُنوعي لهمْ فيما أرَى أوْ أُحاوِلُ
فادْفِنْ نَفْسي في المذلّةِ والهوَى
جَباناً ، وأحكي أنَّ غيريَ غافلُ !

●◀●

لَخيرٌ لِنفسي أنْ أُذَمَّ هكذا فَيَلْقي جزافاً أقْبحَ الطّعْنِ قائلُ
ويُنكر فَضْلي كلُّ غِرٍّ وجاهلٍ ويصغرُ إبداعي صغيرٌ وذَاهلُ
لَخيرٌ وربّي سُخْرُهمْ وضلالُهمْ وذمٌّ لأنواعِ المطاعنِ شاملُ
مِنَ المدْحِ إنْ كان المديحُ دلالة
على الضَّيْمِ ! ... إنَّ الضيمَ للحُرِّ قاتلُ !

لغة العيون

نَظَرَتْ الى شَمْسِ الصَّباحِ ،فلم أَجِدْ
الاّ حنينَ الشَّمْسِ في عَيْنَيْهَا !
فأجابها اللَّحْظُ المشوقُ لأُنْسِهَا
ولِقُبْلَةٍ تَفْتَرُّ عنْ شَفَتَيْهَا !
لُغَةُ العيونِ فليْسَ يعرِفُ سِرَّها
الاّ الذي عرَفَ الحياةَ لدَيْهَا !
وتَنامُ فوقَ الرَّمْلِ جَنْبَ مِظَلَّةٍ
والمَوْجُ يَرْقُصُ في الدنوِّ اليْهَا !
لم تَحْمِ مِنْ وَهَجِ الأشِعَّةِ حينما
حَرَمَتْ نُفوسَ العاطفينَ علَيْهَا
وأبَتْ سوايَ منعَّماً بجمالِهَا في الصَّمْتِ ، توّاقاً الى عَطْفَيْهَا
فنَعِمْتُ مِنْ وَرْدِيِّ جِسْمٍ باسِمٍ
إنْ حَجَّبَتْهُ أطَلَّ مِنْ عَيْنَيْهَا !

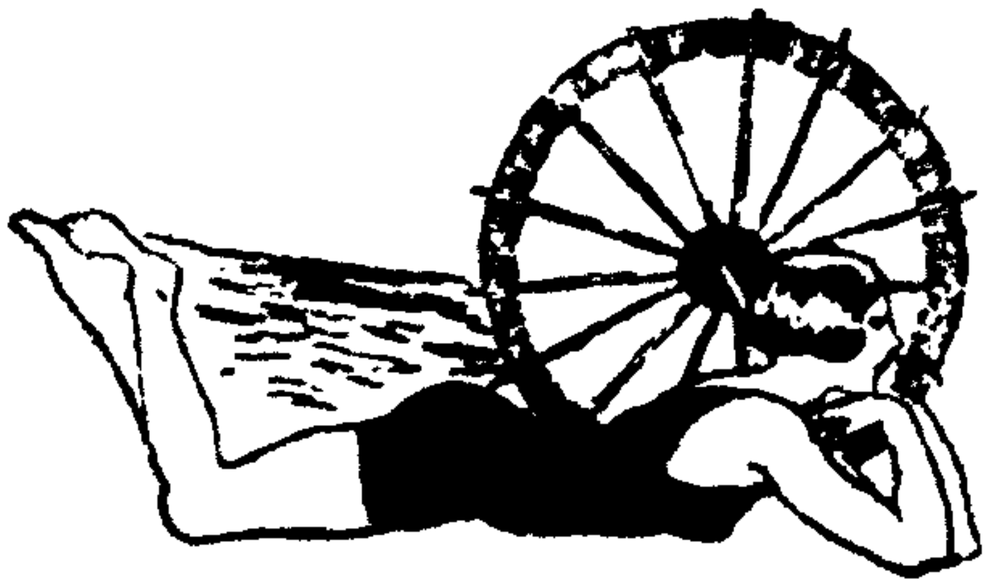

الألعبانه

او البهلوان الفكري

أعباءه (مِصْرَ) وَفيرَةٌ ، وأشَقُّ ما
عانَتْهُ في الأثْقالِ عِبْءٌ بَذيهَا !
نَبذوا التَّعاوُنَ واستَقَلّوا هكذا
دُوَلاً مِنَ الأفْرَادِ تُفْسِدُ فيهَا !
وأتى زَمَانُ « الفِكْرِ » فانقلَبَ الحِجَى
وَهْماً ، وشَرّاً عابثاً بذَوِيهَا !
كَمْ مِنْ دَعِيٍّ في السِّياسَةِ جَنْبُهُ
رَجُلٌ يَبُثُّ مِنَ الظنُونِ كريهَا
ومُعَلِّمينَ تَفَلْسَفُوا وتَشَدَّقُوا يَتَطَلَّبونَ المجْدَ والتَّنْويهَا !
لم يَنْشُرُوا الاّ الضَّلالَ وَهَمُّهُمْ رَهْنٌ لِسَفْسَطَةِ الجِدَالِ يليهَا
فُتِنُوا بأصْنافِ الزَّعَامَةِ حيثما كُلٌّ غدا بالأُلْعبانِ شبيهَا !
ويُسائِلونَكَ عن ضَريبَةِ مجْدِهِمْ والصَّمْتُ أقدرُ ما يَرُدُّ سَفيهَا

« اذا شككت في رجل فلا تصادقه ، واذا صادقته فلا تشك فيه » .

سلامة موسى

السخط والرضى

وكُنْتُ اذا ما الخَطْبُ جاءَ يَنالُني
تَمَثَّلْتُ خَطْباً كانَ في وَقْعِهِ أَقْسَى
فَهَوَّنَ هذا ما أُعاني وقادَني
الى دَفْعِهِ حَزْماً ، وإنْ ضاقني بَأْسَا
فعِشْتُ قريرَ النَّفْس مِنْ صَفْوِ حِسِّها
ومِنْ طَبْعِها هذا غَلَبْتُ بها اليَأْسَا
وما هذِهِ الدُّنْيا سِوَى ما تُحِسُّهُ
فانْ تَتْرُكْ الرَّأْيَ العَبوسَ تَرَ الأُنْسَا
ولو كانتْ الدُّنْيا شَقاءً مُجَسَّماً
رَفَضْتُ بطَبْعي أنْ أرى البُؤْسَ والنَّحْسَا
وأَسْبَغْتُ مِنْ رُوحي عليها هناءةً
فصارَتْ كمِرآةٍ أرى طَيَّها النَّفْسَا !

●□●

وأَسْرَفَ غيْري في التَّشاؤُمِ حاسِباً
بهِ الحِكْمَةَ الكبْرى التي تَرْفعُ الرَّأْسَا !

ولم يَذْرِ فيهِ خَيبةً لابْنِ آدَمِ
وحُكْماً عليهِ أنْ يَدُومَ بها[1] حَبْسَا
وما هذِهِ الدُّنيا سوَى دَارِ نَوْعِهِ
فأَخْلِقْ بهِ أنْ لا يُصَوِّرَهُ رِجْسَا
ولا أنْ يَرَاهَا مُتْعَةً رَهْنَ ذاتِهِ
فَحَسْبُ، ويَنْسَى عَنْ سِواهُ الذي يَنْسَى
اذا شاءَ كانتْ ظُلْمةً طَيَّ ظُلْمةٍ
وإنْ رامَ أعْطَتْ نُورَ وِجْدانهِ قَبْسَا
وإني على فَقْرِي وشَكْوايَ هانِئٌ
كأنِّي مَلَكْتُ الأرْضَ والبدرَ والشَّمْسَا
ولو أنَّني فيها المُسَيْطِرُ لم أزِدْ
نعيماً، وقدْ أُلْقِي أُلُوهِتيَ الرَّمْسَا!

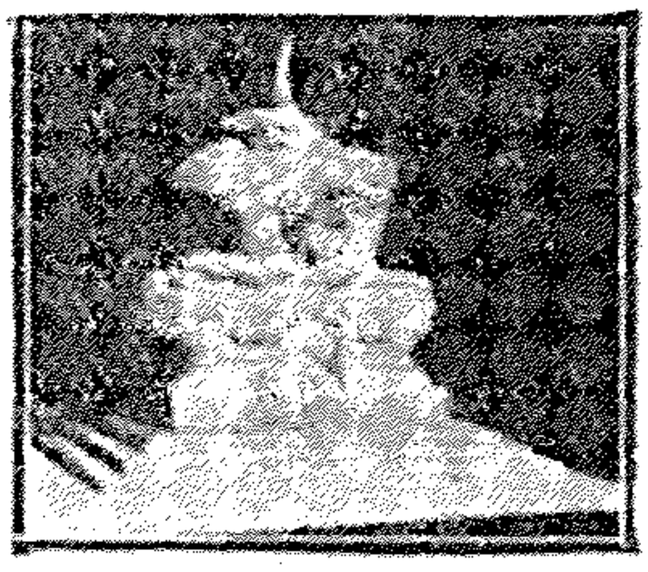

(١) اي بالخيبة .

الزعيم

ما زِلْتُ أذكرُ جلسةً لَهُمُو على أُنْسِ الشَّرابِ
قال الزعيمُ : « أرى الزَّعامةَ دائماً أُسَّ الخَرَابِ
إنَّ الزَّعيمَ بطَبْعِهِ لِصٌّ يَعيشُ بنَهْبِ غَيْرِهْ !
في كلِّ حينٍ ، بينما إيمانُهُ وَهْمٌ كَخَيْرِهْ ! »
فأجابهُ متفلسِفٌ منهمْ وكانَ لهُ حَقُودَا :
أخطأتَ حينَ صَدَقْتَ إذْ مَثَّلْتَ أنتَ الجودَا !
أبداً تُراعينَا بعلْمِكَ جَنْبَ مالِكَ ياصديقي
أنتَ النُّبوغُ وآيةُ العرفانِ والأدَبِ الحقيقي ! »
وأجابَ آخرُ ، هازئاً بالنَّابهينَ الزُّعَماءِ
إلاَّهُ وَاصِفَهُمْ جميعاً بالصِّغارِ الأدْعِيَاءِ !
وارْتاحَ ثالثُ للتَّحدُّثِ عنْ جبابرَةِ العُقُولِ
فرآهُ أوَّلَهمْ وَسَيِّدَ مَنْ تقدَّمَ مِنْ فُحُولِ !
النَّاسُ تقبسُ مِنْ مَعارِفِهِ وتنهلُ مِنْ بَيَانِهْ
وسِوَاهُ مهْما جَل يَصغُرُ عندَ ذِكْرِ جَنْبَ شانهْ !

فجميعُهُمْ حَقًّا دَجَاجِلةٌ بأوْهَامٍ جِسَامِ
إنْ أحسنوا فالفَضْلُ منهُ ومِنْ نبُوغٍ فيهِ نَامِ !
وتَنَقَّلوا بحديثِهِمْ في المستطابِ مِنَ الفُنونِ
حينَ الزَّعيمُ أقَلُّهُمْ نُطْقاً بجدٍّ أوْ مُجُونِ
وأتَى أوانُ الإنْصِرافِ فكانَ أجْهَلَهُمْ بصَحْبِهْ !
وكأنما ثملتْ فلمْ تَسْمَعْ نُقُودٌ مِلْءَ جَيْبِهْ !
ثمَّ انقضى الاسبوعُ قبلَ ظهُورِ طُرْفَةِ نَشْرِهِ
فاذا بها مما رَوَى أصْحابهُ في سُكْرِهِ !

الشاعر الحقيقي مرآة الجماعات ، ومصباح في الظلمات ، وعون في الملمات ، وسيف في النكبات ، يشيد للامم صوراً من الحب والحكمة والجمال والامل .

امين الريحاني

القدّيس

ما كانَ يَرْضَى رَفيقاً سِوَى شُيُوخِ الرِّجالِ
يَأْبَى النّساءَ إباءَ كَخَوْفِ شَرُّ الضَّلالَ
إنْ لم تُصَدِّقْ فهذِي « عَرَّافةُ القَرْيَةِ »
تَرْوي بخَوْفٍ شُذُوذاً لهُ بلا حِيلة .
قدْ رَدَّها وسِوَاها في خَيْبَةٍ بعــدَ خَيْبَهْ
برَغْمِ طُهْرٍ ودِينٍ فمــا تملَّكْنَ قَلْبَهْ !
وليْسَ يَنقُضُ هــذا ما تُذيعُ الحَسْناءُ
فقدْ أتَتهُ لِبُرْءٍ فمــا استعزَّ الدَّوَاءُ !
وما تَزَالُ تَراهُ ما بيْنَ آنٍ وآنِ
لــكنَّ ذلكَ منهُ نَبالَةُ الإِنْسانِ !

« الأدب المصري المحمود هو الذي تنطبع فيه الوان الطبيعة في ارض مصر وسمائها ومائها ، وهو الذي تنعكس على صفحاته اطوار الحياة المصرية بآلامها وآمالها . »

محب الدين الخطيب

الزنبور والنحلة

سألَ النَّحْلَة يوماً بَعْضَ جُودٍ مِنْ شِهَادِ
قالتْ النحلةُ : « مَالي أيُّ برٍ بالأَعَادِي ! »
قال: « لو كُنْتُ عَدُوّاً ما اكتَفَيتْ بالسُّؤَالِ
وتمكَّنْتُ قديراً مِنْ مَرامي في جَلاَلِ
وأنا الآنَ بصِدْقٍ نَمَّ عن صِدْقِ الوفاءِ
أسألُ النَّحلةَ هلْ ترضَى بمنحي وعطائي ؟
لستُ في حاجة بؤسٍ ... انما جئتُ امتحانَا
لأرى كيفَ ألاقي في وَفائي الامتهانَا ! »
قالتْ النَّحْلةُ : « شُكراً انحنُ في خَيرٍ ونِعْمَهْ ! »
فمضى بَعدَ يقينٍ زادَهُ علماً وَحِكْمَهْ.

ومضى الأسبُوعُ حتى صارَ مُلْكُ النَّحلِ شَهْدَا
فأتى الزُّنبُورُ ، لكنْ جاء في جَيْشٍ أَعَدَّا !

السكوت البليغ

وإنّي الذي يُصْغِي الى كلِّ ناقِدٍ
ولو كانَ جلُّ النَّقْدِ في طَيِّهِ الجَهْلُ
فيا رُبَّمَا أَلْفَيْتُ نُوراً لدى أَمْرِىءٍ
ضَرِيرٍ ، وإنْ حاكى طَبيعتَهُ اللَّيْلُ!
فيخْدَعُ هذا الرُّشْدُ مَنْ ليسَ عارفي
ويُصْغِرُ فَضْلي حينَ ليسَ لهُ فضْلُ
ويَحْسَبُني النُّقَّادُ أَجْهلَ مَنْ مَشَى
على الارْضِ ، لكنْ نَقْدُهُ مالَهُ عَذْلُ!
فيَسْخَرُ مني جاهلاً ، وسكينتي
لأَبلغُ في سُخْري ، ولو أنّهُ يَغْلُو!
مكانةُ نَفْسي عِنْدَها قبْلَ غيْرِها
وَهِمَّةُ نَفْسي فوْقَ حاسِدِهَا تعْلُو
أعيشُ بقُرْبِ الأدعياءِ ، ومَنْ يَعِشْ
كعَيْشي اضْطراراً فالسكُوتُ لهُ قَوْلُ!

وأَوْلىٰ بمثْلي أنْ يُعابَ ولا يُرَى
كرَجْعِ الصَّدَى للْجهْلِ إنْ نَطَقَ الجَهْلُ!

أكرم نعت

الى لطفي بك السيد

نُودِيتَ « لطْفي الفَيلسوفَ » ، ومَا
نُودِيتَ بالأوْفىٰ مِنَ الذِّكْرِ
كم مِنْ تَعاليمٍ وفلسفةٍ
لم تكْفِ للإجلالِ مِنْ قَدْرِ
وأرَى عُلاكَ الفخْمَ أنْ تُدْعىٰ
حامي عُلىٰ حُرِّيَّةِ الفِكْرِ !

كوخ الريف

في مقْبلِ الاعْوَامِ حينَ تَرَاهُ مَثَلَ الجَمالِ المُستَعِزِّ ثَرَاهْ
ومُسِنَّةُ الجَمّيزِ تَلثِمُ سَطْحَهُ ومِنَ النَّظَافَةِ والنِّظَامِ حُلَاهُ
والماءُ مَوْفُورٌ لَدَيْهِ مُوَزَّعٌ في حُسْنِ هندَسَةٍ تَزِيدُ غِنَاهُ
والبائِسُ الفَلَّاحُ غيرُ سَمِيِّهِ فاتَ السَّوائِمَ واستطالَ رَجَاهُ
يَحْيَا حَياةَ الآدَمِيِّ مُنَعَّماً وبَنُوهُ أَعْوانٌ لَهُ أَشْبَاهُ
فهنالَكَ اذْكُرْنِي بِرَحْمَةِ ذاكِرٍ حُيِّيَ لمنْ أحياهُ ثمَّ رَعَاهُ
إنّي أعيشُ كمُجْرِمٍ في بيئَةٍ قَتَلَتْهُ[1] ثمَّ أَبَتْ عليَّ رِثَاهُ!

(١) أي الفلاح .

طاقة زهر

دَعَا اليـهِ فريقاً مِنَ الغواني الحِسَانْ
وبَعْدَ شَمٍّ وَلَثْمٍ كشَمِّ زَهْرِ الجِنَانْ
ولَيْنَ مِنْ غيْرِ ذِكْرَى سوى وُرُودِ الإِنَاءْ
فشأنُهـــا لِذُبُولٍ وإِنْ أُطِيلَ الرَّجاءْ !
وما لطَاقَةِ زَهْرٍ تُنَالُ خَلْفَ السُّتُورْ
جَمـالُ زَهرٍ نَقِيٍّ في رَوْضِهِ المَعْمُورْ !

الطفولة

مَنْ مُرْجعي لِزَمَانٍ لَهَوْتُ لَهْوَ الصِّغَارْ
ولَوْ يُخَفَّضُ حَظِّي عن الحُظُوظِ الكِبَارْ؟

اذا تأمَّلْتُ ماضي عُمْري الحزينِ السَّعيدْ
وَدَدْتُ عَوْدِي كطِفْلٍ يَحْيا بِعيدٍ وعِيدْ
وقدْ أراني حَسُوداً حتى لتِلْكَ الكُرَهْ
فللطّفولةِ رُوحٌ فيها وإنْ لم تَرَهْ !

استفتاء

سُئِلْتُ : أيُّ الغواني أَحَبُّ للشّاعِر
أَمَنْ رَقَصْنَ كَحُلْمٍ بجَنَّةِ الخاطِرِ ؟!

أَمْ مَنْ لهـا فِتْنَةٌ بِشَعْرِهَا المَسْجَدِي
وعَطْفِ ثَغْرٍ حَلاَ ونُورِ وَجْهٍ نَدِي ؟!

أَمْ مَنْ لهـا نَضْرَةٌ بجِسْمِهَا المُسْتَطَابْ
ومَنْ! لهـا نَظْرَةٌ تُعِيدُ مَيْتَ الشَّبَابْ؟!

أَمْ التي أَتْقَنَتْ رِياضَةَ وَرَشَاقَهْ

ولمْ تُنِلْ عاشِقاً سِوْى خيالِ الصَّدَاقَهْ؟!

فَحِرْتُ مِنْ فَرْطِ حُبّي لراقِصاتِ الفنُونْ
الواهِباتِ لِمِثْلي معَ النَّعيمِ الفتُونْ!

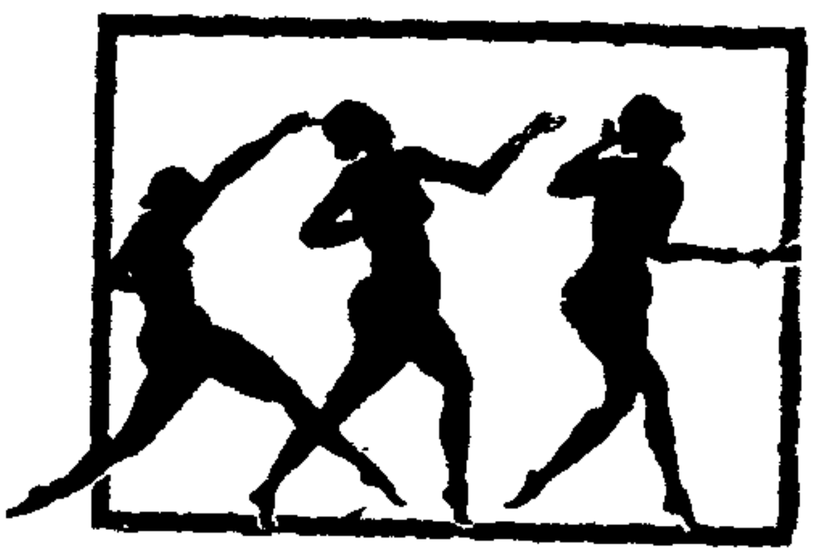

لٰكنْ عَواطِفُ لبِّي أَمْلتْ عليَّ اليقينْ
فقلتُ: لي كلُّ هذا بِصَفْوِ بَيْتي الأَمينْ!

القافلة

أرَانِي وما حُمِّلْتُ للنَّاسِ دَائِباً
كقافِلَةٍ لَمْ يَبْقَ الاَّ دَليلُهَا !
يَصُونُ حُمُولاً في أمانةِ مُخْلِصٍ
ولا يَنثني حتى تُوَفَّى حُمُولُهَا
فهلْ عابني أنّي الوَفِيُّ لمبْدِئي
وعَهْدُ المبادِي أنْ يَخُونَ خَلِيلُهَا ؟
وهلْ مُصْغِرِي جُهْدِي الطّويلَ وإنْ عَدَتْ
عَوادٍ ، ولا عَوْنٌ سِوايَ يزِيلُهَا ؟

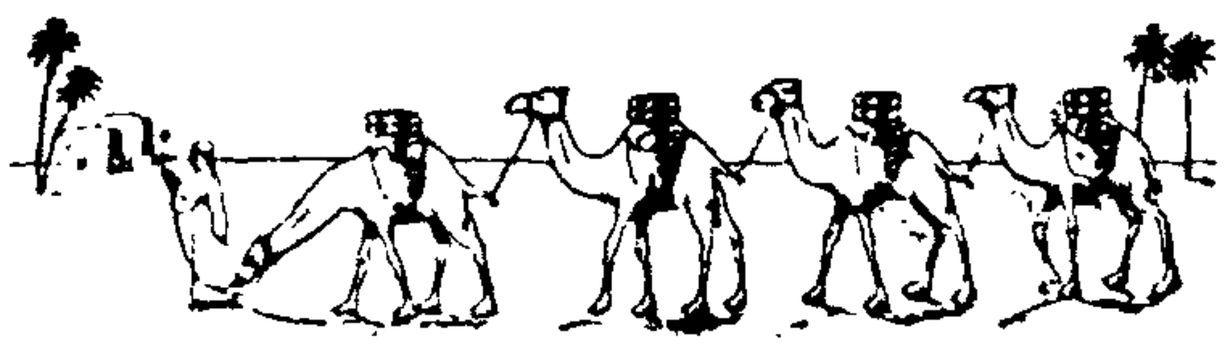

«ان مسئولية الامة في أدبها قد تكون في كثير من الظروف اعظم من مسؤوليتها في سياستها العامة . . . ولا نكاد نتصور تنافياً بل ولا تعارضاً بين ان يكون لمصر أدب مصري ، وبين ان يكون لمصر مع سائر الشعوب العربية ادب عربي » .

محب الدين الخطيب

خمر الطبيعة

أنصفتِ .. ما خمرُ (الطبيعةِ) إنْ جدتْ[1]

إلاّكِ حينَ الماءُ بينَ يديكِ !

هاتيهِ يروي غُلّةَ الصبِّ الذي

يحييهِ لثمُ الحبِّ في كفّيكِ !

وأنا الجريحُ ، وللجريحِ اذا هوى

حقٌّ منَ الإشفاقِ ريمَ لديكِ

ظمئي الى هذا النمير وقدْ جرى

لحنُ الغديرِ بما يطيبُ اليكِ

ظمأُ الصريعِ ، وقدْ تمثلَ حبُّهُ

في الماءِ ، فاستعجلْ[2] بهِ شفتيكِ !

◆

فتبسّمتْ وأبتْ ! .... ولكنْ قبّلتْ

ثغري كشهدٍ بثّ عطرَ لِيَكِ[3] !

---

(١) جدت : سخت . (٢) استعجل : استكشف .

(٣) هو الليلق او اللعلي او الليلاك ، ويسمى بالفارسية ليلج ، وبالانجليزية Lilac وهو زهر قرمزي وبنفسجي جميل .

فأفقتُ مِنْ حُلْمي الشَّهِيِّ مقبّلاً
خدَّيْكِ ، ثمَّ مداعباً عينَيْكِ !
لم أدْرِ أيُّهما الأَحَبُّ : أيقظةٌ
أمْ ذلكَ الحُلْمُ المُطِلُّ عليْكِ ؟ !
فكلاهُمَا حُلْمُ الجِنانِ ، فَحَقِّقي
وَعْدَ الجِنانِ ، فهجتي بيدَيْكِ !

« العبادة استغراق العابد في المعبود : هي نوع من الفناء يرضاه الانسان طائعاً مختاراً ، لانه يشعر فيه بلذة كبرى هي لذة انضمام الجزء لصورة من الكل الاعظم الذى يصوره من الوجود لنفسه ، وهؤلاء الذين يعبدون ويفنون في عبادتهم هم الشعراء حقاً » .

محمد حسين هيكل

ما هو الحسن ؟

ما هو الحُسْنُ ... ليْسَ غيْرَ شُذُوذِ
في اتّساقٍ يُجاذِبُ الإِنْسَانَا !
نِصْفُهُ يُلْهِمُ الحيـــــاةَ لآتيـ
ـهِ (١) ، ونِصْفٌ مُمَثِّلٌ ما كانَا (٢)
(فالجمالُ) الحياةُ في مَزْجِ دَوْرَيْ
ها بذِكْرَى تُنَعِّمُ الوِجْدَانَا
وهوَ في (الفَنِّ) حيثُ كان لأنَّ (الـ
ـفَنَّ) دُنْيَا تُمثلُ الإِحْسانَا !
يَتَمشَّى مَعَ (الجمـــالِ) قَريناً
ويَبُثَّانِ للحيـــــاةِ البَيانَا !
وظِلالاً مِنَ المعاني التي تُو
حِي أَندِماجاً في كَوْنِنَا وافْتِتَانَا !

---

(١) يقصد سمو الحياة الآتية المطردة الجمال .

(٢) يقصدالفطرة الطبيعية المحبوبة في ماضيه .

وتجلَّيْتِ ياحيـــاتي بِرَقْصٍ
زَفَّ للنَّفْسِ نِعْمَةً وحَنَانَا
حيثُ أمْسَيْتِ أنْتِ لمعةَ نُورٍ
وَتحوَّلْتِ للنُّهَى أَلْحـــانَا
كم رُمُوزٍ لهـــا وكَمْ مِنْ مَعَانٍ
وآفْتِنَانٍ لهـا يَسُوقُ افْتِنَانَا
فاذا أنتِ لي الألوهةُ في (الُحسْـ
ـنِ) وفي (الفَنِّ) تَبْعَثُ الفَنَّانَا !

« اقل الكائنات احساساً بوجوده الخاص اكثرها سلامة اندماج في وحدة الوجود ، واكثرها لذلك طمانينة وسعادة »

محمد حسين هيكل

عند الشاطىء

(١) الاصل لصاحب الديوان

مَرِحْنَ والمـاء أيضاً في نشوَةٍ مِنْ رِاحْ
عرفْنَ للحُسْنِ فَرْضاً إحْسانَهُنَّ المُباحْ
فكان في المـاءِ عَوْمي تجديدَ فاني الحَيـاهْ
والمـاء يُغْرِقُ هَمِّي اذا حُرِمْتُ الشِّفَاهْ !
قدْ ذابَ فيهِ الحَنَانُ ومُسْتَطابُ الضِّياءْ
فشاقَ منهُ البيانُ وراقَ فيهِ الرَّجاءْ !
وقلتُ للصَّحْبِ : « هذا شِعْرٌ لِلُبِّي ونفسي !
لا تسألوني لماذا إحساسُكمْ غيرُ حِسِّي
فكلُّ رُوحٍ أصابَتْ مِنْ أُنْسِهَا ما تَرَاهْ
فانْ سَلَتْ ما أستطابتْ مِنْ قَبْلُ وَلَّى سَنَاهْ !
و(الشِّعْرُ) عندي الشُّعورُ وعَطْفُ هذي (الطبيعَهْ)
وفي التَّفَانِي الحُبُورُ ومُلْكُ نفسي الوَدِيعَهْ ! »

(٢) الترجمة الانجليزية للاديب الفلسطيني هاني قبطي

AT THE SHORE

In spirits high they rolled along ;
The sea, too, merry with therong .
Their beauty fair they deemed must be
A cause for their joviality .
Then, as I swam , I too began
To feel the life long passed and gone .
My grief was drowned beneath the sea :
Grief from the lips denied me .
Affection in it was dissolved ;
And hope appeared to be resolved .
For this will surely me condole
' Tis Poetry to my heart and soul .
So do not ask me this, my friends :
Why your own feeling mine contends ;
Since every soul receives of joy
What it believes it would enjoy ;
And once forgot what once held dear ,
The object, charming thó, looks drear .
And Verse to me is but a sense
To Nature's sympathy, immense .
In this compound lies joy : I call
The kingdom of my modest soul .

النفحتان

وسُئِلْتُ : «أيُّهُمَا الأَحَبُّ اليكَ في
وَقْعٍ ، وفي لُطْفٍ ، وفي إيناسِ :
نَغَمٌ لموسيقى العَواطِفِ هكذا
تَسْتافُ مِثْلَ يتيمةٍ في الكاسِ ؟
أمْ مُتْعَةُ الرَّقصِ الجميل مُعَبِّراً
عنْ أجملِ الأَحْلامِ والإِحْساسِ ؟»
فأجَبْتُ : «كِلْتا النَّفْحَتَيْنِ كأُخْتِهَا
للشَّاعِرِ المستوعبِ الحَسَّاسِ
ما هذِهِ الحَسْناءُ في نَظَري وقدْ
فَتَنَتْ برَقْصتِهَا شُعورَ الناسِ
الاَّ مُنى الأَلحان والأَشْعار ، لا
صُوَرٌ منَ الحُسْنِ الرَّشيقِ البَاسِ

وكأنما عَيْنايَ في نظَري لهـــا
سَمْعي، وهذا الجسْمُ عَزْفٌ آسي
وكأنها اندَمجَتْ بألحانٍ سَمَتْ
فَنَسِيتُ صُورَتها ولستُ بناسي ! »

« الفن نبيل ، ولكن قدس النفس الانسانية أنبل منه . »

(و . وتر – W. Winter)

« يتالف الفنانون من ثلاث طبقات : اولئك الذين يدركون الخير ويتبعونه تاركين الشر ، واولئك الذين يدركون ويتبعون الخير والشر معاً اي الموجود بكليته كما هو ، واولئك الذين يدركون ويتبعون الشر عازفين عن الخير » .

(رسكن – Ruskin)

موت اسكيليس

The Death of Æschylus

يَرْوُونَ عن مَوْتِ (إسكيليس) حادِثة [1]

عَجيبةً لم تَقَعْ قَبْلاً لإِنسانِ

إذْ قد رَآهُ عُقابٌ ظَنَّ صُلْعَتَهُ

صَخْراً ! وقد يُخْطِيءُ السَّامي بِحُسْبانِ

فَثَمَّ أَلْقَى عليهِ غَيْلماً لِيَرَى

تَصْدِيعَ قِشْرَتِهِ تصديعَ إتْقانِ !

فلم يَفُزْ بِمُناهُ حِينما كُسِرَتْ

رَأْسُ الدِّرَامةِ في عَلْيَاءِ (يُونَانِ) !

---

(١) هو الروائي التراجيدي العظيم الذي نبغ قديماً في يونان وعرضت أولى رواياته التمثيلية سنة ٥٠٠ قبل الميلاد . ولم يسلم من الضياع من تآليفه التسعين سوى سبع روايات حداها أغاممنون (Agamemnon) التي مانزال معدودة عند كثير من النقاد اعظم رواية تراجيدية ألفت في جميع العصور بالنسبة لقوتها المؤثرة . وقد خلفه سوفكليس (Sophocles) في الشهرة في اواخر اعوامه . وهما يكونان مع يوريبيدس (Euripides) ثالوث النبوغ التراجيدي بين مؤلفي يونان القدامى ، كما نبغ ارستوفانس (Aristophanes) في التأليف الهزلي البليغ . وكانت تآليفهم جميعاً بالتناوب فخر المسرح الديونيسي (Dionysiac Theatre) العظيم في اثينا .

لو صَحَّ هذا وعادَ الأَمْسُ يَسألني
لَقُلْتُ دُونكَ أحجاراً لِعُقْبانِ !

هذِي رُؤوسٌ تهادَى الأدْعياءُ بها .
وخَيْرُ ما حَمَلَتْهُ مَحْضُ بُهْتانِ !

كُلٌّ يرَى غيْرَهُ أهْلاً لِسُخْرِيةٍ
ويَحْسَبُ المَكْرَ إعجازاً لِفَنَّانِ !

ويَعْرِفُ الودَّ إثماً ، والإخاءَ رَدَى
وأقْبحَ الذُّلِّ أنْ يَحْيا كمِعْوانِ !

مُفاخِراً بذُنُوبٍ لا عِدادَ لها !
وكلُّها صُوَرٌ مِنْ طَبْعِهِ الجاني

حتى غَدَوْنا نَرى أنَّ الزَّعيمَ له
حَقُّ التفَرُّدِ في إثْمٍ وعُدْوانِ !

وأنْ يَعيشَ لِتَغْريرٍ ، ومَنْفعةٍ
لِنَفْسِهِ ، لا لآدابٍ وعِرْفانِ !

رأى الزَّمانُ مُحَالاً بَعْثَ مَنْ فُقِدَتْ
فيهِ رَجاحةُ جَبَّارٍ وإيمانِ
فصارَ يَسْخرُ مِنْ دُنيا بها رُفِعَتْ
هذِي الشُّخُوصُ وكانتْ شِبْهَ أَوْثانِ!
تَقاتَلَتْ لِظُهُورٍ في زَعامَتِهَا
وَنَفْسُهَا حَجَرٌ لا نَفْسُ إنْسانِ!

الصفائر

هيهاتَ ـ مَهْمَا طاشَ حُكْمي ـ أنْ أرَى
مَنْ يَسْتَهِينُ بمُستَعِزٍّ جَمَالِ
أن لا أُفتِّشُ عنْ عُيوبِ النَّاسِ ، بَلْ
أنا مَنْ يُفتِّشُ عن جميلِ خِلَالِ
فأذيعها ، وكأنَّها هي مِنْ سَنَا
نَفْسي ، ومِنْ حِسِّي ، ومِنْ آمالي!

ويُكالُ لي طَعْنُ اللَّئيمِ ، وربما
جازَيْتُهُ مَدْحاً لُحِسْنِ مَقالِ !
ضَمِنَ اللِّئامُ نزاهتي فتفنَّنُوا
فيما يُصَغِّرُ قيمتي وفِعالي !
وأعافُ الاَّ أنْ أدافعَ - إنْ قضى
حُكمُ الكرامةِ - في شُعورِ مُوالِ !
حتى اذا أنتهتْ العواصِفُ لم تَجدْ
الاَّ تَبَسُّمَ خاطِري المُتعالي !
مَنْ عاشَ في أسْرِ التَّصَنُّعِ هازئاً
بالناس لم يَغْنمْ أقلَّ جلالِ !
وأرَى الذي يَحْيا لأَسْمَى فِكْرَةٍ
أسْمَى مِنَ النُّقَّادِ والعُذَّالِ
تَفْنَى الصغائرُ ، والعظائمُ وَحْدَها
تَبْقَى برَغْمِ دَسائسٍ وضَلالِ
ومآلُ هذِي الأَرْضِ حُسْنٌ دائبٌ
ومآلُ شَرِّ الأَرْضِ شَرُّ مَآلِ .

الشمم

اذا جاءَ (بَاخُوسُ)[1] العظيمُ مُبَشِّراً
بأُنْسي مَتَى طأَطَأْتُ في حِيَلٍ رَأْسِي
فأيّي أردُّ الكأسَ غيرَ هنيئةٍ
فما لذَّتي في الكأس إنْ صَغُرَتْ نَفْسي
خُلِقْتُ عَيُوفاً لا أرى غيرَ مُهْجتي
دليلي ، ولا غيْرَ العفافِ بهِ أُنْسي
وما مَجْدُ نَفْسي غيْرُ نَفْسيَ وَحْدَها
ولا حَظها غيْرُ المَكَرَّمِ مِنْ حِسِّ
ويَلْبسُ غيْرِي مَظْهرَ الزَّهْوِ باطِلاً
ويَبْدُو لمثْلي مَظْهرُ الزَّهْوِ كالرِّجْس

---

(١) باخوس (Bacchus) : هو اله الخمر والمرح عند الرومان ، ويقابله الاله (ديونيسس ـ Dionysus) عند الاغريق ، وهم الذين كانوا من اجله يقيمون مواسمهم التمثيلية الشهيرة التي كانت تعد في منزلة الواجبات الدينية المقدسة . فكان ذلك من اسباب نهضتهم بالتمثيل .

غَنِيتُ بما في النَّفْسِ مِنْ ثَرْوَةِ العُلى
وخَلَّيْتُ أهْلَ اللَّوْمِ في الزَّهْوِ واليأْسِ
دَخيلةُ لُبّي مَظْهَري عِنْدَ نابهٍ
وفي أدبي مَجْدِي ، وفي دَعتي بأْسي !

الهلال

الصغير المحتقر والانس الفقيد

زَهَا جميــلاً كمولودٍ يُهَشُّ لهُ
فقلتُ للصَّاحبِ المشغولِ بالكُتُبِ :
انْظُرْ صديقي ! تأمَّلْ ! فالهلالُ زَهَا
ونَظْرَةٌ فيهِ شِبْهُ الوَحْيِ مِنْ أدَبِ !
فقال : « دَعْني وشأني الآنَ ! ليس لما
تَشْتاقُهُ أنتَ شَوْقي أوْ مَدَى عَجَبي »

وأنكبَّ يقرأُ ما ضَمَّتْ صحائفُهُ
مِنَ الجِدَالِ على همٍّ وفي تَعَبِ
حِينَ انْقَطَعْتُ الى مَرْأًى نَعِمْتُ بهِ
أُراقبُ الغَرْبَ في إحْساسِ مُنْجَذِبِ
فجاءَ بَعْدَ زمانٍ صاحِبي لِيرَى
أُنْسي ، فما جاءَ الاَّ إثْرَ مُغْتَرِبِ !

أُدباؤُنا

مِنْ حَقِّهِمْ نَفْحُ (الأُلمپِ) فكلُّهُمْ
أوْلَى بما يُسْمِي مِنَ الأَلْعابِ !
كيْ يَعْرِفُوا مَعْنَى البُطُولةِ والعُلَى
وهُدَى التَّعاوُنِ بَعْدَ طُولِ سِبابِ
ويُعَلَّمُوا سِرَّ الرُّجولةِ بَعْدَ ما
عَبدوا الصَّغائِرَ في أذًى وخَرَابِ
ويُلَقَّنوا الإنْصافَ بَعْدَ تخاذُلٍ
وشَريفةَ الآدَابِ بعد مُصابِ

حسِبوا المفاخرَ في قبيحِ شُذُوذِهِمْ
وتفرّدُوا سُوءًا بكلِّ عُجَابِ
فلو اغتدَيتُ لدى الحكومةِ منْقِذاً
لَشَغَلْتُهُمْ بمحبَّةِ الأَلْعابِ !

الصرصور

خافتْ من الصُّرْصورِ حتى أقْسَمتْ أنْ لا يَعيشَا !
فَتَشَجَّعَتْ وأتتْ بماءٍ ساخنٍ يَقْضي عليْهِ
ورَمَتْهُ(١) عنْ بُعْدٍ عليهِ بفَرْحَةٍ للانتِقَامِ !
وبحسِّ مَنْ يَقْضي على خصمٍ لدودٍ مُجرمِ !
لكنَّهُ في وَثْبةٍ قدْ طارَ نحْوَ قميصها
واذا بآخرَ وقتَها قدْ طارَ نحوَ النافذَهْ
ثمَّ استطابَ رُجوعَهُ وسُقوطَهُ فوراً عليْها !
فمضَتْ تَصيحُ وكلُّها هَلَعٌ مِنَ الخِصمَيْنِ !

(١) اي الما.

ثأر الموت

رثاء العلامة الدكتور صَرُّوف

نظمت هذه الزفرة الحارة والدموع الحزينة يوم وفاة هـذا الرجل العظيم

« يا خَصيمَ (الحَياةِ) بدَّدْتَ نُورَا
أمتعَ (الفِكْرَ) لَذَّةً وحُبورَا
يا عَدُوَّ (النُّبُوغِ) يا إِلْفَ حِقْدِ
أيَّ وَقْدٍ [1] أَثَرْتَه ؟ أيَّ وَقْدِ ؟ !
في زمانٍ يَشُذُّ [2] فينا العظيمُ
كيفَ يُوفي الرثاءَ دَمْعٌ نظيمُ ؟
ليْسَ شِعْري سِوى عَوَاطِفِ نَفْسي
وهُوَ قدْ خانَ جازِعاً وَصْفَ حِسِّي
ولَهُ العُذْرُ أيُّها (المَوْتُ) حَقًّا
عُذْرُ مَنْ صَارَ بالتَّأَمُّلِ يَشْقَى
أيُّ عُذْرٍ لدَيْكَ أنتَ لِتَجْني
عابثاً (بالذَّكاءِ) ؟! .. فِيمَ التَّجنِّي ؟! »

---

(١) وقد : نار . (٢) يشذ : يندر .

قالَ لي (المَوْتُ) هامِساً في خُشُوع :

« بعضَ هذا فما الحِجى للدُّمُوعِ !

لَسْتُ والخالقِ (الطَّبيعةَ) الأَ

مُخْلِصاً للحِجى ، وللحَمــدِ أهْلاَ !

إنَّ ثأري مِن (الحَياةِ) انْتِقَالي

بالأَعَزِّ النفيسِ شطرَ الجَلالِ !

فهيَ مهما أفادَها لنْ تُؤدّي

حَقَّهُ الفَخْمَ مِنْ جلالٍ وَمَجْــــدِ

كلُّ ذَنْبي الوفاءُ (للعَبْقَريَّهْ)

وانتِقالُ (الذَّكاءِ) و (الأَلمعيَّهْ)

أنشرُ (الفكرَ) في (العوالمِ) شتّى

بعدَ عمرٍ ، فيبعث (الفِكرُ) مَوْتى

فدعْ اللَّوْمَ ! انَّ لَوْمَكَ جَهْلُ

إنَّ لُغْزَ (الوجودِ) صعْبٌ وسَهْلُ

وجديرٌ بكَ الصُّمُوتُ طويلاَ

مِنْ مَلاَم أراهُ جهْلاً وبيلاَ

أوْ وثوقٌ بغَيْرَتي للصلاحِ
وانتهاجٍ (الحياةِ) سُبْلَ النجاحِ
فتأمّلْ مُدَقّقاً ، وتأمّلْ !
كم وراءَ (الحياةِ) في الخُلْدِ مأ ملْ ! »

●▭●

هٰكذا قالَ ... وهوَ قَوْلٌ عجيبُ !
ليتَ شِعْري بما يُجيبُ الطّبيبُ ؟!
وأنا الحائرُ الذي ضاعَ رُشْدِي
بينَ فِكْرٍ وبينَ جُهْدٍ وجُهْدِ !
فَقْدِيَ اليَوْمَ مِثلَ (صَرُّوف) يُودِي
باصْطِبَاري على صُرُوفِ الوجُودِ
فأنا الثّائِرُ الذي لا يُبالي
بعدَ هٰذا بما تَشاءُ اللّيالي !
أوَلَسْنا ضَحِيّةً للخِصامِ
بين (عَيْشٍ) وبينَ جأي (الحِمامِ) ؟!
ياقيدَ العلومِ والحِذقِ خَطْبي
في معاليكَ خَطْبُ فِكْري ولُبّي

هَدّني هكذا نَعِيُّكَ [1] هَدَّا فمضتْ مُهجتي تُمجِّدُ لَحَدَا
وَمَضى هـكذا وَفائي بشِعْري ناشرَ العَرْفِ مثلَ باقةِ زهْرِ
وُضِعَتْ فوقَ نَعْشِكَ البَسّامِ لنُوَاحِ الوَرَى ودَمْعِ الأنامِ
وغَدَتْ رَمْزَ غضبتي ثمَّ حزْني
لضياعِ (الإنْسانِ) في كلِّ قرن
وخَفاءِ (الحقيقةِ) الأزَليَّهْ وجَهالاتِ هذهِ (البَشَرِيَّهْ)
ليتني ما خُلِقْتُ في النَّاسِ حتى
لا أرى غايةَ (العظائمِ) مَوْتا !
و (الجَنَانَ) الذي تألَّقَ وَحْيًا
بعدَ عُمْرٍ مقيَّدٍ ليسَ يَحْيَا !
و (البنانَ) الذي يُنضد دُرًّا
زينةَ (الفِكْرِ) ليسَ يُشْغِلُ فِكرَا
(والحكيمَ) الذي يُناضِلُ جيلاً
ناصِرَ (العقل) قد تردَّى [2] قتيلاً !
قَتلتْهُ (الأيامُ) رَغمَ انتباهِ
رَغمَ طبٍّ ، ورَغْمَ مالٍ وَجاهِ !

---

(١) نعيك : ناعيك . (٢) تردى : سقط .

وتُرِكْنَا نَرَى (الحياةَ) السَّخافَهْ
ونرى (الموتَ) بَعدَها كالخرافهْ !

إصفحْ اليومَ عن ضياعِ (التفاؤُلْ) !
كيفَ تُرْضَى المُنى ويَبْقَى التَّساؤُلْ ؟!
حبنَ أرثيكَ لست أرثيكَ فَرْدَا
بلْ (ذكاءَ الانسانِ) مَعنًى وَعَدَّا
ونُواحِي عليكَ بِرٌّ بنفسي
فيكَ مِرآةُ كلّ ما شاقَ حِسِّي
وأُعَزِّي أهليكَ بَيْنَا المعزَّى
قَبْلَهم شاعرٌ أبَى أنْ يُعَزَّى !

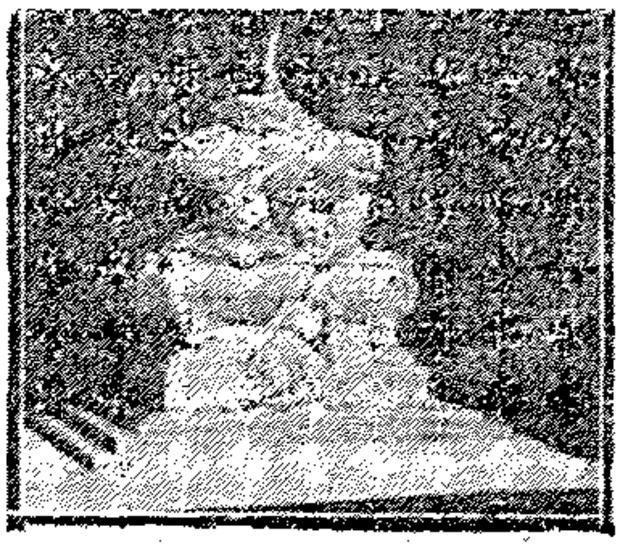

« ثم ار كالشرقيين رجالا تكمن القوة في أفرادهم ، ويظهر الضعف في مجموعهم »
حافظ ابراهيم

صَرُوف

نظمت هذه القصيدة الكبرى في اواخر يوليو سنة ١٩٢٧ تأبيناً لعميد (المقتطف) الدكتور يعقوب صروف لمناسبة ذكرى الاربعين لوفاته .

كَوَّنْتَ ألباباً وسُسْتَ عقُولاَ فتلقَّ أنتَ وَفاءَهَا المعقولاَ
ودَرَسْتَ فلسفةَ (الحَياةِ)، وزِدْتَها
شَرْحاً ، فحيَّ بيانَها المأهولاَ
في العيش مثلَ الموتِ عمرُكَ هكذا
عُمْرٌ يزيدُ على التألُّقِ طولاَ
إنْ أنْسَ لا أنْسَ الوَداعَ وحُرْقةً
في النَّفْسِ أوْرَثتْ الجَنَانَ ذُهُولاَ
فسخطتُ مِنْ غَدْرِ (الطبيعةِ) ناسياً
سُنَنَ (الطبيعةِ) والحَياةَ الأُولَى
صَنْحاً ، فتَدْرُكَ في مقامِ تَجلِّي
أبداً ، ولنْ يَلْقَى لديَّ أُفُولاَ
وأنا الذي ناجاكَ طُولَ حياتِهِ وقد انتقلْتَ ولم أزلْ مَشْغُولا
بالأَمسِ حيَّرني الفراقُ وهَدَّني واليَوْمَ تُلْهِمُني الصَّوابَ حُلُولاَ

فأراكَ في هــذا الوُجُودِ أُشِعَّةً
وعقيــدَةً ومآثراً ومبُولاَ !
صُوَرٌ تَبِينُ لباحثٍ متبصِّرٍ
وتعافُ مَنْ خَذَلَ الحياةَ جهُولاَ !

(صَرُّوفُ) ـ والدُّنيا حديثُ ضيافةٍ ـ
قد كنتَ للبذْلِ العظيمِ رَسُولاَ
مِنَحٌ مِنَ الآدابِ والعلْمِ الذي
تَرَكَ الوُجُودَ مُهذَّباً مصقولاَ !
دَعْني أُحَدِّثْ عن خلالِكَ أوَّلاً
فالمرءُ كانَ بخُلْقِهِ مكْفُولاَ
لا خيْرَ في أدَبٍ لَمَنْ لم يتّخِذْ
مِنْ طَبْعِهِ طَبْعاً ومنهُ أُصولاَ
وحَيِيتَ أنتَ بنَهْجِ خُلْقِكَ مُؤْمِناً
وعُرِفْتَ للقولِ السديدِ فَعُولاَ
فسكَنْتَ في بُرْجِ الجلالِ مؤهَّلاً
ورقيتَ إيمــاناً ، وجُزْتَ فُحُولاَ

خُلُقٌ يَنُمّ عن الأزاهرِ للشّذى
عرْفاً ، ولكنْ لا يُصيبُ ذُبُولاَ

يَعتزُّ بالإخْلاصِ في إحْسانهِ فندُوم نَعْشقُ حُسْنَهُ المبْذُولاَ
جَمُّ التّواضُعِ في كرامةِ عالمٍ تَخذَ التّواضُعَ سَتْرَهُ المقْبُولاَ
متبسِّمٌ لجليسِهِ في هزَّةٍ تَسْقي الحديثَ مُرَنَّقاً معسولاَ

شُمُّ الخلالِ وديعةً وكَريمةً
مِثْلُ الجِبَالِ اذا انْحَدَرْنَ سُهُولاَ !

مِثْلُ (الطَّبيعةِ) في تبَسطِ لُطْفِها
نَشَرَتْ على بُسُطِ المُروجِ غَسُولاَ(١)

وحَبَتْ مُجَمَّلَةَ النّمارِ شَهيَّةً عَرَضاً ولم تترُكْ لنا مأمولاَ

كانَ المحدّثُ لا يملُّ إطالةً
وعُصِمْتَ مِنْ طَبْعٍ يُعَدُّ مَلُولاَ

كالنبْعِ جيَّاشاً بمُتْعَةِ عاشقٍ لحديثِهِ ، أو كالبوَاسقِ طولاَ
تحْنو على النُّظَّار عندَ تأمل وتجيبُ ما بقي السؤالُ سَؤُولاَ
لم يُنسِكَ المالُ الذي أحرَزْتَهُ بالفضل حَقّاً للورى مجهولاَ

فوضعتَ مالكَ جنْبَ عِلْمِك نفحةً
للنّاسِ في صُحُفٍ وُقِينَ نُحُولاَ

---

(١) الغسول : نبات مزهر كثير التبسط ، قرمزي الزهر او بنفسجيه .

وجعلتها مُثُل الزَّكاةِ سخيَّةً تُحيي مَواتاً أوْ تُعيدُ طُلولاَ
ما كنتَ في هذي الحيـاةِ ممثلاً
بلْ كنتَ مَنْ وَضعَ الفخارَ فُصولاَ
خمسُونَ عاماً بلْ أجلُّ بذَلتها
بَذْلَ الكواكبِ نُورَها المَسْؤُولاَ
ما بين مَعْرَكَةٍ وبيْنَ سكينةٍ
تَرَكتْ بشاشتُكَ العدُوَّ خَجُولاَ
وكسبْتَ بالاخلاصِ كلَّ مكرَّمٍ
شِيَمَ الرجالِ عقيدَةً ومُيُولاَ
دُرَرٌ مِنَ الأَخلاق كانتْ ثَرْوَةً
كُبْرَى ، ولم تَسْبِ الوَرى لتَحُولاَ !

(صَرُّوفُ) ما فينا المُعزِّي : كلنا
فَقَدَ العزاء وَدَمْعَهُ المطْلولاَ [1] !
عِشْتَ (المسيحَ) لنا وكُنَّا كلّنا
رُسُلاً ، ودُمتَ على الهُدَى مَجْبولا

(١) المطلول : المهدور .

وشكرْتنا قبلَ الوَداعِ ، ولمْ يكنْ
شُكْرُ الوَدَاعِ بظننا (اليوبيلاَ)
هذي صحائفك اليتيمةُ لمْ تَجدْ
شَرَفاً تَخُصُّ بها وكُنْتَ بَخيلاَ
عصَمَتْكَ أحكامُ العلوم من الهوى
وَحبتْكَ مِنْ حَسَبِ الجَنانِ أثيلاَ
تَمَّبْتَ في الأجْيالِ عنْ أسْرارها
ونشرْتها جيلا لدَيْكَ فجيلاَ
لا (آدَمُ) المأثورُ صَدَّك عن هُدًى
بَحْثاً ، ولا أغْنَى (اليقينْ) فتيلاَ
مِنْ كلِّ (مُقْتَطَفٍ) تَنَوَّعَ بَحْثُهُ
وتوَحَّدَتْ أبحاثُهُ تنزيلاَ !
مِنْ كلِّ سِفْرٍ حُجَّةٍ بفنونِه
ما فيهِ فنٌّ قدْ يَرَاكَ دخيلاَ
ما كانَ مَنْطِقُكَ الحكيمُ مُسَخَّراً
للوَهْمِ مهْمَا ساقنا تقتيلاَ [1] !

(١) اي الوهم .

هيهاتَ يُذْعِنُ للمظاهرِ وَحْدَها
ولكمْ أقامَ على الدّليلِ دَليلاَ !
عِلْمٌ وفلْسفةٌ وَفنٌّ سائغٌ
حوَّلْتَهَا لنعيمنا تحْويلاَ
بعبارَةٍ خلاَّبةٍ غلاَّبةٍ تَروي المدارِكَ كوْثراً وشُمُولاَ
وتبَحُّرٍ يَعْيا الجَريءُ بجهْدِهِ
ما فاتَ للبَحثِ الجَريءِ سَبيلاَ
في دَوْرَةِ (الأفلاكِ) أو بطن (الثّرى)
أو عَالَمِ (الأحلامِ) كانَ نزيلاَ
لا شيءَ يَحْسَبُهُ الحَقيرَ، وانمـا
وجدَ (الوُجُودَ) بما حَواهُ جليلاَ
فيرتّل الآياتِ ملءَ بلاغةٍ
تستأهِلُ الاصغاءَ والتَّرْتيلاَ
دَاعٍ الى أقصى التأمُّلِ مثلمـا
جعلَ (التّفاؤُلَ) للحياةِ دَليـلاَ
واذا (الحياةُ) كَبَتْ فذاكَ لأنّها
فقدتْ قُبَيْلَ عثُورِها التأميلاَ

عشَراتُ آلافِ الصحائِفِ قد شَدَتْ
بمجاكَ واسْتَبْقَتْ حِجاكَ زميلاَ
آراءَ جبّارٍ، وَحِكمةُ كاهِنٍ
وكتابُ إعجازٍ يُشِعُّ مُديلاَ
نَظرَتْ له (الأحقابُ) من أسفارها
في حَيْرَةٍ مما وُصِفْنَ رَحيلاَ !
فكأنما قد كنتَ أنتَ مُصاحِباً
أسفارَها فرسمتَها تحليلاَ !
ومَفاخرُ (الآثارِ) - وهي شهيدةٌ -
فَخَرَتْ بعِلمكَ مَوْئلاً ومقيلاَ
ومظاهرُ (العُمْرانِ) - وهي كثيرةٌ
في (الشَّرْق) - لم تعدمْ لديْكَ خليلاَ
و(الفِكْرُ) - وهوَ لنا قِوَامُ حضارَةٍ -
بَجّلْتَهُ حتى استعزَّ نبيلاَ
لم تَلْقَهُ عَرَضاً، ولم تأنسْ بهِ
طَمَعاً، ولم تبذلْ لهُ تطفيلاَ (١)

---

(١) تطفيلا: تطفلا.

بل كنت مَلْجَأَهُ الحصينَ ومَبْعَثاً
للنُّورِ في بلدٍ أُسِيءَ طَويلاَ !
تغذوه بالذِّهْنِ البصيرِ مُصارحاً للحقّ لا تتصيَّدُ التَّهليلاَ
متتبّعاً نَهْجَ الصوابِ، مُجافياً نَهْجَ الغُلُوِّ، وإنْ أُصبْتَ قليلاَ
حتى تركتَ مُنى (الحقيقةِ) وحدَها
تُهْدِي لرَأْسِكَ شكرَها إكليلاَ
ما ضَرَّ مِثْلَكَ أنْ يُخَصَّ بحُبِّها
لو فاتَ مِنْ حُبِّ الأَنامِ قبيلاَ
لكنْ ظَفَرْتَ بِحُبِّها وبحُبِّنا
وعدِمْتَ في القَدْرِ الأعزِّ مثيلاَ
مِنْ عهدِ (اسماعيلَ) في إجلالهِ
مَسْعاكَ زِدْتَ بشبلِ (اسماعيلاَ)
وطَويتَ عُمْرَكَ دُونَ مَنٍّ أو مُنًى
الاَّ الوفاءَ لما غرستَ ظليلاَ !

●▭●

يا ابْنَ (الصَّحافةِ) ثُمَّ شَيْخَ قضاتِها
والمُحْسِنَ التبيينَ والتَّدْليلاَ

ومُعلِّماً بشبابهِ ومَشيبهِ
تسمو بسيرَتِهِ الأيادِي الطُّولَى
(لُبْنانُ) (كالحدَثِ) الذي ولِدَتْ بهِ
هذِي الشَّمائِلُ لا يُباهي (النِّيلاَ)
كلاًّ ولا (بَرَدَى) ولا (الدّنيا) التي
أمْتعْتَها ممّا منحتَ جزيلاَ
إنْ أنْتَ الاَّ عالميٌّ : مَهْدُهُ
كلُّ (الوجودِ) فلم يَعِشْ مَغْلولاَ.
بلْ كانَ أهلا للبريةِ كلّها لا يَعْرِفُ الايثارَ والتَّفضيلاَ
الاَّ الرعايةَ للفقيرِ المجتبي[1] جَدْواهُ لا يبقَى بهِ مخذولاَ
كم أمّةٍ هَذَّبتَها ووهبتَها محضَ الشَّهادِ وزِدْتَها تأهيلاَ
فاذا انتسَبْتَ فما انتَسبْتَ حقيقةً
الاَّ لفضْلٍ لمْ يكُنْ مجهُولاَ
أمَّا الممالِكُ والعبادُ فانّهُمْ عرفوكَ ـ جَمْعاً ـ فاتحاً ورسولاَ
كُلٌّ يراكَ زعيمَهُ وصديقَهُ ومُواطِناً وسلاحَهُ المسلولاَ
وأرَى خيالَكَ ما يَزالُ عزيزَهم يأبَى عن النهج القويمِ مُميلاَ

---

(٢) المجتبي : المختار .

متمثّلاً في هَمِّهِمْ وشؤنِهِمْ فيحلُّ معضلةً ويُصلحُ قيلاَ
وبريقُ عينيهِ يشفُّ كعزمِهِ عن حدِّ ذهنٍ لنْ يموتَ فليلاَ
وجبينُهُ الوَقَّادُ مطلعُ نورهمْ وجلالةٌ حفظوا لَهَا التكايلاَ
أعددتَ نوراتٍ وقُدْتَ كتائباً للرَّأيِ ثمَّ نَصَرْتَهَا مَوْصولاَ

ما خانكَ الإقدامُ يوماً والالَى
عشقوكَ ، إنْ خانَ الزَّمانُ ذليلاَ

فبلغتَ مَجْدَكَ بالمواهبِ وَحدَهَا
تقتادُ شُبَّاناً بهـا وكُهولاَ !

أيْنَ الذينَ يتابعونكَ حامِلاً عَلَمَ الشَّبابِ فيَزْدَهي محمولاَ ؟!
ما كُنْتَ تُغْفِلُ جُهْدَنا وحُقُوقَهُ

بلْ كُنْتَ ترْعى حُرْمةً وأُصولاَ

وتشجّعُ البَطَلَ الصغيرَ ليعتلي وتصغّرُ الرجلَ الحسودَ مَهولاَ
لكَ في دَمي حَقُّ الوفاءِ فخلِّني أُحيي كما يَرْضى الوفاءُ جَميـلاَ

كرَّمْتَ لي أدَباً كأنَّكَ مُوجدي
أوْ عِشْتَ للأَدَبِ الجديدِ كفيلاَ

في جمِّ إخلاصٍ وجَمِّ صَراحةٍ لا تَقبلُ التغريرَ والتّمثيلاَ
ولكم تحكَّمَ جاهلٌ أو عابثٌ ومن المصائبِ أنْ نُطيعَ كليلاَ

و(الجهْلُ) في دستِ الزّعامةِ نكبةٌ
لن تنمحي عُذْراً ولا تأويلاَ !
تَخِذ (الصُّحافةَ) للمهازلِ مهنةً
فأثارَ دَاءً في النُّفوسِ وَبيلاَ
فمُحَرِّماً طوراً زُهورَ مؤلّفٍ ومحارباً هِمَمَ الشبابِ عَجُولاَ
ومرتّلاً آناً مديحَ نقائِصٍ لولا المدائحُ لم تكن لتجولاَ
قد كنتَ عوناً (للنبوغِ) وطالما
أردى (النبوغَ) الحاسِدُوهُ قتيلاَ
أبكيكَ في شِعري ، وفي نَثْرِي ، وَفي
فِكْري ، كما أبكي الرياضَ حُيُولاَ (١)
وأكفكفُ العبراتِ ، لكنْ شأنُها
باقٍ ، فدَمعي لنْ يزالَ هَمُولاَ
ومِن المدامع ظاهرٌ ومُحَجَّبٌ
ما كلُّ وجهٍ ناشحٍ مبلولاَ
تَجْرِي الدُّموعُ الخافياتُ بخاطِري
وبكلِّ إحْساسي هَوَى مبذولاَ

---

(١) حيولا : نثيراً .

وتفيضُ من قَلَمي فأنظمُ هكذا
هذا النظيمَ عواطِفاً متبولاَ (١)
وأُؤَبّن (الفضلَ) الذي لأبائِهِ
لا فاضلا نَلْقَى ولا مَفْضُولاَ !

والآنَ هلْ تَكفي شؤونُ يراعتي ؟
حَبْسُ العواطِفِ قد يكونُ قَتولاَ !
هيهات تكفي ! ... فالنّظيمُ وحُرقتي
يتبادلانِ مناحةً وَعويلاَ !
أرثي فأرْثي فيكَ أَنْفسَ ما ارْتمى
ذِهني وأحلامي لهُ تبجيلاَ
مِنْ بَهْجَةِ (الإِنْسانِ) في استِعْلائِهِ
خُلُقاً وفِكْراً مُسْعِفاً وجميلاَ
ومِن انتهاءِ (العبقريَّةِ) و (الحِجى)
لنهايةٍ تستوْجبُ التنزيلاَ !

---

(١) متبولا : سقيماً مذهولا .

ومِن (التَّسامُحِ) في الحَياةِ وقلّما
عرَفَ (التّسامحُ) في الحياةِ خليلاَ
أسفي على هـذا الفراقِ وإنْ يَعُدْ
هـذا (النبوغُ) مجدَّداً تشكيلاَ
وأُقَلّبُ الطَّرَفَ الحَزينَ فما أرَى
الاّ الورَى والموتَ والتَّرميـلاَ
يا جنةَ (الفيّومِ) كَيْفَ جَزَيْتِنَا
ناراً وحُزْناً فادِحاً وثقيلاَ ؟ !
قد رَاحَ يلتمسُ الشِّفاءَ فخُنْتِهِ
كم كانَ رَوْضُكِ للشفاءِ مليلاَ (١)
أسفي ! أجَلْ أسَفي يدُومُ فلاَ تطِلْ
عتباً عليَّ فلم تَكنْ لِتُطيـلاَ
ما فاتني قبْلُ (التَّفاؤُلُ) هكذا
أوْ كنْتُ أشعرُ بالحياةِ ذَليلاَ ؟
ولقدْ بدأتُ الى (العُلىٰ) مستغفراً
ثمّ انتهيْتُ مِنَ الشُّجُونِ عليلاَ

---

(١) المليل من الطرق : المسلوك كثيراً .

عَبثاً أُحاوِلُ أنْ أُهدِّيءَ لَوْعتي
هيهاتَ أشفي للدُّموعِ غليلاَ !
سُخْطي على (الدُّنيا) وأقبحِ هَزْلها
سُخْطٌ يُثيرُ تأجُّجاً وصليلاَ
وأنا الذِي ياطالما غازلتُها
طَرَباً ، وكنْتُ لها كذاكَ وَصُولاَ
مَرَّتْ شَرَاباً بعدَ حُلْوِ مَذَاقها وجنتْ على أشْهَى الثمار أصيلاَ
لمْ أشْكُ قَبْلَكَ مِنْ يقيني هكذا
وكأَنما صَارَ (اليقينُ) مَهيلاَ !
وكأَنما هـذا (الوجُودُ) بأُنسهِ
أمسُى بداجيةِ المُصابِ مَحيلاَ !
لِمَ لا أنوحُ وفي رِثائِكَ حَسْرَةٌ
أرثي بها نَفْسي وأرْثي الجِيلاَ ؟!
ما كنْتُ أجزَعُ للماتِ وإنْ قَسا
حتى رَحلتَ فسامني تذليـلاَ
أرثي العصاميَّ العظيمَ المبتني
مَثَلَ (الثَّباتِ) لمنْ يهونُ مَلولاَ

أرثي (الخلودَ)... وما (الخلودُ) بدائمٍ
في صُورَةٍ ، بلْ يَتبعُ التَّعديلاَ
ما بينَ إيمانٍ بهِ وبضدِّهِ كم نُتْعِبُ التَّفسيرَ والتَّعليلاَ
أرْثي وأبكي والأنامُ جميعُهُمْ
كالنَّبْتِ يَهْضِمُهُ الزَّمانُ أكولاَ
الفيْلسُوفُ كجاهلٍ ، وَكِلاَهما
يَفْنى ، وما عرَفَ المماتُ ذُهولاَ
وقليلُ ثأري أنَّ مِثلكَ فَقدُهُ
جعلَ القضاءَ المُسْتعِزَّ خجُولاَ !
وعظيمُ صبْري أنَّ وَحْيكَ مُلْهمي
صَبْراً ، وعِلْمُكَ لمْ يَزَلْ منقُولاَ
(سُقْراطُ) قبلكَ و (المسيحُ) كلاهُما
ضَحِكا من (الموْتِ) الخؤُونِ مَهُولاَ !
وضَحِكْتَ أنتَ منَ الأساةِ مُعزِّياً
هِمماً تُناجيكَ المدَى وعُقُولاَ !

، الحركة مع الخطأ خير من السكون مع الصواب ،

جمال الدين الافغاني

نظرات وملاحظات

« عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لأهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك مايجتري به سفيه او يستخف له شان . »

* * *

« اعلم ان بعض العطية لؤم ، وبعض البيان عي ، وبعض العلم جهل ، فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جوراً ، ولا بيانك هذراً ، ولا علمك جهلا فافعل » .

ابن المقفع

دَرسٌ وتحليلٌ

بقلم العلاّمة الاستاذ الشايب

مدرس الادب العربي بالمدرسة العباسية الثانوية

(١)

سَمِّ هذه الفصول نَقْداً أدبيًّا ، أو سَمِّها ملاحظاتٍ تحليليّة ، أو سَمِّها تحبيذاً ومجاملة ، أو سَمِّها ما شئت أن تسمِّيَها ، فليست تعنيني هذه التسمية ، ما دُمتُ أذهب فيها مذهباً صريحاً نتّفق عليه قبل كلّ شيء ولانحيد عنه قيد شعرة ، وما دمتُ زعيماً لك أن أضع يدك على المقدّمات قبل النتائج فيما أحاول إثباته ، إلاّ أن شيئاً واحداً يجبُ أن أحتفظَ به لنفسي منذ الآن ، ذلك هو نفسي الأدبية ، وما قد يدعونها « شخصيتي » الأدبيّة التي لا مفرّ منها للباحث ، بل لا بدّ منها لِتذوُّقِ الأدب ، وشرح أسراره ، وبيان بلاغته ، والتماس صِلتهِ بالحياة العامّة والخاصة . ولا يهولنّك هذا فتنقبض وتتراجع إذْ ليس للأدب قوانين ثابتة وقواعد مقرّرة يقف عندها الناس ، ويقصد اليها الادباء ، ويعدونها الغاية التي

ينتهون عندها كما ينتهي الرياضي عند جواب « المسألة » أو « التمرين » . تجد ذلك في الحياة العلمية وقوانين الحساب والجبر والهندسة ، واما الأدب فبراءٌ من ذلك بعيد عنه ، براءَ من تلك المذاهب العلمية التي يحاول كلٌّ من « سانت بيف ـ Sainte-Beuve » و« تين ـ Taine » و« برونتيير Brunetière » أن يحبسه فيها ويضيق عليه الخناق ويكسبه الجمود والجفاء ، وليت شعري كيف يتيسر لنا أن نحبس العواطف المتدفّقة والشعور المتّقد ، والنظر البعيد عند نقطة أو دائرة لا تَعْدُوها ؟ أليست هـذه جناية على الأدب والأدباء وسلباً لحرّية الشعر والشعراء ، فتكون العاقبةُ حَبْسَ المواهب والجمود ثم النّفاق والموت ؟ وقد يدور بخلد أحد أن هذا عَيْبٌ في باب الأدب ، عيب أن يُترك دون حدود وتقاليد مرسومة يتأثرها الناس وينتهجونها ، ولـكن الحقّ أن هذا ليس بعيبٍ ، وانما هو خيرُ فضيلةٍ في الأدب وأحسنُ محاسِنه حتى يكون قابلا للحياة الخالدة والحركة المتجدّدة ، والاتّصال بالدنيا مهما تكن صورتها ورسومها . فهل تريدنا على سَلْب الأدب ليانه ومرانته فلا يبقى شيء في الدنيا حراً ، ونعيش نحن آلات متحركة بقوّة القوانين العلمية والأدبية فوق قوانين السماء والأرض ؟ لا ! وسأحتفظ بنفسي أوّلا ، وبنفس الأدب ثانياً !

(٢)

ومع هذا فسأتّفق معك على قانونٍ أو مذهبٍ صريحٍ كما حدّثتك منذ قليل ، ولا تظن هذا نقضاً لما سبق أو خروجاً على ما أشرتُ اليه من براءة الأدب من الرّسوم الثابتة . لا تظن هذا ، فلستُ الا واقفاً عند قواعد عامّة لا يضيق بها الشعر ذرعاً ولست الاّ مُشيراً الى ما يجب أن يكون عليه الشعر من حيث انه صورةٌ للحياة ، وجزءٌ من عمر الدنيا ، وصحيفة من صحف التاريخ ، ومرآةٌ لنفس صاحبه نراها فيه واضحةً صريحةً . وقد قلت لك انّ أساسَ هذا المذهب الاحتفاظ بنفسي أولا ، ثم بطبيعة الأدب أو الشعر ثانياً . وما نفسي تلك التي أعتز بها ؟ ليست بشيء هنا سوى هذا المعنى الأدبي الذي لا يمكنني الخلاص منه ومن التأثر به ، وكيف يمكن هذا بل كيف أخلص من نفسي وهي التي تتحدّث اليك وتكتب لك ؟ فاذاً سترى شيئاً متأثراً بمواهبي فاصبرْ عليه ، فليس ذلك استبداداً وأثرة ، لان طبيعة الشعر ووظيفته هي التي ترسم لنا سبيلَ القول ، وهنا يبطل السّحر والساحر . ما طبيعة الشعر ؟ وبِمَ يمتاز العصريّ منه ؟ لست أبهم أو ألغز أو أطيل ، وانما أقول لك في صراحةٍ وسذاجةٍ : إنّ

الشعر كلامٌ يجمع بين الحقيقة والخيال ، تدعوه الحقيقة الى الخلود وقوة الأَسْر ، ويدعوه الخيال الى الخفّةِ والجمال بما يسبغه الشاعرُ على الحقيقة من فنّهِ وبيانِهِ ليسهل وَقْعُ الحقيقة على النفس ، فتكون لذيذةً وقوية أيضاً . أما الشعر الحقيقي كله فصعب ثقيل ليس من الجمال الوجداني في شيء . وأما الشعر الخيالي كله فشيء طائرٌ لا يكاد يستقرّ في النفوس ، بل يمّحي منذ يُنشأ ويدعو الى السخرية والاستهزاء ، فلا بدّ أن يكون مزيجاً من الحقيقة والخيال ليكون جميلا خالداً .

وأما الشعر العصريُّ فيجب ان يتوافر له هذا الأصلُ السابق مع أمر آخر هام : هو الصلة بينه وبين هذا العصر الذي نحيا فيه فيستمدّ منه موضوعاته ومعانيه وأخيلته ، ويجتهد أن يصوّر لنا هاته الحياة الحاضرة في مختلف أحوالها ونواحيها ولا سيّما الحياة المصرية أو الوطنية للشاعر القومي . أليست الدّنيا كلها بيئة الشاعر العصري بعد أن أُلمّ بها خُبراً ؟ ثم أليس وطنه ألصقَ به من سواه فيؤثره بالحديث والتقديس ؟ ألا تراه بعد هذا يكون صادق الشعور صادق التعبير : شعره قطعةٌ من الزمان والمكان يستحقّ الخلود ما بقيَ الزمان والمكانُ ؟ ثم أفلا تراه مفهوماً

لشعبهِ وناسِهِ الحاضرين والغابرين ؛ يرون في شعره صورة نفوسهم وحياتهم ، وتاريخ دنياهم وبلادهم ؟ نريد من الشعر أن يتشبَّث بشيئين ليحظى بشيئين : يتشبّث بالحقيقة الجميلة والاتصال بالحياة ليحظى بالالفة والخلود . فأنت تراني حرًّا حين قيَّدْتُ نفسي معك بهذا المذهب الأدبي ، وأنت تراني أيضاً مقيَّداً بهذا الأساس ولكنّه على قيمته دائرةٌ مرنةٌ وأصولٌ عامةٌ ، هي في ظاهرها سهلةٌ سائغةٌ ، وفي حقيقتها لا يتطَالُّ اليها الا النَّابهون. ومهما يكن من شيء فأشعر أننا اتّفقنا ، وأن قد آن الأوان لنلتمس هذا المذهب في هذا الديوان .

(٣)

وماذا تريدنا أن نلتمس في الديوان ؟ نريد أن نتبيّن هل توافرَ للدكتور أبي شادي أن يكون شاعراً عالمياً ، فيصف النفس الانسانية العامة ويعرض لها في شرح وتحليل ويخضعها لسلطانه الفنّي والعلمي أو يخضع لها فنه وبحثه ، فلا يتجاوز الحقيقة الى تلك الدعاوَى الشيطانية التي يمخرق بها مشعوذو المتأدِّبين من حيث لا يشعرون ؟ ونريد أن نعرف هل تيسَّر لهذا الشاعر أن يكون شاعراً قومياً نقرأ في شعره عَصْرَه السياسي والاجتماعي سواء

أ كان في مصر أم في غير مصر من أقطار الدنيا حتى يكون أثرُهُ سجلاً لعصره ، وقطعةً من عمر الدنيا ، وحتى يكون صريحاً صادقاً يعرف دنياه ويدوِّنها لنا ، وللتاريخ فيستأهل منا العنايةَ والاحتفاظ بشعره ؟ ونريد أن نحسَّ شيئاً آخر : هو نفس الشاعر الخاصَّة ومواهبه العقلية والوجدانية ، هو تلك الجذوة الباطنية التي اتَّقدت في نفسه ثم ظهر شررُها أو لهبُها فكان غناءً ، فكان حُبًّا وبُغضاً ، ورضاءً وسخطاً ، وأملا وألماً . . . وأخيراً كان صلته بالحياة ، ومقدار ازدواجِه بها ، وثمرةَ تلك الدائرة الكهربائية ؟!

ولا أنسى بعد ذلك ما يتبع هـذا من وحدة الموضوعات ، وجمال الاسلوب وحسن النغم والجرس ، فتلك توابعٌ يتمّ بها جمالُ الشعر ، وتسمو مكانتُه في نفوس الشّعب الأدبي ، وتُقرِّبُهُ الى المثل الأعلى . أليست هذه الغاية تتطلّب منا أن نجيب على هذه الأسئلة : ما هو عالم هذا الشاعر الذي نرجو أن يكون شاعره ؟ وما هي قوميّته التي تحمله على أن يصوّرها لنا ؟ وكيف تكوّن مزاجَهُ النفسي والأدبي لنعرف هل كان شِعرُهُ نتيجةً حقةً لنفسه أو كان شاعراً مقلّداً يطير مع أهواء غيره ، ويترجم نفسَ سواه ؟

(٤)

في مستهلّ القرن العشرين كان صاحب الديوان طفلا يتردّد على مدرسة عابدين الابتدائية بعد أن مارس التعليم الأوّلي بمدرسة الهياتم ، وكانت تستقرّ في نفسه مواهب اسرتين كريمتين لهما أصل أدبي معروف : احداهما أسرة والدته ولا نحدّثك عنها بأكثر من ذكر المرحوم مصطفى بك نجيب صاحب كتاب (**حماة الاسلام**) وصاحب الآثار القلمية الباقية ، ولعلك تعرف أن هذا الكتابَ من أول الكتب التي حاولت فهم التاريخ بالطريقة المنطقية الحديثة ، فهذا خال الشاعر ، وأنت بعد هذا لا يزال يرنّ في أذنك صيت المرحوم الاستاذ الفذّ « محمد أبو شادي بك » أحد الثلاثة الذين بدأوا الحياة القانونية والقلمية في هذه الديار ، ثانيهم سعد زغلول وثالثهم الهلباوي ، ونسيت أن أقول لولا المنية لكان خاله بحكم منزلته الاجتماعية والسياسية خليفة صديقه الحميم مصطفى كامل رسول الوطنية المصرية وجذوتها الاولى .

فاذا كنتَ على علمٍ بقانون الوراثة للأفراد والشعوب سهل عليك أن تفسّر سرعة شاعرنا وهو في فجر الصبا الى الشعر

وقرضِه ، والى الأدب وفنونه ، وانصرافه الى ذلك بِجُلِّ مواهبه ، وهنا ظهر لي ما حاولتُ تَبَيُّنَه غير مرة : وهو النتاج الشعري المتواصل الذي امتاز به أبو شادي ، فهل لي أن أنسب ذلك الى تلك النفس الفيّاضة بطبيعتها والتي قُدَّت من الشعر والسلاسة ، وخُلِقَتْ لتكون شاعرة على الرغم منها ومن الطب والبكتريولوجيا والأبقلطوريا وغيرها من المباحث العلمية الخالصة ؟

وكان من الحتم اللازم على هـذا الصبيِّ الغضِّ أن يتأثر بمؤثرات أخرى لا قبل له بدفعها ، ولا مناصَ من الاتصال بها لمثله ، منها تلك الخطة المرسومة للتعليم المصري ذلك الذي يضمّ في منهجه الابتدائي والثانوي أنواعاً شتّى من العلوم الكونية والأدبية والدينية ، فاذا كان لنا أن نبتهج بها لتكوين شيء من الثقافة الأولى للناشيء المصريِّ ، فانَّ لنا أن نبتئس بها لاحتوائها اذ ذاك على شيء غير قليل من الجمود والجفاء الذي لا يلائم النفس الشاعرة التي لا تحتمل القرار والوقوف عند رموز الجبر والهندسة وقواعد اللغة والأدب المحبوب الذي وقفت عنده تلك المدارس أوَّلَ هذا القرن ولا يزال له أنصارُهُ الى اليوم ، أقول كم من البون ـ فيما يظهر ـ بين نفس من حقّها أن تطفر بين أفنان الجمال

الفاتن ، و بين نفسٍ أخرى ليس لها أن تكتفي بالشيء يُلَقَّى فيها فتحفظه لتجوز الامتحان الدّرامي والسلام ! . . . فهل هذا من أسباب ثورة أحمد أبي شادي على القديم وقصده توًّا الى الجديد والنُّبُوِّ عن هـذه الأغلال التي قيد بها أنصارُ المدرسة القديمة أنفسَهم وأقلامهم خائفين أو عاجزين ؟ ذلك رأيٌ أراه ، وأرى معه شيئاً آخر ، وهو أن هذه الحقائق العلمية والأساليب الأدبية القديمة أفادت شاعرنا مادّةً قويمةً في اثبات الصّلة بين العلم والأدب امتاز بها دون غيره ، كما أفادتْه فصاحةً لسانيةً قلمية والاعتماد على القديم فيما يذهب من التجديد ، دون أن يقطع الصلة بين أعمار اللغة والأدب .

ومنها تلك الحركة الوطنية التي كانت تضطرم جذوتها في المدن وفي رءوس الشبان ، والتي كان مصطفي كامل يحمل علمها جريئاً مقداماً ، يتأثّره الشبان ، ويعاونه رءوس مصر ومحبُّوها ، فانطبعت هذه الصورة الوطنية في نفس هذا الشاب ، وكان شعره القومي لها نغما جميـلا ، وتاريخاً قومياً ، وصوتاً عالياً ، في مصر وفي بلاد الانجليز كما أحدّثك بعد .

ومنها (الطبيعةُ) التي يُفتتن بها الشاعر قبل غيره ، بل هو وحده الذي يفهمها ويتحدَّث اليها ، سواء أكان صامتاً أم ناطقاً ،

ضاحكا أم باكياً ، واقفاً عنـد مظاهرها أم ذاهباً الى أغوارها مستسراً أسرارَها . . ستجدني بعد حين أحدّثك عن شعر الطبيعة وألفتك الى قصيدة « الربيع » و « صورٌ وأنغام » وغيرهما ، ولا أدري لمـا ذا طرأ على فكري الآن « بيرون ـ Byron » و « وردزورث ـ Wordsworth » و « بيرنز ـ Burns » من أصحاب الشعر الرائع في مشاهد الطبيعة ـ لعل ذلك لأني أجلهم وأعرف عنهم أكثر من غيرهم في هـذا الباب الذي فُتن به أبوشادي أيضاً .

وليس لنا أن ننسى نفحةَ الحب ونعمته ، ذلك الحب العذري الطاهر ، ولولا أنه كان بريئاً طاهراً لما رأينا آثاره هذه في حال الشاب النفسية من الوجد والمرض ، بل والاضطرار الى ترك الوطن والاغتراب ، وربمـا كان من حسن حظّنا وحظ الأدب ـ على الرغم من ارادة هذا الشاب ـ أن حِيل بينه وبين أمله في الحبِّ ، فكان زهرة تفتّحَتْ أكمامها ، وكان برقاً لمع وميضه في أفق الأدب ، وكان جَمْراً اتّقد ضرامهُ وعلا ، وكان بلبلاً فصدح ، وكان غيناً أوّله :

نَشأْتُ وقلبيَ يصبو لَكِ وانّي رُبِيتُ على حُبّكِ

أليس لي أن أبتسم من قلبي وانظر الى هـذا البيت نظرَ البستانيّ الى أول ثمرة ، ونظر المبتهل الى الهلال ، ونظر الفلاّح الى أوّل فيض النيل ، ونظر الأديب الى الخيال البكر الباكر الجميـل ؟ !

والحبُّ كان ولا يزال مصدرَ إلهام الشعراء وأولَه ، والحبُّ العذري الطاهر يفيض بالشعر الحارّ الطاهر ، كان العَصْرُ الأمويّ في الحجاز عصر الغزل العفيف ، فكان أيضاً عصر الغزلي الخالد العفيف ، . . . ولا أحاول إثبات ذلك بأكثر من أبيات قرأتُها له في كتاب من مختار شعره الأوّل يُسمَّى (**شعر الوجداد**) ، حيث يقول تحت عنوان « عبادة المرأة » :

جُودِي عليَّ من الحَيـاةِ بنفحةٍ
وأستنهضي أملَ الشَّبابِ الباكي
فالنفْسُ عندَكِ أصلُها وبقاؤُها
والرُّوحُ مَشْرقُها الغَرامُ الذَّاكي
يا رَحمةَ اللهِ القديرِ وعَطْفَهُ
ما شِمْتُ نُورَ جلالهِ لولاكِ ؟ !

أنظرْ عقيدتَهُ في المرأة ، كيف يراها مصدَر قوّةٍ ، ومظهرَ

نِعَمِ اللهِ ، ثم اقرا ما قرأتُه تحتَ عنوان « ميلاد الحبيبة » :

قَضَى الزَّمانُ علينا بالفراقِ وما
قضى على رَحمةٍ مِنْ برِّك الهادِي

كأنما كانَ تعذِيبي وضائقتي
تجارُبُ الحبِّ لا موْتي وإلحادي

فاستقْبلي العامَ بَسَّاماً لنِعْمَتِهِ
وغَيْرُهُ راحلٌ بالكِ لإبعادِ !

كأَنما حسرَتي راحتْ تودِّعُهُ
فلم تَؤُبْ ، وتجلَّى أُنْسيَ البادِي !

تَرَ الوفاءَ على رَغم البعاد ، وتشعر بصدق العاطِفة ورقة اللهجة .

الى هنا يصحّ أن أقف برهةً بعد ما تيسّر لي أن أفهم شيئاً من مزاج الشاعر وشيئاً من قوميته ، وهنا تنقضي في رأيي الحلقةُ الأُولى من حياة الشاعر ، فلننظرْ فيما بعد ذلك .

(٥)

أمَّا ما بعد ذلك فعجبٌ عجابٌ ، وفرارٌ من وجدٍ الى وجدٍ بل من عالمٍ صغيرٍ الى عالَمٍ كبيرٍ ، من شخصٍ لنفسِهِ ولقوْمه

الى شخصٍ لنفسهِ ولقومهِ وللنَّاسِ جميعاً . كان خروجُه من مصر فراراً من حرقةٍ آلمتْ صباه ، وجَنَتْ ـ فيما يدَّعي هو ـ على شبابه الآمل الباشّ ، ولكنَّه كان في رأي الأدب خُرُوجاً من أزقّة الدنيا الى ميادينها وشوارعها الكبرى ! كان خروجاً من القفص الذي يضطربُ فيه شكايةً ، الى البستان الذي يمرحُ فيه هَزِجاً صَدَّاحاً ليُشجِي ويُشْجي النَّاسَ ، وليذشُرَ على الحياةِ حُلَلَ الحياةِ ، وليكون « أبا شادي » !

ليتَ شعري ، هل علم ذلكم الشّاب الشاعرُ وهو يغادر مصر انه في مصر مهما تَنَأْ بهِ الحظوظ ، وان نفسه جدُّ أسيرةٍ في مصر ، وان وفاءه لوطنه سيطغى على الدنيا العريضة ، وانَّ القلبَ للحبيب الأوّل الذي احتلَّ السويداءَ وملك الشغاف ؟ وداعٌ لاذِعٌ حلوٌ وبكاءٌ حكيمٌ ذلك الذي نفثهُ سحراً أو شعراً ، ونشَرَهُ حُلَلاً أو زهراً ، حيثُ يقُول قبيْلَ رحيلهِ في أبريل سنة ١٩١٢ :

آنَ الرحيلُ فلا جوابَ لداعِ
حتى أتمَّ لها مقالَ وَداعي !
وأسطرُّ العهدَ الذي إنْ فاتني
يَوْماً رعايتُهُ قصَفْتُ يَراعي.

في العيْشِ أوْ في المَوْتِ ، ما بيْنَ المنى
واليأسِ أذْكُرُها بقَلْبٍ وَاعِ

هكذا يودّع مصر ، فلتبتهج مصر باحتراق نفسه ، وليفرح الشِّعْر بعذاب هذِه الروح ، وليكن الخيْرُ منَ الشَّرِّ ، وليظهرْ الفنُّ وليدَ الأَلم !

ليستْ الثقافةُ السكسونية الا ثقافة الدنيا ، والا رُوح العالم ولبّه ، والا الحرّية الكاملة الناضجة ، وإلاّ سرَّ العالم الذي ملكَ العالم ، فمن شاءَ أنْ يرى الذهنَ الجبّار الذي اشتُقَّ من حركة الدهر وصُروفه ، وسيطرَ على مناحي الكون وأسراره ، فليلتمسْه هناكَ عند « جيرة المانش » وليسألْ عنه هذا الشاعر الذي نترجمه .... في هذا العالم الكبير والدنيا العريضة ألقى عصاه مزوّداً بمصْر وعلمها ، بنفسِهِ وذِكْرياتها ، بهواه وآلامهِ ، بدنيا شرقيّةٍ يحملها الى دنيا غربيّة ، ... فهل من الغريب أن نثبت ما لهذه الدنيا الجديدة منَ الأَثر في نضوج هذا الشّاب ، وتكوين ثقافتِهِ الأَخيرة ، وإضافة ذخيرةٍ غالية الى ذلك العقل الناهض ؟

في بلاد الانجليز فوق ما ذكرنا من تلك العقلية ، جمالٌ ريفيٌّ ، وجمالٌ طبيعيٌّ وآخرٌ صناعيٌّ ، وفيها الحركة العلمية التي تنمو بحرية وسعة ، وفيها الحركة السياسيّة التي ينبضُ لها قلب العالم ، وفيها الفنون الأدبية التي خلّدها الشعراء والكتّاب ، وفيها كلٌّ مضطرب لكل جهد ، وفيها الدنيا فقط !

هبط أبو شادي بلاد الانجليز ولبث فيها عشر سنين (١٩١٢ ـ ١٩٢٢) يدرس الطبَّ وفروعه ، وينبغ فيما اختصّ به ، ويؤسس (**معهد النحل الدولي**) ومجلة (**عالم النحل**) ، وهو في أثناء ذلك كله يدرس العلوم الغربيّة العامة ، والآداب الفرنجية ، ويتصل اتّصالاً عالمياً برجال من أمم شتّى حتى كان أشبهَ شيء بالنحلة التي تنال من كل زهرةٍ شَهْدَها ، ثم تمجُّه عسلاً صافياً فيه لكل نفس أرَبٌ ، ولكلّ عقل شهيّةٌ ومُطَّلبٌ . . . لم ينس (مِصْرَ) في هذه الفترة ، بل كانت هذه الفترةُ الحرّة التي أتاحت له الصلة بالعالم الحرّ أدعى الى التعلق بمصر وبحقّ مصر فيما تحاول من حرّية واستقلال ، فكان شعره هناك وجدانياً ، وقومياً ، وعالمياً ، تمتزج فيه نفسه ، ومِصْرُهُ ، وعالمه الأخير ! ويجب أن نذكر هنا أن أهمّ طوابع المدنية الحديثة ، إنما هو الإنسانية والعمل

للإِنسانية ، والاعتراف بها في الأعمال العامة وفي الثمار الأدبيّة ، تجد ذلك واضحاً في التعلون العالَمي ، وفي إنقاذ المنكوبين ، وفي الإغاضة على البَشر بفيض العقل والوجدان ، ولعلك تعرف أيضاً أن الأطبّاء هم أمسُّ الناس بهذه الفكرة ، وأعملهم للانسانية في طبّهم ، ومن القواعد المأثورة لديهم : « كن طبيباً فقط ، ولا تفكّر الا في إنقاذ مريضك » . . . أفلا يكون الطبيبُ الشاعر إنسانياً في شعره كذلك ؟ وهذه الفكرة تدفع الينا فكرة أخرى لا بدّ من الإلمام بها ، تلك هي علاقة العلم بالأدب ، وانما نلمّ بها لأن شاعرنا عالجها في دراساته الأدبية وفي قصائده الشعرية ، ودافع عنها أقوى دفاع رآه الناسُ ، ويظهر لي أنّ سبب ذلك يرجع الى الناس ، فلقد أحفظوه وضيّقوا عليه الخناقَ ، ناعين عليه تشبثه بالشّعر ، داعيهِ الى الانصراف الى « معمله ومجهره » فذلك أجدى وأولى ! !

والى متى يريد الناسُ تقطيع أوصال الحياة ، واعتبار نواحيها وحدات منفصلة ليس بينها صلةٌ ومعاضدة ؟ أليست الحياة بجهتيها العلمية والأدبية أشبه تماماً بالانسان جسمه وروحه : كلاهما لازمٌ للآخر يتأثر به ويؤثر فيه ، وان قوّةَ أحدهما قوة الآخر ؟

ما لهؤلاء القوم لا ينصفون الحقّ ؟ أيقدر أحدهم على الحياة بدون روحه ؟ ألم يكن أكثر الادباء والشعراء في الشرق والغرب علماء أيضاً ؟ اللهم انّ العلم يزيد الأدبَ قوّةً وخلوداً ويبعث فيه الحياة القوية ، ويبعد خياله الى أقصى الغايات وأحقّها ، وهذا يذكرني بقول (لسپنسر ـ Spencer) الانجليزي قرأتُه منذ أن كنتُ طالباً بالمدرسة معناه : « ما ضرّ الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ اذا عرفَ أن هذا الحجرَ قد مرّ عليه كذا من الأعوام حتى تمّ تكوينه ؟ ألا يكون في ذلك خيرٌ كثيرٌ لأدبه وشعره ؟» وأزيد أن الشعر بغير علم يكون أقرب الى الهراء والسخف منه الى الاعتدال والحق . وقد كان أجهل الشعراء بالعلوم أشدهم سخفاً وهذراً ، وأقلهم بضاعة ، وأفقرهم خيالاً ، وأفناهم آثاراً !

نقول إن أبا شادي دافع عن نظريته في غير قصيدة من شعره مثل قصيدة « حياتي أو روح الشاعر » ، ونحن نذكر هنا شيئاً من قصيدة أخرى (ص ٣٥٦) قالها يخاطب « مجهرَه » :

صحبتك عُمْراً في وفاءٍ ومتعةٍ
فكُنْتَ لفنّيْ مُلهماً ولأفكاري
فكم من بيانٍ لاحَ لي منكَ مُرْشداً
وكم مِنْ مَعانٍ قد وهبتَ وأسرارِ

ويُذهِلُ قوماً أن يُحبّك شاعرٌ
وما عرَفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
أري فيكَ سِرَّ العيش والموتِ مُعلناً
مراراً وآلامَ الوجودِ بتكرارِ
ويا رُبَّ خيطٍ عُدَّ جرثومَ قوَّةٍ
تناولتُ منه الوَحْيَ والأملَ السَّاري
فيا قومُ صَفْحاً ، لا تعيبوا الذي يَرَى
وينظمُ ما يلقى بدائعَ للقاري !

والى هنا يمكننا أن نقول : انَّ نهاية اقامته بانجلترة كانت نهايةَ ثقافةِ الشَّباب ، ووضع الاصول العامة للنفس الشاعرة بكل ما في الكلمة من معنى .... وهنا ينتهي الدور الثاني من حياة الشاعر .

(٦)

ثم نعود فنقول : أليست هذه العواملُ التي تظاهرت على شاعرية أبي شادي تسمح له أن يكون شاعراً وجدانياً ، ثم شاعراً عالمياً ، وكم في الشعر العالمي من باب ، فانه يسع الطبيعة ،والفلسفة ، والسياسة العامة ، والحكمة ، والنفسَ الانسانية في شتَّى مظاهرها

الخالدة ، فاذا حدّثتك بعد حين أن أبواباً كثيرة تدخل في ديوان (الشفق الباكى) وفي غيره من دواوين الشاعر لم أكن الا مستنبطاً من هذه المقدمات التي سلفتْ والتي اتّفقتُ معك على تقديمها ، ولكنّي مضطرٌّ في هذا القسم الثالث من حيـاة هذا الصديق أن أشيرَ الى شيءٍ من شمائلهِ إذْ لم أظفر بمعرفته الا في هذا القسم أيضاً ، فاذا حدّثك أبو شادي شعرتَ بوداعةٍ خلقيةٍ وتواضع وإنكار للذات الى حَدٍّ نادرٍ غريبٍ ، ويكون معك في منزلك فيخجلك بأدبه وظرفه ، ويفي لك ويبالغ في الوفاء ، ويحمل الناسَ على مشاركته في محبتك وتقديرك ، ثم تهجم عليه فيصبر ، ثم يدافعك فاذا به أقوى الناس حجةً ، وأمضاهم قلماً ، وأطهرُهم حديثاً ، وأبلغهم غرَضاً ، ثم أسرعهم صلحاً وتسامحاً ، يحدّثك فيأخذ عليك مسالكَ القَوْلِ ومنافذه ، ويعترف للناس بكل فضلهم وجهودهم ولو كانوا منه في مواقف عداوة وحسد ، وآيةُ ذلك اعترافه في شعره بالفضل لكلّ أديب ولكلّ عالم ولكلّ مبتكرٍ مبدعٍ أيًّا كان فنُّه أو وطنُهُ أو دينُه . . . فهو إنسانيٌّ في ذلك ، يحاولُ الكمالَ ويجدُّ فيه ، وهو بعد جريء في التجديد ، سبّاقٌ خيرٌ ، يذيبُ رأسَهُ وجسمهُ لتخفيف

الويلات مهما يُنفق من المال أيضاً . وفي وسعي أن أضعَ يدكَ على شواهد ذلك بعد أن أُتم ما بدأتُ من تلخيص فنونه الشعرية، ولكن لعلَّك في غنًى عن إرشادي هذا معتمداً على دراستك للشاعر ، ولا أنكر أني حاولت صرفَه عن الشعر بعضَ الشيء، ففي عمله الذي يُحبّبه ثروةٌ وجاهٌ ، فكان يقول لي : « كأنّك تريدني على النزول عن قسم من نفسي ، هذا شيء لا أعمله وانما هو نوعٌ من الراحة ألجأ اليه أو يلجأ هو اليّ فأقوله ، وسيّان عندي أحفظته الدنيا أم فقدته » .

وفي هذا القسم من حياته أكبَّ الدكتور على دراسة الأدب القديم والحديث من عربيٍّ وفرنجيٍّ ، وعلى دراسة الفلسفة العامة والطبّ ، ثم ابتُلِيَ بما يُبتلى به أمثاله من مسئولية الحياة وصُرُوفها وحَسَدِ الناس وغدرهم ، وتهريج المخرقين المشهوذين فنقم على هؤلاء لا لنفسه وانما لأجل الأدب وفي سبيله ، فاشترك في تلك الحرب الطاحنة التي قامت أخيراً بين المحافظين والمجدّدين، وكان منحازاً بكل قواه الى الطائفة الثانية حتى لقد خفْتُ أن يكون متطرّفاً .

وقد تسأل نفسك كيفَ موقف أبي شادي مع معاصريه من

الشعراء ؟ نراه يُثني عليهم جميعاً مع بُعد ما بينهم في المذهب الفنّي ، وفي مقدار الثقافة ، وفي النزعة الموضوعية والمعنوية . ولكنّي قلتُ لك منذ حين إنّه يعرف لكلٍّ منهم جُهودَه ، ويقرُّ له بميزاته ، ومَن هو ذلك الشاعر الذي يخلو من ميزة واحدة ؟ أولى بنا أن لا نعرض له . . . ولكنّك من جهة ثانية تجد أبا شادي أميل في التفكير الى أمثال مطران ، وشكري ، والعقّاد ، وان يكن هذا الميلُ بدرجات متفاوتة ، وليس من الصعب تفسير ذلك بعد ما قدمنا لك من اعتزازه بالثقافة الحديثة ، والعناية بالمعاني والموضوعات الطريفة التي ينزع اليها هؤلاء .

(٧)

هناك صفحةٌ أخرى لا بدّ من الاشارة اليها . وهي ما تتّصل بالنهضةِ المصريّة الأخيرة إن صحّ لنا أن نسمّيها نهضةً ، وقد قلتُ لكَ انّ صلةَ شاعرنا بهذه النهضة يرجع الى أوّل حياته بل الى ما قبل حياته أي من ناحية والده وأخواله ، ثم الى تأثره بزعيم الشباب مصطفى كامل ، ثم الى مسايرته الحركة التي قام بها الزعماء المعاصرون وعلى رأسهم سعد زغلول . فهل تصدّقني اذا رويتُ

لك أن ديوان (**مصريات**) لهذا الشاعر وقفَ على شيء كثيرٍ لروح هذه الحركة ، غير الكثير والكثير جدًّا مما تراه في (**الشفق الباكي**) ، وغير ما تراه أو تسمع عنه في غيره من شتى مؤلفاته وآثاره الشعرية المطبوعة والمخطوطة ، المحفوظة والمفقودة . . . ؟

مسكينٌ أبو شادي ! كأنما كُتب عليه أن ينهض بالشعر العصري وحده ، وأن ينهض به في أقل زمن ، وأن يرى آثار النهضة ناضجةً في رجولته ، وأن يملأ اللغة العربية نظماً بنماذج لخير ما انتجتْ اللغات الحية ، فتراه يحيط بكل شيء شعري ويحاول نقل روحه الى لغته ، وهي غيرةٌ لا تقل عن غيرته الوطنية ، بل هي جزء منها ، وليس من حقي ولا من الميسور لي أن أنقل لك منها شيئاً ، وانما أدلك فقط وعليك أن تقرأ بنفسك وأن تشركني في هـذه الأحكام الكثيرة . ويجب أن نعرف لهذا الشاعر نزعته الوطنيةَ التي يتشبّث بها وينتصر لها مهما يؤذ في سبيلها : نادى بها في صباه ثم في بلاد الانجليز ، ونادى بها في مصر سايرها آخر الأمر ، وكان اداة صالحة للدعوة الدستورية في شعره لا يتحوّل عن مبدأ ولا يتردّد بين شتى المذاهب إرضاء لشهوات شتى ، وأفراد معروفين ، وهذا يذكرنا ببعض المعاصرين

من الشعراء الذين تنقّلوا بين المذاهب السياسية ، والاهواء الحزبية فكانوا صورة سيئةً من هذا الاضطراب وضعف العقيدة أمام قوة الهوى والشهوة ، وأساءوا الى الأدب والى نزعة السمو النفسي . كذلك نذكر « هيجو ـ Hugo » الذي نُفي في سبيل عقيدته السياسية ومذهبه في الحكم ، ونذكر « بَيْرُون ـ Byron » الذي ساعد يونان في استقلالها ، ونذكر « داننزيو D'Annunzio » شاعر ايطاليا القومي المعاصر .

(٨)

والآن أشير اشارةً عجلى الى بعض الأبواب التي ألمَّ بها في شعره ، تاركا للقاريء استيعاب ما قد عجزتُ عن الإلمام به في هذه الفصول الموجزة ، ولو حاولتُ كلَّ شيء أريدُه لما فرغتُ هذا العام ، ولما وسعني كتابٌ في حجم الديوان ، فكلُّ أبوابه جديدةٌ ، وكلها في حاجةٍ الى تقديم وتحليل ؛ وأين أنا من هذا كله في هذا الوقت الضيّق والجهد الكليل ؟ !

(١) فأوّل الأبواب الشعر الغزلي ، ولعلّه أسبقُها الى ذهن

الشاعر ولسانه لما قد عرفتَ من نفحة حبٍّ ألمَّتْ به في شبابه ، فأذكت قريحته التي فاضت بأوّل كلمة غزلية ، وليس ذلك بدعاً

فلعلّ الحبّ من أسبق دواعي الشعر لدى الشبّان، ولعل شاعراً صادقاً لا يخلو من حبٍّ ، ولكنّ الشيء البديع هنا أن يتحلّل الغزَلُ من هذا السبب الخاص فيصير غزَلاً عاماً أو ـ بعبارة أوضح ـ يصير غزلاً فلسفياً يعشق الجمالَ للجمال، ويتعدّى المرأة الواحدة الى أي جمال في أي فتاة. وقد لا تشعر في غزله الآن بحرارة الشباب وصدقه وانْ كان مستمداً في روحه من ماضي ذكرياته، ولكنك تشعر بحرارة الفن وقوّته، وتصوير الجمال وأسراره، وأشير الى القصيدة المعنونة « أمتع الأنس » (ص ١٢٥) التي يقول في مطلعها :

تُسائلني عن أمتع الأُنسِ لذّةً
وما الأُنْسُ حقّاً غيرَ إيناسِ غانيهْ

وأين الانس اذا لم يكن مع الغانيات؟! وأيُّ ميزة لهنّ في الدنيا غير هذه ؟!

تنازلتُ طوعاً عن وُعودٍ بجنّةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالحبِّ غاليَهْ !

وهذا المعنى يُعيد الى ذهني قول ديك الجن :

(عفّرْتُ خدّي في الثرى لكِ ساجداً
وعزمْتُ فيكِ على دُخولِ النارِ)

ثم انظرْ اليه يذكر فنون الجمال وألوانه ، وما تمتاز به الحسناء :

جَمـالٌ وتحْنانٌ وتيهٌ ورقّةٌ
وعَطْفٌ وإحْياءٌ لأحْلَى أمانِيَهْ !

ولستُ أسترسلُ فالوقتُ ضيّقٌ ، ولـكنّي أذكرُ أيضاً قصائد أخرى مثل « قلبي الخفوق » و « ليلة صيف » و« نظرات » و « اذكريني » ... وهكذا تقرأ القصيدة بعنوان غريب لا تعهده في الشعر القديم ، لأن هـذا الحديث ذو معنًى حديث ، وأعلمُ أن الغزل كان منذ العصر الأموي حارًّا صادقاً حين فرغ له شعراؤه ، ولـكنّي لا أعدُّ أبا شادي شاعراً غزِلاً بذلك المعنى القديم الذي يقصر الشاعر على هذا الفن وحده : مثل جميل وعمر ابن أبي ربيعة وغيرهما ، ولـكنه يتجاوز الغزل الى غيره .

(٢) فلنترك الغزل الى نوعٍ آخر وجدانيي يعبّر عن نزعات خاصّة للشاعر كقوله في « قلم الفنّان » و « نقد الشعر » و « عتاب صديق » ، و « حقّ النبوغ » وغيرها. وهذه الأبيات جيدة حقاً قالها في موضوع « نقد الشعر » (ص١٨٢) :

هوِّنْ عليكَ فما شِعْري بمفتقرٍ
للمادحينَ ، وما عَتْبي لنقّادِي !

ولنْ يَعيبَ نظيمي ذَمُّ حاسِدِهِ
فإنما يَزْدَهي في ليلِ حُسَّادِي !
كالنَّجْمِ في ظُلُماتِ اللَّيلِ مشتعلاً
والماسِ في الفحمِ ، أوكالنَّبْعِ للبادي!

ولا أعرض لهذا النوع بالتحليل الموضوعي ، فهو من رأي صاحبه ، وأما فنُّه فبديعٌ .

(٣) وأما وصفه العام فهو فلسفيٌّ تحليليٌّ تاريخيٌّ فيه خيالٌ جميلٌ رائعٌ . إقرأ قصائدَه في « إخاء الورود » و « ليلة العرس » و « الطبيب » و « راقصة البار تنون » ، « وغادة البحر » ، « والشاعر المجنون » ، « والكلب التائه » ، و « أبي الهول » حيث يقول (ص ١٩٥) :

لم يُفْنِ شيبُ الدَّهرِ منكِ تيقظاً
كلاَّ ، ولا نُوَبُ الزَّمانِ الخالي !
مَرَّتْ حوادِثُهُ الجسامُ روايةً
وكأنما أنتَ الضَّحوكُ السالي
تَقضي بموتِ العابثينَ مُبارَكاً
جُهْدَ الذينَ بَنَوْا بناءَ رجالِ

فقد لا يُسَمِّي الناسُ هـذا وَصفاً ، ولـكنَّه وصفٌ عميقٌ خياليٌّ فيه عِبرةٌ وعِظةٌ ،فأبو الهول ثابتٌ صاحٍ ، يعبث بالدَّهر

ويستقري حوادثه ، ويباركُ المجدّين .

وأُوصيكَ بقصيدة « الربيع » (ص ٥٧٤) فانك ترى فيها هذين البيتين الجامعين :

عادَ (الربيعُ) فعاد البشرُ وانبجستْ
من (الطبيعةِ) أنغامٌ وألوانُ !
وازَّيَّنَتْ هــذه الدُّنيا لموكبهِ
كأنما في مجال العُرْس تزدانُ !

وغير قصيدة « الربيع » قصائده في « الزهرة الذابلة » و« الراقصة » و « البحر » و « الموسيقى » و « المنارة » و « الشيخوخة » و «نَسَمُ النسيم» و «الشهرة» و «الشلّال» ومثيلاتها .

(٤) واذا ذكرنا شعر الطبيعة فلنذكر معه أن أبا شادي من عشّاق (الطبيعة) ، فُتِنَ بها في مصر وفي غيرها من الاقطار التي رحل اليها باوربة، وراعته مشاهدها الجميلة التي تُفوِّفُ الأرض في فصول السنة . يقف على البحر لا وقفةَ المفتون بزرقته وسفينهِ بل وقفة الحكيم الساحر الذي يستنبط الحكمة من نواحيه ويشتقُّ أبدعَ المعاني من مظاهره :

الرَّعدُ صوتُكَ أم حديثُ وفاق
قد بَدَّلتْهُ مرارَةُ الأشواقِ ؟!

تَنهدُ أمواجٌ بعثتَ ، كأنها
للعاشقينَ مصارعُ العُشّاقِ !
سارتْ طويلا في خفاء تارَة
وهنيهةً ضحكتْ مِنَ الإشراقِ !

واليكَ قوله في « أوراق الخريف » وهو مختلف القوافي :

هلْ كانَ نَرْكُكِ غيرَ إيذانٍ بعُمْرٍ قدْ تَقضّى ؟ !
هلْ كنتِ إلاّ رَمْزَ أحلامٍ نُفِضْنَ اليَوْمَ نَفْضَا
مُصفرَّةٌ ـ شأنُ المماتِ ـ بحُمْرَةٍ تحكي النَّجيعْ !
فكأنما قتلتْكِ أحكامُ (الخريفِ) بلا شفيعْ !

ومثل ذلك من الإبداع قوله في « الشمس » و « فتاة الريف » و « بسمة الطبيعة » و « جنة النحل » و « عذراء الربيع » وسواها .

وهنا أيضاً أقول إنّ وصف (الطبيعة) في الأدب العربي ازدهر بالاندلس ، ولكنه لم يُمْزَجْ بالفلسفة الا أخيراً على يد المعاصرين من شعراء العربية بعد ما تثقفهم التربيةُ الحديثة .

(٥) وشعره التاريخي حشوه العِبر والعظات ، ولا سيّما ما يتّصل بالدول الزائلة والحوادث الجلّى ، والاشخاص النابهين : تجد ذلك في ذكريات « بيتهوفن » موسيقار ألمانية ، وفي « كارفة دمشق » وفي « دار ابن لقمان » ، وفي « آخر بني سراج »

الانداسيين من رواية الكاتب الفرنسي الفيكونت دوشاتوبريان:

كانوا مُلُوكاً منارُ الشمسِ رَايتُهم
حتى تدَلَّوْا لسقْطِ اللَّهْوِ غافينَا
فضيَّعُوا دَوْلةً كانَ الجلالُ لها
دِيناً ، فلم يُنصِفوا مُلْكاً ولا دِينَا
حضارةٌ قد نماها العلمُ مزدَهِراً
ولم يزلْ ضوءها البَسَّامُ يَسْبِينَا

ومن أمثلة ذلك في الشعر القديم سينيةُ البحتري .

(٦) ويأتي الشعر القصصي، وأنتَ تعرف أنَّ هذا الباب يُعوز الشعرَ العربيَّ منذ القِدَم كأخيه التمثيلي ، ويُعتبر هذا النوع أوَّلَ دَرجات الشعر ظهوراً منذ البداوة ويليه النوع الغنائي ؛ ومهما يكن من شيء فلهذا الشاعر أقاصيص مستقلة معروفة ، ومن نظمِهِ القصصي في هذا الديوان « الرؤيا » و « مملكة ابليس » ، و « مِمنون الفيلسوف » لڤولتير ، وهي من الشعر المرسل الذي يمثّلُ الحكمة أو تغيرها وأوهامَها وعثراتها الإنسانية بحياةِ فردٍ في شكل حادثة خاصة ، وأُحيلُكَ على هذا الديوان (ص ٦٢٥)لدراستها ،وأمّا « تَلُّ العمارنة »فيغلبُ عليها الخيالُ الجميل :

وقفتُ على الاطلالِ في الحلمِ وقفةً
فكانتْ لي الأَمسَ المحقَّقَ لا الغدَا
فألفيتُ نفسي قُرْبَ فرعونَ ماثلاً
على (النّيل) في بَخْتٍ يشقُّ بنا اليمّا

وفي الحقِّ انَّ هذا النوْعَ تهذيبيٌّ جليلٌ ، يُفيدُ منهُ الأَطفالَ الشبانَ والشيوخَ على السواء .

(٧) ولأبي شادي رثاءٌ حارٌّ حكيمٌ ، أخصُّهُ ما يتعلّق بوالدهِ وآلِهِ ، وما يَرثي به كبار الرجال ونابغيهمْ : رثى صديقه محمد بك فريد ، وسليم سركيس ، وطانيوس عبده ، وسيد درويش ، وأباهيف ، ويعقوب صرُّوف وغيرهم ، وله في سعد عِدَّةُ مراثٍ قيّمةٍ نُظِمتْ بعد جمع هذا الديوان ، ومن قوله في رثاء فريد بك :

إنهضْ وقُلْ للذكرِ كيفَ يكونُ
جُمُدُ الكميّ اذا اعتراهُ سُكونُ !
لا المالُ عزٌّ لدَيْكَ يومَ كريهةٍ
كلاَّ ، ولا شفَّتْ عليكَ سُجُونُ !

فخرٌ كهذا الذّكر يخرسُ عِنْدَهُ
وَصْفٌ ، وما تقضي عليه منونُ !
ومن قال انَّ المنيَّة تقضى على الذكرى الماجدة ؟

(٨) ولعلَّك تعفيني من شرح القومية المصرية فأنتَ تعرفها كما تعرف حبّ الشاعر بلاده حتى وقف على نهضتها وآمالها وآلامها شيئاً كثيراً مما أنشدَ وعمل ، وقد حدثتك منذ حينٍ عن (**مصر بانة**) ولم أحدثك عن (**أنين ورنين**) وفيه من شعر الوطنية جانب ثمين جدير بعنايتك ، وكذلك كتابه (**وطن الفراعنة**) وغيرهما . والآن لتقرأ أولى قصائد هذا الديوان المعنونة « النهضة ارادة » وقصائد « الآداب القومية » و « تحية الجامعة » و « ملك النيل » و « البحر الصاخب » و « بيت الامة » وغيرها ، لتعرف الى أيِّ حد طُبعَتْ هذه النهضةُ في نفسه فأرَّخها وسايرها الى الأمام يَحْدُوهُ أملٌ جميلٌ ولا أقولُ أملُ الواثق من النتيجة .

ومسألة القوميّة وعلاقتها بالشعر تُعدُّ هامةً في رأي النقّاد المحدثين لتثبت الصلة بين الأدب والحياة ، فيكون صورتها وتكون هي معينه الدَّارّ . قال في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م .

وهو يوم « الوحدة الوطنية » ، يوم اتحاد الأحزاب المصرية :

يا يَوْمُ قد بُعِثَتْ بك الأحلامُ
فليبقَ ذِكرُكَ للفخار يُرَامُ
مَرْحَى لوحيكَ ناشراً آمالنَا
من بعد ما قبرَ الرجاءَ ظلامُ
مُتْنا ضحايا الوَهم يقتلُ بعضُنا
بعضاً ، وتضحكُ حولَنا الأيّامُ

نعم ! وكم ضحكتْ منا الأيامُ لَمَّا تهارشتْ أحزابُنا وفرغ بعضنا لبعض ، تاركين المسألة المصرية وراءنا حتى نلنا شر النتائج التي نعالجها الآن . . . .

(٩) باب هام ذلك الذي أعرض له الآن ، وهو الشعر العالمي الخالد الذي تقرؤه كلُّ نفسٍ في أيّ قطر فترتاح اليه ، لانها تقرأ صورةَ النفس الانسانية في شيء من نزعاتها ومظاهرها ، فاذا كان للشعر الوجداني قيمته في نفس صاحبه ، وللقومي منزلته الوطنية الموضعية ، فان للشعر الانساني منزلة كبرى تشترك في تقديرها شتّى الشعوب والأجناس. ولأمرٍ مَّا تقرأ الأممُ المثقفة جمعاء أبا العلاء المعرّي ، والخيّام ، والفردوسي ، وتاجور ،

وداتي ، وهومر ، وشكسبير ، وملتون ، وجيتا ؟ أليس السَّببُ في ذلك أن هؤلاء الشعراء سموا بنفوسهم العظيمة على طبقة أو قبيل أو عاطفة خاصة ، ثم ارتفعوا الى سماواتهم الشعرية وتحدّثوا الى الانسان المعنوي الذي يتفرّق معناه في كل ذهن بشري ، فاطمأنَّ اليهم كلُّ ذهن بشريٍّ ؟ أليس سبب ذلك أنهم تخطّوا الدهر الى أبعد غاياته ، ورجعوا به الى أقصى ماضيه وعرضوه في فنّهم صورةً قويةً خالدةً ؟ أليس سبب ذلك أنهم أنكروا المكان الخاص حين عرفوا المكان العام ، فصار الكون كله دارتهم يضطربون فيه ويصورون جوانبه ، حتى صار شعرهم محبوباً لكل نفس لأنه مُشْتَقٌّ من كلّ نفسٍ ؟ ولنعلم أن هذا النوعَ من الشعر العالَي له فنونٌ شتَّى فهو صوفيٌّ مرةً ، وفلسفيٌّ تارة ، وفنّيٌّ حيناً وانسانيٌّ طوراً ، ولسنا الآن بعرض الشرح والاطالة ، وحسبك أن تلاحظ ما قدَّمنا من أن خلاصة هذه الفنون راجعةٌ الى الانسان من حيث هو إنسان ، له آمالٌ وشعورٌ وفِكر تسيطر على الحياة وتتنزّه عن صغائرها التافهة ، وحسبك أن تقرأ في هذا الديوان شيئا من هذه الفنون لتعرفها من جهة ولتعرف الى أي حدّ تغلغل فيها صاحب الديوان ـ الذي لم يفته أن ينظم في هذا الباب من قبل عبرتيه (أفنانتوبه) و (الآلهة) ـ فقال ما بين مقطوعات

وقصائد في « علة الدهر » ، و « الشكوك » و « العظمة » ، و « ضمير الخالق » ، و « القيامة » ، و « المجهر » و « الفنّان » و « الانسانية » ، وعدا ذلك شيئاً كثيراً . وهذا شيء من قوله في « السعادة وفلسفة سقراط » :

أما (السَّعادَةُ) عندي فلذَّةٌ مستعادهْ
قالوا (القناعةُ) منها وانَّ منها (السِّيادهْ)
وقد أصابوا ، ولـكن لهـا دَواعٍ وقادَهْ
العـاملون لخيرٍ المبتغون الإِجادهْ

الى آخر هذه القصيدة المستملحة .

وخيرٌ لي ولك أن تقرأ بنفسك ، فأبو شادي سَخيٌّ جدٌّ السخاء في هذا الباب لا يشاركه فيه شاعرٌ بمثل هذه الثروة .

(١٠) وأنت واجدٌ بعد هـذا نوعاً آخر يسمّيه النّقاد « الشعر الغنائي ـ Lyrical Poetry » يندرج تحته مثل « البعث القاتل » و « الاطلال » و « الجريح المنسيّ » و « غناء الحياة » و « جَنَّتي » و « توبة الحبّ » هذا غير صور أخرى شتى في غضون الديوان .

(٩)

لا يظن القاريء أني أطلتُ ، فما عليَّ عتبٌ ، وانما العَتْبُ

الأولعلى صاحب هذا الديوان الكبير ، ولايظن انّي أردتُ حَصْرَ أبواب الديوان فذلك عسيرٌ ، ولا يظنّ انّ ماذكرتُه كل أبواب الشعر فالشعرُ في جزئيّاته لايحصى ، ولكنها أغلب أبوابه ، وان كان يجمعها القصصُ والغناء والتمثيلُ ... غير أني حاولت بيان ذلك الجهد العظيم الذي حمله الشاعرُ ليجدّدَ في الأدب العربي وليجعل الشعرَ صورةً من الأدب العالي لايقل فى جميع نواحيه عن الشعر الفرنجي ، وقد كان عَهْدُنا بالشعر العربي مَدْحاً وهجاءً ، ووصفا ورثاءً ، وغزَلاً ونسيباً ، فاذا به فلسفةٌ وقَصَصٌ ، وإذا به فنٌّ يسيطر على مظاهر الحياة وقُوَى النفس ، واذ به دُنياعريضة ! هكذا رأينا ، ورأينا أمراً آخر قد لايعجب المحافظين أنصار المدرسة القديمة ، ذلك هوحرية التعبير النظمي ، فله « شعرٌ مرسلَ Blank Verse » ، وله « شعرٌ حرٌّ – Free Verse » متداخلُ الأوزان ، وله مجازات جديدة وألفاظ وتعابير جريئة مستحدثة :تجد ذلك في قصيدة « الفنان » وقصيدة « نقطة دم » وقصيدة « الرؤيا» وسواها . وهذه المسألة في الواقع تعود بنا الى بحثٍ آخر فصلناه في غير هذا المكان ، هو البحث في حقيقة الشعر ، ولعلك تذكر ماقدمنا لك أوّلَ هذه الفصول من أنّ الشعر هو الكلامُ الجامعُ بين الحقيقة والخيال ، وأما مسألةُ الوزن فهي – على جمالها – تُعَدُّ

في الدرجة الثانية ، حتى لا عدّ النثر الجميل شعراً أيضاً ، وهـذا المذهبُ يوافق رأيَ المناطقة في تعريف الشعر ، وعليـه لا أرى حرجاً في الشعر المرسل بل المنثور ، كما لا أرى مانعاً من تداخـل الأوزان أو تغيير القافية في القصيدة الواحدة ، وليس هذا هَدْماً بل هو بناء وتوسيع لهذا الضرب من الشعر ، ليسهل على الشعراء شرح عواطفهم ، ونزعات نفوسهم وما يشعرون ، حسب المواقف ولا سيما في الشعر القصصي وفي الشعر التمثيلي .

وبهـذه المناسبة أشير الى أن شاعرنا يعنى بالموضوع والمعنى اكثر من عنايته باللفظ ، فهو يحيط بعدّة موضوعات ، كما يحاول الإلمـام بشتّى المعاني ، ثم يخضع اللفظ لذلك كله ، حتى أخـذ عليه بعض الناس ليان الأسـلوب وفقده الجزالة ، ولـكن ماذا يبْغي هؤلاء من شاعر عصريّ يكتب للشعب العصريّ ؟ هل يريدونه على الرجوع الى الوراء ليعيد لنـا عمراً فانياً من عصور اللُّغة ؟! أليس الأنسبُ أن يتحدَّثَ الشاعرُ الى الناس بما يفهمون من الأسلوب حتى يستطيع إيصال معانيه اليهم ؟ على أن شـيئاً كثيراً من شعره لا يقلُّ جزالة عن شعر النابهين من شعراء العربية قديماً وحديثاً . وبعد ، فهل تحبون أن يحتمي مثل كثيرين من الشعراء بالألفاظ فراراً من المعنى الواضح والموضوع القيّم ؟!

وناحيـة أخرى أعرفها للدكتور أبي شادي ، ولعلها كبرى المسائل ، فلقد أعرفه مؤلفـاً أو واضعاً للروايات التمثيلية الغنائية شعراً ، وأعرفه في ذلك أشـد سخاء ، وأسبق الشعراء الى الفتح في هذا الباب والمضيّ فيه أشواطاً بعيدةً ، وأذكر أني فصّلتُ هذه النقطة في تعقبي على (بعث الصحراء) إحدى عبراته (مرادفة أوبرات في رأي الأب الكرملي صاحب « لغة العرب ») ، ومع هذا فمن الحق القول أنه فذٌّ في هذه الجهة ، وان لم يتم له تمثيل إحداها للآن ، .... فليكن سبب ذلك أيّ سبب ، ولكن التاريخ سيكتب له فضلَ السّبق وفتح هـذا الباب في الشعر العربي بجرأة واقدام ، كما يثبت له كثرة الآثار وسهولة الاثمار .

(١٠)

أريد أن أختم هذه الفصول ، فلأختمها بهذا الأسلوب الذي يعمدُ إليه مؤرّخو الآداب من إجمال مايفصلون ، والاشارة الى مايُناسب الموضوع ويتصل به ، فأقول : إنّ شاعرنا تيسرتْ له وراثةٌ جليلةٌ ، ونشأةٌ حرّةٌ ناتجـة ، وتعليمٌ مصريٌّ قوميٌّ ، وثقافةٌ عاليةٌ قويةٌ ، وصناعةٌ علميةٌ دقيقةٌ ، وبيئةٌ حيـةٌ صاخبةٌ بالآداب والصحافة والسياسة والنهضة ، فخلقتْ منه شاعراً اجتماعيًّا

فلسفياً وجدانياً عالمياً غزيرَ الفَيْضِ سريعَ الإلهام .

ولأذكرْ هنا من معاصريه : شوقي وحافظ ومطران، وشكري والعقاد والمازني ، والجارم وعبدالمطلب والزهاوي ، وأنا اعترف لكل واحد من هؤلاء بميزاته الفنّية سواء في لفظه ومعانيه وموضوعه ، فأعرف لبعضهم جلالَ اللّفظ وعظمته ، وقُوّةَ المعنى وروعته ، وأعرف لآخر محاولات حسنة في التجديد الموضوعي والخيالي ، وأعرف لآخرين رقةً وقوّةَ أسْرٍ ورُوحٍ ، وأعرف لأبي شادي التجديدَ الكثير ، والشعرَ التمثيليّ ، والسهولةَ اللفظيةَ ، وكثرةَ الفنون الشعرية ، ولا تظنّ أني أزيد فأوازن وأفاضل ، فليس هذا موضعُه الزّماني أو المكاني ، وحسبي الاشارة الى ميزات هذه الطبقة .

ولكني أريد أن أختم هذه الفصول ... فبماذا ؟ بأن أعرض عليك الأسئلة التي عرضتها على نفسي منذ بدأتُ : هل تيسَّر لابي شادي أن يكون شاعراً عالميًّا ؟ وهل تمكن أبوشادي أن يكون شاعراً قومياً ؟ وهل هو شاعرٌ وجدانيٌّ ... ؟

احمد الشايب

السقراطية

هل هي جائزة في الشعر ؟

بقلم الناقد القدير الاستاذ محمد سعيد إبراهيم
سكرتير (رابطة الادب الجديد)

عرض لي وأنا أقرأ ديوان (**الشفق الباكى**) أن أجعل لصاحبه اسماً يدل عليه وعلى شعره ، لان الاسماء المتخيرة والنعوت الموجزة اذا نفذت الى لباب المسمَّيات لم يكن أقوى منها على الابانة عما وُضِعَتْ له . وبعد ما رجح لدي وقع هذا الخاطر لم يَطُلْ بي مدى البحث عن الاسم المقصود اذْ سرعان ما وجدت بغيتي في شخص سقراط الفيلسوف ورأيت عن يقين ان أبا شادي شاعر سقراطي .

وقد يكون من الغَرابة بمكان أن تجر رجل سقراط الى ميدان الشعر في حين أن الرجل لم يكن يعبأ به ، بل كان أضحوكة شاعر زمانه أريستوفانيز ، وكان ميلتيس الشاعر أحد الذين أقاموا عليه الدعوى التي أدَّتْ الى مقتله الشنيع . ورجل هذه صلته بالشعر والشعراء ـ ان كانت صلة الخصومة والزراية به صلة ـ يُستغرب

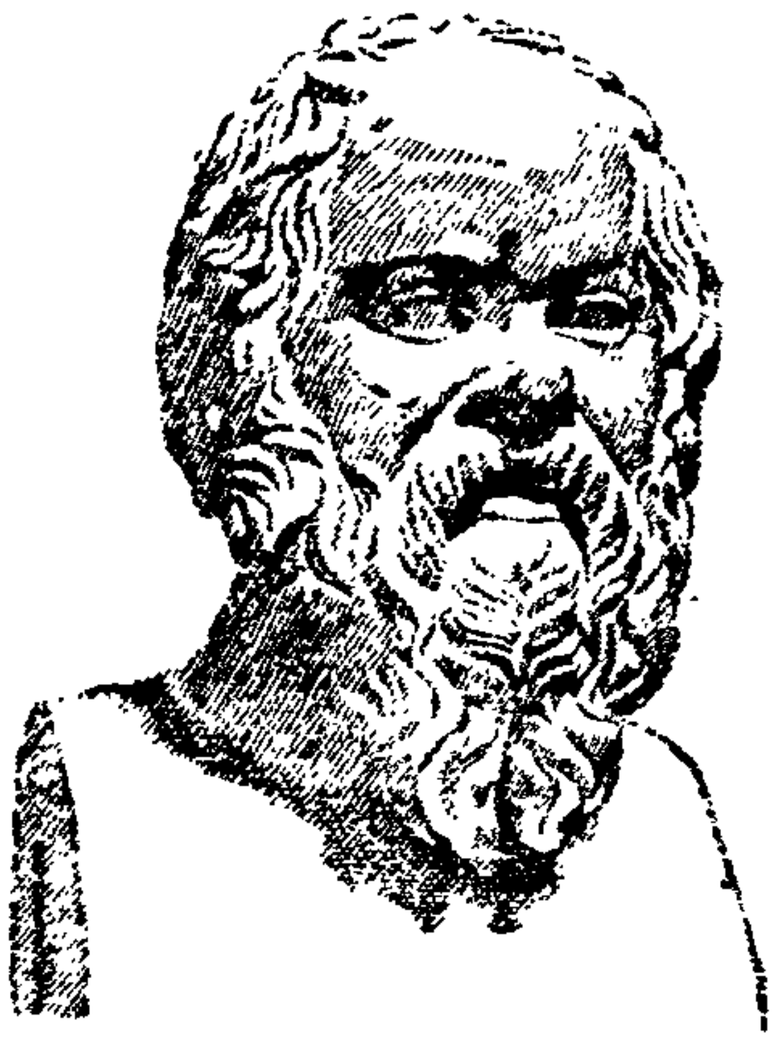

سقراط

عن تمثال نصفي في المتحف الكابيتولي برومة

جعله مضربَ المثل بين الشعراء وتنصيبه مثالاً يُقْتَدَى به ، لولا ان لهذا الديوان صفةً فذةً تحكم وُجوهَ الشَّبَه بينه وبين مذهب سقراط . وشخصية سقراط ـ رغم قدمها في التاريخ ـ لاتخفى على الكثيرين ، وقليل من لا يعرف هيئته الضخمة وعينيه الجاحظتين وأنفه الافطس ، ومشيته وهو حاف في الأسواق وتحدثه الى الناس في خلقه الناصح الطيب ، ودعواه الجهل مع محدّثيه ، وأخذهم بمنطقه القويّ في مسائل المعرفة والواجبات المدنية والفضائل ، وكل ماقد يخطر بأذهان أهل عصره ـ هذه الروح السقراطية في التفلسف هي موضع التسمية التي وضعناها لهذا الديوان . وسآخذ في تبيين مواضع التشابه في الناحيتين ، وبهذه الطريقة تنكشف دخائل الدوافع التي يصدر عنها شعر أبي شادي .

أبو شادي الشاعر يحترف الطب ، وقد أرصد له كثيراً من وقته ، واستنفد فيه شطراً كبيراً من جهده وعنايته ، وأمكنه أن يجد في مزاولة هذا العمل العلمي لذةً قد يستنكرها البعض على شاعر ؛ وهو لهذا متأثر بالأسلوب العلمي في تفكيره ، وأثر هذا الأسلوب متغلغل في قرارة نفسه ، سار فيما يكتب من نثر ونظم عن قصد وغير قصد ، حتى انه ليس ينحي في تصوفه ، فتراه في قصيدة « أقصى الظنون » (ص ٣٠٠) واضح منهج التفكير لايشوبه إبهام المتصوفين المألوف . أمّا امثلة الأسلوب العلمي

المبثوثة في ديوانه فكثيرة : خذ مثلا قصيدة « واجب الفن » (ص ١٧٨) لترى كيف يتحرّى التَحْديدَ في أفكاره ، وأحرى بأن تقرأ تلك الحدود الفنية التي يقيمها للشعر في كتاب نقدلا في ديوان شاعر ، لأن الحقائق العلمية اذا جاءت على يد شاعر أصابها من الضعف والرثاثة ما يصيب الشعر من السّقم والفتور . وكثيراً ما حدثني أبو شادي عن محاولته أن يهضم شعرُهُ العلمَ ، وكنت أجادله في عقم هذه المحاولة التي لايخشى منها الأ على الشعر الذي لابد أن يهضم حقه ويصبح آلة عرجاء في خدمة العلم . فالذي أراه هو أنّ الشعر والفلسفة والعلم مَرَاتب متفاوتة في ادراك الحياة وتصوّرها ، تختلف من حيث الابهام والوضوح ، ولكل منها حدودها التي وان كانت متداخلة غير حاسمة الا انّه يمكننا أن ندرك متى يتجاوز واحد منها حدوده ، ومتى يخرج الشعر مثلا عن طريقه فيصير فلسفة أو علماً . وقد أدخل في روع أبي شادي أن الشعر سيصيب خيراً من صحبته للعلم ، وغاب عنه أن لذة الشعر في أن يبقى حيث هو لساناً للحسّ والعاطفة . وهـذا وجه من وجوه النزعة السقراطية التي لاتجد لذةً الاّ حيث توجد الحقيقة العلمية سافرة لاغموض فيها . وها هو وجه آخر لسقراطيته أشد خطراً على الشعر مضيّعٌ لحرارته ونضارته ، وهو أذيعُ الصفات السقراطيـة

وأفشاها في شعر أبي شادي : وهو الروح الخلقيـة التي تغشاه من رأسه لقدمه ، فانك ان لم تجد ذكر الفضائل في قصيدة من قصائده فلن تخطي، معناها أو مغزاها بين الألفاظ والسطور ، وكثيراً ما يذكر الأعراض والفجور والشرف والعفة كما يذكرها أهل التقوى والصلاح ، ومن أمثلة ذلك ما يرى في « فتاة الريف » (ص ٣٥٣) و « فتاة العصر » (ص ٤٢٨) و « وفاء الدين » (ص ٥٤١) و « بأمر الحاكم بأمره » (ص ٤٠٢) و « مملـكة ابليس » (ص ١٠٢٣) ونحوها كثير.

والسبب في ذلك أن أبا شادي ينظر الى الحياة نظرة خلقيـة تقليدية مستمدة من خلقه الموروث وعيشته البريئة الطاهرة التي لم يشبها استهتار بلذّة ، ولا استرسال في دفعات الشباب الحارة ، وهو يرى أن شعره يجب أن يكون وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي ويذكر ذلك في جـلاء في مقالة « الشعر والشاعر » (ص ٤٣)، إذْ يقول : « انّ أسمى ما بلغه الشعر أخيراً من غرض انما هو درس الحياة وتحليلها وبحثها واذاعة خيرها ومكافحة شرها ، وهو غرض نبيل جامع وان تكيف بصور شتى ، فقد ظهر في لباس الانسانية العامة أو في لباس الجامعة القومية والجامعة الدينية أو غير ذلك.

ومن المعقول أن يجمع بين لباسين فأكثر ، وأن يوفق ما بين تناقضها الموهوم ، وأن يكون رسول السلام ونصير الاصلاح والنهوض .

هـذا هو الغرض الذي بلغه الشعر عامة في جيلنا الحاضر في أرقى مواطنه » . فهو يعترف هنا ان هذه الاغراض التي يتوخاها الشعر جديدة طارئة عليه في عصرنا وهذا حقٌّ ، لأنّ هذا المذهب لم يعرف لشاعر من كبار الشعراء التاريخيين . ثم يتحدث في بقية المقال عن مسئولية الشاعر العامة وأعبائها وعن أساليب الدعوة ، وهـذا البرنامج الذي قد يصلح لرئيس وزارة أو مصلح اجتماعي لايجوز بحال من الاحوال ـ بدعوى الغيرة على الأخلاق ـ أن يكون برنامج شاعر . ونحمد الله على ان لمثل هذه الدعوات أناساً أقوم بها من الشعراء لينصرفوا هم الى ماهُيِّئوا له . وأنا أرجع هذه النزعة السقراطية الى البيئة الادبيـة التي عاش فيها أبو شادي في انجلترا ، وأعرف ان اعجابه بالكاتب الانجليزي « ولز » هو الذي أوقعه في أحابيل هذه المسائل النثرية ، بعد ان استهوته مشاريعـه العمرانية الخرافية ، واني اسائل من لايزال في قلبه خلجة شكٍّ في تعارض هـذه المسائل مع الشعر وافسادها له أن يدلني على شاعر أجمع على عظمته قد تناول مثل هذه المشاكل ، وأن يريني شاعراً حديثاً أو قديماً قد استقام له أمر الشعر في مثل هذا الكلام .

وقد كان تولستوي امام مذهب خلقي من هذا القبيل في الفن أفرد له كتابه المسمى (**ماهو الفن**) كتبه في شيخوخته ، وكانت كل آثاره التي أخرجها منذ ذلك الوقت أفشل وأحطّ مستوى من باقي تاليفه . وقد قلنا إنّ أبا شادي مدفوعٌ في هذا المذهب بأثر مزاجه الورائي وتذكية « ولز » لهذا المزاج ، ثم بأثر البيئة الصحفية التي نشأ فيها فقد كان في شبابه منذ عشرين سنة يكتب في جريدة (**الظاهر**) المقالات الحارة في السياسة الاجتماعية في ابان الحركة التي قام بها مصطفى كامل ، وظل بعد أن أقام في انجلترا متصلا بأصحاب الدعوات السياسية فصحب فريد بك في بعض سفراته في أوروبا وروّج للقضية المصرية في بعض الاوساط الانجليزية حتى كتب اسمه في سجل المشاغبين السياسيين ، وسعى أيضاً في ايجاد نادٍ مصريّ في لندن ، فهو لهذا لا يفتأ يمزج الشعر بالسياسة والمسائل الاجتماعية ويتخذه منبراً للوعظ والتهذيب حتى خلق لنفسه نقّاداً كثيرين لم يألفوا هذه النغمة بين الشعراء .

واذا كان الحضُّ على التفاؤل ومحاربة الشرور من أشرف الغايات التي يدعو اليها انسان فان الشعراء يجب أن يكونوا آخر من يدعو لذلك صراحة في شعرهم ، فكفاهم أن يشعروا العالم بلذة التعبير الفني عما في الحياة ، تاركين للوعّاظ والمصلحين وظيفة

الوعظ المملولة الـكريهة . وليتصوَّرْ الشاعر الخلقيِ ان الحياة قد أصبحت يوماً فاذا الابالسة قد ارتحلت عنها ، وحملت معها شرور الدنيا وآثامها ، وأصبح الخـيرُ حاكم الدنيا الاوحد لاينازعه فيها منازع ، وجاء الشاعر يرسم ظلال هذه الدنيا الموهومة الباهتةَ : فأيُّ شعر سوف ينشده،وأيةُ حرقة شوق سيثيرها ، أو فرحة قلب مصدوع يختلج بهـا شعره ، أو أمل سيبقى يذكره اذا كان الحال كما يتصور من الاستقرار المميت ؟!

ولو ان فحول الشعراء الذين خـلدت اسماؤهم كانوا وعَّاظاً ودعاةَ اصلاح لما ابيح لنـا أن نستمتع بأثر فني واحد . ولا داعي لان نقيم الحجة على فساد خلط الشعر بالاخلاق ، فان هذا يعد في عصرنا من الأمور المقطوع بصوابها ، ومحاولة الخوض فيها تطول .

ومن خواص الروح السقراطيـة اعتقادها ان الفضيلة مبعثها المعرفة ، أو انها المعرفة ذاتها ، وأنها موصلة للسعادة ، وأنه لاخير الا ما أتت به ، وان الناس لايأتون شراً الا لجهلهم ، وهذا مانرى أثره واضحاً فى قصيدة « الانسانية » (ص ٣٩٥) التي يقول فيها:

ما زلتِ سابحةً بتيَّارِ الدَّمِ فتنبَّهي من قبل أن تتهدمي
وتَعَلَّمي سرَّ النجاة وحققي مَعْنَى الحياة بحـكمة المتعلِّم

مَرَّتْ ملايينُ السنين فهل كفَتْ لتفهم الدنيا و نفض توَهُّمِ؟

فهو يذكر هنا مرّ الاجيال من غير أن ينفض الناس أوهامهم ويفهموها على وجهها الصحيح ، كأن سعادة الانسانيـة ورخاءَها مسألة معلقة على نفض الاوهام والوقوف على أسرار الحقائق ، ان كان في الدنيا حقائق ثابتـة . والسقراطيون متفائلون لأنهم يؤمنون بمقـدم ذلك العصر الذهبي الموعود الذي سوف تنفض الانسانية عنها مصائبها فيه و تستقر و برفرف على ربوعها السلام . على ان التفاؤل في توقّع هذا الحلم اللذيذ يكفي لاطارته عن جفونهم أن يفتحوا عيونهم على الواقع ، ليروا ان العـلم لم ينقص صولة الاثم مقدار ذرة ، وأنه لمن الصواب أن توهن سند هذا الضرب من التفاؤل ، و أن تجنّبَ الشعر طريقه ، وخيرٌ لنا أن نسيغ الحياة على انها ظاهرة فنيةٌ جميلةٌ يمتزج فيها الخير بالشر امتزاجاً لا يشوبه نقصٌ ، من أن نعـدَّها ظاهرةً خلقيةً ترى الخير فيها على الدوام يصارعه الشر ، فلا هو بـقادر أن يصرعه وينئيه عنها ولا هو راض أن يشاطره الحياة ، و نقف نحن ازاء هذه المعركة نبكي الخير المغلوب على أسره في كل زمان ومكان .

وتَفَاؤُلُ أبي شادي هذا قد صرفه عن تصور الجوانب المظلمة من الحياة ، لأنه يعتقد ان رسم جوانبها المشرقة بلسمٌ يأسو جراحَ

الناس ، فهو يقدم لهم مايستطبّون به من غلو الشعراء المتشائمين في عبوستهم وتشويههم وجه الحياة . وهو لذلك يُرينا الحياة على نحو فاتر قد اقفر من الامى والاثم ومن ضروب المكاره والمصائب. وأحرى بمن عرف الدنيا على هذه الصورة الباهتة أن يعروه اليأس اذا التقى بوجهها العابس وواقعها الملموس .

فهذه الصورة التي يحاول أن يموهَها الشاعر اشفاقاً على الناس تؤدّي كما ترى الى عكس المقصود منها ، فضلا عما فيها من النقص في التصوير . وانّ من أكبر ما آخذه على أبي شادي حقاً ويشعر به كل من يقرأه أن تنعدم في شعره روح المأساة التي يجاهد أن يخفيها في نفسه اذا عبر عنها ، فهو يكتم أحزانه ويأسو جراح قلبه من غير أن يظهر لنا أثرٌ في شعره ، ظانا أن تكشف الرجل أو الشاعر عن أحزانه ضعف لايحسن القول فيه ، ولا يجمل بالرجل الجليد أن يسترسل فيه . وهو قد انضب في نفسه بهذا المسلك ينبوعاً حاراً من الشعر كان الاولى أن يترك على سجيته في الجريان . واذا كان أبو شادي في حاجة الى دليل على مافي روح المأساة من ذخر لطبيعة الروح ، فلينظر في أثر الماسي اليونانية على شاهديها ، وهل كانت تلين صلابة العزائم أم كانت تصفيها من أوشابها وتسمو بها الى شأو من العظمة يدنيها من الأرباب .

هذه هي المواضع التي تبدو لى من سقراطية أبي شادي ، وهي كما ترى مضعفة لروح الشعر ولو انها جميلة بنفس صاحبها ، وهي روح أولى أن يتَّصف بهـا علم العلماء و نقد الناقدين . وشعره لاتتجلى فيه الروعة والحرارة الا حيث ينسى هذه النزعة الخلقية ويتخلص قليلا من وثاقهـا ، وينضو عن نفسه مسوح الصلاَّح التقاة . فمتى وجدت أبا شادي يدفع عن نفسه طائلة ناقد أو لائمة لائم على مثال مايُرى في قصائد « نقـد الشعر » (ص ٨٢) « والطبيب » (ص١٩٧) و « حياتي » (ص ٤٦٥) ، أو حيث يخرج عما ألفه فيكشف عن ألمه وحزنه كماترى في قصائد « جزائي » (ص ٤٣٤) و« توبة الحب » (ص ٤٤٩) و « صحبة الآلام» (ص ٤٥١) فهناك تجد أبا شادي ناصع البيان حار الأسلوب .

وقد اتخذتُ سقراط وفلسفته فيما كتبتُ عن أبي شادي مجرد وسيلة لأبين مآخذي عليه كشاعر لاعلى الفلسفة السقراطية، وحشرته في زمرة السقراطيين لا لأن السقراطيـة مذهب خاص يتبع في الشعر ، وانمـا كان ذلك سعياً في إخراجه من زمرتهم ، لان السقراطية نزعة علمية خلقية لاتتفق مع روح الشعر مطلقا .

واجتزأتُ أيضاً بالبحث في جوهر شعر (**الشفق الباكى**) ومراميه ، ولم اكتب شيئاً عن أسلوبه اللغوي ومادته ، ولم أقف

ككثير من النقاد أمام كل بيت من الشعر لأقول هنا أجاد الشاعر وهنا أخطأ ، وهناك ضرورة التزمت أو خبنة لحقت بهذا البيت أو ذاك ، الى آخر ماهنالك من ضروب المآخذ اللغوية والعروضية التي قد يتورط فيها شاعر ، كأنَّ عمل الناقد أن يعقب على كل كلمة بكلمة ، وكأن ديوان الشعر كراسة تلميذ لاتجرى فيها الا مباضع النحو والعروض !! واني أترك هذا لفقهاء اللغة الذين جعلوا هذا العمل ديدنهم في الشعر ، وأُعيذ القاريء من ملال هذا الاستعراض الذي تَغْثِي منه نفسه ، والذي اتخذه المشايخ في السنين الاخيرة بضاعة لهم ، عوضا عن الفتاوي الشرعية التي بارت تجارتها وعفى عليها الزمان ! ولكن لي كلمة قصيرة في أسلوب الديوان لابأس من ايرادها : فأنا أعرف ان أبا شادي يتوخى في الاسلوب مايدعوه تمصيراً للغة ازاء من ذهبوا الى الباس اللغة ثوب الاستعراب والبداوة ، وهو متأثر في هذا الى حد كبير بمطران . فاذا كان مطران نفسه يأخذ عليه شاعر كحافظ شيئاً من الضعف في الاسلوب فما بالك بمن يجرى خلفه في هذا السبيل ؟ ولذلك لم يسلم أبو شادي من اتهام الكثيرين له بضعف الاسلوب . ويمكننا الرَدّ على دعوى تمصير اللغة بالاشارة الى أساليب نوابغ شعراء العرب الذين لايزال شعرهم يُرْوَى للآن ويُستعذَب ، ولا نجد فيه مايتنافى مع

تذوُّق المعاصرين للاساليب اللغوية ، واننا لانعدو الصواب اذا قلنا إنَّ الاسلوب العربي القويّ البليغ بليغٌ في كل زمان ومكان .

وبعد ، فان لسقراطية ابي شادي وغيرته على الحق واحلاله من نفسه محلا يؤثره على إطراء الاصدقاء له دليلاً أخيراً يلمسه من يقرأ هذه الكلمة التي أبَى عليَّ الا أن أسجلها في ديوانه !

وليس بخاف بعد ذلك ان رأيي هذا في أبي شادي ليس آخر مايقال فيه ، فسوف يعتريه التغيُّر الذي يغيّر كلَّ شيء ، وسوف يغير من صاحب الديوان ومن مذهبه في الشعر. (**والصفو الباكى**) لم يزد أغلبه على كونه ثمرةَ مايقرب من سنتين من حياة في الادب والشعر لايزال هو في مطالعها ، والأيام المقبلة تدخر له الشيء الكثير؟

محمد سعيد ابراهيم

لما سئل سقراط الى اي مملكة ينتسب اجاب : « الى العالم » ، وذلك لانه كان يعتبر نفسه مستوطناً العالم بأسره واحد ابنائه . عن (سيسيرو — *Cicero*)

الخطيب الفيلسوف الروماني

« للادب غايات غير التسلية المأمونة للرجال الكسالى الواهنين . »

عن (كارليل - *Carlyle*)

الاديب المؤرخ الانجليزى الشهير

« يمثل الادب الذهن الذي هو دائم التقدم ، حينما تمثل الحكومة النظام الذي هو دائم الثبات »

(بكل — *Buckle*)

الاديب المؤرخ الانجليزي العظيم

شعرُ التسامي

للكاتب العبقري المتفنّن الاستاذ سلامة موسى

أخي الاستاذ احمد زكي ابو شادي

أرسلت اليَّ « **الشفق الباكي** » ودعوتني الى أن أُخبرَكَ عن رأيي فيه . وأنت تعرف أني لستُ شاعراً ، لم أنظم بيتاً قط ، ولكنك تستند بالطبع الى أني أديبٌ وأنَّ الشعر أصيلٌ في نفس الأديب ، وان الشاعرية بل الايقاع نفسه يتضح في النثر الجيّد والاسلوب الرَّصين ، وكأنّنا مع ذلك ينتقد الصورة ولو لم يكن رسّاماً . وقد نشأتُ على أن أتذوق القليل من الشعر العربي بل انّي لا أكتمك كراهتي لملوك الشعر العربي كالمتنبي وأضرابه ، وحبي لصعاليكه كأبي نواس والبها زهير ، وقد ملت الى الشعر الاوربي وخاصة الانجليزي الذي لا أظن أنَّ في العالم شعراً يساويه ولا أقول يسمو عليه . وما ذلك الا لأن لفظة « الشاعر » عند الاوربيين تعني العامل المبتكر ، وهي عند العرب تعني المغنّي لأن « الشعر » مشتق من « شير » العبرانية بمعنى الغناء . ومن هنا صار من تقاليد الأدب عند العرب أن يقصر الشاعر مجهودَه

على الزخرفة اللفظية ، بينما هو يخترع ويبتكر عند الاوربيين . وأي شيء أدلّ على الابتكار من الدّرامة التي عرفها الاوربي وجهلها العربي ؟ !

ولست أستقلُّ شأنَ الايقاع والغناء والزخرفة اللفظية في الشعر ، فاني أكاد لا أعرف ميزة أخرى للبها زهير ، ولكني وأنا أقرؤه أشعر أني ألهو كما أظنّ ان هذا كان شعوره عند ما كان ينظم . ولكني عند ما أقرأ شعراً أوربياً وخاصةً انجليزيًّا أشعر أنّي أعالج مع الشاعر موضوعاً سامياً لا مجال فيه للّهو اذ هو عينُ الجد . واذا كنت ألتذّ ما فيه من ايقاع فانما تعود هذه اللذّة الى زيادة الشعور بالجد ، وما في موضوع القصيدة من خطر . وقد يتوهم الانسانُ من وقار المتنبّي وقوته على الاداء أنه جادّ لا يلهو ، ولكنَّ الواقعَ أنه أكثر الشعراء جداً في اللهو . وأيُّ لهوٍ أكبر من أن يضيّعَ الشاعرُ وقتَه وعبقريّتَه في مدح الامراء وهجوهم ؟ !

وقد ورثنا نحن هذا التراث عن شعراء العرب ، فنشأ شعراؤنا في نهضتنا الحديثة على احتذائهم في الاسلوب والغاية ، وفي الاكبار من شأن الصنعة اللفظية . بل نحنُ ما زلنا في النثر نتحرّى اللفظة الرشيقة والعبارة المنمّقة ولو كان فيها التضحية بالمعنى ، أو ضياع وقت القاريء فيما لا يفيده . ومع أنّ كثيرين من كتّابنا يدّعون

كراهة السجع ، فانك تراهم من وقت لآخر وفي طيّاتِ عباراتهم يخالسون القارئَ ويدسّون له سَجْعَةً قد انطوت على مترادفات يعرفون هم أنه لا فائدة منها للقارىء وأنه لا يدفعهم اليها سوى التقليد ! وأكاد أقول إن المحسنات اللفظية والاغراق في الصنعة والنزوع الى تأليف النغم كل هذه خصال تكاد تكون أصيلة في اللغة العربية ، وهي من البواعث المثبّطة في التأليف عندنا ، لأنّ المؤلف الذي يعرف موضوعه وقد حذقه درساً وبحثاً يخشى الاستهداف للنقد ، لأنه يظن أن عجزه عن الصنعة اللفظية سيعاب عليه ، وان هذه الصنعة ستحتاج منه الى مجهود كبير ، فهو لذلك يحجم عن التأليف !

ومما يدلك على الاكبار من شأن الصنعة عندنا أن في البلاد الآن حزبين كبيرين يتنازعان السلطة أحدهما « الوفد » والمحرر الظاهر في صحيفته هو العقّاد ، والثاني هو حزب « الأحرار الدستوريين » والمحرر الظاهر في صحيفته الآن هو المازني ، وكلاهما كاتب صنعة : بضاعته تنميق الالفاظ وتزويق العبارات ، أمّا الدرس والثقافة فلا قيمة لهما عندهما . فلا تشكّ بعد ذلك في أن جمهور الامة يحب الصّنعة من الناثر ، أما حبه لها من الشاعر فواضحٌ في جميع شعرائنا الظاهرين .

وعلى هذا سأتنبأ لك منذ الآن بأنّ الناقدين سيعيبون عليك قلة عنايتك بالصَّنعة ، و بأن ألفاظك عامية غير شعريّة ! أما مقاصدك العليا وعناياتك السامية فسيضربون عنها صفحاً ، وذلك لأنّنا على الرغم من صيحات التجديد التي تتكرر أمامنا ما نزال نعيش من حيث الأدب في القرون الوسطى .ومعظمنا الى حدٍّ ما أزهريٌّ يقول بالنقل دون العقل ، وكما يكره « الاجتهاد » في الدين كذلك يكرهه في الأدب ، وكما أن البدعة ضلالة في الدين كذلك هي ضلالة في الأدب !

أمّا أنا فقد انطلقتُ من القرون الوسطى وصرت لا أجد النجاةَ الا في البدعة ، وهذا ما جعلني أنتبه الى شعرك وأتوسّم فيه التجديد . ولعل توافقنا في الغايات الأدبية قد زاد اعجابي « **بالشفق الباكي** » ، فانك تدعو فيه الى الحب بينما غيرك يدعو الى الكراهة والبغض ، وتدعو الى الاخاء الانساني والوطنية العالميّة وكسر شرة التعصب القومي والوطني والديني ، وهذه دعوة يعدّها أحد أدبائنا — إمّا لُؤْماً وإمّا جهلاً منه — شيوعيةً ، وقد دعوتُ أنا بالنثر الى ما دعوت أنت اليه بالنظم .

وفي شخصيتك وجمعك ما بين العلم والأدب ما يدعو الى التفكير . فالعلم في اعتقادي يحتاج الى الذهن الذي يحلّل ويردّ

الى الاصول ، بينما الأدب وخاصة الشعر يحتاج الى البصيرة والى التأليف دون التحليل . وأنت جامعٌ بين البصيرة التي ترسم لك الغايات ، و بين الذهن الذي يرشدك الى هذه الغايات ، وهذه ولا شك عبقرية . وربما لم يكن خلواً من الدلالة على شخصيتك انك جمعت بين العلم والشعر في مهواتك التي هويتَها وعلقتَ بها وهي تربية النحل . فأي شيء هذه المهواة : أعلم أم شعر ؟

ثم انّ العالم فيك ينشد الحقيقةَ والواقعَ ، ولكن الشاعر لا يقنع بهما ، بل هو يلبسهما ثوبَ الجمال وينحو بهما نحو المثل الأعلى . أفلا تظن أنه يجب أن يكون للانسان شخصيتان لكي يؤدّي هاتين المهمتين ؟

لقد أخذ عليكم بعضهم نشأتكم العلمية ، وانها تحول دون تنمية الروح الشاعرية ، ولكني لا أرى في ذلك شيئاً تؤاخذون عليه ، بل أعتقد أن العلم يؤاتي الشعر كما يؤاتي الذهن البصيرة بأن يمدّها بالطرق والوسائل . ولا عبرة بأن تكون لكم شخصيتان بدلا من شخصيةٍ واحدةٍ . وما ذا يمنع أن يكون لأحدنا ثلاث أو أربع شخصيّات ؟

سلامة موسى

« منحنا الشعر لكي يحجب نزاع الحياة الصغير ، وكي يجعل الانسان تنوعاً بالحياة وشانه فيها »

(جيتي ـ Goethe)

« الشعر هو دائما تفسير شخصي للحياة »

(مابي — w. H. Mabie

« اللغة عند طفولتها كلها شعر »

(امرصن — Emerson)

« لايمكننا ان نرى رجلابصورته الحقيقية الا اذا كنا نحبه »

رابندرانات تاجور

« في السياسة اذا انتصر حزب على حزب صار لاهمللحزب المغلوب سوى العمل على قهر الحزب الغالب واسقاطه . اما في دولة العلم فلا غالب هناك ولا مغلوب : هناك شيء اسمه اقناع ، وكل عاقل من رجاله ينحني امام المعقول »

جاجاديس بوز

النقد والشعر

بقلم الناظم

أذكر قبل الحرب الكبرى بسنتين ـ أي في بدء إقامتي بانجلترا ـ أنَّ حركة التآليف الشعرية كانت كاسدةً نظراً لقلة إقبال الجمهور في انجلترا على الشعر العصري ، فكان ذلك موضوع الشكوى المرّة وحينئذ تآمر بَعْضُ الشعراء والناشرين وتعاونوا معاونةً جميلةً نبَّهتْ الجمهور من غفلته ، وكان بين أساليب دعايتهم أجزاء المنتخبات الموسومة (Georgian Poetry) التي ذاعت ذيوعاً كبيراً وخدمت الشعرَ العصريَّ الانجليزيَّ خدمةً كبرى ، دعْ عنك ما كانت تنشره الصُّحُف اليوميَّة والاسبوعية من تشجيع وإعلاناتٍ أدبيةٍ وتقاريظ ونقدٍ تحليليّ ، فراج التأليفُ الشعريُّ وتسابق الشُّعراء لخدمة النهضة الأدبية ، وما يزال صدى جهدهم يرنُّ في المحافل الأدبية حتى يومنا هذا .

ونحن في مصر في الوقت الحاضر نُعَاني ما كان يُعانيه شعراء الانجليز منذ جيـل ، فطلبةُ المعاهد ما زالوا يؤمنون بخرافة « المعلقات » وبالشعر القديم باعتباره المثل الأَعْلى للشعر العربي

قديماً وحديثاً ، ويحسبون الغِنَى الأدبي في استيعاب ذلك الشعر وحدَه . وخاصةُ القرَّاء ـ ولا سيَّما من تَرَبَّوا تربيةً فرنسية ـ مازالوا يحنّون الى شعر الألفاظ الرَّنَّانة والتهويل والمبالغة دون التفاتٍ كافٍ الى الشعر الجديد . وجمهرةُ القارئين لا يَعنيهـا الاَّ شعرُ الشهرةَ وإن انحطَّتْ درجته الأدبية ، ويعنُوْنَ أكثر من ذلك بالأزجال ـ وفيها الصَّالح القليل والطَّالح الـكثير ـ فيجري وراءهم عُبَّاد الصيت من مشهوري الشعراء الذين لا يَحيون لغير الشهرة ولا يعتبرونها وسيلة ، بل غاية فتانة هي حُلمهم الدائم ، ويُسابقون شعراءالعامة في نظم الأزجال بمبتذل المواضيع والأغاني ! وصحافتنا ـ رضي الله عنهـا ـ لا تعنى كذلك بغير الشعراء المعروفين ، وإنْ نال معظمهم شهرته في غفلة الزمان ، ولا يعاونها غالباً أحدٌ من النُّقَّاد الضليعين النَّزيهين ، وأكثر نقدها هراء في هراء وأغراض ومجاملات . وأولئك شعراؤنا الأفاضل متخاذلون مغرورون بغير إنتاج يُسَاغُ بجانبه ذلك الغرور ، وهَمُّ كلٍّ منهم أن يُعَدَّ الشاعر المُلَّى في جيله ، وبينهم مَنْ تفنَّن في العظمة المصطنعة وفى أذاة الحَسَد دون أن يفهموا الاخاء الأدب وللتَّعاون الأدبي قيمةً أو معنًى ، متغافلين عن القدوة المُثلى البادية في مجتمعنا الأدبي بين إخواننا اللبنانيين وبين أقرانهم النابهين في أمريكا .

فوَسَط هذه الظروفِ يشقّ كثيراً انهاضُ الشعر العصريّ - فالوسائلُ المادّية لتأليف ندوةٍ للشعراء ومجلةخاصة بهم ومسابقات تشجعهم شبهُ معدومةٍ للأسف ، وذلك لأنّ القادرين عليها أنانيون مادّيون ولا يَعْنيهم غيرُ أن يحرصوا على ظهورهم الشخصي. وهذا مما يُثبط هِممَ الشعراء الناشئين المجيدين الذين لا يملكون وسائلَ الدعايةِ الصحفيَّةِ في قُطْرٍ شبهِ أُمّيٍ ، قد يمرُّ جيلٌ كاملٌ أو أكثر قبل أن يلتفت أهله الى الأدبِ الجديد بغير تنبيهٍ لهم وإلحاح عليهم ، لاسيّما وقد يسوق الحَظُّ الى أولئك الشعراء صُنوفاً من المقاومات التي قد تقْضي على كُلِّ أَملٍ لهمْ في فائدة جهدهم للناس وللأدب !

وقد شاءتْ الأقدارُ العنيدةُ أن تجمع بين ايماني بعقيدتي واتهامي شخصياً لجهدي ، وكذلك بين رغبتي القويَّة في أن لايذهب عملي سُدًى ورغبتي في تشجيع النقد الشريف أيضاً ، وإنْ كان فيه إصغارُ ذلك العمل . فاذا بي أراني في تناقضٍ معقولٍ وإنْ لم يفهمهمَنْ يجهلني : فبينما أُقدّرلنفسي ولزملائي قيمةَ الاعلانِ الادبي المعتدل الشريف الذي يؤدي الى الانتباه الى ذلك العمل، أرفض رفضاً باتاً التقريظ الناشيء عن محض الرغبة في التقريظ ، ولا أظن أديباً مثقّفاً يحترم نفسَه يُعْنَى بالتقريظ بقدر مايُعْنَى

بالنقد الحر النزيه الذي يخـدم القرّاءَ والأَدبَ والمؤلّفَ على السواء ، وأقصى مايهمُّهُ ـ وإنْ طال الجهد ـ انمـا هو النَّجاحُ الأدبي لا التطبيل والتزمير .

فبين هذه العوامل أُرحِّبُ بكلِّ نَقدٍ وتحليلٍ ، وألتمسُ من القاريء المستقل أن لايحمل مابين دفَّتَيْ هذا الديوان من أبحاث دراسية على محمل الاشادة بجهد الناظم ، فكلُّ مافيها من تقديرٍ و نقدٍ لن يُغـير الواقعَ مثقالَ ذرةٍ ، وانما فائدتُهُ العُظْمى في تنبيه الاذهان واستنطاق (interrogation) العقول ، بعد خمولٍ فكريٍّ طويلٍ .... وفائدةُ ذلك لاتعود على الشاعر وحـده وانما على شعراء جيله جميعاً ، فالـكلُّ تقريباً مغمورٌ في تيار الاغراض والشخصيّات والأَنانية والخمول . ولولا هذه الغيرة على النهضة الأَدبية العصرية لآثرتُ خُلُوَّ جميع تآليفي من فصول تحليلية ، لأَني شخصياً أَبْعَدُ ما أكون عن الرِّضى عن نفسي ، وهذا من العوامل القوية التي تحفزني الى الدأب المتواصل ، وأعدُّ مقياسَ الشعر المقياسَ الـكوني والانساني العـام ، لا المقياس الوطني المحلِّي فحسب . ومَنْ يُصَرِّحُ هذا التصريحَ جهاراً ومراراً في كلِّ مناسبةٍ لاحاجة به الى الاطراء في مواقف الدّراسة الجدّية ، وإن احتاج اليه أحياناً في مجـال الدّعاية الشعبية لايقاظ الرُّقود

وتوجيههم الى عمله وعمل أقرانه فلا يسعه اذن الاّ أن يسخر من العاجزين العابثين الذين يتطاولون الى الأخلاق وينتقدون باسمها ، بينما هذه الأخلاق بريئة منهم الى يوم القيامة !!

فيلطمُن اذن القاريء والناقد اطمئناناً وافياً الى هذه الحقيقة حتى يشتركا بعد ذلك بنفس صافية في مايستحقُّه هذا الديوان من دراسة أدبية سواء بالقبول أو الرفض ، ولينْكرا دائماً واجبَهما نحو الشعر العصري عامةً ، إنْ نسيا حقَّ ناظم هذا الديوان خاصة ، فأنا لا أعرفُ الاعتدادَ بالنفسِ الاّ في موقف الدفاع من أجلِ الأدب الحرّ وحده ، ولا أعتبر هـذا الديوان بالنسبة لآمالي وواجبي الاّ خطوةً صغيرة الى الأمام ، وكلُّ صورة غيرَ هذه لنفسيّ انما هي من تصوير الجهل أو الغرض الأعمى لمن يستمتعون بالهدم والصَّغار بدل البناء الشريف .

* * *

بهذا الروح وبين هذه الظروف أراني مُطالَباً بالتعليق على أهم مايُوجَّه اليَّ الآن في بعض المجامع الأدبية والصحف فضلا عمّا في ذيل هذا الديوان من نقـدٍ لأنّه ليس من العدل أن يتحمّلَ صديقي الناشر هذا العبءَ ، وانْ شكرْتُ له فَضْلَه المتكرِّر عليَّ وعلى الأدب العصري في مواقف شَتّى سابقة .

(١) في طليعة هذا النقد من وجهةٍ نفسيةٍ متجلِّية في شعري بثّي فكرة التعاون والاخاء الأدبي ، فهذه الفكرةُ معدودةٌ من سيئاتي الأدبية ! وهـذا نقدٌ لا أفهمه إذْ أني لا أتصوَّر انَّ الفرديَّة الأدبية أو الأنانية مزيةٌ عظيمةٌ للأدب أو للأديب ، أو أنها عمادٌ للثقافة ، بل أرى الواقعَ عكسَ ذلك كما أسلفتُ ، وأعتبر النهضات الحقَّة وليدةَ التعاون . ولن يَعْني التعاونُ تنازلَ الأديب عن آرائه أو أساليبه ، وانما يَعني التآزرَ على إظهار أنواع الجمال الأدبي في بيئته ، وهيهات أن تقتصر هذه على إنتاجه وحده ! ولـكنَّ هذا النقد غيرُ عجيب في بيئةٍ يُريد كلُّ فردٍ ممتازٍ أن يكونَ دولةً متفرّدةً مستبدّةً ، ويَنْسى فروضَ التربية الاجتماعية مصغراً دائمـاً من شأن سواه ، ويتعلق بالصيت ذلك التعلق الذميم الذي وصفتُه في قصيدتي « الشهرة » (ص ١٠٣٧). بين هؤلاء من يعد الاخاء الأدبي تملقاً ورياءً ، حينما يعد السكوت تقصيراً وحَسَداً ، وبينما يعد النقد الحر النزيه حقداً وعداءً ! ! وهذه نفوسٌ مريضةٌ لا منطقَ لها ولا ثبات ، وإنما لها أهواء وأوهام وسخائم تحْيَا بها . . . . تحتقر التعاونَ الشريفَ وتهزأ بأصحابه ، ويَرَى كلُّ فردٍ انَّه هو وحده الجبار العظيم والعبقري الفذّ الذي ينبغي أن لا تُرْفَع رأسٌ الى جانب رأسه ، وان يقضي قضاءً

مبرماً على كلّ أدب سوى أدبه ، بل تبلغ الصفاقة ببعضهم الى أبعد من هذا التبجُّح ! فبالله قارنْ بين هذا الروح الأناني الخبيث وذلك الروح الأدبي الخالص الذي أنشأ (جمعية الشعر - Poetry Society) الشهيرة في لندرة ، وكذلك نظيراتها من الجمعيات الأدبية التعاونية المثمرة في تلك العاصمة وسواها من عواصم الغرب ، دع عنك جمعية (الرابطة القلمية) التي أسسها اخواننا السوريون في نيويورك ، فنهضت نهضةً مأثورةً بأدبهم الجديد . فكيف يُعَدُّ شعوري هذا دليلاً على ضعف أدبي ؟!! وهل نسي هؤلاء المثل العالي الذي ضربه الشاعر الانجليزي المجيد روبرت بروك (Rubert Brooke) الذي فَقَدَه الشعر في شبابه فعوّض عن فقده بروحه التعاونية النبيلة ، إذْ أوْصَى بأن يُخَصَّص دَخْلُ تآليفه لنشر آثار ثلاثةٍ من أقرانه الشعراء المجدّدين ، وهم الاستاذ (لاسل أبركرمبي - Prof. Lascelles Abercrombie) و (والتردي لامار - Walter de La Mar)و (ولفردجبسون - Wilfrid Gibson) وقال إنّ غرضه أن يساعدهم ذلك على التفرّغ للانتاج الجميل بدل أن تعوقهم الشواغل المادية عن إظهار أحسن ما عندهم ، وأنّ هذا خير عزاء له في وفاته . وها قد مرّت

أعوامٌ طويلة منذ وفاة بروك في خلال الحرب الكبرى ، وما يزال شِعْرُه وخُلُقُه العالي مذكورَيْن أشرفَ ذكر ، وهذا نظمُه يُقبِلُ عليه الجمهور الانجليزي أعظمَ إقبال . فلم تكن روحه التعاونية إذن دليلا على ضعفه الأدبي ، ولا منافية « للفردية » (Individualism) المعقولة ، بل خدمتْ شعره وذكراه أجلَّ خدمة وما أساءتْ الى الشعر الانجليزي بل ساعدت شعراء آخرين مجيدين على اظهار أحاسن نظمهم . فكيف تجوز بعد ذلك السخرية ممَّا هو جديرٌ بالتشجيع والتقدير ؟ ! ! وكم من شعراء مغمورين في مصر لهم حسنات فائقة لا يستطيعون مادياً إذاعتَها في كتب ، وقد يلاقون أو لاقوْا عند محرّري الصحف أيضاً ما كفاهم من تثبيط الهمة ، فكم يكون ربحهم وربح الأدب عظيما باذاعة مجموعة سنوية لهم مختارة من أحاسن شعر العام ؟ ولكنْ هذا لن يكون ما دامت رُوحُ التخاذل متفشّيةً بين أدباء مصر كما هي متفشيةٌ بين ساستها ، والنتيجةُ في كلتا الحالتين واحدة : وهي الخسارة المستمرّة . فمن هو أَوْلى إذنْ بالنقد والتثريب ؟

(٢) السقراطية : هل هي جائزة في الشعر ؟ — سؤالٌ

يُوجّهه اليَّ والى جمهور الأدباء صديقي الاستاذ محمد سعيد ابراهيم باسلوبه الصَّريح الجميل ، وخيراً فعل بطرقه هذا الموضوع الخطير بالمناقشة والتصفية . وخيرٌ لي أن يخالفني الآن ثم يتفق معي آجلاً من أن يكون الحال عكس ذلك .

لقد كان سقراط في أول نشأته مَثّالاً أي رجلَ فنٍّ ، كما كان والده مثّالا كذلك ، بل كان أحد المساعدين لفيدياس (Phidias) ، فلم يكن فنُّه هذا بالذي يحجب عنه نور الحقيقة بل كان داعياً له الى التأمُّل في الحيـاة والوجود ، ومبغّضاً إياه في السفسطائيين المغالطين . فانتقل من هذا الى واجب مقاومتهم في سبيل نصرته للحقيقة ، ولمّا عظمتْ نفسُه أحسَّ بواجب تدريب أبناء وطنه على التفكير والبحث في أسباب الأشياء وعللها ، وطرْح المناقشات العقيمة التي يُعْتَمد عليها المغالطة ، واستبدالها بالمنهاج البحثي المؤدّي الى معرفة الحقيقة . وعلى رأي الاستاذ برندون (J. A. Brendon) كان الأثينيّون يعتقدون أنّ الخير في أن تكون عظيماً ، فجاء سقراط يعلّمهم أن العظمة هي في أن تكون خيّراً ، وان الحياة المستقيمة أكرم وأعظم من مجرد الغنى المادي . ولهذا كان شديد السخط على رجال السياسة وعلى رجال المـادة الذين نظروا للانسانية كانها آلات ومتاع وأرقام ، ويُشبهه في

سخطه هذا فيلسوفنا الاجتماعي العصري ه . ج . ولز (H. G. Wells) الذي أحترمهُ حقًّا ، ولا أعتبر آراءه الاصلاحية محضَ خيالٍ لن يتحقق ، فهي سائرة في سبيل التحقيق التدريجي أمام أعيننا ، وفي مقدّمة قرائه المتأثرين به رجال التفكير ورجال الحكم المستنيرون في أمم شتى ورجال الماسونية وسواهم من العاملين على توحيد الانسانية وتثقيفها وتآخيها .

كان دأبُ سقراط أن يُبرهن على جهل النَّاس في معظم مايتحدَّثون عنه إذْ يُلقون أحكامَهم جزافًا ، فما كان أحوجَ أثينا الى مثله ، بل ما أشدَّ حاجة هذا العصر أيضاً الى أمثاله . فقد كان بحّاثةً نفسياً خلقياً ، ومفكراً محلّلاً الى درجةٍ مدهشةٍ ، ولما أعلن الوَحْيُ القدسي (Oracle) في دِلفي انَّه أحكمُ الاغريق وأحصفهم لم يقتنع بهذا الحكم ـ برغم فحصه له وتحليله وتطبيقه على عقلاء أمّته ـ الاَّ مستنداً الى حُكمٍ آخر من استنتاجه : وهو أنَّ غيرَه من الرجال لايعرف شيئاً ثم يدّعي المعرفة ، حينما هو (سقراط) لايعرف شيئاً كذلك ولكنّه يقرّ بجهله ! وكان يخالف الناسَ في اعتقادهم انَّ الشيء المقدّس هو مارضيتْ عنه الآلهة ، ويسأل لماذا لايكون العكس هو الواقع : أيْ انَّ الآلهة تسرّ من الشيء لأنّه مقدّسٌ في ذاته ؟ اورجلٌ هذا شأنه لم تكن تأسره الخرافةُ فكان يسخر

من تفاسير الجهل للميثولوجيا اليونانية التي تعتبر الآلهـة طُلاَّبَ شهوات ، وكان يَعدُّ هـذه الآلهة التي تتحدَّث عنها الأساطيرُ بمثابةِ رُموزٍ لإلٰه واحد عظيم . فهو لم يكن ملحداً وانما كان متديّناً مفكراً ، وكان الى جانب ذلك شديد الحرص على كرامتـه عظيم الشَّمَم ، فلم يقبل أن يتزلَّف الى قضاته الآثمين وأبى اباءً أن ينال حرّيتَه من السجن هَرَباً واختلاساً . فعدَّه تلميذه أفلاطون لذلك « خيرَ الرجال في زمنه وأحكمَهم وأعدلَهم » ، وما يزال معدوداً أعظم الفلاسفة الاغريقيين شعوراً بالروح المسيحية قبل ظهورها . فهذا الرجل إذنْ يصور في تفكيره ومَرَاميه مثالاً من مثل الانسانيَّة العُليا التي هي رجاء الحاضر وعزاء المستقبل ، وبعـد هذا نُسْأَل عما اذا كان يجوز تطرُّق السقراطية الى الشعر . . . . كأنمـا هذه السقراطية هي خطب منبرية جافة ، أو أناشيد ببغاوات لاحياة ولا شعور فيها ، وليست ذخيرة عواطف نقيّة وفلسفة جميلة ومبادىء مُلْهِمَة . وما هو الشعر إنْ لم يكن التعبيرَ الحارَّ عن شعور النفس وايمانها ؟ فكلّ مايُطْلَبُ فيه أساسيًّا صِدْقُه وإخـلاصُ لنفسية الشاعر ، سواء أدان الشاعر بالسقراطيـة أم لم يَدِنْ . على أن أرقى الشعر ما اتَّصل بالحياة اتصالاً واتّجه بها الى مثالٍ عالٍ مُسْعِدٍ ، وما كانت السقراطية الاّ أحد هذه الأمثلة .

فأمّا طريقة سقراط في البحث فهي شبيهة بطريقة ديكارت (Descartes) كما أشار الدكتور طه حسين الى ذلك في كتابه القيّم (**مادة الفكر**) وإنْ فرّقتْ بينهما عشرون قرناً ، وأمّا الفلسفة السقراطيـة فهي ـ على ما أجملها الدكتور طه حسين ـ « تنحصر أو تكاد تنحصر في شـيئين : الأول انّ الانسان قد جهل نفسه في جميع العصور المتقدّمة ، وانّ جهله نفسه هو الذي حمله على أن يلتمس العلم في الخارج فيبحث عنه مرةً في الارض وأخرى في السماء وحينا في الجوّ وحيناً في المـاء ، وكان الحقّ عليه أن يبدأ بنفسه فيدرسَها ويتبين أمرَها ، حتى اذا فرغ منها استطاع أن ينتقل الى الخارج . وليس هو في حاجة الى ذلك ، لأنه ان يفرغ من درس نفسه أبداً ، ولأنّه سيجد في نَفْسِهِ اذا درسها كلّ شيء . الثاني أنّ الفلسفة يجب أن تقوم منذ اليوم على معرفة النفس والعلم بها ، أي ان الفلسفة يجب أن تكون انسانية ، أي انّ الفلسفة يجب أن تقوم قبل كلّ شيء على الاخلاق ».

وهكذا كان سقراط واضع علم النفس الانسانية والاخلاق ، واذا كان الأدب عامةً ـ وفي طليعته الشعر ـ نقـدَ الحياة ، فكيف نتساءل عمّا اذا كانت السقراطية جائزة في الشعر ؟! الشعر عاطفة يُعبَّر عنها ، ولـكنّ العاطفة ليست إحساساً مجرّداً إذْ لها جوانب

شتّى من التفكير والرأي والايمان متصلة بها ومؤثرة عليها فلا يمكن فصلها عنها ، وكلّ مايعنينا أن تكون هذه العاطفة صحيحة صادقة .

وإني أعرف انّ صديقي الناقد الغيور معجب إيّما اعجاب بالمتنبي الذي يعتبره أعظم شعراء العربية وتاجَها المعلّى - وليس هـذا موضع مناقشته في هذا الرأي - فهل فقد المتنبّي شاعريته حين قال:

وما الُحسْنُ في وجه الفَتَى شرَفاً له
اذا لم يكنْ في فِعْلِهِ والخـلائقِ

وحين قال :

شَرُّ البلادِ مكانٌ لاصديقَ به
وشَرُّ مايَكسبُ الانسانُ مايَصِمُ

وحين قال :

اذا أنتَ أكرمتَ الكـريم ملكتَه
وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تَمرَّدَا

وحين قال :

وللنفس أخلاق تدلُّ على الفَتَى
أكان سخاءً ما أتَى أم تساخيَا
فانّ دُموعَ العـين غَدْرٌ بربّها
اذا كُنَّ اثرَ الغادرين جواريَا

وحين قال :

أُصادقُ نَفْسَ المرءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وأعرفُها مِنْ فِعْلِهِ والتَّكَلُّمِ

وحين قال :

تُشْرق أعراضُهم وأوجهُهم كأنَّها في نفوسهم شِيَمُ

وحين قال :

أُنَفُ الكريمِ من الدّنيه تاركٌ في عَيْنِهِ العددَ الكثيرَ قليلاَ
والعارُ مضاَّضٌ وليس بخائفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خاف مِمَّا قيلاَ

وحين قال :

وأنفسُ ما للفتى لُبُّهُ وذو اللُّبِّ يَكْرَه إنفاقَهُ

وحين قال :

اذا ما عدمتَ الأصلَ والعقلَ والنَّدَى
فما لحياةٍ في جَنابِكَ طِيبُ

فهذا ونظائره شعرٌ سقراطي صميم تزدحم بأمثاله دواوين الشعر العربي قديماً وحديثاً ، ولم يسلم منه حتى أولئك الذين يريدون مغالبة طباعهم حُبًّا في الشذوذ أو مجاراة لبعض النظريات الفنّية بصرف النظر عمّا اذا كانت هذه النظريات صحيحة أو وهمية.

وهذا الاستاذ عبد الرحمن شكري معدودٌ لدى صديقي الناقد أعظم شعراء العربية في هذا العصر ، فهل فقد شكري شاعريته حين قال :

اذا أنتَ لم تُعْطِ الفضيلةَ حقَّها
أصابكَ مِنْ رجْسِ الرذيلةِ عائبُ
ألمْ تَرَ أنَّ الشرَّ مُغْرًى بربهِ يُغالبه عن نَفْسِهِ وهو غالبُ؟!

وحين قال :

غلُّوا يَدَ الجبَّارِ في غلوائِهِ فبِكُمْ يصولُ إذا أراد ويَظلمُ
إنَّ الذي اتَّخذَ الظلومَ وَلِيَّه أطْغَى إذا عُدَّ الطُّغَاةُ وأظْلَمُ

وحين قال :

إذا بَلغ المرءُ الغِنَى كان خاسراً بِنَيْلِ الغِنَى قَدْرَ الذي هو كاسِبُهْ
فيربح حالاً لذَّةَ الوجهِ غضَّةً ويخسر شيئاً خافياً عزَّ حاسبُهْ

وحين قال :

حبيتك حُبِّي للضَّمير اذا دَعَا فؤادي الى حُبِّ الفضيلة والخيْرِ
وانّي لأرجو في اخائِكَ لذَّةً كلذّةِ أهل الرأي في حسنِ الفكْرِ

وحين قال :

ولولا رجائي أن أقولَ مقالةً تَعودُ بخيرٍ أو تُعين على شَرِ
لما كان لي في بسطةِ العمرِ رغبةٌ ولم أحمدْ الأيّامَ إنْ زِدنَ في عُمْري

وغير ذلك من شعره المأثور المُشْبع بالرّوح السقراطية وإن خالفَها في غيره ؟ !

انّ هذه السقراطية ليست ـ كما أسلفتُ ـ سوى مثل من الأمثلة العُلْيا للحسّ والفكر الانساني ، وانه لخير ألف مرة للشاعر أن يؤمن بها وأن تتسرّب الى شعره ضمناً من أن يكون مجرّد آلة مصورّة، أو مجرد ناظم أمّي لا يتطلّع الى أبعد من أنفه ، ولا يستهدي وَحْيُهُ بايٍّ مثالٍ عالٍ في الحياة خطأً كان أم صواباً .

ولو اننا جارينا الاستاذ سعيد ابراهيم وصحبه في هذا الراي لوجب أن نُسقط من الشعر الانجليزي أيضاً كثيراً من النفائس وفي مقدّمتها قصيدة (اذا — IF) المترجمة في هذا الديوان (ص ٩٢٣) للشاعر العبقرى المجدّد رديارد كپلنج (Rudyard Kipling) ، وكم له من منظومات أخرى مشبعة بهذا الرّوح الى جانب سواها الذي تثيره روحٌ مختلفة ، مما يدلّ على انّ الشاعر قد يتأثر بأكثر من إلهام أو مَثَلٍ عالٍ في شعوره ونظراته . ومَنْ ذا الذي يصدّق مثلاً أنّ هذا الشاعر الاستعماري الجاف سياسياً هو صاحب هذه الأبيات الدينية السقراطية الروح المعنونة :

" When Earth's Last Picture is Painted "

قال :

And those that were good shall be happy : they
shall sit in a golden chair;
They shall splash at a ten - league canvas with
brushes of comets' hair.
They shall find real saints to draw from - Mag -
dalene, Peter, and Paul;
They shall work for an age at a sitting and never
be tired at all !

وحتى الشاعر الغنائي المبدع هَيْني (Heinrich Heine) لم يسلم من هذه الروح السقراطية فهو هو القائل :

Yes. You are right. Your lingering glances
Brim with a truth that makes me sad.
How could we two bave met Life's chances -
You are so good, and I so bad.
I am so bitter and malicious ;
Even my gifts bear wry respect
To you, who are so sweet and gracious
And oh, so righteously correct.

ودعْكَ من الشاعر اليوناني العظيم إسكيليس (Æschylus) بل من شعراء الاغريق الدّراميين جميعاً فقد كانوا يبثّون الروح السقراطية في نظمهم كلّ البثّ سواء عَفْواً أو قصداً ، ولا غرابة

في ذلك فدراماتهم الغنائية ذات صبغة دينية خلقية برغم مناسبات المرح والتعييد . وهذا إسكيليس نفسه هو القائل :

For Jove doth teach men wisdom, sternly wins
To virtue by the tutoring of their sins ;
Yea ! drops of torturing recollection chill
The sleeper's heart ; 'gainst man's rebellious will
Jove works the wise remorse :
Dread Powers, on awfnl seats ienthroned, compel
Our hearts with gracious force.

ورأيي أن الشاعر العالي النَّفس الانساني النزعة يَتَسامَىٰ دائماً الى مَثَلٍ في شعره ، وقد يتسامى الى أكثر من مثل واحد حسب شعوره وتباين المناسبات ، فليس من الضروري أن يبقى دائماً سقراطياً . ومن رأيي كذلك أنَّ النّفسيات والخلقيات أصبحتْ لها سيطرةٌ كبيرةٌ في تقدير أفكارنا وفي تكييف شعورنا أيضاً ، وصار الشاعرُ الحسَّاسُ المتأمّلُ دقيقَ البصر يتأثَّر شعورُه بكل كلمةٍ وحركةٍ يواجهها ، فيعكس ذلك في شعره إنْ وصفاً أو تقريراً أو مناقشة أو غير ذلك .

والشاعر المطبوع أديبٌ بفطرته وإن أصبح رجلَ علمٍ ، وكاتبُ هذه السطور لم يكن طبيباً قبل أن يكون أديباً ، فليس من

الصواب تَصَوُّرُ إمكان إدماج الأديب (وهو الأصل) في الطبيب (وهو المستحدَث) . والواقع أنّ التربية الطبية هي تربيةُ ملاحظةٍ قويةٍ واستقراءٍ وتشخيصٍ وتوليدٍ وجَلدٍ شديدٍ ، فالأديبُ بفطرته يستفيد من كل ذلك ، ويُعينه في شعره الوصفي كثيراً ، وفي تحليل النفوس والأخلاق والطباع . وهذا مُشَاهَدٌ في جميع الامم بين رجال الطب الادباء على اختلاف نزعاتهم من قصصيين ونقاد وشعراء وغير ذلك . لكن صديقي الناقد الفاضل أبى في غلوّه ـ وفي شَغَفِهِ بحثّي على بلوغ الكمال الشعري الذي يودّه لي ـ إلا أن يعكس الآيةَ عفواً في غير إنصاف . فهو مبدئياً تعلّق بكلمة « السقراطية » ومدلولها ، فأخطأ أولاً في إنكار قبول تعاليمها في الشعر ، ثم أخطأ ثانياً في تطبيق هذه النظرية على ديوان يضمّ مئات القصائد وآلاف الأبيات ، وصمَّم على أن يجعل هذا الشعر كله صُوَراً من السقراطية حينما هذه السقراطية لا تتمثل حتى في عُشْرِهِ . . . . وصار أبغضُ شيء اليه كلمة « فضيلة » أو « وفاء » أو « برّ » أو « خير » ، حتى أنّه ليسقط قصيدةً برمّتها اذا ما وردت فيها إحدى هذه الكلمات أو نظائرها من التعابير الخُلقية ـ ولو استُعملتْ استعمالا مجازياً بمعنى آخر ـ وهذا ولا

شك غُلُوٍّ كبير لا إنصافَ فيـه ولا جَدْوى منه . وكما يُسقط قصيدةً برمّتها لاعتراضٍ كهذا ، فهو يُريد أن يسقط ديواناً بأسره لأن جانباً منه له هذه الصبغة النفسية ! !

أمّا أنا فقد آمنتُ ـ بعد تأمُّلٍ نقديٍّ طويل في شعري وفي شعر غيري ـ بأنّ هنـاك مايصحّ أن يُسَمَّى « بالتبادل » وهو تعويض الكلّ للجزء ، وكذلك تعويض الجزء للكلّ : بمعنى انّه يجب نقد الأثر الفني (القصيدة مثلاً) كوحدة لاتتجزأ ، بحيث يُوَجَّه النقد الى جوهرها ولُبِّها ، فتارة يكون هذا الجوهر صغيراً شبيهاً بالصورة الدقيقة (miniature picture) وتكون بقية القصيدة كاطارٍ وحاشية لهذا الجوهر ، وقد يُكوّن ذلك اطاراً ضخماً ولكنه متناسبٌ من وجهة التأثير مع الصورة ، فبدل أن يفسد جمال الصورة تراه يُوجّه الالتفات اليها . ومرةً أخرى ترى الصورة ذاتها كبيرةً والاطار صغيراً ، فتشغلك رُوحُ هذه الصورة وتكوينها عن الالتفات لحواشيها . ففي الحالة الأولى يعوّض الجزء عن الكلّ ، وفي الحالة الثانية يُعوّض الكلُّ عن الجزء ، ولا يتـأثّر الناقد الفنّي في كلتا الحالتين الاّ بالجوهر وحده ، ولا يكون ماعدا هـذا الجوهر الاّ مُعيناً على إبرازه . فالقسمُ الباهتُ الفاترُ ليس بالحقير في الواقع

لأنّه يساعد بالمقارنة على اظهار غيره وعلى توجيه النفس الى مايُقْصدُ توجيهها اليه من لُبّ الموضوع ، ولا يجوز إنصافاً أن يُعدّ ترقيماً في مجموع الصورة الفنّية سواء كانت شعراً أو رسماً أو غير ذلك .

وانّي وانْ لم أعتبرْ الاسلوبَ الخبري أرقى مايُشْتَهَى فنّياً ، الاّ اني أرى من المجازفة في الحكم اعتبارَ اقترانه بالنزعةالسقراطية كفيلاً باخراج خطبةمنبرية جديرة بالوُعّاظ وغير قمينة بالشعراء !!

فالشّعرُ في جوهره شعرٌ سواء كان نظماً أو نثراً ، قَصَصاً أو تصويراً أو خبراً أو غير ذلك . وهذه مسألةٌ سأتعرّض لها فيما بعد عند الكلام على نقد أسلوبي . وحسبي أن أقول هنا إنه من عجائب النقد الأدبي في مصر الرضاه عن الاباحية الخلقية في الشعر واعتبارها فنّاً ، والسخط على السقراطية واعتبارها مضيّعة للفنّ !! وهاهو صديقي الناقد اكتفى بكلمة أو ببيت لاسقاط قصائد من خير شعر هذا الديوان . ثم نظر للتحديد كتعبير علمي ، ولكنه لم ينظر اليه كقدرة فنّية في التعبير ، لأنه ليس من السهل على كلّ شاعر أن يصوغَ كلاماً مُجْمَلاً صادقَ الأحكام أو قويّ التأثير البليغ ، وقد تفنّنَ شعراء العرب في ذلك وفاخروا بالقدرة على نظم جوامع الكلم . وصديقي الناقد يقول إنّ الاسلوبَ العربيّ

القويَّ البليغَ بليغٌ في كل زمان ومكان ، فما باله يتناسى ذلك الآن ويلوم على اتباع هذا الأسلوب العربي الصميم ؟!

وكما انَّ الشعر السقراطي (Ethical Poetry) على اختلاف صوره فنٌّ سائغ معترف به عند نقَّاد الشعر (راجع مثلا : « Poetry and the Renascence of Wonder » للناقد الشهير Theodore Watts - Dutton الذي وصفه الشاعر سونبرن Swinburne بانه « أنبغ ناقد في عصره ، أو لعلّه أوسعهم ذهناً وأصحهم نظراً في أيّ عصر ») ـ أقول كما انَّ هذا النوع من الشعر له منزلته المحترمة برغم أساليب التناول للمواضيع عند الشرقيين والغربيين ، فكذلك الاسلوب الخبري من الأساليب المعترف بها ، وانْ كنتُ أنا نفسي لا أميل اليه الاَّ في المواقف التي أقدّر انَّه سيكون فيها أبلغَ تأثيراً من سواه ، واذا كان التَّحديدُ في ظاهره أحياناً فالاستعارةُ والمجاز والتخيّل أو الصورة العامة الباطنة للقصيدة تقضي على أثر هذا التحديد ، فلا يكون له أيّ لون علمي ولا أيَّة خشونة ، بل يجد فيه السامعُ أو القاريء قوةَ الاقناع منطويةً في هذا التحديد الملطَّف ، ولولا هذا الذي يسميه الاستاذ سعيد ابراهيم تحديداً لضاعت من هذا النوع من النظم قُوَّة تأثيره المقنع . والأمثلة في الشعر العربي ـ قديمه وحديثه ـ اكثر من أن

تُحْصَى أو تُسْتَقْصى . وأمّا في الشعر الاوروبي فأمثلة ذلك غير قليلة أيضاً ، ولو سمح المجال لجئتُ بأمثلة لاتعدّ ، فيكفيني ان اذكر مثالين من كلٍّ من الشعر الانجليزي القديم والحديث جامعين في آن واحد لما يسمّيه صديقي الناقد « سقراطيةً » و« تحديداً » . وكلا المثلين من مختار الشعر . فأمّا المثل الاول للشعر القديم فمن أوائل القرن السادس عشر للشاعر المبدع استيفن هوز (Stephen Hawes) وموضوع القصيدة « الفارس الحقيقي » وهذا نصُّها :

THE TRUE KNIGHT

For knighthood is not in the feats of warre ,
As for to fight in quarrel right or wrong ,
But in a cause which truth can not defarre :
He ought himself for to make sure and strong ,
Justice to keep mixt with mercy among :
And no quarrell a knight ought to take
But for a truth , or for the common's sake .

وأمّا المثل الآخر من الشعر القديم فقصيدة ملتون الشهيرة في عماه ، وهي مزيج من الصوفية والسقراطية (من شعر القرن السابع عشر) وهذا نصُّها :

ON HIS BLINDNESS

When I consider how my light is spent ,
Ere half my days , in this dark world and wide ,
And that one Talent which is death to hide,
Lodg'd with me useless, though my Soul more bent
To serve therewith my Maker , and present
My true account , lest he returning chide ,
"Doth God exact day - labour , light deny'd ?"
I fondly ask : But patience to prevent
That murmur , soon replies : "God doth not need
Either man's work or his own gifts , who best
Bear his middle yoak, they serve him bist, his State
Is kingly. Thousands at his bidding speed
And post o'er Land and ocean without rest :
They also serve who only stand and waite".

وأما المثلان للشعر الحديث من أمثلة شتّى متقاربة في الروح « السقراطيـة » والاسلوب الخبري « التحديدي » لشعراء مشهورين فأولهما من نظم الشـاعر الانجليزي ولفرد جبسون (Wilfrid Gibson) عن الرجل الذي يحزن ذكرى زوجته المتوفاة ، وهذا نصُّ قصيدته التصويرية « السقراطية »:

THE ANNIVERSARY

Theclick ing of the latch ,

Then the scratch
Of a match
In the darkness and a sudden burst of flame -
And I saw you standing there
All astare
In the flare ;
And I stepped to meet you, crying on your name.

But the match went out , alack
And the black
Night came back
To my heart as I recalled with sudden fear
How upon your dying bed
You had said
That the dead
Return to haunt the faithless once a year .

فهل يقضي على هذا الجمال التصويري البديع اشارة الشاعر « السقراطية » الى الخيانة الزوجية وعاقبتها ؟

وأمّا المثل الآخر للشعر السقراطي التخديدي الذي ينقصه حتى التصوير المتقدم فقصيدة كپلنج المشهورة المسماة « اللّاهوت الطبيعي » وقد نظمها حزيناً في نوبة سخطٍ على الحرب خلافاً لنزعته الاستعمارية المغروفة . وهذا نصُّها :

NATURAL THEOLOGY

Money spent on an Army or Fleet
Is homicidal lunacy . . .
My son has been killed in the Mons retreat ,
Why is the Lord afflicting me ?
Why are murder , pillage and arson
And rape allowed by the Deity ?
I will write to the "Times" , deriding our parson
Because my God has afflicted me .

***

As was the sowing so the reaping
Is now and evermore shall be .
Thou art delivered to thine own keeping .
Only Thyself hath afflicted thee !

فتغاَلِي صديقي النَّاقد ـ على ما أشرتُ الى ذلك ـ هو الذي يجعله يتصوَّر انّ الروح الخلقية تُعارض الفنّ في قصيدة وصفيّةٍ للطبيعة مصرية الصبغة « كفتاة الريف » (ص ٣٥٣) متغاضياً عمَّا فيها من وصف دقيق غير مسبوقٍ اليه ومن حنانٍ جمٍّ للحياة الرّيفية الجميلة المحتقرة في مصر ، وقِسْ على ذلك بقيّةَ ما ذكره وما لم يذكره من قصائد لم تَرُقْ لديه حِينما راقتْ لدى شعراء مصريين . فحسبي أن أترك كل ذلك لاطلاع القاريء وتحليله وحُكمه .

(٣) الشاعر موسيقيٌّ حسّاس بعيد النظر قوي التعبير . هذا مُسَلَّمٌ به على ما أظنّ ولكن هل هذا كُلُّ شأنه ؟ وبعبارة أخرى : ما هي وظيفة الشاعر وأثره في الحياة ؟ يقول لامرتين (Lamartine) إنَّ الشعراء والأبطال من نوعٍ واحد ، وان الأخيرين يحققون ما يتصوّره الأولون ، ويعزز دزرائيلي (Disraeli) ذلك بقوله إنّ الشعراء هم مشترعو العالم الذين لم يُعْتَرَفْ بهم ، ثم يزيد إمرصن (Emerson) ذلك شرحاً بقوله : إنَّ الشعرَ هو الحق الوحيد ـ هو تعبير العقل السليم المتحدّث عن المثل الأعلى لاعن الظاهر . فهل الشاعر الأسمى بعد ذلك مَنْ يقتصر شِعْرُهُ على تعبيراته الفرديَّة ؟ لا أظنّ ذلك ! إنّي لن أجحد شاعريته ما دامت قويةً مطبوعةً بل أوفّيها حقَّها من التقدير كنوع من الفنّ حتى ولو بَثَّتْ شرًّا نسبياً ، ولكنَّ الشاعر الأسمى الذي ينال تبجيلي الأوفى هو النَّبيُّ الفنَّان الذي يعيش لنوعه لا لذاته ، فيرتفع بذلك فوق الجميع كما يقول هازلت (Hazlitt) والذي يحسُّ في دخيلة نفسه بأنَّ الشعر عقيدة على رأي إمرصن . والواقع انَّ الشاعر الأسمى مفطور مطبوع يتأثر مَزَاجُهُ بثقافته وبيئته وعالَمِهِ تأثيراً عظيماً فيُلهمه كلُّ ذلك ـ إنْ صحَّ هذا التعبير ـ ما يلهمه

من إسعادٍ لنوعه في أوصافهِ وأخيلتهِ وأحلامهِ ودَعْوَتهِ ، وحينئذ يكون الشعرُ محاولةً لجعل الحياة منسجمة كما يقول كارليل (Carlyle). فلا عجبَ بعد ذلك اذا ظهر الى جانب شعر العاطفة شِعْرُ العقيدة الانسانية العُلْيَا سواء في السياسة أو الاجتماع أو غير ذلك . وقد أصبحتْ المجلاتُ والصحف الأدبية والشعبية في الغرب مزدحمة بنماذج هذا الشعر الذي دَعَتْ اليه ثقافة هذا القرن وأمياله . وصار الشاعرُ المتعدّد نواحي التفكير مشترعاً غير رسمي على حد قول دزرائيلي .فهو لسانُ وجدانه ، ثم هو لسان بيئته فوطنه ، ثم هو لسان الانسانية عامة بل الكون بأسره . وأعود الى ذكر شاعر الامبراطورية الانجليزية رديارد كپلنج فأقول إنك تجد كلَّ هذه النواحي في شعره ، وإنْ غلبَ بَعْضها على البعض الآخر. وإنْ أنسَ لا أنسَ تأثير قصيدته السياسية الوطنية البليغة التي نشرتها صحيفة « التيمس » في أول الحرب العالمية ، فقد كان لها من الاثر النفساني العظيم ما لا يقل عن نظيره لبيان رئيس الوزارة المستر اسكويث ، بل لعلّ تأثيرها جاوز تأثير ذلك البيان في البيئات العالية . وكپلنج يحسّ بمسؤليته هذه وتتجلى في شعره ، وبرنامجه الفكري النفسي يفوق برنامج رئيس وزارة ، فهو النبي الشاعر للانجليز السكسونيين ، وهو فوق ذلك في نفسه المجلّية في

شعره . فالاعتراضُ على كلامي المجمل عن الغرض من الشعر وتدوينه (ص ٤٢ ـ ٤٤) لا يقوم على أساس من الحقيقة في هذا العصر عند الشعوب المثقفة الناهضة . ومن العجب أنَّ الشاعر العربيَّ قديمًا كان ذا منزلةٍ عظيمةٍ في القيادة الفكرية لا في التعبير فقط ، فاذا بالشاعر الغربيّ بعد هذه القرون يبلغ نظيرةَ تلك المنزلة كما هو شأن كيلنج الانجليزي ، وبيتس الارلندي ، ودانزيو الايطالي ، وغيرهم بينما تنعكس الآيةُ عندنا ولا نتصوّر للشاعر إلاّ مهمة التعبير الفردي ، أيْ أنهُ لسانُ نفسه فقط لا يعرف غيرَ همِّها ، ولا تفاعل بينه وبين بيئتِهِ وعالَمِهِ ، ولا شعور بمسؤولية كبرى يهزّ وجدانه فيبعث أقوى الألحان الناشرة رسالته العُظمى . ونشأ بيننا من يَعدّ هذه الرسالة الدّافعة الممتلئة بالحياة معاديةً لروح الفن وقاضيةً عليه !

(٤) ولكن ما هو الفنّ ؟ — سؤالٌ لا مفرّ منه ما دمنا قد اتهمنا بالاساءة اليه ومخالفة أصوله ! !

وقبل أن اجيب على هذا السؤال أُحيل القارئ على قصيدتي «ما هو الفنّ ؟» (ص١٠٤٨) و «ما هو الحسن ؟» (ص١٠٨٧)،

مكتفياً بهما من نظمي ، ثم الى الفكرة الفلسفية الشائعة وهي أنّ الفنّ هو التعبير ، أو على حدّ قول جيتي (Goethe) : « الفنّ وسيطُ المُغْلَق Art is the mediatrix of the unspeakable » وبعد ذلك أقول في غير تَرَدُّدٍ إنّ الفنّ عندي ليس هو التعبير وحده : أي ليس قاصراً على البيان والافصاح ، بل ليس من الضروري أن يتصل بالبيان والفصاحة المألوفة . وقد يوجد التعبير أو البيان والفصاحة التامة ولا يوجد الفنّ ! أما الفنّ عندي في أرْقَى صوره فهو « البلاغة الرَّمزية الجميلة » التي تفسح أمامك مجال التأمُّل وتنقلك الى جوّ النفوس العبقرية حيث ترى في الدقائق العظائم ، وفي الحرّية الأَلوهة ، وفي أبسط الاشارات أكبر الذكريات ، وفي مظاهر الفنّ رسولاً يُهديها الى سعادة الاندماج في الابدية . هذا عندي هو الفن في أرْقى صُوَره مُوَفّقاً ما بين المثل الأدنى ـ وهو حياتنا العادية ـ والمثل الاعلى ـ وهو قِبلة الانسانية الرُّوحية ، ولا أراه شعوراً يناقض حُكم جيتي « بأن الفنّ يعتمد على نوع من الشعور الديني أي على اهتمامٍ عميقٍ ثابت ، ولهذا السبب يندمج الفنُّ في الدين بسهولة . »

فأول أُسس الفنّ اذن هو « البلاغة » ، بل قلْ هذا هو الاساسُ الذي لا غنىً عنه مطلقاً . واني أعذر الذين يخلطون ما

بين « الفصاحة » و « البلاغة » لان أساتذتهم أنفسهم يخلطون في التعريف لهما والتفرقة بينهما . ولا تعني « الفصاحة » عندي سوى البيان الوافي بأسلوب مُنْتَقَى مُصفًّى كامل الدلالة ، وأما «البلاغة» فهي في تعريفي التأثير وحده : أي بلوغ نفس السامع والقاريء بلوغاً تاماً .

فاذا اتفقنا على هذا التعريف والتفريق فسوف يظهر لك جلياً أنّ « البلاغة » مسألةٌ نسبيّةٌ ، ونتيجةُ تفاعل بين الأثر الفني ودارسه . فهي في الشعر مثلا مسألةُ ذَوْقٍ وشاعريةٍ واستعدادٍ ذهني ، ولها اتصال بعوامل شتى من ثقافةٍ وبيئةٍ وغير ذلك . فلا غرابة اذا كان ما أعدُّه بليغاً لا يُعْتَبَر كذلك عندك ، ولا غرابة أيضاً اذا نحن اتفقنا في الحكم ، لأنّ الاشتراك في التأثُّر بالفنّ والاختلاف في ذلك أمرٌ مرتبطٌ بعوامل شتى كما قدّمتُ ، بعضها شخصيٌّ وبعضها عامٌّ . وننتقل من هذا الى القول بأن « البلاغة » قد تستغني عن « الفصاحة » حيث تقوم الاشارة البسيطة المضمرة المعنى مقام البيان الطويل ، وقد توجد « البلاغة » وتتأثر بها دون أن تعرف بيان ذلك ما لم تكن فلسفيّ الذهن تُنَقِّب عن العِلَل والأسباب ، وقد تفشل برغم ذلك في معرفة البيان الصحيح والتعليل الصادق لتأثرك ، ولكن التأثُّرَ كائنٌ موجود برغم

فشلك في تعليل أسبابه الاصيلة من وجهةٍ نفسيةٍ فلسفيةٍ .

وكثيراً ما راقبتُ إحساسي وإحساس سوايَ وقارنتُ واستنتجتُ ناجحاً مرة وفاشلاً مرات ، الى أن اهتديتُ في نفسي الى التفسير الذي ارتحتُ اليه : وهو أنه كلّما سما الفنُّ كان رَمْزياً في بلاغته ، لأنه بهذا الرّمز يُثير التفكير والتأمل ، ويثير عواطف شتى مكنونة ، ويحيي ذكريات ، ويكوّن علاقات ذهنية ونفسية متنوعة بين صُوَر الحياة ، وشعرتُ بأنّ هذا الاتّساق الجامع المتعدّد الالهام هو هو الجمال ، وكلما كان شاذّاً في قوته عدَّ نادر الجمال ، وان الفنَّ والجمال توأمان يَرْبطان ـ بايحائهما ـ الحاضرَ بالماضي والمستقبل ، سواء وعَيْنا ذلك أم لم نَعه ، بل غالباً لا نعيهِ ، لأنّ كلّ هذا متصلٌ بعقلنا الغائي أو الباطن (Subconscious Mind) الى أن نحاولَ تحليلَه ودَرْسه .

وتَبَعاً لهذا الرأي أعدُّ كلَّ عمل بليغ ترتاح اليه النفس متأثرةً به نوعاً من الفنّ ، ولا أعدُّ مجرد البيان المنمَّق وبسْطَ التعبير فنّاً . واذا حكمتُ فانّي لا أتشبّثُ أولاً بمِثَلي الأعلى في الفنّ ، وانما افتّش عن الشرط الاساسي وهو شرط البلاغة القويّة ، دون أن أتحنبل : فلا أُحتّم أن لايكون غيرَ فنّي لسوايَ مالا أُحسُّ أنا

ببلاغته، وبعبارة أخرى أقرر ان الفنّ مسألةٌ نسبيةٌ ، وليس حقيقةً مطلقةً . وعلى سبيل المثل أعدُّ قصيدة اسماعيل باشا صبرى « تمثال جمال » وقصيدة أحمد شوقي بك في « أنس الوجود » وقصيدة احمد افندي محرم في « أبي العلاء المعري » وقصيدة حافظ بك ابراهيم في « زلزال مسينا » وقصيدة خليل بك مطران في « تمثال رعمسيس الثاني » وقصيدة عبد الرحمن افندي شكري في «الشلّال» وقصيدة عباس افندي محمود العقّاد في « الزُّهرة » وقصيدة ابراهيم افندي عبد القادر المازني في « الشاعر المحتضر » وقصيدة محمود عماد في « الجمال الذاهب » بين ما أعدّه من الشعر الفنّي العصري لانه بليغ الأثر في نفسي ، ولكن من الجائز أن لا يوافقني كثيرون على ذلك . ولن أتّهم من يخالفني بالقصور الذهني ، فهذه مسألة روحية متشعبة الأسباب ، وللنفوس قابليات متنوّعة للتأثّر وادراك البلاغة .

فاذا كان الاختلافُ في الشرط الاساسي للفنّ وهو « البلاغة » جائزاً الى هذه الدرجة ، فما بالك برموز التعبير ، وما بالك باستكناه الجمال الظاهر والمستتر فيه ؟!

وعندي انّ الشاعر المطبوع فنّانٌ بفطرته فمن العبث أن نحدّثه عن قواعد الفنّ الموهومة ولا عن قواعد العروض ، وانما

عليك ياسيدي الناقد أن تدرس أنت أساليبَه وأوزانه ونغماته وتطبّق قواعدَكَ عليها ، أو تُعدّل تلك القواعد ، أو تضيف اليها إنْ شئت !

واذا أردتَ أن أضربَ لك مَثَلاً « للبلاغة » المضمرة الرموز ـ أي التي هي خلوٌ من الفصاحة المعروفة ـ فدونك هذه المقطوعة « اللّذة الجديدة » لجبران خليل جبران من كتاب (المجنونة ـ أمثاله وأشعاره) . قال :

(اخترعتُ في ليلي الماضية لذةً جديدةً . وبينما كنتُ أتمتّع بها للمرة الأُولى رأيتُ ملاكاً وشيطاناً قد وقفا ببابي يتخاصمان ويتناقشان على تعريف لذّتي . فكان الأوّل يصرخ بأعلى صوته قائلا : « إنها خطيئةٌ مميتةٌ ! » فيعترضه الثاني قائلا بصوت أشدّ من صوته : « لا لعمري ، انها فضيلة » !)

فالاضمار في هذه المقطوعة كثير ، وليس مافيها من بيانٍ الا جزءٌ من كلٍّ للنفس الشاعرة التي تُقدّر مافيها من تهكم ، ومِنْ تأمّل فلسفيٍ في الخير والشر ، ومن إقرار الانسان بحاجته الى تنويع غرائزِهِ في الحياة ، الى غير ذلك من المعاني التي يُوحيها هذا النمط الشعري كلما زِدْتَه تأملاً وتبعتَهُ تخيلاً . ولكنْ كثيرون من

الادباء لايرَوْنَ في هذا الأسلوب الاّ السخافة ، ويرون انّه لايليق الا بالبُلْهِ ، ولهم العذر : ذلك لأنّ هـذا الاسلوب القصصيّ الرمزيّ غيرُ بليغٍ لاحساسهم ، وفصاحتُه غيرُ مبسوطةٍ لأذهانهم ، بعكس حال غيرهم ، فهم إذنْ لايستمتعون به ولا يعـدّونه من الفنّ في شيء .

وقد يكون الشعر فصيحاً مبسوط البيان ولـكنْ لابلاغةَ له ، أي لاتأثير له في نفس قارئه ، فهو لذلك غـيرُ فنيٍّ عند ذلك القاريء ، لانّ التأثير لايترتب على الفصاحة وحدها ، بل له كلُّ الارتباط بدقائق المعاني ووحيها في أجزاء التعبير .

مثال ذلك قول صفيّ الدين الحلّي يرثي غريقاً :

أصفيحُ ماءٍ أم أديمُ سماءٍ فيه تغور كواكبُ الجوزاء ؟!
ماكنتُ أعلمُ قبل موتِكَ مُوقِناً انّ البدورَ غُروبُها في الماء !

وقول أبي نصر سهل بن المرزبان في وصف البدر :

كم ليـلةٍ أحْيَيْتُها ومؤانسي
طُرَفُ الحديثِ وطيبُ حَثِّ الاكؤسِ
شَبَّهْتُ بَدْرَ سمائهـا لمّا دَنَتْ
منه الثُّرَيّا في قَميصٍ سُنْدُسِ

ملكاً مهيباً قاعداً في روضةٍ
حيَّاه بعض الزائرين بنرجسِ !

فهذا كلامٌ فصيحٌ موزونٌ له استعاراته وتشابيهه ، ولكنه لايؤثر في نفسي ، وأراه صناعةً تقليديةً ميتةً فلامنزلة له فيما أشعر ، فهو لذلك غير بليغ عندي ، ولكنه قد يكون بليغاً عند سواي ، بعكس المقطوعة الآتية الموسومة « شِباك الغناء » للشاعرة الانجليزية (هِلْدَا كنكلنج ـ Hilda Conkling) ، فهي فنٌّ مرنّحٌ لي :

SONG NETS

Song nets ,
Iweave you with all my love ,
You glitter like pearls and rubies ,
In you I catch songs like butterflies .
You go past my reaching hand
With a thin gauzy floating ,
And the songs are caught
Before they fade away .
Last night
My hand caught a song
Of pines and quiet rivers :
I shall keep it forever .

وأرى أنّ لك كلّ الحقّ في سؤالي : كيف يمكن إذنْ الحكم الصادق على القيمة الفنّية للشعر ، وهل يوجد قضاة عدول يمكن التعويل على أذواقهم وآرائهم ؟ وجوابي انّه وإنْ يكنْ الفنّ الشعري أمراً نسبيّاً في تقديره عند طبقة من الناس وأخرى ، الاّ أنّه يصح القول اجمالاً أنّ الناقد الشعري بفطرته أو الشاعر الحقيقي ـ اذا استطاع التجرّد من الغرض وحسد المنافسة ـ هو خير مَن يستطيع الحكم المعقول على ماهية الشعر فنّياً . ولكن بالرغم من كل ذلك يبقى حُكمُهُ متأثراً بالمزاج والثقافة والبيئة فلن يُؤمن فيه الزّلَل . وهذا سِرُّ تناقض الأحكام الشعرية في العصر الواحد ، فضلاً عن اتّفاقها أو تباينها بين جيل وجيل .

وقد أشرتُ الى أهمّية « الرمز » في البلاغة الفنية ، وهـذا الرمز هو من لغـة (الطبيعة) التي تؤثر هذا النوع من التعبير ، ولذلك يُفْتَنُ به من تفتحت جوانب نفسه لوحي الطبيعة . ومن أجل ذلك أميل الى التعبير الرمزي وأعتبره أرقى الأساليب الفنّية . على انّ نظم الشاعر تفاعلٌ بين نفسه وروح بيئته ثم روح عالمِهِ ، فليس هـذا التّعبيرُ الرّمزي مما يوافق كلّ زمان ومكان ، ومن أجل ذلك كثر الاسلوبُ الخبري التقريري في الشعر العربي ، لأنّ المجتمع العربي اكثر تأثراً بهذا النمط من الاسلوب ، وحلّ

المجاز والاستعارة محلّ الرمز القصصي ، وهذا مثل لتعويض الجزء عن الكلّ في الفنّ ، كما أشرتُ الى ذلك سابقاً . والتجديدُ في الشعر الفنى يستدعى الحفاوة بالاساليب الرمزية البعيدة الغاية ، حتى يألفها جمهورُ الأدباء فتكون بليغة التأثير ، وتصير النسق الفنّي المعشوق .

وبعد هذا البيان أسأل سادتنا النُّقّاد الأفاضل : كيف شوَّهْتُ إذن الفنَّ الشعريَّ ؟ أأروحي الخلقية المتفائلة ؟ إن أصررتم على هذا الاتّهامَ فدونكم رأي أحد ممدوحيكم أو أحد أعلام مدرستكم الاستاذ المازني ، فهو القائل في مقدّمة الجزء الثاني لديوانه : « إنّ الشعر ديوانٌ يقيّد فيه أهلُ العقول الراجحة مايَجيش في خواطرهم في أسعد الساعات ، وهو الذي يُنقذ من الفناء والعدم خواطرَ الالهام ، وهو يُحلِّق بالمرء فوق الحياة ، ويُرغمه أن يُحسَّ مايَرَى وأن يَرَى مايُحسّ ، وأن يتخيّل مايعلم وأن يعلم مايتخيَّل ، وهو يُحيل القبحَ جمالاً ويزيد الجمال نضرةً وجلالاً ، ويفجّر في النفسِ ينابيعَ الأمن والفزع والسّرور والألم ، ويُذهّب مياهَ الموت المسمومة المتدفّقة في عُروقِ الحياة . فلا جرمَ كان الشاعر أحسَّ الناس وأعمقَهم حكمةً وأجمعَهم لخلال الخير وخصال الفضل - نقول الفضيلة والخير ولا نخشى أن يهزَّ القرّاءُ رؤوسَهم إنكاراً ،

فانَّ الشعرَ أساسُهُ صحّة الادراك الأخلاقي والأدبي ، ولست بواجدٍ شعراً الاَّ وفي مَطاويه مبدأ أخلاقي أدبيٌّ صحيح ، وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الادراك الادبي تكون قيمة شعره ».

وقد صدق في كلّ كلمة من كلماته . ولو صحّ حكمكم أنتم لبقيتْ مع ذلك حقيقةٌ ناصعةٌ لاتُرَدُّ : وهي انّ ماعَبَّرْتُ به من شعرٍ عن حنأني للطبيعة ووصفي إيَّاها ووصفي لمظاهر الفنّ الشائقة من رقص ونحوه يتجاوز كثيراً نظم سوايَ ، ويفتح أبواباً فنيّة جديدة في الوصف الشعري ، فكيف تغمضون عيونكم تجانبون المنطق السليمَ والعدلَ في أحكامكم ؟! عندكم في الرقص أمثلةٌ متنوعة للبلاغة الرمزيّة ، وأمثلة شائقة للبلاغة المؤثرة التي قد يعجزنا ادراك فصاحتها وانما نتأثر بها على كل حال باعتبار أنها فنٌّ صميمٌ ، وهؤلاء شعراؤكم الذين يزعمون التجديدَ الكلي وهم أحياناً أنكى على الادب من الرجعيين أنفسهم ـ هؤلاء شعراؤكم في حكم العجماوات لايحسّون بشيء من هذا ، ولا يعبّرون عنه ، وكلُّ همهم الجري وراء مقابح الفلسفة الالمانية دونَ حسناتها،أو وراء الشذوذ المتدلي والنبوغ المنحطّ في الأدب الذي يمثله بوديلير (Baudelaire) وأضرابه من عباد الخمر والأفيون والبَغَايا . فاذا قال بوديلير في « أزهار الشرّ ـ Fleurs du Mal » برغبته المعروفة في مخالفة

بوديلير : النابغة المتدلي

(صورة رمزية لاهواء الشاعر وشخصيته)

كلّ مألوف ولو كان جميلاً ـ اذا قال مخاطباً معشوقتَه :

I advance to attack , I climb to assault ,
Like a choir of young worms at a corpse in the vault;
Thy coldness. oh cruel, implacable beast !
Yet heightens thy beauty, on wich my eyes feast !

عُدَّ هـذا القول آيةً فنّيةً لالسببٍ سوى غرابته المريضة ، وأيُّ مرضٍ نفسي أقبح في التعبير من تصويره إنهَمِ نفسه ازاء حبيبته القاسية بنهم الدّود الزاحف على الجثة الباردة ؟! ليست المسألةُ مسألةَ معالجةٍ للشرّ أو للخير في الفنّ ، وانما هي مسألةُ ذوقٍ في التناول والأداء حتى تهشّ نفوسنا الى الأثر الأدبي . وهذا ميسورٌ باتقانٍ وبلاغةٍ دونَ الالتجاء الى هذه التعابير السقيمة القبيحة الدّاعية الى الاشمئزاز. فليست الحرية في التعبير بالتي تسوّغ القبح . على أني برغم هذا الاشمئزاز الذي يعتريني مبدئياً أتصوّر أخيراً شعور هذا الرجل المريض النفس وأقدّر انّ هذا هو احساسه الصّادق ، فيساعدني تصوُّر نفسيته على ادراك بلاغته وإتقانه فلا أنكر عليه فنّه . ولكنّ إحساسَهُ هذا لايَعني أنْ أخادع نفسي فأزعم انّ هـذا الفنّ المريض هو المثل الأعلى لأدبي ، وعندي في سواه الفنية التي تلائم عواطفي واحساسي ونفسيّتي .

فهذا التَّهوُّر في الميـل الى الشُّذوذ المريض الذي ابتُلينا به أخيراً سوف يُفسد أذواقَنا بدل اصلاحها ، ولن يخـدم الأدب مثقال ذرّة .

وبديهي انّ الأداء أو التّناول عاملٌ هامٌّ في تكييف الفنّ أي في تأثير بلاغته . فهل أنا الذي قضيتُ على هذه البلاغة ؟! وهل حقيقي انّ لي أسلوباً علمياً ضيقاً في شعري ؟! لقد سمعت انّ أحد الزملاء الشعراء ينظم ملحمة في « البول السُّكري » سوف تُخلَّد تخليدَ ألفية ابن مالك في النحو ! ولـكنّي لا أعرف انّ لي شرفَ هذا الطبع ، أو أني أقدر على نظم بيت واحد من هـذا النوع ، وغاية علاقتي بالعـلم أن استوعبه في شعري استيعاباً على مايرى القـاريء في قصيدة « نقطة دم » (ص ٢٦٦) وقصيدة « أشعة الظلام » (ص ٢٣١)وقصيدة « حياتي » (ص ٤٦٥) . فهل هذا الشعر الوجداني من العلم الجاف في شيء ؟! وبعبارة أخرى هل أرضختُ شعري للعلم أم استوعبتُ العلمَ في شعري فصار من صميم عاطفتي وايماني ؟! وأقول في غير غرور إنّ ذنب هذا النّمط الذي يتفق وثقافة هذا الجيل هو انّه غيرُ مسبوق اليه ، لا اكثر ولا أقلّ ، دعْ عنك انّ صاحبه مصريّ وليس شاعراً جرمانياً مثلاً ! وهـذا المستر تريفليان (R. C. Trevelyan) صاحب كتاب

(تامبرس ـ Thamyris) الذي يتسائل فيه عن مستقبل الشّعر يحثّ على التجديد الجريء وتناول حتى الهندسة والطبّ والاقتصاديات ونحوها في الشعر (راجع ص ٦٣ ـ ٦٤ من الطبعة الأُولى لكتابه) باسلوبٍ فنّيٍّ . ولا أراني فعلتُ غير ذلك من تلقاء نفسي في قصائدي التي استوعبتُ فيها شيئاً من العلم على البداهة وفي غير كلفة . فهل هذا ما أستحقُّ الانتقاصَ من أجله بدل التقدير ؟!!

اذا صحَّ التعويلُ على قرينةٍ واحدةٍ للحُكْم العام فاذنْ تكفي قصيدتي « السعادة وفلسفة سقراط » (ص ٣٠٧) ليُقَال إنّي سقراطيٌّ في جميع شعري ، وتكفي أبياتي عن « شعر العلم » (ص ٢٤٣) أو قصيدتي عن المجهر الموسومة « رفيقي الكشّاف » (ص ٣٥٦) ليقال إنَّ أُسلوبي عِلْميٌّ مُحَدَّد ، ولكن ما هكذا يكون الحكم الشامل ! فعوامل شعري كثيرة ونماذجه متعدّدةٌ ومادّته وفيرة ، والتحديدُ العلميُّ بالمعنى المفهوم لا يمكن أن أستسيغه بل هو مكروهٌ عندي . فهل وفرةُ العواطف وصدقُ النظرات وكثرةُ الموضوعات الوجدانية والنفسيّة والوصفيّة وتعابير الحياة التي أتأثر بها سواء اجتماعياً أو سياسياً أو أدبياً ـ هل ذخيرة كل

ذلك المتجلّية في آلاف الأبيات بهذا الديوان وفي دواويني السابقة يمكن أن تكون من أسباب اساءتي الى الفنّ ؟ !

قال صاحب (تاريخ الفلسفة)[1] : « ومن العجائب انّ (سقراط) الذي دائماً يحثّ الناس على العبادة ويعظ الشّبان ويأمرهم بالتباعد عن اللذات والشهوات يُحكم عليه بالموت بدعوى انّه كافرٌ بآلهة أثينا مفسدٌ لأهاليها ! لكنْ لاعجبَ حيث كان الوقت وقت اختلال في الدولة وكثرة الظلمة الحاكمين بها ، ولنذكرْ لكَ سببَ ذلك فنقول : كان أعظم هؤلاء الظلمة تلميذ سقراط المسمّى (اقرسياس) كما كان (القبياده) من تلامذته ، فزهدا في الفلسفة لما بها من المواعظ غير المناسبة لطمعهما وانهما كهما في اللذات فتركاه ، فأمّا (اقرسياس) فصار أكبر أعدائه بسبب تشديده عليه في اللوم على سوء السير والظلم ، فلمّا صار من جملة الثلاثين لم يتمنَّ الاّ إعدامَ (سقراط) ، خصوصاً وسقراط كان اذا بلغه ظلمُهمْ وعُتُوُّهمْ تكلّم فيهم وشنّع عليهم ..... ولمّا رأى هؤلاء الظلمة ما اشتهر به سقراط عند الناس من الفضائل أحبّوا أن يُمهّدوا للانتقام منه بتبغيض الأهالي فيه أولاً ، فأمَرُوا رجلاً يقال

(١) طبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ ، ص ٨٠

له (أرطفان) بذلك ، فاخترع لهم حكايةً طويلةً سمّاها بالسّحاب [١] ، وهي كناية عن أمثال في تقبيح مَنْ يُظْهِر خلاف باطنه . فلمّا اجتمعتْ الأهالي في ملعب عمومي صار يُنزل هذه الأمثال القبيحة على سقراط بسماع الأهالي . . . فانتدب عند ذلك (ميليطوس) وعرض نفسه وقال : إنّ ذنب (سقراط) كبيرٌ محتومٌ على ذنوب ، وذلك لأنّه لايعتقد بآلهة « آثينا » واخترع آلهة غرباء ، ولم يكفه ذلك بل صار يعلم الشّبان احتقار أهاليهم وحكامهم فهو يستحق القتل » . بمثل هذه المغالطة التي أملاها الحسد وحبّ الرّئاسة وعشق السّفسطة شُوّهت سمعة رجل عظيم كسقراط وأذيق كأس الموت ، ولكن هذا الضلال لم يدم وان جاء على أيدي أدباء يعزّزهم الأقوياء . فأنا الصغير لايضيرني في النهاية نظير هذا التشويه لسمعتي الفنية : فصحائفُ شعري ناطقةٌ بأني لا أنظر الى الاخلاق نظرةَ الفقيه أو الواعظ الضرير كجزءٍ من مثلي الأعلى للانسانية المستقبلة ، وأني أميل الى الاعتدال وأنفر من الغلوّ ، ومذهبي الفنّي موفّقٌ بين آراء الكماليين (idealists) وآراء الواقعيين (realists) وهذا ما عَرَضْتُه في قصيدتي « واجب الفنّ » (ص ١٧٨) ليكون

---

(١) The Clouds — راجع Aristophanes' Plays ترجمة J. Hookham Frere (ص ١١٢ ـ ١٧٤) .

هُدًى واضحاً لمن يسيرون معي في نهجي الأدبي ، فلا أنا مَنْ يرى أن الفنّ محصورٌ في التقليد الصّرف للطبيعة ، ولا أنا من يعتبره خصماً للأمثلة العُلْيَا للانسانية كيفما كانت ألوانها ، ولا أنا من يقول إنّ الفنّ اذا خالف علم الأخلاق لم يكن فنًّا ، بل كلّ ماأقوله انه لايكون فناً سامياً لمثلي وهذا لاينفي أن يكون فنًّا عظيماً لمن يتأثر به ، ولا أنكر « انّ الجمال ليس معنًى في الشيء نفسه بل معنى يوجده احساسنا وحواسنا »[1] . بهذا الشعور الجامع أنظر الى الجمال والفن ، وأعبّر عن احساسي في شعري تعبيرَ مَنْ يَرَى انّ الحقيقةَ موزّعةٌ وليست محصورة في شيء واحد يقول به سقراط أو افلاطون أو نيتشه أو رسكن أو شوبنهاور أو غيرهم . فيُقال لي بعد ذلك إني مفسدٌ للفنّ !! أليس هذا الحكم على حَدّ إفساد سقراط للأخلاق ؟ !!

إن الحقيقة والجمال لمثلي ليسا بالمحدودين لا في الأشياء ولا في الاشخاص ولا في المذاهب . وقد يكون هذا الشعور خطأً ، ولكن هذا شعوري القويُّ وكفى . وقد تكون كتابة ونظم شوقي ومطران

---

(١) راجع ، مبادي الفلسفة ، للدكتور راپورت وترجمة احمد بك أمين ، وكتاب R. G. Collingwood تأليف (Outlines of a Philosophy of Art) وكتاب (Selected Essays) لشوبنهاور ، وكتاب (Beyond Good & Evil) لنيتشه .

والعقاد وحافظ ابراهيم ومحب الدين الخطيب وأحمد الشايب وسلامة موسى والكرملي وصادق عنبر والرافعي وطه حسين وهيكل وخيري سعيد وعبد الحميد سالم واسماعيل مظهر وعلي أدهم وغيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء المعروفين أدبياتٍ متنافرةً داعية الى خلْق الأحزاب ، ولكنّها لمثلي ليست كذلك ، لأنّي أتلقّى منها جميعها ما يوافق نفسي وهواي من جمالٍ وفنٍ ، ولا أنظر اليها نظرة التعصب الأعمى . واذا انتقدتُ بعضها ـ ولو انتقاداً مرًّا ـ فهذا لايعني أني ضريرٌ ازاء ما فيها من جمالٍ وفنٍ ، لأني لا أعرف الحصرَ والتحديد في مثل ذلك . فهل يصحُّ أن يكونَ هذا إفساداً للفنّ ؟ !

(٥) لا أظنُّ أن أحداً يُنكر أنّ شكوى الزّمان ـ وهي نَوْع من التّشاؤم ـ متفشّيةٌ في الشعر العَرَبي ، فما رفعتْ هذا النوع من الشعر إذا كان غثًّا في ذاته ، كما أنّ شعر التفاؤل المفعم بالاخلاص البليغ لم يَعبْه عائبٌ لمجرد اصطباغه بالرضى ما دام قوياً في فنّه . وهذا مُعاصِرُنا تاجور لم يقل ناقدٌ كبيرٌ عنه انّه شعرورٌ بسبب تفاؤله وبسبب إنسانيّته المتألهة (Godly humanism) ، بل

هو معدودٌ من أكبر شعراء العالم . ولم يقل أحدٌ بأنّ الشاعر المبتدع يجب أن يتقيّد بأمثلة سابقةٍ لشعراء كبارٍ أو صغار ، بل كلّ ما يُطْلَبُ منه أن يقدّم لنا من عُمق إحساسه ومن دقّة نظراته ومن حرارة عواطفه غذاءً لألبابنا ، وليس علينا أن نحاسبَه على المادة التي تَغَذَّى هو بها : أكانت أدبا أم عِلماً أم فلسفةً ، فالذي يهمّنا أن يزفّ الينا هديته في صورة جذّابة شهيّة وإنْ لم نضمن له أنها سوف تروق لنا جميعاً ، لأن للذوق صلةً كبرى بالتأثُّر وهذا الذوق مختلفٌ لدينا ، وحين ينعدم التأثّر ينعدم كذلك تقدير الفن .

ولا أظنّ أنّ حكماً معتدلاً يقول بأن إبيقورس (Epicurus) أساء الى الشعر بملحمته الكبرى « عن طبيعة الأشياء » (De Rerum Natura) [1] الجامعة المبادىء الخلقية الجليلة فضلاً عن تناولها مذهب ديمقريتس (Democritus) في الذرّات. وقد أشاد بذكره ـ كشاعر وكانسانٍ ومفكرٍ ـ الدكتورُ ولدون كار (H. Wildon Carr) في كتابه القيّم عن النسبيّة (The General Principle of Relativity)ـ راجع ص٧٣ـ ٧٤ من الطبعة الثانية . وما أنسبَ حديث رجل كولدون كار عنه ،

(١) راجع ترجمتها النظمية الانكليزية لوليم الري ليونارد ، طبعة Everyman .

فحديثُه يذكّرنا بالنسبية وحقيقتها في أحكام الحياة وفي أحكام الفنّ وفي كل شيء ، فهي ألصقُ بمنطق هذه الدنيا من الغلوّ الذي لا ينظر إلاّ الى وجهةٍ واحدةٍ ، ولا يَقبل إلاّ حلاً واحداً أو حُكماً واحداً . فالنسبيّة في النّقد جديرةٌ بأن تكون مذهباً محترماً فنأمن زللاً كثيراً في الأحكام الأدبية والفنية من جزمنا بقواعد ليست في الواقع ما ينبغي وَحْدهُ أن يُتّبع .

ومن قبيل هذا التغالي أن نتصوّر أن الحياة لو خَلَت من الشرّ والهموم لما بقيَ للشاعر الوجداني متّسَعٌ للشعر ، لأن الحياة لو خلتْ من كلّ همّ وشرّ وتسفّل لما حرمتْ الانسانية الأطماع العالية النبيلة والهموم الجليلة لفتوحاتها السعيدة المرجوّة ، ولما بَخَلَتْ عليها بالأخيلة الجريئة لهناءةٍ أتمّ ، فتستمرّ هذه الأخيلة دون انتهاء ، وتتبعها كذلك الفتوحات دون سكون على ممرّ الأحقاب وكرّ الأجيال ، وحيثما بقيت الحياةُ بقي الشعر كيفما كان نوعُه متأثراً بظروف بيئته . ومن العَبثِ أن نكتفي بتعاليلنا الفلسفية فنقول إنّ الحرب العالمية مثلا نتيجةٌ لازمةٌ للطبيعة البشرية ولا نسترشد بتعاليل أخرى كما توصينا نظرية النّسبية ، وهذه التعاليل نستخرجها من علم النفس ، فلا يشقّ علينا حينئذ أن

نتصوّر كيف يكون مآل البشرية اذا أُلقيتْ زمام أمورها في أيدي رجال المال وأصحاب معامل الحرب (كما هو الواقع غالباً) بدل أن تكون بأيدي العلماء الاختصاصيين الذين يَبثّون روحَ الحقّ والتآخي الانساني لا الحذر والخوف والعداوة والانانيـة الحيوانية (كما نرجو في المستقبل القريب) . وليس هـذا حديث خرافة ، كما أنه ليس بالوهم انّ روحَ الثقافةِ العملية تَقْضِي حقاً على الإجرام قضاءً كبيراً كما هو مُشاهدٌ في سويسرا مثلاً .

(٦) اذا أنت صاحَبْتَني مطمئناً مُخْلصاً في مناقشتنا السابقة واقتنعتَ بصحة نظري لم يصعب عليك أن تقدّر كيف ينبغي لمثلي أن يتناولَ الجوانب المظلمة في الحياة . فاذا لم تكنْ مقتنعاً فحسبي أن أوجه نظرَكَ الى أنّي لم أغفل أبداً هذه الجوانب ، إذْ لا يوجد شاعر مصري دافع عن الفلاح البائس الذي يكوّن أغلبية الشعب كما دافعتُ عنه من نَواحٍ شتى سواء في هذا الديوان أو في غيره ، ولي في ذلك مئات من الابيات ، وقد تناولتُ كذلك صُوَراً أخرى من بؤس الحياة وهمومها . كما أني لا أظنُّ أنّ من « السقراطية » ولا من التفاؤل في شيء مرثيتي لعلامة الدكتور

صَرُّوف (ص ١١٠١ ـ ١١٢٠) ، على أنّي أعدُّهما من مظاهر ضعفي النفساني في وقتٍ شاذٍّ . وأرى أنّ خير وسيلة لتناول هذه الجوانب إنّما يكون عن طريق الدّرامات والمآسي ، أي على لسان الغير لا على لسان نفسي التي اطمأنّتْ الى نوع من السعادة بتفاؤلها وبارتياحها الى مستقبل الانسانية ، وبتمجيدها للطبيعة الحكيمة ، التي تَضَعُ مصلحة النوع فوق مصلحة الفرد . والرجل الذي تصاحبه الأحزان والمآسي في جميع أدوار حياته فينوء تحتها زمناً ثم يتغلب عليها اخيراً لا يمكن أن تكون رُوحُ المأساة عنده ضعيفةً ، وانّما المعقول هو أنّه حرّر وجدانَه وأسعدَه بفلسفة نفسية أُلهِمَ اليها ، فرأى ذلك إكسيرَ سعادته وأحبَّ أن يهبَه لغيره أيضاً . وهذه هي حقيقة حالي . فلو أني أردتُ التعبيرَ عن أحزاني تعبيراً مباشراً (كما أفعل نادراً) لما عجزتُ ـ وهذا ما يَشْهَدُ به صديقي الناقد الاستاذ سعيد إبراهيم ـ ولكنّ ما أعرفه كطبيب هو أنّ استمراري على ذلك سيُعيدني حتماً إلى انحطاطي العصبي الذي عانَيْتُه قُبيْل رحيلي الى انجلترا . فلماذا أقهر نفسي بدل أن أقهر الحوادثَ والهموم ؟ ولماذا أُضيِّعُ اكسير سعادتي النفسية مِنْ يدي وأبثُّ السَّوداوية في نفوس هي أحوج الى بلسم العَزاء ؟ ولماذا أنشر رُوحَ الخوف والحذر والتشاؤم

والبغضاء والسخط على الدنيا وأهلها ؟ إنّ هـذا هو ما اقدّره كنتيجة للأسلوب المباشر في أمثال هـذه المواضيع . وما أراه أحْجَى وأسلم هو الاسلوب الرّوائي وعلى الأخص الشكسبيري التّمثيلي ، تاركا للنّظارة أو للقُرّاء التأثّر الايجابي بالخير ، والنفور من الشرّ ، والميل الى إسعاد الانسانية الشقيّة . وأما ذلك التصوير للجوانب المظلمة في الحياة الذي لا معنى له سوى تصوير ابن آدم في صورة الذئب الذي لا يمكن أن يُؤمَنَ إلا اذا كان ضعيفاً وعليلاً ، فلا شأن لي به ، لأنه يخالف إيماني العلمي بحاضر الانسانية ومستقبلها ، كما يخالف اعتقادي في أنّ معظم الصاخبين قصيرو النظر أنانيون ، لا يدركون حكمة الطبيعة وشغفها بالنوع قبل الفرد وسعيها الدائم الى الترقية والتجميل .

وفي الحياة من الدروس ما يغني عن كلّ أمثلة مدرسية مسطورة . وما المآسي الأغريقية بالمآسي الحقة على ما نفهمها في هذا العصر ، فتأثّر الشعب الأغريقي بها يرجع أوّلا لبلاغتها الموسيقية ، ولأن فرص تمثيلها كانت في الواقع فرص عبادة عجيبة للشهوة سلطان عليها . فلم يكن المقصود من تلك المآسي بث الحزن قدر اثارة الرّوع والرحمـة كما هو شأن العبادات والدرامات الهندويّة (Hindo dramas) ، ولكنّ هذا لم يكن الاقصداً ثانوياً ،

مشهد النظارة في المسرح الديونيسي بآثينا مراقبين تمثيل (أغاممنون)

(من نقش السير و . ب . رنشموند في متحف برمنجهام الفني)

وأما الغرض الأوّل فالغناء الديني الصّرف الذي يرتاح اليه النظارة . ثم ان فكرة القدر متسلّطة جداً على العقل اليوناني المؤلِّف ، ونحن لارضينا مجاراة ذلك في هذا العصر ، بل نؤثر أن ننسب عيوبَنا الى أخطائنا ولو كانت صغيرة ، فهذا أصلح لنا وأنفع من التعلق بالقَدَر وحده ولومه دون أنفسنا على نتائج غلطاتنا . ولهذا أرى أن هذه المآسي الاغريقية ليست حجة ضدّي ، فهي قطع أخلاقية شبيهة بالاوبرات يمتزج فيها الشعر بالموسيقي والرقص والغناء كعبادةٍ دينيةٍ ، فاذا كانت قد نفعت قدماء الأغريق فليس ذلك لما فيها من روح المأساة النسبية ، وانما لأنها بثتْ جمالا فنياً كواجب ديني فهي اذنْ « أوبرات مقدسة » وليست تراجيديات ، فكانت بذلك وليمة ذهنية فاخرة لشعب مثقف في أوج حضارته الاولى . واني أعلم ان لبعض النقاد الالمانيين آراء غير هذه في المآسي الاغريقية وأظن انّ مترجم إسكيليس الى الانجليزية المستر چون استوارت بلاكي (John Stuart Blackie) لم يُخطِئْ في تعريف هذه الآثار بأنّها تُحَفٌ فنية اذا رُوعيتْ ظروفها ونشأتها ، ولكنها لاتُفَضّل على آثار شكسبير مثلاً . وما يهمّني أنا في هذا المقام هو : (١) تبيانُ إجلالي لتأليف التراجيدي واعتباره خيرَ وسيلةٍ لاظهار جوانب الحياة دون التصنّع ودون التعبير عن غير إحساس فيما لو اتّبع

المؤلف الاسلوبَ المباشر الصادر عن نفسه . (٢) تقرير ميْلي الى هذا النوع من التأليف ، وانّ سكوتي الحاضر بل انصرافي المؤقت الى سواه ليس معناه عُزُوفي عنه . (٣) تقرير حقيقة المآسي الاغريقية التي لا اعتبرها مَثَلاً أعلى للتأليف التراجيدي ، خصوصاً واني لا أرى انّ روح الثقافة العصرية تستدعي التشبُّثَ بالقَدَر والتغالي في تصوير دَوْرِهِ في الحياة . (٤)إظهار احترامي في الوقت ذاته للنُّبوغ الفنّي اليوناني في التمثيل الشعري ، وأخصُّ بالذكر إسكيليس وروايته « أغاممنون » .

(٧)بديهيٌّ أنَّ شعر السخط والغضب والثورة له من اللهجة غير ما لشعر الهدوء والسلام والمحبّة ، ولن يُسمّي الأوّل قوياً والثاني ضعيفاً الاَّ من يفقد حاسة التناسب (Sense of proportion) فالواجب علينا أن نحذر هذا الزَّالَ في أحكامنا ، لأنَّ لكلّ فنٍّ قوَّةً ظاهرةً أو مستورةً تناسب موضوعَه. وهذا يدعوني الى كلمة عن الديباجة والاسلوب اللغوي ، فأقول إني لم أحْرَمْ مَنْ يَحْمَدون لي أسلوبي الى جانب مَنْ ينتقدونه . وبين الناقدين مَنْ لا يفهمون مطلقاً المقطوعات الشعرية الرمزية التي في هذا الديوان ، أو قد

يفهمونها حسب ظاهرها دونَ رُوحِها الفنّية . وهذا الفريق بين الادباء كثير العدد في مصر للأسف ، وهو ما يدعو الى التريث في التجديد ، حتى لا يكون الغذاء الطريف عسر الهضم لأذهان كثيرة . تُنْتقَدُ عليَّ مراعاتي للذوق المصري في تعابيري ، فدعْني أقول في غير تَرَدُّدٍ إنَّ هذا الذوقَ المصريَّ هو أكثر الأذواق أثراً في صَقْلِ العربية المصرية ، وأقول غير مُدافعٍ انَّ الذوق المصري الذي أنجب البهاء زهير وابن الفارض ومصطفى نجيب واسماعيل صبري وأحمد شوقي وغيرهم من الشعراء المصريين المخلصين لروح بيئتهم هو روح الرقّة في التعبير غالباً لا روح الجزالة التي تمتُّ بصلة أوثق الى العراقيين والشآميين . هذه الرقة تجدها في شعر البهاء زهير وفي شعر ابن الفارض وفي شعر شوقي المطبوع الذي لم يتطرق اليه التصنُّع اللغوي أو تكلّف الغَرَض ، وتجد السلاسة على الأقل في شعر حافظ بك ابراهيم المطبوع ، بينما تجد الجزالة والمتانة اللغوية القوية في نثر (البؤساء) المصنوع المتكلّف بمهارة . وقد تتناسب الجزالةُ مع شيء من سلاسة الاسلوب في الشعر الوطني وفي المراثي ونحو ذلك . وهذا ما أقرَّ لي به غيرُ قليلٍ من أساتذة الأدب العربي في مصر . وقد أخطأ من قال إنّي أقلّد

مطراناً في أسلوبي ، فالواقع اني لا أقلّد أحداً . وانّ تأثري بمطران شبيهٌ بتأثر غيري من المجدّدين به ـ وإنْ حاول بعضهم إنكار فضله عليهم ـ وأعني بذلك حرية تعبيره واهتمامه بوحدة القصيد . فهذه الحريّة في النظم هي خيرُ تعليم وخيرُ تراثٍ وَهَبَه لنا مطران . وأمّا عن موسيقية النظم فقد تأثرتُ فيها بنظم شوقي بك الذي أعدُّه ـ حينما يترك نفسه على سجيّتها ـ أعظم شعرائنا الليريكيين ، ولن أبخسه حقَّه هـذا من التقدير مهما اضطُرِرْتُ الى انتقاد ذبذبتِهِ الفكريّة وتقلُّبه السياسي وجبنه الأدبي وغير ذلك من مظاهر ضعفه النفساني في مجال التأثير على شعره . وإني لا أنكر أنّ حافظ بك ابراهيم شاعر كبير بل أقدر شعراء الفكاهة والسخر في مصر اذا شاء ، كما لا أنكر أنّه شاعر البيان التام ولكني أنكر أن البيان هو دائماً البلاغة وخصوصاً البلاغة الفنّية ، وأنكر أن البهرج اللفظي عنوان الاتقان الفنّي والشاعرية بل أعده غالباً عنوان الفقر النفسي ، ولذلك أرى أن حافظ بك هو آخر من ينبغي له أن يتعرّض لبلاغة مطران الفنّية ، فانه لن يساويها ببيانه ولن يقرب منها في أي نوع من أنواع شعره . وهذا الأستاذ أحمد محرم (الذي يقدمه حافظ بك على نفسه والذي يُعدّ اسلوبه آية في الجزالة والمتانة العربية) يعجب أيّما اعجاب بقوة مطران الفنّية ، ويقدّر ما في أسلوب

مطران من تجديدٍ شائق وبيانٍ جميلٍ وإنْ خالفَ المألوفَ .

ليس الشاعرُ مؤلف معجم إذْ بآلاف قليلة من الكلمات يَستطيع أيُّ شاعرٍ مطبوعٍ جريءٍ أن ينظم القصص والملاحمَ الشعرية الفاتنة ، وليست السهولة في التعبير معناها الضعف والركاكة فان هذه السهولة - كما شهدتْ بذلك نابغة شواعر الانجليز المس إديث سِتْول (Miss Edith Sitwell) - نتيجة جُهْدٍ فكري طويل في ذهن الشاعر الناضج . وهذه السهولة والبساطة المتناهية في التعبير وتجنّب الحذلقة وعرض بضاعة المترادفات اللغوية هي مما يتوخاه شعراء الانجليز الناهضون وفي طليعتهم سيجفرد ساسون (Siegfried Sasson) صاحب « سياحة القلب - The Heart's Journey » وغيرها من الروائع الشعرية البليغة .

ولكن هذا المذهب لن يُرضي أصحابنا المغالين الذين يغالبون الذوقَ المصري ويحلو لهم أن يقولوا لنا « ما أُحيْلَى ! » ، ويبهجهم أن يتحفونا بأمثال هذه المفردات : شماريخ ، يلملم ، هيثم ، مسبكرّ ، قشاعم ، تامور ، سحالة ، وَذِيلة ، مزؤد ، يحور ، الجديس ، الفيح ، الحنوط ، يُطبّى ، يمُوق ، الذّحول ، التأطر ، البوغاء ، السّمادير ، الأُفق ، الشّبابة ، الجؤار ، الرّجَم ، الأواذي ، الشّطون ، المصرّد ، المصطلم . ونحن لا نعارض في احياء هذه

الالفاظ وغيرها في الشعر اذا دعت الضرورة البيانية ؛ بل نعد ذلك خدمةً مشكورة للغة ، ولكننا نعارض في اعتبار ذلك غرضاً أساسياً للشاعر ، ونُعارض التصنُّع المؤدّي الى مخالفة ذوقنا الشعبي المحبوب ، وننكر اقولَ بأن السهل الممتنع ضعفٌ وغثاثة ، وانَّ للكلمات الجوفاء الرنّانة والالفاظ الغريبة جمالاً وقوة لا نظير لها ولا أثرَ لغيرها ، ونصرّح بعد ذلك بأن لكل مقامٍ أسلوباً ومقالاً ، وان الشاعر الفنّان يميل بفطرته الى التنويع فالتنويع من مظاهر الفنّ . وكما أنه غلوٌّ غير محمودٍ أن تحكم بوأد قصيدةٍ لكلمة أو بيتٍ لا يُعجبك فيها ناسياً الوحدةَ النظمية ، وأن تحكم بفساد ديوان لأن جزءاً منه لا يوافق ميولك في الأغراض والاساليب ناسياً أيضاً وحدة التأليف الذي بين يديك ، فكذلك من الخطل الكبير أن تحكم على شاعر بالموت الادبي لان أحد دواوينه لم يَرُقْ لديك ، متناسياً وحدة نفسيته وأدبه المتمثلة في مجموع تآليفه !! فان انت نسيتها فهذا لن يقضي عليها ، بل هي التي تُزجيه الى التنويع بحيث تتناسب تآليفُه المختلفة فتكوّن وحدةً مُنوَّعة مقبولة . وكيف تحكم على شاعر بالعجز في الشعر الغنائي مثلاً وتحسب حكمك عادلاً لمجرد اطلاعك على اشعار مرسلة له وجهلك ما عداها في دواوينه الاخرى ؟!

ان الأسلوب عندي هو نتيجة تفاعل فكري وروحي وذوقي بين الشاعر وبيئته ، وليس كل أسلوب فنّي يُفْهَم ، ولاسيما القصائد الرمزية التي للاضمار والتقدير نصيب فيها،وللثقافة عون على تفسيرها، فقد تكون هذه القصائد آياتٍ فنيةً ولكن لا يفهمها إلاّ القليلون ويُرْمَى صاحبها بالغباوة أو التنطع ! وإخواننا المحافظون يقابلون عندنا فريقَ الحنابلة اللغويين عند الاوروبيين (Puritans) ، وهؤلاء يميلون الى استعمال الكلمات حسب معانيها الأصلية فتكون نتيجةُ ذلك إهمالَ الكثير من ظلال المعاني العصرية أو العجز عند التعبير . ولكنْ بينما صوتُ هؤلاء ضعيفٌ في الغرب ، نجد نُظراءهم عندنا يحاولون التأثيرَ على جمهور الأدباء بحجة الغيرة على « لغة القرآن » التي يُسيئون هم اليها بجمودهم أضعاف ما نخدمها نحن بحريتنا المعقولة وتجديدنا . ولو تدبّر هؤلاء النُّقّاد لأدركوا أنّ أعظم المشترعين في اللغة أثراً هم الشعراء والشعب ، لا المجامع اللغوية والخاصة إلاّ في العلميات العويصة . ولو انك درستَ (المخصص) لابن سِيدة لوجدتَ آلاف كلماته مصدرها دهماء العرب وأصحاب الحرف والصناعات والأعمال ؛ وما من تعبير جديد للحياة إلاّ ويبدأ به العامة غالباً ثم يصقله الخاصة بعض الصقل . وسرُّ ذلك أنّ العامة يعبرون بفطرتهم وبِحُرّيتهم

الكاملة عن شعورهم ، بعيدين عن كلّ تصنُّع . وكذلك حال الشعراء الأَ في نُزوعهم للفظ الموسيقيّ وصقلهم إيّاه من تلقاء أنفسهم اذا كان عاميّ الأصل أو دخيلاً ، ولذلك كان الواجب أن تؤخذ المفردات والتعابير الجديدة التي يوجدها التطوُّر والحاجة عن المجدّدين من الشعراء ، لا أن تملَى عليهم من أصحاب القواعد والفتاوى التي لا يعرفون تطبيقها ، لذلك كانت خدمة تيمور باشا وسقراط سبيروبك بجمعهما الكثير من الألفاظ والتعابير العامية خدمةً لغوية جليلة القدر لمن يعرفون الانتفاع بها من الخاصة .

وأني اذا عذرتُ من لا يقدّرون قيمة الشعر المرسل والشعر الحر وتنويع الأوزان والابتداع فيها ، وأثرَ كل ذلك في تحرير التعابير الشعرية من القيود الثقيلة ، ودَفْعَها حُرّةً لتكوّن للأدب العربيّ شعراً دراميًّا قويًّا بعد أن حُرمَ ذلك طويلا في ماضيه — إذا عذَرْتُ هؤلاء فاني لا أعذر من يجازفون بأحكامهم تَبعًا للمحبة والكراهة (antipathy) لذاتِ الشاعر . وكم من اناس يتولد عندهم النفور لا لسبب إلاّ عداوة أصيلة في طباعهم لكل رجل جهير ، حاسدينه لظهوره في عمله ، وإن لم تكن لهم صلةٌ بذلك العمل ولا قدرةٌ على منافستهم إيّاه في مجاله ! ! فأمثال هؤلاء ليست لأحكامهم قيمةٌ عندي : أليس من بينهم من عدُّوا مرثيتي

للعلاّمة صَرُّوف (ص ١١٠٦ ـ ١١٢٠) إفساداً للفنّ والأذهان الأدبية حينما عدّها الشاعر الناثر الاستاذ أحمد الشايب معجزةً أدبيةً ، ووصفها إمام اللغة المتشدّد الأب الكرملي بقوله [1] : « انك لا ترى في جميع أبياتها خيالاً كاذباً ، او تصويراً وهمياً بل تُلْفي الحقيقة مبثوثةً في ثنايا كلها بثّاً عجيباً » ، وحينما وصفها الاستاذ لطفي جمعه « بأنها من آيات الشعر العربي الحديث » !! أليس اولئك المتحذلقون المغرضون هم الذين وَصَمُوا الاستاذ عبد الرحمن شكري بالجهل بعد مدحٍ سابقٍ عند ما بلغهم انه اعجب بقصيدتي « في حضن الريف » (ص ٩٢٦) وَوَصَفَها بأنها « شعرٌ صافٍ ـ pure poetry » ؟! وابوا إلا ان يُقرّروا انّ هذا الشعر الوجداني المتصل بالطبيعة « دردرةٌ فارغةٌ » ! فهل امثال هؤلاء يُقام لهم في النقد الأدبي وَزْنٌ حتى يُشار اليهم في معرض الآراء ؟ !

لو صحّ انّ الأسلوبَ العربيَّ القويَّ قوي في كل وقتٍ لوجب مثلا ان نَحتفي بكل ما وَعَتْه (مختارات ابن الشجرى) و (ديوان الحماسة) و (جمهرة أشعار العرب) ، وأمثالها من

---

(١) مجلة (لغة العرب) م ٥ ج ٥ ص ٢٨٢

التصانيف لمختار شعر العرب المأثور ، ولكنّ الواقع ان حفاوتنا مقتصرةٌ على ما ناسب ذوقَنا منها لفظاً ومعنىً ومرمًى . وسيختلف حتماً مبلغُ هذه الحفاوة من جيلٍ الى جيل .

قال المستشرق الشهير الاستاذ ادورد هنري پلمر ناقل البهاء زهير الى الانجليزية في تصديره للديوان (سنة ١٨٧٦ م) :

« . . . لكن نظم البهاء زهير ليس في البديهيّات والأمثال فقط يشابه أشعار شعراء أوروبا ، بل أكثر أفكاره تحاذي أفكار شعرائنا الانجليزيين في القرن السابع عشر بعد المسيح حتى لا يكاد أحدٌ من الافرنج يصدق انّها من مؤلفات شاعر مسلم من أيام بني أيوب . والظاهر أنّ أكثر أشعار المشرق ـ ولا سيّما أشعار الفرس ـ لاتخلو من التصنّع في الاستعارة ، والمبالغة في المدح والذم ، والبهرجة في العبارة ، وهذا كلّه عند أهل أوروبا غير مرغوب فيه ، بل يعدّونه من أقبح العيوب . وأمّا نظم بهاء الدين زهير فانك لاترى فيه غيرَ البساطة الطبيعية والايجاز ، على مافيه من حسن الاستعارة والمجاز الذي يذكر بغزليات هيرك الشاعر الانجليزي المعروف . وأمّا المقاطيع الرقيقة والنكات الدّقيقة التي كان شعراء الانجليز في أيام رجع دولة آل استورت مولَعين بها ، فالبهاء مالك زمام صناعتها ، كما يشهد لذلك قوله :

ويَخفقُ حين يُبصره فؤادي ولا عَجَبٌ اذا رقصَ الطُّروبُ
وانْ كان المعنى مَطْرُوقاً كالموتِ عِشْقاً ووصف العاشق بالشهادة فنرى صاحب الديوان يزينه بأسلوبٍ جديدٍ ويأتي بنكتةٍ زائدةٍ كقوله :

فخذْ مرةً رُوحي تُرِحْنِي ، وإنْ أكُنْ
أموتُ مراراً في النهارِ وأُبْعَثُ !

وكقوله في موضع آخر :

أنتَ رُوحي وقد تملّكْتَ رُوحي
وحياتي وقد سلبتَ حياتي
مُتُّ شَوْقاً فأحْيِني بوصالٍ
أُخبرْ النّاسَ كيف طَعْمُ المماتِ !!

فزادَ هـذا الكلامَ حُسْناً ، وكَساهُ رونقاً جديداً ، وقال جداً مالم يقله غيره الاَّ هزلاً . ثم في قرب الهرم وظهور الشّيب أبدع في المعنى وأغرب في الكلام حيث قال :

فقد انجلَى لَيْلُ الشبابِ وقد بَدا صُبْحُ المَشيبِ
ورأيتُ في أنوارِهِ ما كان يَخْفَى من عُيوبي !»

هذا شيء من رأي الاستاذ بلمر في شاعرنا المصري التربية الذي يُمثّل ذوقَنا الأدبي الأصيل أصدقَ تمثيل . وهو رأيٌ

شاركه فيه كثيرون من النُقّاد النافذي البصر في الأدب من عربٍ ومستشرقين . وحسبك شهادة من نوابغ شعراء العصر لأسلوبه السهل الخلاّب ولديباجته السحرية ماقاله شوقي بك فيه من مدحٍ بمقدّمةِ الطبعةِ الأُولى من ديوانه (الشوقيات) ، حيث وصفه بأنّه « سيّد مَنْ ضحكَ في القول وبَكَى ، وأفصحُ مَنْ عتب على الأحبّة واشتكى ، وحَسْبُكَ انّه لو اجتمع ألفُ شاعرٍ يعزّزهم ألفُ ناثرٍ على أن يحلّوا شعرَ البها أو يأتوا بنثرٍ في سهولته لانصرفوا عنه وهو كما هو !! » .

هذا الشاعر العظيم المصري النشأة والرُّوح والديباجة هو مَثَلُنَا الأعْلَى في حُسْنِ الصياغة والتحرُّر في التعبير . وهو المبدع القائل :

بِرُوحي مَنْ أُسمّيها «بستّي»[1] ! فتنظر لي النُّحاةُ بعَيْنِ مقْتِ
يرَوْنَ بأنّني قد قُلتُ لَحْناً وكيف وانّني لَزُهيْرُ وقتي !؟
ولكنْ عادةٌ ملكتْ جهاتي فلا لَحْنٌ اذا ماقلتُ «بِستّي» !!

فهذا الشاعر الفنان الذي يؤثر الرقة على الألفاظ الضخمة الرنانة هو ـ في نظر اخواننا الحنابلة ـ ربُّ الغثاثة والركاكة والضعف

(١) اي بسيدتي .

والعامية وسوء الصَّنعة وما شئت أن تحصيَه من عيوب ! واني أوثر أن أُشارك البها زهير في روحه فأنال ذمَّهم على التنطُّع اللغوي في أسلوبي لأنال رضاءهم وتصفيقَهم !!

(٨) وأخيراً لابدَّ لي في ختام هذه العجالة (التي ليست كلّ ما يسمح الفراغ ولا الوقت بأن يقال في موضوعاتها) من الاشارة الى الرأي القائل بأنَّ أدبَ الأديب غيرُ شخصه ، وهو رأيٌ خالفته دائماً وانتُقِدْتُ من أجلِ هذه المخالفة ، فأقول انه يصحّ طبعاً من وجهة نظرية قبول مدح الفضيلة من الشرير وتقدير الغِنى من الفقير ، ففي الحالة الأخيرة يكون الفقير بأخيلته في بيئة الغنيّ ، وفي الحالة الأولى يكون الشرير بنَدَامتِهِ متقمّصاً نفسيةَ الخيّر ، ولذلك يكون أدبهما الوصفي غير مصنوع وله قوة التأثير ، وهذه أحوال شاذَّة وليس فيها ما يناقض رأيي . ولكن الأغلب أن يجيد الشَّاعِرُ الفقيرُ بحرارة وألمٍ وصفَ الفقر ، وأن يجيد الشاعر الشرير وصفَ وتحبيذ ما نَعَدُّه شرًّا ، وهكذا يبرز لنا كلٌّ منهما نوعاً من الفنّ لمن يستملحه ولِمَنْ يرى فيه البلاغةَ والاتقان . ولكن هيهات أن يكون هذا الاتقان المؤثر في الأدب بغير اخلاص أصيل عند صاحبه :

لاخيرَ في أدَبٍ لمن لم يتَّخِذْ مِنْ طَبْعِهِ طَبْعاً ومنه أصولاَ

ونحن اذا احترمنا أدب اسكار وايلد (Oscar Wilde) مثلاً فلشعورنا بأنّه مخلصٌ في شذوذه ، ولأنّ أدبَه صورة نفسه الحقّة ، فيساعد هذا الاعتبار السيكولوجي على احداث تأثرنا الفنّي . فشخصية الشاعر جزء من شعره أعظم من البحر والروي ، والاعجاب بأثر الشاعر اعجابٌ بشخصه أيضاً كما يتخيّله القارىء في شعره ، فاذا ضاع هذا التخيُّل الجميل عند افتضاح حقيقة نفسية الشاعر ضاع التأثير غالباً . ولذلك يحرص بعض الناشرين على ترك القرّاء في أوهامهم منخدعين بالصناعة الى جانب تأثّرهم بالحقيقة ، ويأبون حتى اذاعة صُوَر المؤلفين حتى يبقى تأثُّر القراء بالصُّوَر الخيالية التي في أذهانهم !!

وتبعاً لنظرية «أنّ أدب الأديب غير شخصه ، وانّ الفنّ مرآةٌ متحيّزة» ، يسيغون للأديب ما لا يجوز لِنابهٍ مُستَعْمِلٍ من الرياء السياسي والأساليب المكياڤيلية . وعندي أنّ الأديب يجب أن يكون فوق سفسطة وأكاذيب المداهنات السياسية والخداع والدّجل ، وإلاّ كان تاجر ألفاظ ومغالطات ، كما يجب عليه أن يعدّ نفسه مؤتمناً على الجمال الفنّي قوّاماً عليه ، سواء خصّ هذا الجمال شخصَه أو غيره . وهيهات أن أوافق على أنّ حياة الأديب

كفاحٌ ذاتي أي تنازعٌ في سبيل الظهور ، بدل البحث عن أنواع الجمال ووصلها ببعضها . فهذا التناحرُ الحيوانيُّ في سبيل ما يُسمَّى « بقاء الاصلح » تناحرٌ لا يليق بأهل الثقافة والأدب العالي الذين ينبغي عليهم إبراز أحاسنهم ، تاركين لقانون الاختيار أن يفعل فعله مع الزمن في غير قتال . والقول بأن مالا يستطيع أن يقاوم الحملات غير أهل للحياة مقارنة مع الفارق . وليتَ شعري كيف كنا نحكم على الاسبانيين لو أنهم قضوا قضاءً تاماً على آثار العرب الفنية في الاندلس ، وعلى البولشفيين لو أنهم قضوا الآن على الآثار الفنية التي تخصّ الرأسماليين بحجة أنها غير أهل للحياة مادامت لا تستطيع مقاومتهم ؟ !!

وبالله متى كانت حياةُ الفنان متوقّفةً عدْلاً على قدرته على ردّ دهاء خصومه وألاعيبهم الشيطانية لا سيما اذا كان رجلا حيّاً رقيقَ الاحساس عظيم التأثر ؟ !

أمّا انّ الفنّ مرآة غير متحيزة فخطلٌ آخر ، لأنّ هذا جانبٌ من الفنّ وليس كلّ الفنّ ، وإلاّ فلدينا إذن فنُّ الواقع نصيب المقلد أو المرآة ، وفنُّ الخيال - أي المثل العالي - نصيب الخالق المبتدع ، ولا شك أنّ الفنّان الخالق (كيفما كان لونُ مثله الأعلى) أعظم من الفنّان المرآة ! إذ شتان بين ذلك الذي يكتفي

بتصوير الحياة بما فيها من خير وشرّ ، وبين ذلك الذي يخلق الى جانب هذا أو قبله مثلاً عالياً مُسْعِداً مُلهماً من تفكيرهِ وإحساسِهِ ، وان يكنْ خيالاً في خيال ! ؟

أحمد زكي أبو شادي

« الفن هو طريق الخالق الى عمله ».

(امرصن – Emerson)

« الشعر نفس المعرفة كلها وروحها الرقيق ، فهو التعبير الحار الذي يحلو العلم . »

(وردزورث – Wordsworth)

« يجب ان يكتب النقد للجمهور لا للفنان . »

(وليم وتر – Wm. Winter)

فصل ختامي

« ما عدا امثلة نادرة لايمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة - وكما يتحول اللص المفلس في يأسه الى خفير ، كذلك يتحول المؤلف العاجز الى ناقد ! »

الشاعر شلي (Shelley)

« النقاد هم عادة اناس كان ينتظر ان يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا ، وقد جربوا مواهبهم في هذا او ذاك ففشلوا ، ولذلك انقلبوا نقاداً ! »

الاديب الشهير كولردج (Coleridge)

« النقد كالشمبانيا : لا يوجد ألعن منها اذا كانت رديئة ، ولا افخر منها اذا كانت جيدة . »

الاديب كلتون (Colton)

بين اليوم والغد

بقلم الناشر

أُريدُ بهذا الفصلِ أن أختم الدّيوانَ مُستَعْرِضاً صفحاتِهِ كما يُستَعْرَض الشريطُ الفضّيُّ (شريطُ السينما) - في غير تباطؤ مُملٍّ - لفائدةِ المتأمّل الناقد، ولعلك توافقني على أنّه لاغنيً عن هذا الاستعراض الختامي لمثل هذا التأليف الضّخم استثماراً لثروتِهِ.

يقع شِعْرُ هذا الديوان (أي ماخصّ صاحِبَهُ) في نيف وستين وسبعمائة وثمانية آلاف من الأبيات، تَضَمَّنَتْهَا ثمان وسبعون واربعمائة قصيدة ومقطوعة جامعة لفنون شتّى من الشّعر. وقد صدّرْتهُ بمقدمات ثلاث، وأنبعتُ القسم الشعري بنظرات وملاحظات حرّة للأساتذة المجدّدين: أحمد الشايب، ومحمد سعيد ابراهيم، وسلامة موسى، فتألّفَ من ذلك ديوانُ شعرٍ ونقدٍ وأدبٍ عام متنوّع المضامين، متماسك الأجزاء، مستقلّ الصّورة والنّزعة.

والغَرَضُ من هذه الابحاث التحليلية التي يُقدّرها عارفو الأدب الأوروبي والمستشرقون هو تنبيه الأذهان الى الدّراسة الشعرية النقدية، والحث على التجديد الصادق والاصلاح الأدبي،

والاعتبار بتاريخ الشعر العصري في مصر على الأخصّ ، وبما أصابَه من تقلُّبات ، بحكم الدوافع الشخصيّة التي لم تُبالِ بخدمة الشعر ذاته قَدْرَ خِدْمَةِ المجد الشخصي . فهذه الأبحاثُ المفيدةُ إذنْ مجموعةُ أدبٍ حُرٍّ ونَقْدٍ وتاريخ متصلةُ الأجزاء ، وغايتها خَيْرُ الأدبِ والفنّ الصُّراح .

وقد أشَرْتُ ـ رَدًّا على تحامل الحسَدِ والجحُود وإسفافِ المُغْرِضين ـ الى أنّ ما تضمّنَتْهُ هذه المجموعة الشعرية النفيسة من ذخيرةِ أدبيةٍ كافيةٌ وَحْدَها لوضْع الشّاعر في الطبقة الأولى من شعراءِ العصر ، لولم يَجْنِ عليه تفرُّدُهُ أو شُذوذه جنايةَ نظيره على ابن الرُّومي في زمنه ، فانّ شوقي بك وحافظ بك ابراهيم وأحمد افندي محرم وغيرهم من مشاهير الشعراء الذين يُعَدّون في المرتبة الأولى بين شعراء العربية ما بلغوا سابقَا تلك المنزلة الاّ بأقلّ من هذا الانتاج العظيم في القدر والمقدار .

بَيْدَ انّ شاعرَنا لايَزال في منتصف العقد الرابع من عمره ، وإنْ كانت مرانتُهُ الشعريّة ترجع الى أكثر من عشرين عاماً بحكم طبعهِ الشعري الأصيل الموروث . وأجملُ ما في خُلقه انّه ـ وهو المعتدُّ الواثقُ بنفسه ـ غيرُ راضٍ عن إنتاجه الحاضر ، وكثيرُ النقد لنفسه بنفسه مع احترامٍ كلّي للنقد الشريف ، وهذه صفةٌ

طيّبةٌ وعلامةٌ حسنةٌ ، لانّها ستبقى ـ لامحالةَ ـ دافعةً له الى العمل وزيادة الأجادة حُبًّا في بلوغ أسمى ما يُستطاع من كمال في إنتاجه المتجدّد المطبوع . ولولا الاعتدادُ بالنفس لما أقدمَ أيُّ نابغةٍ على عمل شاقّ عظيم ، كما انه لولا حُبُّ الاتقان والانتقال من الحسن الى الأحسن ولولا عدم الرّضاء بالحاضر لما كان للمستقبل أملٌ . وشتّان بين الاعتداد بالنفس لدى الطامح الى « المثل الأعلى » وبين الأباطيل والغرور ، فانّ الفرد المغرور بذاته ـ بخلاف المعتدّ بنفسه المُجِدّ ـ يتوهّم غالبًا انه في غنىً عن جُهدٍ آخر ، وأنّ فتوحاته ـ على قلتها أو كثرتها ـ لم تترك مَجالاً لِفتْح جديد ! وكثيراً ما صرّح لي شاعِرنا بأنّه لاينتظر أن يرضى عن نفسه قبل سنوات ، وربّما لم يكن رضاؤُهُ كاملاً وقتئذ ، لأنّ مجالَ العمل والاتقان في نظرهِ واسعٌ ، وهو لايشعر بأنّه أدّى الفرْضَ الواجب عليه ، وإنْ افتخر سواه بما هو دون آثاره بكثير . . . وأخَصُّ مجالٍ للعمل والاصلاح تدعو الحاجة الى توجيهِ الجهود الشعرية اليه الآن إنّما هو المَسْرَحُ المصري ، أي الى الدرامات والمآسي الشعرية والأوبرات ، فضلاً عن القصَص العَصْري الاجتماعي .

— ٢ —

وما أحسبني مبالغاً في اعتقادي انّ الدكتور أبا شادي أكثرُ شعرائنا تحصّناً أو مناعةً من هجمات النّقدِ المُغْرض لانّه — وهو الجمُّ الخصب الذهني ، المبدعُ المنجب الكثيرُ الانتاج ، بل الذي لا يُبَزُّ في قُوَى الوصْفِ والتّخَيُّل والتّحْليل والقَصص الشّعري — لايقبل أن يعيشَ على ذكرى آثاره الماضية ، وانما يعبأ بآمال المستقبل فقط، وكلما ازداد علماً زاد شعوره بعجزه وتطلعه الى المثل الأصلح ، فاذا أشار الى ماضي آثاره فلأنها صُوَرٌ عزيزةٌ من شبابه ، واذا تحدّث عنها أو افتخر فانما في موقفِ الدّفاعِ فقط عن جُهْدِهِ أمام حملات المغرضين (وانّ عدّه في أقصى ضميره جُهْدَ المقلّ العامل) ، وفي موقف الدفاع عن حُسْنِ طويّته وشرف مقصده ، وعن تفانيه في حبّ وطنِهِ وعلمِهِ وفنهِ . ومَنْ كانت له هذه العقليّة الحصينة فمن الصعب جدًّا أن ينال منه التّحامُلُ والتّجريحُ والتشهيرُ مهما أنفق حاسدوه في هذا السبيل بمناوراتهم ودسائسهم من مالٍ وجهد ، بل قد يشجعه القدح أضعاف ما يشجعه المدح ... ! فلا محلَّ إذنْ للعجب اذا لم تُثبِّط المعارضة هِمَّته بل كانت داعياً الى شَحْذها ، ولا غرابة اذا كان مِثلهُ أوّلَ مَنْ يستفيد

من النقدِ الصحيح ويرحّب به، بينما كثيرون غيره يفزعون من النقد الشريف ويعتبرون الناقدَ النزيه خصماً لهم! ! وقد شبّهتُ شاعرنا مرةً بالجنديّ التركيّ الذي ليست له وقائعُ هجومٍ ولا يميل الى التحرش بأحد ، ولكن له مواقفُ دفاع لا تنسَى ... فشاعرُنا مَنْ يعشقُ الادباء ومجالسَ الأدباءِ ، ومَنْ يُفتّش عن حسناتهم ويُذيعها لشغفه الدائم بالحق والجمال ، ومَنْ يقترح ويشجّع ويساعدُ بكلِّ تسامحٍ واخلاصٍ وغيرةٍ ، ومَنْ لا تأسرُهُ النَّعرة الدينية أو المذهبيّة أو السياسيّة ، بل يُقدّس الاخاء الانساني تقديسه للعقل والجمال وشرف الذهن والحريّة ويحبّ الأدبَ والادباء حباً جمّاً ، كما يُحِبُّ العلمَ والعلماء ، وكأنهم جميعاً اخوانٌ في الماسونيّة التي ينتسبُ اليها . . . ولكنّه اذا هُوجِمَ بعنفٍ وتحاملٍ فهو سيّدُ مَنْ يُسدّد القلمَ حاذقاً ماهراً الى رؤوس ناقديه المتحاملين والى صدورهم تسديداً علمياً فتّاكاً بأسلوبٍ محكم قدير ، وخيرُ مَنْ يرتجل خطبةً نقديّةً ردًّا عليهم تُنبئكَ انّ صاحبَها الشاعرَ استاذٌ أيضاً في النقد الأدبي لا يُشَقّ له غبار ، بل إمامٌ ضليعٌ في طريقته النقدية التحليلية التي لا تترك كبيرةً ولا صغيرةً دونَ فحصٍ وتشخيصٍ . فاذا ارتدَّ امام ردِّهِ أشدُّ ناقديه تعنتاً فليس في ذلك ما يَعيبهم وإنْ كان فيه ما يُشرّفه ، لأنّ الرُّجوع الى الحق فضيلة ، ولولا هذا

الجحُودُ وهذا التحاسدُ المتفشّي بين الأدباء في مصر بحيث لايكاد يفنم الأَ من كان متصنّعاً للعظمة والتّعالي ، أوصاحبَ مال أو سطوة أو نفوذ اجتماعى ، أو كاتباً مهوباً في صحيفة من الصحف ـ لولا هذه المقاومة التي تجعل الأديبَ النابغة المتواري غريباً في وطنه مُساءً إليه لما احتجنا الى كلمة ردّ أو دفاع أو تقدير نرى انّ شاعرنا أسمى منها قدراً . ولـكن اصدقائي الأدباء على كل حال أظهروا ارتياحهم العظيم الى هذه الدّراسات التحليلية المفيدة سواء خصت نفسية الشاعر أو نظمه لأنهـا طريفة في أدبنا العصري وقد شحذت الأذهان للتفكير والبحث الجدي المنتج . ومِنْ قبيل الرجوع الى الحقّ ما كتبه الناقدُ المعروف « قدامة » في صحيفة (الدّرّاب) بالعدد الثاني من المجلّد الأول في موضع المقارنة بين أبي شادي والزّهاوي . قال : « وانّا لنرانا مُطالبين بالاعتذار الى ولدنا الدكتور أحمد زكي أبي شادي بن صديقنا المرحوم الاستاذ محمد بك أبي شادي عما غمزناه به في أعداد (السياسة الأسبوعية) في كفاءته الشعرية وفكرته الفلسفية ، فانّه وايم الحقّ لاخلى شاعريةً وأقدمُ فلسفةً من ذلك الذي لايستحي أن يهذي ويهذر حيث نبغ حمّاد وبشّار ، وعلى كثبٍ من قبر الشريف الرضيّ ومهيار »...

وكان بودنا لو انّ هذا الاعتذار من حضرة «قدامة» لم يكن على حساب الزّهاوي الذي نرى أنّه لا ينْكَرُ أدبُهُ وفضلهُ وتعمُّقُه الفلسفي هذا الانكار في حَقٍّ وعدلٍ.

— ٣ —

وبهذه المناسبة أُصرّح مرةً أخرى بترحيبي الكلي وبترحيب الشاعر بالنقد الأدبي البريء الذي يَرْمي صاحبُهُ في غير محاباةٍ ولا مواربةٍ الى خدمة الأدب ذاته، والى ارشاد الشاعر الى بلوغ مرتبةٍ أرْقى من الشاعرية والبيان لا الى وضع العراقيل في طريقه. وأما قَلْبُ الحقائق أو القدْحُ المغرضُ الذميمُ الدّاعي الى الهدم أو التشدُّق بأبجديّة النقد إسفافاً وافلاساً من الناقد العاجز فاما أن يكون مآله التحقيرَ والاغفالَ مِنا أو تلقينَ صاحبه درساً شريفاً لا يُنْسَى في واجب الأديب الناقد، والقاءه في الهوّة التي حفرها هو ليقبرَ فيها عاثراً فضلَ الشاعر. ولا عتبَ علينا في سُلُوك هذا المنهج لنضع حدّاً للفوضى الأدبية الحاضرة في مصر، ولعبثِ فريقٍ من الأدعياء بفنّ النقد الأدبي، ولتأجير أقلامهم لمن يدفعهم الحسدُ للنيل من كراماتِ أخيار الرّجال. وأُصَرِّح كذلك

بأنّ كلّ ما دوّنتُهُ في هذا الكتاب من نقد سواء لنا أو علينا لايعني أننا نحتّم أن يكونَ الحقُّ في جانبنا دائماً ، وانما يعني رغبتنا الصادقة في خدمة الحق بالنقد الحرّ والتحليل الشامل ، حافلين بالمبادىء لا بالأشخاص الاّ حيثما اندمج الأشخاصُ اندماجاً في مباحث النقد .

— ٤ —

يمتازُ شعرُ الدكتور أبي شادي بين مميزات كثيرة (أهمُّها انه شعرٌ انسانيٌّ عام) بترتيب الفكر وقوة الخيال نتيجةَ بحثٍ وتأملٍ ثم تنسيقٍ ، ولعلّه اقتبس ذلك من صحبة استاذه الجليل مطران على الأخص ومن تربيته العلمية ومن اطلاعه الواسع على الأدب الأوروبي . ويمتاز كذلك بجرأةٍ في التعبير ولطفٍ في الاشارات وحلاوةٍ في الأداء وهي ميزة ثانوية عندي ، ولعلّه أشرب ذلك من روح خاله الشاعر الناثر الفنان المرحوم مصطفى بك نجيب فضلاً عن عصبية مزاجه الحساس . ويمتاز بالصراحة والاخلاص والشجاعة الأدبية التي لاتعرف المجاملةَ في الحقّ مع أقرب الناس اليه ومع أساتذته وأصدقائه . ويمتاز بجديد المعاني والمباني الكثيرة وبالنكهة المصرية الجميلة وإنْ لم يقدر ذلك المحافظون وأشباه المحافظين .

ويمتاز بالثقة النفسية الهادية التي يُوحيها الامامُ المرشد الى مريديه ، وبالأمل البسّام الذي هو رسـولُ الاصلاح والعمل وتقديس الواجب . وهذا ـ وأقلُّ من هذا ـ داعٍ كبيرٌ لحفاوتي وتقديري لشعر أبي شادي ـ ذلك التقدير الذي تشاركني فيه جمهرةٌ عظيمة من الأدباء الصادقين المستقلّين الذين يفهمون روح العصر ومعنى الجمال الفنّي ويردّدون معي قوله الذي يؤمن به ويطبقه :

وما كان شِعْرِي في نظيمٍ أصوغُهُ
ولكنّ شعري أن أكونَ أنَا الشِّعْرَا !

— ٥ —

وفي الوقت الذي انتشرتْ الأنانيـةُ وقوي سلطانُهـا ودسائسُها واختال الجاحـدون للفضل لاترى الدكتور أبا شادي الاّ في طليعـة المقدّرين المذيعين لمفاخر غيره في غير مجاملةٍ ولا محاباةٍ ، وهو الذي تشبّث بانصاف الشاعر العبقري الاستاذ عبد الرحمن شكري حينما خذله أصدقاؤه المنافسون . وهذا شوقي بك ذاته ـ رغم تقلّباته المشهورة ، ورغم اساءاته الـكثيرة للادب والادباء ، ورغم محاربته لـكل نابغة بواسطة أذنابه المأجورين ـ لم تؤثر طباعُهُ وتصرّفاتهُ هـذه في اعتراف الدكتور أبي شادي

خليل بك مطران

امام الشعراء المجددين

بنبوغه العظيم ، وكثيراً ما دافع عن مواهبه وأطراها امام من يغالون في نقده وإصغاره ، وأراد مراراً حَصْرَ عُيُوبِهِ في دائرةٍ مُعَيَّنَةٍ محاولاً تقويمها . وبمثل هذا الشعور النبيل يذكر شاعرنا أدباء الجيل السّابق وكبارَ شعرائه ؛ لانّه يعدّهم اساتذةً له ولغيره ، ومن حقهم واجب الاحترام والتقدير لفضلهم ، وإنْ أصبحتْ لشاعريته الناضجة « شخصيةٌ » وأساليب وفلسفة وآراء ومناهج خاصةٌ به . وهو وإنْ تشبّثَ باعتبار شوقي بك الزعيم لكبار الشعراء المحافظين في مصر على الاخصّ أو « أمير » الشعراء كما يقال، ونَوَّه كثيراً بأسلوبه الموسيقي، فهو كثيرُ الحرص على استثناء خليل بك مطران من جُملتهم ، ويعتبرُ عدَّ الناس اياه شاعراً محافظاً من قبيل الوَهْمِ الشائع ، فهو في عُرْفِهِ سيّدُ المجدّدين ومعلمهم الأول المتواضع الكريم ، ولشاعرية مطران عنده منزلةٌ من السموّ لاتعلو عليها منزلة شاعرٍ عربيٍّ آخر بين المعاصرين . وهو الذي خصَّه بقوله (ص ٩١) :

لو دِنْتُ في أدبي لألف مؤدّبٍ فأعزُّ غالي الشعر من (مطران)

وهذه صِفَةٌ كريمةٌ أخرى ينْهَدُّ أمامها النقدُ المغرضُ ، اذْ انّه من المستحيل اتّهامه عدلاً ببناء شهرته على أنقاض غيره أو على

حساب سواه ، بينما سيرتهُ الأدبية كلُّها تسامحٌ وتعاونٌ ، وخدمات كثيرة للأدباء، وتضحية ماديةٌ من جانبه، وكرمُ أخلاق مجسَّم ، ونبوغٌ حقٌّ . ولذلك لم يَسُؤْني ولم يَسُؤْ عارفي فَضْلِ الدكتور الأُ الضحك ـ برغم الأسف ـ مما يُوَجَّهُ اليه مِنْ تحامُلٍ واختلاقٍ وتهديدٍ ، ومن محاولة الاصغار من فضله في صحيفة (الكشكول) وفي غيرها بمثل هذا الاتهام المنقوضِ من أساسه ، وبمثلِ هذه الطريقةِ السَّمِجة ، ولكن هو الغرضُ يُعمي ويُصِمُّ . . . .

— ٦ —

ولقد مرَّ الزمنُ الذي كان فيه الفردُ الممتازُ هو كلُّ شيء ، وأصبحنا في عهد الديمقراطية الذي فيه لكلِّ مذهب « مدرسة » وأنصار ، فليس بمستغرب اذا حفَّ بالدكتور أبي شادي كثيرون من أنصاره ومحبيه من الأدباء ، فدافعوا عنه ونشروا فضله في غير مجاملة كاذبة ، لاسيما وقد حاول المحافظون زمناً حصر نفوذه في دائرة ضيقة بل حاولوا دَفْنَه ، فلا عيبَ إذن في ذلك التعاون، بل لمثل هذا الوفاء التقديرُ والاحترامُ ، وانما العيبُ في الاسلوب الأناني المخجل ، كأن يخصِّصَ مثل شوقي بك جانباً من دخله الطائل المتنوع لمحاربة مناظريه من كبار الشعراء بالأقلام المأجورة حينما

هم يقابلونه بالتسامح الكثير ، بل وبالاكرام في المناسبات العامة . وكان الاخلق بمثله أن يتعفّف عن ذلك ، وأن يكون مثال التعاون الادبي لا رجلَ التّناهذ والحسد وحبّ الظهور المتواصل على حساب غيره ، وعابد التطبيل والتزمير والطنطنة التي لا نهاية لها ولا غاية مفيدة للادب ، فانّ مثلَ هذا التصرّف الغريب مما يُزري به بل مما يُزري بكثيرين من الشعراء المحافظين الذين قبلوا زعامته [1] ،

---

(١) بهذه المناسبة يعجبني تحليل الكاتب المصلح الاجتماعي الشهير هـ . ج . واز لصفات الزعامة الحقة في قصته (البحث العظيم) حيث يرهن ان قوة الزعامة مستمدة من هذه الصفات : (١) تجنب الخوف ، (٢) تجنب الحسد ، (٣) تجنب التعصب ، (٤) تجنب الانغماس . وهذه صفات لا أرى لها أثراً للاسف في « أمير شعرائنا » المتشبث « بأمارته » ولا فيمن ينافسونه في هذه الامارة ويقاتلون في اصغاره حسداً ، ولا بد من حث صفوة شبابنا الناهض من الادباء والعلماء على التطبع بها ، والا فلا رجاء لنا في زعامة المستقبل ، وان تقوم لنا قائمة صادقة . بيد أننا لو أغضينا النظر عن كل ذلك لما ترددنا في النصح الى شوقي بك بانه يخدم نفسه والادب العربي الخدمة الحقة لو أنه تفرغ مثلا الى ترجمة (الاوديسة) شعراً كما ترجم المرحوم العلامة البستاني (الالياذة) ، فان هذا العمل أجدى وأصلح من الاعلانات الموعز بها ومن حفلات التكريم المصطنعة ، وان سندها الباشوات والاعيان الذين قاسموه نعمة الخديوي السابق ، وان تحايلوا على مجاملة الادباء لتمثيل تلك المهازل التي تحفل في الواقع شعرنا الادبي بدل رقيه . ومثل ذلك الاثر اكرم مراراً من التحايل على وزارة المعارف لتقرير شعره في مدارسها مقابل جزاء مالي بينما المستر برنارد شو الذي ليست له ثروة شوقي بل ولا جزء محسوس منها

وهذا طبعاً لا يرضينا حُبّاً في الادب وكرامة له. وما كنّا لنشير الى هذه الحوادث في جهادنا الادبي لولا ما وُجِّه الينا من التَّحدّي والتحامل المتكرّر ومالا يزال يُوجّه إلينا حتّى يومنا هذا، ولولا أنها قد غَدَتْ سرّاً غيرَ مكتوم، وتحدّثتْ عنها معنّفةً في حقّ أكثرُ من واحدةٍ من الصحف الادبية المعروفة. وما أشرنا اليها الاّ متضرّعين الى شوقي بك أن يحاول جُهْدَه التخلّي عن هذه النقائص والسفاسف والصبيانيات ليكون أهلاً للقيادة الادبية، وأنْ يثقَ بأنّ أشدّ ناقديه المصلحين أكثرُ غيرةً على مصلحته الادبية من أكثر الناس غلوّاً في مَدْحِهِ وممن يشتري منهم بماله وبغير ماله قصائد اطرائه وحفلات تكريمه العجيبة، لانّه بطبيعة الحال شاعرٌ مصريٌّ عظيم وإنْ عدّه بعضُ حسّاده شعروراً، وما يُصيبُ سمعتَه مِنْ سوءٍ يمسُّ سمعة الادب المصري عامةً لدرجةٍ ما كما نخشى أن يغدو قدوة سيئة لغيره من الشعراء، بل قد أصبح فعلاً تلك القدوة السيئة. والله يشهد أنّنا ما أصبنا ولا أصاب

يرفض جائزة (نوبل) لنفعه الشخصي ويطلب توجيهها الى نفع أدبي عام! وهكذا أخلاق كبار الادباء في الغرب، وهذا هو مقياس الفرق بين مصر وأوروبا ....

شاعرنا [١] من ورائه أذنَى مغنَمٍ لا مادياً ولا أدبيًّا حتى نَهبه

(١) كثيرون يعرفون أن شاعرنا نصف عصامي في نشأته ، فانه لم يعتمد على ثروة والده في تعليمه الا الى حد محدود . فقضى اعتماده بنفسه وعزتها أن يعول على نفسه ، وأن لا يتقدم في مضمار العمل الا بعرق جبينه وجهده الشريف ، حتى أكد لي أحد أدباء مصر المعروفين ان ما أنفقه والده عليه طول حياته لم يتجاوز ايراد مكتبه العظيم عن نصف سنة ، مع انه كان — رحمة الله عليه — سيد كرماء مصر في وقته . . . فاذا كان هذا موقف الدكتور أبي شادي من نفس المرحوم والده المحب له البار به ، واذا كان المشهور عنه انه لايختلط بالناس مهما عظمت طبقاتهم ويؤثر العزلة ، وانه كبير الشمم طاهر الذمة قوي المبدأ لم يطأطيء رأسه لاحد ، واذا كان مثله لم يتملق حتى دولة سعد زغلول باشا — وان كانت له ولوالده المرحوم منزلة خاصة في «بيت الامة» — فمن باب أولى هو أرفع من أن يتملق أحمد شوقي بك بكلمة اطراء يوجهها اليه . فما عززه يوماً الا باعتباره استاذاً من أساتذته ، والمتصدر لان يكون شاعر مصر الوطني فكان عليه واجب اكباره ونصرته ، فلما رأى تذبذبه الخبيث نحو النهضة الدستورية والحركة الاستقلالية وجه اليه في رفق قصيدته « الكوكب التائه » المنشورة في ديوان (أنين ورنين) فسخط شوقي بك سخطا عظيما ، ونسي مودة الدكتور أبي شادي له ، وعنايته بالدفاع عنه أثناء نفيه ، في الصحف الانجليزية وفي غيرها ، ومبالغته في رفع منزلته ، معتبراً نفيه سبة لادباء مصر جميعا حتى قال من قصيدة :

ولو بيدي وهبتك نصف عمري فذلك عيشه نفع محقق
ومثلك امة في ذات فرد وعنوان لنهضتنا ومرمق
لئن عاداك من عادى وغالى فقد عادى العظائم فيك أحمق !

ولكن شوقي بك أبى الا أن يكون هو الاحمق الذي يضيع بغروره صداقة الرجال ، فسلط على شاعرنا أذنابه الشتامين ، وخذل ثقة الدكتور أبي شادي به ، كما خذل فيما مضى جميع أدباء مصر الواحد بعد الآخر بدون استثناء ، حتى أولئك الذين يطاوعون — من مجاملة أو تورط — شهوة الظهور

المدحَ لحسنانه المأثورة في الماضي أو الحاضر مغرضين ، وحتى يدفعنا الى نقده أيُّ دافع سوى غيرتنا على حسن سمعة الأدب المصري الذي يُنادي شوقي بك ليلَ نهار بأنه امامهُ الوحيد بل امام الأدب العربي عامة ، ويبذل الغالي والنفيس في سبيل الاعلان الدائم عن ذلك في الأقطار العربية وفي اجتذاب المشايعين ، حتى دفعته الغيرة أخيراً الى الايعاز بأقامة حفلة تكريمية له على مثال حفلة يوبيل « المقتطف » ولم يكفه انه قضى طول عمره في شراء حفلات التكريم !!

— ٧ —

ومن عوامل اغتباطي بنشر هذا الديوان وغيره من دواوين

المتشبع بها . . . وبلغت درجة سخط شوقي بك وحقده انه تجنب واجب العزاء العادي المألوف (ولو ببطاقة صغيرة) لاسرة المرحوم أبي شادي بك ، وكم كان يتزلف الى نفوذه الادبي ثم الى نفوذه « الوفدي » في حياته حتى أواخر أيامه ، وبذلك حكم على نفسه بنفسه حكماً صارما ، كما حكم على نفسه من قبل اثر وفاة الاستاذ الشيخ المهدي والاستاذ المكباتي بك لامثلة أخرى من هذه الحقارة النفسية فضلا عن حكم التاريخ عليه لتصرفه مع المرحوم الكواكبي ... ومن كان هذا طبعه فالاولى به وبأصحابه أن يتواروا بدل اتهام أسيادهم في الاخلاق والفضائل والذمم بأنهم انما يمدحونه أو يذمونه طمعا في جاهه أو يأسا منه ! ! وهل يطمع في جاه شوقي - على ما هو عليه من الشح - الا أرباب الصحف الوضيعة التي جعلت نصف بضاعتها التمدح به بمناسبة وبغير مناسبة والاساءة الى بقية أدباء مصر ؟ !

أبي شادي القضاء على عبادة الأصنام وعلى الزعامات المصطنعة في عصر الفكر هذا . لأنّه من السُّخف أن يشتهر شاعرٌ أو أكثر في غفلة الزّمان بأبيات معدودة طليّة منهوبة المعاني ثم يقف هو وأمثاله سدًّا في طريق كلِّ تالٍ ولاحقٍ ، وان كان الأخيرُ صاحبَ كفايةٍ وفَضْلٍ ونُبلٍ . وهذا هو ديوان (الشفق الباكي) بين يديْ القاري ء مزدحمٌ بمبتكر التعابير الجريئة ، وبصنوف المعاني المبتدَعة الجميلة التي تمليها العاطفة والفكر والفلسفة ، وبألطف الأخيلة والتَّصورات ، وبأشرف الميول الانسانية أو القومية ، وبالنَّزعات السامية الى « المثل الاعلى » ، مما تتضاءل بجانبه آثارُ شوقي بك أو غيره في مقابل سنّ شاعرنا بل فيما بعد ذلك بسنين . وحسبي هذا منبّهاً للأذهان للانصراف عن عبادة الأشخاص والمراكز والظهور والثروة ، والى انّه لابدَّ من قياس الشعر بمقياس فنّي خالص لا شأنَ له بالزّعامة المتكلَّفة أو بالصِّيت المستَمَدّ من عطفِ حاكمٍ أو من قُوَّةِ مالٍ أو من نفوذٍ اجتماعي أو صحفي أو نحو ذلك ، ولتكنْ منزلةُ الأديب وكرامته مستمدَّتين من قوته النفسية

وحدها (١)

أتاحت الظروفُ لشوقي بك مثل المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان ليطنب في غزله :

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرُّهنّ الثناء
ما تراها تناستْ اسمي لمّا ... كثرتْ في غرامها الاسماء
إنْ رأتني تميل عنّي كأنْ لم ... تكُ بيني وبينها أشياء

(١) بينما كان شوقي وأمثال شوقي يتزلفون الى الوزراء وكبار الاعيان كان أمثال المرحومين الشيخ علي الليثي وعبد الله نديم وعبد الله فكري القدوة الحسنة في المحافظة على الكرامة ورفع منزلة الادباء في عهدهم . يروى عن الشيخ علي الليثي انه كان واقفا بباب الخديوي اسماعيل وخرج نوبار باشا ليوصل بعض السفراء ، فرأى الشيخ فحياه باحناء رأسه ، فأشار اليه الشيخ بأصبعه علامة على عدم القبول ، فضحك السفراء وعاد نوبار منضما الى اسماعيل وقال : « يامولاي لقد اجترأ الشيخ علي الليثي علينا ، فقد حييته فأشار الي اشارة أخجلتني بين السفراء ... » فأمر به ، فلما مثل بين يديه قال : « كيف لم ترد تحية الباشا ؟» ... قال : « وحياة رأس أفندينا ما سلم علي ، ولكنني فهمت من هزة رأسه انه يقول لي : تناطحني ... فأشرت بأصبعي : كلا . . . لانني لست من طبقة ناظر النظار » ... !! فضحك الخديوي وأمر له بجائزة ! قارن بين هذه النفس الكبيرة وبين نفس شوقي الصغيرة التي شرح صفائرها المدهشة من تاريخية وعصرية الاستاذ العقاد في كتابه (الديوان) وان تقالى في مواقف ، كما تحدث عنها أحد كبار الادباء المؤرخين في مجلة (النواب) والاستاذ السندوبي في جريدته (الثمرات) بعد أن ساقه حسن الظن بشوقي ثم معاشرته اياه الي استكشاف عيوب وزلات له تكاد لا تصدق لولا تواتر الادلة على صحتها من كل جانب ، فأيقن حينئذ خطأه وانخداعه بمظاهر رجل كل همه بنيان مجده الشخصي كما انخدع فيه من قبل

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاء

الى آخر هذه الأبيات المفككة المسروقة المعاني ، وقال للأدباء الشيخ المرحوم (عفا الله عنه) انّ بيت « نظرة فابتسامة ...» بيت رائعٌ لانه جمع درجات الحبّ بين شطريْه ، كأنما هذه معجزة من المعجزات ، ولا أدري كم يسخر منّا أهلُ الأدَب الأوروبي لو أننا ترجمنا لهم هذا الكلام التقريري الفارغ المسمّى شعراً ؟! واذا كان مثل هذا العَبث معجزةً أدبية ، فماذا نَعُدُّ أبياتُ شاعرنا في قصيدته « أمتع الانس » (ص ١٢٥) التي سبقت اشارتي اليها حيث يقول في لذة الحبّ المعنوي :

تُسائِلُني عن أمْتعِ الأُنْسِ لذّةً
وما الأُنسُ حقّاً غيرَ إيناسِ غانيَهْ !

تنازلتُ طوعاً عن وُعُودٍ بجنّةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالحبِّ غاليَهْ !

جمالٌ وتحنانٌ وَتيهٌ ورقّةٌ وعَطفٌ وإحياءٌ لأحْلَى أمانيَهْ

تفَنَّنْتِ فيها عن غَرَامٍ وسَكْرَةٍ
وأنْعَشْتِ رُوحي مِنْ قُطُوفِكِ دانيَهْ

وما الحورُ والولدانُ في مَعْرَضِ الهوى
وأنتِ منالُ اللذّة المتناهيَهْ ؟!

أو قصيدته الشائقة « اذكريني » ، أو قصيدته «الزهر القتيل» ، أو قصيدته « النعمتان» ، ومثيلاتها في هذا الديوان وفي غيره من دواوينه السابقة ؟! واذا كان من الاعجاز قول شوقي بك (وهو الركن الآخر من الشعر الخبري الذي بَنى عليه شهرته) :

وانّما الأُمُمُ الأخلاقُ مابقيتْ فان هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

وقوله أيضاً :

وليس بعامرٍ بنيانُ قَوْمٍ اذا أخلاقُهم كانت خرابَا

ونحو ذلك من التقرير الخالي من الرُّوح الشعري خلوًّا تاماً كأنما هو حديثُ عابر سبيل لم يُعْنَ بالتفكير أو الخيال الشعري قدرَما عُنِيَ بالتَّسلية الكلامية قطعاً للوقت كيفما كان ـ اذا كان ذلك كذلك ، فماذا يُعَدُّ قول الدكتور أبي شادي عن فلسفة الخُلُق في قصيدته « عماد الأمم » (ص ١٩١) :

ولم أرَ كالاخلاق مَظْهَرَ أمَّةٍ وجوهرَها الحُبّي عزيزَ رجائِها

ولا مُبدِعَ [1] الاخلاقِ كالحرّةِ [2] التي تُغذّي وتُنمي مِنْ طَهُور غذائِها [3]

---

(١) مبدع : منجب ومنشيء (٢) اي كالامة الحرة .

(٣) اي الحرية . ولعل الشاعر يشير الى مثل الامة الانجليزية الحرة التي نمت دولتها العظمى بفضل الحرية الخلقية الناضجة قبل غيرها من القوى الادبية ، وقد عاش بين ظهرانيها زمناً طويلا .

وما العقلُ والعرفانُ في الأسر قُوَّةً

اذا كانت الأخلاقُ صَرْعَى بدائِها

وما أحسب فخر الأدب بأمثال هذا الشعر التقريري الصّرف ، وانما أراه ويراه صاحب الديوان أيضاً بالشعر الوصفي الفَنّي وبالشعر التمثيلي الراقي المرجوّ . ومن العبث ملء اذهان طلبة المدارس بتلك المنظومات الخبرية الشوقية التي لاغناء فيها للأرواح والألباب ولا تنبيه للأذهان . وانّه لمن دواعي الأسف أن يكون خليل بك مطران وحده تقريباً المتفرّد بهذا النوع من الشعر الفنّي بين زملائه الشعراء « الشيوخ » دون أن ينالَه زَهْوُ الغرور ، وقد تُساوي مراراً احدى قصائده الفنّية هذه جميعَ ما نظمه شوقي بك وسالكو نهْجَه من امداحٍ مكذوبةٍ « وحِكَمٍ » مُلفَّقةٍ وأوصافٍ مُكرَّرةٍ وأخيلةٍ مبرقشةٍ لامعنى لها ، وإنْ استغفرنا الأدبَ لهذه المقارنة وأرجو ان لايَعتبر صديقي الدكتور أو غيره من مريدي شوقي بك هذه الملاحظة غلوًّا مني ، فقد تبدل الزمنُ وتغيرت كثيراً مقاييسُ النقد الأدبي .

وإني في الواقع لأشفق على شوقي بك وأتألّم لاضطراري الى تكرار الاشارة اليه بحكم المنزلة التي وضع نفسَه فيها ، والتي

لا مفرَّ من التعرُّض لها في مثل هذا الاستعراض ، حتي وإنْ شغل تلك المنزلة سواه ، إذ ليس شخصه هوالمقصود بالذات كما لايخفى ، بل إني أعنى لشخصه كلَّ سموّ يقابل اخلاصه وجهده الأدبى الصادق اذا ما بذله . وما اشفاقي عليه الاّ لأنّه يتأفَّفُ من هذه الملاحظات النقدية المعقولة حينما لايُبالي بتسليط نيران حسده أو غضبه بواسطة أعوانه على مَنْ لا ينالون عطفه أو يأبون أن يسيروا في ركابه سَيْرَ الأعمى ! فاذا ما دافعوا عدلاً عن أنفسهم ولولوا تَهمهم بالغرور والدّجل والسخف وشنع عليهم دفاعهم ! وحسبك أن تذكر إنكاره لفضل خليل بك مطران وتسميته « اخوانيات » مطران وشعره الودّي والعائلي الرشيق شعراً « تجاريا » [1] رغم تجلّي الفنّ في كلّ منظوم مطران على تنوُّعه ، وكأنما نسيَ شوقي

(١) على ذكر ما سماه شوقي بك « بالشعر التجاري » (ناسيا قول الشاعر الحكيم : يا ايها الرجل المعلم غيره ...) انقل هذه الكلمة الفكاهية للاديب « ابن البلد » عن جريدة (السياسة الاسبوعية) المؤرخة ٢ اكتوبر سنة ١٩٢٦ بعنوان « شاعر أم مشعور أم مقشاعر ؟ » . قال الكاتب : « لم يترك علماء اللغة عندنا شيئا عرفوه الا ضربوا فيه بسهم فبوبوا وفصلوا ونوعوا . ثم بالغوا فخصصوا وجعلوا لكل لفظ مقاما وفرقا . فهم اذا قالوا في الشعر مثلا جعلوا من لفظه مراتب وطبقات لكل منها مقامه ومنزلته ، لذلك يقولون في الشاعر المفلق خنديذ ، وفيمن دونه شاعر ، ثم شويعر ، ثم شعرور ، ثم متشاعر . والآن بين يدي ديوان — أعنى ديوان شعر — اسمه (ديوان أبي النجاة) ، فبماذا يلقب صاحبه ؟ واذا كان الكتاب يقرأ

بك تعفُّف مطران ووفاءه وعزَّةَ نفسه، حينما هو كان ولا يزال يدير لكلّ ريح غالبةٍ شراعَه ويتصيد المجاملات والمدائح وفرص الظهور كما فعل أخيراً على حساب تاجور . . . ! فأيُّهما صاحب الشعر « التجاري » ! ؟ وأيُّهما المتقلّبُ الذي يأسرُهُ حطامُ الدنيا [1] ! ؟

من عنوانه ، كما يقولون ، فسأنقل اليك ابياتا ثلاثة وضعها صاحب الديوان نفسه — ومن شعره طبعا — تحت صورته الفوتوغرافية « نفسها » ، وانا ضمين بعد ذلك انك لا تحتاج الى مجهود لكي تختار له اقربا من الالقاب الثلاثة « رأس هذه الكلمة » . قال حفظه الله :

بلادي بلادي أحب بلادي	« طيب »
وادفع عنها العدو الالد	« جدعنة »
انا ابن لمصر ، وبر بأمي	« فيك الخير »
فمن ذا ينتف هذا الولد ؟	« أبداً ما فيش حد »
فكيف أروح ،وكيف أجيء	« لاتروح ولا تجي »
وأمي بأقصى القيود تشد	« اقعد جنبها »

هذا ولا أريد أن أبخس حضرته حقه ، فان « لامير الشعراء احمد شوقي بك » في أول الديوان اثنى عشر بيتا من الشعر تقريظا للديوان . وأقل ما فيها هذا البيت يخاطب « صاحبنا » :

وديوانا جلوت فكان راعي فضضت دنانه قبل السقاة

واذا كانت الابيات لشوقي بك حقيقة ، حق علينا أن نعرف الشعر بأنه معنى في بطن الشاعر ولا يعرفه الا امراؤه الاشعرون ...!!

(١) من أعجب أمثلة الانانية الادبية والمادية سعي شوقي بك لدى وزارة المعارف لتقرر المختار من شعره على الطلبة بثمن معين تدفعه له ، دون المبالاة بغيره من أكابر شعراء مصر ، بينما « تاجور » شاعر الهند العظيم ينفق من ماله كثيراً على تهذيب أبناء وطنه وليس هو بأغنى من شوقي بك ! فتأمل !

— ٨ —

ويقيني أنه لو لا شغف المصريين المشهور ومن نحا نحوهم بالحلاوة اللفظية وبالجرأة في المفاجآت لما استطاع شوقي بك أن يُغَرَّ هذا الغرور بنفسه بينهم ، وأن يدَّعي أنه شاعرُ المشرقين معتمداً على ثروته غير المكتسبة ، وعلى خيلائه واعلانه المتواصل عن نفسه . . . وكان الأَوْلى به أن يكتفي بما حكمت له به آثارُهُ من منزلةٍ بالنسبة لسابقيه ولكثير من معاصريه في طريقته التقريرية البسيطة التى لا أعدُّها من كيان الشعر الراقي الفذّ ولا من روحه . وانك لو فتَّشتَ مجموعَ شعره لما وجدتَ قصيدةً فنيَّةً واحدةً بالمعنى الكامل مثل قصيدة « مملكة إبليس » أو قصيدة « ممنون الفيلسوف » أو قصيدة « الربيع » أو قصيدة « الرؤيا » أو قصيدة « الموسيقى » ونحوها لشاعرنا ، حتى ولا مقطوعة صغيرة مثل أبيات أبي شادي في « إلهة الجمال » و « مامون » و « أوراق الخريف » و « الفنَّان » و « الراقصة » و « عرس الأصيل » ونحو ذلك ، وانما نجد أبْهَى ما عنده من نوع قوله :

إرْفعي السِّتْرَ وَحَيِّي بالجبينْ
وأرينا فَلَقَ الصُّبْحِ المُبينْ !

مما فيه رنّةٌ موسقية فقط ، أي مجرّدة من الخيال الفني المصوّر المجسّم ومن المعاني العصرية المستحدَثة . وبعد هذا ينتقد شوقي بك وأنصاره تفنّن أبي شادي ـ عن طَبْعٍ شعريٍّ مفطورٍ ـ ويأخذون عليه حتى ما يبثّه في شعره من ظلال المعاني الجديدة المفردات القديمة أو ما يستحدثه من مفردات وتراكيب لها رُوحُ هـذا العصر ورونقهُ ، ويصفون « بالحشو » هذا الابداعَ من شاعرٍ فياضٍ مطبوعٍ يُنافي طبعُهُ الاصيلُ كلَّ تكلف وحشو ، كما يتجاهلون اطّلاع الدكتور اللغوي بل تعمقه المتواصل بدرجةٍ شاذّةٍ في أديبٍ تربّى تربيةً أوربيةً ، ثم يبنون على هذا التجاهل أوهاماً سخيفة من النقد !!

وقد تفشّتْ نتائج هذه القدوة السيئة حتى بين من ينتسبون للتجديد وكنا نكبر آمالَنا فيهم ، فاذا بنا الآن في عهد تنافُسٍ قبيح على الزعامات الفارغة ، وفي زمن تنافس غير شريف مبدؤه انّ الغاية تبرّر الوسيلة ، وإنْ خسرَ الأدبُ ، فصار اللومُ غير قاصر على شوقي بك وحده وان كان هو السبب الاصلي لهذه الفوضى .

ولا أدري ماذا يقول القاري، عند مايقارن بين النظم الشوقي العذب الرنّان الذي لا تُجسِّم أوصافهُ شيئاً ، ولا تظهر لنا بواطنه ودقائقه ، وبين هذه الأبيات الوصفية الفنية البديعة لشاعر عربي

قديم :

سَقى العَلَمَ الفَرْدَ الذي في ظلالِهِ
غزالانِ مكحولانِ مؤتلفانِ
اذا أمنا التَفَّا بجيدَيْ تَواصُلٍ
وعيناهما الرَّيْبِ مسترقانِ
أردتُهُما خَتْلاً فلم أستطِعْهُما
وَرَمْياً ففاتانيْ وقد رَمَياني !

لقد تَفَنَّن المتقدّمون في أساليب البلاغة والكلام الجامع وفي جعل اللغة والمفردات طوعَ ارادتهم في التعبير ، فقال أحدهم راثياً السلطة والعظمة :

قد خَطَطْنا للمعالي مضجعاً ودفنّا الدينَ والدنيا معاً

فكان بيته هذا بمثابة قصيدة كاملة .

وقال آخر في ذم الشيخوخة ووصف مظهرها :

وأصبحتُ « كُنتيًّا » وأصبحتُ عاجناً
وشَرُّ حياةِ المرء « كُنْتُ » وعاجنُ !

فاستعمل « كُنْتِيًّا » بمعنى شيخٍ مسنٍّ (نسبة الى « كنتُ . . . !) وشبَّه انحناء ظهره من الشيخوخة بانحناء ظهر العاجن ، وعطف لفظ « عاجن » في آخر البيت على « كنت »

وهكذا خالفَ قواعد اللغة ، ومع ذلك كانت هذه المخالفه من أسباب انشائه هذا البيت التصويرى البديع ، بينما لدينا من المعاصرين من يقيم القيامة على ما دون ذلك بكثير من إباحات نظميةٍ محسّنةٍ أو تراكيب مبتدعةٍ ، وينسبها الى ضعف الأدب(١) ويكيل جزافا الاتهام بالركاكة والغثاثة والقبح وافساد اللغة والشعر !

وقال أبو فراس :

ان زرتُ (غُمَيْسَةً) أسيرا فلقد أحطتُ بها مغيرا!

فجاء بلفظ واحد هو كلمة « أحطت » لتصوير هيبته وجرأته التي كأنما تحاصر تلك المدينة ولو كان أسيراً فيها ! !

فماذا يطمح اليه شوقي بك وأمثاله من المحافظين وأشباههم المتمسحين بالتجديد ، المتقاتلين وإياه على الزعامة ، من متابعة هذا الاسلوب؟ إنه في رأيي لم يأتِ بشيءٍ جديدٍ غالباً ، وما يُظنّ جديداً إنْ هو الأسرقات يعرفها المطّلعون ، وان انْطَلَتْ حيلتُه على الغافلين

---

(١) لعل بعض سادتنا المجامدين يقتنع بان الابتداع في التركيب وفي استعمال الالفاظ قد يزيد البلاغة نصوعا وقوة أو ان فيه تنبيها خاصاً للاذهان لا غنى عنه اذا جئت لهم ببعض الشواهد من كتاب الله تعالى الذي نسترشد به . وحسبي أن أنظر الى « سورة الشعراء » مثلا ، وهي ما اتفق ظهوره أمامي عند فتح القرآن الشريف ، وأن أنقل منها هذه الآيات الكريمة :

« لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » — (باخع) هذا بمعنى

من القراء ! وخيرٌ له ولنا ألف مرة أن يوجّه جهوده بدل ذلك نحو الشعر التصويري والشعر القصصي الفني والشعر التمثيلي ، فضلاً عن الشعر الانساني العام ، كما يفعل شاعرنا وغيره من الشعراء المجدّدين في عالم الثقافة .

— ٩ —

نظم حافظ بك ابراهيم للأميرة نازلي بواسطة ابراهيم بك المويلحي هذا البيت ليُنْسج على ستار خاص بخدرها أو غرفتها الخاصة :

.....

قائل ، ولكن في مخارج حروفها قوة ليست في كلمة (قائل) . فما رأيهم في صيغة هذه الكلمة وفي استعمالها وفيما سيأتي ذكره ؟

(٢) « قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين » — أرجه بمعنى أرجئه أي أخره أو اسجنه ، وحاشرين بمعنى جامعين للناس .

(٣) « قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون » — منقلبون هنا بمعنى راجعين

(٤) « وبرزت الجحيم للغاوين » — برزت أي كشفت .

(٥) « واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين » أي وذوي الجبلة الاولين، وهي بمعنى الخلقة والطبيعة .

(٦) « فيقولوا هل نحن منظرون » أي ممهلون .

فهذا الابتداع والاختيار الخاص للالفاظ واستعمالها بايجاز واكتفاء ومجاز هو من أسرار القوة في هذه الآيات الحكيمة ومن دواعي الالتفات اليها ، ولو فقه هؤلاء السادة الجامدون شيئا من فلسفة اللغة لخففوا من غلوائهم كثيراً ، ولما أسرفوا في رمي سهامهم الطائشة . وقد نال هذا البحث اللغوي الانشائي كثيراً من عناية شاعرنا ، ولعله يوفق في المستقبل القريب الى نشر آرائه هذه عن شواهد القرآن الشريف في كتاب مستقل .

نَسَجَتْنى يدُ العفافِ ودُونِي عِصْمَةٌ في غِنًى عن الأستار !

فسُرَّتْ به سروراً عظيماً هذه الأميرةُ الأديبةُ ، وأعْطتْ المويلحي بك مائة جنيه جائزةً سنيةً . ولكنّنا لا نعلم أنَّ حافظ بك استمرَّ على هذا الأسلوب الوصفي المبتكر ، وما ذلك الاَّ لأنه تأثر برغبات المحافظين كما تأثر شوقي بك وغيرهما ؛ فكانت النتيجة أننا لانزال محرومين من أمثلةٍ كثيرةٍ للشعر الفنّي الذي يقوم فيه الخيال المجسَّم مقامَ الحقيقة ويقترن بالوصف التحليليِّ ، لا أن يُكتفى بوصف الحقيقة المجرَّدة المحرومة من نفحة الفنّ . وشتان ما بين الشعر الشوقي المألوف وبين شعر مطران في قصيدته التي يمثل فيها تمثيلاً فنياً صورة « البراءة » (راجع صحيفة «**الضواب**» المؤرخة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م .) . قال حضرة الاديب الفاضل ناشر تلك القصيدة : « ... وهناك ظاهرات أخرى في شعر الخليل أحببنا أن تكون على حدة وقريبة من أمثلتها . من هذه الظاهرات قِلّةُ الاستعانة في التشبيه بآلات المعرفة ، وهذا هو المثلُ : قال في تخييل ما يحقُّ أن يُقام على قبر سَرِيٍّ كريمٍ قُتل في قصره وتناولتْ ألسنُ السُّوءِ سيرتَه من بعدهِ بالمفتريات الظالمة :

تلك البراءةُ فلْتُمَثَّلْ في حُلى عذراء تزهو بالجمالِ الخالبِ
وعلى ضريحكَ فلتُشيَّدْ صورةٌ مِنْ مرمرٍ صافٍ لتلك الكاعبِ

الصُّبْحُ طلعتُها ، ومعدنُ حسنِها
(عدنٌ) ، وتاجُ الرأسِ عقدُ كواكبِ
للرُّوح في قسماتها لُطفٌ يُرَى والجِسْمُ طُهْرٌ مُفْرَغٌ في قالبِ
قد شارفتك فلطَّفتْ بتبسُّمٍ عَذْبِ مرارةَ دمعِكَ المتساكبِ
وبأنملات كالأشعَّةِ أومأتْ
تنفِي ظُنونَ السُّوءِ نفيَ غياهبِ !
وبأخمَصٍ مُتَثَاقِلٍ داستْ على
مُنْسَابِ حيَّاتٍ سعَتْ وعقاربِ
رَمْزاً الى أهلِ السّعايات الأُلَى
فشلوا وباؤوا بالرَّجاءِ الخائبِ
فاذا استتمَّتْ واستوى تمثالُها
ملءَ العيونِ بحسنِهِ المتناسبِ
كُن مُلْتَقَى لأشعّةٍ مِنْ لَحْظِها
تَرْمِي بها عن قوسِ أرأفِ حاجبِ !
وانقشوا لكَ صورةً يبدو بها
ما كان مِنْ عَجَبٍ بشأنِكَ عاجبِ !

نَقْشاً يُلانُ له الصفَا وبه تُرَى
في شَكْلِ مظلومٍ أسيفٍ شاحبِ
تحت الجِراحاتِ التي في جسمِهِ
أدْمَى جِراحاتِ الفؤادِ الذائبِ
جاثٍ على أقدامِها، بلغ الأسى
منه مبالِغه وليس بغاضبِ
لا عمْرُهُ المفقودُ عِلّةُ بثّهِ
كلاّ، ولا نُعْمَى الثَّراءِ الذاهبِ
بل جَوْرُ قَوْمٍ كان فيهم غُرَّةً
للمستعِزِّ وغُنيـــةً للطالبِ
أذْرَوْهُ ما لم يدْرِ قبلَ مماتِهِ
مِنْ صَدِّ أحبابٍ وبُعْدِ أقاربِ
لم يَكفهمْ أن ماتَ حتى عكَّروا
بغبارهم جوَّ الشهابِ الغاربِ
وأشدُّ في التنكيل مِنْ كأسِ الأذى
وَضْعُ القذى في كأسِهِ للشاربِ!

يرى القارئ في هذه الأبيات صورةً تامةً حِسّيّةً ومعنويةً لتمثال تخييلي للبراءة في صورة عذراء طاهرة مبتسمة للمظلوم، مغرية

اياه ، مشيرة بيدها النُّورية الى نفي الظنون عنه ، دائسة بالأَخْمَصِ المتثاقل ـ تثاقل الاحتقار والازدراء ـ حيّاتِ السعاية وعقارب المتقوّلين . ويرى القاري حِسا ومعنى عند اقدام هذه العذراء صورةَ المظلوم المقتول جاثية ، فيها جراحات الجسم ومن تحتها جراحات القلب ، وعلى الوجه الأسف والشحوب . فالأسفُ على جَوْرِ قومٍ وغدرِ أهلٍ كان فيهم عِزَّةَ المستعزّ وغنيةَ الطالب ، والشُّحوبُ لونُ المقتولِ الذي استُنْزِفَ دَمُهُ وجُرِّع كأسَ الأذى بل كأسَ الرَّدى مشوبة بالقذى، فذاق النكالين : الشديد والأشدَّ . ولـكن تمثال البراءة يعزّيه ويسرّي عنه لو أنَّ التماثيل تعزّي ، والعبرةُ تنطق من نواحي الصورتين لو أنَّ الناسَ اعتبروا بالصُّوَر ... على مركبات نقل الموتى بعضُ صُوَرِ ملائكيّة تستنزل الرحمات ، ولـكنّ الشاعر أبى الاّ تمثال البراءة وتمثال المظلوم وصورة أهل السعايات على القبر ـ والقبرُ المنزلُ الخالد ، والعبرةُ به أدوم من العبرة بتمثال (مَلَكٍ) يبرأ ، أي على مركبةٍ تقلّ الجثمانَ ساعتَه الى مقرّه الاخير . وصورةُ البراءة من المرمر الصافي، ولكنّ الشاعر أبى إلاّ أن يكونَ لها الصُّبحُ طَلْعَةً ، و (عمره) لها معدنَ حسنٍ ، والـكواكبُ لها تاجَ رأسٍ ، ثم أبى إلاّ انه

يرى الرَّائي الرُّوحَ لطيفاً في قسماتها ، وجمعَ وشملَ وضمَّ بعد ذلك فقال: « والجسمُ طُهْرٌ مُفرَغٌ في قالب » ، وهذا هوالترتيبُ الطبيعيُّ بعينه ، والواقع في تبيُّن المرئيات يزري بتنبه المثال في استيفاء الصورتين المادية والمعنوية . ويلحظ معنا القاريء انَّ المقطوعة ـ وهي أوصاف وتشابيه ـ لم تتضمن غيرَ كاف تشبيهٍ واحدة ، فالصُّورَةُ الشِّعرية من أوّلها الى آخرها مخلوقةٌ منظَّمةٌ إذن في خاطرِ الشَّاعر من قبل أن يبرز منها شيئاً في أول بيتٍ » .

إنَّ الأدبَ السَّليمَ لايعرف فوارقَ الجنسيَّة ولا الدين ولا المهنة ولا السنّ ولا أشباهها ، وفي الحقّ لامفرَّ لنا من أن نعترفَ بانّ الشِّعرَ الذي يمثلُهُ أدبُ شوقي المصري المولد هو دون المرتبة الفنِّية التى بلغهـا شعر مطران السوري المتمصّر ، وان بذل شوقي الكثير من جهده لتجسيم مزايا مصريته وتقبيح سورية مطران ، وفي الحقّ لابد لنا من أن نعترف بأنَّ معظمَ الأُدباءِ المصريين حتى بعض من ينتسبون الى التجديد مولعٌ بالالفاظ ، وبالرَّنة الموسيقية الجوفاء ، وبالتقاليد وإنْ كانتْ خطأً في خطأ . ولذلك أكرّر في هذا الاستعراض أننا مالم نفقه تعريفَ الشِّعرِ الفنّيّ ،

ومالم نطبّقْ ذلك التعريفَ بأمانةٍ تامّةٍ ، ومالم نُعطِ كلَّ ذي فضلٍ حقَّه من التّقدير ، ومالم نتخلّ عن الفكرة السّخيفةِ من أن المفروض في الأديب أن لايكون صاحب مهنة ولو كان في زمرة أهل الكوكايين والدعارة ، فسوف نبقى طويلا في موقف التقهقر أو التردد أو الانحطاط الذي لايناسب حضارتنا وثقافتَنا . والأَوْلى بنا أن نعترف بأنَّ الملكةَ الأدبيّةَ وراثيةٌ (وان لم تكن مباشرة) قبل أن تكون نتيجةَ الدّرسِ والاطلاع ، وانّ مهنة الطبّ التي لم تحل دون نبوغ أمثال الدكتور أبي شادي والدكتور فياض والدكتور شدودي والدكتور رفعت والدكتور ناجي والدكتور علي الناصر في الشعر والأدب عامة ، والدكتور شميّل في الفلسفة ، والدكتور سعيد نبيه والدكتور عبد الرحمن عمر في الخطابة ، والدكتور شرف والدكتور احمد عيسى في الأدب اللغوي ، والدكتور حسين فوزي في التأليف القصصي ، والدكتور صبري في الموسيقى ، ليست بحال خصماً للنبوغ الفنّي ، بل هي زميلٌ وفيٌّ مُعينٌ بغض النظر عن الاستعداد الفطري والمواهب الوراثية لا ولئك النابغين ، وهاهي أمثلة ذلك في أوروبا وأمريكا تعد بالعشرات .

— ١١ —

وأملي أن يكون القاري اللبيبُ قد اقتنع من تصفُّحِهِ للديوان بأنَّ صاحبه ليس من المتجرّدين غالباً وإنْ كان من المجدّدين تجديد الشاعر الانساني الحرّ المفكر ، فالتجديدُ غيرُ التجريد ، وإنْ هو الا سُنةُ كلِ أُمَّةٍ حيةٍ ، بينما التجريدُ في الغالب من مظاهر الأُمَّةِ المقهورة ، أو التي لا تراث لها يُعتَدُّ به . وما التجديد بالمعنى الصحيح من علامات الضعف كما يحسب بعضُ النقاد ، بل على العكس أراهُ من أماراتِ القوّةِ والغيرَةِ على المنزلة القوميّة الأدبيّة ، وقد يكون المجدّد محافظاً في مواقف ومناسبات ، بينما المحافظُ المتعصّبُ لن يكون مجدّداً بل يؤدّي به تعصبه لان يكون رجعياً . وعلى كل حال فكما أن المجدَد في مجموع صفاته غير المحافظِ ، فكذلك المجرّد غيرُ المجدِّد ، ومن نزعات المجرّد الهدم ، بينما نزعة المجدّد التعمير أو البناء بعد الهدم ، وقد يكون من فائدة الأدب تناظرُ هذه القوى الثلاث أحياناً . واذا كان القاري في حاجة الى برهان اضافي فليقرأ قصة (مرها) لشاعرنا وليقارنها بقصته (عبره بك) ، فيراه المحافظَ في الأولى نسبةً ، المجدّدَ في الثانية ، وبينما هو يلجأُ الى السهل الممتنع في الثانية ترى أسلوبَه الجزلَ ناصعاً في الأولى ، وترى

أنّه علا بلغتها عُلوًّا كبيراً يتناسب مع ماني القصّة من عواطف سامية ، ويتفق مع مافيها من عِظات مؤلمة ، وكيف أنّه أخضع نفسَه لوزنٍ واحدٍ وقافيةٍ واحدةٍ في كل نشيد من أناشيدها ، فكان في ذلك إفحامٌ لسادتنا الجامدين الذين يحسبون أنهم ألمّوا كلّ الالمام بأطراف الأدب ، ولم يتركوا شاردةً ولا واردةً فيه الاّ وأحصَوْها ، وما دعاهم لذلك الاّ بلادةٌ وضعفٌ عن التقدُّم أصيلٌ فيهم ! ولقد أجاد الاستاذُ فؤاد الخطيب حين قال :

وفي بلادةِ بعضِ النّاس فلسفةٌ
فلا تهمُّهُمُ الدُّنيا وما فيهَا !

وهكذا أحسن شاعرُنا صُنْعاً بمجاراة القوم بعض المجاراة ، فأسقط حجّتهم ووضع حدًّا لغطرستهم ، وطلع عليهم بدليل جديدٍ من ديباجته النقيّة ومن قوة أسلوبه وتضلّعه اللغوي وجِدّة تشابيهه الشائقة وتفكيره الانساني العميق . وهذا ما يحسّ به كلّ ذي فطنة وشعور عند تصفُّح هذا الديوان ، بل كلُّ من يشتهي تذوّقَ الأدب الناضج بخواطره وأوصافه وعواطفه وتأملاته وفلسفته التي لن يملّها الأديبُ المطبوع .

ولعلّ مِنْ خَيْرِ مواقف الشاعر دفاعاً عن أسلوبه ومجهوده

وخطّته قصائدُهُ البديعـة « واجب الفنّ » و « نسب الشّعر »
و « رسم الطبيعة » و « نقد الشّعر » و « جهد الاتقان »
و « صداقة الادب » و « الشعر والطب » و « شعر الثقافة »
و « إلهام الشاعر » و « تأمّلات » و « الدنيا » و « جزائي »
و « وفاء الدين » ونحوها ، فليراجعها القـاري. ليرى كيف أنّ
اعتدادَ الشـاعر بنفسه ودفاعَه عن آثاره متّفقٌ مع طموحه الى
« المثل الأعلى » ومتّفقٌ مع عدم قناعته بخدماته السابقة رغم قدرها
المأثور . وهذا مبدأٌ مِنْ أشرف مبادي. الرّفْعَةِ والتقدّمِ ، خليقٌ
بأن يستوعبَهُ أدباؤنا على تباين طبقاتهم ، وضمينٌ بأن يقضي على عادة
الموازنة المكذوبة والتحاسد والتذبذب والتنافُر والكبرياء المصطنعة
التي لم يربح الأدبُ من ورائها شيئاً مطلقاً . ومَنْ يتعامى بعد ذلك
عن هذه الحقائق الشريفة القمينة بالحمد فانما يحكم على نفسه بالمكابرة
وانكار الفضل لغرضٍ في النفسِ مما لا يليق بالأديب الناقد النزيه .

قلتُ إنّ شاعرنا رغمَ اعتدادِهِ بنفسه ورغم ثقتِهِ بمبادئِهِ
ورغم مجهوداتِهِ الكثيرةِ ليس بالقانع المتواني ، فهو يدعو الى
الشعرِ الفنّي الصادق والى التخلّص من الأساليب التقريرية

التقليدية التي لاتناسب الروحَ الفنّيةَ العصريةَ . وله أن يسخر من الموازنات السخيفة بين كبار المعاصرين وفحول المتقدمين من الشعراء ، لأنّ الموازنةَ يجب أن تكون بين شعرائنا ومعاصريهم من الأوروبيين ، فلكلّ زمنٍ رجالُهُ ، ومن العبث المقابلة بين شوقي والمتنبي ؛ أو بين مطران وابن الرومي ، أو بين حافظ والبحتري مثلاً ، وانما الموازنةُ النافعةُ الصادقةُ تكون بينهم وبين نظرائهم الغربيين ، وحينئذ يظهر لكل ذي بصيرةٍ مبلغ شغفنا بالقُشُور قبلَ اللباب ، وكيف انّ الشعرَ الأوروبيّ العالي ليس عُقُوداً من بديع المعاني والألفاظ فقط ، بل أيضاً صُوَراً فنّيةً مبتدَعةً تجسيماً للحقيقة وإظهاراً لروحها وتقريباً لها نحو أفهامنا وأذواقنا وأخذاً بيد الانسانية . وقدْرَةُ الابتداع الفنّية هذه تكاد تكون معدومةً في الشعر العصري بين أبناء العربية . فهل يجوز أن نلامَ بعد ذلك اذا آخذنا مثلَ شوقي بك ـ وهو زعيمُ طائفةٍ كبيرة من الشعراء المحافظين حتى جرتْ العادةُ وقضت الحفلات المصطنعة بتلقيبه « بأمير الشعراء » ـ على تشبُّثه (بالنسبة لروح عصرنا) بعتيق التراكيب والمعاني والأخيلة في معظم شعره ، وعلى ابتعاده عن الطريقة الأوروبية الفنّية التي هي أحسنُ قالب لشعر

القرن العشرين، وربّما لما بَعْدَه أيضاً ؟ من الوجهة الذّوقية الروحيّة

— ١٣ —

مِن العبث أن يتوهم اخواننا المحافظون انّ الـكلامَ الجامعَ من خصائصهم أو انّ فيه الغنيةَ للأدب ، وقد تَحَدَّثَ صديقي العلاّمة الأستاذ عاشور عن ذلك في ذيل قصة (عبره بك) وأتى بشواهد كثيرة من هذا الديوان اقتطفها في ساعة اطلاع ، ومع ذلك ففيه أمثلة اُخرى كثيرة من هذا القبيل أذكر بعضها هنا للتأمل والفائدة الدراسية التي يحرص عليهـا طلابُ الأدب .

قال الشاعر :

مَثَلُ الغبيّ اذا غدوتَ دليلَه مَثَلُ الضرير اذا استحال بصيرَا
فكلاهما يجد الظلامَ نصيرَه ويعاف من سُبُلِ الضياءِ نصيرَا

ونَظمْتُ شِعْري من شُعور عبادتي
(لِلْحُسْنِ) ، فهو من (الحياةِ) أَجَلُّ !

الخيرُ والشرُّ توأمـان من خالدِ الكَوْنِ والزّمَانِ
نفرٌقَا ظاهراً ولكنْ تَلافيَا عند كُلِّ آنِ

كلاهُما هادمٌ لِخَلْقٍ وهادمُ الخلقِ بَعْدُ بانِ
يُنقّحان ويُصلحانِ وبَفْحصانِ ويَهديانِ !

أجيزوا مَرَّةً لَوْمي فيومُ فخارِكمْ يَوْمي
وأكرَمُ امّةٍ عرفتْ جلالةَ مجدِها القومي
فلا باللّهو تحفظُهُ ولا بالتّركِ والنَّوْمِ
ولكنْ مِنْ تَشَبُّثِها تشبُّثَ حافظِ الصَّوْمِ !

هل قيمة الناسِ في مراءٍ وفي مقالٍ وفي رنينِ
وقد تخلّوا بلا حياءٍ عن كلِّ صدقٍ وعن حنينِ ؟!
وقد تمادَوْا بلا انتهاءٍ تمادي المجرمِ اللعينِ ؟!

جَمَالُ الحياة حياةُ (الجمالِ) وفي الكونِ ما يُشبع المنطقا
فودِّعْ هُمومَ الغرام الضَّرير وناجِ (السَّنا) الباسمَ المُونقا
حياتك أوْلَى بحُسْنِ الخلود أضاءَ الوجودَ ولن يخلقا

أقولُ الحقَّ مغتبطاً ولو أدّى الى الغرْمِ
وقولُ الحقّ قد يُصْمي ونَشْرُ الحقّ قد يُدْمِي !

شِيَمُ الخلالِ وديعةً وكريمةً
مِثْلُ الجبالِ اذا انحدرْنَ سُهُولاَ !

مِثْلُ (الطبيعةِ) في تبسُّطِ لُطْفِها
نشرتْ على بُسُطِ المُرُوجِ غسولا (١)

وما دام جُرْمُ (الأرض) يحفظ « نوعنا »
فلسنا وإنْ مُتْنا بمن صحب المَوْتا !
تُصانُ بها أشلاؤنا ونفوســـنا
موزَّعةً فيهـــا ، منوَّعةً شتَّى
وما الموتُ الاَّ في الفناء لأرضنـــا
فان دامتْ الدّنيا فما غُبن المَوْتَى !

لِبَرْضَ النَّاسُ ما شاءوا من الأديانِ والعِلْمِ
ولكنْ في تَجَرُّدِهِمْ مِن الآدابِ والحَزْمِ
نَذِيرُ اليُتْمِ يَتْبَعُهُمْ وأوَّلُ مَظْهَرِ الضَّيْمِ

مُحَالٌ أن يُساد مَآلُ شعبٍ به حُكْمُ العقيدةِ ما يَسودُ
وما مَوْتى اليقينِ وإنْ تولَّوْا بمَوْتَى ، فالمآثرَ ما تَقُودُ

وإنّي الرَّجل الحاني على وَطني فانّه صُورتي الكبرى ووجدانُ
وأفتديهِ بروحي مِنْ محبّتهِ فانّ قلبي بهذا الحُبّ ملآن

(١) الغسول نبات مزهر كثير التبسط ، قرمزي الزهر او بنفسجيه .

لـكنَّ غاية أحلامي وإنْ بعدتْ
أن يشمل الارضَ باسم (الحبِّ) سلطانُ
وأن أُغالِبَ ما يُوحي الضلال به
للناس حيث جُموع الناس عُميانُ
عقيدةٌ لستُ أدري كيف يُصغرها
مَنْ يدّعي أنّه سامٍ وانسانُ !

فانَّ الجسمَ للعقل المَلَى كدارٍ لن يُصاحبَها الخلودُ
وأمّا المرء فهو قرينُ فِكْرٍ يزيد بقاءه الأَمدُ المديدُ
ونِعْمَ الفِكْرُ إنْ ضحّى بجِسْمٍ ولم تُرْهِبْ جلالته الخُـلودُ

إنَّ المالكَ نحْيا من ثقافتها ولا تعيشُ بحدِّ الصارم القاني
وللشعوب مقالٌ دون ساحتها يدعو الى الحبِّ لا يدعو لعدوانِ
العلمُ يُرشدها والفنُّ يُسعدُها ومجدها رفعُ عرفانٍ بعرفانِ

تَبْقَى المآثرُ في جلالتها بينا المثالِبُ حولَها صَرْعَى
ليس التحاسُدُ ما يُحقّرها أقسى التحاسُدِ زادها رفعا !

ولَكَمْ تَحكّم جاهلٌ أوعابثٌ ومن المصائبِ أن نُطيع كليلا

و(الجهلُ)في دستِ الزعامةِ نكبةٌ لا تسمحي عُذراً ولا تأويلا

ما أجملَ الشُّورى ، ولكن أهلها أهل الرجاحةِ لاجموعُ رجال
ليسوا بعدٍّ بل بقيمتهم هُدَى وبما لهُمْ من نبْلِ رأيٍ عال
والفخر كلُّ الفخر في يومٍ به تغدو العُقولُ معاقل الآمالِ

ليس الأديبُ فتى براعتِهِ والخابَ الألبابَ والسَّمْعا
بل مَنْ يُخلّد في براعتِهِ مَجْداً ، ويُورث قوْمه النَّفْعا
ويكون عنوانَ الحياةِ كما ترْضى الفضيلة عنه إذ يُدْعى

وما الحياة سوى حُبٍّ ندينُ له
بالسعي والجهدِ والاسعادِ والمِنَنِ
فانْ مضى الحبُّ في تحقيرِ مَطْلَعِهِ
فما غنيٌّ الورَى في البُعدِ عنه غني !

إنَّ الرّجاءَ لأُمّةٍ (١) لا ينتهي جُهْدٌ لها إلاَّ ويُبْعَثُ قائدُ !

لاخيْرَ في أدَبٍ لمن لم يتّخذْ مِنْ طَبْعِهِ طَبْعاً ومِنهُ أُصُولاَ

وأبْلَغُ الحِسِّ في تقديرِ مَفْخَرَةٍ حِسٌّ يردّدُهُ للدّهرِ شبّان

(١) اي واف لامة . . .

ليستْ صُروفُ الرَّدى تكفي لِسَحْقِ العظيمْ
لكنّما يأسُـــه يُودي به كالهشيمْ !

ليستْ الألحانُ مِنْ حَنْجَرَةٍ بل حياةٌ عُمْرُها كالأبَدِ !
تُنصتُ الدُّنيا لها كاسبةً مِثْلَ كَسْبِي من معاني الرَّغَدِ !
وَتفِيني مِنْ شِفَاءٍ قَبْلَ ما
أشْتَفِي مِنْ فَضْلِ طِبٍّ في يدي !

الشَّعْبُ في غَفْلَةٍ عن فَنِّهِ كَفَنِّ كَنزُ اليدين غريبٌ عنه إحسانُ
كلاهما في ظَلامٍ لا يُحِسُّ بهِ لكنَّ عُقباهُ إشقاءٌ وحرمانُ
إنّ الفنونَ غذاءُ النُّفُوسِ ، وكم تَصِحُّ بعد نفوسِ الناسِ أبدانُ
والنّابهُ الفَحْلُ في شعبٍ يُضيّعُهُ مثلُ اللواءِ بَعيدٌ عنه شجعانُ
هذا يُضَلِّلُ مخذولاً بعِشْوَتِهِ وذاكَ أهونُ ما يرجوه خذلانُ !

في خطاب سعد باشا بذكرى ١٣ نوفمبر :

(النيلُ) عُدَّ أباً لمصرٍ و(سَعْدُها) عُدَّ الكفيلَ لها على الأيّامِ
عَلَمُ البطولة والجهادِ : حياتُهُ أبقى وأثمنُ مِنْ عُلَى (الأهرامِ)
أيها أبا الأحرارِ يَوْمُكَ فَخْرُهُ ما كان مفتقراً الى الأعلامِ

سِيَرُ البُطُولةِ شِعْرُها آثارُها
وهَوَى البُنُوَّةِ ليس عذبَ كَلامِ

إنّا بعَصْرٍ نورُهُ في حكمةٍ ولهُ مِنَ العقلِ السَّليمِ نِجَارُ
وجَميعُ ما يأباهُ عِلْمٌ سَيِّدٌ زُورٌ ، وغايةُ أمرِهِ أوزارُ

المرأةُ عنوانُ الرَّجل كالزهرةِ للنبتِ الحالي
تَبقى مرآةَ حقيقتِهِ وضمانَ الخُلْدِ لاجيالِ
وتجودُ بشهدٍ مُنْتَهَبٍ للكونِ وسِحْرٍ فعّالِ
فاذا امتُهِنَتْ واذا شقيتْ شقيا بذبولِ الآمالِ

فانّ حياةَ الوَغَى في سِباقٍ الى الشرّ موتٌ قبيحٌ لِزَامْ

العِلْمُ (للاسلامِ) منْ جَنَباتِهِ ما فيه منبوذٌ ولا مختَارُ
فجميعُ ماتُوحِي الحضارةُ باسمِهِ رُكْنٌ من الاسلامِ لاينهارُ
والمسلمون هم الذين تآزروا في الصالحاتِ وللمفاخرِ سارُوا

مَنْ يزوم الحياةَ ان يعدمَ العَيْـ
شَ ، ومَنْ خاف مات موتَ المهانَهْ !

لا يرفع المُثلَي الاَّ عُلَى نَفْسِهِ
فانْ هَوَى مِنْ عَلِ فالموتُ في يأسِهِ !

تحيا الشعوبُ على الكرامةِ إنْ غدتْ
تَرْعَى كرامةَ مَجْدِها وتَغَارُ
والجاحدون لعصرِهم فمآلُهم بيد الهوانِ مصائبٌ ودمارُ

ومن المدامع ظاهرٌ ومُحَجَّبٌ ما كُلُّ وَجْهٍ نائح مَبْلولاَ
تجري الدموعُ الخافياتُ بخاطري وبكلِّ احسامي هوًى مبذولا
وتفيضُ مِنْ قلمي فأنظم هكذا هذا النظيمَ عواطفاً متبولاَ

ما الخَلقُ ؟ ما هذه الدنيا ومَنْشَؤُها ؟
ما الفِكْرُ ؟ ما الجَوْهَرُ الباقي ؟ وما العَدَم ؟
مسائلٌ هي للأحقابِ باقيةٌ كما سيبقى الرَّدى والشَّكُّ والأَلَمُ
أَجَلُّ فَرْضٍ لها وَهْمٌ ، وأيسرُهُ
وَهْمٌ ، وقد يستوي الدهماء والعَلَمُ !

أرني (الخلودَ) .... وما (الخلودُ) بدائمِ
في صُورةٍ بل يتبع التعديلاَ
ما بين ايمانٍ به وبضده كم نتعب التفسيرَ والتعليلا !

أرني وأبكي ، والأنامُ جميعهم
كالنبت يهضمُهُ الزمانُ أكولاَ
الفيلسوفُ كجاهلٍ ، وكلاهما
يَفْنَى ، وما عرف (الممات) ذهولاَ !

هكذا زورةُ (الرَّبيع) أفانيـ نُ حياةٍ ورحمةٍ وابتسامَهْ
حُسْنُهُ طَبْعُهُ السفُورُ ... فهل تُغْـ
ضِـي اذا الحُسْنُ صار يَأْبَى لِثَامهْ ؟!

إنّي الصغيرُ وانّما أدَبي منظومُ ما تزْهَى به رَأسِي
مِنْ نورِ انسـاني ومن تَعبي
بَحْثاً ، ومن غَرْسي ومن قَبْسي
أرضى (الطبيعةَ) حاكماً عـدِلا
جنبَ (الحِجَى) وعُلَى بني جنسي
و (عوالماً) ناجيتُها طَرِباً ونظمتُ ما أوْحَتْهُ في نَفْسِ!
وعَدَدْتُ نفسي بعضها ، فأنا حَيٌّ بها في العيشِ والرَّمْسِ!

إنّا بعهدٍ غـدا نفعُ الانام به أدْنى من الفخرِ والانسابِ فيهِ

لنَّاس في « الرأي الاصحّ » خرافةٌ
محبوكةُ الأوهـامِ للأوهـامِ
هو ما يُرَدِّدُ ، حينما ترديدهُ خارٍ من الأصداء والأحلامِ
(عُمَرَ) يقول و (بَكْرُ) يذكر قوله
كَمَقَالِهِ و (بخيتُ) بوقُ كلامِ
حتى يجيئك (خالِدٌ) بهرائهم
لتراهُ أنتَ نهـايةَ الأحكامِ!

انَّ الشهيـدَ مُضرَّجاً بدمائه فوق الأثيم بدا عليهِ الغارُ !

المرأةُ الحاكمُ الغلاَّبُ في عِظَم فان تهنْ فمصيرُ الشعب للاحن
فمـا لغير سواها دان غاربهُ وإنْ بنا في غدٍ مَجْداً لها يدنِ
أجْمِلْ بها فتنةً غناء سـامية تردّ عنه عوادي الدّهر والفِتَنِ!

والشعبُ لن يَرْقَ الى آمالهِ إنْ روَّعَتْهُ بطَعْنها الأقدارُ
ومِنَ المصائبِ قُوَّةٌ وجلادةٌ ومن المصائب للأباةِ فخارُ
ومع التماسُكِ في الـكوارثِ رحمةٌ
كالصُّلْبِ رُدَّتْ عن حِماهُ النَّارُ !

غُمَمُ الحوادثِ لن تدومَ وانما يبقى الحجى والعزْمُ والاوطارُ

ليتني ما خُلِقْتُ في الناس حتى لا أري غايةَ (العظائم) موتا!
و (الجَنانَ) الذي تألّقَ وحياً بين عُمْرٍ مقيَّدٍ ليس يحيا!
و (البنانَ) الذي ينضّدُ دُرّا
زينةَ (الفكر) ليس يشغل فكرا!
و (الحكيمَ) الذي يناضل جيلا
ناصرَ (العقلِ) قد تردّى قتيلا!
قتلتْهُ (الأيامُ) رغمَ انتباهِ رغمِ طبٍّ ورغم مال وجاهِ
وتَرِكْنا نرَى (الحياةَ) السخاوَهْ
ونرى (الموتَ) بعدها كالخرافهْ!

مَنْ عاش عيشة مفتون بقوّته
ينبيّ من عَصْفِ أحقادٍ له ضَرَمُ
سيّان والقائدُ الخدّاع أُمته
كلاهما عابثاً أَوْلىٰ به العدَمُ!

ومع اليقين رَباحُ كلّ كرامةٍ
ومع التشكّكِ والبُكاء خسارُ

وذخيرةُ الأُمَمِ المباديءُ حينما
أُمَمٌ تُساءُ بيأسها وتُضارُ (١)

يا أيها الناسُ اتقوا ربكم يا ايها الناس احفلوا بالحياهْ
أصغرتم العقلَ بأوهامكم واخترتم الوهمَ لدينِ الإلهْ
والدينُ ما كان سوى سعيكم لخيرِ لا ذُلاً لهذي الجباهْ
من عاش في دنياه أعمى الحجى لم يغنمْ الدنيا ولا منتهاهْ !

والعلمُ ليسَ لهُ حدود مما لِكٍ لا يرتجى داراً ولا دِيارا
كالدينِ حُرْمَتُهُ ولكنْ حظُّهُ أغنى وأوفرُ نِعْمَةً ويسارا
خضعتْ له الأُمَمُ الكبارُ وسوّدَت
أُمَمٌ به كانت تُعَدُّ صغارا

أعودُ اليكِ أستشفي مراراً وقد يغلو الطَّبيبُ اذا استطبّا
ولكني العليمُ بسرِّ دائي
خُلقتُ لكيْ أُحب وكيْ أُحبّا !

لكنما العزّةُ الشمّاءُ باقيةٌ العبقرية في ذكرٍ ونسيانِ

---

(١) مخففة من تضار بتشديد الراء .

جَلالها فوق شاراتٍ وأوسمةٍ ولا تَدينُ لسلطانٍ بسلطانِ

الكونُ مَسْرَحُها ، والفن ينفخُها

برتبةِ الخُلْدِ لاشارات بُهتانِ !

تُرْعى بحرمةِ إجلالٍ لنعمتها برًّا بفكرٍ وتكويناً لوجدان

وكم منازل للجُهال قد خُلقتْ جَهْلاً لترعى كما تُرْعى لأوثانِ !

والحُسنُ ما لم يكنْ بالحبِّ مجتمعاً

فان يكون على الوجدان سلطانا

الشّاعـر الفَنّيُّ يَنـ هَلُ مِن حنانٍ لا يغيبْ

في رُوحِهِ وَحْيُ الجما لِ وَوَحْيُهُ روحٌ أذيبْ !

والنجمُ لو يَفْقَهُ الرّاؤون نشأته

خرّوا له سُجّداً من ثورة العجب !

وكم لبيبٍ جهول سرّ قوتهِ في نظرةٍ منه لم يُنصفْ ولم يُصبِ

واليأسُ أقبحُ من مَوتِ الذؤوم ، فكم

يستعبدُ اليأسُ ما قد عزَّ من فِطنِ !

ليست أنانيةُ الحياة جميـلةً كلا ولا عَجزُ الضريرِ الواني
واذا تأمّلتَ الخلافَ وجدْتَهُ بحْوِي بُذورَ الحقّ للانسانِ

قد مضى الوهمُ مقتولاً بلا نَدمِ
وقد غدا العقلُ منصوراً على الحسبِ
إنّا لفي زَمن حِصْنُ اليقين به
هو المَلاذُ لدى الأخطار والنُّوَبِ
ولن يُذالَ عظيمٌ في مآثرهِ
مهما تقلّبَ دهرٌ أيّ مُنقَلَبِ !

لا رُوحَ في أدبٍ يعيش بغابرٍ
ويَتيـهُ مزهوًّا بحسٍّ كاذبِ
والعِلمُ والأدبُ الصميمُ كلاهما
معنى من الـكونِ العظيمِ الجاذبِ

وكم تسمو العُروشُ بلا ملوكٍ فتفنى دُونَ ملكٍ لِبيبِ
وليس الخُلدُ ما يُشرَى بمالٍ ولكن غايةُ العقلِ النجيبِ

تبسَّمْ للحيـاةِ وكن سَبوحاً على غمراتها مثلَ (السقِيِّ)[١]
وكُنْ (كاللُّوتس)[٢] الضَّاحي هنيئاً
وإنْ لم يَنْمُ في ماءٍ نقيُّ
تعوَّد حَظَّه وأضاءَ زَهراً وعاش بنعمةِ الحُرِّ التَّقيّ
فتعشقُهُ العيونُ بلا سكونٍ[٣]
ويقنعُ بالحنين المشرقيّ[٤]
وما سِرُّ الحياةِ سوى احتمالٍ سواءٌ فيهِ نهيٌ والمشقيّ

لا تحسبنَّ اذا تردَّدَتِ المُنى لهواً عليك بأنك الفعَّالُ
إن القديرَ هو المجدُّ ويكتفي بالنقد ذاك العاجزُ المكسالُ
شتَّانَ بين أسيرِ حُلْمٍ خاذلٍ ومحرِّرٍ أحلامُه الأعمالُ !

---

(١) السقي : هو نبات البردي المعروف (Papyrus) . قال امرؤ القيس في معلقته :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذال

(٢) اللوتس : النيلوفر .
(٣) سكون : انقطاع .
(٤) اشارة الى شروق الشمس .

الشِّعْرُ بالحسِّ السَّرِيِّ النائي
أبدا يُفتِّش عن خفيٍّ سعادةِ
ويطوف في الدُّنيا طوافَ ضياءْ !
ويُصوِّرُ الأشياءَ مِنْ أصباغهِ
تصويرَ ما تلقاهُ في الأشياء
ويلقنُ الإحسان في آياته وروائعَ العلماءْ والحكماءْ
ويبثُّ من أسمى الشعور مُسَدَّداً
يَرْمي جيوشَ الظُّلْمِ والبُلَهاءْ
فلكم بيانُ (العرب) انْ شئتُمْ ولي
هذا البيانُ الحُسْنُ فهو رجائي
فتى الذي يوحيهِ ذوْقي والذي لبّى به الأدبُ الحديثُ ندائي
فبكلِّ لفظٍ مَشْرِقٌ لعواطفي وبكلِّ معنًى لي نجومُ سماءْ

قَلْبي الخَفُوقُ مُصاحِباً أنفاسي
شِعْرِي، وما شِعْرِي سِوَى إحساسي
هُوَ مِنْ أنفاسي وفي مَجْرَى دَمِي
كالحُبِّ، فاتَّحَدا مع الأنفاسِ !

مَنْ عاش في أسْرِ التَّصنُّعِ هازئاً
بالنَّاسِ لم يغنمْ أقلَّ جَلالِ
تفْنَى الصَّغائِرُ ، والعظائم وحدَها
تبْقَى برغم دسائسٍ وضلالِ
ومآلُ هذِي الأرضِ حُسْنٌ دائبٌ
ومآلُ شرِّ الأرضِ شرُّ مآلِ

اذا جاء (باخوسُ) العظيمُ مبشراً
بأُنسي متَى طأطأتُ في حِيَلِ رأسي
فاني أردُّ الكأسَ غيرَ هنيئةٍ
فما الذَّنبُ في الكأسِ إن صغرتْ نفسي

يكاد يُعَدُّ مع الأنبياءْ رجالُ العُلومِ وأهلُ الذكاءْ
ففي كُلِّ يَوْمٍ لهم بِدْعة تهزُّ الثَّرَى وتُناجي السَّماءْ!

ولكنَّ أوْفَى الورى للورَى
وأوْلَى الوَرَى بالعُلَى والرجاءْ
عظامٌ يصونون خُلْقَ الأنامِ
ويُحيون فيهم معاني الإخاءْ

إنْ عُدْتَ الحَرْبُ جُرْماً والسجونُ ردَى
فضَيْعَةُ الفِكْرِ أنْكَى في مدَى الهِمَمِ !

الخُلْقُ بنيانُ مَجْدٍ الخُلْقُ شَيْءٌ عظيمُ
تَمْضِي شُعُوبٌ ، ويَبْقَى بالخُلقِ شَعْبٌ قويمُ
الضَّعْفُ ذُلٌّ ، ولكنْ الجُبْنُ موتٌ ذميمُ
ليس الفخارُ بفرْدٍ إنَّ الفَخارَ العَميمُ

اذا تذكَّرْتَ نُبْلَ جُرْحٍ لفارسِ الكَرِّ والنِّزالِ
فُرَبَّ فَقْرٍ حكاهُ نُبْلاً لِمُحْسِنٍ باذخِ الفِعالِ

خيرٌ لمثليَ أن يُنْسَى اذا اقترنتْ
ذكراه بالحقدِ حيثُ الحقدُ ما أثَمُهَا
إنْ لم أعشْ لجمالِ الحُبِّ في عِظمي
فلا سموتُ بنفسٍ ضاع أكرمُهَا

فمظاهرُ الدُّنيا اذا هي عُولِجَتْ
لم تُلْفَ غيرَ عوارضٍ ومظاهرِ

عَرِيَتْ عن الحُسْنِ الأجلِّ وإنْ بدتْ
حسناءَ للغِرِّ الجهُولِ الخائرِ
ما النَّاسُ بين مُلوكهم وجُموعهم
الاَّ مثال تحوُّلِ لعناصرِ !
دَيْنُ الفناءِ من الزمانِ مُصاحِبٌ
لجميعهم ، وجميعُهُمْ لتناحُرِ
والأسْلَمُ الأبقى العقيدةَ ، إنَّها
للنفْسِ أيُّ غِنًى ومَجدٍ وافرِ

والشِّعْرُ مِنْ صُوَرِ الحياةِ لخاطري
والحبُّ في جِسْمِي كراحِ الكاسِ
فالكاسُ دُونَ الرَّاحِ غيرُ عزيزةٍ
وكذاكَ خالي النَّفسِ بين النَّاسِ !

المِدْفَعُ المرهوبُ يصدأُ قبلَي والعِلْمُ لا يَمْشِي اليه العارُ !
وتزولُ دُولاتُ الفُتوحِ وتَنْقَضِي ظُلَماً ، ويَبْقَى العِلْمُ وهو نَهارُ
وتُرَدَّدُ الأمَناتِ عن حَرْبٍ مَضَتْ أمَمٌ لمغنِمِها الجُدُودُ أغارُوا
بينا حُرُوبُ العلمِ تَبْقَى للورى شَرَفاً تَشِعُّ (١) حبالَهُ الأنوارُ

---

(١) تشع : تتفرق .

قُوَّادُهُ (١) مِلْءُ الزَّمانِ، وعمرُهُمْ أَمَدٌ يزيدُ وكوكبٌ دوّارُ
بينا جبابرةُ الحُرُوبِ حَياتهُمْ مثلُ الهشيمِ سَطَتْ عليه النّارُ
فَرْدٌ من العلماءِ فَوْقَ مقامهم جَمْعاً، وتُعلنُ حَمْدَهُ الأدهارُ!

ما العَيْشُ الاَّ الهوى واللَّهوُ جنبَ العِبادَهْ
وأن يجدَّ الفتى فيستطيبَ اجتهادَهْ

يصفُ الطبيبُ من العلاجِ أحلَّهُ خطراً عليه لِكَيْ يُغيثَ مريضَا
والطبُّ تضحيةٌ فانْ هو لم يكنْ لم يرتفع شَرَفاً وكان مهيضَا

ومواهبُ الانسانِ مِنْ ميراثِهِ مهما تبدّلُ حَظَّهُ الأطوارُ
والجاحدُ الفضلَ الأصيلَ مِثالهُ واهي البناءِ مُزَلْزَلاً ينهارُ

عَصْرٌ به الجبّارُ مالَ سيدٌ وتسودُ أرقامَ الوغى الارقامُ!
لِرَنينِهِ صَوْتُ المدافِعِ في الوَغَى إنْ شاء، أو لخفيفهِ الأنغامُ!

لا الحَرْبُ قائمةٌ بغير قوامِهِ والسِّلْمُ ليس له سواه قوامُ
والعِلْمُ والدُّنيا بأنفس ماوَعَتْ المالُ سَوّاسٌ لها وإمامُ!

---

(١) اي قواد العلم .

أنا من يفتش عن محاسنِ ناقدي فأذيعها كمحاسنٍ لجناني
حُبُّ الجمالِ أراه فوْقَ خُصُومَةٍ وأرى الجمالَ موزّع الاحسانِ
وأرى الحقيقة لاتحدُّ فما لَنَا نهوى التعصّبَ في غرورٍ جانِ؟!

مَنْ عاش في كَنَفِ الجُودِ فعلْمُهُ جَهْلٌ ، وليس لِذِهْنِهِ استمْرارُ

إنَّ (السُّبرمانَ[1]) ـ الذي حلمت به

أحلامُنا المستبسلُ المِغْوَارُ

الدَّارسُ الدُّنيا دراسةَ مُبْدِعٍ

لا الأرضُ تكفيهِ ولا الأقمارُ

مَرَّتْ ملايينُ السنينْ والكونُ ما زال الجنينْ
فلِمَ التشاؤمُ (و الحيا ةُ) ما آلها الصبحُ المبينْ؟!
لاخيرَ في أدَبٍ يسو قُ النَّاسَ سَوْقَ اليائسينْ
سُنَنُ (الطبيعة) أن تهيـ ـيءَ للصلاحِ وأن تعينْ

انَّ الجذور هي الحياة وان تكنْ
في التّربِ نامية بغير تسام !

---

(١) هو ، الانسان الاسمى ، الذي حلم به الفيلسوف الألماني نيتشه وتلاميذه .

ومعاهدُ البحثِ الصحيحِ جَلَالُها لا المَدْحُ ينصفهُ ولا الإيثارُ
هي مَهْدُ مرجوِّ الحياةِ لقابلٍ فيهِ يُعَزُّ جَنَاحُهـا الطَّيَّارُ
هي شُعْلَةٌ مخبوءةٌ مِن بَعْضِها تتناسَخُ الآمالُ والأعمـارُ !
أكْرِمْ بمن أبقَوْا كذاكَ سناؤها وعلى العُقولِ بها كذاكَ أشارُوا !

تناحرَ الناسُ حبًّا في الظُّهورِ وما نالوا سوى جثةٍ قد رثَّ دَمُها !
قد شوهوها فماتت من ألسنتهمْ وعانقوها فلم ينبسْ لهم فَمُها !
وكلُّهم بين مطعونٍ ومقتتلٍ كأنما غنمُهمْ هذا ومَغْنَمُها !

***

فهذا الشعرُ الخلقي الوجداني ،وهذا الشعر الاجتماعي الأدبي ، وهذا الشعر الفلسفي المطبوع ،مع جودتهِ فناً ومعنًى وخيالاً ولفظًا ـ وأمثلتهُ كثيرةٌ في الديوان ـ ليس في نظر صاحبه نفسه المثَلَ الأعلى الذي يتفق والرُّوح الفنيَّة التي يتطلع اليها ! واذنْ فهو يدأب في سبيل تحقيق أمنيته الشريفـة ، حينما معظم المشاهير بيننا يتكالبون على الزَّعامة والشهرة الزائلة التي لافائدة للأدب ذاته من ورائها ، وينظرون اليها كغاية لاكوسيلة نافعة لخدمة الأدب والمجتمع ، ولا يتعففون عن الاساءة الى زملائهم وعن انكار فضلهم، مدفوعين بشهوة هذه الشهرة المرذولة التي لاتخدم النبوغ أقلَّ خدمةٍ .

ولا بدَّ من الاشارة في ختام هذا الاستعراض الى تباين الأذواق في الحُكْمِ على الشاعرية ، ولكن اذا اتَّبعَ حُكْمُ الناقد الدليلَ العلميَّ الفنيَّ من تقديرِ مُعَبِّنٍ لمَبْلغِ القُوَّةِ الفنيَّةِ والخيال والمعاني وقوّة السبك أمكن الوصولُ الى نتيجةٍ منصفةٍ للحقيقة ، وتقاربت بذلك أحكامُ الناقدين بدل التَّضارب العجيب الذي نقرؤه في كثير من الأحوال . وأقربُ الشواهد على ذلك ما قيل عن الأستاذ عبدالقادر المازني ، فقد اتّهمه كلٌّ من الاستاذين عبد الرحمن شكري وعبد المجيد حلمي بالسرقة وشبَّه شعره الاستاذ حسين شفيق المصري « بالوُحُول في طريق العميان » وقال إن ديوانه « كلّه ركاكةٌ وأغلاط بلا طائلٍ من معنىً حسنٍ أوغرضٍ ذي شأن » ، بينما أطنب فيه أمثالُ الاساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرحمن البرقوقي وأحمد شاكر الكرمي وغيرهم ، كما أنشدنا الاستاذ محمود رمزي نظيم :

قد رَوَى [1] (المازنيُّ) غُلَّةَ نفسٍ
ما شفاها مُرُورُ عامٍ فعامِ

---

(١) يقال : روى القوم اي استقى لهم .

وطَوَى نَشْرُهُ قريضَ (ابن هاني)
وَطَوَى بعدَه (أبا نُوَاس)!

واذا بالمازني يعرضُ أمثلةً من شعرِهِ الفنيِّ الحقِّ [١]، كما يعرض علينا هذا الشِّعرَ الوجدانيَّ الرقيقَ في «الوردة الذابلة»:

أَرَجٌ كأنفاسِ الحبيـ ـبِ حين تَدْنِي منكَ فاهَا
وغلائلٌ باتَ الغَمَا مُ يجدُّها حتى رواهَا
ذَبُلَتْ وأخلقَ حُسْنُها ياليت شعري ما دهاهَا؟
روَّيتها بمـــدامعي لو كان يُحييها حياهَا [٢]
وضَمَمْتُها ضَمَّ الحبيـ ـبِ سَرَى يعود لها صِباهَا
وزفرتُ علَّ زوافري تُجدي فزادتْ في ذواهَا [٣]
فرميتُها وبرغمِ أنـ ـني أنني مَنْ قد رماهَا
ولو استطعتُ حَنَيْتُ أضـ ـلاعي على ذاوي سَنَاهَا
وجعلتُ صدري قَبْرَهَا وجعلتُ أحشائي ثراهَا!

وفي رأيي انّه من الضروري ـ خدمةً للادب وانصافاً للنبوغ ـ التباعد عن الاسرافِ في الاحكام تجنُّبا لامثالِ هذه

---

(١) راجع القسم الاول من كتاب «مشاهير شعراء العصر» للاستاذ احمد عبيد.
(٢) حياها: مطرها (٣) الزوافر: الضلوع، يشير الى جهد الضلوع في الزفير وتأثيره الذي يتخيله. وذواها: مصدر وضعي لضرورة النظم من ذوى بمعنى ذبل.

المتناقضات، وتشجيعاً لمن يستحق التشجيع، وصيانةً لحقوق الادباء .
وأملي أن تكون صفحاتُ هذا الديوان بما جمعتْ من ذخيرةٍ أدبيةٍ فنية خيرَ معوانٍ على نشر المبادىء الوطنية والنزعات الانسانية الشريفة ، وتهذيبِ النفوس والاذواق ، والقضاء على التقاليد الرثّة ، وترقية المستوى الشعري في أدبنا المصري الحديث ؟

من صالح الجرْاوى

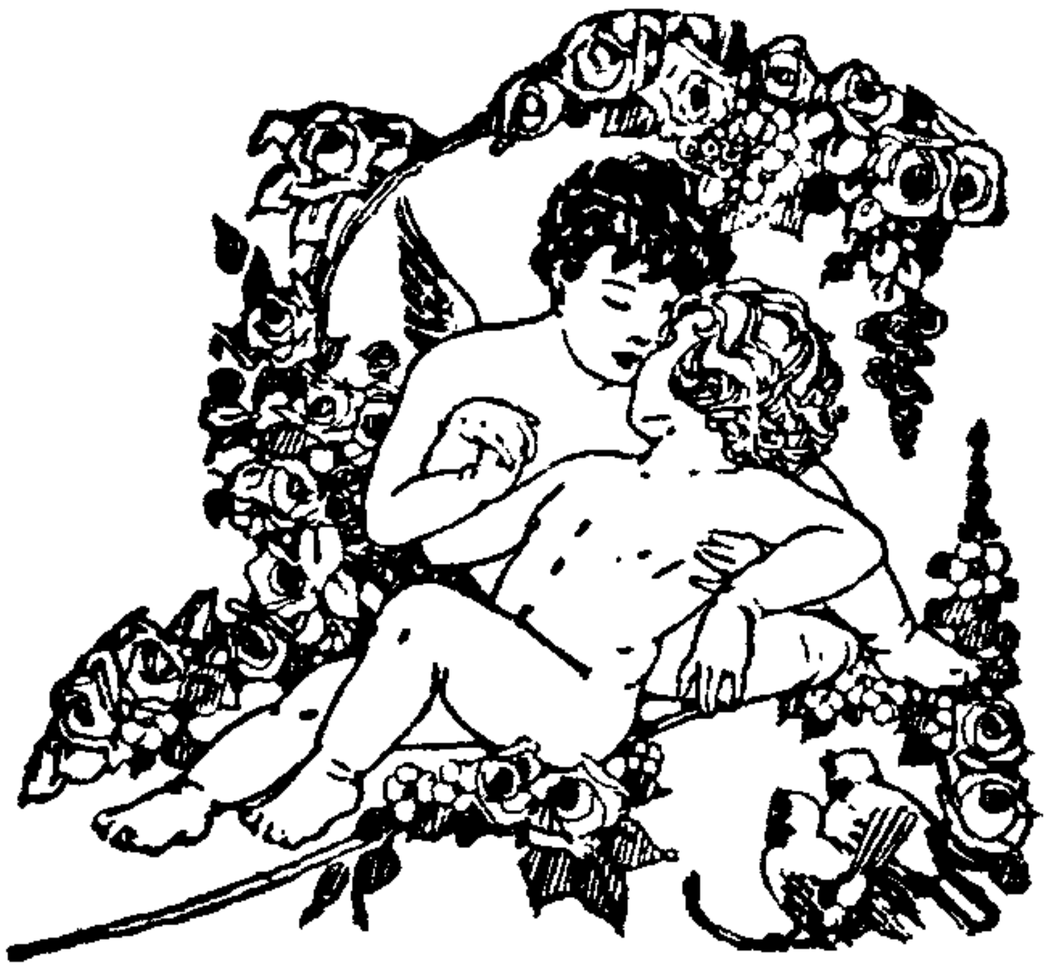

٨٣ ـ الشفق

فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء الديوان	٣
مقدمة الناشر	٤ ـ ٣٨
الشعر والشاعر	٣٩ ـ ٥٠
هدم الأدب وبناؤه	٥١ ـ ٨٣
شعر الديوان	٨٥ـ١١٢٠
النهضةُ ارادةٌ	٨٧
اضطهادُ الرأي	٨٩
الخمرُ والشعرُ	٩٠
قلمُ الفنان	٩١ ـ ٩٣
يومُ وداعٍ	٩٤ ـ ٩٩
الآدابُ القوميّة	٩٩ ـ ١٠١
قوّةُ الحقير	١٠١
حديثُ البحر	١٠٢ ـ ١٠٣
الملكةُ السجينة	١٠٤ ـ ١٠٥
جنّةُ النحل	١٠٦ ـ ١٢٤
أمتعُ الأُنس	١٢٥ ـ ١٢٦
الحِلْمُ	١٢٦
الضحية	١٢٧ ـ ١٢٩
منيرة الأمل	١٣٠ ـ ١٣١
نظرة واقتباس	١٣٢
قلبي الخفوق	١٣٢
أبناء الشمس	١٣٣ ـ ١٣٥
يامهجتي لاتندمي	١٣٦
رثاء يتجدّد	١٣٧ ـ ١٤٠
أسمى العبادة	١٤١

الموضوع	الصفحة
الله	١٤٢
النبي محمد	١٤٢ ـ ١٤٤
شعر الحُبّ	١٤٤
ليلةُ صيفٍ	١٤٥ ـ ١٤٧
سانُ استفان	١٤٧ ـ ١٤٩
تعريفُ الجمال	١٤٩ ـ ١٥٠
الشبابُ	١٥٠ ـ ١٥١
الحظ المعكوس	١٥١ ـ ١٥٢
الفقرُ اسرافٌ	١٥٢ ـ ١٥٣
إلهةُ الحرّية	١٥٣ ـ ١٥٤
الفنونُ الجميلة	١٥٤ ـ ١٥٥
رُوحُ المُوسيقي	١٥٦ ـ ١٥٧
نظراتٌ	١٥٧
الفردوسي	١٥٨ ـ ١٦٠
مصر الحضارة	١٦١ ـ ١٦٢
إلهة الجمال	١٦٣ ـ ١٦٥
رشفة ككتيل	١٦٥ ـ ١٦٦
راكبة الدراجة	١٦٦ ـ ١٦٧
الابرة الفنّانة	١٦٧ ـ ١٦٨
دار ابن لقمان	١٦٨ ـ ١٧٣
أرقصي ياغادتي	١٧٣
الايمانُ	١٧٤
اليـأس	١٧٤ ـ ١٧٥
أطفال الرجال	١٧٥
آخر بني سراج	١٧٦ ـ ١٧٨
واجب الفنّ	١٧٨ ـ ١٧٩
نَسَبُ الشعرِ	١٧٩ ـ ١٨١
رسم الطبيعة	١٨١ ـ ١٨٢
نقد الشعر	١٨٢ ـ ١٨٧
الأنثى والمرأة	١٨٨ ـ ١٩٠
عماد الأمم	١٩٠ ـ ١٩١
عصبة النيل	١٩٢ ـ ١٩٤
أبو الهول	١٩٤ ـ ١٩٥
ساكنة الرمل	١٩٦ ـ ١٩٧
الطبيب	١٩٧ ـ ٢٠١
المعلّم	٢٠٢ ـ ٢٠٣

الموضوع	الصفحة
الماسونية	٢٠٣ ـ ٢٠٥
جهد الاتقان	٢٠٦ ـ ٢٠٧
الجمالُ العصري	٢٠٧ ـ ٢٠٨
ببيتِ الأمة	٢٠٩ ـ ٢١١
تحية الجامعةِ المصريةِ	٢١٢ ـ ٢٢٨
٨ أكتوبر	٢٢٨ ـ ٢٣٠
أشعة الظلام	٢٣١ ـ ٢٣٢
أوراق الخريف	٢٣٣ ـ ٢٣٤
الطبُّ القديم	٢٣٤
أذكريني	٢٣٥ ـ ٢٣٧
عرس الأصيل	٢٣٨ ـ ٢٣٩
الصورة الناطقة	٢٤٠ ـ ٢٤٣
شعر العلم	٢٤٣
ليلة العرس	٢٤٤ ـ ٢٤٦
عبد الكريم	٢٤٧ ـ ٢٥٤
الأسد الأسير	٢٥٥ ـ ٢٥٧
حامد البقار	٢٥٨ ـ ٢٦٠
غروب وذكرى	٢٦٠ ـ ٢٦١
عواطف وقلم	٢٦١ ـ ٢٦٢
أسرار الصداقة	٢٦٢
العصر والادب المصري	٢٦٣
غذاء الخيال	٢٦٤ ـ ٢٦٥
نقطة دم	٢٦٦ ـ ٢٦٧
قبلة لحظين	٢٦٧ ـ ٢٦٨
عتاب صديق	٢٦٩ ـ ٢٧٠
كلمة تقدير ووداع	٢٧٠
الكأس المنسية	٢٧١
تحية (كل شيء)	٢٧٢ ـ ٢٧٣
بسمة الطبيعة	٢٧٣ ـ ٢٧٤
ديباجة الشعر	٢٧٥
ظِلّي	٢٧٦ ـ ٢٧٧
اخاء الورود	٢٧٧
تبسم الحياة	٢٧٨
الذهن البليد	٢٧٨ ـ ٢٧٩
الشرف الزائف	٢٧٩
كارثة دمشق	٢٨٠ ـ ٢٨٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أمّ كلثوم	٢٨٤ ـ ٢٨٥	فتنة الغناء	٣١٨
البحر الصاخب	٢٨٥	محمد سالم الكبير	٣١٩ ـ ٣٢٠
يوم النشور	٢٨٦ ـ ٢٨٧	نجوَى العام	٣٢٠ ـ ٣٢١
حسب المُعِزّ ونسبه	٢٨٨	الجديد	٣٢٢ ـ ٣٢٤
رثاء فريد بك	٢٨٩ ـ ٢٩٠	نجمي	٣٢٤ ـ ٣٢٥
الى نفسي	٢٩٠ ـ ٢٩١	الشمس	٣٢٦
وجدان الشاعر	٢٩١ ـ ٢٩٢	الذكرا لخالدة شريف جهاد	٣٢٧ ـ ٣٢٩
ذكرى بينهوفن	٢٩٣ ـ ٢٩٦	عظمة انجلترا	٣٣٠
الطبُّ والشعر	٢٩٧ ـ ٢٩٨	اسعاف النشاشيبي	٣٣١
التمثال (نظرةٌ وابتسامةٌ)	٢٩٨ ـ ٣٠٠	رحمات السماء	٣٣٢
أقصى الظنون	٣٠٠ ـ ٣٠٣	حَقُّ النُبوغ والأُبوَّة	٣٣٣ ـ ٣٤١
القلب الدّامي	٣٠٣ ـ ٣٠٤	قوس قزح	٣٤١ ـ ٣٤٣
سيد درويش	٣٠٤ ـ ٣٠٥	شعر الثقافة	٣٤٣ ـ ٣٤٤
صُوَرٌ وأنغام	٣٠٥ ـ ٣٠٧	الكناري السّجين	٣٤٤ ـ ٣٤٥
السعادة	٣٠٧ ـ ٣٠٨	هدية الألم	٣٤٥ ـ ٣٤٨
سلطانةٌ تنتحر	٣٠٩ ـ ٣١٣	الدقائق	٣٤٩ ـ ٣٥٠
ذكرى ٧ فبراير	٣١٤ ـ ٣١٦	عضّات الدهر	٣٥٠ ـ ٣٥١
الشفاء	٣١٦ ـ ٣١٧	عاشق قمر	٣٥١

الموضوع	الصفحة
العصبية الطائشة	٣٥١ ـ ٣٥٢
فتاة الريف	٣٥٣ ـ ٣٥٦
المجهر	٣٥٦ ـ ٣٥٨
الهجر الجميل والأمل	٣٥٨ ـ ٣٦٠
الى نصير الديموقراطية	٣٦٠ ـ ٣٦١
« أبو قردان »	٣٦١
الحكم الدستوري	٣٦٢
التقدير والرثاء	٣٦٢
أمير الكنجة	٣٦٣
الوطن الصغير	٣٦٤ ـ ٣٦٥
راقصة البارتنون	٣٦٦ ـ ٣٦٧
أميرة الشعر المنثور	٣٦٧ ـ ٣٦٨
ذكرى محمود مراد	٣٦٩ ـ ٣٧٠
عبد القادر	٣٧١
التمثيل	٣٧٢ ـ ٣٧٤
الشليك الندي	٣٧٤
النشاط الشعري	٣٧٥
بين نارين	٣٧٦
بويل المقتطف	٣٧٦ ـ ٣٨٠
الشعر العزيز	٣٨٠ ـ ٣٨١
الطب الجديد	٣٨١
الرق الأبدي	٣٨٢
مصرع أبي هيف	٣٨٢ ـ ٣٨٧
ذكرى ١٣ نوفمبر	٣٨٨ ـ ٣٩٠
اعتراف	٣٩١
التعاون الفكري	٣٩١ ـ ٣٩٢
عنوان الرجل	٣٩٢
التناقض	٣٩٣
علة الدهر	٣٩٣
العظمة	٣٩٣ ـ ٣٩٤
الشكوك	٣٩٤
وسائل	٣٩٤
طب العاشق	٣٩٥
لقاء	٣٩٥
الانسانية	٣٩٥ ـ ٣٩٩
الحياة الثانية	٣٩٩ ـ ٤٠١

الموضوع	الصفحة
بأمر الحاكم بأمره	٤٠٢ ـ ٤٢٢
سعد	٤٢٣
تأملات	٤٢٤ ـ ٤٢٨
الاشراك بالحبّ	٤٢٨
فتاة العصر	٤٢٩ ـ ٤٣٠
لذّة الصعاب	٤٣٠ ـ ٤٣١
الطريد	٤٣٢ ـ ٤٣٣
جزائي	٤٣٤ ـ ٤٣٧
اللصّ الشريف	٤٣٧
ناقد المسرح	٤٣٨ ـ ٤٣٩
رحماكِ	٤٣٩ ـ ٤٤٠
أمالي القالي	٤٤٠ ـ ٤٤١
الطراز	٤٤١ ـ ٤٤٢
أدب العصر وتقديره	٤٤٢ ـ ٤٤٤
الكتاب	٤٤٤ ـ ٤٤٥
شذا الحسن	٤٤٥ـ٤٤٦
ريكا	٤٤٦
تضحية الطبيب	٤٤٧
الحياة	٤٤٧
القدرة	٤٤٨
التفاؤل	٤٤٨
توبةُ الحُبّ	٤٤٩ ـ ٤٥٠
صُحبة الآلام	٤٥١ ـ ٤٥٥
الموسيقى	٤٥٥ ـ ٤٦٠
ألوهة الحُبّ	٤٦١ ـ ٤٦٤
حياتي	٤٦٥ ـ ٤٧٣
النور والظلام	٤٧٤ ـ ٤٧٧
غناء الحياة	٤٧٧ ـ ٤٧٨
الفنّ السّماوي	٤٧٨ ـ ٤٨٠
جنتي	٤٨١ ـ ٤٨٢
الراقصة	٤٨٣ ـ ٤٨٤
حسدتني في عذابي	٤٨٥ ـ ٤٨٦
الدنيا	٤٨٦ ـ ٤٨٨
إلهام الشاعر	٤٨٩ ـ ٤٩١
حرمة الماضي وحق العلم	٤٩٢ ـ ٤٩٥
سليم سركيس	٤٩٦ ـ ٤٩٧

الموضوع	الصفحة
اسرة الأدب	٤٩٨ ـ ٤٩٩
القديم والجديد	٤٩٩ ـ ٥٠٠
البعث القاتل	٥٠٠ ـ ٥٠٢
إخاء البيان	٥٠٢ ـ ٥٠٥
المؤتمر الوطني	٥٠٦ ـ ٥١١
هبة ركفلر	٥١٢ ـ ٥١٥
العزاء الكريه	٥١٥ ـ ٥١٨
على غير رضاك ...	٥١٨ ـ ٥١٩
جزع عاشقة	٥٢٠ ـ ٥٢١
التقدير الباقي	٥٢١ ـ ٥٢٢
نقلة «الزهراء»	٥٢٣ ـ ٥٢٧
تخفيف العبء	٥٢٨ ـ ٥٢٩
المنارة	٥٢٩ ـ ٥٣٣
طانيوس عبده	٥٣٣ ـ ٥٣٥
الفنان	٥٣٥ ـ ٥٣٧
فداء السعادة	٥٣٨
لو كان ...	٥٣٩ ـ ٥٤٠
وفاء الدين	٥٤١ ـ ٥٤٤
مامون (إله الثروة)	٥٤٥ ـ ٥٤٧
الحبُّ الضرير	٥٤٨ ـ ٥٥٢
ضمير الخالق	٥٥٣ ـ ٥٤٤
الابوة رحمة الوجدان	٥٥٥
تحية مولود (مداعبة)	٥٥٦ ـ ٥٥٧
الجمال الغرّيد	٥٥٨ ـ ٥٥٩
خالان	٥٥٩ ـ ٥٦٠
الزهرة الذابلة	٥٦٠ ـ ٥٦١
باقة السلام	٥٦٢
عشق النظرة الأولى	٥٦٣
الجريح المنسيّ	٥٦٤
الصبا والحبّ	٥٦٥ ـ ٥٦٦
القيامة	٥٦٧ ـ ٥٦٩
الأهواء	٥٦٩ ـ ٥٧١
الشيخوخة	٥٧٢ ـ ٥٧٤
الربيع	٥٧٤ ـ ٥٩١
البحر	٥٩٢ ـ ٥٩٣
لو كنتِ علمتِ ...	٥٩٣ ـ ٥٩٤

الموضوع	الصفحة
دار الفلاح	٥٩٥
في المعرض	٥٩٥
الجمال المقسم	٥٩٦ - ٥٩٧
خطأ الحظ	٥٩٧ - ٥٩٨
عبرة الوجود	٥٩٨
الفراق	٥٩٩
الفاتح الجريح	٥٩٩
زهر البنفسج	٦٠٠
ذكرى ر. هوايت	٦٠١ - ٦٠٢
عبدة الالفاظ	٦٠٣
تحامل الغرور	٦٠٤ - ٦٠٥
نسائم الحرمان	٦٠٦ - ٦٠٧
ملك النيل	٦٠٨ - ٦١٠
المرأة	٦١٠ - ٦١١
الأطلال	٦١٢ - ٦١٣
مجد المزينة	٦١٤ - ٦١٧
تل العمارنة	٦١٨ - ٦٢٤
ممثون الفيلسوف	٦٢٥ - ٦٣٩
عذراء الربع	٦٤٠ - ٦٤١
لشفق الباكي	٦٤٢ - ٦٤٤
ثورة الرأس	٦٤٥ - ٦٤٦
أدب الأمير	٦٤٧ - ٦٤٩
الحياة المشتركة	٦٥٠
تمثال دلسبس	٦٥١
مقامات أبي الشمقمق	٦٥٢
جسر التنهد	٦٥٢ - ٦٥٣
صحف الطبيعة	٦٥٣ - ٦٥٤
غم وغرم	٦٥٥
العليل المنفي	٦٥٦
المقبرة المبتة	٦٥٧
الرؤيا	٦٥٨ - ٦٦٨
حمام سابك	٦٦٩ - ٦٧١
لغة الدموع	٦٧٢
على قبر أخوي	٦٧٢ - ٦٧٣

الموضوع	الصفحة
ذِكرى المسترجل	٦٧٣ ـ ٦٧٥
أمْر وأمْرّ	٦٧٥
الميِّتُ الحيُّ	٦٧٦ ـ ٦٧٧
بعد الفراق	٦٧٨ ـ ٦٧٩
شعر الغِنَاء	٦٨٠ ـ ٦٨١
في شرِشر صُو	٦٨٢
أنَّات وعواطف	٦٨٣ ـ ٦٨٤
هَمَزَاتُ الزَّمان	٦٨٥ ـ ٦٩١
الزُّهرة الصائمة	٦٩٢
فتنة العُود	٦٩٢ ـ ٦٩٥
عَوْدَةُ العُود	٦٩٦
قسوة رمضان	٦٩٧
الحاكمة	٦٩٨ ـ ٧٠٠
المِرْآة	٧٠١ ـ ٧٠٢
المنديل	٧٠٢
مَجْمَعُ الفنون	٧٠٣ ـ ٧٠٥
بَعْضُ الصِّيام حرام!!	٧٠٥ ـ ٧٠٦
كليمنصو في منفاه	٧٠٧ ـ ٧٠٩
الكبرياء القومية	٧١٠
ذكرى دنشواي	٧١١ ـ ٧١٣
بلاد النيل	٧١٤ ـ ٧١٨
الحقيقة	٧١٩ ـ ٧٢٠
صَرَّار الليل	٧٢١ ـ ٧٢٢
الغضب	٧٢٣ ـ ٧٢٤
اليوم الجديد	٧٢٤ ـ ٧٢٦
النجوم	٧٢٦ ـ ٧٢٧
الكوكايين	٧٢٨ ـ ٧٢٩
النقد السَّليم	٧٣٠ ـ ٧٣١
جُنوني	٧٣٢ ـ ٧٣٣
أخي حسن	٧٣٣ ـ ٧٣٤
نوعٌ من البِرّ	٧٣٤
دُعابة الغُفران	٧٣٥ ـ ٧٣٦
زيارة الكبير	٧٣٦ ـ ٧٣٧
رُوحُ الصَّائم	٧٣٧ ـ ٧٣٨
الكرامة القومية	٧٣٩ ـ ٧٤١
الطَّيَّار المصري	٧٤٢ ـ ٧٤٥

الموضوع	الصفحة
الى قنبرة	٧٤٥ ـ ٧٤٦
خرافة	٧٤٦ ـ ٧٤٧
لغز	٧٤٧ ـ ٧٤٩
السجين	٧٥٠ ـ ٧٥٢
السواد المحبوب	٧٥٢
أرسطو	٧٥٣ ـ ٧٥٧
تعالي ! تعالي ! حبيبة قلبي	٧٥٨ ـ ٧٦٠
الشلال	٧٦١ ـ ٧٦٣
في مرقص	٧٦٤ ـ ٧٦٥
فلسفة العبرات	٧٦٦
المصلح الأثيم	٧٦٧ ـ ٧٧٠
بدعة المحمل	٧٧٠ ـ ٧٧٥
وحدة الحب	٧٧٦ ـ ٧٧٠
مذهبي	٧٧٨ ـ ٧٨٠
العاطفة المحبوسة	٧٨١
اللوم	٧٨٢
الرأي الناضج	٧٨٣ ـ ٧٨٤
الخير والشر	٧٨٥ ـ ٧٨٦
الضريبة	٧٨٦ ـ ٧٨٨
بين ملك وجندي	٧٨٩ ـ ٧٩١
سعد القاهر	٧٩١ ـ ٧٩٣
الدستور الفاتح	٧٩٤ ـ ٧٩٨
قبلة الجمال	٧٩٩
صديق الروح	٨٠٠
نشيد الملائكة	٨٠١ ـ ٨٠٤
أمل الانسانية	٨٠٥ ـ ٨٠٦
القدر	٨٠٧ ـ ٨٠٨
إليها	٨٠٩ ـ ٨١٠
الرجل الجهير	٨١١
زكية الأدب	٨١٢ ـ ٨١٥
المجد الشخصي	٨١٦ ـ ٨١٧
عبد الوهاب	٨١٨ ـ ٨١٩
يا أمل ...	٨١٩ ـ ٨٢٠
الكؤوس	٨٢١

الموضوع	الصفحة
غادة البحر	٨٢٢ ـ ٨٢٣
الوطنية والانسانية	٨٢٤ ـ ٨٢٥
حياة النوع	٨٢٦
عظمة النفس	٨٢٦ ـ ٨٢٨
الاخلاص	٨٢٨ ـ ٨٢٩
البَشِير	٨٢٩ ـ ٨٣٠
الحقيقة الموزّعة	٨٣١
السّلام والحُبّ	٨٣١ ـ ٨٣٢
أميرنا المملوك	٨٣٢
الشاعر الانساني	٨٣٣
الكرامة البشرية	٨٣٣ ـ ٨٣٤
العطف الإلهي	٨٣٤
الزَّمن	٨٣٥
العظيم	٨٣٦
حكم الغد	٨٣٦ ـ ٨٣٧
النَّصر	٨٣٧ ـ ٨٣٨
شكوى الحياة	٨٣٨
حقّي في العُلى	٨٣٩ ـ ٨٤٠
عيد الربيع	٨٤١ ـ ٨٤٤
عيد العُمّال	٨٤٤ ـ ٨٤٦
شعر الرقص	٨٤٧
ياكون !	٨٤٨
كهرباء الحياة	٨٤٩ ـ ٨٥٠
رفعة الأوطان	٨٥١
المثال مختار	٨٥٢ ـ ٨٥٩
حفلة الأمس	٨٦٠ ـ ٨٦١
الفردوس	٨٦١ ـ ٨٦٣
الأَلَم	٨٦٤ ـ ٨٦٥
الكلب التائه	٨٦٥ ـ ٨٦٦
الاحسان	٨٦٧ ـ ٨٦٨
الجاذبية والجمال	٨٦٩ ـ ٨٧١
الشاعر المجنون	٨٧٢ ـ ٨٧٣
حُروب الشتاء	٨٧٤ ـ ٨٧٥
اليَقين	٨٧٥ ـ ٨٧٧
البُكاء	٨٧٧ ـ ٨٧٨
فلسفة الرقص	٨٧٩ ـ ٨٨٠

الموضوع	الصفحة
القبلة	٨٨٠ ـ ٨٨١
الشَّرَف	٨٨٢ ـ ٨٨٣
حياتان	٨٨٤ ـ ٨٨٦
الصيف	٨٨٦ ـ ٨٨٨
لحظ الضائع	٨٨٨ ـ ٨٨٩
كتاب الفَنّ	٨٨٩
دِين العلم	٨٩٠ ـ ٨٩١
مناجاة القمر	٨٩١ ـ ٨٩٣
عظمة الأدب	٨٩٤ ـ ٨٩٥
دولة القَلَم	٨٩٦ ـ ٨٩٧
الى المتجرّدين	٨٩٧ ـ ٨٩٨
تذكرة طبيب	٨٩٩ ـ ٩٠٠
التلّ الكبير	٩٠١ ـ ٩٠٥
شكوى حافظ	٩٠٦ ـ ٩٠٨
لغة الجمال	٩٠٩ ـ ٩١٠
الحياة الثائرة	٩١٠ ـ ٩١١
الوصف الصامت	٩١١ ـ ٩١٢
مقياس العظمة	٩١٢ ـ ٩١٣
أيها المصريون !	٩١٤ ـ ٩١٥
مرحباً بالعسف !	٩١٥ ـ ٩١٦
صورة الرئيس	٩١٧
الدُّهماء	٩١٧ ـ ٩١٨
الطبع والتحوّل	٩١٩
العذاب المنشود	٩٢٠ ـ ٩٢١
المَلوم أو الشاعر الغريب	٩٢١ ـ ٩٢٣
إذ — IF	٩٢٣ ـ ٩٢٥
في حضن الرّيف	٩٢٦ ـ ٩٢٩
سامحي نظرتي ...	٩٢٩
الصبح الجديد	٩٣٠ ـ ٩٣٧
الطبيعة والأدب	٩٣٨ ـ ٩٤٢
صداقة الأدب	٩٤٣ ـ ٩٤٤
الوَعْد	٩٤٥ ـ ٩٤٦
هَمْس الأقدام	٩٤٦ ـ ٩٤٧
نجمة المرقص	٩٤٧
مرآة نفسي	٩٤٨ ـ ٩٥١
أحمد لطفي بك (ر.ت.)	٩٥٢ ـ ٩٥٥

الموضوع	الصفحة
جزاء اليقين	٩٥٦ ـ ٩٥٧
العصا البكرية	٩٥٨ ـ ٩٦٠
وردٌ ونارٌ	٩٦٠
الزّهر القتيل	٩٦١ ـ ٩٦٢
ترنيمة «أتون»	٩٦٣ ـ ٩٧٢
البقاء	٩٧٢ ـ ٩٧٤
حُلمُ الغابة	٩٧٥ ـ ٩٧٧
الهجرة	٩٧٨ ـ ٩٨٧
نحيه تاجور	٩٨٨ ـ ٩٩٠
آن الوداع	٩٩١ ـ ٩٩٦
ثالوث النهضة	٩٩٧ ـ ١٠٠٠
الليل	١٠٠١ ـ ١٠٠٢
البَخيل	١٠٠٣ ـ ١٠٠٤
الأرغن	١٠٠٥ ـ ١٠٠٨
الواعظ	١٠٠٩ ـ ١٠١٠
الاحياء والاموات	١٠١١ ـ ١٠١٣
أيها الكسيحة	١٠١٤ ـ ١٠١٥
يوم بيروت	١٠١٦ ـ ١٠٢٢
مملكة إبليس	١٠٢٣ ـ ١٠٣٤
ذئبٌ وعقاب	١٠٣٥
الصّنم	١٠٣٦ ـ ١٠٣٧
الشهرة	١٠٣٧ ـ ١٠٣٩
شمّ النسيم	١٠٣٩ ـ ١٠٤٠
الحِسان	١٠٤١ ـ ١٠٤٢
شِفاءٌ وشِفاء	١٠٤٣ ـ ١٠٤٤
المتنطّعون	١٠٤٥ ـ ١٠٤٧
ما هو الفنّ ؟	١٠٤٨ ـ ١٠٤٩
كروانة المسرح	١٠٥٠ ـ ١٠٥٤
دعامة الاستقلال	١٠٥٥ ـ ١٠٦١
ايماءٌ واملاءٌ	١٠٦٢ ـ ١٠٦٤
مقابر الأحياء	١٠٦٤ ـ ١٠٦٦
الأغرار	١٠٦٧ ـ ١٠٦٨
لغة العيون	١٠٦٩
الألعبان	١٠٧٠
السُّخط والرُّضى	١٠٧١ ـ ١٠٧٢
الزّعيم	١٠٧٣ ـ ١٠٧٤

الموضوع	الصفحة
القدّيس	١٠٧٥
الزّنبور والنحلة	١٠٧٦
السّكوت البليغ	١٠٧٧ ـ ١٠٧٨
أكرم نعمت	١٠٧٨
كوخ الرّيف	١٠٧٩
طاقة زهر	١٠٨٠
الطّفولة	١٠٨٠ ـ ١٠٨١
استفتاء	١٠٨١ ـ ١٠٨٣
القافلة	١٠٨٤
خمر الطبيعة	١٠٨٥ ـ ١٠٨٦
ماهو الحُسْنُ؟	١٠٨٧ ـ ١٠٨٨
عند الشاطيء	١٠٨٩ ـ ١٠٩٠
النّفحتان	١٠٩١ ـ ١٠٩٢
موت إسكليس	١٠٩٣ ـ ١٠٩٥
الصغائر	١٠٩٥ ـ ١٠٩٦
الشّمَمُ	١٠٩٧ ـ ١٩٠٨
الهِلال	١٠٩٨ ـ ١٠٩٩
أُدَباؤُنا	١٠٩٩ ـ ١١٠٠
ثأرُ الموتِ	١١٠١ ـ ١١٠٥
صَرُوف	١١٠٦ ـ ١١٢٠
نظرات وملاحظات	١١٢١ ـ ١٢٤٨
درسٌ وتحليلٌ	١١٢٣ـ١١٦٠
السقراطية: هل هي جائزة في الشعر	١١٦١ـ١١٧٣
شِعْرُ القَسَامِي	١١٧٤ ـ ١١٧٨
النَّقْدُ والشِّعْرُ	١١٨٠ ـ ١٢٤٨
فصل مناسبي	١٢٤٩ ـ ١٣١٣
بَيْنَ اليوم والغد	١٢٥١ ـ ١٣١٣

تصويبات

صفحة	سطر	خطا	صواب
١١	١١	مشعشات	مشعشعات
٢١	٣	كالحرية	كالحرة
٧٠	١٣	حصوا	خصّوا
٧٢	٤	اضطرُّ	اضطر
٧٣	٣	عشر	عشرة
٨٢	١٨	الوطنية	الطبيعة
٩٩	٧	تشبثنا	تشبّهـا
١١٠	٨	ملفّنةً	ملقّنةً
١١٩	٧	مُثْلَ	مُثلُ
١٤٥	٣	بأنجم	بأنجمٍ
١٤٥	١٥	الرّوح	الرِوح
١٤٦	١	تخشِي	تخشَي
١٤٧	٣	أفقْ	أفِقْ
١٨٤	٢	تهدّي	تهْدي
١٩١	٥	كالحرّية	كالحرّةِ
١٩٢	١٥	(٣)	(١)
٢٠٧	٩	أغدا	أترَى

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢١٥	١٢	لن	لا
٢٢٠	٣	القمر	للقمرِ
٢٢١	١٥	كالور	كالنور
٢٣٣	١١	تحييه	لتحييه
٢٥٨	٢٠	٥٥	٢٥٥
٢٧٠	١	وُلوع	وَلوع
٢٧١	١٥	حسرةً	حسرةٍ
٢٧٦	٣	الزَنجي	الزّنجي
٢٩٤	٢	تبلغَ	تبلغُ
٢٩٤	٦	افتنان	افتتان
٣٠٢	١٨	لايودان	يودان
٣٠٨	١٦	وُلوعَا	وَلوعاً
٣١٢	١٥	قدمتْ	ندمتْ
٣٣٤	٣	مسيلٍ	مسيلَ
٣٣٥	٢	موءملاً	موءّملاً
٣٣٦	٣	وأما	وما
٣٧٠	٧	فاخترتْ	فاخترتَ

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٧٢	٧	تحفلَوا	تحفلوا
٣٩٢	٧	وأيُ	أيَّ
٣٩٢	٧	لحاسدِ	حَسَدٌ
٤٠٤	٤	ارهاق	ارهاقه
٤٠٩	٩	كتماذ	كتمانه
٤١٢	٢	يكفرُ	يكفرَ
٤١٧	٢	رصده	وبعده
٤٣٧	٧	لشفوف	الشغوف
٤٣٩	٧	وسيرةٍ	وسيرةً
٤٤٤	٤	يغنيه	يُغنيهِ
٤٧٨	٢	المجرْ	المَجرْ
٤٧٨	٨	يَنعَمُ	يُنعِمُ
٤٨٢	٨	لآسر	الآسر
٤٩١	٩	يُرضِي	يَرْضَى
٥٠٢	١	قدْرُهُ	قَدْرَهُ
٥١٨	١٠	خدعتك	خَدَعْتكَ
٥٧٤	٥	صفوُكَ	صفوِكَ
٥٨٤	٣	تصف	بمتصف
٥٨٨	١١	عندها	عندنا
٥٩٨	٢	كضُمةِ	كضَمةٍ
٦٠٦	١٠	تلقيتُ	تلقيتُ
٦٠٩	١٥	تُدين	تَدين
٦١٢	١٥	أُميتُ	أُميتَ
٦٢٣	٤	سرْنجَ	سرْنج
٦٢٦	١٤	يحاول	يحاوَل
٦٢٩	٦	تحدثه	تحدثُه
٦٢٩	١١	المستحثّ	المستحثّ
٦٤٨	١٥	دِينّ	دَيْنّ
٦٦٢	١٥	حلْمُنا	حلَمنا
٦٦٣	٨	السّحرُ	السّحرِ
٦٦٧	١٠	عرفانَ	عرفانِ
٧١٠	٥	حولِها	حولَها
٧١٢	٤	مضرّجٌ	مضرّجاً
٧١٣	١٤	زعيمم	زعيمهم
٧٢٠	٥	تلْقِ	يُلْفَ
٧٢٠	١١	بينما	حينما

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٣٧	١٢	فعدراً	فعذراً
٧٣٨	٤	فواتُ	فواتَ
٧٤٠	٥	انكاتر	انكلترا
٧٤٣	٤	تعترر	تفترر
٧٤٨	٩	خذو	خذوا
٧٥٠	٣	ءذي	أذى
٧٦٢	٤	جاريات	جاريات
٧٦٢	٥	يحمّل	يحمى
٧٦٢	٧	جواهرَ	جواهرُ
٧٦٧	٣	الدكر	الذكر
٧٦٧	١٣	مجد	تمجّد
٧٨٠	٨	طلعا	تطلعاً
٧٨١	٣	يمد	يمتدّ
٧٩٢	١٢	اليوم	واليوم
٨٠٣	١١	الخفاء	الخفاء
٨٠٦	١	فاز	فازّ
٧١٦	١٢	جبينكِ	جبينكَ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٤٢	١٦	شفّ	شفّني
٨٤٨	٩	ووجدُه	ووجدِه
٨٥٠	٩	انا	إنّما
٨٥٦	١٣	فينوسَ	فينوسُ
٨٦١	٣	حيت	حييت
٨٦٨	٨	إنَّ ،	، إنَّ
٨٨٤	٩	المنغَض	المنغّص
٩٠٤	١	تقتبس	تقبس
٩٢٦	١٣	القرية	والقرية
٩٥٢	٧	نجم	النجم
٩٥٥	٨	حسرةِ	حسرةٍ
٩٦١	٧	الفتيل	القتيل
٩٦٣	١٣	وثقتهم	أوثقتهم
٩٦٨	١٤	الجميعَ	الجميعِ
٩٦٨	١٤	ربّ	رب
٩٧٤	٣	أعلمُ	أعلمُ
٩٧٤	٤	تربا	تربأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٨٢		(شرح كلمة وعباره متعلق ببيت سقط خطأ أثناء الجمع وقد ضاع الاصل للاسف)	
١٠٠٠	١٠	عالة	عالمة
١٠٠٢	١٠	Coutinuous	Continuous
١٠١٠	١٠	مرهوبُ	مرهوبِ
١٠٣٢	١٥	فطِنْتُ	فطِنْتُ
١٠٣٩	٢	مغنهـ	مغنمها
١٠٥٢	٦	كانا	كانما
١٠٥٢	١٤	خذلان	خِذلان
١٠٦٢	٨	لقدكَ	لقدكِ
١٠٧٩	٢	المستعزَ	المستعزُ
١٠٩٠	٤	therong	the throng
١٠٩٣	١٣	حداها	إحداهـا
١٠٩٣	١٥	توريبيديس	توربيدس
١٠٩٥	١٠	أن	أنا
١١٠٠	١٣	الخِصمين	الخصمين
١١١٠	١٦	سافنا	سامنا
١١٤٤	١٦	سايرها	وسايرها
١١٤٦	١٧	عرت	عفرَتْ
١١٥١	١٥	الحكمة أو	الحكمة الانسانية او
١١٥١	١٥	وعثراتها	وعثراتها الانسانية
١١٦٩	١٦	أمْرِهِ	أمْرِهِ
١١٨٠	٤	لقله	لقلة
١١٨٦	١٠	Rubert	Rupert
٨٣٣	٣	الأجيال	الآجال
١١٩١	٣	مادة	قادة
١١٩٨	٨	lenthroned	Zenthroned
١٢٠٣	١٢	biet	best
١٢٠٧	١٨	المجاية	المتجلّيه
١٢٤٤	١٤	عادة	غادة
١٢٤٥	١٥	نَعَدُهُ	نَعْدُهُ
١٢٤٦	١٣	متحيّزة	غير متحيّزة
١٢٥٤	٤	الذهبي	الذّهني
١٢٥٨	١٤	مزاحه	مزاجه
١٢٦١	١٣	شاعرٌعربي	شاعرٍ عربي
١٢٦٨	١٠	نه	أنّهُ
١٢٦٨	٢٣	ولات	زلات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٧٠	١٨	الناضخة	الناضجة
١٢٣٢	١٥	جنبها	جنبها
١٢٧٧	٢٠	هذا	هنا
١٢٧٩	١٤	بالات المعرفة	باللاته المعروفة
١٢٩٥	١	آثارَها	آثارُها
١٢٩٨	١٣	المصائب للاباة	المصاعب للاباة
١٣٠٧	٧	الأقى	الأبقى
١٣٠٧	١٢	حالي	خالي
١٣١٦	٤	الحبُّ	الحبّ
١٣٢٨	١٧	١٩٠٨	١٠٩٨

(تحت الطبع)

ديوان

وحي الدام

(الجزء الاول)

يتضمّن هذا التأليفُ الكبير مانظمه أبو شادي بعد جمع ديوان (الشفق الباكى) ، وفي نيته إصدارُه أجزاء متلاحقة ، يُمثّل كلُّ جزء منها مجموعةَ شعرِهِ في عامٍ كاملٍ . ويُطلب عند صدوره من المطبعة السلفية ومن المكاتب الشهيرة .

وطن الفرعنة

مثل من الشعر القومي

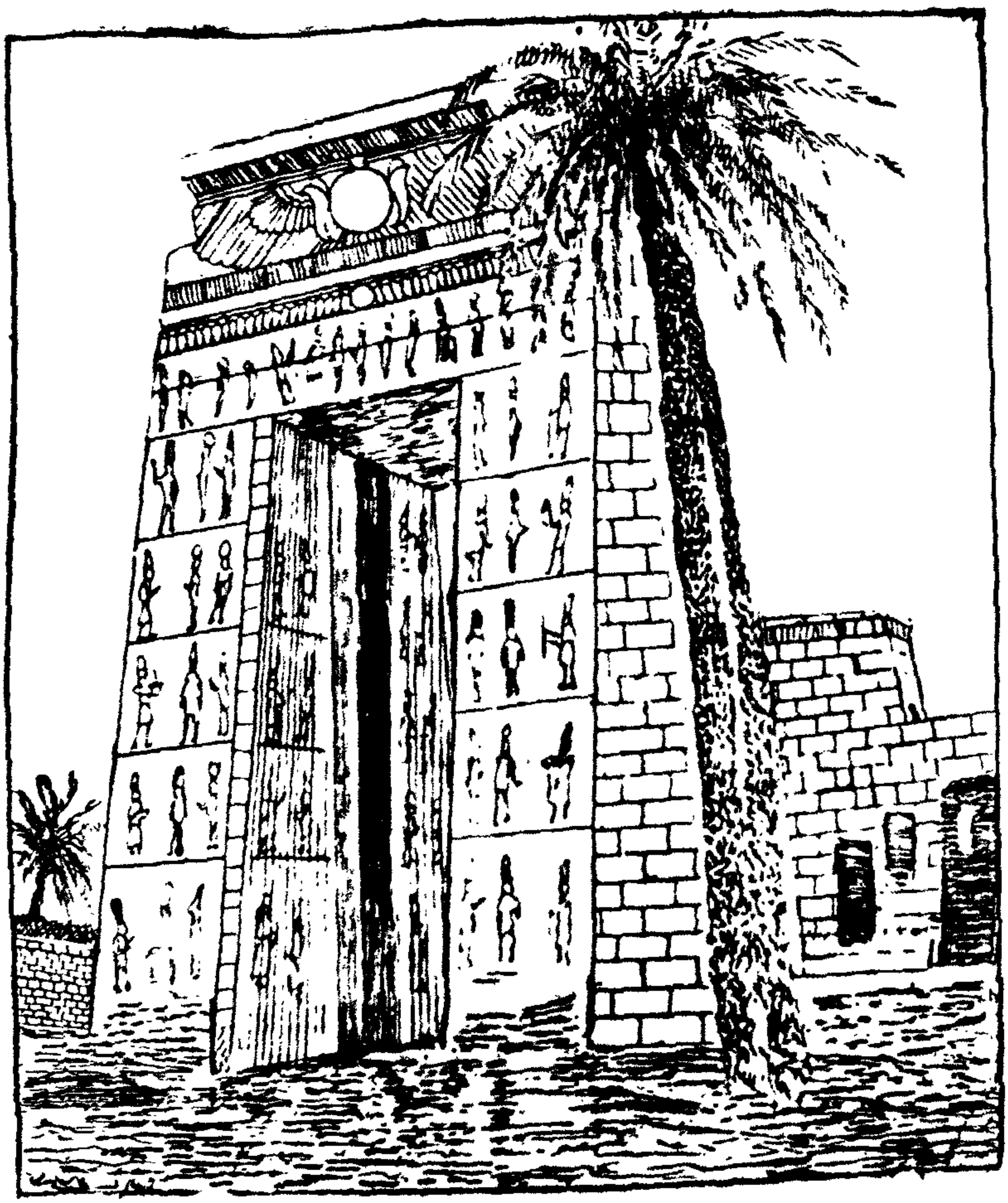

خير كتاب وطني للمحفوظات الشعرية لطلبة المدارس الثانوية

ثمن العدد ٥٠ مليما وبالجملة ٣٠ مليما عن كل نسخة

تنبيه

كانت النيةُ منصرفةً الى اصدار هذا الديوان في جزأين ، ثم آثر الناشرُ إظهارَهُ في مجلدٍ كبيرٍ شامل ، ولذلك ضمَّ اليه ما جَمَعَهُ من قصائد ومقاطيع حتى نهاية يولية سنة ١٩٢٧ م . مختتماً بثناء وتأبين فقيد العلم والأدب المغفور له الدكتور يعقوب صَرُّوف عميد (المقتطف) .

ثمن العدد

عشرون قرشاً مصريا عدا اجرة البريد .

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

Bibliotheca Alexandrina
0427656